﴿ أمَّا بَعْد ﴾ أشرقَ اللهُ قلْبي وقلبَكَ بأنْوار اليقين ولطَفَ لِي ولَكَ بما لطَفَ بأوليائه المتقين الذينَ شرَّفهُمُ اللهُ بنزُلِ قدْسِهِ وأوْحشَهُمْ منَ الخليقَةِ بأُنْسِهِ وخصَّهُمْ منْ معرفتِهِ ومشاهدةِ عجائبِ ملكوتِهِ وآثارِ قُدرتِهِ بما ملأَ قلوبَهُمْ حبرَةً ووَلَّهَ عقولَهُمْ في عظمتِهِ حيرَةً فجعلُوا همَّهُمْ بهِ واحدًا ولَمْ يرَوْا في الدَّارَيْنِ غيرَهُ مشاهدًا فهُمْ بمشاهدةِ جمالِهِ وجلالِهِ يتنعَّمونَ وبينَ آثارِ قُدرتِهِ وعجائبِ عظمتِهِ يتردَّدونَ وبالانقطاعِ إليْهِ والتَّوكُّلِ علَيْهِ يتعزَّزونَ لَهِجينَ بصادقِ قوْلِهِ قُلِ اللَّهُمَّ ثُمَّ ذرْهُمْ في خوْضِهِمْ يلعبونَ فإنَّكَ كرَّرتَ علَيَّ السُّؤالَ في مجموعٍ يتضمَّنُ التَّعريفَ بقدرِ المصطفى عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وما يجبُ لهُ منْ توقيرٍ وإكرامٍ وما حُكْمُ منْ لمْ يُوفِّ واجبَ عظيمِ ذلكَ القدرِ أوْ قصَّرَ في حقِّ منصبِهِ الجليلِ قُلامةَ ظُفرٍ وأنْ أجمعَ لكَ ما لأسلافِنا وأئمَّتِنا في ذلكَ منْ مقالٍ وأُبيِّنهُ بتنزيلِ صُوَرٍ وأمثالٍ فاعلمْ أكرمَكَ اللهُ أنَّكَ حمَّلتَني منْ ذلكَ أمرًا إمْرًا وأرهقتَني فيما ندبتَني إليْهِ عُسْرًا وأرقيتَني بما كلَّفتَني مُرتقًى صعبًا ملأَ قلبي رُعبًا فإنَّ الكلامَ في ذلكَ يستدعي تقريرَ أُصولٍ وتحريرَ فُصولٍ والكشفَ عنْ غوامضَ ودقائقَ منْ علمِ الحقائقِ ممَّا يجبُ للنَّبيِّ ويُضافُ إليْهِ أوْ يمتنعُ أوْ يجوزُ علَيْهِ ومعرفةَ النَّبيِّ والرَّسولِ والرِّسالةِ والنُّبوَّةِ والمحبَّةِ والخُلَّةِ وخصائصِ هذهِ الدَّرجةِ العليَّةِ وههُنا مهامِهُ فيحٌ تحارُ فيها القطا وتقصُرُ بها الخُطا ومجاهلُ تضلُّ فيها الأحلامُ إنْ لمْ تهتدِ بعَلَمِ علمٍ ونظرٍ سديدٍ ومداحضُ تزلُّ بها الأقدامُ إنْ لمْ تعتمدْ على توفيقٍ منَ اللهِ وتأييدٍ لكنِّي لما رجوتُهُ لي ولكَ في هذا السُّؤالِ والجوابِ منْ نوالِ

وَثَوَابٍ بِتَعْرِيفِ قَدْرِهِ الْجَسِيمِ وخُلُقِهِ الْعَظِيمِ وَبَيَانِ خَصَائِصِهِ الَّتِي لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلُ فِي مَخْلُوقٍ وما يُدَانُ اللهُ تعالى بِهِ مِنْ حَقِّهِ الذي هو أَرْفَعُ الْحُقُوقِ لِيَسْتَيْقِنَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الذينَ آمَنُوا ايماناً وَلِمَا أَخَذَ اللهُ تعالى على الَّذِينَ اوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ وَلِمَا حَدَّثَنَا بِهِ أبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ ابْنُ أَحْمَدَ الفَقِيهُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ حَدَّثَنا أبُو محمدِ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ حَدَّثَنا سُلَيْمَانُ ابْنُ الأَشْعَثِ حَدَّثَنَا مُوسَي بْنُ اسْمَعِيلَ حَدَّثَنا حَمَّادٌ اخْبَرَنا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ * قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ القِيامَةِ فَبَادَرْتُ الي نُكَتٍ سافِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الغَرَضِ مُؤَدِّياً مِنْ ذَلِكَ الحَقَّ الْمُفْتَرَضَ اخْتَلَسْتُهَا على اسْتِعْجالٍ لِمَا الْمَرْءُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغُلِ البَدَنِ وَالبالِ بِمَا قُلِّدَهُ مِنْ مَقالِيدِ الْمِحْنَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِها فَكَادَتْ تَشْغَلُ عَنْ كُلِّ فَرْضٍ وَنَفْلٍ وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ الى أَسْفَلِ سفل وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالإِنْسانِ خَيْرًا لَجَعَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كُلَّهُ فِيما يُحْمَدُ غَدًا وَلا يُذَمُّ مَحَلُّهُ فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَي نَضْرَةِ النَّعِيمِ أَوْ عَذَابِ الْجَحِيمِ وَلٰكَانَ عَلَيْهِ بِخُوَيْصَتِهِ وَاسْتِنْقاذِ مُهْجَتِهِ وَعَمَلٍ صالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ وعِلْمٍ نافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ جَبَرَ اللهُ تَعالي صَدْعَ قُلُوبِنا وغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنا وَجَعَلَ جَمِيعَ اسْتِعْدَادِنا لِمَعادِنا وَتَوَفُّرَ دَوَاعِينا فِيما يُنْجِينا وَيُقَرِّبُنا الَيْهِ زُلْفَي وَيُحْظِينا بِمَنِّهِ ورَحْمَتِهِ ولَمَّا نَوَيْتُ تَقْرِيبَهُ وَدَرَّجْتُ تَبْوِيبَهُ وَمَهَّدْتُ تَأْصِيلَهُ وخَلَّصْتُ تَفْصِيلَهُ وانْتَحَيْتُ حَصْرَهُ وتَحْصِيلَهُ تَرْجَمْتُهُ بِالشِّفا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى وَحَصَرْتُ الكَلامَ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ اقْسامٍ

﴿ القِسْمُ الأَوَّلُ ﴾ في تَعْظِيمِ العَلِيِّ الأَعْلَى لِقَدْرِ هٰذَا النَّبِيِّ قَوْلاً وَفِعْلاً وَتَوَجَّهَ الكَلامُ فِيهِ في أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ

﴿ البابُ الأَوَّلُ ﴾ في ثَنائِهِ تَعالَى عَلَيْهِ وَإِظْهارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

﴿ البابُ الثَّانِي ﴾ في تَكْمِيلِهِ تَعالَى لَهُ المَحاسِنَ خَلْقاً وَخُلُقاً وَقِرَانِهِ جَمِيعَ الفَضائِلِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسَقاً وفِيهِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ فَصْلاً

﴿ البابُ الثَّالِثُ ﴾ فِيما وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الأَخْبارِ ومَشْهُورِها بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ومَنْزِلَتِهِ وما خَصَّهُ اللهُ بِهِ في الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ وفِيهِ اثْناعَشَرَ فَصْلاً

﴿ البابُ الرَّابِعُ ﴾ فِيما أَظْهَرَهُ اللهُ تَعالَى على يَدَيْهِ مِنَ الآياتِ والمُعْجِزاتِ وشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الخَصائِصِ والكَرَاماتِ وفِيهِ ثَلاثُونَ فَصْلاً

﴿ القِسْمُ الثَّانِي ﴾ فِيما يَجِبُ على الأَنامِ مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَيَتَرَتَّبُ القَوْلُ فِيهِ في أَرْبَعَةِ أَبْوابٍ

﴿ البابُ الأَوَّلُ ﴾ في فَرْضِ الإِيمانِ بِهِ وَوُجُوبِ طاعَتِهِ وَاتِّباعِ سُنَّتِهِ وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ

﴿ البابُ الثَّانِي ﴾ في لُزُومِ مَحَبَّتِهِ وَمُناصَحَتِهِ وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

﴿ البابُ الثَّالِثُ ﴾ في تَعْظِيمِ أَمْرِهِ ولُزُومِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ وَفِيهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ

﴿ البابُ الرَّابِعُ ﴾ في حُكْمِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ والتَّسْلِيمِ وَفَرْضِ ذٰلِكَ وَفَضِيلَتِهِ وفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

﴿ القِسْمُ الثَّالِثُ ﴾ فِيما يَسْتَحِيلُ في حَقِّهِ صلى اللهُ عليه وسلم وما يَجُوزُ عَلَيْهِ وما يَمْتَنِعُ وَيَصِحُّ مِنَ الأُمُورِ البَشَرِيَّةِ أَنْ يُضافَ إِلَيْهِ وهٰذا

القسمُ أكرمكَ اللهُ تعالى هوَ سِرُّ الكتابِ ولُبابُ ثمرةِ هذهِ الأبوابِ وما قبلَهُ لهُ كالقواعدِ والتمهيداتِ والدلائلِ على ما نوردُهُ فيهِ منَ النكتِ البيّناتِ وهوَ الحاكمُ على ما بعدَهُ والمُنجزُ منْ غرضِ هذا التأليفِ وعدَهُ وعِندَ التقصّي لموعدَتِهِ والتفصّي عنْ عهدَتِهِ يشرقُ صدرُ العدوِّ اللعينِ ويُشرقُ قلبُ المؤمنِ باليقينِ وتملأُ أنوارُهُ جوانحَ صدرِهِ ويقدُرُ العاقلُ النبيَّ حقَّ قدرِهِ ويتحرّرُ الكلامُ فيهِ في بابينِ

(البابُ الأوّلُ) فيما يختصُّ بالأمورِ الدينيّةِ ويتشبّثُ بهِ القولُ في العصمةِ وفيهِ ستّةَ عشرَ فصلاً

(البابُ الثاني) في أحوالِهِ الدنيويّةِ وما يجوزُ طروُّهُ عليهِ منَ الأعراضِ البشريّةِ وفيهِ تسعةُ فصولٍ

﴿ القسمُ الرابعُ ﴾ في تصرُّفِ وجوهِ الأحكامِ على منْ تنقّصهُ أوْ سبّهُ صلى الله عليه وسلم وينقسمُ الكلامُ فيهِ في بابينِ

(البابُ الأوّلُ) في بيانِ ما هوَ في حقّهِ سبٌّ ونقصٌ منْ تعريضٍ أوْ نصٍّ وفيهِ عشرةُ فصولٍ

(البابُ الثاني) في حُكمِ شانئِهِ ومؤذيهِ ومُنتقصِهِ وعقوبتِهِ وذكرِ استتابتِهِ والصلاةِ عليهِ ووراثتِهِ وفيهِ عشرةُ فصولٍ وختمناهُ ببابٍ ثالثٍ جعلناهُ تكملةً لهذهِ المسئلةِ ووصلةً للبابينِ اللذينِ قبلَهُ في حُكمِ منْ سبَّ اللهَ تعالى ورسلَهُ وملائكتَهُ وكتبَهُ وآلَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وصحبَهُ واختصرَ الكلامُ فيهِ في خمسةِ فصولٍ وبتمامِها ينتجزُ الكتابُ وتتمُّ الأقسامُ والأبوابُ ويلوحُ في غرّةِ الإيمانِ لُمعةٌ منيرةٌ وفي تاجِ التراجمِ

دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ تزيحُ كُلَّ لَبْسٍ وَتُوضِحُ كُلَّ تخمِينٍ وَحَدْسٍ وَتَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَتَصْدَعُ بالحَقِّ وتُعرِضُ عَنِ الجَاهِلِينَ وَبِاللهِ تعالي لا إِلَهَ سِوَاهُ أَستَعِينُ

﴿ القسم الأول ﴾

(في تَعظِيمِ العَلِيِّ الأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ المُصطَفَى صلى الله عليه وسلم قَولاً وفِعلاً)

قالَ الفَقِيهُ القاضِي الإِمامُ أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالي وسَدَّدَهُ لا خَفاءَ على مَنْ مارَسَ شَيْئًا مِنَ العِلْمِ أَوْ خُصَّ بِأَدْنَي لَمحَةٍ من الفَهْمِ بِتَعظِيمِ اللهِ قَدْرَ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم وخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضائِلَ ومَحاسِنَ ومَناقِبَ لا تَنْضَبِطُ لِزِمامٍ وتَنوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِما تَكِلُّ عَنْهُ الأَلسِنَةُ والأَقْلامُ * فَمِنْها ما صَرَّحَ بِهِ تَعالى في كِتابِهِ وَنَبَّهَ بِهِ على جَلِيلِ نِصابِهِ وأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلاقِهِ وآدَابِهِ وحَضَّ العِبادَ على التِزامِهِ وتَقَلُّدِ إِيجابِهِ فَكانَ جَلَّ جَلالُهُ هوَ الذي تَفَضَّلَ وأَوْلَى ثُمَّ طَهَّرَ وزَكَّي ثُمَّ مَدَحَ بِذلِكَ وأَثْنَي ثُمَّ أَثابَ عَلَيْهِ الجَزاءَ الأَوْفَي فَلَهُ الفَضْلُ بَدْأً وعَوْدًا والحَمْدُ أُولَى وأُخْرَى * ومِنْها ما أَبْرَزَهُ لِلعِيانِ مِنْ خَلْقِهِ على أَتَمِّ وُجُوهِ الكَمالِ والجَلالِ وتَخصِيصِهِ بِالمَحاسِنِ الجَمِيلَةِ والأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ والمَذاهِبِ الكَرِيمَةِ والفَضائِلِ العَدِيدَةِ وتَأْيِيدِهِ بِالمُعجِزاتِ الباهِرَةِ والبَراهِينِ الواضِحَةِ والكَراماتِ البَيِّنَةِ الَّتِي شاهَدَها مَنْ عاصَرَهُ ورَآها مَنْ أَدرَكَهُ وَعَلِمَها عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جاءَ بَعْدَهُ حَتَّى انتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذلِكَ إِلَينا وفاضَتْ أَنْوارُهُ عَلَيْنا صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كَثِيرًا * حَدَّثَنا القاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ

الحافظُ قِراءةً مِنّي عليهِ قالَ حدَّثنا أبو الحُسَينِ المُباركُ بنُ عبدِ الجَبَّارِ وأبو الفضلِ أحمدُ بنُ خَيرُونَ قالا حدثنا أبو يَعلى الغَداديُّ قالَ حدثنا أبو عَليٍّ السِّنجيُّ قالَ حدثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محبُوبٍ قالَ حدثنا أبو عِيسى بنُ سَورَةَ الحَافِظُ قالَ حدثنا اسحٰقُ بنُ منصُورٍ حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ أنبأَنا مَعمَرٌ عن قَتادةَ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ أُتِيَ بالبُراقِ ليلةَ أُسرِي بِهِ مُلجَماً مُسرَجاً فاستَصعَبَ عليهِ فقالَ لهُ جبريلُ أبِمُحمَّدٍ تفعلُ هذا فما رَكِبَكَ أحدٌ أكرمُ على اللهِ مِنهُ قالَ فارفَضَّ عرَقاً

﴿ الباب الأول ﴾

﴿ في ثناءِ اللهِ تعالى عليه واظهارِ عظيمَ قَدرِه لَدَيه ﴾

اعلَمْ أنَّ في كِتابِ اللهِ العَزيزِ آياتٍ كثيرةً مُفصِحَةً بجَميلِ ذِكرِ المُصطَفي صلى الله عليه وسلمَ وعَدِّ مَحاسِنِهِ وتَعظِيمِ أمرِهِ وتَنوِيهِ قَدرِهِ اعتَمَدنا مِنها على ما ظَهَرَ مَعناهُ وبانَ فَحواهُ وجَمَعنا ذلِكَ في عَشَرَةِ فُصُولٍ

﴿الفصل الاول﴾

﴿ فِيما جاءَ من ذلك مجيءَ المدحِ والثناءِ وتَعدادِ المحاسن ﴾

كقوله تعالى (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكُمْ) الآيَةَ

قالَ السَّمرَقَنديُّ وقرَأَ بَعضُهُمْ مِنْ أنفَسِكُمْ بِفَتحِ الفاءِ وقِراءةُ الجُمهُورِ بالضَّمِّ قالَ الفَقِيهُ القاضي أبو الفَضلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالى أعلَمَ اللهُ تَعالى المُؤمِنينَ أوِ العَرَبَ أو أهلَ مَكَّةَ أو جَميعَ النَّاسِ على اختِلافِ المُفَسِّرِينَ مَنِ المُواجَهُ بِهٰذا الخِطابِ أنَّهُ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أنفُسِهِمْ يَعرِفُونَهُ ويَتَحَقَّقُونَ مَكانَهُ

وَيعلَمُونَ صِدْقَهُ وأمانَتَهُ فَلا يتَّهِمُونَهُ بالـكَذِبِ وتَرْكِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ لِـكَوْنِهِ مِنْهُمْ وأَنَّهُ لم تَـكُنْ في العَرَبِ قَبِيلَةٌ الَّا وَلَهَـا على رسولِ اللهِ صـلى اللهُ عليه وسـلمَ وِلادَةٌ أوْ قَرَابَةٌ وهوَ عِنْدَ ابْنِ عبَّاس وغَـيْرِهِ مَعْـنى قَوْلِهِ تعـالى الَّا المَوَدَّةَ في القُرْبَى و كَوْنِهِ مِنْ أشْرَفِهِمْ وأرْفَعِهِمْ وأفْضَلِهِمْ على قِرَاءَةِ الفَتْحِ هٰـذِهِ نِهايَةُ المَدْحِ ثُمَّ وَصفَهُ بَعْدُ بأَوْصافٍ حَمِيدَةٍ وأثـنَى عَلَيْهِ بمَحامِدَ كَـثِيرَةٍ مِنْ حِرْصِهِ على هِدَايَتِهِمْ ورُشْدِهِمْ واسْـلامِهِمْ وشِدَّةِ ما يُعْنِتُهُمْ وَيَضُرُّ بِهِمْ في دُنْياهُمْ وأُخْرَاهُمْ وعِزَّتِهِ عَلَيْهِ ورَأْفَتِهِ ورَحْمَتِهِ بمُؤْمِنِيهِـمْ قالَ بَعْضُهُمْ أعْطاهُ اسْمَـيْنِ مِنْ أسْمائِهِ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ومِثْلُهُ في الآيَةِ الأُخْرَى قوْلُهُ تَعـالى لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلى المُؤْمِنِينَ اذْ بَعَثَ فِيهِـمْ رَسُولًا مِنْ أنْفُسِهِمْ الآيَةَ وفي الآيَةِ الاخْرَى هوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّـينَ رَسُولًا مِنْهُـمْ الآيَةَ وقَوْلُهُ تعالى كما أرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْـكُمْ الآيَةَ وَرُوِيَ عَنْ عَـلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم في قولِهِ تَعالي مِنْ أنْفُسِكُمْ قالَ نَسَـباً وصِهْرًا وَحَسَباً لَيْسَ في آبائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سفاحٌ كُلُّها نِـكاحٌ قالَ ابْنُ الـكَلْبِيِّ كَـتَبْتُ للنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم خَمْسَمِائَةِ اُمٍّ فَمَـا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفاحاً ولا شَيْئا مِمَّـا كانَ عَلَيْـهِ الجَـاهِلِيَّةُ وعَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما في قوْلِهِ تَعالى وتَقَلُّبَكَ في السَّاجِـدِينَ قالَ مِنْ نَـبِيٍّ الي نَـبِيٍّ حَـتَّي أخْرَجْتُـكَ نَبِيّاً وقالَ جعفَرُ بْنُ محمَّدٍ عَـلِمَ اللهُ تَعالى عَجْزَ خَلْقِهِ عَنْ طاعَتِهِ فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ لِـكَيْ يَعْلَمُوا أنَّهُمْ لا يَنالُونَ الصَّفْوَ مِنْ خِدْمَتِهِ فأقامَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ مَخْلُوقاً مِنْ جِنْسِهِمْ في الصُّورَةِ أَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ الرَّأْفَةَ والرَّحْمَةَ وأخْرَجَهُ الى الخَلْقِ سَفِيرًا صادِقاً وجَعَلَ طاعَتَهُ طاعَتَهُ ومُوافَقَتَهُ مُوافَقَتَهُ فَقالَ تَعالي مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَـدْ

أطاعَ اللهَ وقالَ اللهُ تَعالي وما أرْسَلْناكَ الَّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ قالَ أبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ
ابنُ طاهِرٍ زَيَّنَ اللهُ تَعالى مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بزِينَةِ الرَّحْمَةِ فَكانَ كَوْنُهُ
رَحْمَةً وَجَمِيعُ شَمائِلِهِ وصِفاتِهِ رَحمَةً على الخَلْقِ فَمَنْ أصابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ
فَهُوَ النَّاجِي في الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ والوَاصِلُ فِيهِما الي كُلِّ مَحْبُوبٍ
ألاَ تَرَى أنَّ اللهَ تَعالى يَقُولُ وما أرْسَلْناكَ الَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فَكانَتْ
حَياتُهُ رَحْمَةً ومَماتُهُ رَحْمَةً كَما قالَ صلى الله عليه وسلم حَياتِي خَيْرٌ
لَكُمْ ومَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ وكَما قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ اذَا أرَادَ
اللهُ رَحْمَةً بامَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّها قَبْلَها فَجَعَلَهُ لها فَرَطًا وسَلَفًا وقالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ
رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ يَعْنِي لِلْجِنِّ والإِنْسِ وقِيلَ لِجَمِيعِ الخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بالهِدايَةِ
ورَحْمَةً لِلْمُنافِقِ بالأمانِ مِنَ القَتْلِ ورَحْمَةً لِلْكافِرِ بتَأْخِيرِ العَذابِ قالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما هو رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ والكافِرِينَ اذْعُوفُوا مِمَّا
أصابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ وحُكِيَ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
قالَ لِجِبْرِيلَ عليهِ السَّلامُ هَلْ أصابَكَ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قالَ نَعَمْ كُنْتُ
أخْشَى العاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِثَناءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ
مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أمِينٍ ورُوِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ في قَوْلِهِ تَعالي
فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصْحابِ اليَمِينِ أيْ بِكَ انَّما وَقَعَتْ سَلاَمَتُهُمْ مِنْ أجْلِ كَرامَةِ
مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وقالَ اللهُ تَعالي اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ الآيَةَ قالَ
كَعْبُ الأحْبارِ وابْنُ جُبَيْرٍ المُرَادُ بالنُّورِ الثَّاني هُنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم
وقَوْلُهُ تَعالي مَثَلُ نُورِهِ أيْ نُورِ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وقالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ
المَعْنَي اللهُ هادِي أهْلِ السَّمٰوَاتِ والأرْضِ ثُمَّ قالَ مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ اذْ كانَ

مُسْتَوْدَعاً في الأصلاب كَمِشْكاةٍ صِفَتُها كَذَا وَأَرَادَ بِالْمِصْبَاحِ قَلْبَه والزُّجَاجَةِ صَدْرَهُ أي كأنَّهُ كَوْكَبٌ دُرّيٌّ لِمَا فيهِ منَ الإيمانِ وَالحِكْمَةِ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ أيْ مِنْ نُورِ ابْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصلاةُ والسَّلامُ وَضَرَبَ المَثَلُ بالشَّجَرَةِ المُبارَكَةِ وَقَوْلُهُ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ أيْ تَكَادُ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلم تَبِينُ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلامِهِ كَهَذَا الزَّيْتِ وقَدْ قِيلَ في هَذِهِ الآيَةِ غَيْرُ هَذَا واللهُ أعْلَمُ وقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعالى في القُرْآنِ في غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ نُورًا وسِرَاجاً مُنِيرًا فَقالَ تَعالي قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ وقالَ تَعالي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِياً الي اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ومِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعالي أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الي آخرِ السُّورَةِ شَرَحَ وَسَّعَ والمُرَادُ بالصَّدْرِ هُنا القَلْبُ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما شَرَحَهُ بِنُورِ الإِسْلامِ وقالَ سَهْلٌ بِنُورِ الرِّسالَةِ وقالَ الحَسَنُ مَلَأَهُ حِكَماً وعِلْماً وقِيلَ مَعْناهُ أَلَمْ يُطَهِّرْ قَلْبَكَ حَتَّي لايَقْبَلَ الوَسْوَاسَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قِيلَ ما سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ يَعْنِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ وقِيلَ أَرادَ ثِقَلَ أَيامِ الجاهِلِيَّةِ وقِيلَ أَرادَ ما أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنَ الرِّسالَةِ حَتَّي بَلَّغَها حَكَاهُ المَاوَرْدِيُّ والسُّلَمِيُّ وقِيلَ عصَمْناكَ ولوْلاَ ذَلِكَ لأَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ ظَهْرَكَ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ قالَ يَحْيَى بنُ آدمَ بالنُّبُوَّةِ وقِيلَ اذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي في قَوْلِ لاَ إِلَهَ الاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وقِيلَ في الأَذانِ والإِقامَةِ قالَ الفَقِيهُ القاضي أَبُو الفَضْلِ هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم على عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ وشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلإِيمانِ والهِدايَةِ وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ العِلْمِ وحَمْلِ الحِكْمَةِ وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الجاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ وَبَغَّضَهُ

لِسِهرِها وما كانَتْ عليه بظهُورِ دينِه على الدّينِ كُلِّه وحطّ عَنهُ عُهْدَةَ أعباءِ الرّسالَةِ والنّبُوّةِ لِتبليغِه للنّاسِ مانُزِّلَ إليهِمْ وتنويهِه بعظيمِ مَكانِه وجليلِ رُتبَتِه وَرِفعَةِ ذِكرِه وقِرانِه مَعَ اسمِه اسمَهُ قالَ قَتادَةُ رَفعَ اللهُ تعالي ذِكرَهُ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ فلَيسَ خَطيبٌ ولاَمُتَشَهِّدٌ ولا صاحبُ صَلاَةٍ الاَّ يقُولُ أشهَدُ أنْ لاَ إلَه الاَّ اللهُ وأنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَرَوي أبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنّ النَّبِيَّ صلى اللهُ علَيه وسلم قالَ أتاني جِبْرِيلُ عليهِ السلاَمُ فقالَ انَّ رَبّي وَرَبَّكَ يقُولُ تدْري كَيفَ رَفعْتُ ذِكرَكَ قُلْتُ اللهُ ورَسُولُهُ أعلَمُ قالَ اذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِيَ قالَ ابنُ عَطاءٍ جعَلْتُ تَمامَ الإيمانِ بذِكرِكَ مَعِيَ وقالَ أيضاً جعَلْتُكَ ذِكرًا مِنْ ذِكرِي فمَنْ ذَكرَكَ ذَكرَني وقالَ جعفَرُ بْنُ محمَّدٍ الصَّادِقُ لاَ يَذكُرُكَ أحَدٌ بالرِّسالَةِ إلاَّ ذَكرَني بالرُّبُوبِيَّةِ وأشارَ بَعضُهُمْ في ذَلِكَ الي مقَامِ الشَّفاعَةِ ومِنْ ذِكرِهِ معَهُ تَعالي أنْ قَرَنَ طاعتَهُ بطاعتِه واسمَهُ باسمِهِ فقَالَ تَعالى وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ وآمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ فَجمَعَ بَيْنَهُما بِوَاوِ العَطفِ المُشترِكَةِ ولاَ يَجُوزُ جَمْعُ هذَا الكَلاَمِ في غَيرِ حقِّهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم حدَّثَنا الشّيْخُ أبو عَلِيّ الحُسَيْنُ بْنُ محمَّدٍ الجَيَّانِيُّ الحَافِظُ فِيما أجازَنِيهِ وقَرَأتُهُ على الثِّقةِ عَنهُ قالَ حَدَّثَنا أبو عُمَرَ النَّمَرِيُّ قالَ حدَّثَنا أبو محمَّدِ ابْنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ حدَّثَنا أبو بَكرِ بْنُ دَاسَةَ حَدَّثنا أبو دَاوُدَ السِّجْزِيُّ حدَّثَنا أبو الوَلِيدِ الطَّيالِسِيُّ حدَّثَنا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسارٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيّ صلى اللهعليه وسلم قالَ لاَيَقُولَنَّ أحَدُكُمْ ماشاءَ اللهُ وشاءَ فُلاَنٌ ولَكِنْ ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ فُلاَنٌ قالَ الخَطَّابِيُّ أرْشَدَهُمْ صلى الله علىه وسلم الي الأَدَبِ فى تَقديمِ مَشيئَةِ اللهِ تَعالي على مَشيئَةِ مَنْ سِواهُ واختارَها

بثُمَّ الَّتي هيَ لِلنَّسقِ والتَّراخي بخِلافِ الواوِ الَّتي هيَ لِلاشتِراكِ ومثلُهُ الحديثُ
الآخرُ أنَّ خطيباً خطَبَ عِندَ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ منْ يُطعِ اللهَ
ورَسولَهُ فقدْ رَشَدَ ومَنْ يَعصِهِما فقالَ لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بئسَ خَطيبُ
القَومِ أنتَ قُمْ أوْ قالَ اذهَبْ قالَ أبو سُلَيمانَ كَرِهَ منهُ الجَمعَ بينَ الاسمَينِ
بحَرْفِ الكِنايةِ لِما فيهِ منَ التَّسويةِ وذَهبَ غَيرُهُ الى أنَّهُ انما كَرِهَ لهُ
الوُقوفَ على يَعصِهِما وقولُ أبي سُلَيمانَ أصحُّ لِما رُوِيَ في الحَديثِ الصَّحيحِ أنَّهُ
قالَ ومَنْ يَعصِهِما فقدْ غَوَى ولَمْ يَذكُرِ الوُقوفَ على يَعصِهِما وقدِ اختَلفَ المُفسِّرونَ
وأصحابُ المَعاني في قوْلِهِ تَعالى انَّ اللهَ وملائِكتَهُ يُصلُّونَ على النَّبيِّ هلْ يُصلُّونَ
راجِعةٌ على اللهِ تَعالى والملائِكةِ أمْ لا فأجازَهُ بَعضُهُمْ ومَنعَهُ آخَرونَ لِعِلَّةِ التَّشريكِ
وخَصُّوا الضَّميرَ بالملائِكةِ وقدَّروا الآيةَ إنَّ اللهَ يُصلِّي وملائِكتَهُ يُصلُّونَ
وقدْ رُوِيَ عنْ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ منْ فَضيلَتِكَ عِندَ اللهِ أنْ جَعلَ
طاعتَكَ طاعتَهُ فقالَ تَعالى مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فقدْ أطاعَ اللهَ وقدْ قالَ تَعالى قُلْ
انْ كُنتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبعوني يُحببْكُمُ اللهُ الآيتَينِ ورُوِيَ أنَّهُ لَمَّا
نَزلَتْ هذهِ الآيةُ قالوا انَّ مُحمَّدًا يُريدُ أنْ نتَّخِذَهُ حَنانًا كما اتَّخذَتِ النَّصارَى
عيسى فأنزَلَ اللهُ تعالى قُلْ أطيعوا اللهَ والرَّسولَ فقرَنَ طاعتَهُ بطاعتِهِ رغماً لهُمْ وقدِ
اختَلفَ المُفسِّرونَ في مَعنى قوْلِهِ تعالى في امِّ الكِتابِ إهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ
صِراطَ الَّذينَ أنعمْتَ عليهِمْ فقالَ أبو العاليةِ والحسَنُ البَصريُّ الصِّراطُ المُستقيمُ هوَ
رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وخِيارُ أهلِ بيتِهِ وأصحابِهِ حكاهُ عنهُما أبو الحسَنِ
الماوَرديُّ وحَكى مَكِّيٌّ عنهُما نحوَهُ وقالَ هوَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم
وصاحِباهُ أبو بكرٍ وعُمرُ رضيَ اللهُ عنهُما وحَكى أبو اللَّيثِ السَّمرقَنديُّ مِثلَهُ

عنْ أبي العالِيَةِ في قوْلِهِ تعالي صِراطَ الَّذِينَ أنْعمْتَ علَيْهِمْ قالَ فبَلغَ ذلكَ الحَسَنَ فقالَ صدَقَ واللهِ ونَصحَ وحَكَي الماوَرْدِيُّ ذلكَ في تفْسِيرِ صِراطَ الَّذِينَ أنْعمْتَ علَيْهِمْ عن عبدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زَيْدٍ وحَكَي أبُوعبدِالرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ عن بَعْضِهِمْ في تفْسِيرِ قوْلِهِ تعالي فقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى أنَّهُ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلم وقيلَ الإِسْلامُ وقِيلَ شهادَةُ التَّوْحِيدِ وقالَ سهْلٌ في قوْلِهِ تعالى وَإنْ تَعُدُّوا نِعمَتَ اللهِ لا تُحصُوها قالَ نِعْمَتُهُ بمُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم وقالَ تَعالي والَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وصَدَّقَ بهِ أُولٰئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ الآيَتَيْنِ أكْثَرُ المُفَسِّرِينَ على أنَّ الَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ هوَ مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ بَعْضُهُمْ وهوَ الذي صَدَّقَ بهِ وقُرِئَ صدَقَ بالتَّخْفِيف وقالَ غَيْرُهُمْ الَّذي صدَّقَ بهِ المُؤْمِنُونَ وقِيلَ أبُو بَكْرٍ وقِيلَ عَلِيٌّ وقِيلَ غَيْرُ هٰذا مِنَ الأَقْوالِ وعنْ مُجاهِدٍ في قوْلِهِ تعالى أَلا بذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ قالَ بمُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وأصْحابِهِ

(الفصل الثانى)

(في وصفه تعالى له بالشَّهادة وما يتعلقُ بها مِنَ الثَّناءِ والكَرامة)

قالَ اللهُ تعالى يا أيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أرسَلْناكَ شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا الآيَةَ جَمَعَ اللهُ تعالى لَهُ في هٰذِهِ الآيَةِ ضُرُوباً منْ رُتَبِ الأَثَرَةِ وجُمْلَةَ أوْصافٍ منَ المِدْحَةِ فَجَعَلَهُ شاهِدًا على أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بإِبْلاغِهِمُ الرِّسالَةَ وهِيَ مِنْ خَصائِصِهِ صلى الله عليه وسلم ومُبَشِّرًا لِأهْلِ طاعتِهِ ونَذِيرًا لِأهْلِ مَعْصِيَتِهِ وداعِيًا الى توْحِيدِهِ وعِبادَتِهِ وسِراجًا مُنِيرًا يُهْتَدَي بهِ لِلْحَقِّ * حدَّثَنا الشَّيْخُ

أبو محمّدِ بنُ عتّابٍ حدّثنا أبو القاسِمِ حاتِمُ بنُ محمّدٍ حدّثنا أبو الحسَنِ القابِسِيُّ حدّثنا أبو زيدٍ المَرْوَزِيُّ حدّثنا أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ يوسُفَ حدثنا البُخاريُّ حدّثنا محمّدُ بنُ سِنان حدثنا فُلَيْحٌ حدثنا هِلالٌ عَنْ عطاءِ بنِ يَسارٍ قالَ لَقِيتُ عبدَ اللهِ بنَ عَمْرِو بنِ العاصِ فقُلتُ أخبِرْني عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ أجَلْ واللهِ انَّهُ لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ ببَعْضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ يا أيُّها النَّبِيُّ انّا أرْسَلْناكَ شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا وحِرْزًا لِلأُمِّيّينَ أنتَ عَبْدِي ورَسُولِي سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسْوَاقِ ولاَ يدفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ولَكِنْ يَعْفُو ويَغفِرُ ولَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجاءَ بأَنْ يَقُولُوا لا إِلَهَ الاَّ اللهُ ويَفْتَحَ بِهِ أعْيُناً عُمْياً وَآذاناً صُمّاً وقُلُوباً غُلْفًا وذُكِرَ مِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وكَعْبِ الأحْبارِ وفي بَعْضِ طُرُقِهِ عنِ ابْنِ اسْحٰقَ ولا صَخِبٍ في الأسْوَاقِ ولا مُتَزَيِّنٍ بالفُحْشِ ولا قَوَّالٍ لِلخَنا أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ وأهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ وأجْعَلُ السَّكِينَةَ لِباسَهُ والبِرَّ شِعارَهُ والتَّقْوَى ضَمِيرَهُ والحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ والصِّدْقَ والوَفاءَ طَبِيعَتَهُ والعَفْوَ والمَعْرُوفَ خُلُقَهُ والعَدْلَ سِيرَتَهُ والحَقَّ شَرِيعَتَهُ والهُدَى أمامَهُ والإِسْلامَ مِلَّتَهُ وأحْمَدَ اسْمَهُ أهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ وأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الجَهالَةِ وأرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الخَمالَةِ وأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ وأُكَثِّرُ بِهِ بَعْدَ القِلَّةِ وأُغْنِي بِهِ بَعْدَ العَيْلَةِ وأجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الفُرْقَةِ وأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وأهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ وأجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وفي حَدِيثٍ آخَرَ أخْبَرَنا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَنْ صِفَتِهِ في التَّوْرَاةِ عَبْدِي أحْمَدُ المُخْتارُ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ومُهاجَرُهُ بالمَدِينَةِ

أَوْ قَالَ طَيِّبَةً أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ لِلّٰهِ على كُلِّ حالٍ وقالَ تعالي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الآيَتَيْنِ وقَدْ قالَ تعالى فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ الآيَةَ قالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ذَكَّرَهُمُ اللهُ تعالى مِنَّتَهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم رَحِيمًا بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفًا لَيِّنَ الجانِبِ ولَوْ كانَ فَظًّا خَشِنًا في القَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ ولٰكِنْ جَعَلَهُ اللهُ تعالى سَمْحًا سَهْلاً طَلْقًا بَرًّا لَطِيفًا هٰكَذَا قالَهُ الضَّحَّاكُ وقالَ تعالى وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا قالَ أَبُو الحَسَنِ القابِسِيُّ أَبانَ اللهُ تعالى فَضْلَ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم وفَضْلَ امَّتِهِ بِهٰذِهِ الآيَةِ وفي قَوْلِهِ في الآيَةِ الأُخْرَى وفي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ وكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تعالى فَكَيْفَ إِذَا جِئْنا مِنْ كُلِّ امَّةٍ بِشَهِيدٍ الآيَةَ وقَوْلُهُ تعالى وَسَطًا أَيْ عُدُولاً خِيارًا ومَعْنَى هٰذِهِ الايَةِ وكَما هَدَيْنَاكُمْ فَكَذٰلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وفَضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيارًا عُدُولاً لِتَشْهَدُوا لِلأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ على أُمَمِهِمْ وَيَشْهَدَ لَكُمُ الرَّسُولُ بالصِّدْقِ قِيلَ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ إِذَا سَأَلَ الأَنْبِياءَ هَلْ بَلَّغْتُمْ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَتَقُولُ أُمَمُهُمْ ماجاءَنا مِنْ بَشِيرٍ ولا نَذِيرٍ فَتَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم لِلأَنْبِياءِ ويُزَكِّيهِمُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم وَقِيلَ مَعْنَي الآيَةِ انَّكُمْ حُجَّةٌ على كُلِّ مَنْ خالَفَكُمْ والرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ حَكاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وقالَ تَعالي وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قالَ قَتادَةُ والحَسَنُ وزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ قَدَمَ صِدْقٍ هُوَ مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عليه وسلم يَشْفَعُ لَهُمْ وعَنِ الحَسَنِ أَيْضًا هِيَ مُصِيبَتُهُمْ بِنَبِيِّهِمْ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة ﴾

(فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه عافاك الله ياسليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتي سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله مالا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الي أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم قال الفقيه القاضي وفقه الله تعالى

يجبُ على المُسلِمِ المجاهِدِ نَفْسَهُ الرَّائِضِ بزِمامِ الشَّريعَةِ خُلُقَهُ أنْ يتأدَّبَ بآدابِ القُرْآنِ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ ومعاطاتِهِ ومُحاوَرَاتِهِ فهُوَ عُنْصُرُ المعارِفِ الحَقِيقِيَّةِ ورَوْضَةُ الآدابِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ ولْيَتأمَّلْ هٰذِهِ المُلاطَفَةَ العَجيبَةَ في السُّؤالِ منْ رَبِّ الأرْبابِ المُنْعِمِ على الكُلِّ المُسْتَغْني عَنِ الجَميعِ ويَسْتَثِيرُ ما فِيها منَ الفَوائِدِ وكَيْفَ ابْتَدأَ بالإكْرامِ قَبْلَ العَتْبِ وآنَسَ بالعفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ إنْ كانَ ثَمَّ ذَنْبٌ * وقالَ تعالى ولوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئًا قَليلاً قالَ بَعْضُ المُتَكَلِّمينَ عاتَبَ اللهُ الأَنْبِياءَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الزَّلَّاتِ وعاتَبَ نَبِيَّنا صلَّى اللهُ عليه وسلم قَبْلَ وُقُوعِهِ لِيَكُونَ بذَلِكَ أشَدَّ انْتِهاءٍ ومُحافَظَةً لِشَرائِطِ المحبَّةِ وهٰذِهِ غايَةُ العِنايَةِ ثُمَّ انظُرْ كَيْفَ بَدأَ بثَباتِهِ وسَلامَتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ ما عَتَبَهُ عَلَيْهِ وخِيفَ أنْ يَرْكَنَ إلَيْهِ فَفي أثْناءِ عَتْبِهِ بَراءَتُهُ وفي طَيِّ تَخْويفِهِ تَأْمينُهُ وكَرامَتُهُ ومِثْلُهُ قوْلُهُ تعالى قَدْ نَعْلَمُ إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذي يَقُولُونَ فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ الآيَةَ قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْه قالَ أبو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم إنَّا لا نُكَذِّبُكَ ولٰكِنْ نُكَذِّبُ بِما جِئْتَ بِهِ فَأنْزَلَ اللهُ تعالى فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبونَكَ الآيَةَ ورُوِيَ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ حَزِنَ فَجاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلامُ فَقالَ ما يُحْزِنُكَ قالَ كَذَّبَني قَوْمي فَقالَ إنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّكَ صادِقٌ فَأنْزَلَ اللهُ تعالى الآيَةَ فَفي هٰذِهِ الآيَةِ مَنْزَعٌ لَطيفُ المَأْخَذِ منْ تَسْلِيَتِهِ تعالى لَهُ صلى الله عليه وسلم وإلْطافِهِ في القَوْلِ بأنْ قَرَّرَ عِنْدَهُ أنَّهُ صادِقٌ عِنْدَهُمْ وأنَّهُمْ غَيْرُ مُكَذِّبِينَ لَهُ مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا واعْتِقادًا وقَدْ كانوا يُسَمُّونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ الأمِينَ

فدفع

فَدَفَعَ بِهٰذَا التَّقْرِيرِ ارْتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الكَذِبِ ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ جَاحِدِينَ ظَالِمِينَ فَقَالَ تَعَالَى وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وحاشاهُ مِنَ الوَصْمِ وطَوَّقَهُمْ بالمُعَانَدَةِ بِتَكْذِيبِ الآيَاتِ حَقِيقَةَ الظُّلْمِ اذِ الجَحْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عَلِمَ الشَّيْءَ ثُمَّ أَنْكَرَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وعُلُوًّا ثُمَّ عَزَّاهُ وآنَسَهُ بِمَا ذَكَرَهُ عَمَّنْ قَبْلَهُ ووَعَدَهُ بالنَّصْرِ بِقَوْلِهِ تعالي ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ الآيَةَ فَمَنْ قَرَأَ لا يُكْذِبُونَكَ بالتَّخْفِيفِ فَمَعْنَاهُ لا يَجِدُونَكَ كَاذِبًا وقَالَ الفَرَّاءُ والكِسَائِيُّ لا يَقُولُونَ إِنَّكَ كَاذِب وَقِيلَ لا يَحْتَجُّونَ على كَذِبِكَ ولا يُثْبِتُونَهُ ومَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ فَمَعْنَاهُ لا يَنْسِبُونَكَ الي الكَذِبِ وَقِيلَ لا يَعْتَقِدُونَ كَذِبَكَ وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَبِرِّ اللّٰهِ تعالي بِهِ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فَقَالَ يَا آدَمُ يَانُوحُ يا ابْرَاهِيمُ يامُوسَي يادَاوُدُ ياعِيسَي يازَكَرِيَّا يايَحْيَي ولَمْ يُخَاطَبْ هو إِلَّا يا أَيُّهَا الرَّسُولُ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ يا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ يا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ

(الفصل الرابع)

(في قَسَمِه تعالي بعظيم قَدْرِه)

قَالَ اللّٰه تعالي (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ في هٰذَا أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ اللّٰهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ صلى اللّٰهُ عليه وسلم وأَصْلُهُ ضَمُّ العَيْنِ مِنَ العُمُرِ ولَكِنَّهَا فُتِحَتْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ومَعْنَاهُ وَبَقَائِكَ يا مُحَمَّدُ وَقِيلَ وعَيْشِكَ وَقِيلَ وحَيَاتِكَ وهٰذِهِ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وغَايَةُ البِرِّ والتَّشْرِيفِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عنهما ما خَلَقَ اللّٰهُ تعالي

وما ذَرَأَ وما بَرَأَ نَفْسًا أ كْرَمَ عليه من مُحمَّدٍ صلى الله عليهِ وسلم وما سَمِعْتُ
اللهَ تَعالي أقْسَمَ بِحَياةِ أحَدٍ غَيْرِهِ وقالَ أبو الجَوْزَاءِ ما أقْسَمَ اللهُ تعالي بِحَياةِ
أحَدٍ غَيْرِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم لِأَنّهُ أ كْرَمُ البَرِيّةِ عِنْدَهُ وقالَ تعالي
يسٓ والقُرْآنِ الحَكِيمِ الآيَاتِ اختَلَفَ المُفَسِّرُونَ في مَعْنَي يسٓ على أقْوَالٍ
فَحَكَي أبو محمّدٍ مَكّيٌّ أنّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنّهُ قالَ لي عِنْدَ
رَبِّي عَشَرَةُ أسماءٍ ذَكَرَ مِنْها أنّ طٰهٰ وَيٰسٓ اسْمانِ لَهُ وحَكَى أبو عبدِ الرَّحْمَنِ
السُّلَمِيُّ عَنْ جعْفَرٍ الصَّادِقِ أنّهُ أرادَ ياسَيِّدُ مُخاطَبَةً لِنَبِيِّهِ صلى اللهُ عليه
وسلم وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يسٓ يا إِنْسانُ أرادَ محمدًا صلى اللهُ عليه وسلم وقالَ هوَ
قَسَمٌ وهوَ منْ أسماءِ الله تعالي وقالَ الزَّجَّاجُ قِيلَ مَعْناهُ يا محمدُ وقِيلَ يارَجُلُ
وَقِيلَ يا إِنْسانُ وعَنِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ يٰسٓ يا محمدُ وعنْ كَعْبٍ يٰسٓ قَسَمٌ أقْسَمَ
اللهُ تعالي بِهِ قَبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّماءَ والأرْضَ بأَلْفَيْ عامٍ يا محمدُ انَّكَ لِمنَ المُرْسَلِينَ
ثمَّ قالَ والقُرْآنِ الحَكِيمِ انَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ فإِنْ قُدِّرَ أنّهُ منْ أسْمائِهِ
صلى اللهُ عليه وسلم وصَحَّ فيهِ أنّهُ قَسَمٌ كانَ فيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ ما تقدَّمَ ويُؤَكِّدُ فِيهِ
القَسَمَ عَطْفُ القَسَمِ الآخَرِ عليه وإِنْ كانَ بِمَعْنَي النِّدَاءِ فَقَدْ جاءَ قَسَمٌ آخَرُ
بعْدَهُ لِتَحْقِيقِ رِسالَتِهِ والشَّهادَةِ بِهِدايَتِهِ أقْسَمَ اللهُ تعالي باسْمِهِ وكِتابِهِ إِنّهُ
لَمِنَ المُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ الي عِبادِهِ وعلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيمَانِهِ أيْ طَرِيقٍ
لا اعْوِجاجَ فِيهِ ولا عُدُولَ عَنِ الحَقِّ قالَ النَّقَّاشُ لمْ يُقْسِمِ اللهُ تعالي لِأَحَدٍ منْ
أنْبِيائِهِ بالرِّسالَةِ في كِتابِهِ الّا لَهُ وفيهِ منْ تَعْظِيمِهِ وتَمْجِيدِهِ على تأْوِيلِ مَنْ قالَ انّهُ يا سَيِّدُ
ما فِيهِ وقَد قالَ صلى الله عليه وسلم أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ * وقالَ
تَعالي لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا البَلَدِ وأنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا البَلَدِ قِيلَ لا اقْسِمُ بِهِ اذا لَمْ تَكُنْ

فِيهِ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنهُ حَكَاهُ مَكِّيٌّ وقِيلَ لاَ زَائِدَةٌ أىْ أُقْسِمُ بِهِ وأنْتَ بِهِ
يا مُحَمَّدُ حَلاَلٌ أوْ حِلٌّ لَكَ ما فَعَلْتَ فِيهِ على التَّفْسِيرَيْنِ والمُرَادُ بالبَلَدِ عِنْدَ
هَؤُلاَءِ مَكَّةُ وقَالَ الوَاسِطِيُّ أىْ نَحْلِفُ لَكَ بِهَذَا البَلَدِ الَّذِى شَرَّفْتَهُ بِمَكَانِكَ
فِيهِ حَيًّا وَبِبَرَكَتِكَ مَيْتًا يَعْنِي المَدِينَةَ والأَوَّلُ أصَحُّ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ
وما بَعْدَهُ يُصَحِّحُهُ قَوْلُهُ تَعالى حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ونَحْوُهُ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ في تَفْسِيرِ
قَوْلِهِ تَعَالى وهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ قالَ أمَّنَهَا اللهُ تَعالى بِمَقَامِهِ فِيها وَكَوْنِهِ بِها فانَّ
كَوْنَهُ أمانٌ حَيْثُ كانَ ثُمَّ قالَ تَعَالى وَوَالِدٍ وما وَلَدَ مَنْ قالَ أرَادَ آدَمَ فَهُوَ عامٌّ
ومَنْ قالَ هُوَ اِبْرَاهِيمُ وما وَلَدَ فَهِيَ ان شاءَ اللهُ تَعالي اشارَةٌ الى مُحَمَّدٍ صلى اللهُ
عليه وسلم فَتَتَضَمَّنُ السُّورَةُ القَسَمَ بِهِ صلى الله عليه وسلم في مَوْضِعَيْنِ *وقالَ تَعالي
الم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ الحُرُوفُ أقْسامٌ أقْسَمَ
اللهُ تَعالى بِها وعَنْهُ وعَنْ غَيْرِهِ فِيها غَيْرُ ذَلِكَ وقالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللهِ التُّسْتَرِيُّ
الأَلِفُ هُوَ اللهُ تَعالي واللاَّمُ جِبْرِيلُ والمِيمُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليهِ وسلم وَحَكَي
هذَا القَوْلَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ولَمْ يَنْسِبْهُ الي سَهْلٍ وجَعَلَ مَعْنَاهُ اللهُ أنْزَلَ جِبْرِيلَ
على مُحَمَّدٍ بِهَذَا القُرْآنِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وعلى الوَجْهِ الأَوَّلِ يَحْتَمِلُ القَسَمُ أنَّ هَذَا
الكِتابَ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهِ ثُمَّ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ قِرانِ اسْمِهِ بِاسْمِهِ نَحْوُ ما تَقَدَّمَ
وقالَ ابْنُ عَطاءٍ في قَوْلِهِ تَعالي قٓ والقُرْآنِ المَجِيدِ أقْسَمَ بِقُوَّةِ قَلْبِ حَبِيبِهِ
مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم حَيْثُ حَمَلَ الخِطابَ والمُشاهَدَةَ ولَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ فِيهِ
لِعُلُوِّ حالِهِ وقِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلْقُرْآنِ وَقِيلَ هو اسْمٌ لِلَّهِ تَعالي وقِيلَ جَبَلٌ مُحِيطٌ
بِالأَرْضِ وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا وقالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ في تَفْسِيرِ والنَّجْمِ اذا هَوَى
انَّهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وقالَ النَّجْمُ قَلْبُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هَوَي

انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالي والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في قسمه تعالي جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه)

والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالي له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالي والضحي والليل اذا سجي أي ورب الضحي وهذا من أعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى ماودعك ربك وما قلي أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن اسحق أي مآلك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن

أرجي منها ولا يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار الخامس ماعدده تعالى عليه من نعمه وقرره من الآئه قبله في بقية السورة من هدايته الي ماهداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغني ويتيماً فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الي الله وقيل يتيماً لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعني ألم يجدك فهدي بك ضالاً وأغني بك عائلاً وآوي بك يتيماً ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ماشرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالي وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لأمته * وقال تعالي والنجم اذا هوي الى قوله تعالي لقد رأي من آيات ربه الكبري اختلف المفسرون في قوله تعالي والنجم بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا أيضاً محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي يوحي أوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم أخبر تعالي عن فضيلته بقصة الأسراء وانتهائه الي سدرة المنتهي وتصديق بصره فيما رأي وأنه رأى من آيات ربه

الكُبرَى وَقَدْ نبَّهَ على مِثلِ هذَا في أوَّلِ سُورَةِ الإِسْرَاءِ ولَمَّا كانَ ما كاشَفَهُ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ الجَبَرُوتِ وشاهدَهُ مِنْ عجَائِبِ المَلَكُوتِ لاَ تُحِيطُ بِهِ العِبارَاتُ ولاَ تَستَقِلُّ بِحَملِ سَماعِ أدْناهُ العُقُولُ رَمَزَ عَنْهُ تَعالى بالإِيماءِ والكِنايَةِ الدَّالَّةِ على التَّعظِيمِ فقَالَ تَعالي فَأَوْحَى الي عَبْدِهِ ما أَوْحَى وهذَا النَّوعُ مِنَ الكَلاَمِ يُسَمّيهِ أهلُ النَّقدِ والبَلاَغَةِ بالوَحْيِ والإِشارَةِ وهُوَ عِندَهُمْ أبلَغُ أبوَابِ الإِيجازِ وقالَ لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبرَي انحَسَرَتِ الأَفهامُ عَنَ تَفصِيلِ ما أَوْحَى وتاهَتِ الأَحلاَمُ في تَعيِينِ تِلكَ الا ياتِ الكُبرَي قالَ القاضِي أبُو الفَضلِ اشتَمَلَتْ هَذِهِ الا ياتُ على اعلاَمِ اللهِ تَعالي بِتزكِيَةِ جُملَتِهِ صلي الله عليهِ وسلم وعِصمَتِها مِنَ الآفاتِ في هذَا المَسْرَى فزَكَّى فُؤَادَهُ ولِسانَهُ وجَوَارِحَهُ فَقَلبَهُ بِقَوْلِهِ تَعالي ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأي ولِسانَهُ بِقَوْلِهِ وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوي وبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ مازَاغَ البَصَرُ وما طَغَي *وقالَ تَعالي فَلاَ أُقسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ الي قَوْلِهِ وما هُوَ بِقَوْلِ شَيطانٍ رَجِيمٍ لاَ أُقسِمُ أيْ أُقسِمُ انهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ أيْ كَرِيمٍ عِندَ مُرْسِلِهِ ذِي قُوَّةٍ على تَبلِيغِ ما حُمِّلَهُ مِنَ الوَحْيِ مَكِينٍ أيْ مُتَمَكِّنِ المَنزِلَةِ مِنْ رَبِّهِ رَفِيعِ المَحَلِّ عِندَهُ مُطاعٍ ثَمَّ أيْ في السَّماءِ آمِينٍ على الوَحْيِ قالَ عَلِيُّ بنُ عِيسَي وغَيرُهُ الرَّسُولُ الكَرِيمُ هُنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فَجَمِيعُ الأَوْصافِ بَعْدُ على هذَا لَهُ وقالَ غَيرُهُ هُوَ جِبرِيلُ فَتَرْجِعُ الأَوْصافُ اليهِ ولَقَدْ رَآهُ يَعنِي مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم قِيلَ رَأى رَبَّهُ وقِيلَ رَأي جِبرِيلَ في صُورَتِهِ وما هُوَ على الغَيبِ بِظَنِينٍ أي بِمُتَّهَمٍ ومَنْ قَرَأَها بالضَّادِ فَمَعْناهُ ما هوَ بِبَخِيلٍ بالدُّعاءِ بِهِ والتَّذكِيرِ بِحِكَمِهِ وبِعِلمِهِ وهذِهِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم باتِّفاقٍ *وقالَ تَعالي ن والقَلَمِ

الآيات أقسمَ اللهُ تعالي بما أقسمَ بهِ من عظيمِ قسمِهِ على تنزيهِ المُصطفى ممّا غمصتهُ الكفرةُ بهِ وتكذيبهم لهُ وآنسهُ وبسطَ أملهُ بقولهِ مُحسناً خطابهُ ما أنتَ بنعمةِ ربّكَ بمجنونٍ وهذهِ نهايةُ المبرّةِ في المُخاطبةِ وأعلى درجاتِ الآدابِ في المُحاورةِ ثمّ أعلمهُ بما لهُ عندهُ من نعيمٍ دائمٍ وثوابٍ غيرِ منقطعٍ لا يأخذهُ عدٌّ ولا يمنُّ بهِ عليهِ فقالَ وانَّ لكَ لأجرًا غيرَ ممنونٍ ثمّ أثنى عليهِ بما منحهُ من هباتهِ وهداهُ اليهِ وأكّدَ ذلكَ تتميماً للتمجيدِ بحرفي التأكيدِ فقالَ تعالي وانّكَ لعلى خلقٍ عظيمٍ قيلَ القرآنُ وقيلَ الإسلامُ وقيلَ الطّبعُ الكريمُ وقيلَ ليسَ لكَ همّةٌ الاّ اللهُ قالَ الواسطيُّ أثنى عليهِ بحُسنِ قبولهِ لما أسداهُ اليهِ من نعمهِ وفضّلهُ بذلكَ علي غيرهِ لأنّهُ جبلهُ على ذلكَ الخُلُقِ فسبحانَ اللّطيفِ الكريمِ المُحسنِ الجوادِ الحميدِ الّذي يسّرَ للخيرِ وهدي اليهِ ثمّ أثني على فاعلهِ وجازاهُ عليهِ سُبحانهُ ما أغمرَ نوالهُ وأوسعَ افضالهُ ثمّ سلاّهُ عن قولهم بعدَ هذا بما وعدهُ بهِ من عقابهم وتوعّدهم بقولهِ فستبصرُ ويبصرونَ الثّلاثَ الآياتِ ثم عطفَ بعدَ مدحهِ على ذمّ عدوّهِ وذكرِ سوءِ خُلقهِ وعدّ معايبهِ متولّياً ذلكَ بفضلهِ ومُنتصرًا لنبيّهِ صلى اللهُ عليه وسلم فذكرَ بضعَ عشرةَ خصلةً من خصالِ الذّمّ فيهِ بقولهِ تعالى فلا تُطعِ المُكذّبينَ الي قولهِ أساطيرُ الأوّلينَ ثمّ ختمَ ذلكَ بالوعيدِ الصّادقِ بتمامِ شقائهِ وخاتمةِ بوارهِ بقولهِ تعالى سنسمهُ على الخرطومِ فكانتْ نُصرةُ اللهِ تعالى لهُ أتمَّ من نُصرتهِ لنفسهِ وردُّهُ تعالى على عدوّهِ أبلغَ من ردّهِ وأثبتُ في ديوانِ مجدهِ

﴿ الفصل السادس ﴾

(فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والإكرام)

قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي اجازة ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الآية ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسماً لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً أي قاتل نفسك لذلك غضباً أو غيظاً أو جزعاً ومثله قوله تعالى أيضاً لعلك باخع نفسك ألا يكونوا

مُؤْمِنِينَ ثُمَّ قالَ تَعالى ان نَشَأْ نُنَزِّلْ عليهم مِنَ السَّماء آيَةً فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لها خاضِعينَ * ومِنْ هذا الباب قَوْلُهُ تعالي فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ الى قَوْلِهِ تَعالي ولَقَدْ نَعْلَمُ أنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ الى آخِرِ السُّورَةِ وقَوْلُهُ ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ الآيَةَ قال مَكِّيٌّ سَلاَّهُ تعالي بِما ذَكَرَ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ ما يَلْقاهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وأعْلَمَهُ أنَّ مَنْ تَمادَى على ذَلِكَ يَحُلُّ بِهِ ما حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ ومِثْلُ هذِهِ التَّسْلِيَةِ قَوْلُهُ تَعالي وانْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ومِنْ هَذَا قَوْلُهُ تعالي كَذَلِكَ ما أتَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ الاَّ قالُوا ساحِرٌ أوْ مَجْنُونٌ عَزَّاهُ اللهُ تَعالى بِما أخْبَرَ بِهِ عَنِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ ومَقالَتِها لِأَنْبِيائِهِمْ قَبْلَهُ ومِحْنَتِهِمْ بِهِمْ وسَلاَّهُ بِذَلِكَ عَنْ مِحْنَتِهِ بِمِثْلِهِ مِنْ كُفارِ مَكَّةَ وانَّهُ لَيْسَ أوَّلَ مَنْ لَقِيَ ذَلِكَ ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ وأبانَ عُذْرَهُ بِقَوْلِهِ تعالي فَتَوَلَّ عَنْهُمْ أيْ أعْرِضْ عَنْهُمْ فَما أنْتَ بِمَلُومٍ أيْ في أداءِ ما بَلَّغْتَ وابْلاَغِ ما حُمِّلْتَ ومِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعالى واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فانَّكَ بِأَعْيُنِنا أيِ اصْبِرْ على أذاهُمْ فإِنَّكَ بِحَيْثُ نَراكَ وَنَحْفَظُكَ سَلاَّهُ اللهُ تعالي بِهذا في آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هذَا المَعْنَى

(الفصل السابع)

(فيما أخبر اللهُ تعالي به في كتابه العزيز من عظيم قدْره وشريفِ منزلته على الأنبياءِ وحظْوة رُتْبتِهِ عليهم)

قالَ اللهُ تعالي واذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ الي قَوْلِهِ مِنَ الشَّاهِدِينَ قالَ أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ اسْتَخَصَّ اللهُ تعالي

محمَّدًا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ماذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيًا الا ذكر له محمَّدًا ونعته وأخذ عليه ميثاقه ان أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبيّنه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبيّنوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمَّد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيًا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمَّد صلي الله عليه وسلم لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السُّدّيّ وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الي نوح الى قوله شهيدًا رُوي عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكي به النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أوَّلهم فقال واذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أنّ أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذّبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال كنت أوّل الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدّمًا هنا قبل نوح وغيره قال السمرقنديّ في هذا تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم بعثًا المعني أخذ الله تعالي عليهم الميثاق اذ أخرجهم من ظهر آدم كالذرّ وقال تعالي تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض الآية

قالَ أهْلُ التَّفسِيرِ أرادَ بقَوْلِهِ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ محمدًا صلى الله عليه وسلم لِأَنَّهُ بُعِثَ الى الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ وأُحِلَّتْ لَهُ الغَنائِمُ وظَهَرَتْ على يدَيْهِ المُعْجِزاتُ ولَيْسَ أحَدٌ مِنَ الأَنْبياءِ أُعطِيَ فَضِيلَةً أوْ كَرامَةً إلَّا وقَدْ أُعْطِيَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم مِثْلَها قالَ بَعْضُهُمْ ومِنْ فَضْلِهِ أنَّ اللهَ تعالى خاطَبَ الأَنْبياءَ بأَسْمائِهِمْ وخاطَبَهُ بالنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ في كِتابِهِ فَقالَ يا أَيُّها النَّبِيُّ وَيا أَيُّها الرَّسُولُ وحَكى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنِ الكَلْبِيِّ في قوْلِهِ تعالي وإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ أَنَّ الهاءَ عائِدَةٌ على محمدٍ صلى اللهُ عليه وَسلم أيْ إِنَّ مِنْ شيعَةِ محمدٍ لَإِبْرَاهِيمَ أيْ على دِينِهِ ومِنْهاجِهِ وأجازَه الفرّاءُ وحَكاهُ عَنْهُ مَكِّيٌّ وَقِيلَ المُرادُ نُوحٌ عليه السَّلامُ

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في اعلام اللهِ تعالي خَلْقَهُ بصلاتِه عليه ووِلايَتِه له ورَفْعه العذابَ بِسَبَبِه)

قالَ اللهُ تعالي وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ أيْ ما كُنْتَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ وَبَقِيَ فِيها مَنْ بَقِيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ نَزَلَ وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وهذا مِثْلُ قوْلِه لوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الآيَةَ وقوْلِه تعالي ولوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ الآيَةَ فَلَمَّا هاجَرَ المُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ وما لَهُمْ ألَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وهذا مِنْ أبْيَنِ ما يُظْهِرُ مَكانَتَهُ صلى الله عليه وسلم ودرْأَتَهُ العَذابَ عَنْ أهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ ثُمَّ كَوْنِ أصْحابِهِ بَعْدَهُ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ فَلَمَّا خَلَتْ مَكَّةُ مِنْهُمْ عَذَّبَهُمُ اللهُ بِتَسْلِيطِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ وَحَكَّمَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ وأَوْرَثَهُمْ أرْضَهُمْ

ودِيارَهُمْ وأمْوَالَهُمْ وفي الآيَةِ أيضاً تأويلٌ آخرُ * حدثنا القاضي الشَّهيدُ أبو علِيّ رحمهُ اللهُ بقِراءتي عليه قالَ حدثنا أبو الفضلِ بنُ خيرُون وأبو الحُسينِ الصَّيرَفيُّ قالا حدثنا أبو يعلى بنُ زَوجِ الحُرَّةِ حدثنا أبو عليٍّ السِّنجيُّ حدثنا محمدُ بنُ محبُوبٍ المرْوزِيُّ حدثنا أبو عيسى الحافظُ حدثنا سُفيانُ بنُ وكيعٍ حدثنا ابنُ نُميرٍ عَنْ إسمٰعيلَ بنِ ابراهيمَ بنِ مُهاجرٍ عن عبّادِ بنِ يوسفَ عن أبي بُرْدَة بنِ أبي موسى عن أبيهِ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ أنزلَ اللهُ علَيَّ أمانَيْنِ لِامَّتِي وما كانَ اللهُ لِيُعذِّبَهُمْ وأنتَ فيهِمْ وما كانَ اللهُ معذِّبَهُمْ وهُمْ يستغفرُونَ فإذا مضَيْتُ ترَكْتُ فيكُمُ الاستغفارَ ونحْوٌ منهُ قولهُ تعالى وما أرسلْناكَ الّا رحمةً للعالَمينَ قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنا أمانٌ لِأصحابي قِيلَ منَ البِدَعِ وقِيلَ منَ الاختلافِ والفِتَنِ قالَ بعضُهُمْ الرَّسولُ صلى اللهُ عليه وسلم هوَ الأمانُ الأعظَمُ ماعاشَ وما دامَتْ سُنَّتُهُ باقِيةً فهوَ باقٍ فإذا أُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فانتَظِرُوا البَلاءَ والفِتَنَ وقالَ اللهُ تعالى إنَّ اللهَ وملائِكَتَهُ يُصلُّونَ على النَّبيِّ الآيَةَ أبانَ اللهُ تعالى فضلَ نَبيِّهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِصلاتِهِ عليه ثُمَّ بِصلاةِ ملائِكتِهِ وأمَرَ عِبادَهُ بالصَّلاةِ والتَّسليمِ عليه وقدْ حكَى أبو بكرِ بنُ فُورَكٍ أنَّ بعضَ العُلَماءِ تأوَّلَ قولَهُ صلى اللهُ عليه وسلم وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ على هٰذا أيْ في صلاةِ اللهِ تعالى علَيَّ وملائِكتِهِ وأمرِهِ الامَّةَ بذلكَ الى يوْمِ القِيامةِ والصَّلاةُ منَ الملائِكةِ ومنّا لَهُ دُعاءٌ ومنَ اللهِ عزَّ وجلَّ رحمةٌ وقِيلَ يُصلُّونَ يُبارِكُونَ وقدْ فرَّقَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ علَّمَ الصَّلاةَ عليه بَيْنَ لفظِ الصَّلاةِ والبرَكةِ وسنَذْكُرُ حُكمَ الصَّلاةِ عليه

وذَكَرَ بَعضُ المُتَكَلِّمِينَ في تَفسِيرِ حُرُوفِ كهيعص أنَّ الكافَ من كافٍ أيْ كِفايَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ قالَ تعالى أَلَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبدَهُ والهاء هِدايَتُهُ لَهُ قالَ وَيَهدِيَكَ صِراطًا مُستَقِيماً والياء تأييدُهُ قالَ وأَيَّدَكَ بِنَصرِهِ والعَينَ عِصمَتُهُ لَهُ قالَ واللهُ يَعصِمُكَ منَ النَّاسِ والصَّادَ صَلاتُهُ عليه قالَ إنَّ اللهَ وملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ وقالَ تعالي وَإِنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هوَ مَوْلاهُ الايَةَ مَوْلاهُ أيْ وَلِيُّهُ وصالِحُ المُؤْمِنِينَ قِيلَ الأَنْبياء وَقِيلَ المَلائِكَةُ وقِيلَ أبو بَكرٍ وعُمَرُ وقِيلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ أجمَعِينَ وَقِيلَ المُؤْمِنُونَ على ظاهِرِهِ

(الفصل التاسع)

(فيما تَضَمَّنَتْهُ سورةُ الفَتحِ مِنْ كراماته صلى الله عليه وسلم)

قالَ اللهُ تعالي إِنَّا فَتَحنا لَكَ فَتحاً مُبِيناً الي قوْلِهِ تعالي يَدُ اللهِ فَوقَ أيْدِيهِمْ تَضَمَّنَتْ هٰذِهِ الايَاتُ مِنْ فَضلِهِ والثَّناءِ عليه وكَرِيمِ مَنزِلَتِهِ عِندَ اللهِ تعالي ونِعمَتِهِ لَدَيْهِ ما يَقصُرُ الوَصفُ عنِ الِانتِهاءِ الَيهِ فابتَدَأَ جَلَّ جَلالُهُ بإِعلامِهِ بِمَا قَضاهُ لَهُ منَ القَضاءِ البَيِّنِ بِظُهُورِهِ وغَلَبَتِهِ على عدُوِّهِ وعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وشَرِيعَتِهِ وأنَّهُ مَغفُورٌ لَهُ غَيرُ مُؤاخَذٍ بِمَا كانَ وما يَكُونُ قالَ بَعضُهُمْ أرَادَ غُفرَانَ ما وقَعَ ومالَمْ يَقَعْ أيْ أنَّكَ مَغفُورٌ لَكَ وقالَ مَكِّيٌّ جَعَلَ اللهُ المِنَّةَ سَبَباً لِلمَغفِرَةِ و كُلٌّ من عِندِهِ لا إِلٰهَ غَيرُهُ مِنَّةً بَعدَ مِنَّةٍ وفَضلًا بَعدَ فَضلٍ ثُمَّ قالَ وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ قِيلَ بِخُضُوعِ مَنْ تَكَبَّرَ لَكَ وَقِيلَ بِفَتحِ مَكَّةَ والطَّائِفِ وَقِيلَ يَرفَعُ ذِكرَكَ في الدُّنيا وَيَنصُرُكَ وَيَغفِرُ لَكَ

فَأَعْلَمَهُ بِتَمَامِ نِعْمَتِهِ عليهِ بِخُضُوعِ مُتَكَبِّرِي عَدُوِّهِ لَهُ وفَتْحِ أَهَمِّ البِلادِ عليهِ وأَحَبِّهَا لَهُ ورَفْعِ ذِكْرِهِ وهِدَايَتِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُبَلِّغَ الْجَنَّةَ والسَّعَادَةَ ونَصْرِهِ النَّصْرَ العَزِيزَ ومِنَّتِهِ على أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بالسَّكِينَةِ والطُّمَأْنِينَةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَبِشَارَتِهِمْ بِمَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْدُ وفَوْزِهِمُ العَظِيمِ والعَفْوِ عَنْهُمْ والسَّتْرِ لِذُنُوبِهِمْ وهَلَاكِ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ولَعْنِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ ثُمَّ قَالَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الآيَةَ فَعَدَّ مَحَاسِنَهُ وخَصَائِصَهُ مِنْ شَهَادَتِهِ على امتِهِ لِنَفْسِهِ بِتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ لَهُمْ وَقِيلَ شَاهِدًا لَهُمْ بالتَّوْحِيدِ ومُبَشِّرًا لِأُمَّتِهِ بالثَّوَابِ وَقِيلَ بالْمَغْفِرَةِ ومُنْذِرًا عَدُوَّهُ بالعَذَابِ وَقِيلَ مُحَذِّرًا مِنَ الضَّلَالَاتِ لِيُؤْمِنَ باللهِ ثُمَّ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى وَيُعَزِّرُوهُ أَيْ يُجِلُّونَهُ وَقِيلَ يَنْصُرُونَهُ وَقِيلَ يُبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِهِ وَيُوَقِّرُوهُ أَيْ يُعَظِّمُونَهُ وقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ وَيُعَزِّزُوهُ بِزَاءَيْنِ مِنَ العِزِّ والأَكْثَرُ والأَظْهَرُ أَنَّ هٰذَا فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ وَيُسَبِّحُوهُ فَهٰذَا رَاجِعٌ الى اللهِ تعالي قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ جُمِعَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ علىه وسلم فِي هٰذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الفَتْحِ المُبِينِ وهوَ مِنْ أَعْلَامِ الإِجَابَةِ والمَغْفِرَةِ وهِيَ مِنْ أَعْلَامِ المَحَبَّةِ وتَمَامِ النِّعْمَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الاخْتِصَاصِ والهِدَايَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الوِلَايَةِ فالمَغْفِرَةُ تَبْرِئَةٌ مِنَ العُيُوبِ وتَمَامُ النِّعْمَةِ إِبْلَاغُ الدَّرَجَةِ الكَامِلَةِ والهِدَايَةُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ الى الْمُشَاهَدَةِ وقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ عليه أَنْ جَعَلَهُ حَبِيبَهُ وأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ ونَسَخَ بِهِ شَرَائِعَ غَيْرِهِ وعَرَجَ بِهِ الى المَحَلِّ الأَعْلَى وحَفِظَهُ فِي المِعْرَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى وَبَعَثَهُ الى الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ وأَحَلَّ لَهُ وَلِامَّتِهِ الغَنَائِمَ وجَعَلَهُ شَفِيعًا

مُشَفَّعًا وسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ ورِضاهُ بِرِضاهُ وجَعَلَهُ أحدَ رُكْنَيِ التَّوحِيدِ ثُمَّ قالَ انَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ انَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَعْنِي بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ أيْ انَّما يُبايعُونَ اللهَ بِبَيْعَتِهِمْ اِيَّاكَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ يُرِيدُ عِنْدَ البَيْعَةِ قِيلَ قُوَّةُ اللهِ وقِيلَ ثَوابُهُ وقِيلَ مِنَّتُهُ وقِيلَ عَقْدُهُ وهٰذِهِ استِعاراتٌ وتَجْنِيسٌ في الكَلامِ وتَأْكِيدٌ لِعَقْدِ بَيْعَتِهِمْ اِيَّاهُ وعِظَمِ شَأْنِ المُبايَعِ صلى الله عليهِ وسلم وقَدْ يَكُونُ مِنْ هٰذَا قَوْلُهُ تَعالي فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وما رَمَيْتَ اذْ رَمَيْتَ ولٰكِنَّ اللهَ رَمَي وانْ كانَ الأَوَّلُ في بابِ المَجازِ وهٰذَا في بابِ الحَقِيقَةِ لِأَنَّ القاتِلَ والرَّامِيَ بالحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ وهُوَ خالِقُ فِعْلِهِ ورَمْيِهِ وقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ ومَشِيئَتِهِ ولِأَنَّهُ لَيسَ في قُدْرَةِ البَشَرِ تَوْصِيلُ تِلْكَ الرَّمْيَةِ حَيْثُ وصَلَتْ حَتَّي لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَمْلَأْ عَيْنَيْهِ وكَذٰلِكَ قَتْلُ المَلائِكَةِ لَهُمْ حَقِيقَةٌ وقَدْ قِيلَ في هٰذِهِ الآيَةِ الأُخْرَي انَّها على المَجازِ العَرَبِيِّ ومُقابَلَةِ اللَّفْظِ ومُناسَبَتِهِ أيْ ما قَتَلْتُمُوهُمْ وما رَمَيْتَهُمْ أنْتَ اذْ رَمَيْتَ وُجُوهَهُمْ بالحَصْباءِ والتُّرابِ ولٰكِنَّ اللهَ رَمَى قُلُوبَهُمْ بالجَزَعِ أيْ انَّ مَنْفَعَةَ الرَّمْيِ كانَتْ مِنْ فِعْلِ اللهِ فَهُوَ القاتِلُ والرَّامِي بالمَعْنَي وأنْتَ بالاسْمِ

﴿ الفصل العاشر ﴾

(فِيما أظْهَرَهُ اللهُ تَعالي في كِتابِهِ العَزِيزِ)

مِنْ كَرامَتِهِ عَلَيْهِ ومَكانَتِهِ عِنْدَهُ وما خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذٰلِكَ سِوَي ما انْتَظَمَ فِيما ذَكَرْناهُ قَبْلُ مِنْ ذٰلِكَ ما قَصَّهُ تَعالى مِنْ قِصَّةِ الإِسْراءِ في سُورَةِ سُبْحانَ والنَّجْمِ وما انْطَوَتْ عَلَيْهِ القِصَّةُ مِنْ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وقُرْبِهِ ومُشاهَدَتِهِ ما شاهَدَ

مِنَ العَجائِبِ ومِنْ ذَلِكَ عِصْمَتُهُ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعالي واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس وقَوْلِهِ تَعالي واذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الآيَةَ وقَوْلِهِ الاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ وما دَفَعَ اللهُ بِهِ عَنْهُ في هٰذِهِ القِصَّةِ مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحَزّبِهِمْ لِهُلْكِهِ وخُلُوصِهِمْ نَجِيًا في أمْرِهِ والأَخْذِ على أبْصارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ وذُهُولِهِمْ عَنْ طَلَبِهِ في الغارِ وما ظَهَرَ في ذَلِكَ مِنَ الآياتِ ونُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ وَقِصَّةِ سُرَاقَةَ بْنِ مالِكٍ حَسْبَما ذَكَرَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ والسِّيَرِ في قِصَّةِ الغارِ وحَدِيثِ الهِجْرَةِ ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى انّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ انّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ أعْلَمَهُ اللهُ تَعالي بِمَا أعْطاهُ والكَوْثَرُ حَوْضُهُ وقِيلَ نَهَرٌ في الجَنَّةِ وقيلَ الخَيْرُ الكَثِيرُ وقِيلَ الشَّفاعَةُ وقِيلَ المُعْجِزاتُ الكَثِيرَةُ وقِيلَ النُّبُوَّةُ وَقِيلَ المَعْرِفَةُ ثُمَّ أجابَ عَنْهُ عَدُوَّهُ ورَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقالَ تعالي انَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ أيْ عَدُوَّكَ ومُبْغِضَكَ والأَبْتَرُ الحَقِيرُ الذَّلِيلُ أو المُفْرَدُ الوَحِيدُ أوِ الَّذِي لاَخَيْرَ فِيهِ وقالَ تَعالي ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِى والقُرْآنَ العَظِيمِ قِيلَ السَّبْعُ المَثانِي السُّوَرُ الطِّوالُ الأُوَلُ والقُرْآنُ العَظِيمُ أُمُّ القُرْآنِ وَقِيلَ السَّبْعُ المَثانِي أُمُّ القُرْآنِ والقُرْآنَ العَظِيمَ سائِرُهُ وقِيلَ السَّبْعُ المَثانِي مافي القُرْآنِ مِنْ أمْرٍ ونَهْيٍ وبُشْرى وانْذارٍ وضَرْبِ مَثَلٍ وإعْدادِ نِعَمٍ وَآتَيْناكَ نَبَأَ القُرْآنِ العَظِيمِ وَقِيلَ سُمِّيَتْ أُمُّ القُرْآنِ مَثانِيَ لِأَنَّها تُثَنَّي في كُلِّ رَكْعَةٍ وقِيلَ بَلِ اللهُ تَعالي اسْتَثْناها لِمُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وذَخَرَها لَهُ دُونَ الأَنْبياءِ وَسُمِّيَ القُرْآنُ مَثانِيَ لِأَنَّ القِصَصَ تُثَنَّي فِيهِ وَقِيلَ السَّبْعُ المَثانِى أكْرَمْناكَ بِسَبْعِ كَرَاماتِ الهُدَي والنُّبُوَّةُ والرَّحْمَةُ والشَّفاعَةُ والوِلاَيَةُ والتَّعْظِيمُ والسَّكِينَةُ وقالَ وأنْزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ الآيَةَ وقالَ وما أرْسَلْناكَ الاّ كافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا

ونذيرًا وقالَ تَعالى قُلْ يا أيُّها النَّاسُ انِّي رَسُولُ اللهِ اليْكُمْ جَميعاً الآيَةَ قالَ القاضي رَحِمَهُ اللهُ فَهذِهِ من خَصائِصِه وقالَ تَعالى وما أرْسَلْنا من رَسُولٍ الا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَخَصَّهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَبَعَثَ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم الي الخَلْقِ كافَّةً كَما قالَ صلى اللهُ عليه وسلم بُعِثْتُ الي الأحْمَرِ والأسْوَدِ وقالَ تعالى النَّبِيُّ أوْلَي بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وأزْواجُهُ أمَّهاتُهُمْ قالَ أهْلُ التَّفْسِيرِ أوْلى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ أيْ ما أنْفَذَهُ فِيهِمْ مِنْ أمْرٍ فَهُوَ ماضٍ عَلَيْهِمْ كَما يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ على عَبْدِهِ وقيلَ اتِّباعُ أمْرِهِ أوْلي مِنَ اتِّباعِ رَأْيِ النَّفْسِ وأزْواجُهُ أمَّهاتُهُمْ أيْ هُنَّ في الحُرْمَةِ كالأُمَّهاتِ حَرُمَ نِكاحُهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وخُصُوصِيَّةً وَلِأنَّهُنَّ لَهُ أزْواجٌ في الجَنَّةِ وقَدْ قُرِئَ وهُوَ أبٌ لَهُمْ وَلا يُقْرَأُ بِهِ الآنَ لِمُخالَفَتِهِ المُصْحَفَ وقالَ اللهُ تعالى وأنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ الآيَةَ قِيلَ فَضْلُهُ العَظِيمُ بالنُّبُوَّةِ وَقِيلَ بِما سَبَقَ لَهُ في الأزَلِ وأشارَ الوَاسِطِيُّ الى أنَّها اشارَةٌ الي احتِمالِ الرُّؤْيَةِ الَّتي لَمْ يَحْتَمِلْها مُوسى عليه السلام

﴿ الباب الثاني ﴾

(في تَكْمِيلِ اللهِ تعالي لَهُ المَحاسِنَ خَلْقاً وخُلُقاً وَقِرانِهِ جَمِيعَ الفَضائِلِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ فيهِ نَسَقاً)

اعلَمْ أيُّها المُحِبُّ لِهذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ الباحِثُ عَنْ تَفاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ العَظِيمِ أنَّ خِصالَ الجَمالِ والكَمالِ في البَشَرِ نَوْعانِ ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ اقْتَضَتْهُ الجِبِلَّةُ وضَرُورَةُ الحَياةِ الدُّنْيا ومُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ وهُوَ ما يُحْمَدُ فاعِلُهُ وَيُقَرِّبُ الى اللهِ تعالي زُلْفَى ثُمَّ هِيَ على فَنَّيْنِ أيْضاً مِنْها ما يَتَخَلَّصُ لأحَدِ الوَصْفَيْنِ

ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ماتدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

﴿ فصل ﴾ قال القاضي اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب

أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال التي ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضي والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله تعالى والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسني والزيادة التي تقف دونها العقول

وَيَحارُ دُونَ ادرَاكِها الوَهْمُ

﴿ فصلٌ ﴾ ان قُلْتَ أكرمكَ اللهُ لا خفاء على القطعِ بالجُملةِ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم أعلَى النَّاسِ قَدْرًا وأعظمُهُمْ محلًّا وأكملُهُمْ محاسنَ وفضلًا وقَدْ ذَهَبْتَ في تفاصيلِ خصالِ الكمالِ مذهبًا جميلًا شوَّقني الى أنْ أقِفَ عَلَيْها مِنْ أوْصافِهِ صلى الله عليه وسلمَ تفصيلاً * فاعْلَمْ نوَّرَ قلبي وقلبَكَ وضاعفَ في هذَا النبيِّ الكريمِ حُبِّي وحُبَّكَ أنَّكَ اذا نظَرْتَ الى خِصالِ الكمالِ الَّتي هِيَ غيرُ مُكْتسبَةٍ وفي جِبلَّةِ الخلقةِ وَجَدْتَهُ صلى الله عليه وسلم حائزًا لجميعِها مُحيطًا بشَتاتِ محاسنِها دُونَ خلافٍ بينَ نَقَلَةِ الأخبارِ لِذلِكَ بلْ قَدْ بلَغَ بَعْضُها مبْلَغَ القطعِ أمَّا الصُّورَةُ وجمالُها وتناسُبُ أعضائِهِ في حُسْنِها فقَدْ جاءتِ الآثارُ الصَّحيحَةُ والمَشْهُورَةُ الكثيرَةُ بذَلِكَ مِنْ حَديثِ عَلِيٍّ وأنَسِ بنِ مالِكٍ وأبي هُرَيْرَةَ والبَرَاءِ بنِ عازِبٍ وعائشَةَ أُمِّ المُؤْمنينَ وابنِ أبي هالَةَ وأبي جُحَيْفَةَ وجابِرِ بنِ سَمُرَةَ وأُمِّ مَعْبدٍ وابنِ عبَّاسٍ ومُعَرِّضِ بنِ مُعَيْقيبٍ وأبي الطُّفَيْلِ والعَدَّاءِ بنِ خالِدٍ وخُرَيْمِ ابنِ فاتِكٍ وحَكيمِ بنِ حِزامٍ وغيرِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم كانَ أزْهَرَ اللَّوْنِ أدْعَجَ أنجَلَ أشْكَلَ أهْدَبَ الأشْفارِ أبلَجَ أزَجَّ أقْنى أفْلَجَ مُدَوَّرَ الوَجْهِ واسِعَ الجَبينِ كَثَّ اللِّحيَةِ تَمْلأُ صَدْرَهُ سَواءَ البَطْنِ والصَّدْرِ واسِعَ الصَّدْرِ عظيمَ المَنْكِبَيْنِ ضَخْمَ العِظامِ عَبْلَ العَضُدَيْنِ والذِّراعَيْنِ والأسافِلِ رَحْبَ الكَفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ سائِلَ الأطْرافِ أنْوَرَ المُتَجَرَّدِ دَقيقَ المَسْرُبَةِ رَبْعَةَ القَدِّ لَيْسَ بالطَّويلِ البائِنِ ولا القَصيرِ المُتَرَدِّدِ ومَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُماشِيهِ أحَدٌ يُنْسَبُ

الي الطولِ الّا طالَهُ صلى اللّهُ عليه وَسلم رَجِلَ الشَّعَرِ اذَا افترَّ ضاحِكًا افترَّ عَنْ مِثْلِ سَنا البَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الغمامِ اذا تكلَّمَ رِيءَ كالنورِ يَخرُجُ مِنْ ثَنایاهُ أحسَنَ النّاسِ عنُقًا لَيسَ بِمُطَهَّمٍ ولا مُكَلْثَمٍ مُتَماسِكَ البَدَنِ ضَرْبَ اللَّحْمِ قالَ البَرَاء ما رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ في حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلم وقالَ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عنهُ ما رَأَيْتُ شيئًا أحْسَنَ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كأَنَّ الشَّمْسَ تَجرِي في وَجْهِهِ واذَا ضَحِكَ يَتَلأْلأُ في الجُدُرِ وقالَ جابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وقالَ لَهُ رَجُلٌ كانَ وَجْهُهُ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ السَّيْفِ فَقالَ لا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ والقَمَرِ وكانَ مُسْتَدِيرًا وقالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ في بَعْضِ ما وَصفَتْهُ بِهِ أجْمَلُ النّاسِ مِنْ بَعِيدٍ وأَحْلاهُ وأحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ وفي حَديثِ ابْنِ أبي هالَةَ يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ وقالَ عَلِيٌّ رضيَ الله عنه في آخرِ وَصفِهِ لَهُ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هابَهُ ومَنْ خالَطَهُ مَعْرِفَةً أحبَّهُ يَقُولُ ناعِتُهُ لَمْ أرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صلى الله عليه وسلم والأَحادِيثُ في بَسْطِ صِفَتِهِ مَشْهُورَةٌ كَثِيرَةٌ فَلا نُطَوِّلُ بِسَرْدِها وقَدِ اختَصَرْنا في وَصْفِهِ نُكَتَ ماجاءَ فِيها وجُمْلَةً مِمَّا فِيهِ كِفايَةٌ في القَصْدِ الي المَطْلُوبِ وخَتَمْنا هٰذِهِ الفُصُولَ بِحَدِيثٍ جامِعٍ لِذَلِكَ تَقِفُ عَلَيْهِ هُنَاكَ انْ شاءَ اللّهُ تعالي

﴿ فصلٌ ﴾ وأمّا نَظافَةُ جِسْمِهِ وطِيبُ رِيحِهِ وعَرَقِهِ ونَزَاهَتُهُ عَنِ الأَقْذارِ وعَوْرَاتِ الجَسَدِ فَكانَ قَدْ خَصَّهُ اللّهُ تعالي في ذَلِكَ بِخَصائِصَ لَمْ تُوجَدْ في غَيْرِهِ ثُمَّ تَمَّمَها بِنَظافَةِ الشَّرْعِ وخِصالِ الفِطْرَةِ العَشْرِ وقالَ بُنِيَ الدِّينُ على النَّظافَةِ * حدثنا سفْيانُ بْنُ العاصي وغَيْرُ واحدٍ قالُوا حدثنا أحمَدُ بنُ عُمَرَ

قالَ حدثنا أبو العبَّاسِ الرَّازِيُّ قالَ حدثنا أبو أحمدَ الجُلُودِيُّ قالَ حدثنا ابنُ سفيانَ قالَ حدثنا مسلمٌ قالَ حدثنا قُتَيْبَةُ حدثنا جعفرُ بنُ سُلَيْمانَ عنْ ثابتٍ عن أنسٍ قالَ ما شَمِمْتُ عَنْبرًا قطُّ ولا مِسْكًا ولا شيْئًا أطيبَ مِنْ رِيحِ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم * وعَنْ جابرِ بْنِ سَمُرَةَ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم مَسَحَ خدَّهُ قالَ فوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كأنَّما أخرَجَها مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ قالَ غَيْرُهُ مَسَّها بِطِيبٍ أوْ لمْ يَمَسَّها يُصافِحُ المُصافِحَ فيَظَلُّ يوْمَهُ يجِدُ رِيحَها وَيَضَعُ يدَهُ على رَأْسِ الصَّبِيِّ فيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيانِ بِرِيحِها ونامَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في دَارِ أنَسٍ فعَرِقَ فجاءتْ أُمُّهُ بِقارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيها عَرَقَهُ فَسأَلَها رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ فقالَتْ نَجْعَلُهُ في طِيبِنا وهوَ مِنْ أطْيَبِ الطِّيبِ وذَكَرَ البُخارِيُّ في تاريخِهِ الكَبِيرِ عنْ جابرٍ لمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ في طَرِيقٍ فيَتْبَعُهُ أحدٌ الَّا عَرَفَ أنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِهِ وذَكَرَ اسحاقُ بْنُ رَاهوَيْهِ أنَّ تِلْكَ كانَتْ رَائِحَتَهُ بِلا طِيبٍ صلى الله عليهِ وسلم ورَوَى المُزَنِيُّ والحَرْبِيُّ عنْ جابرٍ أرْدَفَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَلْفَهُ فالْتَقَمْتُ خاتَمَ النُّبُوَّةِ بِفَمِي فَكانَ يَنُمُّ عَلَيَّ مِسْكًا وقدْ حَكَى بَعْضُ المُعْتَنِينَ بِأَخْبارِهِ وشَمائِلِهِ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ كانَ اذا أرادَ أنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الأَرْضُ فابْتَلَعَتْ غائِطَهُ وَبَوْلَهُ وفاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ صلى الله عليهِ وسلم وأسْنَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كاتِبُ الوَاقِدِيِّ في هٰذا خَبَرًا عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أنَّها قالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم انَّكَ تأْتِي الخَلاءَ فَلا نَرَى مِنْكَ شَيْئًا مِنَ الأَذَى فَقالَ ياعائِشَةُ أوَما عَلِمْتِ أنَّ الأرْضَ تَبْتَلِعُ ما يَخرجُ مِنَ الأنْبِياءِ فَلا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ وهَذا الخَبَرُ وانْ لمْ يَكُنْ

مَشْهُورًا فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِطَهَارَةِ هٰذَيْنِ الْحَدَثَيْنِ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم وهوَ قَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ حَكَاهُ الإِمَامُ أبو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ فِي شَامِلِهِ وَقَدْ حَكَى القَوْلَيْنِ عَنِ العُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أبو بَكْرِ بْنُ سَابِقٍ المَالِكِيُّ فِي كِتَابِهِ البَدِيعِ فِي فُرُوعِ المَالِكِيَّةِ وتَخْرِيجِ مَالَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِنْهَا عَلى مَذْهَبِهِمْ مِنْ تَفَارِيعِ الشَّافِعِيَّةِ وشَاهِدُ هٰذَا أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ ولاَ غَيْرُ طَيِّبٍ *ومِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ غَسَّلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ما يَكُونُ مِنَ المَيِّتِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَقُلْتُ طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا قالَ وسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ ومِثْلُهُ قالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ حِينَ قَبَّلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ مَوْتِهِ *ومِنْهُ شُرْبُ مالِكِ بْنِ سِنَانٍ دَمَهُ يَوْمَ احُدٍ ومَصُّهُ إِيَّاهُ وتَسْوِيغُهُ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ لَهُ وقَوْلُهُ لَهُ لَنْ تُصِيبَهُ النَّارُ ومِثْلُهُ شُرْبُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ دَمَ حِجَامَتِهِ فَقَالَ لَهُ عليه السَّلامُ وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ ولَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ وقَدْ رُوِيَ نَحْوٌ مِنْ هٰذَا عَنْهُ فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ فَقَالَ لَهَا لَنْ تَشْتَكِي وَجَعَ بَطْنِكِ أَبَدًا ولَمْ يَأْمُرْ واحِدًا مِنْهُمْ بِغَسْلِ فَمٍ ولا نَهَاهُ عَنْ عَوْدَةٍ وحَدِيثُ هٰذِهِ المَرْأَةِ التي شَرِبَتْ بَوْلَهُ صَحِيحٌ أَلْزَمَ الدَّارَقُطْنِيُّ مُسْلِمًا والبُخَارِيَّ إِخْرَاجَهُ فِي الصَّحِيحِ واسْمُ هَذِهِ المَرْأَةِ بَرَكَةُ واخْتُلِفَ فِي نَسَبِهَا وَقِيلَ هِيَ أُمُّ أَيْمَنَ وكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قَالَتْ وكَانَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ يُوضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَبَالَ فِيهِ لَيْلَةً ثُمَّ افْتَقَدَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا فَسَأَلَ بَرَكَةَ عَنْهُ فَقَالَتْ قُمْتُ وأَنَا عَطْشَانَةٌ

فَشَرِبَتْهُ وأنا لا أَعْلَمُ رَوَى حَدِيثَها ابْنُ جُرَيْجٍ وغَيْرُهُ وكانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ وُلِدَ مَخْتُوناً مَقْطُوعَ السُّرَّةِ ورُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمِنَةَ أَنَّها قالَتْ وَلَدْتُهُ نَظِيفاً ما بِهِ قَذَرٌ وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها مارَأَيْتُ فَرْجَ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَطُّ وعن عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنهُ أَوْصاني النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لا يُغَسِّلُهُ غَيْرِي فانَّهُ لا يَرَي أَحَدٌ عَوْرَتِي الَّا طُمِسَتْ عَيْناهُ وفي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ الله عنهما أَنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم نامَ حَتّي سُمِعَ لَهُ غَطِيطٌ فَقامَ فَصَلّى ولَمْ يَتَوَضَّأْ قالَ عِكْرِمَةُ لِأَنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ مَحْفُوظاً

﴿ فصل ﴾ وأَمَّا وُفُورُ عَقْلِهِ وذَكاءُ لُبِّهِ وقُوَّةُ حَواسِّهِ وفَصاحَةُ لِسانِهِ واعْتِدالُ حَرَكاتِهِ وحُسْنُ شَمائِلِهِ فَلا مِرْيَةَ أَنَّهُ كانَ أَعْقَلَ النّاسِ وأَذْكاهُمْ وَمَنْ تأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَواطِنِ الخَلْقِ وظَواهِرِهِمْ وسِياسَةَ العامَّةِ والخاصَّةِ مَعَ عَجِيبِ شَمائِلِه وبَدِيعِ سِيَرِهِ فَضْلًا عَمَّا أَفاضَهُ مِنَ العِلْمِ وقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ دُونَ تَعَلُّمٍ سَبَقَ ولا مُمارَسَةٍ تَقَدَّمَتْ ولا مُطالَعَةٍ لِلْكُتُبِ مِنْهُ لَمْ يَمْتَرِ في رُجْحانِ عَقْلِهِ وثُقُوبِ فَهْمِهِ لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ وهٰذا مِمّا لا يَحْتاجُ الى تَقْرِيرِهِ لِتَحَقُّقِهِ وقَدْ قالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ قَرَأْتُ في أَحَدٍ وسَبْعِينَ كِتاباً فَوَجَدْتُ في جَمِيعِها أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَرْجَحُ النّاسِ عَقْلًا وأَفْضَلُهُمْ رَأْياً وفي رِوايَةٍ أُخْرَى فَوَجَدْتُ في جَمِيعِها أَنّ اللهَ تَعالي لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيا الى انْقِضائِها مِنَ العَقْلِ في جَنْبِ عَقْلِه صلى الله عليه وسلم الَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمالِ الدُّنْيا وقالَ مُجاهِدٌ كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلمَ اذا قامَ في الصَّلاةِ يَرَى

مَنْ خَلْفَهُ كما يرى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وبهِ فُسِّرَ قولُهُ تعالى وتَقَلُّبَكَ في السّاجدِينَ وفي المُوطَّأ عَنهُ عليهِ السّلامُ إنّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي ونحوُهُ عن أنسٍ في الصَّحيحَيْنِ وعنْ عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها مِثْلُهُ قالَتْ زِيادَةٌ زادَهُ اللهُ ايَّاها في حُجَّتِهِ وفي بعضِ الرّواياتِ انّي لأَنظُرُ مَنْ وَرَائِي كما أنظُرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ وفي أُخرَى انّي لأُبْصِرُ مَنْ قفَايَ كما أُبصِرُ مَنْ بَيْنَ يدَيَّ وحَكَى بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ عن عائِشةَ رَضيَ اللهُ عَنها كانَ النّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يرَى في الظُّلْمَةِ كما يرَى في الضّوءِ والأخبارُ كثيرةٌ صَحيحَةٌ في رُؤيَتِهِ صلّى اللهُ عليه وسلم المَلائِكَةَ والشّياطِينَ ورُفِعَ النَّجاشيُّ لَهُ حتّى صَلَّى عَلَيْهِ وبَيْتُ المَقدِسِ حِينَ وَصَفَهُ لِقُرَيْشٍ والكَعْبَةُ حِينَ بَنَى مَسْجِدَهُ وقَدْ حُكِيَ عَنْهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنّهُ كانَ يرَى في الثُّرَيّا أحدَ عشرَ نَجماً وهذهِ كُلُّها مَحْمُولَةٌ على رُؤيَةِ العَيْنِ وهوَ قَوْلُ أحمَدَ بنِ حَنْبَلٍ وغَيْرِهِ وذَهَبَ بَعضُهُمْ الى رَدِّها الى العِلْمِ والظّواهِرُ تُخالِفُهُ ولا إحالَةَ في ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ خَوَاصِّ الأنبياءِ وخِصالِهِمْ كما أخبَرَنا أبو مُحمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أحمَدَ العَدْلُ مِنْ كِتابِهِ حدثنا أبو الحَسَنِ المُقرِئُ الفَرْغانيُّ حدَّثَتْنا أُمُّ القاسِمِ بِنْتُ أبي بَكْرٍ عن أبيها حدثنا الشَّريفُ أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحمَّدٍ الحَسَنيُّ حدثنا مُحمَّدُ ابنُ محمدِ بنِ سَعِيدٍ حدثنا محمدُ بنُ أحمَدَ بْنِ سُلَيْمانَ حدثنا محمدُ بنُ محمدِ بْنِ مَرْزُوقٍ حدثنا هَمَّامٌ حدثنا الحَسَنُ عَنْ قَتادَةَ عن يَحْيَي بْنِ وثّابٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لَمّا تجَلَّى اللهُ عَزَّ وجَلَّ لِمُوسَى عليه السّلامُ كانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ على الصَّفا في اللّيلَةِ الظَّلْماءِ مَسِيرَةَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ ولا يَبْعُدُ على هذا أنْ يَختَصَّ نَبِيُّنا صلى اللهُ

عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأي من آيات ربه الكبرى * وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الي الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديداً وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشى مشي تقلعاً كأنما ينحط من صبب

﴿ فصل ﴾ وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم

وَصِرَامِهِمْ ما سَلَّمُوا بالْمِيثاقِ والأَمانَةِ ولَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثِّلْبُ والنَّابُ والفَصِيلُ والفارِضُ الدَّاجِنُ والكَبْشُ الحُوَّارِيُّ وعَلَيْهِمْ فِيها الصَّالِغُ والقارِحُ وقَوْلَهُ لِنَهْدٍ اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُمْ في مَحْضِها ومَخْضِها ومَذْقِها وابْعَثْ رَاعِيَها في الدَّثْرِ وافْجُرْ لَهُ الثَّمَدَ وبارِكْ لَهُمْ في المَالِ والوَلَدِ مَنْ أَقامَ الصَّلاةَ كانَ مُسْلِماً ومَنْ آتَى الزَّكاةَ كانَ مُحْسِناً ومَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ الاَّ اللهُ كانَ مُخْلِصاً لَكُمْ يا بَنِي نَهْدٍ وَدائِعُ الشِّرْكِ ووَضائِعُ المُلْكِ لاَ تُلْطِطْ في الزَّكاةِ ولاَ تُلْحِدْ في الحَياةِ ولاَ تَتَثاقَلْ عَنِ الصَّلاةِ * وكَتَبَ لَهُمْ في الوَظِيفَةِ الفَرِيضَةِ ولَكُمُ الفارِضُ والفَرِيشُ وذُو العِنانِ الرَّكُوبُ والفَلُوُّ الضَّبِيسُ لاَ يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ ولاَ يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ ولاَ يُحْبَسُ دَرُّكُمْ مالَمْ تُضْمِرُوا الرِّماقَ وتَأْكُلُوا الرِّباقَ مَنْ أَقَرَّ فَلَهُ الوَفاءُ بالعَهْدِ والذِّمَّةِ ومَنْ أَبَي فَعَلَيْهِ الرِّبْوَةُ * ومِنْ كِتابِهِ لِوائِلِ بْنِ حُجْرٍ الى الأَقْيالِ العَباهِلَةِ والأَوْراعِ المَشابِيبِ وفِيهِ في التِّيعَةِ شاةٌ لا مُقَوَّرَةُ الأَلْياطِ ولاَ ضِناكَ وأَنْطُوا الثَّبجَةَ وفي السُّيُوبِ الخُمُسُ ومَنْ زَنَي مِمْ بِكْرٍ فاصْقَعُوهُ مِائَةً واسْتَوْفِضُوهُ عاماً ومَنْ زَنَي مِمْ ثَيِّبٍ فَضَرِّجُوهُ بالأَضامِيمِ ولاَ تَوْصِيمَ في الدِّينِ ولاغُمَّةَ في فَرائِضِ اللهِ وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ ووائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ علي الأَقْيالِ أَيْنَ هٰذَا مِنْ كِتابِهِ لِأَنَسٍ في الصَّدَقَةِ المَشْهُورِ لَمَّا كانَ كَلامُ هٰؤُلاَءِ على هٰذَا الحَدِّ وبَلاَغَتُهُمْ على هٰذَا النَّمَطِ وأَكْثَرُ اسْتِعْمالِهِمْ هٰذِهِ الأَلفاظَ اسْتَعْمَلَها مَعَهُمْ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ الَيهِمْ ولِيُحَدِّثَ النَّاسَ بِما يَعْلَمُونَ وكَقَوْلِهِ في حَدِيثِ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ فإِنَّ اليَدَ العُلْيا هِيَ المُنْطِيَةُ واليَدَ السُّفْلَي هِيَ المُنْطاةُ قالَ فَكَلَّمَنا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِلُغَتِنا وقَوْلِهِ في حَدِيثِ العامِرِيِّ حِينَ سَأَلَهُ فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم

سَلْ عنكَ أيْ سَلْ عمَّا شِئْتَ وهي لُغةُ بَني عامِرٍ وأمَّا كلامُهُ المُعتادُ وفصاحتُهُ المَعْلومةُ وجَوَامِعُ كَلِمِهِ وحِكَمِهِ المأثُورةِ فقدْ ألَّفَ النَّاسُ فيها الدَّوَاوِينَ وجُمِعَتْ في ألفاظها ومعانيها الكُتُبُ ومِنْها ما لاَ يُوازِي فَصاحةً ولاَ يُبارَى بلاغةً كَقَوْلِهِ المُسْلِمُونَ تتَكافَأُ دِماؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أدْناهُمْ وهُمْ يَدٌ على مَنْ سِواهُمْ * وقَوْلِهِ النَّاسُ كأسْنانِ المُشْطِ والمَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ ولاَ خَيْرَ في صُحْبَةِ مَنْ لاَ يَرَى لكَ ما تَرَى لَهُ وَالنَّاسُ مَعادِنُ وما هلَكَ امْرُؤٌ عرَفَ قَدْرَهُ والمُسْتَشارُ مُؤْتَمَنٌ وَهُوَ بالخِيارِ ما لمْ يتَكَلَّمْ وَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا قالَ خَيْرًا فغَنِمَ أوْ سَكَتَ فَسَلِمَ * وقَوْلِهِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّ أحَبَّكُمْ اليَّ وأقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجالِسَ يَوْمَ القِيامَةِ أحاسِنُكُمْ أخْلاقاً المُوَطَّؤُونَ أكْنافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وقولِهِ لَعَلَّهُ كانَ يتَكَلَّمُ بِما لاَ يَعْنِيهِ وَيَبْخَلُ بِما لاَ يُغْنِيهِ وقولِهِ ذُو الوَجْهَيْنِ لاَ يَكُونُ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً وَنَهْيِهِ عَنْ قِيلٍ وقالٍ وَكَثْرَةِ السُّؤالِ واضاعَةِ المَالِ ومَنْعٍ وهاتِ وعُقُوقِ الأُمَّهاتِ وَوَأْدِ البَناتِ وقولِهِ اتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ وَخَيْرُ الأُمُورِ أوْساطُها وقولِهِ أحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَّا وقولِهِ الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ وقولِهِ في بَعْضِ دُعائِهِ اللَّهُمَّ انِّي أسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِها قَلْبِي وتَجْمَعُ بِها أمْرِي وتَلُمُّ بِها شَعَثِي وتُصْلِحُ بِها غائِبِي وتَرْفَعُ بِها شاهِدِي وتُزَكِّي بِها عَمَلِي وتُلْهِمُنِي بِها رُشْدِي وتَرُدُّ بِها أُلْفَتِي وتَعْصِمُنِي بِها مِنْ كُلِّ سُوءٍ اللَّهُمَّ انِّي أسْأَلُكَ الفَوْزَ عِنْدَ القَضاءِ ونُزُلَ الشُّهَداءِ وَعَيْشَ السُّعَداءِ والنَّصْرَ على الأَعْداءِ الى ما رَوَتْهُ الكافَّةُ عَنِ الكافَّةِ مِنْ مَقاماتِهِ وَمُحاضَراتِهِ وخُطَبِهِ وأدْعِيَتِهِ ومُخاطَباتِهِ

وعُـهُودِهِ مِمَّـا لاَخِلاَفَ أنَّهُ نزَلَ مِنْ ذَلِكَ مَرْتَبَةً لاَيُقَاسُ بِها غَـيْرُهُ وحازَ فِيها سَبْـقاً لاَيُقْـدَرُ قَدْرُهُ وَقَدْ جُمِعَتْ مِنْ كَلِماتِهِ الَّتِي لَمْ يُسْبَقْ الَيْها ولاَ قَدرَ أحَدٌ أنْ يُفْرِغَ في قالَبِهِ عَلَيْها كَقَوْلِهِ حَمِيَ الوَطِيسُ وماتَ حَتْفَ أنْفِهِ ولاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَـيْنِ والسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَـيْرِهِ في أخَوَاتِها ما يُدْرِكُ النَّاظِرُ العَجَبَ في مُضَمَّنِها و يَذْهَبُ بِهِ الفِـكْرُ في أدَانِي حِـكَمِها وقَـدْ قالَ لَهُ أصْحابُهُ ما رَأيْنا الَّذِي هُوَ أفْصَحُ مِنْـكَ فَقالَ وما يَمْنَعُـنِي وانَّما أُنْزِلَ القُرْآنُ بِلِسانِي لِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِـينٍ وقالَ مَرَّةً أُخْرَى أنا أفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أنِّي مِنْ قُرَيْشٍ ونَشَأتُ في بَنِي سَعْدٍ فَجُمِـعَ لَهُ بِذَلِكَ صلى الله عليه وسلم قُوَّةُ عارِضَةِ البادِيَةِ وجَزَالَتُها ونَصاعَةُ ألفاظِ الحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلاَمِها الى التَّأيِيـدِ الإِلٰهِي الَّذِي مَدَدُهُ الوَحْيُ الَّذِى لاَ يُحِيطُ بِعِلْمِهِ بَشَرِيٌّ وقالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ في وصفِها لَهُ حُلْوُ المَنْطِقِ فَصْـلٌ لاَ نَزْرٌ ولاَ هَذْرٌ كَأنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ وَكانَ جَهِـيرَ الصَّوْتِ حَسَنَ النَّغْمَةِ صلى الله عليه وسلم

﴿ فَصْلٌ ﴾ وأمَّا شَرَفُ نَسَـبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ ومَنْشَـئِهِ فَما لاَ يَحتاجُ الي إقامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ولاَ بَيانِ مُشْـكِلٍ ولاَ خَفِيٍّ مِنْهُ فإنَّهُ نُخْبَةُ بَنِي هاشِمٍ وسُلاَلَةُ قُرَيْشٍ وصَمِيمُها وأشْرَفُ العَرَبِ وأعَزُّهُمْ نَفَرًا مِنْ قِبَـلِ أبِيهِ وأُمِّهِ ومِنْ أهْلِ مَـكَّةَ مِنْ أكْرَمِ بِلاَدِ اللهِ على اللهِ وعلى عِبادِهِ حدَّثنا قاضِي القُضاةِ حُسَـيْنُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قالَ حدثنا القاضِي أبو الوَلِيدِ سُلَيْمانُ بْنُ خَلَفٍ قالَ حدثنا أبو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أحْمَدَ حدثنا أبو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ وأبو اسحٰقَ وأبو الهَيْثَمِ قالُوا حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قالَ حـدثنا مُحَمَّدُ بْنُ اسماعِيلَ قالَ حدثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قالَ حـدثنا يَعْقُوبُ بْنُ عَبدِ الرَّحمٰنِ عَنْ عَمْرٍو عَنْ أبِي سَعِيدٍ المَقْـبُرِيِّ

عنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قرْناً فقرْناً حتَّى كُنْتُ مِنَ القرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ وعَنِ العبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قالَ قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وَسلم إنَّ اللهَ خلقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبائِلَ فَجعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبيلَةٍ ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فَجعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فأَنا خَيْرُهُمْ نَفْساً وخَيْرُهُمْ بَيْتاً وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم انَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إبْرَاهِيمَ اسْمَاعِيلَ واصْطَفَى مِنْ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ بَنِي كِنانَةَ واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنانَةَ قُرَيْشاً واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ واصْطَفانِي مِنْ بَنِي هاشِمٍ قالَ التِّرْمِذِيُّ وهٰذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَفِي حدِيثٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما رَوَاهُ الطَّبَرِي أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ اخْتارَ خَلْقَهُ فاخْتارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ثُمَّ اخْتارَ بَنِي آدَمَ فاخْتارَ مِنْهُمُ العَرَبَ ثُمَّ اخْتارَ العَرَبَ فاخْتارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً ثُمَّ اخْتارَ قُرَيْشاً فاخْتارَ مِنْهُمْ بَنِي هاشِمٍ ثُمَّ اخْتارَ بَنِي هاشِمٍ فاخْتارَنِي مِنْهُمْ فَلَمْ أزَلْ خِياراً مِنْ خِيارٍ ألاَ مَنْ أحَبَّ العَرَبَ فَبِحُبِّي أحَبَّهُمْ ومَنْ أبْغَضَ العَرَبَ فَبِبُغْضِي أبْغَضَهُمْ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَتْ رُوحُهُ نُوراً بَيْنَ يَدَى اللهِ تعالي قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عامٍ يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ المَلاَئِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ أَلْقِي ذَلِكَ النُّورَ في صُلْبِهِ فَقالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم فَأَهْبَطَنِي اللهُ الى الأَرْضِ في صُلْبِ آدَمَ وجعَلَنِي في صُلْبِ نُوحٍ وقَذَفَ بِي في صلْبِ ابْرَاهِيمَ ثمَّ لَمْ يَزَلِ اللهُ تعالي يَنقُلُنِي مِنَ الأَصْلاَبِ الكَرِيمَةِ والأَرْحامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّي أَخْرَجَنِي مِنْ

أبَوِيَّ لَمْ يَلْتَقِيا على سِفاحٍ قَطُّ وَيَشْهَدُ بِصِحةِ هذا الخَبَرِ شِعْرُ العبَّاسِ المَشْهُورِ في مَدْحِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

﴿ فصْلٌ ﴾ وأمَّا ماتدعُو ضَرُورَةُ الحَياةِ اليْهِ مِمَّا فصَّلْنَاهُ فعَلَى ثَلاثَةِ أضْرُبٍ ضَرْبٌ الفَضْلُ في قِلَّتِهِ وضَرْبٌ الفضْلُ في كَثْرَتِهِ وضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الأحْوالُ فيهِ فأمَّا ما التَّمَدُّحُ والكَمالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفاقًا وعلى كُلِّ حالٍ عادَةً وشَرِيعَةً كالغِذاءِ والنَّوْمِ ولَمْ تَزَلِ العَرَبُ والحُكَماءُ تَتَمادَحُ بِقِلَّتِهِما وتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِما لِأَنَّ كَثْرَةَ الأكْلِ والشُّرْبِ دَلِيلٌ على النَّهَمِ والحِرْصِ والشَّرَهِ وغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ مُسَبِّبٌ لِمَضارِّ الدُّنْيا والآخِرَةِ جالِبٌ لِأَدْواءِ الجَسَدِ وخُثارَةِ النَّفْسِ وامْتِلاءِ الدِّماغِ وقِلَّتَهُ دَلِيلٌ على القَناعَةِ ومِلْكِ النَّفْسِ وقَمْعِ الشَّهْوَةِ مُسَبِّبٌ لِلصِّحَّةِ وَصَفاءِ الخاطِرِ وحِدَّةِ الذِّهْنِ كما أنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ دَلِيلٌ على الفُسُولَةِ والضَّعْفِ وعَدَمِ الذَّكاءِ والفِطْنَةِ مُسَبِّبٌ لِلْكَسَلِ وعادَةِ العَجْزِ وتَضْيِيعِ العُمْرِ في غَيْرِ نَفْعٍ وقَساوَةِ القَلْبِ وغَفْلَتِهِ ومَوْتِهِ والشَّاهِدُ على هذا ما يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشاهَدَةً وَيُنْقَلُ مُتَواتِرًا مِنْ كَلامِ الأُمَمِ المُتَقَدِّمَةِ والحُكَماءِ السَّالِفِينَ وأشْعارِ العَرَبِ وأخْبارِها وَصَحِيحِ الحَدِيثِ وَآثارِ مَنْ سَلَفَ وخَلَفَ مِمَّا لايُحْتاجُ الي الاِسْتِشْهادِ عَلَيْهِ وانَّما تَرَكْنا ذِكْرَهُ هُنا اخْتِصارًا واقْتِصارًا على اشْتِهارِ العِلْمِ بِهِ وَكانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أخَذَ مِنْ هٰذَيْنِ الفَنَّيْنِ بِالأقَلِّ هٰذا مالا يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ وهو الَّذِى أمَرَ بِهِ وحَضَّ عَلَيْهِ لاَ سِيَّما بارْتِباطِ أحَدِهِما بالآخَرِ حَدَّثَنا أبو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الحافِظُ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ قال حدثنا أبو الفَضْلِ الأصْفَهانِيُّ قالَ حدثنا أبو نُعَيْمٍ الحافِظُ قالَ حدثنا سُلَيْمانُ بْنُ أحْمَدَ قالَ حدثنا أبو بَكْرِ بْنُ سَهْلٍ قال حدثنا

عَبْدُ اللهِ بْنُ صالِحٍ حدثَني مُعاوِيَةُ بْنُ صالِحٍ أنَّ يَحْيَى بْنَ جابِرٍ حدثَهُ عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ ماملَا ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كانَ لاَ مَحالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ وثُلُثٌ لِشَرابِهِ وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ والشرْبِ قالَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ بِقِلَّةِ الطَعامِ يُمْلَكُ سَهَرُ اللَّيْلِ وقالَ بَعْضُ السَّلَفِ لاَ تَأْكُلُوا كَثِيرًا فتَشْرَبُوا كَثِيرًا فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا وقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ كانَ أحَبَّ الطَّعامِ إلَيْهِ ما كانَ على ضَفَفٍ أيْ كَثْرَةِ الأَيْدِي وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شِبَعاً قَطُّ وانَّهُ كانَ في أهْلِهِ لاَ يَسْأَلُهُمْ طَعاماً ولاَ يَتَشَهَّاهُ انْ أطْعَمُوهُ أكَلَ وما أطْعَمُوهُ قَبِلَ وما سَقَوْهُ شَرِبَ ولا يُعْتَرَضُ على هٰذَا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ وقَوْلِهِ أَلَمْ أَرَ البُرْمَةَ فِيها لَحْمٌ اذْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ صلى اللهُ عليه وسلم اعْتِقادَهُمْ أنَّهُ لاَيَحِلُّ لَهُ فَأَرادَ بَيانَ سُنَّتِهِ اذْ رَآهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ الَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لاَيَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ بِهِ فَصَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ وَبَيَّنَ لَهُمْ ما جَهِلُوهُ مِنْ أمْرِهِ بِقَوْلِهِ هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ ولَنَا هَدِيَّةٌ وفي حِكْمَةِ لُقْمانَ يا بُنَيَّ اذَا امْتَلَأَتِ المَعِدَةُ نامَتِ الفِكْرَةُ وَخَرِسَتِ الحِكْمَةُ وقَعَدَتِ الأَعْضاءُ عَنِ العِبادَةِ وقالَ سُحْنُونٌ لاَ يَصْلُحُ العِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ وفي صَحِيحِ الحَدِيثِ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم أمَّا أنا فَلاَ آكُلُ مُتَّكِئاً والإِتِّكاءُ هُوَ التَمَكُّنُ لِلأَكْلِ والتَّقَعُّدُ في الجُلُوسِ لَهُ كالمُتَرَبِّعِ وشِبْهِهِ مِنْ تَمَكُّنِ الجِلْساتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيها الجالِسُ على ماتَحْتَهُ والجالِسُ على هٰذِهِ الهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي الأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ والنَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم

انما كانَ جلُوسهُ لِـلاَّ كلِ جلُوسَ المُستوفزِ مقْعياً ويَقُولُ انما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكُلُ العبـدُ وأجلِسُ كما يجلِسُ العبْدُ وليْسَ معنَي الحَدِيثِ في الإتكاءِ الميْلَ على شقٍ عِنْدَ المُحقّقِينَ وكَذلِكَ نوْمهُ صلى الله عليه وسلم كانَ قَليلاً شهِدَتْ بِذَلِكَ الآثارُ الصَّحِيحةُ ومعَ ذَلِكَ فقَدْ قالَ صلى الله عليه وسلم انّ عيْنيَّ تنامانِ ولاينامُ قَلْبِي وكانَ نوْمهُ على جانِبِهِ الأيمَنِ استِظْهارًا على قِلّةِ النَّوْمِ لِأنّهُ علي الجَانِبِ الأيْسَرِ أهنَأُ لِهُدُوِّ القَلْبِ وما يتعلّقُ بِهِ منَ الأعضاءِ الباطِنَةِ حِينَئِذٍ لِميلِها الى الجانِبِ الأيسَرِ فَيَستَدْعِي ذَلِكَ الاستِثْقالَ فِيـهِ والطُولَ واذَا نامَ النَّائِمُ على الأيمَنِ تعلّقَ القَلْبُ وقلِقَ فَأسْرَعَ الإفاقَةَ ولَمْ يَغمُرْهُ الاستِغرَاقُ

﴿ فصلٌ ﴾

﴿ والضَّربُ الثَّانى مايتفِقُ التَّمدُّحُ بِكَثْرَتِهِ والفَخرُ بوُفُورِهِ كالنِّكاحِ والجاهِ ﴾

أمّا النِّكاحُ فمتّفقٌ فيهِ شرْعاً وعادةً فإنّهُ دَليلُ الكَمالِ وصِحّةِ الذُكُورِيّةِ ولَمْ يزَلِ التّفاخُرُ بِكَثْرَتِهِ عادَةً معْرُوفَةً والتَّمادُحُ بِهِ سِيرَةً ماضِيَةً وأمّا في الشّرْعِ فَسنّةٌ مأثُورَةٌ وقَدْ قالَ ابْنُ عبّاسٍ أفضَلُ هذِهِ الأُمّةِ أكثَرُها نِساءً مُشِيرًا اليْهِ صلى الله عليه وسلم وقَدْ قالَ صلى الله عليه وسلم تناكحُوا تناسلُوا فإنّي مُباهٍ بِكُمُ الأُمَمَ ونَهي عَنِ التَّبتُّلِ مَعَ ما فِيهِ منْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ وغَضّ البَصَرِ اللّذينَ نبّهَ علَيهِما صلى الله عليه وسلم بقَوْلِهِ منْ كانَ ذا طَوْلٍ فلْيَتَزَوّجْ فإنّهُ أغضُّ لِلبَصَرِ وأحصَنُ لِلفَرْجِ حتّى لَمْ يرَهُ العُلَماءُ مِمّا يقْدَحُ في الزُّهْدِ قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَدْ حُبّبْنَ الى سيّدِ المُرْسَلِينَ فَكيفَ يُزهَدُ فِيهِنّ

ونحوُهُ لِابنِ عُيَيْنَةَ وقدْ كانَ زُهَّادُ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ كَثِيرِي الزَّوْجاتِ والسَّرارِي كَثِيرِي النِّكاحِ وحُكِيَ في ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ والحَسَنِ وابْنِ عُمَرَ وغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ وقَدْ كَرِهَ غَيْرُ واحِدٍ أنْ يَلْقَى اللهَ عَزَباً فإنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ النِّكاحُ وكَثْرَتُهُ مِنَ الفَضائِلِ وهٰذا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ أَثْنَى اللهُ تَعالَى عَلَيْهِ انَّهُ كانَ حَصُوراً فَكَيْفَ يُثْنِي اللهُ عَلَيْهِ بالعَجْزِ عَمّا تَعُدُّهُ فَضِيلَةً وهٰذا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَبَتَّلَ مِنَ النِّساءِ ولَوْ كانَ كَما قَرَّرْتَهُ لَنَكَحَ فاعْلَمْ ان ثَناءَ اللهِ تَعالَى عَلَى يَحْيَى بِأَنَّهُ حَصُورٌ لَيْسَ كَما قالَ بَعْضُهُمْ انَّهُ كانَ هَيُوباً أَوْلاَ ذَكَرَ لَهُ بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هٰذا حُذّاقُ المُفَسِّرِينَ وَنُقّادُ العُلَماءِ وقالُوا هٰذِهِ نَقِيصَةٌ وعَيْبٌ ولاَ يَلِيقُ بالأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وانَّما مَعْناهُ انَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ أيْ لاَ يَأْتِيها كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْها وَقِيلَ مانِعاً نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَواتِ وقِيلَ لَيْسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ في النِّساءِ فَقَدْ بانَ لَكَ مِنْ هٰذا أنَّ عَدَمَ القُدْرَةِ عَلَى النِّكاحِ نَقْصٌ وانَّما الفَضْلُ في كَوْنِها مَوْجُودَةً ثُمَّ قَمْعُها امّا بِمُجاهَدَةٍ كَعِيسَى عليه السَّلامُ أَوْ بِكِفايَةٍ مِنَ اللهِ تعالى كَيَحْيَى عليه السلامُ فَضِيلَةٌ زائِدَةٌ لِكَوْنِها مُشْغِلَةً في كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقاتِ حاطَّةً الي الدُّنْيا ثُمَّ هِيَ في حَقِّ مَنْ اقْدِرَ عَلَيْها ومُلِّكَها وقامَ بالواجِبِ فِيها ولَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةٌ عَلْياءُ وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ عَنْ عِبادَةِ رَبِّهِ بَلْ زادَهُ ذَلِكَ عِبادَةً لِتَحْصِينِهِنَّ وقِيامِهِ بِحُقُوقِهِنَّ وَاكْتِسابِهِ لَهُنَّ وَهِدايَتِهِ اِيّاهُنَّ بَلْ صَرَّحَ أنَّها لَيْسَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْياهُ هُوَ وَانْ كانَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيا غَيْرِهِ فَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ حُبِّبَ الَيَّ مِنْ دُنْياكُمْ فَدَلَّ أن حُبَّهُ لِما ذُكِرَ مِنَ النِّساءِ والطِّيبِ

اللَّذَينِ هُما مِنْ أمرِ دُنيا غَيْرِهِ واستِعمالُهُ لِذَلِكَ لَيسَ لِدُنياهُ بَلْ لِآخِرَتِهِ
لِلفَوائِدِ التي ذَكَرْناها في التزويجِ وَلِقاءِ المَلائِكَةِ في الطِّيبِ وَلِأنَّهُ أيضاً
مِمَّا يَحُضُّ على الجِماعِ وَيُعينُ عليهِ وَيُحَرِّكُ أسبابَهُ وكانَ حُبُّهُ لِهاتَينِ
الخَصلَتَينِ لِأجلِ غَيرِهِ وقَمعِ شَهوَتِهِ وكانَ حُبُّهُ الحَقيقِيُّ المُختَصُّ بِذاتِهِ في
مُشاهَدَةِ جَبَرُوتِ مَوْلاه ومُناجاتِهِ ولِذَلِكَ مَيَّزَ بَينَ الحُبَّينِ وفَصَلَ
بَينَ الحالَينِ فَقالَ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَينِي في الصَّلاةِ فَقَدْ ساوَى يَحْيى
وعِيسى في كِفايَةِ فِتنَتِهِنَّ وَزادَ فَضيلَةً بالقِيامِ بِهِنَّ وَكانَ
صلى الله عليه وسلم مِمَّنْ أقْدِرَ على القُوَّةِ في هذا وأُعطِيَ الكَثيرَ مِنهُ
وَلِهذا أُبيحَ لَهُ مِنْ عَدَدِ الحَرائِرِ ما لَمْ يُبَحْ لِغَيرِهِ وقَدْ رَوَينا عن أنَس
أنَّهُ صلى الله عليه وسلم كانَ يَدُورُ على نِسائِهِ في السّاعَةِ مِنَ اللَّيلِ والنَّهارِ
وهُنَّ احدَى عَشَرَةَ قالَ أنَسٌ وكُنَّا نَتَحَدَّثُ أنَّهُ أُعطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ رَجُلا
خَرَّجَهُ النَّسائِيُّ ورُوِيَ نَحْوُهُ عنْ أبي رَافِعٍ وعَنْ طاوُسٍ اعطِيَ عليهِ السلامُ
قُوَّةَ أربَعِينَ رَجُلًا في الجِماعِ ومِثلُهُ عَنْ صَفْوانَ بْنِ سُلَيمٍ وقالَتْ سَلْمى
مَوْلاتُهُ طافَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لَيلَةً على نِسائِهِ التِّسعِ وتَطَهَّرَ مِنْ كُلِّ
واحِدَةٍ قَبلَ أنْ يأتِيَ الأُخرَى وقالَ هذا أطيَبُ وأطهَرُ وقَدْ قالَ سُلَيمانُ
عليه السّلامُ لَأَطُوفَنَّ اللَّيلَةَ على مِائَةِ امرَأةٍ أوْ تِسعٍ وتِسعِينَ وَإنَّهُ فَعَلَ
ذَلِكَ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ كانَ في ظَهرِ سُلَيمانَ ماء مِائَةِ رَجُلٍ وكانَ لَهُ ثَلثُمِائَةِ
امرَأةٍ وثَلثُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ وحَكى النَّقَّاشُ وغَيرُهُ سَبعَمِائَةِ امرَأةٍ وثَلثَمِائَةِ
سُرِّيَّةٍ وقَدْ كانَ لِداوُدَ عليه السّلامُ على زُهدِهِ وأَكلِهِ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ تِسعٌ
وتِسعُونَ امرَأةً وتَمَّتْ بِزَوجِ أُورِياءَ مِائَةً وقَدْ نَبَّهَ على ذَلِكَ في الكِتابِ

العَزِيزِ بِقَوْلِهِ تعالى إِن هٰذَا أَخِي لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعجَةً وفي حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْهُ عليه السّلامُ فُضِّلْتُ على النّاس بِأَرْبَعٍ بالسَّخاء والشّجاعَةِ وكَثْرَةِ الجماعِ وقُوَّةِ البَطْشِ * وأمّا الجاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ العقَلاءِ عادَةً وبِقَدْرِ جاهِهِ عِظَمُهُ في القُلُوبِ وقَدْ قالَ اللهُ تعالى في صِفَةِ عِيسى عليه السّلامُ وَجِيهاً في الدُّنيا والآخِرَةِ لٰكِنْ آفاتُهُ كَثِيرَةٌ فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النّاسِ لِعُقْبَى الاخِرَةِ فَلِذٰلِكَ ذَمَّهُ مَنْ ذَمَّهُ ومَدَحَ ضِدَّهُ وورَدَ في الشَّرْعِ مَدْحُ الخُمُولِ وذَمُّ العُلُوِّ في الأَرْضِ وكانَ صلى الله عليه وسلم قَدْ رُزِقَ مِنَ الحِشْمَةِ والمَكانَةِ في القُلُوبِ والعَظَمَةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ عِنْدَ الجاهِلِيَّةِ وبَعْدَها وهُمْ يُكَذِّبُونَهُ ويُؤْذُونَ أَصْحابَهُ ويَقْصِدُونَ أَذاهُ في نَفْسِهِ خُفْيَةً حَتَّى اذَا واجَهَهُمْ أَعْظَمُوا أَمْرَهُ وقَضَوْا حاجَتَهُ وأَخْبارُهُ في ذٰلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُها وقَدْ كانَ يَبْهَتُ ويَفْرَقُ لِرُؤْيَتِهِ مَنْ لَمْ يَرَهُ كَما رُوِيَ عَنْ قَيْلَةَ أَنَّها لَمّا رَأَتْهُ أُرْعِدَتْ مِنَ الفَرَقِ فَقالَ يامِسْكِينَةُ عَلَيْكِ السَّكِينَةُ وفي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلاً قامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُرْعِدَ فَقالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ الحَدِيثَ * فَأَمّا عَظِيمُ قَدْرِهِ بالنُّبُوَّةِ وشَرِيفُ مَنْزِلَتِهِ بالرِّسالَةِ وإِنافَةُ رُتْبَتِهِ بالاِصْطِفاءِ والكَرامَةِ في الدُّنْيا فَأَمْرٌ هوَ مَبْلَغُ النِّهايَةِ ثُمَّ هوَ في الآخِرَةِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وعلى مَعْنَى هٰذَا الفَصْلِ نَظَمْنا هٰذَا القِسْمَ بِأَسْرِهِ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمّا الضَّرْبُ الثّالِثُ فَهُوَ ما تَخْتَلِفُ الحالاتُ في التَّمَدُّحِ بِهِ والتَّفاخُرِ بِسَبَبِهِ والتَّفْضِيلِ لِأَجْلِهِ كَكَثْرَةِ المالِ فَصاحِبُهُ على الجُمْلَةِ مُعَظَّمٌ عِنْدَ العامَّةِ لِاعْتِقادِها تَوَصُّلَهُ بِهِ الي حاجاتِهِ وتَمَكُّنِ أَغْراضِهِ بِسَبَبِهِ وَالّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً في نَفْسِهِ فَمَتى كانَ المالُ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ وصاحِبُهُ

مُنْفِقاً لَهُ في مُهِمَّاتِهِ ومُهِمَّاتِ مَنِ اعْتَرَاهُ وأَمَّلَهُ وتَصْرِيفِهِ في مَوَاضِعِهِ مُشْتَرِياً بِهِ المَعالِيَ والثَّناء الحَسَنَ والمَنْزِلَةَ مِنَ القُلُوبِ كانَ فَضِيلَةً في صاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيا واذا صَرَفَهُ في وُجُوهِ البِرِّ وأَنْفَقَهُ في سُبُلِ الخَيْرِ وقَصَدَ بِذَلِكَ اللهَ والدَّارَ الآخِرَةَ كانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الكُلِّ بِكُلِّ حالٍ ومَتَي كانَ صاحِبُهُ مُمْسِكًا لَهُ غَيْرَ مُوَجِّهِهِ وُجُوهَهُ حَرِيصاً على جَمْعِهِ عادَ كَثْرَتُهُ كالعَدَمِ وكانَ مَنْقَصَةً في صاحِبِهِ ولَمْ يَقِفْ بِهِ على جَدَدِ السَّلامَةِ بَلْ أَوْقَعَهُ في هُوَّةِ رَذِيلَةِ البُخْلِ ومَذَمَّةِ النَّذالَةِ فإِذَا التَّمَدُّحُ بالمَالِ وفَضِيلَتُهُ عِنْدَ مُفَضِّلِهِ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ وَانَّما هوَ لِلتَّوَصُّلِ بِهِ الي غَيْرِهِ وتَصْرِيفِهِ في مُتَصَرَّفاتِهِ فَجامِعُهُ اذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعَهُ ولا وَجَّهَهُ وُجُوهَهُ غَيْرُ مَلِيءٍ بالحَقِيقَةِ ولا غَنِيٍّ بالمَعْنَي ولا مُمْتَدَحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ العُقَلاءِ بَلْ هو فَقِيرٌ أَبدًا غَيْرُ واصِلٍ الى غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ اذْ ما بِيَدِهِ مِنَ المَالِ المُوصِلِ لَهَا لم يُسَلَّطْ علَيْهِ فَأَشْبَهَ خازِنَ مالِ غَيْرِهِ ولا مالَ لَهُ فَكَأَنَّهُ لَيْسَ في يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ والمُنْفِقُ مَلِيٌّ غَنِيٌّ بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ المَالِ وانْ لم يَبْقَ في يَدِهِ مِنَ المَالِ شَيْءٌ فانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم وخُلُقَهُ فى المَالِ تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الأَرْضِ ومَفَاتِيحَ البِلادِ وأُحِلَّتْ لَهُ الغَنائِمُ ولم تُحَلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ وفُتِحَ علَيْهِ في حياتِهِ صلى الله عليه وسلم بِلادُ الحِجازِ واليَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ العَرَبْ وما دَانَي ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ والعِرَاقِ وجُلِبَتْ الَيْهِ مِنْ أَخْماسِها وجِزْيَتِها وصَدَقاتِها مالا يُجْبَى لِلْمُلوكِ الَّا بَعْضُهُ وهادَتْهُ جَماعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الأَقالِيمِ فَما اسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ ولا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً بَلْ صَرَفَهُ مَصارِفَهُ وأَغْنَي بِهِ غَيْرَهُ وقَوَّى بِهِ المُسْلِمِينَ وقالَ ما يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَباً يَبِيتُ عِنْدِي

مِنْـهُ دِينارٌ إلّا دِينارٌ أرصدهُ لِدَيْنٍ وأتتهُ دَنانيرُ مرَّةً فقسمَها وبقيتْ منها ستَّةٌ فدفعَها لبعضِ نسائِهِ فلمْ يأخذْهُ نومٌ حتّى قامَ وقسمَها وقالَ الآنَ استَرَحتُ وماتَ ودِرعُهُ مرهُونةٌ في نفقةِ عيالِهِ واقتصرَ من نفقتِهِ وملبسِهِ ومسكَنِهِ على ما تدعُوهُ ضرُورتُهُ اليْهِ وزهِدَ فيما سواهُ فكانَ يلبَسُ ما وجدَهُ فيلبَسُ في الغالبِ الشَّمْلَةَ والكِساءَ الخشنَ والبُرْدَ الغليظَ ويقسِمُ على مَنْ حضرَهُ أقبيَةَ الدِّيباجِ المُخوَّصةَ بالذَّهبِ ويرفعُ لِمَن لم يحضُرْ إذ المُباهاةُ في المَلابسِ والتَّزيُّنُ بها ليستْ منَ خِصالِ الشَّرفِ والجلالةِ وهيَ منْ سِماتِ النِّساءِ والمَحمُودُ منها نقاوةُ الثَّوبِ والتَّوسُّطُ في جنسِهِ وكونُهُ لُبسَ مثلِهِ غيرَ مُسقِطٍ لِمُرُوَّةِ جنسِهِ ممّا لا يُؤدّي الى الشُّهرةِ في الطَّرفَيْنِ وقدْ ذمَّ الشَّرعُ ذلِكَ وغايةُ الفخرِ فيهِ في العادةِ عندَ النَّاسِ انّما يعُود الى الفخرِ بكثرَةِ المَوجُودِ ووُفورِ الحالِ وكذلِكَ التَّباهي بجوْدةِ المَسكَنِ وسعَةِ المَنزِلِ وتكثيرِ آلاتِهِ وخدَمِهِ ومرْكُوباتِهِ ومنْ ملَكَ الأرضَ وجُبِيَ اليْهِ ما فيها وترَكَ ذلِكَ زُهدًا وتنزُّهًا فهُوَ حائِزٌ لفضيلَةِ المَاليَّةِ ومالِكٌ لِلفخرِ بهذِهِ الخصلَةِ انْ كانَتْ فضيلَةً زائِدٌ عليْها في الفخرِ ومُعرِقٌ في المَدحِ بإضرابِهِ عنْها وزُهدِهِ في فانِيها وبذلِها في مظانِّها

﴿ فصلٌ ﴾ وأمّا الخِصالُ المُكتَسبَةُ منَ الأخلاقِ الحَميدَةِ والآدابِ الشَّريفَةِ الّتي اتّفقَ جميعُ العُقلاءِ على تفضيلِ صاحِبِها وتعظيمِ المُتَّصِفِ بالخُلُقِ الواحِدِ منها فضلًا عمّا فوقَهُ وأثنى الشَّرعُ على جميعِها وأمرَ بِها ووعدَ السَّعادةَ الدائِمةَ لِلْمُتخلِّقِ بِها ووصفَ بعضَها بأنَّهُ منْ أجزاءِ النُّبُوَّةِ وهيَ المُسمّاةُ بحُسنِ الخلُقِ وهوَ الاعتِدالُ في قُوى النَّفسِ وأوصافِها والتَّوسُّطُ فيها

دُونَ المَيْلِ الي مُنْحَرِفِ أَطْرَافِهَا فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خلُقَ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتي أثني الله عليه بذلك قَالَ تَعالى وانَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها كانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ يَرْضي بِرِضاهُ وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ وقالَ صلى اللهُ عليه وسلم بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ قالَ أَنَسٌ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِثْلُهُ وَكانَ فِيما ذَكَرَهُ المُحَقِّقُونَ مَجْبُولاً عَلَيْها في أَصْلِ خِلْقَتِهِ وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ باكْتِسابٍ وَلا رِياضَةٍ الاَّ بِجُودٍ الهِيٍّ وخُصُوصِيَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ وهكَذَا لِسائِرِ الأَنْبِياءِ ومَنْ طالَعَ سِيَرَهُمْ مُنْذُ صِباهُمْ الى مَبْعَثِهِمْ حَقَّقَ ذَلكَ كما عُرِفَ مِنْ حالِ عِيسٰي ومُوسٰي وَيَحْيٰي وسُلَيْمانَ وغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بَلْ غُرِزَتْ فِيهِمْ هٰذِهِ الأَخْلاقُ في الجِبِلَّةِ وأُودِعُوا العِلْمَ والحِكْمَةَ في الفِطْرَةِ قالَ اللهُ تَعالى وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا قالَ المُفَسِّرُونَ أَعْطَى اللهُ يَحْيٰي العِلْمَ بِكِتابِ اللهِ تَعالي في حالِ صِباهُ وقالَ مَعْمَرٌ كانَ ابْنَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ فَقالَ لَهُ الصِّبْيانُ لِمَ لا تَلْعَبُ فَقالَ أَلِلَّعِبِ خُلِقْتُ وَقِيلَ في قَوْلِهِ تَعالي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ صَدَّقَ يَحْيٰي بِعِيسٰى وهُوَ ابْنُ ثَلاثِ سِنِينَ فَشَهِدَ لَهُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ وقِيلَ صَدَّقَهُ وهُوَ في بَطْنِ أُمِّهِ فَكانَتْ أُمُّ يَحْيٰي تَقُولُ لِمَرْيَمَ انِّي أَجِدُ ما في بَطْنِي يَسْجُدُ لِما في بَطْنِكِ تَحِيَّةً لَهُ وقَدْ نَصَّ اللهُ تَعالي على كَلامِ عِيسٰي لِأُمِّهِ عِنْدَ وِلادَتِها اِيَّاهُ بِقَوْلِهِ لَها لا تَحْزَنِي على قِراءَةِ مَنْ قَرَأَ مَنْ تَحْتَها وعلى قَوْلِ مَنْ قالَ انَّ المُنادِيَ عِيسٰي ونَصَّ على كَلامِهِ في مَهْدِهِ فَقالَ انِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وجَعَلَنِي نَبِيًّا وقالَ تَعالى فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلاًّ

آتينا حُكماً وعِلماً وقدْ ذُكِرَ مِنْ حُكمِ سُليمانَ وهُوَ صَبيٌّ يلعبُ في قَضيةِ المَرجُومةِ وفي قِصةِ الصَّبِيِّ ما اقتَدي بِهِ داوُدُ أبُوهُ وقالَ الطَّبَرِيُّ إنَّ عُمْرَهُ حِينَ اُوتِيَ المُلكَ اثنا عَشَرَ عاماً وكَذلِكَ قِصَّةُ مُوسى مَعَ فِرعَونَ وأخذهُ بِلحيَتِهِ وهُوَ طِفلٌ وقالَ المُفَسِّرُونَ في قولِهِ تعالى ولقدْ آتينا ابْراهِيمَ رُشدَهُ منْ قبلُ أيْ هَدَيناهُ صغيرًا قالَهُ مُجاهِدٌ وغَيرُهُ وقالَ ابنُ عطاءِ اصطَفاهُ قَبلَ ابْداءِ خلقِهِ وقالَ بَعضُهُمْ لمَّا وُلِدَ ابرَاهِيمُ عليهِ السلامُ بَعثَ اللهُ تعالى الَيهِ مَلَكاً يأمُرُهُ عَنِ اللهِ أنْ يَعرِفَهُ بِقَلبِهِ ويَذكُرَهُ بِلِسانِهِ فَقالَ قدْ فَعلْتُ ولمْ يَقُلْ أفعلُ فَذَلِكَ رُشدُهُ وقِيلَ انَّ إلقاءَ ابرَاهِيمَ عليهِ السلامُ في النَّارِ ومِحنَتَهُ كانَتْ وهُوَ ابنُ سِتَّ عشَرَةَ سَنَةً وانَّ ابتِلاءَ اسحاقَ بالذَّبحِ كانَ وهُوَ ابنُ سَبعِ سِنينَ وانَّ استِدلالَ ابرَاهِيمَ بالكَوكَبِ والقَمَرِ والشَّمسِ كانَ وهُوَ ابنُ خَمسَةَ عشَرَ شهرًا وقِيلَ أوحَي اللهُ تعالى الى يُوسُفَ وهُوَ صَبِيٌّ عِندَما هَمَّ اخوَتُهُ بالقائِهِ في الجُبِّ يَقُولُ اللهُ تعالي وأوحَينا الَيهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأمرِهِمْ هذا الآيَةَ الي غَيرِ ذَلِكَ مِما ذُكِرَ منْ أخبارِهِمْ وقدْ حَكَى أهلُ السِّيَرِ أنَّ آمِنَةَ بِنتَ وَهبٍ أخبَرَتْ أنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم وُلِدَ حِينَ وُلِدَ باسِطاً يَدَيهِ الي الأرضِ رافِعاً رأسَهُ الى السَّماءِ وقالَ في حَدِيثِهِ صلى اللهُ عليه وسلم لمَّا نَشَأتُ بُغِّضَتْ اليَّ الأوثانُ وبُغِّضَ اليَّ الشِّعرُ ولمْ أهُمَّ بِشَيءٍ مِمَّا كانَتِ الجاهِلِيَّةُ تَفعَلُهُ الاَّ مَرَّتَينِ فَعَصَمَني اللهُ مِنهُما ثُمَّ لمْ أعُدْ ثُمَّ يتَمَكَّنُ الأمرُ لَهُمْ وتَتَرادَفُ نَفَحاتُ اللهِ تعالى عَلَيهِمْ وتُشرِقُ أنوارُ المَعارِفِ في قُلوبِهِمْ حَتَّي يَصِلُوا الي الغايَةِ ويَبلُغُوا باصطِفاءِ اللهِ تعالي لَهُمْ بالنُّبُوَّةِ في تَحصِيلِ هذِهِ الخِصالِ الشَّرِيفَةِ النِّهايَةَ دُونَ مُمارَسَةٍ ولا رِياضَةٍ قالَ اللهُ تعالي ولَمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ

واستوي آتيناهُ حُكماً وعِلماً وقد نجدُ غيرَهُم يُطبَعُ على بعضِ هذهِ الأخلاقِ دُونَ جَميعِها ويُولَدُ عَلَيْها فيَسهُلُ عَلَيْهِ اكتِسابُ تَمامِها عِنايَةً من اللهِ تعالي كَما نُشاهِدُ مِنْ خلقِهِ بَعضَ الصِّبْيانِ على حُسْنِ السَّمْتِ أوِ الشَّهامَةِ أوْ صِدقِ اللِّسانِ أوِ السَّماحَةِ وكَما نَجِدُ بَعضَهُمْ على ضِدِّها فَبالِاكتِسابِ يَكمُلُ ناقِصُها وَبالرِّياضَةِ والمُجاهَدَةِ يُستَجلَبُ مَعدُومُها ويَعتَدِلُ مُنحَرِفُها وباختِلافِ هذَيْنِ الحالَيْنِ يَتفاوَتُ النّاسُ فِيها وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ ولِهذا ما قدِاختَلَفَ السَّلَفُ فِيها هَلْ هذا الخُلُقُ جِبِلَّةٌ أوْ مُكتَسبَةٌ وحَكي الطَّبَريُّ عَنْ بَعضِ السَّلَفِ أنَّ الخُلُقَ الحَسَنَ جِبِلَّةٌ وغَريزَةٌ في العَبدِ وحَكاهُ عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ والحَسَنِ وَبِهِ قالَ هُوَ والصَّحيحُ ما أصَّلْناهُ وقدروي سَعدٌ عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ كُلُّ الخِلالِ يُطبَعُ عَلَيْها المُؤْمِنُ الّا الخِيانَةَ والكَذِبَ وقالَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في حَديثِهِ والجُرأَةُ والجُبْنُ غَرائِزُ يَضَعُهُما اللهُ حَيْثُ يَشاءُ وَهذِهِ الأخلاقُ المَحمُودَةُ والخِصالُ الجَميلَةُ الشَّريفَةُ كَثيرَةٌ ولكِنّا نَذكُرُ أُصُولَها ونُشيرُ الي جَميعِها ونُحَقِّقُ وَصفَهُ صلى اللهُ عليه وسلم بِها ان شاءَ اللهُ

﴿ فصلٌ ﴾ أمّا أصلُ فُرُوعِها وعُنصُرُ يَنابِيعِها ونُقطَةُ دائِرَتِها فالعَقلُ الذي مِنهُ يَنبَعِثُ العِلمُ والمَعرِفَةُ ويَتفَرَّعُ مِنْ هذا ثُقُوبُ الرَّأيِ وَجَودَةُ الفِطنَةِ والإِصابَةُ وَصِدقُ الظَّنِّ والنَّظَرُ لِلعَواقِبِ ومَصالِحُ النَّفسِ ومُجاهَدَةُ الشَّهوَةِ وحُسْنُ السِّياسَةِ والتَّدبِيرِ واقتِناءُ الفَضائِلِ وتَجَنُّبُ الرَّذائِلِ وقَدْ أشَرنا الي مَكانِهِ مِنهُ صلى اللهُ عليه وسلم وبُلُوغِهِ مِنهُ ومِنَ العِلمِ الغايَةَ القُصوَى الّتي لَمْ يَبلُغْها بَشَرٌ سِواهُ واذْ جَلالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذلِكَ ومِمّا تَفَرَّعَ مِنهُ مُتَحَقِّقَةٌ

عِنْدَ مَنْ تَتَبَّعَ مَجارِيَ أحْوَالِهِ واطِّرَادَ سِيَرِهِ وطالَعَ جوَامِعَ كَلَامِهِ وحُسْنَ شَمائِلِهِ وبَدَائِعَ سِيَرِهِ وحِكَمَ حَدِيثِهِ وعِلْمَهُ بِمَا في التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وحِكَمِ الحُكَماء وسِيَرِ الأُمَمِ الخالِيَةِ وأَيَّامِها وضَرْبِ الأَمْثالِ وسِياساتِ الأَنامِ وتَقْرِيرِ الشَّرائِعِ وتَأْصِيلِ الآدابِ النَّفِيسَةِ والشِّيَمِ الحَمِيدَةِ الي فُنُونِ العُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُها كَلَامَهُ صلى اللهُ عليه وسلم فِيها قُدْوَةً واشارَاتِهِ حُجَّةً كالعِبارَةِ والطِّبِّ والحِسابِ والفَرائِضِ والنَّسَبِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَنُبَيِّنُهُ في مُعْجِزَاتِهِ انْ شاءَ اللهُ تعالي دُونَ تَعْلِيمٍ ولا مُدارَسَةٍ ولا مُطالَعَةِ كُتُبِ مَنْ تَقَدَّمَ ولا الجُلُوسِ الي عُلَمائِهِمْ بلْ نَبِيٌّ أُمِّيٌّ لمْ يُعْرَفْ بِشَيْءٍ منْ ذَلِكَ حتَّي شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وأبانَ أمْرَهُ وعَلَّمَهُ وأَقْرَأَهُ يُعْلَم ذَلِكَ بالمطالَعَةِ والبَحْثِ عَنْ حالِهِ ضَرُورَةً وبالبُرْهانِ القاطِعِ على نُبُوَّتِهِ نَظَرًا فَلا نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الأَقاصِيصِ وَآحادِ القَضايا اذْ مَجْمُوعُها مالاَ يَأْخُذُهُ حَصْرٌ ولاَ يُحِيطُ بِهِ حِفْظٌ جامِعٌ وَبِحَسَبِ عَقْلِهِ كانَتْ مَعارِفُهُ صلى الله عليه وسلم الي سائِرِ ما علَّمَهُ اللهُ تعالي وأطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ ما يَكُونُ وما كانَ وعَجائِبِ قُدْرَتِهِ وعَظِيمِ مَلَكُوتِهِ قالَ اللهُ تعالي وعَلَّمَكَ مالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً حارَتِ العُقُولُ في تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وخَرِسَتِ الأَلْسُنُ دُونَ وَصْفٍ يُحِيطُ بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي الَيْهِ

﴿ فَصلٌ ﴾ وأَمَّا الحِلْمُ والاِحْتِمالُ والعَفْوُ مَعَ القُدْرَةِ والصَّبْرُ على ما يُكْرَهُ وَبَيْنَ هٰذِهِ الأَلْقابِ فَرْقٌ فإِنَّ الحِلْمَ حالَةُ تَوَقُّرٍ وثَباتٍ عِنْدَ الأَسْبابِ المُحَرِّكاتِ والاِحْتِمالَ حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الآلامِ والمُؤْذِياتِ ومِثْلُها الصَّبْرُ ومَعانِيها مُتَقارِبَةٌ وأَمَّا العَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ المُؤَاخَذَةِ وهٰذا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللهُ تعالي بِهِ

نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم فقالَ تعالى خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ الآيَةَ رُوِيَ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هذِهِ الآيَةُ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ تأْوِيلِها فقالَ لَهُ حَتّى أسْأَلَ العالِمَ ثُمَّ ذَهَبَ فأَتاهُ فقالَ يا مُحَمَّدُ انَّ اللهَ يأْمُرُكَ أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وقالَ لَهُ واصْبِرْ على ما أصابَكَ الآيَةَ وقالَ تعالى فاصْبِرْ كما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وقال وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا الآيَةَ وقال تعالى ولَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ انَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الامُورِ ولا خَفاءَ بِما يُؤْثَرُ مِنْ حِلْمِهِ واحْتِمالِهِ وأنَّ كُلَّ حَليمٍ قَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ وحُفِظَتْ عَنْهُ هَفْوَةٌ وهوَ صلى اللهُ عليه وسلم لا يَزِيدُ مَعَ كَثْرَةِ الأَذَى الّا صَبْرًا وعلى اسْرافِ الجاهِلِ الّا حِلْماً * حدثنا القاضي أبو عبدِ اللهِ محمدُ بْنُ عَلِيٍّ التَغْلَبِيُّ وغَيْرُهُ قالوا حدثنا محمدُ بنُ عَتَّابٍ حدثنا أبو بَكْرِ بنُ واقِدٍ القاضي وغَيْرُهُ حدثنا أبو عيسى حدثنا عُبَيْدُ اللهِ حدثنا يَحْيَى بنُ يَحْيَى حدثنا مالِكٌ عن ابنِ شِهابٍ عن عُرْوَةَ عن عائِشَةَ رضِيَ الله عنها قالَتْ ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في أمْرَينِ قَطُّ الّا اخْتارَ أيْسَرَهُما مالَمْ يَكُنْ إثْماً فإنْ كانَ إثْماً كانَ أبْعَدَ النّاسِ مِنْهُ وما انْتَقَمَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم لِنَفْسِهِ الّا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ تعالى فَيَنْتَقِمُ لِلهِ بِها ورُوِيَ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا كُسِرَتْ رَباعِيَتُهُ وشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ احُدٍ شَقَّ ذَلِكَ على أصْحابِهِ شَقًّا شَدِيدًا وقالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فقال إنّي لَمْ أُبْعَثْ لَعّاناً ولَكِنّي بُعِثْتُ داعِياً ورَحْمَةً اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ورُوِيَ عنْ عُمَرَ رضِيَ الله عنه أنَّهُ قالَ في بَعْضِ كَلامِهِ بِأَبِي أنْتَ وأُمِّي يارسولَ اللهِ لَقَدْ دَعا نُوحٌ على قَوْمِهِ فقالَ رَبِّ

لا تذرْ على الأرضِ مِنَ الكافِرِينَ ديَّارًا ولوْ دعوْتَ علَينا مِثلَها لهلَكنا مِنْ عِندِ آخرِنا فَلَقَدْ وُطِئَ ظَهْرُكَ وأُدْمِيَ وَجهُكَ وَكُسِرَتْ رَباعِيَتُكَ فَأَبَيْتَ أنْ تَقُولَ الّا خيرًا فَقُلْتَ اللّهُمَّ اغفِرْ لِقَوْمِي فإِنّهمْ لا يَعلَمُونَ قالَ القاضي أبو الفضلِ وَفَّقَهُ اللهُ انْظُرْ ما في هٰذا القَوْلِ مِنْ جِماعِ الفَضْلِ ودَرَجاتِ الإِحْسانِ وحُسْنِ الخُلُقِ وكَرَمِ النفْسِ وغايَةِ الصَّبْرِ والحِلْمِ اذ لم يَقْتَصِرْ صلى الله عليه وسلم على السُّكُوتِ عَنْهُمْ حَتّي عفا عَنْهُمْ ثمَّ أَشفَقَ عَلَيْهِمْ ورَحِمَهُمْ ودَعا وشَفَعَ لَهُمْ فقالَ اغفِرْ أوِ اهْدِ ثُمَّ أظهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ لِقَوْمِي ثُمَّ اعتَذَرَ عَنْهُمْ بجَهْلِهِمْ فقالَ فإِنّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ولمّا قالَ لَهُ الرَّجُلُ اعْدِلْ فإِنَّ هٰذِهِ قِسمَةٌ ما أُرِيدَ بِها وَجهُ اللهِ لَمْ يَزِدْهُ في جَوَابِهِ أنْ بَيَّنَ لَهُ ما جَهِلَهُ ووَعَظَ نَفْسَهُ وذَكَّرَها بِما قالَ لَهُ فقالَ وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ انْ لَمْ أعْدِلْ خِبْتُ وخَسِرْتُ انْ لَمْ أعْدِلْ ونَهَى مَنْ أرادَ مِنْ أصْحابِهِ قَتْلَهُ ولمّا تَصَدّى لَهُ غَوْرَثُ بنُ الحارِثِ لِيَفْتِكَ بِهِ ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُنْتَبِذٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قائِلاً والنّاسُ قائِلُونَ في غَزاةٍ فَلَمْ يَنْتَبِهْ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم الّا وهوَ قائِمٌ والسّيْفُ صَلْتًا في يَدِهِ فقال مَنْ يَمنَعُكَ مِنّي فقالَ اللهُ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فأَخَذَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وقالَ مَنْ يَمنَعُكَ مِنّي قالَ كُنْ خَيْرَ آخِذٍ فَتَرَكَهُ وعَفا عَنْهُ فَجاءَ الى قَوْمِهِ فقالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِندِ خَيْرِ النّاسِ * ومِنْ عظِيمِ خَبَرِهِ في العفوِ عَفْوُهُ عَنِ اليَهُودِيّةِ الّتي سَمَّتْهُ في الشّاةِ بَعْدَ اعتِرافِها على الصَّحِيحِ مِنَ الرّوايَةِ وأنّهُ لَمْ يُؤاخِذْ لَبِيدَ بنَ الأَعصَمِ إِذْ سَحَرَهُ وقَدْ أُعْلِمَ بِهِ وأُوحِيَ اليهِ بِشَرْحِ أمرِهِ ولا عَتَبَ عليهِ فَضْلًا عَنْ مُعاقَبَتِهِ وكَذَلِكَ

لَمْ يُؤاخِذْ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وأشْباهَهُ مِنَ المنافِقِينَ بِعَظِيمِ ما نُقِلَ عنْهُمْ في جِهَتِهِ قَوْلًا وفِعْلًا بَلْ قالَ لِمَنْ أشارَ بِقَتْلِ بعضِهِمْ لا لِئَلَّا يَتَحَدَّثَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحابَهُ وعَنْ أنَس رضيَ اللهُ عَنْهُ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم وعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظُ الحاشِيَةِ فَجَبَذَهُ أعْرابِيٌّ بِردائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتّى أَثَّرَتْ حاشِيَةُ البُرْدِ في صَفْحَةِ عاتِقِهِ ثُمَّ قالَ يا محمدُ احْمِلْ لِي على بَعِيرَيَّ هٰذَيْنِ مِنْ مالِ اللهِ الذي عِنْدَكَ فانَّكَ لا تَحْمِلُ لِي مِنْ مالِكَ ولا مِنْ مالِ أبِيكَ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قال المَالُ مالُ اللهِ وأنا عَبْدُهُ ثُمَّ قال ويُقادُ مِنْكَ يا أعْرابِيُّ ما فَعَلْتَ بِي قال لا قال لِمَ قال لِانَّكَ لا تُكافِئُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ثُمَّ أمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ على بَعِيرٍ شَعِيرٌ وعلى الآخَرِ تَمْرٌ قالَتْ عائِشَةُ رضي الله عنها ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَها قَطُّ ما لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحارِمِ اللهِ وما ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ الا أنْ يُجاهِدَ في سَبِيلِ اللهِ وما ضَرَبَ خادِماً ولا امْرَأَةً وَجِيءَ الَيْهِ بِرَجُلٍ فَقِيلَ هٰذا أرادَ أنْ يَقْتُلَكَ فقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لَنْ تُراعَ لَنْ تُراعَ ولوْ أرَدْتَ ذَلِكَ لمْ تُسَلَّطْ عَلَيَّ وجاءَهُ زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ قَبْلَ إسْلامِهِ يَتَقاضاهُ دَيْنًا عَلَيْهِ فَجَبَذَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ وأخَذَ بِمَجامِعِ ثِيابِهِ وأغْلَظَ لَهُ ثُمَّ قالَ انَّكُمْ يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ مُطُلٌ فانْتَهَرَهُ عُمَرُ وشَدَّدَ لَهُ في القَوْلِ والنَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يَتَبَسَّمُ فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم أنا وهوَ كُنّا الى غَيْرِ هَذا مِنْكَ أحْوَجَ يا عُمَرُ تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ القَضاءِ وتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقاضِي ثُمَّ قال لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أجَلِهِ ثَلاثٌ وأمَرَ عُمَرَ يَقْضِيهِ مالَهُ ويَزِيدُهُ عِشْرِينَ صاعاً لِما رَوَّعَهُ

فكانَ سَبَبَ إسلامِهِ وذلِكَ أنهُ كانَ يقولُ ما بَقِيَ مِنْ عَلاماتِ النُّبوَّةِ شَيْءٌ الا وقَدْ عرَفتُها في وَجْهِ محمَّدٍ الا اثنتَينِ لَمْ أخبرْهُما يَسبِقُ حِلمُهُ جَهْلَهُ ولا تَزيدُهُ شِدَّةُ الجَهلِ الّا حِلمًا فاختَبَرْتُهُ بِهذا فَوَجَدْتُهُ كما وُصِفَ والحَديثُ عَنْ حِلمِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وصَبرِهِ وعفوِهِ عِندَ المَقدِرَةِ أكثَرُ مِنْ أن نأتِيَ عليهِ وحَسْبُكَ ما ذكَرْناهُ مِمّا في الصَّحيحِ والمصنَّفاتِ الثابتَةِ الي ما بلَغَ متَواتِرًا مَبلَغَ اليَقينِ مِنْ صَبرِهِ على مُقاساةِ قُرَيش وأذَى الجاهِلِيَّةِ ومُصابرَةِ الشَّدائِدِ الصَّعْبَةِ مَعَهُمْ الى أنْ أظفَرَهُ اللهُ عَلَيهِمْ وحَكَّمَهُ فِيهِمْ وهُمْ لا يَشُكُّونَ في استِئْصالِ شأفَتِهِمْ وابادةِ خَضرائِهِمْ فَما زادَ على أنْ عفا وصَفَحَ وقالَ ما تَقولُونَ انّي فاعِلٌ بِكُمْ قالُوا خَيرًا أخٌ كَريمٌ وابنُ أخٍ كَريمٍ فقالَ أقولُ كما قالَ أخِي يُوسُفُ لا تَثرِيبَ عَلَيكُمُ الآيَةَ اذهَبُوا فَأنتُمُ الطُّلقاءُ وقال أنسٌ هَبَطَ ثمانُونَ رَجُلًا مِنَ التَّنعِيمِ صَلاةَ الصُّبحِ لِيَقتُلُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأُخِذُوا فأعتَقَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأنزَلَ اللهُ تعالى وهوَ الّذِي كَفَّ أيدِيَهُمْ عَنكُمْ الآيَةَ وقالَ لِأبِي سُفيانَ وقَدْ سِيقَ اليهِ بَعدَ أنْ جَلَبَ اليهِ الأحزابَ وقَتَلَ عَمَّهُ وأصحابَهُ ومَثَّلَ بِهِمْ فَعَفا عَنهُ ولاطَفَهُ في القَولِ وَيحَكَ يا أبا سُفيانَ ألَمْ يَأنِ لكَ أنْ تَعلَمَ أنْ لا إلَهَ الّا اللهُ قال بِأبِي أنتَ وامّي ما أحلَمَكَ وأوصَلَكَ وأكرَمَكَ وكانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أبعَدَ النّاسِ غَضَبًا وأسرَعَهُمْ رِضًى صلى اللهُ عليه وسلم

﴿ فصلٌ ﴾ وأمّا الجُودُ والكَرَمُ والسَّخاءُ والسَّماحَةُ ومَعانِيها مُتَقارِبَةٌ وقَد فَرَّقَ بَعضُهُمْ بَينَها بِفُرُوقٍ فَجَعَلُوا الكَرَمَ الإنفاقَ بِطِيبِ النفسِ فِيما

يعظم

يَعظُمُ خطَرُهُ ونفعُهُ وسمّوُهُ أيضاً جُرْأةً وهو ضِدُّ النَّذالَةِ والسَّماحةُ التجافِي عمّا يَستحقُّهُ المَرْءُ عِندَ غَيرِهِ بِطِيبِ نفْسٍ وهوَ ضِدُّ الشَّكاسَةِ والسَّخاءُ سُهُولَةُ الإِنفاقِ وتَجنُّبُ اكتِساب مالا يُحمَدُ وهوَ الجُودُ وهوَ ضِدُّ التَّقتِيرِ فكانَ صلى الله عليه وسلم لا يُوازَى في هذِهِ الأَخلاَقِ الكَريمَةِ ولا يُبارَي بِهذَا وصفَهُ كُلُّ مَنْ عرَفَهُ حدثنا القاضِي الشَّهيدُ أبو علِيّ الصَّدَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ حدثنا القاضِي أبو الوَلِيدِ الباجِيُّ حدَّثنا أبو ذرٍّ الهرَوِيُّ حدَّثنا أبو الهَيْثَمِ الكُشْمِيهَنِيُّ وأبو محمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ وأبو اسحٰقَ البَلْخِيُّ قالوا حدثنا أبو عَبْدِ اللهِ الفِرَبْرِيُّ حدثنا البُخارِيُّ حدثنا محمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حدثنا سفْيانُ عَنِ ابنِ المُنكَدِرِ سَمِعْتُ جابِرَ ابنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ ما سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ فقالَ لا وعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وسَهْلِ بْنِ سعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه مِثْلهُ وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما كانَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم أجْوَدَ النَّاسِ بالخَيْرِ وأجْوَدَ ما كانَ في شَهْرِ رَمَضانَ و كانَ اذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أجْوَدَ بالخَيْرِ منَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ وعَنْ أنسٍ أنَّ رَجُلاً سَألَهُ فَأعْطاهُ غَنماً بَيْنَ جبَلَيْنِ فرَجَعَ الى قوْمِهِ وقالَ أسلِمُوا فإنَّ محمَّدًا يُعْطِي عطاءَ مَنْ لاَ يَخْشى فاقَةً وأعْطِي غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً منَ الإبِلِ وأعْطِي صفْوَانَ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً وهذِهِ كانَتْ خُلُقَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ وقَدْ قالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ انَّكَ تَحمِلُ الكَلَّ وتَكسِبُ المَعْدُومَ ورَدَّ على هَوَازِنَ سَبايَاها وكانَتْ سِتَّةَ آلافٍ وأعطَى العبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ ما لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ وحُمِلَ الَيْهِ تِسعُونَ ألْفَ دِرْهَمٍ فوُضِعَتْ على حَصِيرٍ ثُمَّ قامَ الَيْها فقَسَمَها فما رَدَّ سائِلاً حتَّى فرَغَ مِنْها وجاءَهُ رَجُلٌ فسَألَهُ فقالَ ما عِندِي شَيْءٌ ولكِنِ ابْتَعْ علَيَّ فإذَا جاءَنا

شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ما كلَّفَكَ اللهُ ما لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَرِهَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ذَلِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ يا رَسُولَ اللهِ أَنْفِقْ ولا تَخْشَ مِنْ ذِي العَرْشِ اقلالاً فَتَبَسَّمَ صلى الله عليه وسلم وعُرِفَ البِشْرُ في وَجْهِهِ وقالَ بِهٰذَا أُمِرْتُ ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ وذُكِرَ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِقِناعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقاً وأَجْرِ زُغْبٍ يُرِيدُ قِثّاءً فَأَعْطانِي مِلْءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وذَهَباً قالَ أَنَسٌ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لا يَدَّخِرُ شَيْئاً لِغَدٍ والخَبَرُ بِجُودِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يَسأَلُهُ فاستَلَفَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم نِصْفَ وَسْقٍ فَجاءَ الرَّجُلُ يَتَقاضاهُ فَأَعْطاهُ وَسْقاً وقالَ نِصفُهُ قَضاءٌ ونِصفُهُ نائِلٌ

﴿ فصلٌ ﴾ وأَمَّا الشَّجاعَةُ والنَّجْدَةُ فالشَّجاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ الغَضَبِ وانْقِيادِها لِلْعَقْلِ والنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفسِ عِنْدَ اسْتِرْسالِها الى المَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُها دُونَ خَوْفٍ وَكانَ صلى الله عليه وسلم مِنْهُما بالمَكانِ الَّذِي لا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ المَواقِفَ الصَّعْبَةَ وفَرَّ الكُماةُ والأَبْطالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وهو ثابِتٌ لا يَبْرَحُ ومُقْبِلٌ لا يُدْبِرُ ولا يَتَزَحْزَحُ وما شُجاعٌ الاَّ وقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِواهُ حدثنا أبو عَلِيٍّ الجَيَّانِيُّ فِيما كَتَبَ لِي حدثنا القاضي سِراجٌ حدثنا أبو محمَّدٍ الأَصِيلِيُّ حدثنا أبو زَيْدٍ الفَقِيهُ حدثنا محمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حدثنا محمَّدُ بْنُ اسْماعِيلَ حدثنا ابنُ بَشَّارٍ حدثنا غُنْدَرٌ حدثنا شُعْبَةُ عَنْ أَبي اسْحاقَ سَمِعَ البَرَاءَ وسَأَلَهُ رَجُلٌ أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم قالَ لَكِنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفِرَّ ثُمَّ قالَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ على بَغْلَتِهِ البَيْضاءِ

وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروي اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الي العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الي العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم الي الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت

انْ نَجا وقَدْ كانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ افْتَدَى يَوْمَ بَدْرٍ عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلِفُها كُلَّ يَوْمٍ فَرْقاً مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْها فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنا أَقْتُلُكَ انْ شاءَ اللهُ فَلَمَّا رَآهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَدَّ أُبَيٌّ على فَرَسِهِ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فاعْتَرَضَهُ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هٰكَذَا أيْ خَلُوا طَرِيقَهُ وتَناوَلَ الحَرْبَةَ مِنَ الحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ فانْتَفَضَ بِها انْتِفاضَةً تَطايَرُوا عَنْهُ تَطايُرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ البَعِيرِ اذَا انْتَفَضَ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَطَعَنَهُ في عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْها عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا وَقِيلَ بَلْ كَسَرَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِهِ فَرَجَعَ الي قُرَيْشٍ يَقُولُ قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ وهُمْ يَقُولُونَ لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ فَقالَ لوْ كانَ مابِي بِجَمِيعِ النَّاسِ لَقَتَلَهُمْ أَلَيْسَ قَدْ قالَ أنا أَقْتُلُكَ واللهِ لوْ بَصَقَ علَيَّ لَقَتَلَنِي فَماتَ بِسَرِفَ في قُفُولِهِمْ الى مَكَّةَ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا الحَياءُ والإغضاءُ فالحَياءُ رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الإِنْسانِ عِنْدَ فِعْلِ ما يُتَوَقَّعُ كَرَاهِيَتُهُ أَوْ ما يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْرًا مِنْ فِعْلِهِ والإِغضاءُ التَّغافُلُ عَمَّا يَكْرَهُ الإِنْسانُ بِطَبِيعَتِهِ وكانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ النَّاسِ حَياءً وأَكْثَرَهُمْ عَنِ العَوْرَاتِ اغْضاءً قالَ اللهُ تعالي انّ ذَلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ الآيَةَ * حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّاب بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حدثنا أَبُو القاسِمِ حاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حدثنا أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ حدثنا أَبُو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ اسماعِيلَ حدثنا عَبْدَانُ حدثنا عَبْدُ اللهِ أَخْبَرَنا شُعْبَةُ عَنْ قَتادَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ مَوْلَي أَنَسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَياءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِها وكانَ

اذا كرِهَ شيئًا عرَفناه في وَجهِهِ وكانَ صلى اللهُ عليه وسلم لَطيفَ البَشَرةِ رَقيقَ الظَّاهِرِ لا يُشافِهُ أحدًا بِما يَكرَهُهُ حياءً وكَرَمَ نَفْسٍ وعن عائِشةَ رضى الله عنها كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اذا بَلَغَهُ عَنْ أحدٍ ما يَكرَهُهُ لَمْ يَقُلْ ما بالُ فُلانٍ يَقُولُ كَذَا ولكِنْ يَقُولُ ما بالُ أقوامٍ يَصنَعُونَ أوْ يَقُولُونَ كذا يَنْهَى عَنهُ ولا يُسَمِّي فاعِلَهُ ورَوَى أنَسٌ أنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِهِ أثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شيئًا وكانَ لا يُوَاجِهُ أحدًا بِما يَكرَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قالَ لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغسِلُ هٰذا وَيُرْوَى يَنْزِعُها قالَتْ عائِشَةُ رضيَ الله عنها في الصَّحيحِ لم يَكُنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَحَّاشًا ولا مُتَفَحِّشًا ولا سَخَّابًا في الأسْوَاقِ ولا يَجزِي بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ولٰكِنْ يَعفُو وَيَصفَحُ وقد حُكِيَ مِثلُ هٰذا الكَلامِ عَنِ التَّوراةِ مِنْ رِوايَةِ ابْنِ سَلامٍ وعَبدِ اللهِ ابْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ ورُوِيَ عَنْهُ أنَّهُ كانَ مِنْ حَيائِهِ لا يُثبِتُ بَصَرَهُ في وَجهِ أحدٍ وأنَّهُ كانَ يُكَنِّي عَمَّا اضطَرَّهُ الكلامُ اليهِ مِمَّا يَكرَهُ وعن عائشةَ رضيَ الله عنها ما رَأيتُ فَرْجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَطُّ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا حُسْنُ عِشْرَتِهِ وأدَبُهُ و بَسْطُ خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ أصنافِ الخَلْقِ فَبِحَيْثُ انتَشَرَتْ بِهِ الأخبارُ الصَّحيحَةُ قالَ عَلِيٌّ رضى الله عنهُ في وَصفِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ أوسَعَ النَّاسِ صَدرًا وأصدَقَ النَّاسِ لَهجَةً وألْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وأكرَمَهُمْ عِشرَةً * حدثنا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ الأنماطِيُّ فِيما أجازَنِيهِ وقَرَأْتُهُ على غَيرِهِ قال حدثنا أبو اسحٰقَ الحَبَّالُ حدثنا أبو محمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ حدثنا ابنُ الأعرابِيِّ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا هِشامُ بْنُ مَرْوانَ ومحمدُ بْنُ المُثَنَّى قالا حدثنا الوَليدُ

ابنُ مُسْلِمٍ حدثنا الأوزَاعِيُّ سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ حدثني مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ عنْ قَيْسِ بنِ سَعْدٍ قالَ زَارَنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وذَكَرَ قِصَّةً في آخرِها فلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَارًا وَطَّأَ عليْهِ بقَطِيفَةٍ فَرَكِبَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ثُمَّ قالَ سَعْدٌ يا قَيْسُ اصْحَبْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ قَيْسٌ فقال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ارْكَبْ فَأَبَيْتُ فقال إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ فانْصَرَفْتُ وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى ارْكَبْ أَمامِي فَصاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدَّمِها وكانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُؤَلِّفُهُمْ ولا يُنَفِّرُهُمْ وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ ولا خُلُقَهُ يَتَعَهَّدُ أَصْحابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسائِهِ نَصِيبَهُ لا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عليْهِ مِنْهُ مَنْ جالَسَهُ أَوْ قارَبَهُ لِحاجَةٍ صابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هوَ المُنْصَرِفَ عَنْهُ ومَنْ سَأَلَهُ حاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلَّا بِها أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وخُلُقُهُ فَصارَ لَهُمْ أَبًا وصارُوا عِنْدَهُ في الحَقِّ سَوَاءً بِهٰذَا وَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هالَةَ قالَ وكانَ دائِمَ البِشْرِ سَهْلَ الخُلُقِ لَيِّنَ الجانِبِ لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولا سَخَّابٍ ولا فَحَّاشٍ ولا عَيَّابٍ ولا مَدَّاحٍ يَتَغافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي ولا يُؤْيِسُ مِنْهُ وقال اللهُ تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وقال تعالى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الآيَةَ وكانَ يُجِيبُ مَنْ دَعاهُ وَيَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ولَوْ كانَتْ كُرَاعًا وَيُكافِئُ عَلَيْها قالَ أَنَسٌ رضي الله عَنْهُ خَدَمْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ فَما قالَ لي أُفٍّ قَطُّ وما

قالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ ولا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ وعن عائشة رضى الله عنها ما كانَ أحَدٌ أحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعاه أحَدٌ مِنْ أصْحابِهِ ولا أهْلِ بَيْتِهِ الّا قالَ لَبَّيْكَ وقالَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ما حَجَبَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَطُّ مُنْذُ أسْلَمْتُ ولا رَآنِي الّا تَبَسَّمَ وكانَ يُمازِحُ أصْحابَهُ وَيُخالِطُهُمْ وَيُحادِثُهُمْ وَيُداعِبُ صِبْيانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ في في حِجْرِهِ ويُجِيبُ دَعْوَةَ الحُرِّ والعَبْدِ والأمَةِ والمِسْكِينِ وَيَعُودُ المَرْضَى في أقْصَى المَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ المُعْتَذِرِ قالَ أنسٌ ما الْتَقَمَ أحَدٌ أُذُنَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيُنَحِّي رَأسَهُ حَتَّي يَكُونَ الرَّجُلُ هوَ الذي يُنَحِّي رَأسَهُ وما أخَذَ أحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتّي يُرْسِلَها الآخِذُ ولَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ وكانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بالسّلامِ وَيَبْدَأُ أصْحابَهُ بالمُصافَحَةِ لَمْ يُرَ قَطُّ مادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أصْحابِهِ حَتّي يُضَيِّقَ بِهِما على أحَدٍ يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ورُبَّما بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُهُ بالوِسادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ في الجُلُوسِ عَلَيْها إنْ أبَى وَيُكَنِّي أصْحابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأحَبِّ أسْمائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ ولا يَقْطَعُ على أحَدٍ حَدِيثَهُ حَتّي يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أوْ قِيامٍ وَيُرْوَى بانْتِهاءٍ أوْ قِيامٍ ورُوِيَ أنَّهُ كانَ لا يَجْلِسُ الَيْهِ أحَدٌ وهوَ يُصَلِّي الّا خَفَّفَ صَلاتَهُ وسَألَهُ عَنْ حاجَتِهِ فإذا فَرَغَ عادَ الى صَلاتِهِ وكانَ أكْثَرَ النّاسِ تَبَسُّماً وأطْيَبَهُمْ نَفْساً مالَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أوْ يَعِظْ أوْ يَخْطُبْ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الحارِثِ ما رَأيْتُ أحَدًا أكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعَنْ أنَسٍ كانَ خَدَمُ المَدِينَةِ يَأْتُونَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اذا صَلَّى الغَداةَ بِآنِيَتِهِمْ فِيها الماءُ فَما يُؤْتَى بِآنِيَةٍ

الّا غمَسَ يدَهُ فيها وربَّما كانَ ذَلِكَ في الغدَاةِ البارِدَةِ يُريدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا الشفَقَةُ والرَّأفَةُ والرَّحمَةُ لِجَميعِ الخَلْقِ فقَدْ قالَ اللهُ تعالى فِيهِ عَزيزٌ عَلَيْهِ ماعنِتُّمْ حريصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وقالَ تعالى وَما أرْسَلْناكَ الّا رَحمَةً لِلعالَمِينَ قال بَعْضُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ صلى الله عليه وسلم أنّ اللهَ تعالي أعطاهُ اسمَيْنِ مِنْ أسمائِهِ فقال بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وحَكَى نَحْوَهُ الإمامُ أبو بَكْرٍ بنُ فُورَكَ حدثنا الفَقِيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الخُشَنِيُّ بِقِراءَتِى عَلَيْهِ حدثنا إِمامُ الحَرَمَيْنِ أبو علِيٍّ الطَّبَرِيُّ حدثنا عبدُ الغافِرِ الفارِسِيُّ حدثنا أبو أحمَدَ الجُلُودِيُّ حدثنا ابراهِيمُ ابنُ سُفيانَ حدثنا مُسْلِمُ بنُ الحَجّاجِ حدثنا أبو الطّاهِرِ أنبأنا ابنُ وَهْبٍ أنبانا يُونُسُ عنِ ابنِ شِهابٍ قال غزَا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم غَزوَةً وذَكَرَ حُنَيْنًا قال فأَعطَى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَفْوانَ بنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً قال ابنُ شِهابٍ حدثنا سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ أنّ صَفْوانَ قالَ واللهِ لَقَدْ أعطانِي ما أعطانى وإِنّهُ لَأَبغَضُ الخَلْقِ اليّ فَما زَالَ يُعطِينِي حَتّي إنّهُ لَأَحَبُّ الخَلْقِ اليّ ورُوِىَ أنّ أعرابِيًّا جاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيئًا فأَعطاهُ ثُمَّ قالَ آحسَنْتُ الَيكَ قالَ الأَعْرابِيُّ لا ولا أجمَلْتَ فغَضِبَ المُسْلِمُونَ وقامُوا الَيهِ فأَشارَ الَيهِمْ أنْ كُفُّوا ثُمَّ قامَ ودَخَلَ مَنزِلَهُ وأرسَلَ الَيهِ صلى الله عليه وسلم وزَادَهُ شَيئًا ثُمَّ قالَ آحسَنْتُ الَيكَ قالَ نَعَمْ فجزاكَ اللهُ مِنْ أهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيرًا فقال لَهُ النبيُّ صلى الله علمه وسلم انّكَ قُلْتَ ما قُلْتَ وفي نَفْسِ أصحابِي مِنْ ذَلِكَ شئٌ فإِنْ أحبَبْتَ فقُلْ بَيْنَ أيدِيهِمْ ماقُلْتَ بَيْنَ يدَيَّ حَتّي يَذهَبَ ما في صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ قالَ نَعَمْ فلَمّا كانَ

الغدُ أوِ العشيُّ جاء فقالَ صلى اللهُ عليه وسلم انَّ هذا الأعرابيَّ قالَ ما قالَ فزدناهُ فزعمَ أنَّهُ رضيَ أكذلكَ قالَ نعمْ فجزاكَ اللهُ من أهلٍ وعشيرةٍ خيرًا فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم مثلي ومثلُ هذا مثلُ رجلٍ لهُ ناقةٌ شردتْ عليهِ فاتَّبعها الناسُ فلمْ يزيدوها الاَّ نفورًا فناداهمْ صاحبُها خلُّوا بيني وبينَ ناقتي فإنِّي أرفقُ بها منكمْ وأعلمُ فتوجَّهَ لها بينَ يديها فأخذَ لها منْ قُمامِ الأرضِ فردَّها حتَّى جاءتْ واستناختْ وشدَّ عليها رحلَها واستوى عليها وانِّي لوْ تركتكمْ حيثُ قالَ الرَّجلُ ما قالَ فقتلتموهُ دخلَ النَّارَ * وروِيَ عنهُ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لاَ يبلِّغني أحدٌ منكمْ عنْ أحدٍ منْ أصحابي شيئًا فإنِّي أُحِبُّ أنْ أخرُجَ اليكمْ وأنا سليمُ الصَّدرِ * ومنْ شفقتِهِ على أُمَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم تخفيفهُ وتسهيلُهُ عليهمْ وكراهتُهُ أشياءَ مخافةَ أنْ تُفرضَ عليهمْ كقولِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لولاَ أنْ أشقَّ على أُمَّتي لأمرتُهمْ بالسِّواكِ معَ كلِّ وضوءٍ وخبرُ صلاةِ الليلِ ونهيُهمْ عنِ الوصالِ وكراهتِهِ دخولَ الكعبةِ لئلاَّ تتعنَّتَ أُمَّتُهُ ورغبتِهِ لربِّهِ أنْ يجعلَ سبَّهُ ولعنَهُ لهمْ رحمةً بهمْ وأنَّهُ كانَ يسمعُ بكاءَ الصَّبيِّ فيتجوَّزُ في صلاتِهِ * ومنْ شفقتِهِ صلى الله عليه وسلم أنْ دعا ربَّهُ وعاهدَهُ فقالَ أيُّما رجلٍ سببتُهُ أوْ لعنتُهُ فاجعلْ ذلكَ لهُ زكاةً ورحمةً وصلاةً وطهورًا وقربةً تقرِّبُهُ بها اليكَ يومَ القيامةِ ولمَّا كذَّبهُ قومُهُ أتاهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقالَ لهُ انَّ اللهَ تعالى قدْ سمعَ قولَ قومِكَ لكَ وما ردُّوا عليكَ وقدْ أمرَ ملَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شئتَ فيهمْ فناداهُ ملَكُ الجبالِ وسلَّمَ عليهِ وقالَ مُرْني بما شئتَ انْ شئتَ أنْ أُطبِقَ عليهمُ الأخشبينِ قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بلْ

أرْجُو أنْ يُخرِجَ اللهُ منْ أصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ ولا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً
وَرَوَى ابْنُ المُنْكَدِرِ أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
ان اللهَ تَعالى أمَرَ السَّماءَ والأَرْضَ والجِبالَ أنْ تُطِيعَكَ فَقالَ أُؤَخِّرُ عَنْ أُمَّتِي
لَعَلَّ اللهَ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ
صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أمْرَيْنِ الاّ اخْتارَ أيْسَرَهُما قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظَةِ مَخافَةَ السَّآمَةِ
عَلَيْنا وعَنْ عائِشَةَ أنَّها رَكِبَتْ بَعِيرًا وفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقالَ رَسولُ
اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْكِ بالرِّفْقِ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا خُلُقُهُ صلى الله عليه وسلم في الوَفاءِ وحُسْنِ العَهْدِ وصِلَةِ
الرَّحِمِ فَحَدَّثَنا القاضِي أبو عامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ اسْماعِيلَ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ قالَ حدثنا
أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حدثنا أبو اسْحٰقَ الحَبَّالُ حدثنا أبو مُحَمَّدِ بْنُ النَّحَّاسِ
حدثنا ابْنُ الأَعْرابِيِّ حدثنا أبو داوُد حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيٰى حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ
سِنانٍ حدثنا ابْراهِيمُ بْنُ طَهْمانَ عَنْ بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ
شَقِيقٍ عَنْ أبِيهِ عنْ عبدِ اللهِ عَنْ أبِي الحَمْساءِ قالَ بايَعْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ
عليه وسلم بِبَيْعٍ قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ وبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أنْ آتِيَهُ بِها في مَكانِهِ
فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ فَجِئْتُ فإِذَا هو في مَكانِهِ فَقال يا فَتى لَقَدْ
شَقَقْتَ عَلَيَّ أنا هٰهُنا مُنْذُ ثَلاثٍ أنْتَظِرُكَ * وعَنْ أنَسٍ كانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه
وسلم اذَا أُتِيَ بِهَدِيَّةٍ قالَ اذْهَبُوا بِها الى بَيْتِ فُلانَةَ فإِنَّها كانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ
انَّها كانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ ما غِرْتُ على امْرَأَةٍ
ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ لِما كُنْتُ أسْمَعُهُ يَذْكُرُها وانْ كانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِيها

الى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لى بأولياء غير ان لهم رحما سأبلها ببلالها * وقد صلى عليه الصلاة والسلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها واذا قام فحملها وعن أبي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم * ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وعن عمرو بن السائب أن رسول صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة أبى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم

وتَقرِي الضَّيفَ وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا تَوَاضُعُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم على عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ فَكانَ أشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعاً وأعدَمَهُمْ كِبْرًا وحَسْبُكَ أنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ أنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أوْ نَبِيًّا عَبْدًا فاخْتارَ أنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا فَقالَ لَهُ اسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ فانَّ اللهَ قَدْ أعطاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ وأوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأرْضُ عنهُ وأوَّلُ شافِعٍ * حدثنا أبو الوَليدِ بْنُ العَوَّادِ الفَقِيهُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ في مَنْزِلِهِ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِمِائَةٍ قالَ حدثنا أبو عَلِيٍّ الحافِظُ حدثنا أبو عُمَرَ حدثنا ابْنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ حدثنا ابنُ دَاسَةَ حدثنا أبو دَاوُدَ حدثنا أبو بَكْرِ بنُ أبِي شَيْبَةَ حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ أبِي العَنْبَسِ عَنْ أبِي العَدَبَّسِ عَنْ أبِي مَرْزُوقٍ عَنْ أبِي غالِبٍ عَنْ أبِي أُمامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ خَرَجَ عَلَيْنا رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُتَوَكِّئاً على عَصاً فَقُمْنا لَهُ فَقالَ لا تَقُومُوا كما تَقُومُ الأعاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وقالَ إنَّما أنا عَبْدٌ آكُلُ كما يَأْكُلُ العَبْدُ وأجْلِسُ كما يَجْلِسُ العَبْدُ وكانَ صلى اللهُ عليه وسلم يَرْكَبُ الحِمارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَعُودُ المَساكِينَ وَيُجالِسُ الفُقَرَاءَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ العَبْدِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ أصْحابِهِ مُخْتَلِطاً بِهِمْ حَيْثُما انْتَهَى بِهِ المَجْلِسُ جَلَسَ وفي حَدِيثِ عُمَرَ عَنْهُ صلى اللهُ عليه وسلم لاَ تُطْرُونِي كما أطْرَتِ النَّصارَى ابْنَ مَرْيَمَ انَّما أنا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسولُهُ وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ امْرَأَةً كانَ في عَقْلِها شَيْءٌ جاءَتْهُ فَقالَتْ انَّ لِي الَيْكَ حاجَةً قالَ اجْلِسِي يا أُمَّ فلانَ في أيِّ طُرُقِ المَدِينَةِ

شِئْتِ أجلِسْ الَيْكِ حَتَّى أقْضِيَ حاجَتَكِ قالَ فجلَسَتْ فجلَسَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم اليْها حَتَّي فَرَغَتْ مِنْ حاجَتِها قالَ أنَسٌ كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَرْكَبُ الحِمارَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ العَبْدِ وكانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ على حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكافٌ قالَ وكانَ يُدْعَى الي خُبْزِ الشَّعِيرِ والإِهالَةِ السَّنِخَةِ فَيُجِيبُ قال وحَجَّ صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ وعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ ما تُساوِي أرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فقال اللهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا لا رِياءَ فِيهِ ولا سُمْعَةَ هذَا وقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ وأهْدَى في حَجِّهِ ذَلِكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ ولَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ ودَخلَها بِجُيُوشِ المُسْلِمِينَ طَأْطَأَ على رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّي كادَ يَمَسُّ قادِمَتَهُ تَوَاضُعًا لِلّهِ تعالى * ومِنْ تَوَاضُعِهِ صلى الله عليه وسلم قوْلُهُ لا تُفَضِّلُونِي على يُونُسَ بن مَتَّى ولا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِياءِ ولا تُخَيِّرُونِي على مُوسَي ونَحْنُ أحَقُّ بالشَّكِّ مِنِ ابْرَاهِيمَ ولَوْ لَبِثْتُ ما لَبِثَ يُوسُفُ في السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ وقال لِلَّذِي قالَ لَهُ يا خَيْرَ البَرِيَّةِ ذَاكَ ابْرَاهِيمُ وسَيأْتِي الكَلامُ على هذِهِ الأَحادِيثِ بَعْدَ هذَا انْ شاءَ اللهُ تعالي * وعنْ عائِشَةَ والحَسَنِ وأبِي سَعِيدٍ وغَيْرِهِمْ في صِفَتِهِ وبَعْضُهُمْ يَزِيدُ على بَعْضٍ كانَ في بَيْتِهِ في مِهْنَةِ أهْلِهِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلِبُ شاتَهُ ويَرْقَعُ ثَوْبَهُ ويَخْصِفُ نَعْلَهُ ويَخْدِمُ نَفْسَهُ ويَقُمُّ البَيْتَ ويَعْقِلُ البَعِيرَ ويَعْلِفُ ناضِحَهُ ويأْكُلُ مَعَ الخَادِمِ ويَعْجِنُ مَعَها ويَحْمِلُ بِضاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ * وعنْ أنَسٍ رضيَ الله عنْهُ انْ كانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِماءِ أهْلِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بيَدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شاءتْ حَتَّى تَقْضِيَ حاجَتَها ودخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَأَصابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ فقالَ لَهُ هَوِّنْ

عَلَيْكَ فإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ انما أنا ابْنُ امرأةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تأْكُلُ القَدِيدَ وعن أبِي هُرَيرَةَ رضيَ الله عنهُ دَخَلْتُ السوقَ مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فاشترَى سَرَاوِيلَ وقالَ لِلوَزَّانِ زِنْ وأرْجِحْ وذَكَرَ القِصَّةَ قالَ فوَثَبَ الى يَدِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم يُقَبِّلُها فَجَذَبَ يَدَهُ وقالَ هٰذَا تَفعَلُهُ الأعاجِمُ بِمُلُوكِها وَلَسْتُ بِمَلِكٍ انما أنا رَجُلٌ مِنكُمْ ثُمَّ أخَذَ السَّرَاوِيلَ فَذَهَبْتُ لِأحْمِلَهُ فقال صاحِبُ الشَّيْءِ أحقُّ بِشَيْئِهِ أنْ يَحْمِلَهُ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا عَدْلُهُ صلى الله عليه وسلم وأمانَتُهُ وعِفَّتُهُ وصِدْقُ لَهْجَتِهِ فَكانَ صلى اللهُ عليه وسلم آمَنَ النّاسِ وأعْدَلَ النّاسِ وأعَفَّ النّاسِ وأصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كانَ اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحادُّوهُ وعِدَاهُ وكانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الأمِينَ قالَ ابنُ اسحٰقَ كانَ يُسَمَّي الأمِينَ بِما جَمَعَ اللهُ فيهِ مِنَ الأخْلاقِ الصَّالِحَةِ وقالَ تعالى مُطاعٍ ثَمَّ أمِينٍ أكْثَرُ المُفَسِّرينَ على أنَّهُ مُحمَّدٌ صلى اللهُ عليه وسلم ولَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وتَحازَبَتْ عِنْدَ بِناءِ الكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الحَجَرَ حَكَّمُوا أوَّلَ داخِلٍ عَلَيْهِمْ فاذَا بِالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم داخِلٌ وذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فقالُوا هٰذَا مُحمَّدٌ هٰذَا الأمِينُ قَدْ رَضِينا بِهِ وعنِ الرَّبِيعِ بنِ خُثَيْمٍ كانَ يُتَحاكَمُ الى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في الجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الإسْلامِ وقال صلى الله عليه وسلم واللهِ إنِّي لَأمِينٌ في السَّماءِ أمِينٌ في الأرْضِ * حدثنا أبو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حدثنا أبو الفَضْلِ بنُ خَيْرُونٍ حدثنا أبو يَعْلَى بنُ زَوْجِ الحُرَّةِ حدثنا أبو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حدثنا مُحمَّدُ بنُ مَحْبُوبٍ المَرْوَزِيُّ حدثنا أبو عِيسٰى الحَافِظُ حدثنا أبو كُرَيْبٍ حدّثنا مُعاوِيَةُ بْنُ هِشامٍ عن سُفْيانَ

عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق هو أم كاذب فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتي اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل قالت عائشة رضي الله عنها ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثماً فان كان اثماً كان أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله

وجُزْأً لِنَفسِهِ ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَينَ النّاسِ فَكانَ يَستَعِينُ بالخاصَّةِ على العامَّةِ ويَقُولُ أَبْلِغُوا حاجَةَ مَنْ لا يَستَطِيعُ إبلاغِي فإنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حاجَةَ مَنْ لا يَستَطِيعُ إبلاغَها آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكبَرِ وعَنِ الحَسَنِ كانَ رسولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم لا يَأْخُذُ أحدًا بِقَرْفِ أحَدٍ ولا يُصَدِّقُ أحَدًا على أحَدٍ وذَكَرَ أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ عن عَلِيٍّ رضي اللهُ عنهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ما هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمّا كانَ أهْلُ الجاهِلِيَّةِ يَعمَلُونَ بِهِ غَيرَ مَرَّتَينِ كُلٌّ ذلِكَ يَحُولُ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ ما أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ما هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّي أَكرَمَنِي اللهُ بِرِسالَتِهِ قُلْتُ لَيلَةً لِغُلامٍ كانَ يَرْعَى مَعِي لَوْ أَبْصَرْتَ لي غَنَمِي حَتّي أدخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِها كما يَسمُرُ الشَّبابُ فَخَرَجْتُ لِذلِكَ حَتّي جِئْتُ أَوَّلَ دارٍ مِنْ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالدُّفُوفِ والمَزامِيرِ لِعُرْسِ بَعْضِهِمْ فَجَلَسْتُ أنظُرُ فَضُرِبَ على أُذُنِي فَنِمْتُ فَما أَيقَظَنِي الّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ ولَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ عَرانِي مَرَّةً أُخرَي مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ أَهُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا وَقارُهُ صلى الله عليه وسلم وصَمْتُهُ وتُؤْدَتُهُ ومُرُوءَتُهُ وحُسْنُ هَدْيِهِ فَحَدَّثَنا أبو عَلِيٍّ الجَيّانِيُّ الحافِظُ إجازَةً وعارَضْتُ بِكِتابِهِ قال حدثنا أبو العَبّاسِ الدِّلائِيُّ أخبَرَنا أبو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ أخبَرَنا أبو عبدِ اللهِ الوَرّاقُ حدثنا اللُّؤْلُؤِيُّ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ سَلّامٍ حدثنا الحَجّاجُ بْنُ مُحَمَّد عن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ أبِي الزِّنادِ عن عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ بْنِ وُهَيبٍ سَمِعْتُ خارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ كانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أَوْقَرَ النّاسِ في مَجْلِسِهِ لا يَكادُ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرافِهِ ورَوَى أبو

سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اذا جَلَسَ في المَجْلِسِ احتَبى بِيَدَيْهِ وَكَذلِكَ كانَ أكْثَرُ جلُوسِهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُحْتَبِياً وعَنْ جابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أنَّهُ تَرَبَّعَ وَرُبَّما جلَسَ القُرْفُصاء وهوَ في حَديث قَيْلَةَ وَكانَ كَثِيرَ السُّكُوتِ لا يَتَكَلَّمُ في غَيْرِ حاجَةٍ يُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَميل وكانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّماً وكَلامُهُ فَصْلاً لاَ فُضُولَ ولاَتَقْصيرَ وَكانَ ضَحِكُ أصْحابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ تَوْقيرًا لَهُ واقْتِداءً بِهِ مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وحَياء وخَيْرٍ وأمانَةٍ لا تُرْفَعُ فِيهِ الأصْوَاتُ ولاَتُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ اذا تَكَلَّمَ أطْرَقَ جُلَساؤُهُ كأنَّما على رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ وفي صِفَتِهِ يَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشي هَوْناً كأنَّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ وفي الحَديثِ الآخَرِ اذا مَشي مَشى مُجْتَمِعاً يُعْرَفُ في مِشْيَتِهِ أنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ ولاَ وَ كِلٍ أيْ غَيْرُ ضَجِرٍ وَلاَ كَسْلاَنَ وقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ انَّ أحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وعنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما كانَ في كَلاَمِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَرْتيل أوْ تَرْسِيلٌ قالَ ابْنُ أبي هالَةَ كانَ سُكُوتُهُ على أرْبَعٍ على الحِلْمِ والحَذَرِ والتَّقْديرِ والتَّفَكُّرِ قالَتْ عائِشَةُ كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يُحَدِّثُ حَديثاً لوْ عَدَّهُ العادُّ أحْصاهُ وَكانَ صلى اللهُ عليه وسلم يُحِبُّ الطِّيبَ والرَّائِحَةَ الحَسَنَةَ وَيَسْتَعْمِلُهُما كَثِيرًا وَيَحُضُّ عَلَيْهِما وَيَقُولُ حُبِّبَ اليَّ مِنْ دُنْيا كُمُ النِّساء وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ ومِنْ مُرُوءَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم نَهْيُهُ عنِ النَّفْخِ في الطَّعامِ والشَّرابِ والأمْرُ بالأكْلِ مِمَّا يَلِي والأمْرُ بالسِّوَاكِ وانْقاء البَراجِمِ والرَّوَاجِبِ واسْتِعْمالِ خِصالِ الفِطْرَةِ

﴿ فَصلٌ ﴾ وأمَّا زُهْدُهُ في الدُّنْيا فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الأخْبارِ أثْناء هٰذِهِ السِّيرَةِ

ما يَكْفي وحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّلِهِ منها واعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِها وقَدْ سِيقَتْ اليه بِحَذَافِيرِها وتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتوحُها الى أنْ تُوُفِّيَ صلى اللهُ عليه وسلم ودِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيّ في نَفَقَةِ عِيالِهِ وهُوَ يَدْعُو ويَقُولُ اللّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً * حدَّثَنا سُفْيانُ بْنُ العاصي والحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ والقاضي أبو عَبْدِ اللهِ التَّمِيميُّ قالُوا حدثنا أحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قالَ حدَّثنا أبو العَبَّاسِ الرَّازِيُّ قال حدثنا أبو أحْمَدَ الجُلُودِيُّ حدثنا ابْنُ سُفْيانَ حدثنا أبو الحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ حدثنا أبو بَكْرِ بْنُ أبِي شَيْبَةَ حدثنا أبو مُعاوِيَةَ عَنِ الأعْمَشِ عَنْ ابْرَاهِيمَ عَنِ الأسْوَدِ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ ما شَبِعَ رَسولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم ثَلاثَةَ أيَّامٍ تِباعاً مِنْ خُبْزٍ حَتَّي مَضَي لِسَبِيلِهِ وفي رِوَايَةٍ أُخْرَي مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ ولوْ شاء لأعْطاهُ اللهُ مالاً يَخْطُرُ بِبالٍ وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى ما شَبِعَ آلُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّي لَقِيَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها ما تَرَكَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم دِينارًا ولاَ دِرْهَماً ولا شاةً ولاَ بَعِيرًا وَفي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الحارِثِ ما تَرَكَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم الاَّ سِلاَحَهُ وَبَغْلَتَهُ وأرْضاً جَعَلَها صَدَقَةً قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها ولَقَدْ ماتَ وما في بَيْتِي شَيْءٌ يأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ الاَّ شَطْرَ شَعِيرٍ في رَفٍّ لِي وقالَ لِي انّي عُرِضَ عَلَيَّ أنْ يُجْعَلَ لِي بَطْحاءُ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ لا يا رَبِّ أجُوعُ يَوْماً وأشْبَعُ يَوْماً فَأمَّا اليَوْمُ الذي أجُوعُ فيهِ فَأتَضَرَّعُ اليْكَ وأدْعُوكَ وأمَّا اليَوْمُ الَّذِي أشْبَعُ فيهِ فَأحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ وفي حَدِيث آخَرَ أنَّ جِبْرِيلَ نزَلَ عَلَيْهِ فقالَ لَهُ انَّ اللهَ تَعالى يُقْرِئُكَ السلاَمَ ويَقُولُ لكَ أتُحِبُّ أنْ أجْعَلَ هذِهِ الجِبالَ

ذَهَباً وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُما كُنتَ فَأَطْرَقَ ساعَةً ثُمَّ قالَ يا جِبْرِيلُ
انَّ الدُّنْيا دَارُ مَنْ لا دَارَ لَهُ ومالُ مَنْ لاَ مالَ لَهُ قَدْ يَجْمَعُها مَنْ لا عَقْلَ لَهُ فَقالَ
لَهُ جِبْرِيلُ ثَبَّتَكَ اللّٰهُ يا مُحَمَّدُ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها قالَتْ
انْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمْكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ نارًا انْ هوَ الاَّ التَّمْرُ والمَاءُ
وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ هَلَكَ رَسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم
ولَمْ يَشْبَعْ هُوَ وأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ وَعَنْ عائِشَةَ وأَبِي أُمامَةَ وابْنِ
عَبَّاسٍ نَحْوُهُ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كانَ رَسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلم يَبِيتُ
هوَ وأَهْلُهُ اللَّيالِيَ المُتَتابِعَةَ طاوِياً لا يَجِدُونَ عَشاءً وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ
قالَ ما أَكَلَ رَسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم على خُوانٍ ولاَ في سُكُرُّجَةٍ
ولا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ ولاَ رَأَى شاةً سَمِيطاً قَطُّ وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها
انَّما كانَ فِراشُهُ صلى الله عليه وسلم الَّذِي يَنامُ عَلَيْهِ أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ وعَنْ
حَفْصَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها قالَتْ كانَ فِراشُ رَسولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم في بَيْتِهِ
مِسْحاً نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ فَيَنامُ عَلَيْهِ فَثَنَيْناهُ لَهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ قالَ ما
فَرَشْتُمُو لِيَ اللَّيْلَةَ فَذَكَرْنا ذَلِكَ لَهُ فَقالَ رُدُّوهُ بِحالِهِ فانَّ وَطْأَتَهُ مَنَعَتْنِيَ
اللَّيْلَةَ صَلاتِي وَكانَ يَنامُ أَحْياناً على سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثِّرَ في
جَنْبِهِ وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها قالَتْ لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه
وسلم شِبَعاً قَطُّ وَلَم يَبُثَّ شَكْوَى الي أَحَدٍ وَكانَتِ الفاقَةُ أَحَبَّ الَيْهِ مِنَ
الغِنَي وانْ كانَ لَيَظَلُّ جائِعاً يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الجُوعِ فَلاَ يَمْنَعُهُ صِيامَ يَوْمِهِ
ولَوْ شاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ وَثِمارِها وَرَغَدَ عَيْشِها ولَقَدْ كُنتُ
أَبْكِي لَه رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي على بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الجُوعِ

وأقولُ نفسي لكَ الفِداء لوْ تبلّغتَ من الدُّنيا بِمَا يقوتُك فيقولُ يا عائِشة مالي وللدُّنيا اخوانِي مِنْ أُولي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبرُوا على ما هو أشَدُّ مِنْ هٰذا فمضَوْا على حالِهم فقَدِمُوا على رَبِّهِمْ فأكْرَمَ مآبَهُمْ وأجزَلَ ثوابَهُمْ فأَجِدُنِي أستحيِي إنْ ترَفَّهتُ في مَعِيشَتِي أنْ يُقصَّرَ بِي غدًا دُونَهُمْ وما مِنْ شَيْءٍ هُوَ أحبُّ اليَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإخوانِي وأخِلاَّئِي قالَتْ فما أقامَ بَعْدُ الاّ شهرًا حتَّي تُوُفِّيَ صلى اللهُ عليه وسلم

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا خوفُهُ ربَّهُ وطاعتُهُ لهُ وشِدَّةُ عبادتِهِ فعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ ولِذَلِكَ قالَ فيما حدَّثَناهُ أبو محمَّدِ بْنُ عتَّابٍ قِراءةً مِنِّي عليْهِ قالَ حدثنا أبو القاسِمِ الطَّرابُلُسِيُّ حدثنا أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ حدثنا أبو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ حدثنا أبو عبدِ اللهِ الفِرَبْرِيُّ حدثنا محمَّدُ بْنُ اسماعيلَ حدثنا يحيي بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابنِ شِهابٍ عَنْ سَعيدِ بْنِ المُسَيّبِ أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كانَ يقولُ قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لوْ تعلَمُونَ ما أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولبَكَيْتُمْ كثيرًا زادَ في رِوايَتِنا عَنْ أبِي عِيسي التِّرْمِذِيِّ رَفَعَهُ الي أبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انِّي أرَي مالاَ تَرَوْنَ وأسمَعُ مالا تَسْمَعُونَ أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لَها أن تَئِطَّ ما فيها مَوْضِعُ أرْبَعِ أصابِعَ الاَّ ومَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا للهِ واللهِ لوْ تعلَمُونَ ما أعلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيرًا وما تلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ على الفُرُشِ ولَخَرَجْتُمْ الي الصُّعُدَاتِ تجأرُونَ الي اللهِ لَوَدِدْتُ أنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ رُوِيَ هٰذا الكَلامُ وَدِدْتُ أنِّي شَجَرَةٌ تُعضَدُ مِنْ قَوْلِ أبِي ذَرٍّ نَفْسِهِ وهو أصَحُّ وفي حَديثِ المُغِيرَةِ صَلَّي رَسولُ اللَّهِ صلى اللهُ عليه وسلم حتَّي انتَفَخَتْ قَدَماهُ وفي رِوايَةٍ كانَ يُصَلِّي حتَّي ترِمَ قَدَماهُ فقِيلَ لهُ أتَكلَّفُ

هٰذَا وقدغفرَ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأخَّرَ قالَ أفلا أكونُ عبدًا شكورًا * ونَحوُهُ عنْ أبي سَلَمَةَ وأبي هُرَيْرَةَ وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عَنْها كانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم دِيمَةً وأيُّكُمْ يُطيقُ ما كانَ يُطيقُ وقالتْ كانَ يَصُومُ حتّي تقولَ لا يُفْطِرُ ويُفْطِرُ حتّي تقولَ لا يَصُومُ * ونَحوُهُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ وأُمِّ سَلَمَةَ وأنَسٍ وقالَ كُنتَ لا تشاء أنْ تَراهُ في اللَّيْلِ مُصَلِّيًا الَّا رَأَيْتَهُ مُصَلِّيًا ولا نائِمًا الّا رَأَيْتَهُ نائِمًا وقال عَوْفُ بْنُ مالِكٍ كُنتُ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً فاستاكَ ثُمَّ تَوَضَّأَ ثُمَّ قامَ يُصَلِّي فقُمْتُ مَعَهُ فبَدأَ فاستَفتَحَ البَقَرَةَ فَلا يَمُرُّ بآيَةِ رَحْمَةٍ الّا وَقَفَ فَسأَلَ وَلا يَمُرُّ بآيَةِ عَذابٍ الّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ بِقَدرِ قِيامِهِ يَقُولُ سُبْحانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِياء والعَظَمَةِ ثُمَّ سَجَدَ وقالَ مِثلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَرأَ آلَ عِمْرانَ ثُمَّ سُورَةً سُورَةً يَفْعَلُ مِثلَ ذَلِكَ وعَنْ حُذَيفَةَ مِثلُهُ وقالَ سَجَدَ نَحوًا مِنْ قِيامِهِ وجَلَسَ بَيْنَ السَّجدَتَيْنِ نَحوًا مِنْهُ وقالَ حتّي قَرأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ والنِّساء والمائِدَةَ * وعنْ عائِشَةَ قالَتْ قامَ رسولُ الله صلي الله عليه وسلم بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ لَيْلَةً وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أتيْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أزيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ قالَ ابْنُ أبِي هالَةَ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُتَواصِلَ الأَحْزانِ دائِمَ الفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ راحَةٌ وقالَ صلى الله عليه وسلم إِنِّي لَأَستَغفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ورُوِيَ سَبْعِينَ مَرَّةً * وعَنْ عَلِيٍّ رضي اللهُ عنه قالَ سَأَلْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَنْ سُنَّتِهِ فقالَ المَعْرِفَةُ رَأْسُ مالِي والعَقلُ أصلُ دِيني والحُبُّ أساسِي والشَّوْقُ مَرْكَبِي وذِكْرُ اللهِ أنِيسِي

والثِقَةُ كَنزِي والحُزْنُ رَفِيقِي والعِلمُ سلاحِي والصَّبرُ رِدَائِي والرِّضاءُ غَنِيمَتِي والعَجزُ فَخرِي والزُّهدُ حِرفَتِي واليَقِينُ قُوتِي والصِّدقُ شَفِيعِي والطَّاعةُ حَسْبِي والجِهادُ خُلُقِي وقُرَّةُ عَينِي في الصَّلاةِ وفي حَدِيث آخرَ وثَمرَةُ فُؤادِي في ذِكرِهِ وغَمِّي لِأَجلِ أُمَّتِي وشَوقِي الى رَبِّي عزَّ وجلَّ

﴿ فصلٌ ﴾ اعلَمْ وَفَّقَنا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفاتِ جَمِيعِ الأَنبياءِ والرُّسُلِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِمْ مِنْ كَمالِ الخَلْقِ وحُسْنِ الصُّورَةِ وشَرَفِ النَّسَبِ وحُسْنِ الخُلُقِ وجَمِيعُ المَحاسِنِ هِيَ هٰذِهِ الصِّفَةُ لِأَنَّها صِفاتُ الكَمالِ والكَمالُ والتَّمامُ البَشَرِيُّ والفَضْلُ الجَمِيعُ لَهُمْ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِمْ اذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ ودَرَجاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجاتِ ولٰكِنْ فَضَّلَ اللهُ بَعضَهُمْ على بَعضٍ قالَ اللهُ تعالي تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعضَهُمْ على بَعضٍ وقالَ ولَقَدِ اخْتَرْناهُمْ على عِلْمٍ علي العالَمِينَ وقَدْ قالَ صلى اللهُ عليه وسلم إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ على صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ ثُمَّ قالَ آخِرَ الحَدِيثِ على خُلُقِ رَجُلٍ واحِدٍ علي صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ طُولُهُ سِتونَ ذِراعاً في السَّماءِ * وفي حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَأَيتُ مُوسٰي فإِذَا هوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ أَقنٰى كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيتُ عِيسٰي فإِذَا هوَ رجُلٌ رَبْعَةٌ كَثِيرُ خِيلانِ الوَجْهِ أَحْمَرُ كَأَنَّما خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ وفي حديثِ آخَرَ مُبَطَّنٌ مثلُ السَّيْفِ قالَ وأَنا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْراهِيمَ بِهِ وقالَ في حَدِيث آخرَ في صِفَةِ مُوسٰي كَأَحْسَنِ ما أَنتَ راءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ * وفي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه عنه صلى اللهُ عليهِ وسلم ما بَعَثَ اللهُ تعالي مِنْ بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا الَّا في ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ويُرْوَى فى ثَرْوَةٍ أَيْ كَثْرَةٍ ومَنَعَةٍ *

وحكي الترمذيُّ عن قتادة ورواه الدارقطنيُّ من حديث قتادة عن أنسٍ مابعث الله تعالي نبيًا الّا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا صلى الله عليه وسلم * وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسبٍ وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالي في أيوب انّا وجدناه صابرًا نعم العبد إنّه أوابٌ وقال تعالى يا يحيي خذ الكتاب بقوةٍ الي قوله ويوم يبعث حيًا وقال انّ الله يبشرك بيحيي الى الصالحين وقال انّ الله اصطفي آدم ونوحًا وآل ابرٰهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوحٍ إنّه كان عبدًا شكورًا وقال انّ الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح الي الصالحين وقال إني عبدالله آتاني الكتاب الى ما دمت حيًا وقال ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسي الآية قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم كان موسي رجلًا حييًا ستيرًا ما يرى من جسده شيءٌ استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكمًا الآية وقال في وصف جماعةٍ منهم إني لكم رسولٌ أمينٌ وقال إنّ خير من استأجرت القويُّ الأمين وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلًّا هدينا الي قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصافٍ جمةٍ من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلامٍ عليمٍ وحليمٍ وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسولٌ كريمٌ الي أمينٍ وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسماعيل انّه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسي إنّه كان مخلصًا وفي سليمان نعم العبد انّه أواب وقال واذكر

عبادَنا ابْرَاهِيمَ واسْحاقَ وَيَعْقُوبَ أُولي الأيْدِي والأَبْصارِ الي الأَخْيارِ وفي دَاوُدَ انّهُ أوّابٌ ثُمَّ قالَ وشَدَدْنا مُلْكَهُ وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخطابِ وقالَ عَنْ يُوسُفَ اجْعَلْنِي علي خَزَائِنِ الأَرْضِ انّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وفي مُوسَي سَتَجِدُنِي انْ شاءَ اللّٰهُ صابِرًا وقالَ تعالى عَنْ شُعَيْبٍ سَتَجِدُنِي انْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وقالَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ الى ما أنْهاكُمْ عَنْهُ إنْ أُرِيدُ إلّا الإِصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وقالَ ولُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وعِلْماً وقالَ انَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْرَاتِ الآيَةَ قالَ سُفْيانُ هوَ الحُزْنُ الدَّائِمُ في آيٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَ فِيها مِنْ خِصالِهِمْ ومَحاسِنِ أَخْلاقِهِمْ الدَّالَّةِ على كَمالِهِمْ وجاءَ مِنْ ذَلِكَ في الأَحادِيثِ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلم انّما الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بنِ اسْحٰقَ بنِ ابْرَاهِيمَ نَبِيٌّ ابنُ نَبِيٍّ ابنِ نَبِيٍّ ابنِ نَبِيٍّ وفي حَدِيثِ أَنَسٍ وكَذَلِكَ الأَنْبِياءُ تَنامُ أَعْيُنُهُمْ ولا تَنامُ قُلُوبُهُمْ ورُوِيَ أَنَّ سُلَيْمانَ كانَ مَعَ ما أُعْطِيَ مِنَ المُلْكِ لا يَرْفَعُ بَصَرَهُ الي السَّماءِ تَخَشُّعاً وتَوَاضُعاً لِلّٰهِ تعالي وكانَ يُطْعِمُ النَّاسَ لَذَائِذَ الأَطْعِمَةِ ويَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وأُوحِيَ الَيْهِ يا رَأْسَ العابِدِينَ وابْنَ مَحَجَّةِ الزَّاهِدِينَ وكانَتِ العَجُوزُ تَعْتَرِضُهُ وهوَ على الرِّيحِ في جُنُودِهِ فَيأْمُرُ الرِّيحَ فَتَقِفُ فَيَنْظُرُ في حاجَتِها ويَمْضِي وقِيلَ لِيُوسُفَ مالَكَ تَجُوعُ وأَنْتَ على خَزَائِنِ الأَرْضِ قالَ أَخافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسى الجائِعَ ورَوَى أبو هُرَيْرَةَ رضي اللّٰه عنه عنه صلى اللّٰهُ عليه وسلم خُفِّفَ علي دَاوُدَ القُرْآنُ فَكانَ يَأْمُرُ بِدابَّتِهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ ولا يَأْكُلُ الّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ قالَ اللّٰهُ تعالي وأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْدِ وكانَ

سَأَلَ رَبَّهُ أنْ يَرْزُقَهُ عَمَلًا بِيَدِهِ يُغْنِيهِ عَنْ بَيْتِ المَالِ وقالَ صلى الله عليه وسلم أَحَبُّ الصَّلاةِ الى اللهِ صلاةُ دَاوُدَ وأَحَبُّ الصِّيامِ الى اللهِ صِيامُ دَاوُدَ وَكَانَ يَنامُ نِصفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً وَكانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَفْتَرِشُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعيرِ بالْمِلْحِ والرَّمادِ وَيَمْزِجُ شَرابَهُ بالدُّمُوعِ وَلَمْ يُرَ ضاحِكاً بَعْدَ الْخَطِيئَةِ وَلاَ شاخِصاً بِبَصَرِهِ الى السَّماءِ حَياءً مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَزَلْ باكِياً حَياتَهُ كُلَّها وَقِيلَ بَكَى حَتَّي نَبَتَ العُشْبُ مِنْ دُمُوعِهِ وَحَتَّي اتَّخَذَتِ الدُّمُوعُ في خَدِّهِ أُخْدُودًا وَقِيلَ كانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ فَيَسْمَعُ الثَّناءَ عَلَيْهِ فَيَزْدادُ تَواضُعًا وَقِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لو اتَّخَذْتَ حِمارًا قالَ أنا أَكْرَمُ على اللهِ تَعالي مِنْ أنْ يَشْغَلَنِي بِحِمارٍ وَكانَ يَلْبَسُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ أَيْنَما أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نامَ وَكانَ أَحَبَّ الأَسامِي الَيْهِ أنْ يُقالَ لَهُ مِسْكِينٌ وَقِيلَ انَّ مُوسَي عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ كانَتْ تُرَى خُضْرَةُ البَقْلِ في بَطْنِهِ مِنَ الهُزَالِ وقالَ صلى الله عليه وسلم لَقَدْ كانَ الأَنْبِياءُ قَبْلِي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بالفَقْرِ والقَمْلِ وَكانَ ذَلِكَ أَحَبَّ الَيْهِمْ مِنَ العَطاءِ الَيْكُمْ وَقالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لِخِنْزِيرٍ لَقِيَهُ اذْهَبْ بِسَلامٍ فَقِيلَ لَهُ في ذَلِكَ فَقالَ أَكْرَهُ أنْ أُعَوِّدَ لِسانِي المَنْطِقَ بِسُوءٍ وَقالَ مُجاهِدٌ كانَ طَعامُ يَحْيَى العُشْبَ وَكانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّي اتَّخَذَ الدَّمْعُ مَجْرًى في خَدِّهِ وكانَ يَأْكُلُ مَعَ الوَحْشِ لِئَلَّا يُخالِطَ النَّاسَ وحَكَى الطَّبَرِيُّ عَنْ وَهْبٍ أنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ وكانَ يَأْكُلُ في نُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ وَيَكْرَعُ فِيها اذا أَرادَ أنْ يَشْرَبَ كَما تَكْرَعُ الدَّابَّةُ تَواضُعاً

لِلّٰهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللّٰهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ وأَخبارُهُمْ فِي هٰذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ وصِفاتُهُمْ فِي الْكَمالِ وَجَمِيلِ الأَخْلَاقِ وحُسْنِ الصُّوَرِ وَالشَّمائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ فَلَا نُطَوِّلُ بِها وَلَا تَلْتَفِتْ الى ما تَجِدُهُ فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهَلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ والْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يُخالِفُ هٰذَا

﴿ فَصْلٌ ﴾ قَدْ أَتَيْناكَ أَكْرَمَكَ اللّٰهُ مِنْ ذِكْرِ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ والفَضائِلِ المَجِيدَةِ وخِصالِ الْكَمالِ العَدِيدَةِ وَأَرَيْناكَ صِحَّتَها لَهُ صلى الله عليه وسلم وَجَلَّيْنا مِنَ الآثارِ ما فِيهِ مَقْنَعٌ والأَمْرُ أَوْسَعُ فَمَجالُ هٰذَا البابِ فِي حَقِّهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلم مُمْتَدٌّ يَنْقَطِعُ دُونَ نَفادِهِ الأَدِلَّاءُ وَبَحْرُ عِلْمِ خَصائِصِهِ زَاخِرٌ لا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ وَلٰكِنَّا أَتَيْنا فِيهِ بِالمَعْرُوفِ مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ والمَشْهُورِ مِنَ المُصَنَّفاتِ وَاقْتَصَرْنا فِي ذَلِكَ بِقُلٍّ مِنْ كُلٍّ وَغَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنا أَنْ نَخْتِمَ هٰذِهِ الفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هالَةَ لِجَمْعِهِ مِنْ شَمائِلِهِ وَأَوْصافِهِ كَثِيرًا وَادْماجِهِ جُمْلَةً كافِيَةً مِنْ سِيَرِهِ وفَضائِلِهِ وَنَصِلُهُ بِتَنْبِيهٍ لَطِيفٍ على غَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ حدثنا القاضي أبو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ رَحِمَهُ اللّٰهُ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ سَنَةَ ثمان وَخَمْسِمِائَةٍ قالَ حدثنا الإِمامُ أبو القاسِمِ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ طاهِرٍ التَّمِيمِيُّ فِيما قَرَأْتُ عَلَيْهِ أَخْبَرَكُمُ الفَقِيهُ الأَدِيبُ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الحَسَنِ النَّيْسابُورِيُّ والشَّيْخُ الفَقِيهُ أبو عَبْدِ اللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الحَسَنِ المُحَمَّدِيُّ والقاضي أبو عَلِيٍّ الحَسَنُ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ الوَخْشِيُّ قالُوا حدثنا أبو القاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَسَنِ الخُزاعِيُّ أَخْبَرَنا أبو سَعِيدٍ الهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ أَخْبَرَنا أبو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ الحافِظُ قال حدثنا سُفْيانُ بْنُ وَكِيعٍ حدثنا

جُمَيْعُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ العِجْلِيُّ املاءً مِنْ كِتابِهِ قالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي هالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عنها يُكْنَى أَبا عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنٍ لِأَبِي هالَةَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ سَأَلْتُ خالِيَ هِنْدَ بْنَ أَبِي هالَةَ قالَ القاضِي أَبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ وقَرَأْتُ على الشَّيْخِ أَبِي طاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خُذَاداذا الكَرَجِيِّ الباقِلَّانِيِّ قالَ وأَجازَ لَنا الشَّيْخُ الأَجَلُّ أَبو الفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ ابْنِ خَيْرُونٍ قالاَ حدثنا أَبو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ابْراهِيمَ بْنِ الحَسَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بنِ شاذانَ بنِ حَرْبِ بنِ مِهْرانَ الفارِسِيُّ قِراءَةً عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ قالَ أَخْبَرَنا أَبو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى بنِ الحَسَنِ بنِ جَعْفَرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ المَعْرُوفُ بابْنِ أَخِي طاهِرٍ العَلَوِيُّ قالَ حدثنا اسْماعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ اسْحاقَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ قالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ قالَ قالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ واللَّفْظُ لِهٰذَا السَّنَدِ سَأَلْتُ خالِيَ هِنْدَ بْنَ أَبِي هالَةَ عَنْ حِلْيَةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وكانَ وَصَّافاً وأَنا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْها شَيْئاً أَتَعَلَّقُ بِهِ قالَ كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَخْماً مُفَخَّماً يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ أَطْوَلَ مِنَ المَرْبُوعِ وأَقْصَرَ مِنَ المُشَذَّبِ عَظِيمَ الهامَةِ رَجِلَ الشَّعَرِ انِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ والاَّ فَلاَ يُجاوِزُ شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ اذا هُوَ وَفَّرَهُ أَزْهَرَ اللَّوْنِ واسِعَ الجَبِينِ أَزَجَّ الحَواجِبِ سَوابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ بَيْنَهُما

عِرقٌ يُدِرُّهُ الغضبُ أقنى العِرنين لهُ نورٌ يعلوهُ ويحسبهُ من لم يتأمّلهُ أشمّ كثّ اللحيةِ أدعجَ سهلَ الخدّينِ ضليعَ الفمِ أشنبَ مُفلّجَ الأسنانِ دقيقَ المسربةِ كأنّ عنقهُ جيدُ دُميةٍ في صفاءِ الفضةِ مُعتدلَ الخلقِ بادناً متماسكاً سواءَ البطنِ والصدرِ مشيحَ الصدرِ بعيدَ ما بينَ المنكبينِ ضخمَ الكراديسِ أنورَ المتجرّدِ موصولَ ما بينَ اللبّةِ والسرّةِ بشعرٍ يجري كالخطّ عاري الثديينِ ما سوى ذلكَ أشعرَ الذراعينِ والمنكبينِ وأعالي الصدرِ طويلَ الزندينِ رحبَ الراحةِ شثنَ الكفّينِ والقدمينِ سائلَ الأطرافِ أو قالَ سائنَ الأطرافِ وسائرَ الأطرافِ سبطَ العصبِ خمصانَ الأخمصينِ مسيحَ القدمينِ ينبو عنهما الماءُ اذا زالَ زالَ تقلّعاً ويخطو تكفّؤاً ويمشي هوناً ذريعَ المشيةِ اذا مشى كأنّما ينحطُّ من صببٍ واذا التفتَ التفتَ جميعاً خافضَ الطرفِ نظرهُ الى الأرضِ أطولُ من نظرهِ الى السماءِ جُلُّ نظرهِ الملاحظةُ يسوقُ أصحابهُ ويبدأُ من لقيهُ بالسلامِ قلتُ صفْ لي منطقهُ قال كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحزانِ دائمَ الفكرةِ ليستْ لهُ راحةٌ ولا يتكلّمُ في غيرِ حاجةٍ طويلَ السكوتِ يفتتحُ الكلامَ ويختمهُ بأشداقهِ ويتكلّمُ بجوامعِ الكلمِ فصلاً لا فضولَ فيهِ ولا تقصيرَ دمثاً ليسَ بالجافي ولا المهينِ يُعظّمُ النعمةَ وان دقّتْ لا يذمُّ شيئاً لم يكنْ يذمُّ ذواقاً ولا يمدحهُ ولا يقامُ لغضبهِ اذا تُعرّضَ للحقِّ بشيءٍ حتّى ينتصرَ لهُ ولا يغضبُ لنفسهِ ولا ينتصرُ لها اذا أشارَ أشارَ بكفّهِ كلّها واذا تعجّبَ قلبها واذا تحدّثَ اتّصلَ بها فضربَ بإبهامهِ اليمنى راحتهُ اليسرى واذا غضبَ أعرضَ وأشاحَ واذا

فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الغَمامِ قالَ الحَسَنُ فَكَتَمْتُها عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَماناً ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي الَيْهِ فَسَأَلَ أَباهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ وشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا قالَ الحُسَيْنُ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقالَ كانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُوناً لَهُ فِي ذَلِكَ فَكانَ اذَا أَوَى الي مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاء جُزْأً لِلّهِ وجُزْأً لِأَهْلِهِ وجُزْأً لِنَفْسِهِ ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّاسِ فَيَرُدُّ ذَلِكَ علي العامَّةِ بِالخاصَّةِ ولا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا فَكانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثارُ أَهْلِ الفَضْلِ بِإِذْنِهِ وقِسْمَتُهُ على قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ مِنْهُمْ ذُو الحاجَةِ ومِنْهُمْ ذُو الحاجَتَيْنِ ومِنْهُمْ ذُو الحَوَائِجِ فَيَتَشاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيما يُصْلِحُهُمْ والأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ واخْبارِهِمْ بِالّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ وأَبْلِغُونِي حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ ابْلاغِي حاجَتَهُ فانَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ ابْلاغَها ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ الّا ذَلِكَ ولا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ قالَ فِي حَدِيثِ سُفْيانَ بْنِ وَكِيعٍ يَدْخُلُونَ رُوّادًا ولا يَتَفَرَّقُونَ الّا عَنْ ذَوَاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً يَعْنِي فُقَهاء قُلْتُ فاخْبِرْنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كانَ يَصْنَعُ فِيهِ قالَ كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَخْزُنُ لِسانَهُ الّا مِمّا يَعْنِيهِمْ وَيُؤَلِّفُهُمْ ولا يُفَرِّقُهُمْ يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وخُلُقَهُ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحابَهُ وَيَسْأَلُ النّاسَ عَمَّا فِي النّاسِ وَيُحَسِّنُ الحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ وَيُقَبِّحُ القَبِيحَ

وَيُوَهِنَهُ مُعْتَدِلَ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ لا يَغْفُلُ مَخافةَ أنْ يَغفُلُوا أوْ يَمَلُّوا لِكُلِّ حالٍ عِنْدَهُ عَتادٌ لا يُقصِّرُ عَنِ الحَقِّ ولا يُجاوِزُهُ الى غَيْرِهِ الّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النّاسِ خِيارُهُمْ وأفضَلُهُمْ عِنْدَهُ أعَمُّهُمْ نَصِيحَةً وأعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أحْسَنُهُمْ مُواساةً ومُوازَرَةً فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ عَمَّا كانَ يَصنَعُ فيهِ فقال كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لا يَجْلِسُ ولا يَقُومُ الّا علي ذِكْرٍ ولا يُوَطِّنُ الأماكِنَ وَيَنْهي عَنْ ايطانِها واذا انتهى الي قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهي بِهِ المَجْلِسُ ويَأمُرُ بِذلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسائِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أنّ أحَدًا أكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَنْ جالَسَهُ أوْ قاوَمَهُ لِحاجَةٍ صابَرَهُ حَتّي يَكُونَ هوَ المُنْصَرِفَ عَنْهُ مَنْ سَأَلَهُ حاجةً لَمْ يَرُدَّهُ الّا بِها أوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وخُلُقُهُ فَصارَ لَهُمْ أبًا وصارُوا عِنْدَهُ في الحَقِّ مُتَقًا بَيْنَ مُتَفاضِلِينَ فيهِ بالتَّقْوَى وفي الرِّوايَةِ الأُخْرَي صارُوا عِنْدَهُ في الحَقِّ سَواءً مَجْلِسُهُ مَجلِسُ حِلْمٍ وحَياءٍ وصَبْرٍ وأمانَةٍ لا تُرْفَعُ فيهِ الأصْواتُ ولا تُؤْبَنُ فيهِ الحُرَمُ ولا تُثْنَى فَلَتاتُهُ وهذِهِ الكَلِمَةُ مِنْ غَيْرِ الرِّوايَتَيْنِ يَتَعاطَفُونَ بالتَّقْوَى مُتَواضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فيهِ الكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ وَيُرْفِدُونَ ذا الحاجَةِ وَيَرْحَمُونَ الغَرِيبَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم في جُلَسائِهِ فَقالَ كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم دائِمَ البِشْرِ سَهْلَ الخُلُقِ لَيِّنَ الجانِبِ لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولا سَخَّابٍ ولا فَحّاشٍ ولا عيّابٍ ولا مَدّاحٍ يَتَغافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي ولا يُؤْيَسُ مِنْهُ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ الرِّياءِ والإكْثارِ وما لا يَعْنيهِ وتَرَكَ النّاس مِنْ ثَلاثٍ كانَ لا يَذُمُّ أحَدًا ولا يُعَيِّرُهُ وَلا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ ولا يَتَكَلَّمُ

الّا فِيما يَرْجُو ثَوَابَهُ اذا تَـكَلَّمَ أطرَقَ جلَساؤهُ كأنَّما على رُؤُسِهِمُ الطَّـيْرُ وإذَا سَـكَتَ تَـكَلَّمُوا لا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الحَدِيثَ مَنْ تَـكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَـتَّى يَفْرُغَ حَدِيثُهُمْ حَـدِيثُ أَوَّلِهِمْ يَضْحَـكُ مِمَّا يَضْحَـكُونَ مِنْهُ وَيَتَعَجَّبُ مِمَّـا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ على الجَفْوَةِ في المَنْطِقِ وَيقُولُ اذَا رَأَيْـتُمْ صاحِبَ الحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ ولا يَطْلُبُ الثَّنَاء الّا مِنْ مُكَافِئٍ ولا يَقْطَعُ على أحَدٍ حَدِيثَهُ حَـتَّى يَتَجَوَّزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِانْتِهاءٍ أَوْ قِيَامٍ هُنا انْتَهى حَدِيثُ سُفْيانَ بنِ وَكِيعٍ وزادَ الآخَرُ قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سُـكُوتُهُ صلى اللّهُ عليه وسلم قَالَ كَانَ سُـكُوتُهُ على أَرْبَعٍ على الحِلْمِ والحَـذَرِ والتَّقْدِيرِ والتَّفَـكُّرِ * فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَـفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ والاسْتِماعِ بَـيْنَ النَّاسِ * وأَمَّا تَفَـكُّرُهُ فَفِيما يَبْـقَى وَيَفْـنَى وَجُمِعَ لَهُ الحِلْمُ صـلى اللّهُ عليهِ وسـلم في الصَّبْرِ فَـكَانَ لا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْـتَفِزُّهُ وَجُمِعَ لَهُ في الحَذَرِ أَرْبَعٌ أَخْـذُهُ بِالحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ وتَرْكُهُ القَبِيـحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ واجْتِهادُ الرَّأْيِ بِمَـا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ والقِيامُ لَهُمْ بِما جَمَعَ لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيا والآخِرَةِ انْتَهى الوَصْفُ بِحَمْدِ اللّهِ وعَوْنِهِ

﴿ فصـلٌ في تفسِيرِ غَرِيبِ هٰذَا الحَدِيثِ ومُشْـكِلِهِ ﴾ قولُهُ المُشَذَّبُ أيِ البائِنُ الطُّولِ في نَحافَةٍ وهوَ مِثْلُ قوْلِهِ في الحَدِيثِ الآخَرِ لَيْسَ بالطَّوِيلِ المُمَغَّطِ والشَّعَرُ الرَّجِلُ الّذِي كَأنَّهُ مُشِطَ فَتَـكَسَّرَ قَلِيلًا لَيْسَ بِسَبْطٍ ولا جَعْدٍ والعَقِيقَةُ شَعَرُ الرَّأْسِ أَرادَ انِ انفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِها فَرَقَها والّا تَرَكَها مَعْقُوصَةً وَيُرْوَى عَقِيصَتَهُ وأَزْهَرُ اللَّوْنِ نَـيِّرُهُ وَقِيـلَ أَزْهَرُ حَسَنٌ ومِنْهُ زَهْرَةُ الحَياةِ الدُّنْيا أيْ زِينَتُها وهـذَا كما قَالَ في الحَـدِيثِ الآخَرِ لَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ ولَا بِالأَدَمِ وَالأَمْهَقُ هوَ النَّاصِعُ البَيَاضِ والأَدَمُ الأَسْمَرُ اللَّوْنِ وَمِثْـلُهُ

في الحَديثِ الآخَرِ أبيَضُ مُشرَّبٌ أيْ فيهِ حُمْرَةٌ والحاجِبُ الأَزَجُّ المُقَوَّسُ الطَّويلُ الوَافِرُ الشَّعَرِ والأَقْنَى السَّائِلُ الأَنفِ المُرتَفِعُ وَسَطُهُ والأَشَمُّ الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الأَنفِ والقَرَنُ اتِّصالُ شَعَرِ الحَاجِبَيْنِ وَضِدُّهُ البَلَجُ وَوَقَعَ في حَديثِ أُمِّ مَعْبَدٍ وصفُهُ بالقَرَنِ والأَدْعَجُ الشَّديدُ سَوَادِ الحَدَقَةِ وَفي الحَديثِ الآخَرِ أَشْكَلُ العَيْنِ وأَسْجَرُ العَيْنِ وهو الَّذِي في بَيَاضِها حُمْرَةٌ والضَلِيعُ الوَاسِعُ والشَّنَبُ رَوْنَقُ الأَسْنانِ وماؤُها وَقِيلَ رِقَّتُها وَتَحْزِيزٌ فِيها كَما يُوجَدُ في أَسْنانِ الشَّبابِ والفَلَجُ فَرْق بَيْنَ الثَّنَايا وَدَقِيقُ المَسْرُبَةِ خَيْطُ الشَّعَرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ والسُّرَّةِ بادِنٌ ذُو لَحمٍ ومُتَماسِكٌ مُعْتَدِلُ الخَلْقِ يُمْسِكُ بَعضُهُ بَعضاً مِثْلُ قَوْلِهِ في الحَديثِ الآخَرِ لَمْ يَكُنْ بالمُطَهَّمِ وَلا بالمُكَلْثَمِ أيْ لَيسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ وَالمُكَلْثَمُ القَصِيرُ الذَّقَنِ وَسَوَاءُ البَطْنِ والصَّدْرِ أيْ مُسْتَوِيهِما مُشِيحُ الصَّدْرِ انْ صَحَّتْ هذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ منَ الإِقْبالِ وهو أَحَدُ مَعاني أَشاحَ أيْ أَنَّهُ كانَ بادِيَ الصَّدْرِ وَلَمْ يَكُنْ في صَدْرِهِ قَعَسٌ وَهو تَطامُنٌ فِيهِ وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ قَبلُ سَوَاءُ البَطْنِ والصَّدْرِ أيْ لَيْسَ بِمُتَقاعِسِ الصَّدْرِ وَلاَ مُفاضِ البَطْنِ وَلَعَلَّ اللَّفْظَ مَسِيحُ بالسِّينِ وفَتْحِ المِيمِ بِمَعْنَى عَرِيض كَما وَقَعَ في الرِّوَايَةِ الأُخْرَى وَحَكَاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ والكَرَادِيسُ رُؤُسُ العِظامِ وهوَ مِثْلُ قَوْلِهِ في الحَديثِ الآخَرِ جَلِيلُ المُشاشِ والكَتِدِ والمُشاشُ رُؤُسُ المَناكِبِ والكَتِدُ مُجْتَمَعُ الكَتِفَيْنِ وشَثْنُ الكَفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ لَحِيمُهُما والزَّنْدانِ عَظْما الذِّرَاعَيْنِ وسائِلُ الأَطْرَافِ أيْ طَوِيلُ الأَصابِعِ وَذَكَرَ ابْنُ الأَنْبارِيّ أَنهُ رُوِيَ سائِلُ الأَطْرَافِ أَوْ قالَ سائِنٌ بالنُّونِ قالَ وَهُما بِمَعْنًى تُبْدَلُ اللامُ مِنَ النُّونِ ان صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِها وأَمَّا عَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى وسائِرُ الأَطْرَافِ

فاشارةٌ الى فخامةِ جوارِحِهِ كما وقعت مفصلةً في الحديثِ ورَحبُ الرّاحةِ أيْ واسعُها وقيلَ كُني بهِ عَنْ سعةِ العطاءِ والجودِ وخُمصانُ الأخمصينِ أيْ متجافي أخمصِ القدمِ وهوَ الموضعُ الذي لا تنالُهُ الأرضُ من وسطِ القدمِ ومَسيحُ القدمينِ أي أملسُهما ولهذا قالَ ينبو عنهما الماءُ وفي حديثِ أبي هُريرةَ خلافُ هذا قالَ فيهِ اذا وطئَ بقدمِهِ وطئَ بكلّها ليسَ لهُ أخمصُ وهذا يُوافقُ معنى قولِهِ مسيحُ القدمينِ وبهِ قالوا سُمّيَ المسيحُ بنُ مريمَ أيْ لمْ يكنْ لهُ أخمصُ وقيلَ مسيحٌ لا لحمَ عليهما وهذا أيضاً يُخالفُ قولَهُ شثنُ القدمينِ والتقلّعُ رفعُ الرّجلِ بقوّةٍ والتكفّؤُ الميلُ الى سننِ المشي وقصدِهِ والهونُ الرّفقُ والوقارُ والذريعُ الواسعُ الخطوِ أيْ أنْ مشيتَهُ كانَ يرفعُ فيهِ رجليْهِ بسرعةٍ ويمدُّ خطوَهُ خلافَ مشيةِ المختالِ ويقصدُ سمتَهُ وكلُّ ذلكَ برفقٍ وتثبّتٍ دونَ عجلةٍ كما قالَ كأنّما ينحطُّ من صببٍ وقولُهُ يفتتحُ الكلامَ ويختتمُهُ بأشداقِهِ أيْ لسعةِ فمِهِ والعربُ تتمادحُ بهذا وتذمُّ بصغرِ الفمِ وأشاحَ مالَ وانقبضَ وحبُّ الغمامِ البردُ وقولُهُ فيردُّ ذلكَ بالخاصةِ على العامةِ أيْ جعلَ من جزءِ نفسِهِ ما يوصلُ الخاصةَ اليهِ فتوصلُ عنهُ للعامةِ وقيلَ يجعلُ منهُ للخاصةِ ثمَّ يبدلُها في جزءٍ آخرَ بالعامةِ ويدخلونَ رُوّاداً أيْ محتاجينَ اليهِ وطالبينَ لما عندَهُ ولا ينصرفونَ الّا عنْ ذواقٍ قيلَ عنْ علمٍ يتعلّمونَهُ ويُشبهُ أنْ يكونَ على ظاهرِهِ أيْ في الغالبِ والأكثرِ والعتادُ العدّةُ والشيءُ الحاضرُ المعدُّ والموازرةُ المعاونةُ وقولُهُ لا يوطّنُ الأماكنَ أيْ لا يتخذُ لمصلاهُ موضعاً معلوماً وقدْ وردَ نهيُهُ عنْ هذا مفسّراً في غيرِ هذا الحديثِ وصابرَهُ أيْ حبسَ نفسَهُ على ما يريدُ صاحبُهُ ولا تؤبنُ فيهِ الحُرمُ أيْ لا يذكرنَ فيهِ

بِسُوءٍ وَلاَ تُنْثَى فَلَتَاتُهُ أيْ لاَ يُتحَدَّثُ بِها أيْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ وَانْ كانَتْ مِنْ أحَدٍ سُتِرَتْ وَيَرْفِدُونَ يُعِينُونَ والسَّخَّابُ الكَثِيرُ الصِّياحِ وَقَوْلُهُ وَلاَ يَقْبَلُ الثَّناءَ الاَّ مِنْ مُكافِئٍ قِيلَ مُقْتَصِدٍ فِي ثَنائِهِ ومَدْحِهِ وَقِيلَ الاَّ مِنْ مُسْلِمٍ وَقِيلَ الاَّ مِنْ مُكَافِئٍ على يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَهُ وَيَسْتَفِزُّهُ يَسْتَخِفُّهُ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْهُوسُ العَقِبِ أيْ قَلِيلُ لَحْمِها وأهْدَبُ الأشْفارِ أيْ طَوِيلُ شَعَرِها

﴿ الباب الثالث ﴾

فِيما وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الأخْبارِ ومَشْهُورِها بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ وَما خَصَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم * لاَخِلاَفَ أنَّهُ أكْرَمُ البَشَرِ وسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وأفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ وأعْلاَهُمْ دَرَجَةً وأقْرَبُهُمْ زُلْفَى واعْلَمْ أنَّ الأحادِيثَ الوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِداًّ وَقَدِ اقْتَصَرْنا مِنْها على صَحِيحِها ومُنْتَشِرِها وَحَصَرْنا مَعانِيَ ما وَرَدَ مِنْها فِي اثْنَيْ عَشَرَ فَصْلاً

﴿ الفَصْلُ الأوَّلُ ﴾ فِيما وَرَدَ مِنْ ذِكْرِ مَكانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالاِصْطِفاءِ وَرِفْعَةِ الذِّكْرِ والتَّفْضِيلِ وَسِيادَةِ وَلَدِ آدَمَ وما خَصَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيا مِنْ مَزَايا الرُّتَبِ وَبَرَكَةِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ أخْبَرَنا الشَّيْخُ أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أحْمَدَ العَدْلُ اذْناً بِلَفْظِهِ حدثنا أبو الحَسَنِ الفَرْغانِيُّ حدثَتْنا أُمُّ القاسِمِ بِنْتُ أبِي بَكْرِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أبِيها حدثنا حاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ عَقِيلٍ عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ اسْماعِيلَ عَنْ يَحْيَى الحِمَّانِيِّ حدثنا قَيْسٌ عَنِ الأعْمَشِ عَنْ عَبايَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

انّ اللهَ تعالي قَسَمَ الخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قِسماً فذلِكَ قَوْلُهُ تعالي أصْحابُ اليَمِينِ وأصْحابُ الشِّمالِ فأَنا مِنْ أصْحابِ اليَمِينِ وأنا خَيْرُ أصْحابِ اليَمِينِ ثمَّ جعلَ القِسْمَيْنِ أثلاثاً فَجَعَلَنِي في خَيْرِها ثُلُثاً وذلِكَ قَوْلُهُ تعالي فَأَصْحابُ المَيْمَنَةِ وأصْحابُ المَشْئَمَةِ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فأَنا مِنَ السَّابِقِينَ وأنا خَيْرُ السَّابِقِينَ ثُمَّ جَعَلَ الأثْلاثَ قَبائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِها قَبِيلَةً وَذلكَ قَوْلُهُ تَعالي وجعلْنا كُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ الآيَةَ فأَنا أتْقَي وَلَدِ آدَمَ وأكْرَمُهُمْ على اللهِ وَلافَخْرَ ثُمَّ جَعَلَ القَبائِلَ بُيُوتاً فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِها بَيْتاً فذلِكَ قَوْلُهُ تَعالي انَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ الآيَةَ وَعَنْ أبِي سَلَمَةَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قالَ قالوا يا رَسُولَ اللهِ مَتي وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ قالَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأسْقَعِ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم انَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ ابْراهِيمَ اسْماعِيلَ وَاصْطَفَي مِنْ وَلَدِ اسْماعِيلَ بَنِي كِنانَةَ واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنانَةَ قُرَيْشاً واصْطَفَي مِنْ قُرَيْش بَنِي هاشِمٍ وَاصْطَفانِي مِنْ بَنِي هاشِمٍ وَمِنْ حَدِيثِ أنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبِّي وَلاَ فَخْرَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عبَّاس أنا أكْرَمُ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها عَنْهُ صلى اللهُ عليه وسلم أتانِي جِبْرِيلُ علَيْهِ السَّلامُ فَقالَ قَلَّبْتُ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَها فَلَمْ أرَ رَجُلاً أفْضَلَ مِنْ محمَّدٍ وَلَمْ أرَ بَنِي أب أفْضَلَ مِنْ بَنِي هاشِمٍ وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بالبُراقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فاستَصْعَبَ علَيْهِ فَقالَ لَهُ جِبْرِيلُ بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هٰذا فَما رَكِبَكَ أحَد أكْرَم على اللهِ مِنْهُ فارْفَضَّ عَرَقاً وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْهُ صلى اللهُ عليه

وسلم لمّا خلقَ اللهُ آدمَ أهبطَني في صُلبِهِ الي الأرضِ وجعلَني في صُلبِ نُوح في السَّفِينَةِ وقَذَفَ بِي في النارِ في صُلبِ ابراهيمَ ثُمَّ لَمْ يزَلْ ينقُلُني في الأصلابِ الكريمةِ الي الأرحامِ الطّاهرةِ حتّي أخرجَني بينَ أبوَيَّ لَمْ يلتقِيا على سِفاحٍ قطُّ والي هذا أشارَ العبّاسُ بنُ عبدِ المُطّلبِ رضيَ اللهُ عنهُ بقولِهِ

مِنْ قَبلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي * مُستَودَعٍ حيثُ يُخصَفُ الوَرَقُ

ثُمَّ هبطتَ البِلادَ لا بَشَرٌ * أنتَ ولا مُضغَةٌ ولا علَقُ

بلْ نُطفَةٌ ترْكَبُ السَّفِينَ وقدْ * ألجَمَ نَسْرًا وأهلَهُ الغرَقُ

تُنقَلُ مِنْ صالِبٍ الى رَحِمٍ * اذا مضَى عالَمٌ بدَا طبَقُ

ثُمَّ احتوَى بيتُكَ المُهيمِنُ مِنْ * خِندَفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ

وأنتَ لمّا وُلِدتَ أشرقَتِ الأرْ * ضُ وضاءَتْ بنُورِكَ الأُفُقُ

فنَحنُ في ذلِكَ الضِّياءِ وفي النُّـ * ـورِ وسُبُلِ الرَّشادِ نخترِقُ

يا برْدَ نارِ الخليلِ يا سبَبًا * لِعِصمَةِ النّارِ وهيَ تحترِقُ

ورَوَى عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم أبو ذرٍّ وابنُ عُمَرَ وابنُ عبّاسٍ وأبو هُرَيرَةَ وجابرُ بنُ عبدِ اللهِ أنّهُ قالَ أُعطِيتُ خمسًا وفي بعضِها ستًّا لَمْ يُعطَهُنَّ نبيٌّ قبلِي نُصِرتُ بالرُّعبِ مسيرَةَ شهرٍ وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجِدًا وطَهُورًا فأيُّما رجُلٍ مِنْ أُمّتي أدرَكَتهُ الصّلاةُ فليُصَلِّ وأُحِلّت لِيَ الغنائِمُ ولَمْ تحِلَّ لِنبيٍّ قبلِي وبُعِثتُ الي النّاسِ كافّةً وأُعطِيتُ الشّفاعةَ وفي رِوايةٍ بدَلُ هذِهِ الكلِمَةِ وقِيلَ لِي سَلْ تُعطَهْ وفي رِوايةٍ أُخرَي وعُرِضَ علَيَّ أُمّتي فلَمْ يخفَ علَيَّ التّابِعُ مِنَ المتبُوعِ وفي رِوايةٍ بُعِثتُ الى الأحمَرِ والأسوَدِ قِيلَ السُّودُ العرَبُ لِأنّ الغالِبَ على ألوانِهِمْ

الأُدْمَةُ فَهُمْ مِنَ السُّودِ والحُمْرُ العَجَمُ وقِيلَ البِيضُ والسُّودُ مِنَ الأُمَمِ وقِيلَ الحُمْرُ الإِنسُ والسُّودُ الجِنُّ * وفي الحَدِيثِ الآخَرِ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه نُصِرْتُ بالرُّعْبِ وأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وبَيْنَا أنا نائِمٌ اذ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ في يَدَيَّ * وفي رِوايَةٍ عنه وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ أنَّهُ قالَ قالَ صلى الله عليه وسلم انِّي فَرَطٌ لَكُمْ وأنا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وانِّي واللهِ لَأَنْظُرُ الى حَوْضِي الآنَ وانِّي قَدْ اعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ وانِّي واللهِ ما أخافُ عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي ولٰكِنِّي أخافُ علَيْكُمْ أنْ تَنافَسُوا فِيها وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ أنا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الامِّيُّ لا نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وخَوَاتِمَهُ وعُلِّمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ وحَمَلَةَ العَرْشِ * وعَنِ ابْنِ عُمَرَ بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ومِنْ رِوايَةِ ابْنِ وَهْبٍ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ قالَ اللهُ تعالى سَلْ يا مُحَمَّدُ فَقُلْتُ ما أَسْأَلُ يارَبِّ اتَّخَذْتَ ابْرَاهِيمَ خَلِيلًا وكَلَّمْتَ مُوسٰى تَكْلِيماً واصْطَفَيْتَ نُوحاً وأعْطَيْتَ سُلَيْمانَ مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فقال اللهُ تعالي ما أعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أعْطَيْتُكَ الكَوْثَرَ وجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي يُنادَى بِهِ في جَوْفِ السَّماءِ وجَعَلْتُ الأَرْضَ طَهُورًا لَكَ وَلِأُمَّتِكَ وغَفَرْتُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ فَأَنْتَ تَمْشِي في النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ ولَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصاحِفَها وخَبَأْتُ لَكَ شَفاعَتَكَ ولَمْ أَخْبَأْها لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ * وفي حَدِيثٍ آخَرَ رَواهُ حُذَيْفَةُ بَشَّرَنِي يَعْنِي رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَعِي مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً مَعَ كُلِّ أَلْفٍ

سَبعُونَ أَلفًا لَيسَ عَلَيهِمْ حِسابٌ وأعطاني أنْ لا تَجُوعَ أُمَّتِي ولا تُغلَبَ وأعطاني النَّصرَ والعِزَّةَ والرُّعبَ يَسعي بَينَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهرًا وطَيَّبَ لِي ولِأُمَّتِي المَغانِمَ وأحَلَّ لَنا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ على مَنْ قَبلَنا ولَمْ يَجعَلْ عَلَينا في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ * وعن أبي هُرَيرَةَ عنه صلى الله عليه وسلم ما مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأنبياءِ الّا وقَدْ أُعطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثلُهُ آمَنَ عَلَيهِ البَشَرُ وانّما كانَ الّذِي أُوتِيتُ وَحيًا أَوحَى اللهُ اليَّ فأرجُو أنْ أكُونَ أكثَرَهُمْ تابِعاً يَوْمَ القِيامَةِ مَعنَي هذا عِندَ المُحَقِّقِينَ بقاء مُعجِزَتِهِ ما بَقِيَتِ الدُّنيا وسائِرُ مُعجِزاتِ الأنبياءِ ذَهَبَتْ لِلحِينِ ولَمْ يُشاهِدْها الّا الحاضِرُ لَها ومُعجِزَةُ القُرآنِ يَقِفُ عَلَيها قَرْنٌ بَعدَ قَرْنٍ عِياناً لا خَبَرًا الى يَوْمِ القِيامَةِ وفِيهِ كَلامٌ يَطُولُ هذا نُخبَتُهُ وقَدْ بَسَطْنا القَوْلَ فِيهِ وفِيما ذُكِرَ فِيهِ سِوَي هذا آخِرَ بابِ المُعجِزاتِ * وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه كُلُّ نَبِيٍّ أُعطِيَ سَبعَةَ نُجَباءَ وُزَراءَ رُفَقاءَ مِنْ أُمَّتِهِ وأُعطِيَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم أربَعَةَ عَشَرَ نَجِيباً مِنهُمْ أبو بَكرٍ وعُمَرُ وابنُ مَسعُودٍ وعَمَّارٌ وقالَ صلى الله عليه وسلم انَّ اللهَ قَدْ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ وسَلَّطَ عَلَيها رَسولَهُ والمُؤمِنِينَ وانّها لا تَحِلُّ لِأحَدٍ بَعدِي وانّما أُحِلَّتْ لِي ساعَةً مِنْ نَهارٍ وعَنِ العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ انِّي عَبدُ اللهِ وخاتَمُ النَّبِيِّينَ وانَّ آدَمَ لَمُنجَدِلٌ في طِينَتِهِ وعِدَةُ أبِي ابرَاهِيمَ وبِشارَةُ عِيسَي بنِ مَريَمَ وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ انَّ اللهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم على أهلِ السَّماءِ وعلى الأنبياءِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيهِم قالُوا فما فَضْلُهُ علي أهلِ السَّماءِ قالَ انَّ اللهَ تعالي قالَ لِأهلِ السَّماءِ ومَنْ يَقُلْ مِنهُمْ انِّي الهٌ مِنْ دُونِهِ الآيَةَ وقالَ

لِمُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم انا فَتَحنا لكَ فَتحاً مُبيناً الآيَةَ قالُوا فما فَضْلُهُ
على الأَنبياءِ قالَ انّ اللهَ تعالى قالَ وما أَرسَلْنا مِنْ رسولٍ الّا بِلِسانِ قَوْمِهِ الآيَةَ
وقالَ لِمُحَمَّدٍ وما أَرسَلْناكَ الّا كافَّةً لِلنَّاسِ وعَنْ خالِدِ بْنِ مَعْدانَ أَنّ نَفَرًا مِنْ
أَصْحابِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالُوا يارسولَ اللهِ أَخْبِرْنا عَنْ
نَفْسِكَ وقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وأَنَسِ بْنِ مالِكٍ رضيَ
اللهُ عَنْهُمْ فقالَ نَعَمْ أَنا دَعْوَةُ أَبي ابْراهِيمَ يَعْني قَوْلَهُ رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ
رسولًا مِنْهُمْ وَبَشَّرَ بي عيسى وَرَأَتْ أُمّي حِينَ حَمَلَتْ بي أَنَّهُ خَرَجَ مِنها
نُورٌ أَضاءَ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ واسْتُرْضِعْتُ في بَني سَعْدِ بْنِ
بَكْرٍ فَبَيْنَا أَنا مَعَ أَخٍ لي خَلْفَ بُيُوتِنا نَرْعى بَهْمًا لَنا اذْ جاءَني رَجُلانِ عَلَيْهِما
ثِيابٌ بِيضٌ وفي حَديثٍ آخَرَ ثَلاثَةُ رِجالٍ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٍ ثَلْجًا
فَأَخَذاني فَشَقَّا بَطْني قالَ في غَيْرِ هذا الحَديثِ مِنْ نَحْرِي الي مَراقِّ بَطْني
ثُمَّ اسْتَخْرَجا مِنْهُ قَلْبي فَشَقَّاهُ فاسْتَخْرَجا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْداءَ فَطَرَحاها ثُمَّ غَسَلا
قَلْبي وَبَطْني بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتّي أَنْقَياهُ قالَ في حَديثٍ آخَرَ ثُمَّ تَناوَلَ أَحَدُهُما
شَيْئًا فاذا بِخاتَمٍ في يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحارُ النَّاظِرُ دُونَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبي فامْتَلأَ
ايمانًا وحِكْمَةً ثُمَّ أَعادَهُ مَكانَهُ وأَمَرَّ الآخَرُ يدَهُ علي مَفْرَقِ صَدْري فالْتَأَمَ وفي
رِوايَةٍ أَنّ جِبْرِيلَ قالَ قَلْبٌ وَكِيعٌ أَىْ شَدِيدٌ فِيهِ عَيْنانِ تُبْصِرانِ وأُذُنانِ
سَمِيعَتانِ ثُمَّ قالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَني بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ
ثُمَّ قالَ زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَني بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قالَ زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ
فَوَزَنَني بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قالَ دَعْهُ عَنْكَ فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَها قالَ في
الحَديثِ الآخَرِ ثُمَّ ضَمُّوني الى صُدُورِهِمْ وقَبَّلُوا رَأْسي وما بَيْنَ عَيْنَيَّ

ثُمَّ قالُوا ياحَبِيبُ لَمْ تُرَعْ انَّكَ لَوْ تَدْرِي ما يُرَادُ بِكَ مِنَ الخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْناكَ
وفي بَقِيَّةِ هٰذَا الحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِمْ ما أَكْرَمَكَ علي اللهِ انَّ اللهَ مَعَكَ ومَلَائِكَتَهُ
قالَ في حَدِيثِ أبي ذَرٍّ فَما هوَ الَّا أن وَلَّيا عَنِّي فَكأَنَّما أرَي الأمرَ مُعايَنَةً
وحَكَى أبو محمّدٍ المَكِّيُّ وأبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ وغَيْرُهُما أنَّ آدَمَ عِنْدَ
معصِيَتِهِ قالَ اللّهُمَّ بِحَقِّ محمّدٍ اغفِرْ لي خَطِيئَتِي وَيُرْوَى وتَقَبَّلْ تَوْبَتِي فقالَ لَهُ اللهُ
مِنْ أيْنَ عَرَفْتَ محمّدًا قالَ رَأَيْتُ في كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الجَنَّةِ مَكْتُوبًا
لا الهَ الَّا اللهُ محمّدٌ رسولُ اللهِ وَيُرْوَى محمّدٌ عَبْدِي ورَسولي فَعَلِمْتُ أنّهُ
أكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ فَتابَ اللهُ علَيْهِ وغَفَرَ لَهُ وهٰذا عِنْدَ قائِلِهِ تأوِيلُ قَوْلِهِ
تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمات وفي رِوَايَةٍ اخْرَى فقالَ آدَمُ لَمَّا
خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي الي عَرْشِكَ فاذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ لا الهَ الّا اللهُ محمّد
رسولُ اللهِ فعَلِمْتُ أنّهُ لَيْسَ أحَدٌ أعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ
فأَوْحَى اللهُ الَيهِ وعِزَّتِي وجَلالِي انّهُ لَآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ولَوْلاهُ
ما خَلَقْتُكَ قالَ وكانَ آدَمُ يُكَنَّى بِأَبي محمّدٍ وقِيلَ بِأَبي البَشَرِ ورُوِيَ عن
سُرَيْجِ بْنِ يُونُسَ أنّهُ قالَ انّ لِلهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ عِبادَتُها علي كُلِّ دارٍ
فِيها أحْمَدُ أو محمّدٌ اكْرَاماً مِنهُمْ لِمُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ورَوَي ابْنُ قانِعٍ
القاضِي عنْ أبي الحَمْرَاءِ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا اسْرِىَ
بِي الى السَّماءِ اذَا على العَرْشِ مَكْتُوبٌ لا الهَ الّا اللهُ محمّدٌ رسولُ اللهِ أيَّدْتُهُ
بِعَلِيٍّ وفي التَّفْسِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاس في قَوْلِهِ تعالي وكان تَحْتَهُ كَنْزٌ
لَهُما قالَ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ عَجَباً لِمَنْ أيْقَنَ بالقَدَرِ كَيْفَ
يَنْصَبُ عَجَباً لِمَنْ أيْقَنَ بالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ عَجَباً لِمَنْ رَأَي الدُّنْيا وتَقَلُّبَها

بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا أَنَا اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ إِنِّي أَنَا اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ لَا أُعَذِّبُ مَنْ قَالَهَا وَذُكِرَ أَنَّهُ وُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ وَسَيِّدٌ أَمِينٌ وَذَكَرَ السِّمِنْطَارِيُّ أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَعَلَى الْآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ أَنَّ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَرْدًا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَلَا لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ صلى الله عليه وسلم وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ فِي سَمَاعِهِ وَابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ عَنْ مَالِكٍ سَمِعْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ اسْمُ مُحَمَّدٍ إِلَّا نَمَى وَرُزِقُوا وَرُزِقَ جِيرَانُهُمْ وَعَنْهُ صلى الله عليه وسلم مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلَاثَةٌ وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ وَحَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَتْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا الْآيَةَ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلًا وَفَضَّلَ نِسَائِي عَلَى نِسَائِكُمْ تَفْضِيلًا الْحَدِيثَ

﴿ فَصْلٌ ﴾ فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَالرُّؤْيَةِ وَإِمَامَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

الـكُبْرى ومِنْ خصائِصِهِ صلى الله عليه وسلم قِصةُ الإسْراء وما انطَوَتْ عليْهِ
مِنْ دَرَجاتِ الرِّفعَةِ بِمَّا نبَّهَ عليْهِ الـكِتابُ العَزِيزُ وشَرَحتْهُ صِحاحُ الأَخْبارِ
قالَ اللهُ تَعالى سُبْحانَ الَّذِي أسْرٰى بِعبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ الآيَةَ وقالَ
تَعالى والنَّجْمِ اذَا هَوَى الى قَوْلِهِ لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الـكُبْرى فلاَ
خِلاَفَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ في صِحةِ الإِسْراءِ بِهِ صلى الله عليه وسلم اذْ هوَ
نَصُّ القُرْآنِ وَجاءتْ بِتَفْصِيلِهِ وَشَرْحِ عَجائِبِهِ وخَوَاصِّ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلى الله
عليه وسلم فِيهِ أحادِيثُ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ رَأيْنا أنْ نُقَدِّمَ أكْمَلَها وَنُشِيرَ الي
زِيادَةٍ مِنْ غَيْرِهِ يَجِبُ ذِكْرُها حدثنا القاضي الشَّهِيدُ أبو عَلِيٍّ والفَقِيهُ أبو بَحْرٍ
بِسَماعي عَلَيْهِما والقاضِي أبو عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ وَغَيْرُ واحِدٍ مِنْ شُيُوخِنا قالُوا
حدثنا أبو العَبَّاسِ العُذْرِيُّ حدثنا أبو العَبَّاسِ الرَّازِيُّ حدثنا أبو أحْمَدَ الجُلُودِيُّ
حدثنا ابْنُ سُفْيانَ حدثنا مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ حدثنا شَيْبانُ بْنُ فَرُّوخَ حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ
حدثنا ثابِتٌ البُنانِيُّ عَنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه
وسلم قالَ أُتِيتُ بالبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ
يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهٰى طَرْفِهِ قالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ
بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِها الأَنْبِياءُ ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ
ثُمَّ خَرَجْتُ فَجاءنِي جِبْرِيلُ بِإِناءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِناءٍ مِنْ لَبَنٍ فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ
فَقالَ جِبْرِيلُ اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ ثُمَّ عُرِجَ بِنا الى السَّماءِ فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ
فَقِيلَ مَنْ أنْتَ قالَ جِبْرِيلُ قِيلَ ومَنْ مَعَكَ قالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ اليْهِ قالَ
قَدْ بُعِثَ اليْهِ فَفُتِحَ لَنا فاذَا أنا بِآدَمَ صلى اللهُ عليه وسلم فَرَحَّبَ بِي وَدَعا لي
بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنا الى السَّماءِ الثَّانِيَةِ فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أنْتَ قالَ جِبْرِيلُ

قيلَ وَمَنْ معكَ قالَ محمَّدٌ قِيلَ وقَدْ بُعِثَ اليهِ قالَ قَدْ بُعِثَ اليْهِ فَفُتِحَ لَنا فإِذَا
أَنا بِابْنَيِ الخالَةِ عِيسي بْنِ مَرْيَمَ وَيحْيي بْنِ زَكَرِيَّا صلى اللهُ عَلَيْهِما فَرَحَّبا بِي
ودَعَوَا لِيَ بخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنا الى السَّماءِ الثَّالِثَةِ فَذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ فَفُتِحَ لَنا
فإِذَا أَنا بِيُوسُفَ صلى الله عليه وسلم واذَا هو قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ فَرَحَّبَ
بِي وَدَعالِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنا الي السَّماءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهُ فإِذَا أَنا بِإِدْرِيسَ
فَرَحَّبَ بِي وَدَعا لِي بِخَيْرٍ قالَ اللهُ تَعالى وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا ثُمَّ عُرِجَ بِنا الي
السَّماءِ الخامِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فإِذَا أَنا بِهارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعالِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عُرِجَ
بِنا الى السَّماءِ السَّادِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فإِذَا أَنا بِمُوسٰى فَرَحَّبَ بِي ودَعالِي بِخَيْرٍ
ثُمَّ عُرِجَ بِنا الي السَّماءِ السَّابِعَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فإِذَا أَنا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ الى البَيْتِ
المَعْمُورِ واذَا هو يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملَكٍ لا يَعُودُونَ الَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ
بِي الي سِدْرَةِ المُنْتَهٰي واذَا وَرَقُها كَآذانِ الفِيَلَةِ واذَا ثَمَرُها كَالقِلالِ قالَ فَلَمَّا
غَشِيَها مِنْ أَمْرِ اللهِ ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَها
مِنْ حُسْنِها فَأَوْحٰي اللهُ اليَّ ما أَوْحٰي فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً في كُلِّ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ الي مُوسٰي فَقالَ ما فَرَضَ رَبُّكَ على أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ
صلاةً قالَ ارْجِعْ الي رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فانَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فانِّي
قَدْ بَلَوْتُ بَنِي اسْرائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ قالَ فَرَجَعْتُ الي رَبِّي فَقُلْتُ يارَبِّ خَفِّفْ
عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً فَرَجَعْتُ الي مُوسٰي فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْساً قالَ
انَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فارْجِعْ الي رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ
بَيْنَ رَبِّي تَعالي وَبَيْنَ مُوسٰي حَتَّي قالَ يا محمَّدُ انَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ
ولَيْلَةٍ لِكُلِّ صلاةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صلاةً ومَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ

حَسَنَةً فانْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ومَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فانْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً واحِدَةً قالَ فَنَزَلْتُ حَتَّي انْتَهَيْتُ الى مُوسى فَأَخْبَرْتُهُ فقالَ ارْجِعْ الي رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فقالَ رَسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ الى رَبِّي حَتَّى اسْتَحَيْتُ مِنْهُ قالَ القاضِي وَفَّقَهُ اللّٰهُ جَوَّدَ ثابتٌ رَحِمَهُ اللّٰهُ هٰذَا الحَدِيثَ عَنْ أَنَس ماشاءَ ولَمْ يأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأَصْوَبَ مِنْ هٰذَا وقَدْ خَلَّطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَس تَخْلِيطاً كَثِيرًا لا سِيَّما مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ فَقَدْ ذَكَرَ في أَوَّلِهِ مَجِيءَ المَلَكِ لَهُ وشَقَّ بَطْنِهِ وغَسْلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ وهٰذَا انَّما كانَ وهوَ صَبِيٌّ وقَبْلَ الوَحْيِ وقَدْ قالَ شَرِيكٌ في حَدِيثِهِ وذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحى الَيْهِ وذَكَرَ قِصَّةَ الإِسْرَاءِ ولا خِلافَ أَنَّها كانَتْ بَعْدَ الوَحْيِ وقَدْ قالَ غَيْرُ واحِدٍ انَّها كانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَقِيلَ قَبْلَ هٰذَا وقَدْ رَوَي ثابتٌ عَنْ أَنَس مِنْ رِوايَةِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ أَيْضاً مَجِيءَ جِبْرِيلَ الي النَّبِيِّ صلى اللّٰهُ عليه وسلم وهوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمانِ عِنْدَ ظِئْرِهِ وشَقَّهُ قَلْبَهُ تِلْكَ القِصَّةَ مُفْرَدَةً مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ كما رَوَاهُ النَّاسُ فَجَوَّدَ في القِصَّتَيْنِ وفي أَنَّ الْإِسْرَاءَ الي بَيْتِ المَقْدِسِ والى سِدْرَةِ المُنْتَهي كانَ قِصَّةً واحِدَةً وأَنَّهُ وَصَلَ الي بَيْتِ المَقْدِسِ ثُمَّ عُرِجَ مِنْ هُنَاكَ فَأَزَاحَ كُلَّ اشْكالٍ أَوْهَمَهُ غَيْرُهُ وقَدْ رَوَى يُونُسُ عَنِ ابنِ شِهابٍ عَنْ أَنَسٍ قالَ كانَ أَبو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قالَ فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وايمانًا فَأَفْرَغَها في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنا الي السَّماءِ فَذَكَرَ القِصَّةَ ورَوَى

قتادةُ الحديثَ بمثلهِ عن أنسٍ عن مالكِ بنِ صعصعةَ وفيها تقديمٌ وتأخيرٌ وزيادةٌ ونقصٌ وخلافٌ في ترتيبِ الأنبياءِ في السموَات وحديثُ ثابتٍ عن أنس أتقنُ وأجودُ وقدْ وقعتْ في حديثِ الاسراءِ زياداتٌ نذكرُ منها نكتاً مفيدةً في غرضنا منها في حديثِ ابنِ شهابٍ وفيهِ قولُ كلِّ نبيٍّ لهُ مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ الا آدمَ وابراهيمَ فقالا لهُ والابنِ الصالحِ وفيهِ منْ طريقِ ابنِ عبَّاسٍ ثمَّ عرجَ بي حتَّى ظهرتُ بمستوًى أسمعُ فيهِ صريفَ الأقلامِ وعنْ أنسٍ ثمَّ انطلقَ بي حتَّى أتيتُ سدرةَ المنتهى فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هيَ قالَ ثمَّ أُدخلتُ الجنَّةَ وفي حديثِ مالكِ بنِ صعصعةَ فلمَّا جاوزتهُ يعني موسى بكى فنوديَ ما يبكيكَ قالَ ربِّ هذا غلامٌ بعثتهُ بعدي يدخلُ منْ أُمتهِ الجنَّةَ أكثرُ ممَّا يدخلُ منَ أُمَّتي وفي حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه وقدْ رأيتني في جماعةٍ منَ الأنبياءِ فحانتِ الصلاةُ فأممتهمْ فقالَ قائلٌ يا محمَّدُ هذا مالكٌ خازنُ النَّارِ فسلِّمْ عليهِ فالتفتُّ فبدأني بالسلامِ وفي حديثِ أبي هريرةَ ثمَّ سارَ حتَّى أتى بيتَ المقدسِ فنزلَ فربطَ فرسهُ الي صخرةٍ فصلَّي معَ الملائكةِ فلمَّا قضيتِ الصلاةُ قالوا ياجبريلُ منْ هذا معكَ قال هذا محمَّدٌ رسولُ اللهِ خاتمُ النَّبيِّينَ قالوا وقدْ أُرسلَ اليهِ قالَ نعمْ قالوا حيَّاهُ اللهُ منْ أخٍ وخليفةٍ فنعمَ الأخُ ونعمَ الخليفةُ ثمَّ لقوا أرواحَ الأنبياءِ فأثنوا على ربِّهمْ وذكرَ كلامَ كلِّ واحدٍ منهمْ وهمْ ابراهيمُ وموسى وعيسى وداودُ وسليمانُ ثمَّ ذكرَ كلامَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ وانَّ محمَّداً صلى اللهُ عليهِ وسلم أثنى على ربِّهِ عزَّ وجلَّ فقالَ كلُّكمْ أثنى على ربِّهِ وأنا أُثني على ربِّي الحمدُ للهِ الذي أرسلني رحمةً للعالمينَ

وكافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا ونَذِيرًا وأَنْزَلَ عَلَيَّ الفُرْقَانَ فِيهِ تِبيانُ كُلِّ شَيْءٍ وجَعَلَ أُمَّتِي خَيرَ أُمَّةٍ وجَعَلَ امَّتِي أُمَّةً وَسَطًا وجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلُونَ وهُمُ الآخِرُونَ وشَرَحَ لِي صَدْرِي ووَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ورَفَعَ لِي ذِكْرِي وجَعَلَنِي فاتِحًا وخاتِمًا فقالَ ابرَاهِيمُ بِهٰذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ الى السَّماءِ الدُّنيا وَمِنْ سَماءٍ الي سَماءٍ نَحْوَ ما تَقَدَّمَ وفي حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ وانْتُهِيَ بِي الي سِدْرَةِ المُنْتَهٰى وَهِيَ في السَّماءِ السَّادِسَةِ الَيْها يَنْتَهِي ما يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْها والَيْها يَنْتَهِي ما يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِها فَيُقْبَضُ مِنْها قالَ تعالي اذ يَغْشَي السِّدْرَةَ ما يَغْشٰى قال فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ وفي رِوايَةِ أَبي هُرَيْرَةَ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فَقِيلَ لِي هذِهِ السِّدرَةُ المُنْتَهى يَنْتَهِي الَيْها كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلا علي سَبِيلِكَ وَهِيَ السِّدْرَةُ المُنْتَهٰي يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِها أَنْهار مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها سَبْعِينَ عاماً وأَنَّ وَرَقَةً مِنْها مُظِلَّةُ الخَلْقِ فَغَشِيَها نُورٌ وغَشِيَتْها المَلائِكَةُ قالَ فَهُوَ قَوْلُهُ اذْ يَغْشَي السِّدْرَةَ ما يَغْشَي فقالَ تَبارَكَ وتعالي لَهُ سَلْ فقالَ انَّكَ اتَّخَذْتَ ابرَاهِيمَ خَلِيلًا وأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً عَظِيماً وكَلَّمْتَ مُوسٰي تَكْلِيماً وأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكاً عَظِيماً وأَلَنْتَ لَهُ الحَدِيدَ وسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبالَ وأَعْطَيتَ سُلَيْمانَ مُلْكاً عَظِيماً وسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ والْإِنْسَ والشَّياطِينَ وَالرِّياحَ وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وعَلَّمْتَ عِيسٰي التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأَعَذْتَهُ وأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِما سَبِيلٌ فقالَ لَهُ رَبُّهُ تعالي

قَدِ اتخذْتُكَ خليــلاً وَحبيباً فهُوَ مَكْتُوبٌ في التوْرَاةِ محمَّدٌ حبيبُ الرَّحْمانِ
وَأرسلْتُكَ الي النَّاسِ كافةً وَجعلْتُ أُمتَــكَ هُمُ الأوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ
وجَعلْتُ أُمتَــكَ لا تجُوزُ لهُمْ خُطْبَةٌ حتَّي يَشْهَدُوا أنكَ عبْــدِي وَرَسُولِي
وَجَعَلْتُكَ أوَّلَ النبيّــينَ خلقًا وَ آخِرَهُمْ بعثًا وأعطَيتُكَ سَبعاً مِنَ المَثانِي
ولمْ أُعطِها نبيًّا قبلَكَ وأعطَيتُكَ خوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تحتَ عرْشِي
لمْ أُعطِها نبيًّا قبلَكَ وجعَلْتُكَ فاتِحاً وخاتِماً وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَي قالَ فأُعطِيَ
رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثلاثاً أُعطِيَ الصَّلَوَاتِ الخمْسَ وأُعطِيَ خوَاتِيمَ
سُورَةِ البقَرَةِ وغُفِرَ لِمَنْ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْـئاً مِنْ أُمَّتِهِ المُقْحِماتُ وقالَ ما كَذَبَ
الفُؤَادُ ما رَأى الآيتَيْنِ رَأى جِبْرِيلَ في صُورَتِهِ لهُ سِتُّمائَةِ جَناحٍ وَفي
حَدِيثِ شَرِيكٍ أنَّهُ رَأى مُوسَي في السَّابعَةِ قالَ بتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ قالَ ثُمَّ
عُلِيَ بِهِ فوْقَ ذَلِكَ بِمَا لا يَعلَمُهُ الاّ اللهُ فقَالَ مُوسَي لمْ أظُنَّ أنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ
أحدٌ وَقدْ رُوِيَ عَنْ أنَسٍ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالأَنبياءِ بِبَيْتِ المَقْدِسِ
وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بينا أنا قاعِدٌ
ذَاتَ يوْمٍ اذْ دَخَلَ جِبْرِيلُ عليْهِ السَّلامُ فوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فقُمْتُ الى شَجَرَةٍ
فيها مِثْلُ وَكْرَيِ الطَّائِرِ فقَعَدَ في وَاحِدَةٍ وقعَدْتُ في الأُخْرَي فنَمَتْ حَتَّي
سَدَّتِ الخافِقَيْنِ ولَوْ شِئْتُ لمَسَسْتُ السَّماءَ وأنا أقَلِّبُ طَرْفِي ونظَرْتُ جِبْرِيلَ
كأنَّهُ حِلْسٌ لاطِيٌ فعَرَفْتُ فضْلَ عِلْمِهِ باللهِ عَلَيَّ وَفُتِحَ لِي بابُ السَّماءِ
وَرَأيتُ النُّورَ الأَعْظَمَ ولُطَّ دُونِيَ الحِجابُ وَفُرْجَةُ الدُّرِّ والْيَاقُوتُ ثُمَّ أوْحَي
اللهُ اليَّ ماشاء أنْ يُوحِيَ وذَكَرَ البَزَّارُ عَنْ عَلِيِّ بن أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ لمَّا أرَادَ اللهُ تَعالي أنْ يُعَلِّمَ رَسولَهُ صلى الله عليه وسلم الأَذانَ جاءَهُ جِبْرِيلُ

بدابةٍ يقالُ لها البُراقُ فذهبَ يرْكبُها فاستصعبتْ عليْهِ فقالَ لها جبريلُ اسكُني فواللهِ ما ركِبَكِ عبدٌ أكرمُ على اللهِ من محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فركبها حتَّى أتي بها الي الحجابِ الذي يلِي الرَّحمانَ تعالي فبيْنا هُوَ كذلكَ اذْ خرجَ ملَكٌ منَ الحجابِ فقالَ رسولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم يا جبريلُ منْ هذا قالَ والَّذي بعثكَ بالحقِّ انِّي لأقربُ الخلْقِ مكاناً وانَّ هـذا الملَكَ ما رأيتهُ منْـذُ خُلقتُ قبلَ ساعتِي هذِهِ فقالَ الملَكُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ فقيلَ لهُ منْ وراءِ الحجابِ صدَقَ عبْدِي أنا أكبرُ أنا أكبرُ ثُمَّ قالَ الملَكُ أشهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ فقيـلَ لهُ منْ وراءِ الحجابِ صدَقَ عبْدِي أنا اللهُ لا إلهَ الاَّ أنا وذكَرَ مثلَ هـذا في بقيَّةِ الأذانِ الاَّ أنَّهُ لمْ يذكُرْ جواباً عنْ قولِهِ حيَّ على الصَّلاةِ حيَّ على الفلاحِ وقالَ ثُمَّ أخذَ الملَكُ بيدِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فقدَّمَهُ فأمَّ أهـلَ السَّماءِ فيهمْ آدمُ ونُوحٌ قالَ أبو جعفرٍ محمَّدُ بْنُ علِيِّ ابنِ الحُسَيْنِ راوِيهِ أكملَ اللهُ تعالي لِمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الشَّرفَ على أهـلِ السَّمٰواتِ والأرضِ قالَ القاضِي وفَّقهُ اللهُ ما في هذا الحديثِ منْ ذِكرِ الحجابِ فهُوَ في حقِّ المخْلُوقِ لا في حقِّ الخالقِ فهُمُ المحْجُوبُونَ والبارِي جَـلَّ اسمُهُ مُنزَّهٌ عمَّا يحْجبُهُ اذِ الحُجُبُ انَّماتُحيطُ بمُقدَّرٍ محْسُوسٍ ولٰـكِنْ حُجُبُهُ على أبصارِ خلْقِهِ وبصائرِهِمْ وادْرا كاتِهِمْ بمـا شاءَ وكيفَ شاءَ ومتَي شاءَ كقوْلِهِ تعالي كلَّا انَّهُمْ عنْ ربِّهِمْ يومَئذٍ لمحْجُوبُونَ فقوْلُهُ في هذا الحديثِ الحجابُ واذْ خرجَ ملَكٌ منَ الحجابِ يجبُ أنْ يقالَ انَّهُ حجابٌ حُجِبَ بهِ منْ وراءَهُ منْ ملائِكتِهِ عنِ الإطِّـلاعِ على ما دُونَهُ منْ سُـلطانِهِ وعظمتِهِ وعجائبِ ملَـكُوتِهِ وجبرُوتِهِ ويدُلُّ عليْهِ منَ الحـديثِ قوْلُ جبرِيلَ عنِ

المَلَكِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِ انَّ هٰذَا المَلَكَ ما رَأَيتهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ ساعَتِي هٰذِهِ فَدَلَّ على أنَّ هـٰذَا الحِجابَ لَمْ يَختَصَّ بالذَّاتِ وَيَدُلُّ علَيْهِ قَوْلُ كَعْبٍ في تَفْسِيرِ سِدْرَةِ المُنْتَهىٰ قالَ اليْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ المَلَائِكَةِ وعِنْـدَها يَجِدُونَ أَمْرَ اللهِ لا يُجاوِزُها عِلْمُهُمْ وأمَّا قَوْلُهُ الَّذِي يَـلِي الرَّحْمانَ فَيُحْمَلُ على حَذْفِ المُضافِ أيْ يَـلِي عَرْشَ الرَّحْمانِ أوْ أمْرًا مَّا مِنْ عَظِيمِ آياتِهِ أوْ مَبادِي حَقائِقِ مَعارِفِهِ مِمَّا هُوَ أعْلَمُ بِهِ كما قالَ تعالي واسْئَلِ القَرْيَةَ أيْ أهْلَها وَقَوْلُهُ فَقِيـلَ مِنْ وَرَاءِ الحِجابِ صَدَقَ عَبْدِي أنا أَكْبَرُ فَظاهِرُهُ أنهُ سَمِـعَ في هٰذَا المَوْطِنِ كَلامَ اللهِ تَعالي ولَـكِنْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ كَما قالَ تعـالي وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ الاَّ وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ أيْ وَهُوَ لا يَرَاهُ حَجَبَ بَصَرَهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ فإنْ صَحَّ القَوْلُ بِأن مُحَمَّدًا صلي اللهُ عليه وسـلم رأي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَحْتَمِلُ أنَّهُ في غَـيْرِ هٰذَا المَوْطِنِ بَعْدَ هـٰذَا أوْ قَبْلَهُ رُفِعَ الحِجابُ عَنْ بَصَرِهِ حَـتَّي رَآهُ واللهُ أعْلَمُ

﴿ فَصْـلٌ ﴾ ثُمَّ اخْتَلَفَ السَّلَفُ والعُلَماءُ هَلْ كانَ اسْرَاؤُهُ بِرُوحِهِ أوْ جَسَدِهِ على ثَلاثِ مَقالاتٍ فَذَهَبَتْ طائِفَةٌ الى انَّهُ اسْرَاءٌ بالرُّوحِ وأنَّهُ رُؤْيا مَنامٍ مَعَ اتِّفاقِهِمْ أنَّ رُؤْيا الأنْبِياءِ حَقٌّ وَوَحْيٌ والي هـٰذَا ذَهَبَ مُعاوِيَةُ وَحُكِيَ عَنِ الحَسَنِ والمَشْهُورُ عَنْهُ خِـلافُهُ والَيْهِ أشارَ مُحَمَّدُ بْنُ اسْحاقَ وحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعالى وما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّـتِي أرَيْناكَ الاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وما حَـكَوْا عنَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ما فَقَدَتْ جَسَدَ رَسولِ اللهِ صـلى اللهُ عليه وسـلم وَقَوْلُهُ بَيْنا أنا نائِمٌ وقَوْلُ أنَسٍ وهو نائِمٌ في المَسْجِدِ الحَرَامِ وذَكَرَ القِصَّـةَ ثُمَّ قالَ في آخِرِها فاستَيْقَظْتُ وأنا بالمَسْجِدِ الحَرَامِ وذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ والمُسْلِمِينَ الي أنَّهُ اسْرَاءٌ

بالجسدِ وفي اليقظةِ وهذا هو الحقُّ وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ وجابرٍ وأنسٍ وحذيفةَ وعمرَ وأبي هريرةَ ومالكِ بنِ صعصعةَ وأبي حبّةَ البدريّ وابنِ مسعودٍ والضحّاكِ وسعيدِ بنِ جبيرٍ وقتادةَ وابنِ المسيّبِ وابنِ شهابٍ وابنِ زيدٍ والحسنِ وابراهيمَ ومسروقٍ ومجاهدٍ وعكرمةَ وابنِ جريجٍ وهوَ دليلُ قولِ عائشةَ وهو قولُ الطبريّ وابنِ حنبلٍ وجماعةٍ عظيمةٍ منَ المسلمينَ وهوَ قولُ أكثرِ المتأخرينَ منَ الفقهاءِ والمحدّثينَ والمتكلّمينَ والمفسّرينَ وقالتْ طائفةٌ كانَ الإسراءُ بالجسدِ يقظةً منَ المسجدِ الحرامِ الي بيتِ المقدسِ والي السّماءِ بالرّوحِ واحتجّوا بقولِهِ تعالي سبحانَ الّذي أسري بعبدِهِ ليلاً منَ المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصى فجعلَ الى المسجدِ الأقصى غايةَ الإسراءِ الّذي وقعَ التعجّبُ فيهِ بعظيمِ القدرةِ والتّمدّحِ بتشريفِ النّبيّ محمّدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلم بهِ وإظهارِ الكرامةِ لهُ بالإسراءِ اليهِ قالَ هؤلاءِ ولَوْ كانَ الإسراءُ بجسدِهِ الي زائدٍ على المسجدِ الأقصى لذكرَهُ فيكونُ أبلغَ في المدحِ ثمَّ اختلفتْ هذهِ الفرقتانِ هلْ صلَّى ببيتِ المقدسِ أمْ لا ففي حديثِ أنسٍ وغيرِهِ ما تقدَّمَ منْ صلاتِهِ فيهِ وأنكرَ ذلكَ حذيفةُ بنُ اليمانِ وقالَ واللهِ ما زالا عنْ ظهرِ البراقِ حتّى رجعا قالَ القاضي وفّقهُ اللهُ والحقُّ منْ هذا والصّحيحُ انْ شاءَ اللهُ أنهُ اسراءٌ بالجسدِ والرّوحِ في القصةِ كلّها وعليهِ تدلُّ الآيةُ وصحيحُ الأخبارِ والاعتبارُ ولا يُعدَلُ عنِ الظّاهرِ والحقيقةِ الي التأويلِ الّا عندَ الاستحالةِ وليسَ في الإسراءِ بجسدِهِ وحالِ يقظتِهِ استحالةٌ اذْ لوْ كانَ مناماً لقالَ بروحِ عبدِهِ ولمْ يقلْ بعبدِهِ وقولُهُ تعالي ما زاغَ البصرُ وما طغى ولوْ كانَ مناماً لما كانتْ فيهِ آيةٌ ولا معجزةٌ ولما استبعدَهُ الكفّارُ ولا كذّبوهُ فيهِ ولا ارتدَّ بهِ ضعفاءُ منْ أسلمَ وافتتنوا بهِ اذْ مثلُ هذا منَ

المَنامات لا يُنكَرُ بَلْ لم يَكُنْ ذَلِكَ مِنهُمْ الا وقَدْ عَلِمُوا أنَّ خَبَرَهُ انما كان عَنْ جِسْمِهِ وحالِ يَقظَتِهِ الى ماذُكِرَ فى الحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلاتِهِ بالأَنبياء بِبَيْتِ المَقْدِسِ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ أوْ فِي السَّماء على مارَوَى غَيْرُهُ وذِكْرِ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لَهُ بالبُرَاقِ وخَبَرِ المِعْرَاجِ واستِفْتاحِ السَّماء فَيُقالُ ومَنْ مَعَكَ فَيقُولُ مُحَمَّدٌ ولِقائِهِ الأَنبياء فِيها وخَبَرِهِمْ مَعَهُ وتَرْحِيبِهِمْ بِهِ وشأْنِهِ فِي فَرْضِ الصَّلاةِ ومُرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسٰى فِي ذَلِكَ وفِي بَعْضِ هٰذِهِ الأَخْبارِ فَأَخَذَ يَعْنِي جِبْرِيلَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي الي السَّماءِ الي قَوْلِهِ ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّي ظَهَرْتُ بِمُسْتَوًي أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ وأَنَّهُ وَصَلَ الي سِدْرَةِ المُنْتَهٰي وأنَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَرَأى فِيها ماذَكَرَهُ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ هِيَ رُؤْيا عَيْنٍ رَآها صلى الله عليه وسلم لاَ رُؤْيا مَنامٍ وعَنِ الحَسَنِ فِيهِ بَيْنا أنا نائِمٌ فِي الحِجْرِ جاءَنِي جِبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِعَقِبِهِ فَقُمْتُ فَجلَسْتُ فَلَمْ أرَ شَيْئاً فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ذَكَرَ ذَلِكَ ثَلاثاً قَالَ فِي الثَّالِثَةِ فَأَخَذَ بِعَضُدِي فَجَرَّنِي الى بابِ المَسْجِدِ فاذَا بِدَابَّةٍ وذَكَرَ خَبَرَ البُرَاقِ وعَنْ أُمِّ هانِئٍ ما أُسْرِيَ بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاَّ وَهو فِي بَيْتِي تِلكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى العِشاء الاخِرَةَ وَنامَ بَيْنَنا فَلَمَّا كانَ قُبَيْلَ الفَجْرِ أهَبَّنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَصَلَّيْنا قالَ يا أُمَّ هانِئٍ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاء الآخِرَةَ كَما رَأَيْتِ بِهٰذَا الوَادِي ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ثُمَّ صَلَّيْتُ الغَدَاةَ مَعَكُمُ الآنَ كَما تَرَوْنَ وهذَا بَيِّنٌ فِي أنَّهُ بِجِسْمِهِ وعَنْ أَبِي بَكْرٍ مِنْ رِوَايَةِ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ عَنْهُ أنَّهُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ طَلَبْتُكَ يا رسولَ اللهِ البارِحَةَ فِي مَكانِكَ فَلَمْ أجِدْكَ فَأَجابَهُ أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَمَلَنِي الي المَسْجِدِ الأَقْصٰي

وعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَلَّيْتُ لَيْلَةَ اسْرِيَ بِي في مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ دَخَلْتُ الصَّخْرَةَ فاذَا بِمَلَكٍ قائِمٍ مَعَهُ آنيةٌ ثَلاثٌ وذَكَرَ الحَدِيثَ وهٰذِهِ التَصْرِيحاتُ ظاهِرَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ فَتُحْمَلُ على ظاهِرِها وعنْ أبِي ذَرٍّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَشَرَحَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِماءِ زَمْزَمَ الي آخِرِ القِصَّةِ ثُمَّ أخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي وعَنْ أنَس اتِيتُ فانطَلَقُوا بِي الي زَمْزَمَ فشُرِحَ عَنْ صَدْرِي وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي في الحِجْرِ وقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أشْياء لَمْ أُثْبِتْها فَكُرِبْتُ كَرْباً ما كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أنظُرُ الَيْهِ ونَحْوُهُ عَنْ جابِرٍ وقَدْ رَوَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حَدِيثِ الإِسْرَاءِ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قالَ ثُمَّ رَجَعْتُ الى خَدِيجَةَ وما تَحَوَّلَتْ عَنْ جانِبِها

﴿ فَصلٌ ﴾ في ابْطالِ حُجَجِ مَنْ قالَ انها نَوْمٌ احتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعالي وما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتِي أرَيْناكَ فَسَمَّاها رُؤْيا قُلْنا قولُهُ سُبْحانَ الذِي أسْرَي بِعَبْدِهِ يَرُدُّهُ لِأَنهُ لاَ يُقالُ في النَّوْمِ أسْرِي وقولُهُ فِتْنَةً لِلنَّاسِ يُؤَيِّدُ أنها رُؤْيا عَيْنٍ واسْراءُ بِشَخْصٍ اذ لَيْسَ في الحُلُمِ فِتْنَةٌ ولاَ يُكَذِّبُ بِهِ أحَدٌ لِأَنَّ كُلَّ أحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ في مَنامِهِ مِنَ الكَوْنِ في ساعَةٍ وَاحِدَةٍ في أقْطارٍ مُتَبايِنَةٍ على أنَّ المُفَسِّرِينَ قَدِ اخْتَلَفُوا في هٰذِهِ الآيَةِ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ الي أنَّها نَزَلَتْ في قَضِيَّةِ الحُدَيْبِيَةِ وما وَقَعَ في نُفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ وقِيلَ غَيْرُ هٰذا وأمَّا قَوْلُهُمْ انَّهُ قَد سَمَّاها في الحَدِيثِ مَاماً وقولُهُ في حَدِيث آخَرَ بَيْنَ النَّائِمِ واليَقْظانِ وقولُهُ أيْضاً وهُوَ نائِمٌ وقولُهُ ثُمَّ استَيْقَظْتُ فَلاَ حُجَّةَ فِيهِ اذْ قَدْ يَحْتَمِلُ أن أوَّلَ

وُصُولِ المَلَكِ اليْـهِ كانَ وهوَ نائِمٌ أوْ أوَّلَ حَمْـلِهِ والإِسْرَاء بِهِ وهوَ نائِمٌ وليْسَ في الحَدِيثِ أنَّهُ كانَ نائِماً في القِصةِ كُلِها الّا ما يَدُلُّ عَلَيْهِ قوْلُهُ ثُمَّ استَيْقَظْتُ وأنا في المَسْـجِدِ الحَرَامِ فَلَعَلَّ قوْلَهُ استَيقظتُ بِمَعْـنى أصْبحتُ أوِ استَيْقظَ مِنْ نَوْمٍ آخرَ بَعْدَ وُصُولِهِ بَيْتَـهُ وَيَدُلُّ عليْهِ أنْ مَسْرَاهُ لَمْ يَـكُنْ طُولَ لَيْـلِهِ وانَّما كانَ في بَعضِهِ وقَدْ يَـكُونُ قَوْلُهُ استَيْقَظْتُ وأنا في المَسْجِدِ الحَرَامِ لِمـا كانَ غَمَرَهُ مِن عَجائِبِ ما طالَع من ملَـكُوتِ السَّموَاتِ والأَرْضِ وخامَرَ باطِنَهُ مِنْ مُشاهَدَةِ المَـلأ الأَعْـلَى وما رَأى مِنْ آياتِ رَبِهِ الـكُبْرَى فَـلَمْ يَستَفِقْ وَيَرْجِعْ الى حالِ البَشَرِيَّةِ الّا وهُوَ بالمَسْـجِدِ الحَرَامِ وَوَجهٌ ثالِثٌ أنْ يَـكُونَ نَوْمُهُ واستِيقاظُهُ حَقِيقَةً على مُقْتَضَى لَفْظِهِ ولَـكِنَّهُ اسْرِيَ بِجَسَدِهِ وقَلْبُهُ حاضِرٌ ورُؤْيا الأَنْبِياء حَقٌّ تَنامُ أعيُنُهُمْ ولا تَنامُ قُـلُوبُهُمْ وقَدْ مالَ بَعْضُ أصْحابِ الإِشارَاتِ الي نَحْوٍ مِنْ هٰذَا قالَ تَغْمِيضُ عَيْنَيْهِ لِئَـلّا يَشغَـلَهُ شَيْءٌ مِنَ المَحْسُوساتِ عَنِ اللهِ تعالى ولا يَصِـحُّ هٰـذَا أنْ يَـكُونَ في وَقْتِ صَـلاتِهِ بِالأَنْبِياء ولَعَـلَّهُ كانَتْ لَهُ في هٰـذَا الإِسْرَاءِ حالاتٌ * وَوَجهٌ رَابِـعٌ وهُوَ أنْ يُعَـبَّرَ بالنَّوْمِ هٰهُنا عنْ هَيْـئَةِ النَّائِمِ مِنَ الإِضْطِجاعِ وَيُقَوِّيهِ قوْلُهُ في رِوَايَةِ عَبْـدِ بْنِ حُمَيْدٍ عنْ هَمَّامٍ بَيْنا أنا نائِمٌ ورُبَّما قالَ مُضْطَجِعٌ وفي رِوَايَةِ هُدْبَةَ عَنْهُ بَيْنا أنا نائِمٌ في الحَطِيمِ وَرُبَّما قالَ في الحِجْرِ مُضْطَجِعٌ وقوْلُهُ في الرِّوايَةِ الأُخْرَى بَيْنا النَّائِمِ واليَقْظانِ فَيَـكُونُ سَمَّى هَيْئَتَهُ بالنَّوْمِ لَمـا كانَتْ هَيْـئَةَ النَّائِمِ غالِباً وذَهَبَ بَعْضُـهُمْ الي أنَّ هٰـذِهِ الزِّيادَاتِ مِنَ النَّوْمِ وذِكْرِ شَقِّ البَطْنِ ودُنُوِّ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ الوَاقِعَـةَ في هٰـذَا الحَدِيثِ انَّما هِيَ مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكٍ عنْ أنَسٍ فَهِيَ مُنْـكَرَةٌ مِنْ رِوَايَتِهِ اذْ شَـقُّ

البَطْنِ في الاحاديثِ الصَّحيحَةِ انّما كانَ في صِغَرِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وقَبْلَ النُّبُوَّةِ ولِأَنَّهُ قالَ في الحَديثِ قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ والإِسْرَاء بِإِجْماعٍ كانَ بَعْدَ المَبْعَثِ فَهٰذا كُلُّهُ يُوهِنُ ما وَقَعَ في رِوايَةِ أَنَسٍ مَعَ أنَّ أنساً قَدْ بَيَّنَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ أنّهُ انّما رَوَاهُ عنْ غَيْرِهِ وأنّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ مَرَّةً عنْ مالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وفي كِتابِ مُسْلِمٍ لَعَلَّهُ عنْ مالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ على الشَّكِّ وقالَ مَرَّةً كانَ أبو ذَرٍّ يُحَدِّثُ وأمّا قَوْلُ عائِشَةَ ما فَقَدْتُ جَسَدَهُ فَعائِشَةُ لَمْ تُحدِّثْ بِهِ عنْ مُشاهَدَةٍ لِأنّها لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ زَوْجَهُ ولا في سِنِّ مَنْ يَضْبِطُ ولَعَلَّها لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ بَعْدُ على الخِلافِ في الإِسْرَاءِ مَتَى كانَ فانَّ الإِسْرَاءَ كانَ في أوَّلِ الإِسْلامِ على قَوْلِ الزُّهْرِيِّ ومَنْ وافَقَهُ بَعْدَ المَبْعَثِ بِعامٍ وَنِصفٍ وكانَتْ عائِشَةُ في الهِجْرَةِ بِنْتَ نَحْوِ ثَمانِيَةِ أعْوامٍ وقَدْ قِيلَ كانَ الإِسْرَاءُ لِخَمْسٍ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَقِيلَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِعامٍ والأَشْبَهُ أنّهُ لِخَمْسٍ والحُجَّةُ لِذٰلِكَ تَطُولُ لَيْسَتْ مِنْ غَرَضِنا فإِذَا لَمْ تُشاهِدْ ذٰلِكَ عائِشَةُ دَلَّ على أنّها حَدَّثَتْ بِذٰلِكَ عَنْ غَيْرِها فَلَمْ يُرَجَّحْ خَبَرُها على خَبَرِ غَيْرِها وغَيْرُها يَقُولُ خِلافَهُ مِمَّا وَقَعَ نَصًّا في حَدِيثِ امِّ هانِئٍ وغَيْرِهِ وأيْضاً فَلَيْسَ حَدِيثُ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْها بالثّابِتِ والأَحادِيثُ الأُخَرُ أثْبَتُ لَسْنا نَعْني حَدِيثَ أُمِّ هانِئٍ وما ذُكِرَتْ فيهِ خَدِيجَةُ وأيْضاً فَقَدْ رُوِيَ في حَدِيثِ عائِشَةَ ما فَقَدْتُ ولَمْ يَدْخُلْ بِها النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم الّا بالمَدِينَةِ وكُلُّ هٰذا يُوَهِّنُهُ بَلِ الّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَحِيحُ قَوْلِها أنّهُ بِجَسَدِهِ لِإِنْكارِها أنْ تَكُونَ رُؤْياهُ لِرَبِّهِ رُؤْيا عَيْنٍ ولَوْ كانَتْ عِنْدَها مَناماً لَمْ تُنْكِرْهُ فانْ قِيلَ فَقَدْ قالَ تعالي ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأى فَقَدْ

جَعَلَ ما رَآهُ لِلقَلْبِ وهٰذَا يَدُلُّ على أنَّهُ رُؤْيا نَوْمٍ وَوَحْيٌ لا مُشاهَدَةُ عَيْنٍ وحِسٍّ قُلْنا يُقابِلُهُ قَوْلُهُ تعالي ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى فَقَدْ أضافَ الأَمْرَ لِلبَصَرِ وقَدْ قالَ أهلُ التَّفْسِيرِ في قَوْلِهِ تعالي ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأى أيْ لَمْ يُوهِمِ القَلْبُ العَيْنَ غَيْرَ الحَقِيقَةِ بَلْ صَدَقَ رُؤْيَتَها وقِيلَ ما أنْكَرَ قَلْبُهُ ما رَأَتْهُ عَيْنُهُ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا رُؤْيَتُهُ صلى الله عليه وسلم لِرَبِّهِ جَلَّ وعَزَّ فاخْتَلَفَ السَّلَفُ فيها فَأَنْكَرَتْهُ عائِشَةُ رضيَ اللهُ عنها * حدثنا أبو الحُسَيْنِ سِرَاجُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ الحافِظُ بِقِراءَتي عَلَيْهِ قالَ حدثني أبِي وأبو عبدِ اللهِ بنُ عتَّاب الفَقِيهُ قالا حدثنا القاضي يُونُسُ بنُ مُغيثٍ حدثنا أبو الفَضْلِ الصِّقِلِّيُّ حدثنا ثابتُ بنُ قاسِمِ بنِ ثابتٍ عنْ أبِيهِ وجَدِّهِ قالا حدثنا عبدُ اللهِ بنُ عَلِيٍّ حدثنا محمُودُ بنُ آدَمَ حدثنا وَكِيعٌ عنِ ابْنِ أبِي خالِدٍ عَنْ عامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ أنَّهُ قالَ لِعائِشَةَ رضيَ الله عنها يا امَّ المُؤْمِنِينَ هَلْ رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ فَقالَتْ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ ثَلاثٌ مَنْ حَدَّثَكَ بِهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ مَنْ حَدَّثَكَ أنَّ مُحَمَّدًا رَأي رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ الآيَةَ وذَكَرَ الحَدِيثَ وقالَ جَماعَةٌ بِقَوْلِ عائِشَةَ رضي الله عنها وهوَ المَشْهُورُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ومِثْلُهُ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّهُ قالَ انما رَأى جِبْرِيلَ واخْتُلِفَ عَنْهُ وقالَ بإِنْكارِ هٰذَا وَامْتِناعِ رُؤْيَتِهِ في الدُّنْيا جماعَةٌ مِنَ المُحَدِّثِينَ والفُقَهاءِ والمُتَكَلِّمِينَ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ ورَوَى عَطاءٌ عَنْهُ أنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ وعَنْ أبِي العالِيَةِ عَنْهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ وذَكَرَ ابْنُ اسحٰقَ أنَّ ابْنَ عُمَرَ أرْسَلَ الي ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يَسْأَلُهُ هَلْ

رأي محمدٌ ربَّهُ فقالَ نعمْ والأشهرُ عنهُ أنهُ رأي ربَّهُ بعينِهِ رُوِيَ ذلكَ عنهُ
منْ طرُقٍ وقالَ انَّ اللهَ تعالي اختصَّ موسي بالكلامِ وابراهيمَ بالخلةِ
ومحمدًا بالرؤيةِ وحجتهُ قولهُ تعالي ما كذبَ الفؤادُ ما رأي أفتمارُونهُ على
ما يرى ولقد رآهُ نزلةً أخري قالَ الماوردِيُّ قيلَ إنَّ اللهَ تعالي قسمَ
كلامهُ ورؤيتهُ بينَ موسي ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم فرآهُ محمدٌ مرتينِ
وكلمهُ موسي مرتينِ * وحكى أبو الفتحِ الرازيُّ وأبو الليثِ السمرقنديُّ
الحكايةَ عنْ كعبٍ وروي عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ قالَ اجتمعَ ابنُ عباس
وكعبٌ فقالَ ابنُ عباسٍ أمَّا نحنُ بنو هاشمٍ فنقولُ إنَّ محمدًا قدْ رأي ربهُ
مرتينِ فكبَّرَ كعبٌ حتَّي جاوبتهُ الجبالُ وقالَ انَّ اللهَ قسمَ رؤيتهُ وكلامهُ
بينَ محمدٍ وموسي فكلَّمهُ موسى ورآهُ محمدٌ بقلبهِ وروَي شريكٌ عنْ أبى
ذرٍّ رضيَ اللهُ عنه في تفسيرِ الآيةِ قال رأي النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم
ربَّهُ * وحكى السمرقنديُّ عنْ محمدِ بنِ كعبٍ القرظيِّ وربيعِ بنِ أنس
أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم سُئِلَ هلْ رأيتَ ربَّكَ قالَ رأيتهُ بفؤادِي ولمْ
أرهُ بعيني وروَى مالكُ بنُ يخامرَ عنْ معاذٍ عنِ النبيِّ صلي الله عليه
وسلم قالَ رأيتُ ربِّي وذكرَ كلمةً فقالَ يا محمدُ فيمَ يختصمُ الملأُ الاعلى
الحديثَ * وحكى عبدُ الرزاقِ أنَّ الحسنَ كانَ يحلفُ باللهِ لقدْ رأي
محمد ربَّهُ وحكاهُ أبو عمرَ الطلمنكيُّ عنْ عكرمةَ * وحكى بعضُ
المتكلمينَ هذا المذهبَ عنِ ابنِ مسعودٍ * وحكي ابنُ اسحقَ أنَّ مروانَ
سألَ أبا هريرةَ هلْ رأى محمدٌ ربَّهُ فقالَ نعمْ * وحكي النقاشُ عنْ أحمدَ بنِ
حنبلَ أنهُ قالَ أنا أقولُ بحديثِ ابنِ عباسٍ بعينِهِ رآهُ رآهُ حتَّى انقطعَ نفسهُ

يعني

يَعْنِي نَفْسَ أحْمَـدَ وقالَ أبو عُمَرَ قالَ أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَآهُ بِقَلْبِهِ وجَبُنَ عَنِ القَوْلِ بِرُؤْيَتِهِ في الدُّنيا بالأبْصارِ وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَـيْرٍ لاَ أقُولُ رَآهُ ولاَ لَمْ يَرَهُ وقَدِ اخْتُلِفَ في تأْوِيلِ الآيَةِ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ وعِـكْرِمَةَ والحَسَـنِ وابْنِ مَسْعُودٍ فَحُـكِيَ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ وعِـكْرِمَةَ رَآهُ بِقَلْبِهِ وعَنِ الحَسَـنِ وابْنِ مَسْعُودٍ رَأْيِ جِـبْرِيلَ وحَـكَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ أبِيهِ أنَّهُ قالَ رَآهُ وعَنِ ابْنِ عطاء في قَوْلِهِ تَعالي أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَـدْرَكَ قالَ شَرَحَ صَـدْرَهُ لِلرُّؤْيَةِ وشَرَحَ صَـدْرَ مُوسَي لِلْـكَلَامِ وقالَ أبو الحَسَنِ عَـلِيُّ بْنُ اسْماعِيلَ الأشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَماعَةٌ مِنْ أصْحابِهِ انَّهُ رَأى اللهَ تَعـالى بِبَصَرِهِ وَعَيْـنَيْ رَأْسِـهِ وقالَ كُلُّ آيَةٍ أُوتِيها نَـبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَها نَبِيُّنا صلى اللهُ عليه وسلم وخُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِتَفْضِيلِ الرُّؤْيَةِ وَوَقَفَ بَعْضُ مَشايِخِنا في هٰذا وقالَ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ ولٰـكِـنَّهُ جائِزٌ أنْ يَـكُونَ قالَ القاضِي أبو الفَضْـلِ وفَّقَهُ اللهُ والحَقُّ الَّذِي لا امْـتِراءَ فِيهِ أنَّ رُؤْيَتَهُ تعالي في الدُّنيا جائِزَةٌ عَقْـلاً ولَيْسَ في العَقْلِ ما يُحِيلُها والدَّلِيلُ علي جَوازِها في الدُّنْيا سُؤالُ مُوسَي عَلَيْهِ السَّـلامُ لَها ومُحالٌ أنْ يَجْهَلَ نَـبِيٌّ ما يَجُوزُ على اللهِ ومالاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ بَلْ لَمْ يَسْأَلْ الاَّ جائِزًا غَـيْرَ مُسْتَحِيلٍ ولٰـكِنْ وُقُوعُهُ ومُشاهَدَتُهُ مِنَ الغَيْبِ الذِي لا يَعْلَمُهُ الاَّ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ فَقالَ لَهُ اللهُ تعـالي لَنْ تَرانِي أي لَنْ تُطِيقَ ولا تَحْتَمِلَ رُؤْيَـتِي ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ مَثَلاً مِمَّا هو أقْوى مِنْ بِنْيَةِ مُوسَى وأثْبَتُ وهو الجَبَلُ وَكُلُّ هٰذا لَيْسَ فِيهِ ما يُحِيلُ رُؤْيَتَـهُ في الدُّنيا بَلْ فِيهِ جَوازُها علي الجُمْلَةِ ولَيْسَ في الشَّرْعِ دَلِيـلٌ قاطِعٌ على اسْتِحالَتِها وَلا امْتِناعِها اذ كُلُّ مَوْجُودٍ فَرُؤْيَتُهُ جائِزَةٌ غَـيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ وَلاَحُجَّةَ لِمَنِ اسْـتَدَلَّ على مَنْعِها

بِقَوْلِهِ تعالى لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ لِاختِلافِ التَّأويلاتِ في الآيةِ وإذ لَيسَ يَقْتَضِي قَوْلُ مَنْ قالَ في الدُّنيا الِاستحالةَ وقَدِ استَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهذِهِ الآيَةِ نَفسِها على جَوازِ الرُّؤيَةِ وعَدَمِ استِحالَتِها على الجُمْلَةِ وقَدْ قيلَ لا تُدرِكُهُ أبصارُ الكُفَّارِ وقِيلَ لا تُدرِكُهُ الأبصارُ لا تُحيطُ بِهِ وهو قَوْلُ ابنِ عبَّاسٍ وقَدْ قيلَ لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وانَّما يُدرِكُهُ المُبصِرُونَ وكُلُّ هذِهِ التَّأويلاتِ لاتَقتَضِي مَنْعَ الرُّؤيَةِ ولاَ استِحالَتَها وكَذلِكَ لا حُجَّةَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ تعالى لَنْ تَرانِي وقولِهِ تُبْتُ اليكَ لِما قَدَّمْناهُ ولِأنَّها لَيسَتْ على العُمُومِ ولِأنَّ مَنْ قالَ مَعْناها لَنْ تَرانِي في الدُّنيا انَّما هو تأويلٌ وأيضاً فَلَيسَ فيهِ نَصُّ الِامْتِناعِ وانّما جاءتْ في حَقِّ مُوسى وحَيثُ تَتطَرَّقُ التَّأويلاتُ وتَتَسَلَّطُ الِاحتِمالاتُ فَلَيسَ لِلقَطعِ اليهِ سَبِيلٌ وقَوْلُهُ تُبْتُ اليكَ أي مِنْ سُؤالِي ما لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي وقَدْ قالَ أبو بَكرٍ الهُذَلِيُّ في قَوْلِهِ لَنْ تَرانِي أي لَيسَ لِبَشَرٍ أنْ يُطِيقَ أنْ يَنظُرَ اليَّ في الدُّنيا وأنَّهُ مَنْ نَظَرَ اليَّ ماتَ وقَدْ رأيتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ والمُتأخِّرِينَ ما مَعناهُ أنَّ رُؤيَتَهُ تعالى في الدُّنيا مُمتَنِعَةٌ لِضَعفِ تَرْكِيبِ أهْلِ الدُّنيا وقُواهُمْ وكَوْنِها مُتَغَيِّرَةً عَرَضاً لِلآفاتِ والفَناءِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ على الرُّؤيَةِ فاذا كانَ في الآخِرَةِ ورُكِّبُوا تَرْكِيباً آخَرَ ورُزِقُوا قُوًى ثابِتَةً باقِيَةً وأُتِمَّ أنوارُ أبصارِهِمْ وقُلُوبِهِمْ قَوُوا بِها على الرُّؤيَةِ وقَدْ رأيتُ نَحوَ هذا لِمالِكِ بنِ أنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ قالَ لَمْ يُرَ في الدُّنيا لِأنَّهُ باقٍ ولا يُرَى الباقِي بِالفانِي فاذا كانَ في الآخِرَةِ ورُزِقُوا أبصارًا باقِيَةً رُئِيَ الباقِي بِالباقِي وهذا كَلامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ ولَيسَ فيهِ دَلِيلٌ على الاستِحالَةِ الاَّ مِنْ حَيثُ ضَعفُ القُدرَةِ فاذا قَوَّى اللهُ تعالى مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ وأقْدَرَهُ على حَمْلِ أعباءِ الرُّؤيَةِ لَمْ تَمتَنِعْ في حَقِّهِ وقَدْ

تَقَدَّمَ ما ذُكِرَ في قوَّةِ بَصَرِ مُوسي وَمُحَمَّدٍ صلى الله عَلَيْهما وسلم ونُفُوذِ
ادرَا كِهِما بِقُوَّةِ الْبِنْيَةِ مَنَحاها لإِدْرَاكِ ما أَدرَكاهُ وَرُؤْيَةِ مارَأَياهُ والله أَعْلَمُ
وقَدْ ذَكَرَ القاضي أبو بَكْرٍ في أثناء أجوبَتِهِ عَنِ الآيتينِ ما مَعْناهُ أن مُوسي
عَلَيْهِ السَّلامُ رَأي الله فَلِذَلِكَ خَرَّ صَعِقاً وأنَّ الجَبَلَ رَأى رَبَّهُ فَصارَ دَكّاً
بإِدْرَاكٍ خَلَقَهُ اللهُ لَهُ واسْتَنْبَطَ ذَلِكَ والله أَعْلَمُ مِنْ قَوْلِهِ ولَكِنِ انْظُرْ الي
الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي ثُمّ قالَ فَلَمَّا تَجَلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكّاً وخَرَّ مُوسى صَعِقاً وتَجَلِّيهِ لِلْجَبَلِ هو ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّي رَآهُ على هٰذا
القَوْلِ وقالَ جعفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ شَغَلَهُ بالجَبَلِ حَتَّي تَجَلَّى ولوْلاَ ذَلِكَ لَماتَ صَعِقاً
بِلاَ افاقَةٍ وقولُهُ هٰذا يَدُلُّ على أنَّ مُوسى رَآهُ وقَدْ وقَعَ لِبَعْضِ المُفَسِّرِينَ
في الجَبَلِ أنَّهُ رَآهُ وَبِرُؤْيَةِ الجَبَلِ لَهُ اسْتَدَلَّ مَنْ قالَ بِرُؤْيَةِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنا لَهُ اذْ
جَعَلَهُ دَلِيلاً علي الجَوَازِ ولاَ مِرْيَةَ في الجَوَازِ اذْ لَيْسَ في الآياتِ نَصٌّ في المَنْعِ
وامَّا وُجُوبُهُ لِنَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم والقَوْلُ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ
قاطِعٌ أيْضاً وَلاَ نَصٌّ اذِ المُعَوَّلُ فِيهِ على آيَتَيِ النَّجْمِ والتَّنَازُعُ فِيهِما مَأْثُورٌ
والِاحْتِمالُ لَهُما مُمْكِنٌ وَلا أثرَ قاطِعٌ مُتَواتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
بِذَلِكَ وحَدِيثُ ابْنِ عبَّاسٍ خَبَرٌ عَنِ اعْتِقادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ الي النَّبِيِّ صلى الله عليه
وسلم فَيَجِبُ العَمَلُ باعْتِقادِ مُضَمَّنِهِ ومِثْلُهُ حديثُ أبِي ذَرٍّ في تَفْسِيرِ الآيَةِ
وحَدِيثُ مُعاذٍ مُحْتَمِلٌ لِلتَّأْوِيلِ وهوَ مُضْطَرِبُ الإِسْنادِ وَالمَتْنِ وحَدِيثُ أبِي
ذَرٍّ الآخَرُ مُخْتَلِفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ فَرُوِيَ نُورٌ أنَّى أَرَاهُ وحَكَي بَعْضُ
شُيُوخِنا أنَّهُ رُوِيَ نُورَانِيٌّ أَرَاهُ وفي حَدِيثِهِ الآخَرِ سَأَلْتُهُ فَقالَ رَأَيْتُ نُورًا
ولَيْسَ يُمْكِنُ الِاحْتِجاجُ بِوَاحِدٍ مِنْها على صِحَّةِ الرُّؤْيَةِ فَانْ كانَ الصَّحِيحُ رَأَيْتُ

نُورًا فهُوَ قدْ أخبَرَ أنَّهُ لَمْ يرَ اللهَ تعالي وانَّما رأى نُورًا منَعَهُ وحَجَبَهُ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تعالي والى هذَا يَرْجِعُ قوْلُهُ نُورٌ أنَّي أراهُ أىْ كَيْفَ أراهُ معَ حِجابِ النُّورِ المُغَشِّي لِلْبَصَرِ وَهذَا مِثْلُ ما في الحَديثِ الآخَرِ حِجابُهُ النُّورُ وفي الحَديثِ الآخَرِ لَمْ أرَهُ بِعيْنِي ولٰكِنْ رَأيْتُهُ بِقَلْبِي مرَّتَيْنِ وتَلاَ ثُمَّ دنا فتَدَلَّي واللهُ تعالي قادِرٌ على خَلْقِ الإدْراكِ الذِى في البَصَرِ في القَلْبِ أوْ كَيْفَ شاءَ لا إِلٰهَ غَيْرُهُ فلَنْ وَرَدَ حَديثٌ نَصٌّ بَيِّنٌ في البابِ اعتُقِدَ وَوَجَبَ المَصِيرُ الَيْهِ اذْ لا استِحالَةَ فيهِ وَلا مانِعٌ قَطْعِيٌّ يَرُدُّهُ واللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ

﴿ فَصلٌ ﴾ وأمَّا ما وَرَدَ في هٰذِهِ القِصةِ مِنْ مُناجاتِهِ للهِ تعالي وَكَلاَمِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ فأَوْحَي الي عَبْدِهِ ما أوْحَي الي ما تَضَمَّنَتْهُ الأَحاديثُ فأَكْثَرُ المُفسِّرِينَ على أنَّ المُوحِيَ هوَ اللهُ عزَّ وجَلَّ الى جِبْرِيلَ وَجِبْرِيلُ الي مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم الاَّ شُذُوذًا مِنهُمْ فَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بن مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قالَ أوْحَى الَيْهِ بِلاَ وَاسِطَةٍ ونَحْوُهُ عَنِ الوَاسِطِيّ والي هٰذَا ذَهَبَ بَعْضُ المُتَكَلِّمينَ أن مُحَمَّدًا كَلَّمَ رَبَّهُ في الإِسْراءِ وحُكِيَ عَنِ الأَشْعَرِيّ وحَكَوْهُ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ وابْنِ عبَّاسٍ وأنْكَرَهُ آخَرُونَ وذَكَرَ النَّقَّاشُ عَن ابنِ عبَّاسٍ في قِصةِ الإِسْراءِ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم في قَوْلِهِ دَنا فتَدَلَّي قالَ فارَقَنِي جِبْرِيلُ فانقَطَعَتِ الأَصْوَاتُ عَنِّي فَسَمِعْتُ كَلاَمَ رَبِّى وهُوَ يقُولُ لِيَهْدأْ رَوْعُكَ يا مُحَمَّدُ ادْنُ ادْنُ وفي حَديثِ أنَسٍ في الإِسْراءِ نَحوٌ مِنهُ وقَدِ احتَجُّوا في هٰذَا بقَوْلِهِ تعالي وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ الاَّ وَحيًا أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فيُوحِيَ بِإذْنِهِ مايَشاءُ قالُوا هِيَ ثَلاثَةُ أقْسامٍ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ كَتَكْلِيمِ مُوسٰى وَبِإرْسالِ المَلاَئِكَةِ كَحالِ جَمِيعِ الأَنْبياءِ وأكْثَرِ أحْوالِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم الثَّالِثُ قَوْلُهُ

وَحياً ولمْ يَبْقَ مِنْ تَقسيمِ صُوَرِ الكَلامِ الا المُشافَهةُ مَعَ المُشاهَدةِ وقدْ قيلَ الوَحْيُ هُنا هوَ ما يُلقيهِ في قَلْبِ النَّبيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ وقدْ ذَكَرَ أبو بَكْرٍ البَزَّارُ عَنْ عَلِيٍّ في حَديثِ الإِسْرَاءِ ما هوَ أَوْضَحُ في سَماعِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لِكَلامِ اللهِ مِنَ الآيَةِ فَذَكَرَ فيهِ فقالَ المَلَكُ اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ فَقيلَ لي مِنْ وَرَاءِ الحِجابِ صَدَقَ عبدِي أنا أكبَرُ أنا أكبَرُ وقال في سائِرِ كلماتِ الأَذانِ مِثْلَ ذَلِكَ ويَجِيءُ الكَلامُ في مُشْكِلِ هٰذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ في الفَصْلِ بَعْدَ هٰذا مَعَ ما يُشْبِهُهُ وفي أوَّلِ فَصْلٍ مِنَ البابِ مِنْهُ وكَلامُ اللهِ تعالي لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ومَنِ اخْتَصَّهُ مِنْ أنْبيائِهِ جائِزٌ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلًا ولا وَرَدَ في الشَّرْعِ قاطِعٌ يَمْنَعُهُ فإِنْ صَحَّ في ذَلِكَ خَبَرٌ اعْتُمِدَ عَلَيْهِ وكَلامُهُ تعالي لِمُوسٰي كائِنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ نَصَّ ذَلِكَ في الكِتابِ وأكَّدَهُ بالمَصْدَرِ دِلالَةً على الحَقيقَةِ ورَفَعَ مَكانَهُ على ما وَرَدَ في الحَديثِ في السَّماءِ السَّابِعَةِ بِسَبَبِ كَلامِهِ ورَفَعَ مُحَمَّدًا فَوْقَ هٰذا كُلِّهِ حَتَّي بَلَغَ مُسْتَوًى وسَمِعَ صَرِيفَ الأَقْلامِ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ في حَقِّ هٰذا أوْ يَبْعُدُ سَماعُ الكَلامِ فَسُبْحانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شاءَ بِما شاءَ وجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ

﴿ فصلٌ ﴾ وأمَّا ما وَرَدَ في حَديثِ الإِسْرَاءِ وظاهِرِ الآيَةِ مِنَ الدُّنُوِّ والقُرْبِ مِنْ قَوْلِهِ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنٰى فَأَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ أنَّ الدُّنُوَّ والتَّدَلِّيَ مُنْقَسِمٌ ما بَيْنَ مُحَمَّدٍ وجِبْرِيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ أوْ مُخْتَصٌّ بِأَحَدِهِما مِنَ الآخَرِ أوْ مِنَ السِّدْرَةِ المُنْتَهي قال الرَّازِيُّ وقالَ ابن عبَّاسٍ هوَ مُحَمَّدٌ دَنا فَتَدَلَّى مِنْ رَبِّهِ وَقيلَ مَعْنٰي دَنا قَرُبَ وتَدَلَّي زَادَ في القُرْبِ وقِيلَ هُما بِمَعْنًى واحِدٍ أيْ قَرُبَ وحَكَي مَكِّيٌّ والمَاوَرْدِيُّ عنِ

ابنِ عبَّاسٍ هوَ الرَّبُّ دَنا منْ محمّدٍ فتَدَلَّي اليْهِ أيْ أمْرُهُ وحُـكْمُهُ * وحَـكَى النَّقَّاشُ عَنِ الحَسَنِ قَالَ دَنا مِنْ عَبْدِهِ محمّدٍ صلى الله عليه وسـلم فتدَلَّى فقَرُبَ مِنهُ فَأَرَاهُ ما شاء أنْ يُرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وعظَمَتِهِ قالَ وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ هوَ مُقدَّمٌ ومُؤَخرٌ تَدَلَّي الرَّفْرَفُ لِمحَمَّدٍ صلى الله عليه وسـلم لَيلَةَ المِعْرَاجِ فجَلَسَ عَلَيْهِ ثمَّ رُفِعَ فَدَنا مِنْ رَبِّهِ قالَ فارَقَـني جِـبْرِيلُ وانقَطَعَتْ عَـنِّي الأَصْوَاتُ وسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي عز وجلَّ وعنْ أَنَس في الصَّحِيـحِ عُرِجَ بِي جِـبْرِيلُ الي سِدْرَةِ المُنْتَهى ودَنا الجبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فتَدَلَّي حَـتَّي كانَ مِنْهُ قابَ قوْسَـيْنِ أوْ أدْنى فَأَوْحي اليْهِ بِمـا شاء وأوْحى اليْهِ خَمْسِـينَ صَـلاةً وذَ كَرَ حدِيثَ الإِسْرَاء وعَنْ محمّد بْنِ كَعْبٍ هوَ محمّدٌ دَنا مِنْ رَبِّهِ فَـكانَ قابَ قوْسَـيْنِ وقالَ جعْفَرُ بْنُ محمّـدٍ أدْناهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَـتَّي كانَ مِنْهُ كَـقابِ قَوْسَـيْنِ وقالَ جَعْفَرُ بْنُ محمّدٍ والدُّنُوُّ مِنَ الله لا حدَّ لهُ ومِنَ العبادِ بالحُدُودِ وقال أيْضاً انقَطَعَتِ الـكَيْفِيَّـةُ عَنِ الدُّنُوِّ ألا تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِـبْرِيلَ عَنْ دُنُوِّهِ ودَنا محمّدٌ الي ما اودِعَ قَلْبُهُ مِنَ المَعْرِفَةِ والإِيمـانِ فتَـدَلَّي بِسُـكُونِ قلْبِهِ الي ما أدْناهُ وزالَ عنْ قَلْبِهِ الشَّكُّ والِارْتِيابُ قالَ القاضِي أبو الفضْـلِ وَفَّقَهُ اللهُ اعْـلَمْ أنَّ ما وقَعَ مِنْ إِضافَةِ الدُّنُوِّ والقُرْبِ هُنا مِنَ اللهِ أوْ الى اللهِ فلَيْسَ بِدُنُوِّ مَـكانٍ ولا قُرْبِ مَدًى بَلْ كما ذَ كَرْنا عَنْ جعْفَرِ بْنِ محمّـدٍ الصَّادِقِ لَيْسَ بِدُنُوِّ حَدٍّ وانّما دُنُوُّ النَّبيِّ صـلى الله عليه وسـلم مِنْ رَبِّهِ وقُرْبُهُ مِنْهُ إِبانَةُ عظِـيمِ مَـنْزِلَتِهِ وتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ وإِشْرَاقُ أنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ ومُشاهَـدَةُ أسْرَارِ غَيْبِهِ وقُدْرَتِهِ ومِنَ اللهِ تعالي لهُ مَـبَرَّةٌ وتأْنِيسٌ وبَسْـطٌ وإِ كْرَامٌ ويُتَأَوَّلُ فيهِ ما يُتَأَوَّلُ في قوْلِهِ يَـنْزِلُ رَبُّنا الى سَماء الدُّنْيا علي أحَدِ الوُجُوهِ نُزُولَ إِفضال

واجمال

وإجمالٍ وقبُولٍ واحسان قالَ الوَاسِطِيُّ مَنْ تَوَهَّمَ أنَّهُ بِنفسِهِ دَنا جَعَلَ ثَمَّ مَسافَةً بَلْ كُلُّ ما دَنا بِنَفْسِهِ مِنَ الحَقّ تَدَلّي بُعْدًا يَعْني عَنْ دَرْكِ حَقيقَتِهِ اذْ لا دُنُوَّ لِلْحَقِّ ولا بُعْدَ وقوْلُهُ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عائِدًا الى اللهِ تعالى لا الى جِبْرِيلَ على هٰذا كانَ عِبارَةً عَنْ نِهايَةِ القُرْبِ ولُطْفِ المَحَلِّ وايضاحِ المَعْرِفَةِ والإِشْرافِ على الحَقِيقةِ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وعِبارَةً عَنْ إِجابَةِ الرَّغْبَةِ وقَضاءِ المَطالِبِ واظْهارِ التَّحَفّي وإنافَةِ المَنْزِلَةِ والمَرْتَبَةِ مِنَ اللهِ لَهُ وَيُتَأوَّلُ فِيهِ ما يُتَأَوَّلُ في قوْلِهِ مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً ومَنْ أتاني يَمْشي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً قُرْبٌ بالإِجابَةِ والقَبُولِ واتْيانٌ بالإِحْسانِ وتَعْجِيلُ المَأْمُولِ

﴿ فصل ﴾

﴿ في ذِكْرِ تَفْضِيلِهِ صلى الله عليه وسلم في القِيامَةِ بِخُصُوصِ الكَرامَةِ ﴾

حدثنا القاضي أبو عَلِيّ حدثنا أبو الفَضْلِ وأبو الحُسَيْنِ قالا أخبرَنا أبو يَعْلَى حدثنا السِّنْجِيُّ حدثنا ابْنُ مَحْبُوب حدثنا التِّرْمِذِيُّ حدثنا الحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الكُوفِيُّ حدثنا عَبْدُ السَّلامِ بْنُ حَرْبٍ عنْ لَيْث عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أنَسٍ عَنْ أنَس رضي الله عنه قالَ قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنا أوَّلُ النّاسِ خُرُوجاً اذا بُعِثُوا وأنا خَطِيبُهُمْ اذا وَفَدُوا وأنا مُبَشِّرُهُمْ اذا أيِسُوا لِواءُ الحَمْدِ بِيَدِي وأنا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبّي ولا فَخْرَ * وفي رِوايَةِ ابْن زَحْرٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أنَسٍ في لَفْظِ هٰذا الحَدِيث أنا أوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً اذا بُعِثُوا وأنا قائِدُهُمْ اذا وَفَدُوا وأنا خَطِيبُهُمْ اذا أنْصَتُوا وأنا

شَفِيعُهُمْ اذَا حُبِسُوا وأنا مُبَشِّرُهُمْ اذَا أُبْلِسُوا لِوَاءُ الكَرَمِ بِيَدِي وأنا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ علي رَبِّي ولا فَخْرَ وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خادِمٍ كأنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه وأُكْسي حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ لَيْسَ أحدٌ مِنَ الخَلائِقِ يَقُومُ ذلِكَ المَقامَ غَيْرِي وعَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ وما نَبِيٌّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِواهُ إلّا تَحْتَ لِوَائِي وأنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ ولا فَخْرَ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صلى اللهُ عليه وسلم أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ وأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنا حامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ وأنا أوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ ولا فَخْرَ وأنا أوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُها فَيَدْخُلُها مَعِي فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ ولا فَخْرَ وأنا أَكْرَمُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ ولا فَخْرَ وعَنْ أنَسٍ أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ في الجَنَّةِ وأنا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعاً وعَنْ أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ وتَدْرُونَ لِمَ ذلِكَ يَجْمَعُ اللهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ وذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفاعَةِ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ أَطْمَعُ أنْ أكُونَ أعْظَمَ الأنْبِياءِ أجْرًا يَوْمَ القِيامَةِ وفي حَدِيث آخَرَ أمَا تَرْضَوْنَ أنْ يَكُونَ ابْرَاهِيمُ وعِيسَى فِيكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ثُمَّ قالَ إنهُما في أُمَّتِي يَوْمَ القِيامَةِ أمَّا ابْرَاهِيمُ فَيَقُولُ أنْتَ دَعْوَتِي وذُرِّيَّتِي فاجْعَلْنِي مِنْ امَّتِكَ وأمَّا عيسى فالأنْبِياءُ إخْوَةٌ بَنُو عَلَّاتٍ أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى وأنَّ عِيسَى أخِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

نَبِيٌّ وأنا أوْلى النَّاسِ بِهِ قَوْلُهُ أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ هُوَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيا ويَوْمَ القِيامَةِ ولٰكِنْ أشارَ صلى اللهُ عليه وسلم لِانْفِرادِهِ فِيه بِالسُّودَدِ والشَّفاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ اذْ لَجأَ النَّاسُ الَيْهِ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَجِدُوا سِوَاهُ والسَّيِّدُ هو الَّذِي يَلْجأُ النَّاسُ الَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ فَكانَ حِينَئِذٍ سَيِّدًا مُنْفَرِدًا مِنَ بَيْنِ البَشَرِ لَمْ يُزاحِمْهُ أحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلاَ ادَّعاهُ كما قالَ تَعالي لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلّٰهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ والمُلْكُ لَهُ تعالي في الدُّنْيا والآخِرَةِ لٰكِنْ فِي الآخِرَةِ انْقَطَعَتْ دَعْوَى المُدَّعِينَ لِذلكَ في الدُّنْيا وَكَذَلِكَ لَجأَ الى مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم جَمِيعُ النَّاسِ في الشَّفاعَةِ فَكانَ سَيِّدَهُمْ فِي الأُخْرَى دُونَ دَعْوَى وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم آتِي بابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الخازِنُ مَنْ أنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أنْ لاَ أفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قالَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَاياهُ سَوَاءٌ وماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ وَرِيحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أبَدًا وعَنْ أبِي ذَرٍّ نَحْوُهُ وَقالَ طُولُهُ ما بَيْنَ عُمانَ الي أيْلَةَ يَشْخُبُ فِيه مِيزَابانِ مِنَ الجَنَّةِ * وعَنْ ثَوْبانَ مِثْلُهُ وقالَ أحَدُهُما مِنْ ذَهَبٍ والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ وفي رِوايَةِ حارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ كَما بَيْنَ المَدِينَةِ وصَنْعاءَ وقالَ أنَسٌ أيْلَةَ وصَنْعاءَ وقالَ ابنُ عُمَرَ كَما بَيْنَ الكُوفَةِ والحَجَرِ الأسْوَدِ وَرَوَى حَدِيثَ الحَوْضِ أيْضاً أنَسٌ وجابِرُ بنُ سَمُرَةَ وابْنُ عُمَرَ وعُقْبَةُ بنُ عامِرٍ وحارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ الخُزَاعِيُّ والمُسْتَوْرِدُ وأبو بَرْزَةَ الأسْلَمِيُّ وحُذَيْفَةُ بْنُ اليَمانِ وأبو أُمامَةَ وَزَيْدُ بْنُ أرْقَمَ وابْنُ مَسْعُودٍ وعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ وسَهْلُ بْنُ سعْدٍ

وسُوَيْدُ بنُ جَبَلَةَ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ بنُ الخطَّاب وابنُ بُرَيدَةَ وأبو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ وعَبْدُ اللهِ الصُّنابِحِيُّ وأبو هُرَيرَةَ والبَرَاء وجُنْدُبٌ وعائِشَةُ وأسماء بِنْتا أبي بَكرٍ وأبو بَكْرَةَ وخَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ وغَيرُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجْمَعِينَ

﴿ فصل ﴾ في تَفْضِيلِهِ بالمَحبَّةِ والخُلَّةِ جاءَتْ بذَلِكَ الآثارُ الصَّحِيحَةُ واختُصَّ على ألسِنَةِ المُسْلِمِينَ بِحَبِيبِ اللهِ أخبَرَنا أبو القاسِمِ بنُ ابرَاهِيمَ الخَطِيبُ وغَيرُهُ عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ أحْمَدَ حدثنا أبو الهَيْثَمِ. وحدَّثَنا حُسَيْنُ ابنُ محمَّدٍ الحافِظُ سَماعاً عليَهِ حدثنا القاضي أبو الوَلِيدِ حدثنا عَبْدُ بنُ أحْمَدَ حدثنا أبو الهَيْثَمِ حدثنا أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يُوسُفَ حدثنا محمَّدُ بْنُ اسماعِيلَ حدثنا عَبْدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ حدثنا أبو عامِرٍ حدثنا فُلَيْحٌ حدثنا أبو النضْرِ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أبي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّهُ قالَ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيرَ رَبِّي لاَ تَّخذْتُ أبا بَكرٍ وفي حديثٍ آخَرَ وانَّ صاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ ومِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ وقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صاحِبَكُمْ خَلِيلاً وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ جلَسَ ناسٌ مِنْ أصْحابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَنْتَظِرُونَهُ قالَ فَخرَجَ حَتَّى اذَا دَنا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقالَ بَعْضُهُمْ عَجَباً انَّ اللهَ اتَّخَذَ ابرَاهِيمَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً وقالَ آخَرُ ماذَا بأعْجَبَ مِنْ كَلاَمِ مُوسٰي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً وقال آخَرُ فَعِيسٰى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ وقالَ آخَرُ آدَمُ اصْطَفاهُ اللهُ فَخرَجَ علَيْهِمْ فَسلَّمَ وقالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وعَجَبَكُم أنَّ اللهَ تعالي اتَّخَذَ ابرَاهِيمَ خَلِيلاً وهو كَذَلِكَ ومُوسٰي نَجِيُّ اللهِ وهو كَذَلِكَ وعِيسٰي رُوحُ اللهِ وهو كَذَلِكَ وَآدَمُ اصْطَفاهُ اللهُ وهو كَذَلِكَ ألاَ وأنا حَبِيبُ اللهِ ولاَ فَخرَ وأنا حامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ ولاَ فَخرَ

وأنا أوّلُ شافِعٍ وأوّلُ مُشَفَّعٍ ولا فخرَ وأنا أوّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حلَقَ الجنّةِ فيفتحُ اللهُ لِي فَيُدخِلُنِيها ومَعِي فُقَرَاءُ المُؤمِنِينَ ولاَ فخرَ وأنا أكرمُ الأوّلِينَ والآخِرِينَ ولاَ فخرَ وفي حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعالى لِنَبِيّهِ صلى الله عليه وسلم إنّي اتخذتُكَ خَلِيلاً فَهُوَ مَكتُوبٌ في التَّوْرَاةِ أنتَ حَبِيبُ الرَّحْمانِ قالَ القاضِي أبو الفَضْلِ وفّقَهُ اللهُ اختُلِفَ في تَفْسِيرِ الخُلَّةِ وأصلِ اشتِقاقِها فَقِيلَ الخَلِيلُ المُنْقَطِعُ الي اللهِ الذِي لَيْسَ في انقِطاعِهِ اليهِ وَمَحَبّتِهِ لَهُ اختِلاَلٌ وَقِيلَ الخَلِيلُ المُخْتَصُّ واختارَ هذا القَوْلَ غَيْرُ وَاحِدٍ وقالَ بَعْضُهُمْ أصلُ الخُلّةِ الاستِصفاءُ وسُمّيَ ابْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللهِ لِأنّهُ يُوَالِي فيهِ وَيُعادِي فيه وخُلّةُ اللهِ لَهُ نَصْرُهُ وجَعْلُهُ اماماً لِمَنْ بَعْدَهُ وقِيلَ الخَلِيلُ أصلُهُ الفَقِيرُ المُحتاجُ المُنْقَطِعُ مأخُوذٌ مِنَ الخَلّةِ وَهِيَ الحاجَةُ فَسُمّيَ بِها ابْرَاهِيمُ لِأنّهُ قَصَرَ حاجَتَهُ على رَبّهِ وانقَطَعَ اليهِ بِهَمّهِ ولَمْ يَجعَلْهُ قِبَلَ غَيْرِهِ اذْ جاءَهُ جِبْرِيلُ وهوَ في المَنْجَنِيقِ لِيُرْمَي بِهِ في النَّارِ فَقالَ ألَكَ حاجةٌ قالَ أمّا اليكَ فَلاَ وقالَ أبو بَكرِ بْنُ فُورَكٍ الخُلّةُ صَفاءُ المَوَدّةِ الّتِي تُوجِبُ الاختِصاصَ بِتَخَلُّلِ الأسْرَارِ وقالَ بَعْضُهُمْ أصلُ الخُلّةِ المحبّةُ ومعناها الإسعافُ والإلطافُ والتّرفِيعُ والتّشفِيعُ وقَدْ بَيَّنَ ذلِكَ في كِتابِهِ تعالي بِقَوْلِهِ وقالَتِ اليَهُودُ والنّصارَي نَحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فَأوْجَبَ لِلمَحبُوبِ أنْ لا يُؤاخَذَ بِذُنُوبِهِ قالَ هذا والخُلّةُ أقوَى مِنَ البُنُوّةِ لِأنَّ البُنُوّةَ قَدْ تَكُونُ فِيها العَداوَةُ كَما قالَ تعالي انّ مِنْ أزواجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فاحذَرُوهُمُ الآيَةَ وَلاَ يَصِحُّ أنْ تَكُونَ عَداوَةٌ مَعَ خُلّةٍ فاذًا تَسمِيَةُ ابرَاهِيمَ وَمُحَمّدٍ عَلَيهِما السّلاَمُ بالخُلّةِ امّا بانقِطاعِهِما الي اللهِ وَوَقْفِ حَوائِجِهِما

عَلَيْهِ وَالِانْقِطاعِ عَمَّنْ دُونَهُ والإِضْرابِ عَنِ الوَسائِطِ وَالأَسْبابِ أَوْ لِزِيادَةِ الِاخْتِصاصِ مِنْهُ تعالي لَهُما وخَفِيِّ أَلْطافِهِ عِنْدَهُما وما خالَلَ بَواطِنَهُما مِنْ أَسْرارِ إِلْهِيَّتِهِ ومَكْنُونِ غُيُوبِهِ ومَعْرِفَتِهِ أَوْ لِاسْتِصْفائِهِ لَهُما واسْتِصْفاءِ قُلُوبِهِما عَمَّنْ سِواهُ حَتَّي لَمْ يُخالِلْهُما حُبٌّ لِغَيْرِهِ ولِهٰذا قالَ بَعْضُهُمْ الخَلِيلُ مَنْ لا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِواهُ وهو عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ صلي الله عليه وسلم ولَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَلِيلاً لٰكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ واخْتَلَفَ العُلَماءُ أَرْبابُ القُلُوبِ أَيُّهُما أَرْفَعُ دَرَجَةُ الخُلَّةِ أَوْ دَرَجَةُ المَحَبَّةِ فَجَعَلَهُما بَعْضُهُمْ سَوَاءً فَلاَ يَكُونُ الحَبِيبُ الاَّ خَلِيلاً وَلا الخَلِيلُ الاَّ حَبِيباً لٰكِنَّهُ خَصَّ ابْرَاهِيمَ بِالخُلَّةِ ومُحَمَّدًا بِالمَحَبَّةِ وَبَعْضُهُمْ قالَ دَرَجَةُ الخُلَّةِ أَرْفَعُ واحْتَجَّ بِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي عَزَّوجَلَّ فَلَمْ يَتَّخِذْهُ وقَدْ أَطْلَقَ المَحَبَّةَ لِفاطِمَةَ وابْنَيْها وأُسامَةَ وغَيْرِهِمْ وأَكْثَرُهُمْ جَعَلَ المَحَبَّةَ أَرْفَعَ مِنَ الخُلَّةِ لِأَنَّ دَرَجَةَ الحَبِيبِ نَبِيِّنا أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَةِ الخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ وأَصْلُ المَحَبَّةِ المَيْلُ الى ما يُوافِقُ المُحَبَّ ولٰكِنْ هٰذا في حَقِّ مَنْ يَصِحُّ المَيْلُ مِنْهُ والِانْتِفاعُ بِالوَفْقِ وهِيَ دَرَجَةُ المَخْلُوقِ فَأَمَّا الخالِقُ فَمُنَزَّهٌ عَنِ الأَعْرَاضِ فَمَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ تَمْكِينُهُ مِنْ سَعادَتِهِ وعِصْمَتُهُ وتَوْفِيقُهُ وتَهْيِئَةُ أَسْبابِ القُرْبِ وإِفاضَةُ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ وقُصْوَاها كَشْفُ الحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَراهُ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرَ الَيْهِ بِبَصِيرَتِهِ فَيَكُونُ كما قالَ في الحَدِيثِ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ولِسانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ولا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هٰذَا سِوَى التَّجَرُّدِ لِلّٰهِ والِانْقِطاعِ الى اللهِ والإِعْرَاضِ عَنْ غَيْرِ اللهِ وصَفاءِ القَلْبِ لِلّٰهِ وَإِخْلاصِ الحَرَكاتِ لِلّٰهِ كما قالَتْ عائِشَةُ

رضِيَ الله عنها كانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ بِرِضاهُ يَرْضى وَبِسَخَطِهِ يَسْخَطُ ومِنْ هٰذا عَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ الخُـلَّةِ بِقَوْلِهِ

قَدْ تَخَـلَّلْتَ مَسْـلَكَ الرُّوحِ مِـنِّي ... وَبِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيـلًا

فَإِذَا ما نَطَقْتُ كُـنْتَ حَـدِيثِي ... وإذَا ما سَـكَتُّ كُـنْتَ الغَلِيلا

فَإِذًا مَزِيَّةُ الخُـلَّةِ وخُصُوصِيَّـةُ المَحَبَّـةِ حاصِـلَةٌ لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صـلى الله عليه وسـلم بِمـا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثارُ الصَّحِيحَةُ المُنْتَشِرَةُ المُتَلَقَّاةُ بالقَبُولِ مِنَ الامَّـةِ وكَـفَى بِقَوْلِهِ تعالي قُلْ ان كُـنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ الآيَةَ حَـكَى أَهْلُ التَّفْسِـيرِ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قالَ الـكُـفَّارُ إِنَّما يُرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنانًا كَمَا اتَّخَذَتِ النصارٰى عِيسٰى بْنَ مَرْيَمَ فَأَنْزَلَ اللهُ غَيْظًا لَهُمْ ورَغْمًا على مَقالَتِهِمْ هٰذِهِ الآيَةَ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ فَزادَهُ شَرَفًا بِأَمْرِهِمْ بِطاعَتِهِ ووقَرَنَها بِطاعَتِهِ ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ علي التَّوَلِّي عَنْهُ بِقَوْلِهِ تعالى فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الـكافِرِينَ * وقَدْ نَقَـلَ الإِمامُ أبو بَـكْرِ بْنُ فُورَكٍ عَنْ بَعْضِ المُتَـكَلِّمِـينَ كَلامًا في الفَرْقِ بَـيْنَ المَحَبَّـةِ والخُـلَّةِ يَطُولُ جُمْـلَةُ إِشارَاتِهِ الى تَفْضِـيلِ مَقامِ المَحَبَّـةِ على الخُـلَّةِ ونَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي الي ما بَعْدَهُ فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُمُ الخَلِيلُ يَصِلُ بالوَاسِـطَةِ مِنْ قَوْلِهِ وَكَذٰلِكَ نُرِي ابْرَاهِيمَ مَلَـكُوتَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ والحَبِيبُ يَصِلُ اليْهِ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ فَـكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنٰى وقِيلَ الخَلِيلُ الّذِي تَـكُونُ مَغْفِرَتُهُ في حَـدِّ الطَّمَعِ مِنْ قَوْلِهِ والّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي والحَبِيبُ الّذِى مَغْفِرَتُهُ في حَدِّ اليَقِـينِ مِنْ قَوْلِهِ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِـكَ وما تَأَخَّرَ الآيَةَ والخَلِيلُ قالَ ولا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ والحَبِيبُ قِيلَ لَهُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ فَابْتُدِيَ بالبِشارَةِ قَبْلَ السُّؤالِ والخَلِيلُ قالَ في

المِحنةِ حَسْبِيَ اللهُ والحَبِيبُ قِيلَ لَهُ يا أيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ والخَلِيلُ قالَ واجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ والحَبِيبُ قِيلَ لَهُ ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ أُعطِيَ بِلا سُؤالٍ والخليلُ قالَ واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنامَ والحَبِيبُ قِيلَ لَهُ انَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَفِيما ذَكَرْناهُ تَنْبِيهٌ على مَقْصَدِ أصْحابِ المَقالِ مِنْ تَفْضِيلِ المَقاماتِ والأحْوالِ وَكُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أعْلَمُ بِمَنْ هوَ أهْدَى سَبِيلًا

﴿ فصلٌ في تفضيله صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ بالشَّفاعةِ والمَقام المحمُودِ ﴾

قالَ اللهُ تعالى عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُودًا أخْبَرَنا الشَّيْخُ أبو عَلِيٍّ الغَسَّانيُّ الجَيَّانيُّ فِيما كَتَبَ بِهِ الَيَّ بِخَطِّهِ حدثنا سِراجُ بْنُ عَبدِاللهِ القاضِي حدثنا أبومحمّدٍ الأصِيلِيُّ حدثنا أبو زَيْدٍ وأبو أحمدَ قالا حدثنا محمّدُ ابنُ يُوسُفَ حدثنا محمّدُ بْنُ اسْماعِيلَ حدثنا اسْماعيلُ بْنُ أبانٍ حدثنا أبو الأحْوَصِ عَنْ آدمَ بْنِ عَلِيٍّ قالَ سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ يَقُولُ إنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَومَ القِيامَةِ جُثًى كُلُّ امَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّها يَقُولُونَ يا فُلانُ اشْفَعْ لَنا يا فُلانُ اشْفَعْ لنا حَتَّى تَنْتَهِي الشَّفاعَةُ الى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَلِكَ يَوْمٌ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقامَ المَحْمُودَ * وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ سُئِلَ عَنْها رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَعْنِي قَوْلَهُ عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُودًا فَقالَ هِيَ الشَّفاعَةُ * وروَى كَعْبُ بْنُ مالِكٍ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَكُونُ أنا وامَّتِي على تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْراءَ

ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ ما شاء اللهُ أَنْ أَقُولَ فَذَلِكَ المَقامُ المَحْمُودُ * وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفاعَةِ قالَ فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الجَنَّةِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقامَ المَحْمُود الَّذِي وُعِدَهُ * وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عنهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قِيامُهُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ مَقاماً لا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ ونَحْوُهُ عَنْ كَعْبٍ والحَسَنِ وفي رِوايَةٍ هوَ المَقامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ * وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قال قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِنِّي لَقائِمٌ المَقامَ المَحْمُودَ قِيلَ وما هوَ قالَ ذَلِكَ يَوْمٌ يَنْزِلُ اللهُ تَبارَكَ وتعالى على كُرْسِيِّهِ الحَدِيثَ * وعَنْ أَبِي مُوسَى رضِيَ اللهُ عنهُ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ وبَيْنَ الشَّفاعَةِ فاخْتَرْتُ الشَّفاعَةَ لِأَنَّها أَعَمُّ أَتُرَوْنَها لِلْمُتَّقِينَ ولَكِنَّها لِلْمُذْنِبِينَ الخَطائِينَ * وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ الله قالَ قُلْتُ يا رسولَ اللهِ ماذا وَرَدَ عَلَيْكَ في الشَّفاعَةِ فقالَ شَفاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً يُصَدِّقُ لِسانَهُ قَلْبُهُ * وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قالَتْ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُرِيتُ ما تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِماءَ بَعْضٍ وسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ ما سَبَقَ لِلْأُمَمِ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي شَفاعَةً يَوْمَ القِيامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ * وقالَ حُذَيْفَةُ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ في صَعِيدٍ واحِدٍ حَيْثُ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ حُفاةً عُراةً كما خُلِقُوا سُكُوتاً لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَيُنادَى مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ والمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ وعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ولَكَ وإِلَيْكَ لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ سُبْحانَكَ رَبَّ البَيْتِ قالَ

فَذَلِكَ المَقامُ المَحمودُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ * وقال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما اذا دَخَلَ أهلُ النَّار النَّارَ وأهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فيَبْقى آخرُ زُمْرَةٍ مِنَ الجَنةِ وآخرُ زُمرَةٍ مِنَ النَّارِ فتقولُ زُمرَةُ النَّارِ لِزُمرَةِ الجَنَّةِ ما نَفَعَكُمْ إِيمانُكُمْ فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضِجُّونَ فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ فَيَسْأَلُونَ آدَمَ وغيرَهُ بعدَهُ في الشَّفاعَةِ لَهُمْ فَكُلٌّ يَعتَذِرُ حتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَيَشفَعُ لَهُمْ فَذَلِكَ المَقامُ المَحْمُودُ ونَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أيضاً ومُجاهِدٍ وذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وقالَ جابرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لِيَزِيدَ الفَقِيرِ سَمِعْتَ بِمَقامِ مُحَمَّدٍ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ قالَ قُلْتُ نَعَمْ قالَ فإِنَّهُ مَقامُ مُحَمَّدٍ المَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ يَعْنِي مِنَ النَّارِ وذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفاعَةِ فى إِخْرَاجِ الجَهَنَّمِيِّينَ * وعنْ أَنَسٍ نَحْوُهُ وقالَ فَهذَا المَقامُ المَحْمُودُ الَّذِى وَعَدَهُ وفي رِوايَةِ أنس وأبِي هُرَيْرَةَ وغَيْرِهِما دَخَلَ حديثُ بَعْضِهِمْ في حَدِيثِ بَعْضٍ قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَهتَمُّونَ أَوْقالَ فَيُلْهَمُونَ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنا الي رَبِّنا ومِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهُ ماجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ مالا يُطِيقُونَ ولاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُونَ أَلاَ تَنظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ زَادَ بَعْضُهُمْ نتَ آدَمُ أبو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وعَلَّمَكَ أَسْماءَ كُلِّ شَيْءٍ اشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنا مِنْ مَكانِنا أَلاَ تَرَي ما نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ انَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ

نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا الي غَيْرِي اذْهَبُوا الي نُوح فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ أَنْتَ
أَوَّلُ الرُّسُلِ الي أَهْلِ الأَرْضِ وسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً أَلاَ تَرَي ما نَحْنُ
فِيهِ أَلاَ تَرَي ما بَلَغَنا أَلاَ تَشْفَعُ لَنا الي رَبِّكَ فَيَقُولُ انَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ
غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي قَالَ في رِوَايَةِ
أَنَسٍ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وفي رِوَايَةِ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُها علي قَوْمِي اذْهَبُوا الى
غَيْرِي اذْهَبُوا الى ابْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ فَيَأْتُونَ ابْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ
نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنا الى رَبِّكَ أَلاَ تَرَي ما نَحْنُ فِيهِ
فَيَقُولُ انَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَيَذْكُرُ ثَلاَثَ كَلِمات
كَذَبَهُنَّ نَفْسِي نَفْسِي لَسْتُ لَهَا وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسى فَانَّهُ كَلِيمُ اللهِ وفي
رِوَايَةِ فَانَّهُ عَبْدٌ آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسى
فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصابَ وقَتْلَهُ النَّفْسَ نَفْسِي نَفْسِي ولٰكِنْ
عَلَيْكُمْ بِعِيسى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عيسي فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا
ولٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ فَاوتى
فَأَقُولُ أَنا لَها فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ علي رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَاذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ ساجِداً
وفي رِوَايَةِ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَخِرُّ ساجِداً وفي رِوَايَةِ فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ
بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْها الاَّ أَنَّهُ يُلْهِمُنِيها اللهُ وفي رِوَايَةِ فَيَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ
مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّناء عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ على أَحَدٍ قَبْلِي قَالَ في رِوَايَةِ أَبِي
هُرَيْرَةَ فَيُقَالُ يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ
يارَبِّ أُمَّتِي يا رَبِّ امَّتِي فَيَقُولُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسابَ عَلَيْهِ

مِنَ البابِ الأَيمَنِ مِنْ أَبْوابِ الجَنّةِ وهُمْ شُرَكاءُ النّاسِ فِيما سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوابِ ولَمْ يَذْكُرْ في رِوايَةِ أَنَسٍ هٰذا الفَصْلَ وقالَ مَكانَهُ ثُمَّ أَخِرُّ ساجِدًا فَيُقالُ لِي يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهْ فَأَقولُ يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ ايمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ الى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحامِدِ وذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ وقالَ فِيهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ قالَ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ وذَكَرَ مِثْلَ ما تَقَدَّمَ وقالَ فِيهِ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَأَفْعَلُ وذَكَرَ في المَرَّةِ الرّابِعَةِ فَيُقالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهْ فَأَقولُ يا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قالَ لا إِلٰهَ الاَّ اللهُ قالَ لَيْسَ ذٰلِكَ الَيْكَ ولٰكِنْ وعِزَّتِى وَكِبْرِيائِي وعَظَمَتِي وجِبْرِيائِي لَأُخْرِجَنَّ مِنَ النّارِ مَنْ قالَ لا إِلٰهَ الاَّ اللهُ ومِنْ رِوايَةِ قَتادَةَ عَنْهُ قالَ فَلا أَدْرِي في الثّالِثَةِ أَوِ الرّابِعَةِ فَأَقولُ يا رَبِّ ما بَقِيَ في النّارِ الاَّ مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ أَيْ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ * وعَنْ أَبِي بَكْرٍ وعُقْبَةَ ابْنِ عامِرٍ وأَبِي سَعِيدٍ وحُذَيْفَةَ مِثْلُهُ قالَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيُؤْذَنُ لَهُ وتَأْتِي الأَمانَةُ والرَّحِمُ فَتَقُومانِ جَنْبَتَيِ الصِّراطِ وذَكَرَ في رِوايَةِ أَبِي مالِكٍ عَنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَشْفَعُ فَيُضْرَبُ الصِّراطُ فَيَمُرُّونَ أَوَّلُهُمْ كالْبَرْقِ ثُمَّ كالرِّيحِ والطَّيْرِ وشَدِّ الرِّجالِ ونَبِيُّكُمْ صلى اللهُ عليه وسلم على الصِّراطِ يَقُولُ اللّٰهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى يَجْتازَ النّاسُ وذَكَرَ آخِرَهُمْ جَوازًا الحَدِيثَ وفي رِوايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم يُوضَعُ لِلأَنْبِياءِ مَنابِرُ يَجْلِسُونَ عَلَيْها وَيَبْقَى مِنْبَرِي لا أَجْلِسُ

عَلَيْهِ قائِماً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مُنْتَصِباً فَيَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى ما تُرِيدُ أنْ أصْنَعَ بِأُمَّتِكَ فأقُولُ يا رَبِّ عَجِّلْ حِسابَهُمْ فَيُدْعَى بِهِمْ فَيُحاسَبُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ومِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفاعَتِي ولاَ أزالُ اشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكاكاً بِرِجالٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ الي النَّارِ حَتَّى إنَّ خازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ يا مُحَمَّدُ ما تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ في أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ ومِنْ طَرِيقِ زِيادٍ النُّمَيْرِيِّ عَنْ أنَسٍ أن رَسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قالَ أنا أوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الأرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِهِ ولا فَخْرَ وأنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ ولاَ فَخْرَ ومَعِي لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القيامَةِ وأنا أوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الجَنَّةُ ولاَ فَخْرَ فآتِي فآخُذُ بِحَلْقَةِ الجَنَّةِ فَيُقالُ مَنْ هذا فأقُولُ مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي فَيَسْتَقْبِلُنِي الجَبَّارُ تعالي فأخِرُّ لَهُ ساجِدًا وذَكَرَ نَحوَ ما تَقَدَّمَ ومِنْ رِوايَةِ أُنَيْس سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لأشْفَعَنَّ يوْمَ القِيامَةِ لِأكْثَرَ مِمَّا في الأرْضِ مِنْ حَجَرٍ وشَجَرٍ فَقَدِ اجْتَمَعَ مِنَ اخْتِلاَف ألفاظِ هٰذِهِ الآثارِ أن شفَاعَتَهُ صلى اللهُ عليه وسلم ومَقامَهُ المَحْمُودَ مِنْ أوَّلِ الشَّفاعاتِ الي آخرِها مِنْ حِينَ يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِلْحَشْرِ وتَضِيقُ بِهِمُ الحَناجِرُ ويَبْلُغُ مِنْهُمُ العَرَقُ والشَّمْسُ والوُقُوفُ مَبْلَغَهُ وذَلِكَ قَبْلَ الحِساب فَيَشْفَعُ حِينَئِذٍ لِإراحَةِ النَّاسِ مِنَ المَوْقِفِ ثُمَّ يُوضَعُ الصِّراطُ ويُحاسَبُ النَّاسُ كَما جاء في الحَدِيثِ عَنْ أبِي هُرَيْرَة وحُذَيْفَةَ وهٰذَا الحَدِيثُ أتْقَنُ فَيَشْفَعُ في تَعْجِيلِ مَنْ لا حِسابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ الي الجَنَّةِ كَما تَقَدَّمَ في الحَدِيثِ ثُمَّ يَشْفَعُ فِيمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ العَذابُ ودَخَلَ النَّارَ مِنْهُمْ حَسْبَما تَقْتَضِيهِ الأحادِيثُ الصَّحِيحَةُ ثُمَّ فِيمَنْ قالَ لا إِلٰهَ الاَّ اللهُ ولَيْسَ هٰذا لِسِواهُ صلي الله عليه وسلم وفي الحَدِيثِ المُنْتَشِرِ الصَّحِيحِ لِكُلِّ نَبِيٍّ

دَعوَةٌ يَدعُو بِها واختَبأتُ دَعوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي يَومَ القِيامَةِ قالَ أهلُ العِلمِ مَعناهُ دَعوَةٌ اعلِمَ أنها تُستَجابُ لَهُمْ وَيبلُغُ فِيها مَرغُوبُهُمْ والاَّ فَكَمْ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنهُمْ مِنْ دَعوَةٍ مُستَجابَةٍ وَلِنَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم مِنها مالا يُعَدُّ لَكِنْ حالُهُمْ عِندَ الدُّعاءِ بِها بَينَ الرَّجاءِ والخَوفِ وضُمِنَتْ لَهُمْ اجابَةُ دَعوَةٍ فِيما شاؤُهُ يَدعُونَ بِها علي يَقِينٍ منَ الإِجابَةِ وقَد قالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيادٍ وأبو صالِحٍ عَنْ أبي هُرَيرَةَ في هٰذا الحَديثِ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ دَعا بِها في أُمَّتِهِ فاستُجيبَ لَهُ وأنا أُرِيدُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي يَومَ القِيامَةِ وفي رِوايَةِ أبي صالِحٍ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ مُستَجابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعوَتَهُ ونَحوُهُ في رِوايَةِ أبي زُرعَةَ عَنْ أبي هُرَيرَةَ وعَنْ أنَسٍ مِثلُ رِوايَةِ ابن زِيادٍ عَنْ أبي هُرَيرَةَ فَتَكُونُ هٰذِهِ الدَّعوَةُ المَذكُورَةُ مَخصُوصَةً بالأُمَّةِ مَضمُونَةَ الإِجابَةِ والاَّ فَقَدْ أخبَرَ صلى اللهُ عليه وسلم انَّهُ سَأَلَ لِأُمَّتِهِ أشياءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ والدُّنيا اعطِيَ بَعضَها ومُنِعَ بَعضَها وادَّخَرَ لَهُمْ هٰذِهِ الدَّعوَةَ لِيَومِ الفاقَةِ وخاتِمَةِ المِحَنِ وعَظِيمِ السُّؤالِ والرَّغبَةِ جَزاهُ اللهُ أحسَنَ ما جَزى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وصلى اللهُ عليه وسلم كَثِيرًا

﴿ فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ في الجَنَّةِ بالوَسِيلَةِ والدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ والكَوثَرِ والفَضِيلَةِ ﴾

حدثنا القاضي أبو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسى التَّمِيميُّ والفَقِيهُ أبو الوَلِيدِ هِشامُ ابنُ أحمَدَ بِقِراءَتِي عَلَيهِما قالا حدثنا أبو عَلِيٍّ الغَسّانِيُّ حدثنا النَّمَرِيُّ حدثنا ابنُ عَبدِ المُؤمِنِ حدثنا أبو بَكرٍ التَّمّارُ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ حدثنا ابنُ وَهبٍ

عَن ابنِ لَهِيعَـةَ وحَيْوَةَ وسَـعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ عنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ عنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ جُبَيْرٍ عنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى اللّٰهُ عليه وسـلم يَقُولُ اذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَـلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَـلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ثُمَّ سَـلُوا اللّٰهَ لِيَ الوَسِيلَةَ فَإِنَّها مَـنْزِلَةٌ فِي الجَنَّـةِ لا تَنْبَغِي الَّا لِعَبْـدٍ مِنْ عِبادِاللّٰهِ وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا هوَ فَمَنْ سَـأَلَ اللّٰهَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشفاعَـةُ * وفِي حَدِيث آخَرَ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الوَسِيلَةُ أَعْـلَى دَرَجَـةٍ فِي الجَنَّةِ * وعنْ أَنَسٍ قالَ قالَ رسولُ اللّٰهِ صـلى اللّٰه عليه وسـلم بَيْنا أَنا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ اذْ عَرَضَ لِي نَهَرٌ حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ ما هٰـذَا قالَ هٰـذا الـكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطاكَهُ اللّٰهُ قالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ الي طِينَتِهِ فاسْتَخْرَجَ مِسْـكًا وعنْ عائِشَةَ وعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَمْرٍو مِثْلُهُ قالَ ومَجْراهُ على الدُّرِّ والياقُوتِ وماؤُهُ أَحْـلَى مِنَ العَسَـلِ وأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ * وفِي رِوايَةٍ عَنْـهُ فَإِذَ هوَ يَجْرِي ولَمْ يُشَـقَّ شَـقًّا عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي وذَكَرَ حَدِيثَ الحَوْضِ ونَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ * وعَن ابنِ عَبَّاسٍ أَيضاً قالَ الـكَوْثَرُ الخَيْرُ الَّذِي أَعطاهُ اللّٰهُ إِيَّاهُ وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَـيْرٍ والنَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّـةِ مِنَ الخَـيْرِ الَّذِي أَعطاهُ اللّٰهُ * وعنْ حُذَيْفَةَ فِيما ذَكَرَ صـلى اللّٰهُ عليه وسـلم عَنْ رَبِّهِ وأَعْطانِي الـكَوْثَرَ نَهَرًا مِنَ الجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِي * وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تعالى ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَـتَرْضَى قالَ أَلْفُ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ تُرابُهُنَّ المِسْكُ وَفِيهِ ما يُصْلِحُهُنَّ * وفِي رِوايَةٍ أُخْرَى وَفِيهِ ما يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الأَزْواجِ والخَدَمِ

﴿ فصـلٌ ﴾ فَانْ قُلْتَ اذَا تَقَرَّرَ مِنْ دَلِيلِ القُرْآنِ وصَحِيحِ الأَثَرِ

وَاجماعِ الامّةِ كَوْنَهُ أكرَمَ البَشَرِ وأفضلَ الأنبياء فما مَعنى الأحاديثِ الوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفضِيلِ كَقَوْلِهِ فِيما حَدَّثَنَاهُ الأسَدِيُّ قالَ حدثنا السَّمَرْقَنْدِيُّ حدثنا الفارِسِيُّ حدثنا الجُلُودِيُّ حدثنا ابنُ سُفيانَ حدثنا مُسْلِمٌ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ مُثَنَّى حدثنا مُحَمَّدُ بنُ جَعفَرٍ حدثنا شُعبَةُ عَنْ قَتادَةَ سَمِعْتُ أبا العالِيَةِ يَقُولُ حدَّثَنِي ابنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم يَعني ابنَ عبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ ما يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أنْ يَقُولَ أنا خَيرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى وفي غَيرِ هٰذَا الطَّرِيقِ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ يَعني رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ما يَنْبَغِي لِعَبْدٍ الحَدِيثَ * وفي حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ في اليَهُودِيِّ الَّذِي قالَ والَّذِي اصطَفَى مُوسٰى على البَشَرِ فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ وقالَ تَقُولُ ذَلِكَ ورَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَينَ أظهُرِنا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ لا تُفَضِّلُوا بَينَ الأنبياءِ وفي رِوَايَةٍ لاَ تُخَيِّرُونِي على مُوسٰى فَذَكَرَ الحَدِيثَ وفيهِ ولا أقُولُ انَّ أحَدًا أفضَلُ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّي * وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ مَنْ قالَ أنا خَيرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّي فَقَدْ كَذَبَ * وعَنِ ابنِ مَسعُودٍ لا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ أنا خَيرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّي وفي حَدِيثِهِ الآخَرِ فَجاءَهُ رَجُلٌ فَقالَ يا خَيرَ البَرِيَّةِ فَقالَ ذَاكَ ابرَاهِيمُ فاعْلَمْ أن لِلعُلَماءِ في هٰذِهِ الأحادِيثِ تأوِيلاتٍ (أحدُها) أن نَهيَهُ عَنِ التَّفضِيلِ كانَ قَبلَ أنْ يَعلَمَ أنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فَنَهى عَنِ التَّفضِيلِ إذْ يَحتاجُ الى تَوْقِيف وأنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلاَ عِلْمٍ فَقَد كَذَبَ وكَذَلِكَ قَوْلُهُ لا أقُولُ إن أحَدًا أفضَلُ مِنهُ لا يَقتَضِي تَفضِيلَهُ هوَ وَانَّما هوَ في الظَّاهِرِ كَفٌّ عَنِ التَّفضِيلِ (الوَجهُ الثانى) أنَّهُ قالَهُ صلى اللهُ عليه

وسلم على طَرِيقِ التَّوَاضُعِ ونَفْيِ التَّكَبُّرِ والعُجْبِ وهذا لا يَسْلَمُ مِنَ الاعْتِرَاضِ (الوَجهُ الثالثُ) ألّا يُفضِّلَ بَيْنَهُمْ تفضيلًا يُؤَدِّي الى تَنَقُّصِ بَعْضِهِمْ أوِ الغَضِّ مِنهُ لا سِيَّما في جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ اذ أخْبَرَ اللهُ عَنْهُ بِما أخْبَرَ لِئَلَّا يَقَعَ في نَفْسِ مَنْ لا يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ غَضاضَةٌ وانحِطاطٌ مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ اذ قالَ تعالى عَنْهُ اذْ أَبَقَ الي الفُلْكِ المَشْحُونِ اذْ ذَهبَ مُغاضِباً فظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَرُبَّما يُخَيَّلُ لِمَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ حطيطَتُهُ بِذَلِكَ (الوَجهُ الرَّابِعُ) مَنْعُ التَّفْضِيلِ في حَقِّ النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ فإنَّ الأنْبِياء فيها على حَدٍّ واحِدٍ اذ هِيَ شَيْءٌ واحِدٌ لا يَتَفاضَلُ وانَّما التَّفاضُلُ في زِيادَةِ الأحْوَالِ والخُصُوصِ والكَرَامات والرُّتَبِ والألْطاف وأمَّا النُّبُوَّةُ في نَفْسِها فَلا تَتَفاضَلُ وَانَّما التَّفاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْها وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ومِنْهُمْ أُولُو عَزْمٍ مِنَ الرُّسُلِ ومِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكاناً عَلِيًّا ومِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيًّا وأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزَّبُورَ وَبَعْضُهُمُ البَيِّناتِ ومِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ قالَ اللهُ تعالي ولَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ على بَعْض الآيَةَ وقالَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ الآيَةَ قالَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ والتَّفْضِيلُ المُرادُ لَهُمْ هُنا في الدُّنْيا وذَلِكَ بِثَلاثَةِ أحْوَالٍ أنْ تَكُونَ آياتُهُ ومُعْجِزاتُهُ أبْهَرَ وأشْهَرَ أوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أزْكَى وأكْثَرَ أوْ يَكُونَ في ذَاتِهِ أفضَلَ وأظْهَرَ وفَضْلُهُ في ذَاتِهِ رَاجِعٌ الي ما خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ واخْتِصاصِهِ مِنْ كَلامٍ أوْ خُلَّةٍ أوْ رُؤْيَةٍ أوْ ماشاء اللهُ مِنْ ألْطافِهِ وتُحَفِ وِلايَتِهِ واخْتِصاصِهِ وقَدْ رُوِيَ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال إنَّ لِلنُّبُوَّةِ أثقالًا وَانَّ يُونُس تَفَسَّخَ منها تَفَسُّخَ الرُّبَعِ فَحَفِظَ صلى الله

عليه وسلم مَوْضِعَ الفِتْنَةِ مِنْ أَوْهامِ مَنْ يَسْبِقُ الَيْهِ بِسَبَبِها جَرْحٌ في نُبُوَّتِهِ أَوْ قَدْحٌ في اصْطِفائِهِ وحَطٌّ في رُتْبَتِهِ ووَهْنٌ في عِصْمَتِهِ شَفَقَةً مِنْهُ صلى الله عليه وسلم على أُمَّتِهِ وقَدْ يَتَوَجَّهُ على هٰذَا التَّرْتِيبِ وَجْهٌ خامِسٌ وهوَ أَنْ يَكُونَ أَنا رَاجِعاً الي القائِلِ نَفْسِهِ أَىْ لا يَظُنُّ أَحَدٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذَّكاءِ والعِصْمَةِ والطَّهارَةِ ما بَلَغَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ لِأَجْلِ ما حَكَي اللهُ عَنْهُ فإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلُ وأَعْلى وأَنَّ تِلْكَ الأَقْدارَ لمْ تَحُطَّهُ عنْها حَبَّةَ خَرْدَلٍ ولا أَدْني وسَنَزِيدُ في القِسْمِ الثَّالِثِ في هٰذَا بَياناً انْ شاءَ اللهُ تعالي فَقَدْ بانَ لكَ الغَرَضُ وسَقَطَ بِما حَرَّرْناهُ شُبْهَةُ الْمُعْتَرِضِ وَباللهِ التَّوْفِيقُ وهوَ الْمُسْتَعانُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿ فصلٌ في أسمائه صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ وما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَضِيلَتِهِ ﴾

حدثنا أبو عِمْرَانَ مُوسٰي بْنُ أَبي تَلِيدٍ الفَقِيهُ قالَ حدثنا أبو عُمَرَ الحافِظُ حدثنا سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ حدثنا قاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ حدثنا يَحْيٰي حدثنا مالِكٌ عنِ ابْنِ شِهابٍ عن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ عنْ أَبِيهِ قال قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِي خَمْسَةُ أَسْماءٍ أنا مُحَمَّدٌ وأنا أَحْمَدُ وأنا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ وأنا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَمَيَّ وأنا العاقِبُ وقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تعالي في كِتابِهِ مُحَمَّدًا وأَحْمَدَ فَمِنْ خَصائِصِهِ تعالي لَهُ أَنْ ضَمَّنَ أَسْماءَهُ ثَناءَهُ فَطَوَي أَثْناءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبالَغَةً مِنْ صِفَةِ الحَمْدِ ومُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبالَغَةً مِنْ

كَثْرَةِ الحَمْدِ فَهُوَ صلى اللهُ عليه وسلم أجلُّ مَنْ حَمِدَ وأفضَلُ مَنْ حُمِدَ وأكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا فَهُوَ أحْمَدُ المَحْمُودِينَ وأحْمَدُ الحامِدِينَ ومَعَهُ لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ لِيَتِمَّ لَهُ كَمالُ الحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ في تِلْكَ العَرَصات بِصِفَةِ الحَمْدِ وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنالِكَ مَقاماً مَحْمُودًا كَما وعَدَهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الأوَّلُونَ والآخِرُونَ بِشَفاعَتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ المَحامِدِ كَما قالَ صلى الله عليه وسلم مالَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ وسَمَّي أُمتَهُ في كُتُبِ أنْبيائِهِ بالحَمَّادِين فَحَقِيقٌ أنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وأحْمَدَ ثُمَّ في هٰذَيْنِ الاسْمَيْنِ مِنْ عَجائِبِ خَصائِصِهِ وَبَدائِعِ آياتِهِ فَنٌّ آخَرُ هُوَ أنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمي أنْ يُسَمَّي بِهِما أحَدٌ قَبْلَ زَمانِهِ أمَّا أحْمَدُ الذِي أتي في الكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الأنْبِياء فَمَنَعَ اللهُ تَعالي بِحِكْمَتِهِ أن يُسَمّي بِهِ أحَدٌ غَيْرُهُ ولاَ يُدْعي بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ حَتَّي لا يَدْخُلَ لَبْسٌ على ضَعِيفِ القَلْبِ أوْ شَكٌّ وَكَذٰلِكَ مُحَمَّدٌ أيْضاً لَمْ يُسَمَّ بِهِ أحَدٌ مِنَ العَرَبِ ولا غَيْرِهِمْ الي أنْ شاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ صلى الله عليه وسلم ومِيلادِهِ أنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّي قَوْم قَلِيلٌ مِنَ العَرَبِ أبْناءهُمْ بِذٰلِكَ رَجاء أنْ يَكُونَ أحَدَهُمْ هُوَ واللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ وهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الجُلاحِ الأوْسِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأنْصارِيُّ ومُحَمدُ بْنُ بَرَّاءِ البَكْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيانَ بْنِ مُجاشِعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ الجُعْفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ السُّلَمِيُّ لا سابِعَ لَهُمْ ويُقالُ أوَّلُ مَنْ سُمِّيَ مُحَمَّدًا مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيانَ واليَمَنُ تَقُولُ بَلْ مُحَمَّدُ بْنُ اليُحْمِدِ مِنَ الأزْدِ ثُمَّ حَمى اللهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّي بِهِ أنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أوْ يَدَّعِيها أحَد لَهُ أوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَب يُشَكِّكُ أحَدًا في أمْرِهِ حَتَّي تَحَقَّقَتِ السِّمَتانِ لَهُ صلى اللهُ عليه وسلم ولَمْ يُنازَعْ فِيهِما وأمَّا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم وأنا المَاحِي الذي يَمْحُو اللهُ بِي

الكُفرَ فَفُسِّرَ في الحَديثِ وَيَكُونُ مَحْوُ الكُفرِ امّا من مكّةَ وَبلادِ العَرَبِ وما زُوِيَ لَهُ منَ الأَرْضِ وَوُعِدَ أنّهُ يَبلُغُهُ مُلكُ أُمتِهِ أوْ يَكونُ المَحْوُ عامًّا بِمَعْنَي الظُّهُورِ والغَلَبَةِ كَما قالَ تعالي لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ وقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ في الحَديثِ أنّهُ الذِي مُحِيَتْ بِهِ سَيِّئاتُ مَنِ اتّبَعَهُ وقَوْلُهُ وأنا الحاشِرُ الذِي يُحْشَرُ النّاسُ على قَدَمِي أيْ على زَمانِي وعَهْدِي أيْ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ كَما قالَ وخاتَمَ النَّبِيِّينَ وسُمِّيَ عاقِباً لِأَنّهُ عقَبَ غَيْرَهُ مِنَ الأنبياءِ وفي الصَّحيحِ أنا العاقِبُ الذي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ وقِيلَ مَعْنَي على قَدَمِي أيْ يُحْشَرُ النّاسُ بِمُشاهَدَتِي كَما قالَ تعالى لِتَكُونُوا شُهَداءَ على النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَقِيلَ على قَدَمِي على سابِقَتِي قالَ اللهُ تعالي أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ وقِيلَ على قَدَمِي أيْ قُدّامِي وَحَوْلِي أيْ يَجْتَمِعُونَ اليَّ يَوْمَ القيامَةِ وَقِيلَ قَدَمِي على سُنّتِي ومَعْنَي قَوْلِهِ لِي خَمْسَةُ أسْماءٍ قِيلَ انّها مَوْجُودَةٌ في الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ وَعِنْدَ أُولِى العِلْمِ مِنَ الأُمَمِ السّالِفَةِ وقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم لِي عَشَرَةُ أسْماءٍ وذَكَرَ مِنْها طهَ وَيسَ حَكاهُ مَكّيٌّ وقَدْ قِيلَ في بَعْضِ تَفاسِيرِ طهَ انّهُ يا طاهِرُ ياهادِي وفي يسَ يا سَيِّدُ حَكاهُ السُّلَمِيُّ عَنِ الواسِطِيِّ وجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وذَكَرَ غَيْرُهُ لِي عَشَرَةُ أسْماءٍ فَذَكَرَ الخَمْسَةَ الّتِي في الحَدِيثِ الأَوَّلِ قالَ وأنا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ الرّاحَةِ وَرَسُولُ المَلاحِمِ وأنا المُقَفِّي قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ وأنا قَيِّمٌ والقَيِّمُ الجامِعُ الكامِلُ كَذا وجَدْتُهُ ولَمْ أرْوِهِ وأُرَي أنَّ صَوابَهُ قُثَمُ بالثّاءِ كَما ذَكَرْناهُ بَعْدُ عَنِ الحَرْبِيِّ وهو أشْبَهُ بالتَّفْسِيرِ وقَدْ وقَعَ أيضاً في كُتُبِ الأنبياءِ قالَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ اللّهُمَّ ابْعَثْ لَنا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السُّنّةِ بَعْدَ الفَتْرَةِ فَقَدْ يَكُونُ

القَيِّمُ بِمَعناهُ وَرَوَى النَّقَّاشُ عَنْهُ صلى اللهُ عليه وسلم لِي في القرْآنِ سَبْعَةُ أَسْماءٍ مُحَمَّدٌ وأَحْمَدُ وَيس وطه والمُدَّثِّرُ والمُزَّمِّلُ وعَبْدُ اللهِ وفي حَدِيث عَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هِيَ سِتٌّ مُحَمَّدٌ وأَحْمَدُ وخاتِمٌ وعاقِبٌ وحاشِرٌ وماحٍ وفي حديثِ أَبِي مُوسى الأَشْعَرِيّ أَنَّهُ كانَ صلى اللهُ عليه وسلم يُسَمِّي لَنا نَفْسَهُ أَسْماءً فَيَقُولُ أَنا مُحَمَّدٌ وأَحْمَدُ والمُقَفِّي والحاشِرُ ونَبِيُّ التَّوْبَةِ ونَبِيُّ المَلْحَمَةِ ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ ويُرْوَى المَرْحَمَةِ والرَّاحَةِ وَكُلٌّ صَحِيحٌ ان شاءَ اللهُ ومَعْنَى المُقَفِّي مَعْنَى العاقِبِ وأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ والتوْبَةِ والمَرْحَمَةِ والرَّاحَةِ فَقَدْ قالَ اللهُ تعالى وما أَرْسَلْناكَ الاَّ رَحْمَةً لِلعالَمِينَ وكَما وصَفَهُ بِأَنَّهُ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَيَهْدِيهِمْ الى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ وَبالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وقَدْ قالَ في صِفَةِ أُمَّتِهِ انها أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ وقَدْ قالَ تعالي فِيهِمْ وتَواصَوْا بالصَّبْرِ وتَواصَوْا بالمَرْحَمَةِ أَى يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فبَعَثَهُ صلى الله عليه وسلم رَبُّهُ تعالى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ وَرَحْمَةً لِلعالَمِينَ وَرَحِيماً بِهِمْ ومُتَرَحِّماً ومُسْتَغْفِرًا لَهُمْ وجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرْحُومَةً وَوَصَفَها بالرَّحْمَةِ وأَمَرَها صلى الله عليه وسلم بالتَّراحُمِ وأَثْنَي عَلَيْهِ فَقالَ انَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ وقالَ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمانُ ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ وأَمَّا رِوايَةُ نَبِيِّ المَلْحَمَةِ فإِشارَةٌ الي ما بُعِثَ بِهِ مِنَ القِتالِ والسَّيْفِ صلى الله عليه وسلم وَهِيَ صَحِيحَةٌ وَرَوَي حُذَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِى مُوسي وفِيهِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ونَبِيُّ التَّوْبَةِ ونَبِيُّ المَلاَحِمِ وَرَوَى الحَرْبِيُّ في حديثِهِ صلى الله عليه وسلم أنهُ قالَ أَتانِي مَلَكٌ فقالَ لِي أَنتَ قُثَمٌ أَى مُجْتَمِعٌ قالَ والقُثُومُ الجامِعُ لِلخَيْرِ وهٰذا اسْمٌ هُوَ في

أَهْلِ بَيْتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَعْلُوم وقَدْ جاءَتْ مِنْ أَلْقابِهِ صلى الله عليه وسلم وَسِماتِهِ في القرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَي ما ذَكَرْناهُ كالنُّورِ والسِّرَاجِ المُنِيرِ والمُنْذِرِ والنَّذِيرِ وَالمُبَشِّرِ والبَشِيرِ والشَّاهِدِ والشَّهِيدِ والحَقِّ المُبِينِ وخاتَمِ النَّبِيِّينَ والرَّوفِ الرَّحِيمِ والأَمِينِ وقَدَمِ الصِّدْقِ وَرَحْمَةٍ لِلْعالَمِينَ وَنِعْمَةِ اللهِ والعُرْوَةِ الوُثْقَي والصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ والنَّجْمِ الثَّاقِبِ والكَرِيمِ والنَّبِيِّ الأُمِّيِّ ودَاعِي اللهِ في أَوْصاف كَثِيرَةٍ وَسِماتٍ جَلِيلَةٍ وَجرَي مِنْها في كُتُبِ اللهِ المُتَقَدِّمَةِ وَكُتُبِ أَنْبِيائِهِ وأَحادِيثِ رَسُولِهِ واطْلاقِ الأُمَةِ جُمْلَةٌ شافِيَةٌ كَتَسْمِيَتِهِ بالمُصْطَفَي والمُجْتَبي وأَبِي القاسِمِ والحَبِيبِ وَرَسُولِ رَبِّ العالَمِينَ والشَّفِيعِ المُشَفَّعِ والمُتَّقِي والمُصْلِحِ والظَّاهِرِ والمُهَيْمِنِ والصَّادِقِ والمَصْدُوقِ والهادِي وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ وَسَيِّدِ المُرْسَلِين وإِمامِ المُتَّقِينَ وقائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ وحَبِيبِ اللهِ وخَلِيل الرَّحْمانِ وصاحِبِ الحَوْضِ المَوْرُودِ والشَّفاعَةِ والمَقامِ المحْمُودِ وصاحِبِ الوَسِيلَةِ والفَضِيلَةِ والدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وصاحِبِ التَّاجِ والمِعْرَاجِ واللِّوَاءِ والقَضِيبِ وَرَاكِبِ البُرَاقِ والنَّاقَةِ والنَّجِيبِ وصاحِبِ الحُجَّةِ والسُّلْطانِ والخاتَمِ والعَلامَةِ والبُرْهانِ وصاحِبِ الهِرَاوَةِ والنَّعْلَيْنِ ومِنْ أَسْمائِهِ في الكُتُبِ المُتَوَكِّلُ والمُخْتارُ ومُقِيمُ السُّنَّةِ والمُقَدَّسُ وَرُوحُ القُدُسِ وَرُوحُ الحَقِّ وَهوَ مَعْنَي البارقْلِيطِ في الإِنْجِيلِ وقالَ ثَعْلَبٌ البارقْلِيطُ الذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ومِنْ أَسْمائِهِ في الكُتُبِ السَّالِفَةِ ماذْ ماذْ ومَعْناهُ طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَحِمْطايا والخاتِمُ والحاتِمُ حكاهُ كَعْبُ الأَحْبارِ وقالَ ثَعْلَبٌ فالخاتِمُ الذِي خَتَمَ الانبياءَ والحاتِمُ أَحْسَنُ الأَنْبِياءِ خَلْقاً وخُلُقاً وَيُسَمَّى بالسُّرْيانِيَّةِ مُشَفَّحٌ والمُنْحَمَنَّا واسْمُهُ أَيْضاً في التَّوْرَاةِ أُحِيدُ رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ

ومعنى

ومَعْنى صاحِبِ القَضِيبِ أي السَّيْفُ وَقَعَ ذَلِكَ مفَسَّرًا في الإنجيلِ قالَ مَعَهُ قَضِيب مِنْ حَدِيدٍ يُقاتِلُ بِهِ وامَّتُهُ كَذَلِكَ وقَدْ يُحْمَلُ على أنهُ القَضِيبُ المَمْشوقُ الّذِي كانَ يُمْسِكُهُ صلي الله عليه وسلم وهوَ الآنَ عِنْدَ الخلفاء وأمّا الهِرَاوَة التي وُصِفَ بِها فهِيَ في اللُّغَةِ العَصا وارَاها والله أعْلَمُ العَصا المَذْكُورَةُ في حَدِيثِ الحَوْضِ أذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بِعَصايَ لِأَهْلِ اليَمَنِ * وأمّا التَّاجُ فالمرادُ بِهِ العِمامَةَ ولم تَكُنْ حِينَئِذٍ إلّا لِلعَرَبِ والعَمائِمُ تِيجانُ العَرَبِ وأوْصافُهُ وألقابُهُ وَسِماتُهُ في الكُتُبِ كَثِيرَةٌ وفِيما ذَكَرْناهُ مِنْها مَقْنَعٌ انْ شاء الله وكانَتْ كُنيَتُهُ المَشْهُورَةُ أبا القاسِمِ * ورُوِيَ عَنْ أنَس أنّهُ لَمّا وُلِدَ لَهُ ابرَاهِيمُ جاءَهُ جِبْرِيلُ فقالَ لَهُ السَّلامُ عَلَيْكَ يا أبا ابرَاهِيمَ

﴿ فصل في تشريف الله تعالى له ﴾

﴿ بِما سَمَّاه بِهِ منْ أسمائِهِ الحُسْنى ووصفه بِهِ منْ صفاتِه العُلَى ﴾

قالَ القاضِي أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تعالى ما أحرَى هذا الفَصْلَ بِفُصُولِ البابِ الأوَّلِ لِانْخِراطِهِ في سِلْكِ مَضْمُونِها وامْتِزاجِهِ بِعَذْبِ مَعِينِها لَكِنْ لم يَشْرَحِ اللهُ الصَّدْرَ لِلهِدايَةِ الى اسْتِنْباطِهِ ولا أنارَ الفِكْرَ لِاسْتِخْراجِ جَوْهَرِهِ والْتِقاطِهِ الّا عِنْدَ الخَوْضِ في الفَصْلِ الذِي قَبْلَهُ فَرَأَيْنا أن نُضِيفَهُ الَيْهِ ونَجْمَعَ بِهِ شَمْلَهُ فاعْلَمْ أنّ اللهَ تعالى خَصَّ كَثِيرًا منَ الأنْبياء بِكَرامَةٍ خلَعَها عَلَيْهِمْ مِنْ أسْمائِهِ كَتَسْمِيَةِ اسْحٰقَ وإسْماعِيلَ بِعَلِيمٍ وحَلِيمٍ وابْرَاهِيمَ بِحَلِيمٍ ونُوحٍ بِشَكُورٍ وعِيسَى ويَحْيَى بِبَرٍّ ومُوسَى بِكَرِيمٍ وقَوِيٍّ ويُوسُفَ بِحَفِيظٍ عَلِيمٍ وأيُّوبَ بِصابِرٍ واسْماعِيلَ بِصادِقِ الوَعْدِ كما نَطَقَ

بِذَلِكَ الكِتابُ العَزِيزُ مِنْ مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ وفَضَّلَ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم بأَنْ حَلَّاهُ مِنْها في كِتابِهِ العَزِيزِ وعلى أَلْسِنَةِ أنبيائِهِ بِعِدَّةٍ كَثِيرَةٍ اجْتَمَعَ لَنا مِنْها جُمْلَةٌ بَعْدَ إِعْمالِ الفِكْرِ وَإِحْضارِ الذِّكْرِ إِذْ لم نَجِدْ مَنْ جَمَعَ مِنْها فَوْقَ اسْمَيْنِ ولا مَنْ تَفَرَّغَ فيها لِتَأْلِيفِ فَصْلَيْنِ وحَرَّرْنا مِنْها في هٰذا الفَصْلِ نَحْوَ ثَلاثِينَ اسْماً ولَعَلَّ اللهَ تعالي كما أَلْهَمَ الي ما عَلِمَ مِنْها وحَقَّقَهُ يُتِمُّ النِّعْمَةَ بِإِبانَةِ ما لَمْ يُظْهِرْهُ لَنا الآنَ وَيَفْتَحُ غلقَهُ * فَمِنْ أَسْمائِهِ تعالي الحَمِيدُ ومَعْناهُ المَحْمُودُ لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ وَحَمِدَهُ عِبادُهُ ويَكُونُ أَيضاً بِمَعْنَي الحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمالِ الطَّاعاتِ وَسَمَّي النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم مُحَمَّدًا وأَحْمَدَ فَمُحَمَّدٌ بِمَعْنَي مَحْمُودٍ وكَذَا وَقَعَ اسْمُهُ في زُبُرِ دَاوُدَ وأَحْمَدُ بِمَعْنَي أَكْبَرُ مَنْ حَمِدَ وأَجَلُّ مَنْ حُمِدَ وقَدْ أَشارَ الى نَحْوِ هٰذا حَسَّانُ بِقَوْلِهِ

وشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ * فَذُو العَرْشِ مَحْمُود وهٰذا مُحَمَّدُ

ومِنْ أَسْمائِهِ تعالي الرَّؤُفُ الرَّحِيمُ وهُما بِمَعْنَي مُتَقارِبٍ وسَمَّاهُ في كِتابِهِ بِذَلِكَ فقالَ بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * ومِنْ أَسْمائِهِ تعالي الحَقُّ المُبِينُ ومَعْنَي الحَقِّ المَوْجُودُ والمُتَحَقِّقُ أَمْرُهُ وكَذَلِكَ المُبِينُ أي البَيِّنُ أَمْرُهُ وَإِلٰهِيَّتُهُ بانَ وأَبانَ بِمَعْنَي واحِدٍ وَيَكُونُ بِمَعْنَي المُبَيِّنِ لِعِبادِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَمَعادِهِمْ وسَمَّي النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم بِذَلِكَ في كِتابِهِ فقالَ حَتَّى جاءَهُمُ الحَقُّ ورَسولٌ مُبِينٌ وقالَ وقُلْ إِنِّي أنا النَّذِيرُ المُبِينُ وقالَ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ وقالَ فَقَدْ كَذَّبُوا بالحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ قِيلَ مُحَمَّدٌ وقِيلَ القُرْآنُ ومَعْناهُ هُنا ضِدُّ الباطِلِ والمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وأَمْرُهُ وهو بِمَعْنَي الأَوَّلِ والمُبِينُ البَيِّنُ أَمْرُهُ ورِسالَتُهُ أَوِ المُبَيِّنُ عَنِ اللهِ تعالي ما بَعَثَهُ بِهِ كما قالَ تعالي

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إلَيْهِمْ * وَمِنْ أسمائِهِ تعالى النُّورُ ومعناهُ ذُو النُّورِ أيْ خالِقُهُ أوْ مُنَوِّرُ السَّمواتِ والأرضِ بالأنْوارِ ومُنَوِّرُ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ بالهِدايَةِ وسَمَّاهُ نُورًا فقالَ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وكِتابٌ مُبِينٌ قيلَ مُحَمَّدٌ وَقيلَ القُرْآنُ وقالَ فِيهِ وسِراجاً مُنِيرًا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أمْرِهِ وَبَيانِ نُبُوَّتِهِ وتَنْوِيرِ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ والعارِفِينَ بِما جاءَ بِهِ * ومِنْ أسمائِهِ تعالى الشَّهِيدُ ومعْناهُ العالِمُ وقِيلَ الشَّاهِدُ على عِبادِهِ يَوم القِيامَةِ وسَمَّاهُ شَهِيدًا وشاهِدًا فقالَ إنَّا أرْسَلْناكَ شاهِدًا وقالَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وهوَ بِمَعْنَى الأوَّلِ * ومِنْ أسمائِهِ تعالى الكَرِيمُ ومَعْناهُ الكَثِيرُ الخَيْرِ وقِيلَ المُفْضِلُ وقِيلَ العَفُوُّ وقِيلَ العَلِيُّ وفي الحَدِيثِ المَرْوِيِّ في أسمائِهِ تعالى الأكْرَمُ وسَمَّاهُ تعالى كَرِيمًا بِقَوْلِهِ إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ وقالَ صلى الله عليه وسلم أنا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ ومَعاني الاسْمِ صَحِيحَةٌ في حَقِّهِ صلى اللهُ عليه وسلم * ومِنْ أسمائِهِ تعالى العَظِيمُ ومعْناهُ الجَلِيلُ الشانِ الذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ وقالَ في النبيِّ صلى الله عليه وسلم وَإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظِيمٍ وَوَقَعَ في أوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوْراةِ عَنْ اسماعيلَ وسَيَلِدُ عَظِيماً لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ فَهُوَ عَظِيمٌ وعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * ومِنْ أسمائِهِ تعالى الجَبَّارُ ومَعْناهُ المُصْلِحُ وَقِيلَ القاهِرُ وَقِيلَ العَلِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ وقِيلَ المُتَكَبِّرُ وسُمِّيَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم في كِتابِ داوُدَ بِجَبَّارٍ فقالَ تَقَلَّدْ أيُّها الجَبَّارُ سَيْفَكَ فإنَّ نامُوسَكَ وشَرائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ ومَعْناهُ في حَقِّ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم إمَّا لِإصْلاحِهِ الأُمَّةَ بالهِدايَةِ والتعْلِيمِ أوْ لِقَهْرِهِ أعْداءَهُ أوْ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ على البَشَرِ وعَظِيمِ خَطَرِهِ ونَفَى عَنْهُ

تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به قال وما أنت عليهم بجبار * ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول هو الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به * ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم بمعرفة الحق ويكون أيضاً بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبى العالية وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم بمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبدئ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق

وآخِرَهُمْ في البَعْثِ * ومِنْ أسْمائِهِ تعالي في الحَـدِيثِ الشَّـكورُ ومَعناهُ المُثِيبُ على العَمَلِ القَليلِ وَقِيلَ المُثْـنِي على المُطِيعِـينَ ووَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّـهُ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ إِنهُ كانَ عَبْدًا شَـكُورًا وقَدْ وَصَفَ النَّبيُّ صلي اللّٰه عليه وسلم نَفْسَهُ بِذَلِكَ فقالَ أفَلا أكُونُ عَبْـدًا شَـكُورًا أيْ مُعْـتَرِفاً بِنِعَمِ رَبِّى عارِفاً بِقَدرِ ذَلِكَ مُثْنِياً عَلَيْهِ مُجْهِـدًا نَفْسِي في الزِّيادَةِ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّـكُمْ * ومِنْ أسْمائِهِ تعالي العَلِيمُ والعَـلَّامُ وعالِمُ الغَيبِ والشَّهادَةِ ووَصَفَ نَبِيَّـهُ صـلى اللّٰهُ عليه وسـلم بِالعِلْمِ وخَصَّـهُ بِمَزِيَّةٍ مِنْهُ فَقالَ وعَلَّمَكَ ما لَمْ تَـكُنْ تَعْلَمُ وكانَ فَضْـلُ اللّٰهِ عَلَيْـكَ عَظِيماً وقالَ وَيُعَـلِّمُـكُمُ الـكِتابَ والحِكْمَةَ ويُعَـلِّمُـكُمْ ما لَمْ تَـكونُوا تَعْلَمُونَ * ومِنْ أسْـمائِهِ تعالي الأَوَّلُ والآخِرُ ومَعْناهُما السَّابِقُ لِلأَشْـياءِ قَبْلَ وُجُودِها والباقِي بَعْدَ فَنائِها وتَحْقِيقُهُ أنَّهُ لَيْسَ لَهُ أوَّلٌ ولا آخِرٌ وقالَ صـلى اللّٰه عليه وسـلم كُـنْتُ أوَّلَ الأَنْبِياءِ في الخَلْقِ وآخِرَهُمْ في البَعْثِ وفُسِّرَ بِهذَا قَوْلُهُ تعالى وَإِذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّـينَ مِيثاقَهُمْ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ فَقَدَّمَ مُحَمَّدًا صلى اللّٰه عليه وسلم وقَد أشارَ الى نَحْوِ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضى اللّٰه عنه ومِنْهُ قَوْلُهُ نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ وقَوْلُهُ أنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ وأوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ وهُوَ خاتَمُ النَّبِيِّـينَ وآخِرُ الرُّسُـلِ صلى اللّٰه عليه وسلم * ومِنْ أسْمائِهِ تعـالى القَوِيُّ وذُو القُوَّةِ المَتِـينُ ومَعْناهُ القادِرُ وقَدْ وَصَفَهُ اللّٰهُ تعالي بِذَلِكَ فقالَ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَـكِـين قِيلَ مُحَمَّدٌ وقِيلَ جِـبْرِيلُ * ومِنْ أسْمائِهِ تعالى الصَّادِقُ في الحَدِيثِ المَـأْثُورِ ووَرَدَ فى الحَدِيثِ أيضاً اسْمُهُ صلى اللّٰه عليه وسـلم بِالصَّادِقِ المَصْـدُوقِ *

ومِنْ أسمائِهِ تعالي الوَلِيُّ والمَوْلَى ومَعناهُما النَّاصِرُ وقَدْ قالَ اللّٰهُ تعالي إِنّما وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ ورَسُولُهُ وقالَ صلى اللّٰهُ عليهِ وسلم أنا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وقالَ اللّٰهُ تعالى النَّبيُّ أوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ وقالَ صلى الله عليه وسلم مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ * ومِنْ أسمائِهِ تعالى العَفُوُّ ومَعْناهُ الصَّفُوحُ وقَدْ وَصَفَ اللّٰهُ تعالي بِهٰذَا نَبِيَّهُ في القُرْآنِ والتَّوْرَاةِ وأمَرَهُ بالعَفْوِ فقالَ خُذِ العَفْوَ وقالَ فاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ وقالَ لَهُ جِبْرِيلُ وقَدْ سَأَلَهُ عَنْ قولِهِ خُذِ الْعَفْوَ قالَ أنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وقالَ في التَّوْرَاةِ والإنْجيلِ في الحَدِيثِ المَشْهُورِ في صِفَتِهِ لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ * ومِنْ أسمائِهِ تعالي الهَادِي وهوَ بِمَعْنِي تَوْفِيقِ اللّٰهِ لِمَنْ أرَادَ مِنْ عِبادِهِ وَبِمَعْنِي الدِّلالَةِ والدُّعاء قالَ اللّٰهُ تعالي واللّٰهُ يَدْعُو الي دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ الي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وأصْلُ الجَمِيعِ مِنَ المَيْلِ وَقِيلَ مِنَ التَّقْدِيمِ وَقِيلَ في تَفْسِيرِ طٰهٰ انَّهُ يا طاهِرُ يا هادِي يَعْنِي النبيَّ صلى اللّٰهُ عليه وسلم وقالَ تعالى لَهُ وَإِنكَ لَتَهْدِي الي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وقالَ فِيهِ وَدَاعِياً الي اللّٰهِ بِإِذْنِهِ فاللّٰهُ تعالي مُخْتَصٌّ بالمَعْنِي الأَوَّلِ قالَ اللّٰهُ تعالي إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَبِمَعْنِي الدِّلالَةِ يُطْلَقُ على غَيْرِهِ تعالي * ومِنْ أسمائِهِ تعالي المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ قِيلَ هُما بِمَعْنى واحِدٍ فَمَعْنِي المُؤْمِنِ في حَقِّهِ تعالي المُصَدِّقُ وَعْدَهُ عِبادَهُ والمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الحَقَّ والمُصَدِّقُ لِعِبادِهِ المُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ وَقِيلَ المُوَحِّدُ نَفْسَهُ وَقِيلَ المُؤْمِنُ عِبادَهُ في الدُّنْيا مِنْ ظُلْمِهِ والمُؤْمِنِينَ في الآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ وَقِيلَ المُهَيْمِنُ بِمَعْنِي الامِينِ مُصَغَّرٌ مِنْهُ قُلِبَتِ الهَمزَةُ هاء وقَدْ قِيلَ إِن قَوْلَهُمْ في الدُّعاء آمِينَ إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أسْماء اللّٰهِ تعالي

ومعناهُ معنى المُؤمنِ وقيلَ المُهيمنُ بمعنى الشَّاهدِ والحافظِ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم أمينٌ ومُهيمنٌ ومؤمنٌ وقد سمَّاهُ اللهُ تعالى أميناً فقالَ مُطاعٍ ثمَّ أمينٍ وكانَ صلى الله عليه وسلم يُعرفُ بالأمينِ وشُهرَ بهِ قبلَ النُّبوَّةِ وبعدَها وسمَّاهُ العبَّاسُ في شعرِهِ مُهيمناً في قولِهِ

ثمَّ احتوَى بيتُكَ المُهيمنُ منْ * خندِفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ

قيلَ المُرادُ يا أيُّها المُهيمنُ قالَهُ القُتيبيُّ والإمامُ أبو القاسمِ القُشيريُّ وقالَ تعالى يُؤمنُ باللهِ ويُؤمنُ للمُؤمنينَ أي يُصدِّقُ وقالَ صلى الله عليه وسلم أنا أمَنةٌ لأصحابي فهذا بمعنى المُؤمنِ * ومنْ أسمائِهِ تعالى القُدُّوسُ ومعناهُ المُنزَّهُ عنِ النَّقائصِ المُطهَّرُ عنْ سِماتِ الحدَثِ وسُمِّيَ بيتُ المَقدسِ لأنَّهُ يُتطهَّرُ فيهِ منَ الذُّنوبِ ومنهُ الوادي المُقدَّسُ وروحُ القُدُسِ ووقعَ في كُتبِ الأنبياءِ في أسمائِهِ صلى الله عليه وسلم المُقدَّسُ أي المُطهَّرُ منَ الذُّنوبِ كما قالَ تعالى ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدَّمَ منْ ذنبكَ وما تأخَّرَ أوِ الَّذي يُتطهَّرُ بهِ منَ الذُّنوبِ ويُتنزَّهُ باتِّباعِهِ عنها كما قالَ تعالى ويُزكِّيهمْ وقالَ ويُخرجُهمْ منَ الظُّلماتِ الي النُّورِ أوْ يكونُ مُقدَّساً بمعنى مُطهَّراً منَ الأخلاقِ الذَّميمةِ والأوصافِ الدَّنيَّةِ * ومنْ أسمائِهِ تعالى العزيزُ ومعناهُ المُمتنعُ الغالبُ أوِ الَّذي لا نظيرَ لهُ أوِ المُعزُّ لغيرِهِ وقالَ تعالى وللهِ العزَّةُ ولرسولِهِ أيِ الامتناعُ وجلالةُ القدرِ وقدْ وصفَ اللهُ تعالى نفسَهُ بالبشارةِ والنِّذارةِ فقالَ يُبشِّرُهمْ ربُّهمْ برحمةٍ منهُ ورضوانٍ وقالَ إنَّ اللهَ يُبشِّرُكَ بيحيى وبكلمةٍ منهُ وسمَّاهُ اللهُ تعالى مُبشِّراً ونذيراً وبشيراً أيْ مُبشِّراً لأهلِ طاعتِهِ ونذيراً لأهلِ معصيتِهِ * ومنْ أسمائِهِ تعالى فيما ذكرَهُ بعضُ المُفسِّرينَ طه ويس وقدْ

ذَكَرَ بعضهم أيضاً أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم

﴿ فصل ﴾ قالَ القاضي أبو الفضلِ وفّقهُ اللهُ تعالى وها أنا أذكُرُ نُكتةً أُذيّلُ بها هذا الفصلَ وأختِمُ بها هذا القسمَ وأُزيحُ الإشكالَ بها فيما تقدّمَ عن كلِّ ضعيفِ الوَهمِ سقيمِ الفهمِ تُخلّصهُ من مَهاوي التشبيهِ وتُزحزحهُ عن شُبَهِ التمويهِ وهوَ أن يعتقِدَ أنَّ اللهَ تعالى جلَّ اسمُهُ في عظمتِهِ وكبريائِهِ وملكوتِهِ وحُسنى أسمائِهِ وعليِّ صفاتِهِ لا يُشبِهُ شيئاً من مخلوقاتِهِ ولا يُشبَّهُ بِهِ وأنَّ ماجاء ممّا أطلقهُ الشّرعُ على الخالقِ وعلى المخلوقِ فلا تشابهَ بينهما في المعنى الحقيقيّ إذ صفاتُ القديمِ بخلافِ صفاتِ المخلوقِ فكما أن ذاتهُ تعالى لا تُشبِهُ الذواتَ كذلكَ صفاتهُ لا تُشبِهُ صفاتِ المخلوقينَ إذ صفاتهم لا تنفكُّ عنِ الأعراضِ والأغراضِ وهو تعالى مُنزّهٌ عن ذلكَ بل لم يزلْ بصفاتِهِ وأسمائِهِ وكفى في هذا قولهُ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ولِلّهِ درُّ من قالَ منَ العُلماء العارفينَ المُحقّقينَ التّوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غيرِ مُشبهةٍ للذواتِ ولا مُعطّلةٍ عنِ الصّفاتِ وزادَ هذهِ النُّكتةَ الواسطيُّ رحمهُ اللهُ بياناً وهي مقصودُنا فقالَ ليسَ كذاتِهِ ذاتٌ ولا كاسمِهِ اسمٌ ولا كفعلِهِ فعلٌ ولا كصفتِهِ صفةٌ إلّا من جهةِ موافقةِ اللّفظِ اللّفظَ وجلّت الذّاتُ القديمةُ أنْ تكونَ لها صفةٌ حديثةٌ كما استحالَ أنْ تكونَ للذّاتِ المُحدثةِ صفةٌ قديمةٌ وهذا كلّهُ مذهبُ أهلِ الحقِّ والسّنّةِ والجماعةِ رضيَ اللهُ عنهُم وقدْ فسّرَ الإمامُ أبو القاسمِ القُشيريُّ رحمهُ اللهُ قولهُ هذا ليزيدهُ بياناً فقالَ هذهِ الحكايةُ تشتملُ على جوامعِ مسائلِ التّوحيدِ وكيفَ

تُشْبهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمُحْدَثَاتِ وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَغْنِيَةٌ وَكَيْفَ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الخَلْقِ وهُوَ لِغَيْرِ جَلْبِ انسٍ أوْ دَفْعِ نَقْصٍ حَصَلَ ولا بِخَوَاطِرَ وأغْرَاضٍ وُجِدَ ولاَ بِمُبَاشَرَةٍ ومُعَالَجَةٍ ظَهَرَ وَفِعْلُ الخَلْقِ لا يَخْرُجُ عَنْ هٰذِهِ الوُجُوهِ وقَالَ آخَرُ مِنْ مَشَايِخِنا ما تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأوْهَامِكُمْ أوْ أدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُحْدَثٌ مِثْلُكُمْ وقَالَ الإمَامُ أبو المَعَالِي الجُوَيْنِيُّ مَنِ اطْمَأَنَّ الي مَوْجُودٍ انْتَهَى الَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ ومَنِ اطْمَأَنَّ الي النَّفْيِ المَحْضِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ وانْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ وما أحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ قُدْرَةَ اللهِ تعالى في الأشْيَاءِ بِلاَ عِلاَجٍ وصُنْعَهُ لَهَا بِلا مِزَاجٍ وعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلا عِلَّةَ لِصُنْعِهِ وما تُصُوِّرَ في وَهْمِكَ فاللهُ بِخِلاَفِهِ وهٰذَا كَلاَمٌ عَجِيبٌ نَفِيسٌ مُحَقَّقٌ والفَصْلُ الآخِرُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ والثَّانِي تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ لاَ يُسْألُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْألُونَ والثَّالِثُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ انما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اذَا أرَدْنَاهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثَبَّتَنَا اللهُ وايَّاكَ على التَّوْحِيدِ والإثْبَاتِ والتَّنْزِيهِ وجَنَّبَنَا طَرَفَيِ الضَّلاَلَةِ والغَوَايَةِ مِنَ التَّعْطِيلِ والتَّشْبِيهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ فيما أظْهَرَهُ اللهُ تعالي علي يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الخَصَائِصِ والكَرَامَاتِ ﴾

قَالَ القَاضِي أبو الفَضْلِ حَسْبُ الْمُتَأَمِّلِ أنْ يُحَقِّقَ أنَّ كِتَابَنَا هٰذَا لَمْ نَجْمَعْهُ لِمُنْكِرِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم وَلاَ لِطَاعِنٍ في مُعْجِزَاتِهِ فَنَحْتَاجَ

الي نصبِ البَرَاهِينِ عَلَيْهَا وتَحصِينِ حَوزَتِهَا حَتَّي لاَ يتَوَصَّلَ المُطاعِنُ اليْهَا وتَذكُرَ شُرُوطَ المُعجِزِ والتَّحَدِّي وحَدَّهُ وفَسادَ قَوْلِ مَنْ أبْطَلَ نَسخَ الشَّرَائِعِ ورَدَّهُ بَلْ أَلْفَناهُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ المُلَبِّينَ لِدَعوَتِهِ المُصَدِّقِينَ لِنبُوَّتِهِ لِيكُونَ تَأْكِيدًا في مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ومَنْمَاةً لِأعْمَالِهِمْ ولِيَزْدَادُوا ايمَانًا مَعَ ايمَانِهِم ونِيَّتُنَا أَنْ نُثْبِتَ في هٰذَا الباب أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِهِ ومَشَاهِيرَ آيَاتِهِ لِتَدُلَّ علي عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وأَتَيْنَا مِنْهَا بالمُحَقَّقِ والصَّحِيحِ الإِسْنَادِ وأَكْثَرُهُ مِمَّا بَلَغَ القَطْعَ أوْ كَادَ وأضَفْنَا اليْهَا بَعْضَ ما وَقَعَ في مَشَاهِيرِ كُتُبِ الأَئِمَّةِ واذَا تَأَمَّلَ المُتَأَمِّلُ المُنْصِفُ ماقَدَّمْنَاهُ منْ جَمِيلِ أثَرِهِ وحَمِيدِ سِيَرِهِ وبَرَاعَةِ عِلْمِهِ ورَجَاحَةِ عَقْلِهِ وحِلْمِهِ وجُمْلَةِ كَمَالِهِ وجَمِيعِ خِصَالِهِ وشاهِدِ حالِهِ وصَوَابِ مَقَالِهِ لَمْ يَمْتَرِ في صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وصِدْقِ دَعْوَتِهِ وقَدْ كَفَي هٰذَا غَيْرَ وَاحِدٍ في اسْلاَمِهِ والإِيمَانِ بِهِ فرُوِّينَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ وابنِ قَانِعٍ وغَيْرِهِما بِأسَانِيدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ قَالَ لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللهِ صلي اللهُ عليْهِ وسلم المَدِينَةَ جِئْتُهُ لِأَنْظُرَ الَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وجْهَهُ عَرَفْتُ أنَّ وجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ حدثنا بِهِ القاضِي الشَّهِيدُ أبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ حدثنا أبو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأبو الفَضلِ بْنُ خَيْرُونَ عَنْ أبِي يَعْلَي البَغْدَادِيِّ عَنْ أبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ عَنِ ابنِ مَحْبُوبٍ عَنِ التِّرْمِذِي حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّار حدثنا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِي ومُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ وابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ويَحْيَي بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَوْفِ ابنِ أَبِي جَمِيلَةَ الأَعْرَابِيِّ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أوْفَي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ الحَدِيثَ وعَنْ أَبِي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلي اللهُ عليه وسلم ومَعِيَ ابْنٌ لِي فَأُرِيتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ هٰذَا نَبِيُّ اللهِ ورَوَي مُسْلِمٌ وغَيْرُهُ أن ضِمادًا لَمَّا وفَدَ

عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم انَّ الحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ونَستعينهُ مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هادِيَ لَهُ وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ الاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ قَالَ لَهُ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِماتِكَ هؤُلاَءِ فَلَقَدْ بَلَغْنَ قامُوسَ البَحْرِ هاتِ يَدَكَ أُبايِعْكَ وقالَ جامِعُ بْنُ شَدَّادٍ كانَ رَجُلٌ مِنا يُقالُ لَهُ طارِقٌ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأي النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم بالمَدِينَةِ فَقالَ هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ قُلْنا هٰذَا البَعِيرُ قالَ بِكَمْ قُلْنا بِكَذَا وَ كَذَا وَسقًا مِنْ تَمْرٍ فَأَخَذَ بِخِطامِهِ وسارَ الي المَدِينَةِ فَقُلْنا بِعْنا مِنْ رَجُلٍ لاَ نَدْرِي مَنْ هُوَ ومَعَنا ظَعِينَةٌ فَقالَتْ أَنا ضامِنَةٌ لِثَمَنِ البَعِيرِ رَأَيْتُ وجهَ رَجُلٍ مِثْلَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لا يَخِيسُ بِكُمْ فَأَصْبَحْنا فَجاءَ رَجُلٌ بِتَمْرٍ فَقال أَنا رَسُولُ رَسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم الَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تأْكُلُوا مِنْ هٰذَا التَّمْرِ وَتَكْتالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا فَفَعَلْنا وفي خَبَرِ الجُلُنْدَى مَلِكِ عُمانَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوهُ الي الإِسْلاَمِ قالَ الجُلُنْدَى واللهِ لَقَدْ دَلَّنِي على هٰذَا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ أَنَّهُ لا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ الاَّ كانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ ولاَ يَنْهي عَنْ شَيْءٍ الاَّ كانَ أَوَّلَ تارِكٍ لَهُ وأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلاَ يَبْطَرُ وَيُغْلَبُ فَلاَ يَضْجَرُ وَيَفِي بِالْعَهْدِ وَيُنْجِزُ المَوْعُودَ وأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وقالَ نَفْطَوَيْهِ في قَوْلِهِ تعالى يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ هٰذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالي لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَكادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ على نُبُوَّتِهِ وانْ لَمْ يَتْلُ قُرْآنًا كما قالَ ابْنُ رَواحَةَ

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ * لَكانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بالخَبَرِ

وقَدْ آنَ أَنْ نَأْخُذَ في ذِكْرِ النُّبُوَّةِ والوَحْيِ والرِّسالَةِ وَبَعْدَهُ في مُعْجِزَةِ

القرآن وما فيه من برهان ودلالة

﴿ فصل ﴾ اعلم أن الله جل اسمه قادر علي خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا وجائز أن يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفي في مصنفات أئمتنا رحمهم الله فالنبوءة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله أمر الله له بالإبلاغ الي من أرسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا اذا تبع

بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَكَأَنَّهُ أُلْزِمَ تَكْرِيرَ التَّبْلِيغِ أَوْ أُلْزِمَتِ الامةُ إِتّباعَهُ واخْتَلَفَ العُلَماءُ هَلِ النَّبِيُّ والرَّسُولُ بِمَعْنًى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ فَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ وأَصْلُهُ مِنَ الإِنْبَاءِ وهُوَ الإِعْلَامُ واسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعالى وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نَبِيٍّ فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُما الإِرْسالَ مَعًا قالَ ولا يَكُونُ النَّبِيُّ إِلاَّ رَسُولاً ولا الرَّسُولُ إِلاَّ نَبِيًّا وقِيلَ هُما مُفْتَرِقانِ مِنْ وَجْهٍ إِذْ قَدِ اجْتَمَعا فِى النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ الإِطْلاعُ على الغَيْبِ والإِعْلامُ بِخَوَاصِّ النُّبُوَّةِ أَوِ الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وحَوْزِ دَرَجَتِها وافْتَرَقا فِي زِيادَةِ الرِّسالَةِ لِلرَّسُولِ وهُوَ الأَمْرُ بالإِنْذارِ والإِعْلامِ كما قُلْنا وحُجَّتُهُمْ مِنَ الآيَةِ نَفْسِها التَّفْرِيقُ بَيْنَ الاسْمَيْنِ ولَوْ كانا شَيْئاً واحِدًا لَمَا حَسُنَ تَكْرَارُهُما فِي الْكَلامِ الْبَلِيغِ قالوا والمَعْنَى وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلى امةٍ أَوْ نَبِيٍّ ولَيْسَ بِمُرْسَلٍ إِلي أَحَدٍ وقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلي أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ جاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدَإٍ ومَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ وَإِنْ أُمِرَ بالإِبْلاغِ وَالإِنْذارِ وَالصَّحِيحُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الجَمَّاءُ الْغَفِيرُ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ولَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً وأَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وفي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ الأَنْبِياءَ مِائَةُ أَلْفٍ وأَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ وذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْهُمْ ثَلَثُمِائَةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ أَوَّلُهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَدْ بانَ لَكَ مَعْنَى النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ ولَيْسَتا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ذَاتاً لِلنَّبِيِّ ولا وصفَ ذَاتٍ خِلافاً لِلْكَرَّامِيَةِ في تَطْوِيلٍ لَهُمْ وتَهْوِيلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ تَعْوِيلٌ وأَمَّا الْوَحْيُ فأَصْلُهُ الإِسْرَاعُ فَلَمَّا كانَ النَّبِيُّ يَتَلَقَّى مايأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ بِعَجَلٍ سُمِّيَ وَحياً وسُمِّيَتْ أنواعُ الإِلْهاماتِ وحياً تَشْبِيهاً

بالوَحْيِ إلي النَّبِيّ وسُمِّيَ الخَطُّ وحياً لِسُرْعَةِ حَرَكَةِ يَدِ كاتِبِهِ وَوَحْيُ الحاجِبِ واللحظ سُرْعَةُ إشارَتِهِما ومِنهُ قَوْلُهُ تعالي فأَوْحي اليْهِمْ أنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وعَشِيًّا أيْ أوْمأَ ورَمَزَ وقِيلَ كَتَبَ ومِنهُ قولُهُمْ الوَحا الوَحا أي السُّرْعَةَ السُّرْعَةَ وقيلَ أصْلُ الوَحْيِ السِّرُّ والإخْفاء ومِنهُ سُمِّيَ الإلْهامُ وحْياً ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالي وإنِ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلي أوْلِيائِهِمْ أيْ يُوَسْوِسُونَ في صُدُورِهِمْ ومِنهُ قَوْلُهُ وأوْحَيْنا الي أُمِّ مُوسَي أيْ أُلْقِيَ في قَلْبِها وقَدْ قِيلَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ تَعالي وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أيْ ما يُلْقِيهِ في قَلْبِهِ دُونَ واسِطَةٍ

﴿ فصل ﴾ إعْلَمْ أنَّ مَعْنَي تَسْمِيَتِنا ماجاءتْ بِهِ الأنْبِياء مُعْجِزَةً هُوَ أنَّ الخلقَ عَجَزُوا عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِها وهِيَ على ضَرْبَيْنِ ضَرْبٌ هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ البَشَرِ فَعَجَزُوا عَنْهُ فَتَعْجِيزُهُمْ عَنْهُ فِعْلٌ لِلهِ دَلَّ علي صِدْقِ نَبِيِّهِ كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنِّي المَوْتِ وتَعْجِيزِهِمْ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ على رَأْيِ بَعْضِهِمْ ونَحْوِهِ وضَرْبٌ هُوَ خارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا علي الإتْيانِ بِمِثْلِهِ كإحْياء المَوْتَي وقَلْبِ العَصا حَيَّةً وإخْراجِ ناقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ وكَلامِ شَجَرَةٍ ونَبْعِ المَاء مِنَ الأصابِعِ وانْشِقاقِ القَمَرِ مِمَّالا يُمْكِنُ أنْ يَفْعَلَهُ أحَدٌ الا اللهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ على يَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ فِعلِ اللهِ تَعالي وتَحَدِّيهِ مَنْ يُكَذِّبُهُ أنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعْجِيزٌ لَهُ واعْلَمْ أنَّ المُعْجِزاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ على يَدِ نَبِيِّنا صلى اللهُ عليه وسلم وَدَلائِلَ نُبُوَّتِهِ وَبَراهِينَ صِدْقِهِ مِنْ هٰذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مَعاً وَهُوَ أكْثَرُ الرُّسُلِ مُعْجِزَةً وأبْهَرُهُمْ آيَةً وأظْهَرُهُمْ بُرْهاناً كَما سَنُبَيِّنُهُ وَهِيَ في كَثْرَتِها لا يُحِيطُ بِها ضَبْطٌ فإنَّ

واحداً

وَاحِداً مِنها وهُوَ القرْآن لا يُحْصِي عَـدَدُ مُعْجِزَاتِهِ بِألْفٍ وَلاَ أَلْفَـيْنِ وَلا أَكْثَرَ لِأَنَّ النَّـبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ تَحَدَّي بِسُورَةٍ مِنْـهُ فَعُجِزَ عَنْها قالَ أَهْلُ العِلْمِ وأَقْصَرُ السُّوَرِ انا أعْطَيْنَاكَ الـكَوْثَرَ فَكُلُّ آ يَةٍ أوْ آياتٍ مِنْـهُ بِعَـدَدِها وقَدْرِها مُعْجِزَةٌ ثُمَّ فِيها نَفْسِها مُعْجِزَاتٌ على ما سَنُفَـصِّلُهُ فِيما انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ المُعْجزات ثُمَّ مُعْجِزَاتُهُ صـلى الله عليه وسـلم على قِسْمَـيْنِ قِسْمٌ مِنْها عُلِمَ قَطْـعاً ونُقِلَ الَيْنا مُتَوَاتِرًا كالقُرْآنِ فلا مِرْيَةَ ولا خلافَ بِمَجِيءِ النَّـبِيِّ بِهِ وظُهُورِهِ مِنْ قِبَلِهِ واسْتِدْلالِهِ بِحُجَّـتِهِ وإِنْ أَنْـكَرَ هٰذَا مُعانِدٌ جاحِدٌ فَهُوَ كإِنْـكَارِهِ وُجُودَ مُحَـمَّدٍ صلى الله عليه وسـلم في الدُّنْيا وإِنَّما جاء اعْـتِرَاضُ الجاحِدِينَ في الْحُجَّةِ بِهِ فَهُوَ في نَفْسِهِ وجَمِيـعِ ماتَضَمَّنَهُ مِنْ مُعْجِزٍ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً ووَجْهُ اعْجازِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَنَظَرًا كَما سَنَشْرَحُهُ قالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنا ويَجْرِي هٰذَا المَجْرَى على الجُمْلَةِ أَنَّهُ قَدْجَرَى على يَدَيْهِ صـلى اللهُ عليه وسـلم آياتٌ وخَوَارِقُ عاداتٍ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ واحِـدٌ مِنْها مُعَيَّنًا القَطْعَ فَيَبْلُغُها جَمِيعُهَا فَلَامِرْيَـةَ في جَرَيَانِ مَعَانِيهَا على يَدَيْهِ ولاَ يَخْتَلِفُ مُؤْمِنٌ ولاَ كافِرٌ أَنَّهُ جَرَتْ على يَدَيْهِ عَجائِبُ وإِنَّما خِلَافُ الْمُعانِدِ في كَوْنِها مِنْ قِبَلِ اللهِ وقَدْ قَدَّمْنا كَوْنَهَا مِنْ قِبَـلِ اللهِ وأَنَّ ذَلِكَ بِمثَابَةِ قَوْلِهِ صَدَقْتَ فَقَـدْ عُلِمَ وُقُوعُ مِثْلِ هٰـذَا أَيْضًا مِنْ نَبِـيِّنا ضَرُورَةً لِاتِّفَاقِ مَعانِيها كَما يُعْلَمُ ضَرُورَةً جُودُ حاتِمٍ وشَجاعَةُ عَنْـتَرَةَ وَحِلْمُ أَحْنَفَ لِاتِّفاقِ الأَخْبارِ الوَارِدَةِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ على كَرَمِ هٰذَا وشَجَاعَةِ هٰـذَا وَحِلْمِ هٰذَا وَان كانَ كُلُّ خَـبَرٍ بِنَفْسِهِ لا يُوجِبُ العِلْمَ وَلاَ يُقْطَعُ بِصِحتِهِ والقِسْمُ الثَّانِي مالَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الضَّرُورَةِ والقَطْعِ وَهُوَ على نَوْعَـيْنِ نَوْعٌ مُشْـتَهِرٌ مُنْتَشِرٌ رَوَاهُ العَـدَدُ وشاعَ الخَـبَرُ بِهِ

عِندَ المُحَدِّثينَ والرُّواةِ ونَقَلَةِ السِيَرِ والأخبارِ كنبعِ الماءِ مِنْ بَيْنِ الأصابعِ وتكثيرِ الطَّعامِ ونوعٌ منهُ اختصَّ بهِ الواحدُ والاثنانِ ورَوَاهُ العَدَدُ اليَسيرُ ولمْ يَشْتَهِرْ إشتهارَ غيرِهِ لكنَّهُ إذا جُمِعَ إلى مِثْلِهِ اتَّفقا في المَعنَى واجتمعا على الإتيانِ بالمُعجزِ كما قدَّمناهُ قالَ القاضي أبو الفضلِ وأنا أقولُ صَدْعاً بالحَقِّ إنَّ كثيرًا مِنْ هذِهِ الآياتِ المأثورةِ عنهُ صلى الله عليه وسلم معلومةٌ بالقطعِ أمَّا انشقاقُ القمرِ فالقرآنُ نصَّ بِوُقوعِهِ وأخبرَ عنْ وُجودِهِ ولا يُعدَلُ عنْ ظاهرٍ إلاَّ بدليلٍ وجاءَ برفعِ احتمالِهِ صحيحُ الأخبارِ مِنْ طُرُقٍ كثيرةٍ ولا يُوهِنُ عزمَنا خِلافُ أخرقَ منحَلِّ عُرَى الدينِ ولا يُلتفتُ إلى سخافةِ مُبتَدِعٍ يُلقِي الشكَّ على قلوبِ ضعفاءِ المؤمنينَ بلْ نُرْغِمُ بهذا أنفَهُ وننبِذُ بالعَراءِ سُخْفَهُ وكذلكَ قصةُ نبعِ الماءِ وتكثيرِ الطَّعامِ رَوَاها الثِّقاتُ والعَدَدُ الكثيرُ عَنِ الجَمَّاءِ الغَفيرِ عَنِ العَدَدِ الكثيرِ مِنَ الصَّحابةِ ومِنْها ما رَوَاهُ الكافَّةُ عَنِ الكافَّةِ متَّصِلاً عمَّنْ حدَّثَ بها مِنْ جُمْلَةِ الصَّحابةِ وأخبارِهِمْ أنَّ ذلكَ كانَ في مَوْطِنِ اجتماعِ الكثيرِ منهُمْ في يومِ الخندقِ وفي غزوةِ بُواطٍ وعُمرةِ الحُدَيبيةِ وغزوةِ تبوكَ وأمثالِها مِنْ محافلِ المُسلِمينَ ومَجمَعِ العساكرِ ولمْ يُؤثَرْ عنْ أحدٍ مِنَ الصَّحابةِ مُخالفةٌ للرَّاوي فيما حكاهُ ولا إنكارٌ عمَّا ذُكِرَ عنهُمْ أنَّهُمْ رَأَوْهُ كما رَوَاهُ فسكوتُ السَّاكتِ منهُمْ كنُطقِ النَّاطقِ إذْ هُمُ المُنَزَّهُونَ عَنِ السُّكوتِ على باطلٍ والمُداهنةِ في كذِبٍ وليسَ هُناكَ رغبةٌ ولا رهبةٌ تمنعُهُمْ ولوْ كانَ ما سمعوهُ منكرًا عندَهُمْ وغيرَ معروفٍ لديهِمْ لأنكروهُ كما أنكرَ بعضُهُمْ على بعضٍ أشياءَ رَوَاها مِنَ السُّنَنِ والسِّيَرِ وحُروفِ القرآنِ

وخطأ بعضهم بعضاً ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضاً فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجهاد الملحد على إطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه

وأنَّ الشافعيَّ يرى تجديدَ النيَّةِ كلَّ ليلةٍ والاقتصارَ في المسحِ على بعضِ الرأسِ وأنَّ مذهبهما القصاصُ في القتلِ بالمحدَّدِ وغيرِهِ وإيجابُ النيَّةِ في الوضوءِ واشتراطُ الوليِّ في النكاحِ وأنَّ أبا حنيفةَ يخالفهما في هذهِ المسائلِ وغيرِهم ممَّن لم يشتغلْ بمذاهبِهم ولا روي أقوالَهم لا يعرفُ هذا من مذاهبِهم فضلاً عمَّن سواهُ وعندَ ذكرِنا آحادَ هذهِ المعجزاتِ نزيدُ الكلامَ فيها بياناً ان شاء اللهُ تعالى

﴿ فصلٌ في اعجاز القرآن ﴾

اعلمْ وفقنا اللهُ وإيَّاكَ أن كتابَ اللهِ العزيزَ منطوٍ على وجوهٍ منَ الإعجازِ كثيرةٍ وتحصيلُها منْ جهةِ ضبطِ أنواعِها في أربعةِ وجوهٍ أوَّلُها حُسْنُ تأليفِهِ والتئامُ كلِمِهِ وفصاحتُهُ ووجوهُ ايجازِهِ وبلاغتُهُ الخارقةُ عادةَ العربِ وذلكَ أنهمْ كانوا أربابَ هذا الشأنِ وفرسانَ الكلامِ قدْ خُصُّوا منَ البلاغةِ والحِكَمِ مالمْ يُخصَّ بهِ غيرُهمْ منَ الأممِ وأُوتوا منْ ذرابةِ اللسانِ مالمْ يُؤتَ انسانٌ ومنْ فصلِ الخطابِ ما يُقيِّدُ الألبابَ جعلَ اللهُ لهمْ ذلكَ طبعاً وخلقةً وفيهمْ غريزةً وقوةً يأتونَ منهُ على البديهةِ بالعجبِ ويُدْلُونَ بهِ الى كلِّ سببٍ فيخطُبونَ بديهاً في المقاماتِ وشديدِ الخطبِ ويرتجزونَ به بينَ الطعنِ والضربِ ويمدحونَ ويقدحونَ ويتوسَّلونَ ويتوصَّلونَ ويرفعونَ ويضعونَ فيأتونَ منْ ذلكَ بالسحرِ الحلالِ ويطوِّقونَ منْ أوصافِهمْ أجملَ منْ سمطِ اللآلِ فيخدعونَ الألبابَ ويذلِّلونَ الصعابَ ويذهبونَ الإحنَ ويهيجونَ الدِمنَ ويجرِّئونَ الجبانَ ويبسطونَ يدَ الجعدِ

البَنَانِ وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كامِلًا وَيَتْرُكُونَ النَّبِيهَ خامِلاً مِنْهُمُ البَدَوِيُّ ذُو اللَّفْظِ الجَزْلِ والقَوْلِ الفَصْلِ والكَلامِ الفَخْمِ والطَّبْعِ الجَوْهَرِيِّ والمَنْزَعِ القَوِيِّ ومِنْهُمُ الحَضَرِيُّ ذُو البَلاغَةِ البارِعَةِ والأَلْفاظِ النَّاصِعَةِ والكَلِماتِ الجَامِعَةِ والطَّبْعِ السَّهْلِ والتَّصَرُّفِ في القَوْلِ القَلِيلِ الكُلْفَةِ الكَثِيرِ الرَّوْنَقِ الرَّقِيقِ الحَاشِيَةِ وكِلا البابَيْنِ فَلَهُما في البَلاغَةِ الحُجَّةُ البالِغَةُ والقُوَّةُ الدَّامِغَةُ والقِدْحُ الفالِجُ والمَهْيَعُ النَّاهِجُ لا يَشُكُّونَ أَنَّ الكَلامَ طَوْعُ مُرادِهِمْ والبَلاغَةَ مِلْكُ قِيادِهِمْ قَدْ حَوَوْا فُنُونَهَا واسْتَنْبَطُوا عُيُونَهَا ودَخَلُوا مِنْ كُلِّ بابٍ مِنْ أَبْوابِها وعَلَوْا صَرْحاً لِبُلُوغِ أَسْبابِها فقالُوا في الخَطِيرِ والمَهِينِ وتَفَنَّنُوا في الغَثِّ والسَّمِينِ وتَقاوَلُوا في القُلِّ والكُثْرِ وتَساجَلُوا في النَّظْمِ والنَّثْرِ فَما راعَهُمْ إلَّا رسُولٌ كَرِيمٌ بِكِتابٍ عَزِيزٍ لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ أُحْكِمَتْ آياتُهُ وفُصِّلَتْ كَلِماتُهُ وبَهَرَتْ بَلاغَتُهُ العُقُولَ وظَهَرَتْ فَصاحَتُهُ على كُلِّ مَقُولٍ وتَظافَرَ إيجازُهُ وإعْجازُهُ وتَظاهَرَتْ حَقِيقَتُهُ ومَجازُهُ وتَبارَتْ في الحُسْنِ مَطالِعُهُ ومَقاطِعُهُ وحَوَتْ كُلَّ البَيانِ جَوامِعُهُ وبَدائِعُهُ واعْتَدَلَ مَعَ الإيجازِ حُسْنُ نَظْمِهِ وانْطَبَقَ على كَثْرَةِ فَوائِدِهِ مُخْتارُ لَفْظِهِ وهُمْ أَفْسَحُ ما كانُوا في هٰذا البابِ مَجالًا وأَشْهَرُ في الخِطابَةِ رِجالًا وأَكْثَرُ في السَّجْعِ والشِّعْرِ سِجالًا وأَوْسَعُ في الغَرِيبِ واللُّغَةِ مَقالًا بِلُغَتِهِمُ الَّتِي بِها يَتَحاوَرُونَ ومَنازِعِهِمُ الَّتِي عَنْها يَتَناضَلُونَ صارِخاً بِهِمْ في كُلِّ حِينٍ ومُقَرِّعاً لَهُمْ بِضْعاً وعِشْرِينَ عاماً على رُؤُسِ المَلَأِ أَجْمَعِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ

اللهِ ان كُنتُمْ صادِقِينَ وانْ كُنتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ الى قوْلِهِ ولَنْ تفعَلُوا وقُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ على أنْ يأتُوا بِمِثْلِ هٰذَا القُرْآنِ الآيَةَ وقُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مفْتَرَيات وذَلِكَ أنَ المُفْتَرَى أسْهَلُ وَوَضْعَ الباطِلِ والمخْتَلَقِ على الاخْتِيارِ أقْرَبُ واللفْظُ اذَا تَبِعَ المَعْنى الصَّحِيحَ كانَ أصْعَبَ وَلِهٰذَا قِيلَ فُلانٌ يَكْتُبُ كما يُقالُ لَهُ وفلانٌ يَكْتُبُ كَما يُرِيدُ وَلِلأَوَّلِ على الثَّانِي فَضْلٌ وَبَيْنَهُما شَأْوٌ بَعِيدٌ فَلَمْ يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ صلى الله عليه وسلم أشَدَّ التقْرِيعِ وَيُوَبِّخُهُمْ غايَةَ التَّوْبِيخِ وَيُسَفِّهُ أحْلامَهُمْ وَيَحُطُّ أعْلامَهُمْ وَيُشَتِّتُ نِظامَهُمْ وَيَذُمُّ آلِهَتَهُمْ وَإِيَّاهُمْ ويَسْتَبِيحُ أرْضَهُمْ ودِيارَهُمْ وأمْوَالَهُمْ وهُمْ في كُلِّ هٰذَا نا كِصُونَ عَنْ مُعارَضَتِهِ مُحْجِمُونَ عَنْ مُماثَلَتِهِ يُخادِعُونَ أنْفُسَهُمْ بالتَّشْغِيبِ بالتَّكْذِيبِ والإِغْرَاءِ بالافْتِرَاءِ وقَوْلِهِمْ انْ هٰذَا الّا قَوْلُ البَشَرِ انْ هٰذَا الّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ وسِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وإِفْكٌ افْتَرَاهُ وأساطِيرُ الأَوَّلِينَ والمُباهَتَةِ والرِّضَى بالدَّنِيئَةِ كَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ وفي أكِنَّةٍ مِمَّا تَدعُونا الَيْهِ وفي آذَانِنا وَقْرٌ ومِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ ولا تَسْمَعُوا لِهٰذَا القُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ والادِّعاءِ مَعَ العَجْزِ بِقَوْلِهِم لَوْ نَشاء لَقُلْنا مِثْلَ هٰذَا وقَدْ قالَ لَهُمُ اللهُ ولَنْ تفعَلُوا فَما فَعَلُوا ولا قَدَرُوا وَمَنْ تَعاطَى ذَلِكَ مِنْ سُخَفائِهِمْ كَمُسَيْلِمَةَ كَشَفَ عَوارَهُ لِجَمِيعِهِمْ وسَلَبَهُمُ اللهُ ما أَلِفُوهُ مِنْ فَصِيحِ كَلامِهِمْ وَإِلّا فَلَمْ يَخْفَ على أهْلِ المَيْزِ مِنْهُمْ أنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَمَطِ فَصاحَتِهِمْ ولا جِنْسِ بَلاغَتِهِمْ بَلْ وَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ وأتَوْا مُذْعِنِينَ مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْتُونٍ وَلِهٰذَا لَمَّا سَمِعَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إن اللهَ يَأْمُرُ

بالعدل والإحسانِ الآيةَ قالَ واللهِ إنَّ لهُ لحلاوةً وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّ أسفلهُ لمغدقٌ وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ مايقولُ هذا بشرٌ وذكرَ أبو عُبيدٍ أنَّ أعرابياً سمعَ رجلاً يقرأُ فاصدَعْ بما تُؤمرُ فسجدَ وقالَ سجدتُ لفصاحتِهِ وسمعَ آخرُ رجلاً يقرأُ فلمّا آستيئسُوا منهُ خلصُوا نجيّاً فقالَ أشهدُ أن مخلوقاً لايقدرُ على مثلِ هذا الكلامِ وحُكِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يوماً نائماً في المسجدِ فإذا هوَ بقائمٍ على رأسِهِ يتشهّدُ شهادةَ الحقِّ فاستخبرَهُ فأعلمَهُ أنّهُ من بطارقةِ الرُّومِ ممّنْ يُحسنُ كلامَ العربِ وغيرِها وأنّهُ سمعَ رجلاً من أسرى المسلمينَ يقرأُ آيةً من كتابِكمْ فتأمّلتُها فإذا قدْ جُمعَ فيها ماأنزلَ اللهُ على عيسَي بنِ مريمَ من أحوالِ الدُّنيا والآخرةِ وهيَ قولُهُ ومنْ يُطعِ اللهَ ورسولَهُ ويخشَ اللهَ ويتّقهِ الآيةَ وحكَي الأصمعيُّ أنّهُ سمعَ كلامَ جاريةٍ فقالَ لها قاتلَكِ اللهُ ماأفصحَكِ فقالتْ أوَ يُعدُّ هذا فصاحةً بعدَ قولِ اللهِ تعالي وأوحينا إلي أُمِّ موسَي أنْ أرضعيهِ الآيةَ فجمعَ في آيةٍ واحدةٍ بينَ أمرَينِ ونهيَينِ وخبرَينِ وبشارتَينِ فهذا نوعٌ منْ إعجازهِ منفردٌ بذاتِهِ غيرُ مضافٍ إلي غيرِهِ على التّحقيقِ والصّحيحِ منَ القولَينِ وكونُ القرآنِ منْ قبلِ النّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وأنّهُ أتي بهِ معلومٌ ضرورةً وكونُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم متحدّياً بهِ معلومٌ ضرورةً وعجزُ العربِ عنِ الإتيانِ بهِ معلومٌ ضرورةً وكونُهُ في فصاحتِهِ خارقاً للعادةِ معلومٌ ضرورةً للعالمينَ بالفصاحةِ ووجوهِ البلاغةِ وسبيلُ منْ ليسَ منْ أهلِها علمُ ذلكَ بعجزِ المنكرينَ منْ أهلِها عنْ معارضتِهِ واعترافِ المقرّينَ بإعجازِ بلاغتِهِ

وأنتَ إذا تأمّلتَ قولَهُ تعالي ولكُمْ في القِصاصِ حياةٌ وقولَهُ ولوْ تري إذْ فزِعُوا فلاَ فوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مكانٍ قريبٍ وقولَهُ إدفعْ بالَّتِي هِيَ أحسَنُ فإذَا الَّذِي بينَكَ وبينَهُ عدَاوةٌ كأنهُ وَلِيٌّ حَميمٌ وقولَهُ وقيلَ ياأرضُ ابلَعي ماءكِ وياسماء أقلِعي الآيَةَ وقولَهُ فكُلًّا أخذْنا بِذَنبِهِ فمنهُمْ مَنْ أرسَلْنا علَيهِ حاصِبًا الآيَةَ وأشباهَها مِنَ الآيِ بلْ أكثَرَ القرآنِ حقّقتَ مابيّنتُهُ مِنْ إيجازِ ألفاظِها وكَثرَةِ معَانيها وديباجَةِ عبارَتِها وحُسْنِ تأليفِ حرُوفِها وتلاؤُمِ كَلِمِها وأنّ تحتَ كلّ لفظَةٍ مِنها جُمَلاً كثيرَةً وفُصُولاً جمّةً وعُلُوماً زَوَاخِرَ مُلِئَتِ الدَّوَاوِينُ مِنْ بَعضِ مااستُفيدَ منها وكَثُرَتِ المَقالاتُ في المُستَنبَطاتِ عنْها ثُمَّ هُوَ في سَرْدِ القِصَصِ الطّوَالِ وأخبارِ القُرُونِ السَّوَالِفِ الَّتِي يَضعُفُ في عادَةِ الفُصَحاءِ عِندَها الكَلامُ ويذهَبُ ماءُ البيانِ آيةٌ لمتأمِّلِهِ مِنْ رَبطِ الكَلاَمِ بعضِهِ ببَعضٍ والتِئامِ سَردِهِ وتَناصُفِ وُجُوهِهِ كقِصةِ يوسُفَ على طولِها ثُمَّ إذَا تَرَدَّدَتْ قِصصُهُ اختلَفَتِ العبارَاتُ عنها علي كثرَةِ تَرَدُّدِها حتَّي تكادَ كُلُّ واحِدَةٍ تُنَسّي في البَيَانِ صاحبتَها وتُناصِفُ في الحُسْنِ وَجْهَ مُقابلَتِها وَلا نُفُورَ لِلنفُوسِ مِنْ تَرْدِيدِها ولاَ مُعادَاةَ لِمُعادِها

﴿ فَصلٌ ﴾ الوَجهُ الثَّانِي مِنْ اعجازِهِ صُورَةُ نَظمِهِ العَجيبِ والأُسلُوبُ الغَريبُ المُخالفُ لِأساليبِ كلَامِ العَرَبِ ومناهِجِ نَظمِها ونَثرِها الَّذِي جاء علَيْهِ وَوقفَتْ مَقاطِعُ آيِهِ وانتَهتْ فَوَاصِلُ كَلماتِهِ اليْهِ ولَمْ يُوجَدْ قبلَهُ وَلا بَعْدَهُ نَظيرٌ لَهُ وَلاَ استَطاعَ أحدٌ مُماثَلَةَ شَيْءٍ مِنهُ بَلْ حارَتْ فيهِ عقُولُهُمْ وَتَدلَّهَتْ دُونَهُ أحلاَمُهُمْ ولَمْ يهتَدُوا إلي مِثلِهِ في جِنسِ كَلاَمِهِمْ مِنْ نَثرٍ

أَوْ نَظْمٍ أَوْ سَجْعٍ أَوْ رَجَزٍ أَوْ شِعْرٍ وَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ صلى الله عليه وسلم
الوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ رَقَّ فَجاءهُ أبو جَهْلٍ مُنْكِرًا عَلَيْهِ
قَالَ واللهِ مامِنْكُمْ أَحَدٌ أعْلَمُ بالأَشْعارِ مِنِّي واللهِ ما يُشْبِهُ الذي يَقُولُ شَيْئًا
مِنْ هٰذَا وفي خَبَرِهِ الآخَرِ حِينَ جَمَعَ قُرَيْشًا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وقالَ
إِنَّ وُفُودَ العَرَبِ تَرِدُ فأَجْمِعُوا فيهِ رَأْيًا لايُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَقالُوا
نَقُولُ كاهِنٌ قالَ وَاللهِ ما هُوَ بِكاهِنٍ ما هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ ولا سَجْعِهِ قالُوا مجْنُونٌ
قالَ ماهُوَ بِمَجْنُونٍ ولاَ بِخَنْقِهِ وَلاَ وَسْوَسَتِهِ قالوا فنَقُولُ شاعِرٌ قالَ ماهُوَ بِشاعِرٍ
قَدْعَرَفْنا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وهَزَجَهُ وقَرِيظَهُ ومَبْسُوطَهُ ومَقْبُوضَهُ ماهُوَ بِشاعِرٍ
قالوا فَنَقُولُ ساحِرٌ قالَ ماهُوَ بِساحِرٍ ولاَنَفْثِهِ ولاَعَقْدِهِ قالوا فَما نَقُولُ قالَ ماأَنْتُمْ
بِقائِلِينَ مِنْ هٰذا شَيْئًا الاَّ وأنا أعْرِفُ أنَّهُ باطِلٌ وإِنَّ أقْرَبَ القَوْلِ أنَّهُ ساحِرٌ
فَإِنَّهُ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وٱبْنِهِ والمَرْءِ وأخِيهِ والْمَرْءِ وزَوْجِهِ والْمَرْءِ
وعَشِيرَتِهِ فَتَفَرَّقُوا وجلَسُوا على السُّبُلِ يُحَذِّرُونَ النَّاسَ فأَنْزَلَ اللهُ تَعالي
في الوَلِيدِ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وحِيدًا الآياتِ وقالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ
سمِعَ القُرْآنَ ياقَوْمِ قَدْ عَلِمْتُمْ أنِّي لَمْ أتْرُكْ شَيْئًا الاَّ وقَدْ عَلِمْتُهُ وقَرَأْتُهُ
وقُلْتُهُ واللهِ لقَدْ سَمِعْتُ قَوْلاً واللهِ ما سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ما هُوَ بالشِّعْرِ ولاَ بالسِّحْرِ
ولاَ بالْكَهانَةِ وقالَ النَّضْرُبْنُ الحَارِث نَحْوَهُ وفي حَدِيث إِسْلاَمِ أبي ذرٍّ وَوَصَفَ
أخاهُ أُنَيْسًا فَقالَ واللهِ ماسَمِعْتُ بِأَشْعَرَ مِنْ أخِي أُنَيْسٍ لَقَدْ ناقَضَ اثْني
عَشَرَ شاعِرًا في الجاهِلِيَّةِ أنا أحَدُهُمْ وأنَّهُ انْطَلَقَ الي مَكَّةَ وجاء الي أبِي ذَرٍّ
بِخَبَرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ فَما يَقُولُ النَّاسُ قالَ يَقُولُونَ شاعِرٌ
كاهِنٌ ساحِرٌ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ فَما هُوَ بِقَوْلِهِمْ ولَقَدْ وضَعْتُهُ على أقْراء

الشِّعرِ فلَمْ يلتَئِمْ ومايلتَئِمُ على لِسانِ أحَدٍ بَعْدِي أنَّهُ شعرٌ وإنَّهُ لَصادِقٌ وإنَّهُمْ لَكاذِبُونَ والأخبارُ في هٰذا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ والإعْجازُ بِكُلِّ واحِدٍ مِنَ النَّوعَينِ الإيجازِ والبَلاغَةِ بِذاتِها والأُسلُوبُ الغَرِيبُ بِذاتِهِ كُلٌّ واحِدٍ مِنهُما نَوعُ اعجازٍ على التَّحقِيقِ لمْ تَقدِرِ العَرَبُ على الإتيانِ بِواحِدٍ مِنهُما اذْ كُلُّ واحِدٍ خارِجٌ عَنْ قُدْرَتِها مُبايِنٌ لِفَصاحَتِها وكَلامِها والي هٰذا ذَهَبَ غَيرُ واحِدٍ مِنْ أئِمَّةِ المُحَقِّقِينَ وذَهَبَ بَعضُ المُقتَدَى بِهِمْ الي أن الإعجازَ في مَجمُوعِ البَلاغَةِ والأُسلُوبِ وأتَي على ذلِكَ بِقَولٍ تَمُجُّهُ الأسماعُ وتَنفِرُ مِنهُ القُلُوبُ والصَّحِيحُ ما قَدَّمناهُ والعِلمُ بِهٰذا كُلِّهِ ضَرُورَةً وَقَطعاً وَمَنْ تَفَنَّنَ في عُلُومِ البَلاغَةِ وأرهَفَ خاطِرَهُ ولِسانَهُ أدَبُ هٰذِهِ الصِّناعَةِ لمْ يَخفَ عَلَيهِ ما قُلناهُ وقَدِ اختَلَفَ أئِمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ في وَجهِ عَجزِهِمْ عَنهُ فأكثَرُهُمْ يَقُولُ انهُ مِمَّا جُمِعَ في قُوَّةِ جَزالَتِهِ ونَصاعَةِ ألفاظِهِ وحُسنِ نَظمِهِ وايجازِهِ وَبَدِيعِ تأليفِهِ واسلُوبِهِ لا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ في مَقدُورِ البَشَرِ وأنَّهُ مِنْ بابِ الخَوارِقِ المُمتَنِعَةِ عَنْ أقدارِ الخَلقِ عَلَيها كإحياءِ المَوتي وقَلبِ العَصا وتَسبِيحِ الحَصا وذَهَبَ الشَّيخُ أبو الحَسَنِ الي أنَّهُ مِمَّا يُمكِنُ أنْ يَدخُلَ مِثلُهُ تَحتَ مَقدُورِ البَشَرِ وَيُقدِرُهُمُ اللهُ عَلَيهِ ولٰكِنَّهُ لمْ يَكُنْ هٰذا وَلا يَكُونُ فَمَنَعَهُمُ اللهُ هٰذا وَعَجَّزَهُمْ عَنهُ وقالَ بِهِ جَماعَةٌ مِنْ أصحابِهِ وعلى الطَّرِيقَينِ فَعَجزُ العَرَبِ عَنهُ ثابِتٌ واقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيهِمْ بِما يَصِحُّ أنْ يَكُونَ في مَقدُورِ البَشَرِ وَتَحَدِّيهِمْ بِأنْ يَأتُوا بِمِثلِهِ قاطِعٌ وَهُوَ أبلَغُ في التَّعجِيزِ وأحرَي بالتَّقرِيعِ والاحتِجاجُ بِمَجِيءِ بَشَرٍ مِثلِهِمْ بِشَيءٍ لَيسَ مِنْ قُدرَةِ البَشَرِ لازِمٌ وَهُوَ أبهَرُ آيَةٍ وأقمَعُ دِلالَةٍ وَعلى كُلِّ حالٍ فَما أتَوا

في ذَلِكَ بِمَقَالٍ بَلْ صَبَرُوا على الجلاءِ والقتلِ وتجرَّعوا كاساتِ الصَّغارِ والذُّلِّ وكانوا مِنْ شُمُوخِ الأَنْفِ وَإِباءَةِ الضَّيْمِ بِحَيْثُ لا يُؤْثِرُونَ ذَلِكَ اخْتِيارًا ولا يَرْضَوْنَهُ الّا اضْطِرَارًا وَالّا فَالْمُعَارَضَةُ لوْ كانَتْ مِنْ قُدَرِهِمْ والشُّغْلُ بِها أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ وأَسْرَعُ بالنُّجْحِ وقَطْعِ العُذْرِ وَإِفْحامِ الخَصْمِ لَدَيْهِمْ وهُمْ مِمَّنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ على الكَلامِ وقُدْوَةٌ في المَعْرِفَةِ بِهِ لِجَمِيعِ الأَنامِ وما مِنْهُمْ الّا مَنْ جَهَدَ جَهْدَهُ واسْتَنْفَدَ ما عِنْدَهُ في إِخْفاءِ ظُهُورِهِ واطْفاءِ نُورِهِ فَما جَلَوْا في ذَلِكَ خَبِيئَةً مِنْ بَنَاتِ شِفاهِهِمْ ولا أَتَوْا بِنُطْفَةٍ مِنْ مَعِينِ مِياهِهِمْ مَعَ طُولِ الأَمَدِ وكَثْرَةِ العَدَدِ وتَظاهُرِ الوَالِدِ وما وَلَدَ بَلْ أَبْلَسُوا فَما نَبَسُوا ومُنِعُوا فانْقَطَعُوا فَهٰذانِ النَّوْعانِ مِنْ إِعْجازِهِ

﴿ فصل ﴾ الوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الإِعْجازِ ما انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الإِخْبارِ بِالمُغَيَّباتِ وما لَمْ يَكُنْ ولَمْ يَقَعْ فَوُجِدَ كَما وَرَدَ على الوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ كَقَوْلِهِ تعالى لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ وقَوْلِهِ تعالي وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ وقوْلِهِ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وقوْلِهِ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ الآيَةَ وقوْلِهِ اذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ الي آخِرِها فكانَ جَمِيعُ هٰذا كما قالَ فَغَلَبَتِ الرُّومُ فارِسَ في بِضْعِ سِنِينَ ودَخَلَ النَّاسُ في الإِسْلامِ أَفْواجًا فَما ماتَ صلى الله عليه وسلم وفي بِلادِ العَرَبِ كُلِّها مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِسْلامُ واسْتَخْلَفَ اللهُ المُؤْمِنِينَ في الأَرْضِ ومَكَّنَ فِيها دِينَهُمْ ومَلَّكَهُمْ إِيَّاها مِنْ أَقْصي المَشارِقِ الي أَقْصى المَغارِبِ كما قالَ صلى الله عليه وسلم زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها وسَيَبْلُغُ مُلْكُ امَّتِي ما زُوِيَ لِي مِنْها وقَوْلِهِ انَّا نَحْنُ نَزَّلْنا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ فكانَ كذلِكَ لا يَكادُ يُمَدُّ مَنْ سَعَى في تغييرِهِ وتبديلِ مُحكَمِهِ مِنَ المُلحِدَةِ والمُعطِّلَةِ لا سيَّما القَرامِطَةُ فَأَجمَعُوا كَيدَهُمْ وحَوْلَهُمْ وقُوَّتَهُمْ اليَوْمَ نَيفًا على خَمسِمِائَةِ عامٍ فما قَدَرُوا على إِطفاءِ شيءٍ مِنْ نُورِهِ ولا تَغيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلامِهِ ولا تَشكِيكِ المُسلِمِينَ في حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ والحَمْدُ لِلّهِ ومِنْهُ قَوْلُهُ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ وقَوْلُهُ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيدِيكُمْ الآيَةَ وقَوْلُهُ هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى الآيَةَ وقَوْلُهُ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلَّا أذًى وإنْ يُقاتِلُوكُمْ الآيَةَ فكانَ كُلُّ ذلِكَ وما فِيهِ مِنْ كَشفِ أَسرارِ المُنافِقِينَ واليَهُودِ ومَقالِهِمْ وكَذِبِهِمْ في حَلِفِهِمْ وتَقرِيعِهِمْ بِذلِكَ كَقَوْلِهِ وَيَقُولُونَ في أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللّهُ بِما نَقُولُ وقَوْلِهِ يُخْفُونَ في أَنفُسِهِمْ مالا يُبْدُونَ لَكَ الآيَةَ وقَوْلِهِ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ الآيَةَ وقَوْلِهِ مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ الي قَوْلِهِ في الدِّينِ وقَدْ قالَ مُبْدِيًا ما قَدَّرَهُ اللّهُ واعتَقَدَهُ المُؤمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ احدَى الطَّائِفَتَينِ أنَّها لَكُمْ وتَوَدُّونَ أنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى إِنَّا كَفَيْناكَ المُسْتَهزِئِينَ ولَمَّا نَزَلَتْ بَشَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِذلِكَ أَصحابَهُ بِأَنَّ اللّهَ كَفاهُ اِيَّاهُمْ وكانَ المُستَهزِؤُنَ نَفَرًا بِمَكَّةَ يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَنْهُ وَيُؤْذُونَهُ فَهَلَكُوا وقَوْلِهِ واللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فكانَ كَذلِكَ على كَثْرَةِ مَنْ رامَ ضُرَّهُ وقَصَدَ قَتلَهُ والأَخبارُ بِذلِكَ مَعرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ

﴿ فصل ﴾ الوَجهُ الرَّابِعُ ما أَنبَأَ بِهِ مِنْ أَخبارِ القُرُونِ السَّالِفَةِ والأُمَمِ البائِدَةِ والشَّرائِعِ الدَّاثِرَةِ مِمَّا كانَ لا يَعلَمُ مِنْهُ القِصَّةَ الواحِدَةَ الّا الفَذُّ

مِن

مِنْ أخبارِ أهلِ الكتابِ الَّذِي قَطَعَ عُمْرَهُ في تَعَلُّمِ ذَلِكَ فَيُورِدُهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على وَجْهِهِ وَيَأْتي بِهِ على نَصِّهِ فَيَعْتَرِفُ العالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ وأنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنَلْهُ بِتَعْلِيمٍ وقَدْ عَلِمُوا أنَّهُ صلى الله عليه وسلم أُمِّيٌّ لا يَقْرأُ وَلا يَكْتُبُ ولا اشْتَغَلَ بِمُدارَسَةٍ وَلا مُثافَنَةٍ وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ ولا جَهِلَ حالَهُ أحَدٌ مِنْهُمْ وقَدْ كانَ أهْلُ الكِتابِ كَثِيرًا ما يَسْأَلُونَهُ صلى الله عليه وسلم عَنْ هذَا فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ ما يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْرًا كَقِصَصِ الأنْبِياءِ مَعَ قَوْمِهِمْ وخَبَرِ مُوسَى والخَضِرِ وَيُوسُفَ واخْوَتِهِ وأصْحابِ الكَهْفِ وَذِي القَرْنَيْنِ وَلُقْمانَ وابْنِهِ وأشْباهِ ذَلِكَ مِنَ الأنْباءِ وَبَدْءِ الخَلْقِ وَما في التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ والزَّبُورِ وَصُحُفِ ابْرَاهِيمَ وَمُوسَى مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ العُلَماءُ بِها وَلَمْ يَقْدِرُوا على تَكْذِيبِ ما ذُكِرَ مِنها بَلْ أذْعَنُوا لِذَلِكَ فَمِنْ مُوَفَّقٍ آمَنَ بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَقِيٍّ مُعانِدٍ حاسِدٍ وَمَعَ هذَا لَمْ يُحْكَ عَنْ واحِدٍ مِنَ النَّصارَى واليَهُودِ على شِدَّةِ عَداوَتِهِمْ لَهُ وَحِرْصِهِمْ علي تَكْذِيبِهِ وطُولِ احْتِجاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا في كُتُبِهِمْ وَتَقْرِيعِهِمْ بِمَا انطَوَتْ عَلَيْهِ مَصاحِفُهُمْ وَكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ لَهُ صلى الله عليه وسلم وَتَعْنِيتِهِمْ اِيَّاهُ عَنْ أخْبارِ أنْبِيائِهِمْ وأسْرَارِ عُلُومِهِمْ وَمُسْتَوْدَعاتِ سِيَرِهِمْ وَاعلامِهِ لَهُمْ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ ومُضَمَّناتِ كُتُبِهِمْ مِثْلُ سُؤالِهِمْ عَنِ الرُّوحِ وَذِي القَرْنَيْنِ وأصْحابِ الكَهْفِ وَعِيسَى وَحُكْمِ الرَّجْمِ وَما حَرَّمَ اسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ وَما حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأنْعامِ وَمِنْ طَيِّباتٍ كانَتْ احِلَّتْ لَهُمْ فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ بِبَغْيِهِمْ وَقَوْلِهِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في الإنْجِيلِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ الَّتِي نَزَلَ فِيها القُرْآنُ فَأجابَهُمْ

وعرَّفهم بما أُوحي اليهِ مِنْ ذَلِكَ أنَّهُ أنكَرَ ذَلِكَ أوْ كَذَّبَهُ بَلْ أكْثَرُهُمْ صَرَّحَ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ مَقالَتِهِ واعْتَرَفَ بِعِنادِهِ وَحَسَدِهِ اياهُ كأهْلِ نَجْرانَ وَابْنِ صُوريا وابْنَيْ أخْطَبَ وغَيْرِهِمْ وَمَنْ باهَتَ في ذَلِكَ بَعْضَ المُباهَتَةِ وادَّعي أن فِيما عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِما حَكاهُ مُخالَفَةً دُعِيَ الي اقامَةِ حُجَّتِهِ وَكَشْفِ دَعْوَتِهِ فَقِيلَ لَهُ قُلْ فَأْتُوا بالتَّوْرَاةِ فاتْلُوها انْ كُنْتُمْ صادِقِينَ الى قَوْلِهِ الظَّالِمُونَ فَقَرَّعَ وَوَبَّخَ وَدَعا الي احضارِ مُمْكِنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ فَمِنْ مُعْتَرِفٍ بِما جَحَدَهُ وَمُتَوَاقِحٍ يُلْقِي على فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتابِهِ يَدَهُ وَلَمْ يُؤْثَرْ أنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ أظْهَرَ خِلافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ وَلاَ أبْدَى صَحِيحاً وَلاَسَقِيماً مِنْ صُحُفِهِ قالَ اللهُ تعالي يا أهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ الآيَتَيْنِ

﴿ فَصْلٌ ﴾ هٰذِهِ الوُجُوهُ الأَرْبَعَةُ مِنْ اعجازِهِ بَيِّنَةٌ لاَ نِزاعَ فِيها وَلا مِرْيَةَ وَمِنَ الوُجُوهِ البَيِّنَةِ في اعجازِهِ مِنْ غَيْرِ هٰذِهِ الوُجُوهِ آيٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فى قَضايا وإِعلامِهِمْ أنَّهُمْ لاَ يَفْعَلُونَها فَما فَعَلُوا وَلاَ قَدَرُوا على ذَلِكَ كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ قُلْ انْ كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خالِصَةً الآيَةَ قالَ أبو اسْحاقَ الزَّجّاجُ في هٰذِهِ الآيَةِ أعْظَمُ حُجَّةٍ وَأظْهَرُ دِلالَةٍ على صِحَّةِ الرِّسالَةِ لِأنهُ قالَ لَهُمْ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ وأعْلَمَهُمْ أنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أبَدًا فَلَمْ يَتَمَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَقُولُها رَجُلٌ مِنْهُمْ الّا غُصَّ بِرِيقِهِ يَعْنِي يَمُوتُ مَكانَهُ فَصَرَفَهُمُ اللهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَّعَهُمْ لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ وَصِحَّةَ ما أُوحِيَ اليْهِ اذْ لَمْ يَتَمَنَّهُ

أحدٌ منهم وَ كانوا علي تكذيبهِ أحرَصَ لوْ قدَروا ولٰكِنِ اللهُ يَفعلُ ما يُريدُ فظهرَتْ بذلِكَ معجزتهُ وبانَتْ حُجتهُ قالَ أبو محمَّدٍ الأصيليُّ مِنْ أعجبِ أمرِهمْ أنَّهُ لا يُوجَدُ منهُمْ جماعةٌ ولا واحِدٌ منْ يوْمِ أمرَ اللهُ بذلِكَ نبيَّهُ يقْدِمُ عليهِ ولا يُجيبُ اليهِ وهٰذا موْجودٌ مشاهدٌ لِمَنْ أرادَ أنْ يمتحنهُ منهُمْ وكذلِكَ آيَةُ المُباهلَةِ منْ هٰذا المعْنى حيْثُ وفدَ عليهِ أساقفةُ نجرانَ وأبوْ الإسْلامَ فأنزلَ اللهُ تعالى عليهِ آيَةَ المُباهلَةِ بقوْلِهِ فمَنْ حاجَّكَ فيهِ الآيَةَ فامتنَعوا منها ورَضوا بأداءِ الجزيةِ وذلِكَ أن العاقِبَ عظيمهُمْ قالَ لهُمْ قدْ علِمتُمْ أنَّهُ نبيٌّ وأنَّهُ مالاعَنَ قوماً نبيٌّ قطُّ فبقِيَ كبيرُهُمْ ولاَ صغيرُهُمْ ومثلُهُ قوْلُهُ وَانْ كُنتُمْ فى ريْبٍ مِمَّا نزَّلنا على عبْدِنا الى قوْلِهِ فانْ لمْ تفعَلوا ولَنْ تفعلوا فأخبرَهُمْ أنهُمْ لاَ يفعلُونَ كما كانَ وهٰذهِ الآيَةُ أدخَلُ في بابِ الإخبارِ عَنِ الغيْبِ ولٰكِنْ فِيها مِنَ التَّعجيزِ ما في الَّتي قبلَها

﴿ فصلٌ ﴾ ومِنها الرَّوْعةُ الَّتي تلْحَقُ قُلُوبَ سامِعِيهِ وأسْماعَهُمْ عِنْدَ سَماعِهِ وَالهيْبَةُ الَّتي تعتريهِمْ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِقُوَّةِ حالِهِ وَانافَةِ خطَرِهِ وهِيَ على المُكذِّبينَ بهِ أعظَمُ حتَّي كانُوا يستثقِلُونَ سماعَهُ ويَزيدُهُمْ نُفُورًا كما قالَ تَعالى ويَوَدُّونَ انقِطاعَهُ لِكراهتِهِمْ لَهُ ولهٰذا قالَ صلى الله عليه وسلم ان القُرْآنَ صعْبٌ مُستصعَبٌ على مَنْ كرِهَهُ وهُوَ الحَكَمُ وَأمَّا المُؤمِنُ فلاَ تزالُ روْعتُهُ بهِ وهَيْبتُهُ ايَّاهُ معَ تِلاوَتِهِ توليهِ انجذاباً وتكسِبُهُ هشاشةً لِمَيْلِ قلْبِهِ اليْهِ وتصديقِهِ بهِ قالَ اللهُ تعالى تقشعِرُّ منهُ جلُودُ الَّذينَ يخشَوْنَ ربَّهُمْ ثُمَّ تلِينُ جلودُهُمْ وقُلوبُهُمْ الي ذِكْرِ اللهِ وقالَ لوْ أنزلْنا هٰذا القرْآنَ على

جَبَلٍ الآيَةَ وَيَدُلُّ على أن هذا شَيْءٌ خُصَّ بِهِ أَنَّهُ يَعْتَرِي مَنْ لا يَفْهَمُ مَعانِيَهُ وَلاَ يَعْلَمُ تَفَاسِيرَهُ كما رُوِيَ عَنْ نَصْرَانِيٍّ أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِئٍ فَوَقَفَ يَبْكِي فَقِيلَ لَهُ مِمَّ بَكَيْتَ قَالَ لِلشَّجا والنَّظْمِ وَهٰذِهِ الرَّوْعَةُ قَدِ اعْتَرَتْ جَماعَةً قَبْلَ الإِسْلامِ وَبَعْدَهُ فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ لَهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَآمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فَحُكِيَ في الصَّحِيحِ عَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بِالطورِ فَلَمَّا بَلَغَ هٰذِهِ الآيَةَ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ الي قَوْلِهِ المُصَيْطِرُونَ كادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ لِلإِسْلَامِ وَفي رِوَايَةٍ وَذَلِكَ أَوَّلُ ما وَقَرَ الإِسْلامُ في قَلْبِي وَعَنْ عُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِيما جاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِ قَوْمِهِ فَتَلاَ عَلَيْهِمْ حمٓ فُصِّلَتْ الي قَوْلِهِ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ بِيَدِهِ على فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ وَفي رِوَايَةٍ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ وعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِما حَتَّى انْتَهي الى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وَقامَ عُتْبَةُ لا يَدْرِي بِمَ يُرَاجِعُهُ وَرَجَعَ الي أَهْلِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ الي قَوْمِهِ حَتَّي أَتَوْهُ فَاعْتَذَرَ لَهُمْ وَقالَ واللهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللهِ ما سَمِعَتْ أُذُنَايَ بِمِثْلِهِ قَطُّ فَما دَرَيْتُ ما أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ رَامَ مُعَارَضَتَهُ أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ رَوْعَةٌ وَهَيْبَةٌ كَفَّ بِها عَنْ ذَلِكَ فَحُكِيَ أَنَّ ابْنَ المُقَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ وَشَرَعَ فِيهِ فَمَرَّ بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ فَرَجَعَ فَمَحَي ما عَمِلَ وَقالَ أَشْهَدُ أَنَّ هٰذَا لا يُعارَضُ وَما هُوَ مِنْ كَلَامِ البَشَرِ وَكانَ مِنْ أَفْصَحِ أَهْلِ وَقْتِهِ وَكانَ يَحْيى بْنُ

حَكَمِ الغزَّالُ بليغ الأَندلُسِ في زَمَنِهِ فَحُكِيَ أنهُ رَامَ شَيْئاً مِنْ هٰذا فَنَظَرَ في سُورَةِ الإخلاصِ لِيَحْذُوَ على مِثالِها وَيَنْسُجَ بِزَعْمِهِ على مِنْوالِها قال فَاعْتَرَتْني مِنهُ خَشْيَةٌ وَرِقَّةٌ حَمَلَتْني على التَّوْبَةِ وَالإِنابَةِ

﴿ فَصْلٌ ﴾ وَمِنْ وُجُوهِ اعجازِهِ المَعْدُودَةِ كَوْنُهُ آيَةً باقِيَةً لا تُعْدَمُ ما بَقِيَتِ الدُّنْيا مَعَ تَكَفُّلِ اللهِ تعالى بِحِفْظِهِ قالَ انَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ وقالَ لا يأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ الآيَةَ وسائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبياءِ انْقَضَتْ بِانْقِضاءِ أَوْقاتِها فَلَمْ يَبْقَ الاَّ خَبَرُها والقُرْآنُ العَزِيزُ الباهِرَةُ آياتُهُ الظَّاهِرَةُ مُعْجِزاتُهُ على ما كانَ عَلَيْهِ اليَوْمَ مُدَّةَ خَمْسِمِائَةِ عامٍ وَخَمْسٍ وثَلاثِينَ سَنَةً لِأَوَّلِ نُزُولِهِ الى وَقْتِنا هٰذَا حُجَّتُهُ قاهِرَةٌ وَمُعارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةٌ وَالأَعْصارُ كُلُّها طافِحَةٌ بِأَهْلِ البَيانِ وحَمَلَةِ عِلْمِ اللِّسانِ وَأَئِمَّةِ البَلاغَةِ وفُرْسانِ الكَلامِ وجَهابِذَةِ البَراعَةِ والمُلْحِدُ فِيهِمْ كَثِيرٌ والمُعادِي لِلشَّرْعِ عَتِيدٌ فَما مِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤْثَرُ في مُعارَضَتِهِ وَلاَ أَلَّفَ كَلِمَتَيْنِ في مُناقَضَتِهِ وَلاَ قَدَرَ فِيهِ على مَطْعَنٍ صَحِيحٍ وَلا قَدَحَ المُتَكَلِّفُ مِنْ ذِهْنِهِ في ذَلِكَ الاَّ بِزَنْدٍ شَحِيحٍ بَلِ المَأْثُورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذَلِكَ إِلْقاؤُهُ في العَجْزِ بِيَدَيْهِ والنُّكُوصُ على عَقِبَيْهِ

(فصل)

﴿ وَقَدْ عَدَّ جَماعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ وَمُقَلِّدِي الأُمَّةِ في إِعْجازِهِ وُجُوهاً كَثِيرَةً ﴾ مِنْها أَنَّ قارِئَهُ لا يَمَلُّهُ وسامِعَهُ لا يَمُجُّهُ بَلِ الإِكْبابُ على تِلاوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلاوَةً وتَرْدِيدُهُ يُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةً لا يَزالُ غَضّاً طَرِيّاً وَغَيْرُهُ مِنَ الكَلامِ

ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتي أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الي الرشد * ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالي أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلي وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الي ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا

تنقضى

تَنْقَضِي عَجائِبُهُ هوَ الحَقُّ لَيْسَ بالهَزْلِ مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ومَنْ خاصَمَ بِهِ فَلَجَ ومَنْ قَسَمَ بِهِ أقْسَطَ ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ومَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ الي صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ومَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أضَلَّهُ اللهُ ومَنْ حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللهُ هوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ والنُّورُ المُبِينُ والصِّراطُ المُسْتَقِيمُ وحَبْلُ اللهِ المَتِينُ والشِّفاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ونَجاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ولا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ ولا يُخْلِقُ علي كَثْرَةِ الرَّدِّ ونَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وقالَ فِيهِ ولا يَخْتَلِفُ ولا يَتَشانُّ فِيهِ نَبَأُ الأوَّلِين والآخِرِينَ وفي الحَدِيث قالَ اللهُ تعالي لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِنِّي مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً تَفْتَحُ بِها أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقُلُوبًا غُلْفًا فِيها يَنابِيعُ العِلْمِ وفَهْمُ الحِكْمَةِ ورَبِيعُ القُلُوبِ وعنْ كَعْبٍ عَلَيْكُمْ بالقُرْآنِ فإِنَّه فَهْمُ العُقُولِ ونُورُ الحِكْمَةِ وقالَ تعالي إِنَّ هٰذَا القُرْآنَ يَقُصُّ على بَنِي اسْرائِيلَ أكْثَرَ الذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفونَ وقالَ هٰذَا بَيانٌ لِلنَّاسِ وهُدًى الآيَةَ فَجُمِعَ فِيهِ مَعَ وَجازَةِ ألْفاظِهِ وجَوامِعِ كَلِمِهِ أضْعافُ مافي الكُتُبِ قَبْلَهُ التِي ألْفاظُها على الضِّعْفِ مِنْهُ مَرَّاتٍ * ومِنْها جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ ومَدْلُولِهِ وذَلِكَ أنَّهُ احْتَجَّ بِنَظْمِ القُرْآنِ وحُسْنِ وَصْفِهِ وإِيجازِهِ وبَلاغَتِهِ وأثْناءَ هٰذِهِ البَلاغَةِ أمْرُهُ ونَهْيُهُ ووَعْدُهُ ووَعِيدُهُ فالتَّالي لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الحُجَّةِ والتَّكْلِيفِ مَعًا مِنْ كَلامٍ واحِدٍ وسُورَةٍ مُنْفَرِدَةٍ * ومِنْها أنْ جَعَلَهُ في حَيِّزِ المَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ ولَمْ يَكُنْ في حَيِّزِ المَنْثُورِ لِأنَّ المَنظُومَ أسْهَلُ على النُّفُوسِ وأوْعَى لِلْقُلُوبِ وأسْمَحُ في الآذانِ وأحْلى على الأفْهامِ فالنَّاسُ الَيْهِ أمْيَلُ والأهْواءُ الَيْهِ أسْرَعُ * ومِنْها تَيْسِيرُهُ تعالى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ وتَقْرِيبُهُ على مُتَحَفِّظِيهِ

قال الله تعالى ولقد يسّرنا القرآن للذكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجمّاء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسّر حفظه للغلمان في أقرب مدّة ٭ ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلّص من قصة الي أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الي أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوّة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الي غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلّل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوّته ولانت جزالته وقلّ رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمّل أوّل ص وما جمع فيها من أخبار الكفّار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمّد صلى الله عليه وسلم وتعجّبهم ممّا أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبيّ صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكلّ ما تقدّم ذكره ثمّ أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كلّ هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة الّتي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كلّه وكثير ممّا ذكرنا أنّه ذكر في إعجاز القرآن الي وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته فلا نحب أن يعدّ فنّا منفردًا في إعجازه الّا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير ممّا قدّمنا ذكره عنهم يعدّ في

خَوَاصِهِ وفَضائِلِهِ لا في إِعْجازِهِ وحَقِيقَةُ الإِعْجازِ الوُجُوهُ الأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنا فَلْيُعْتَمَدْ عَلَيْها وما بَعْدَها مِنْ خَوَاصِّ القُرْآنِ وعَجائِبِهِ الَّتِي لا تَنْقَضِي واللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

﴿ فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس ﴾

قَالَ اللهُ تعالى اقْتَرَبَتِ السَّاعةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ أَخْبَرَ تعالي بِوُقُوعِ انْشِقاقِهِ بِلَفْظِ الماضِي وَإِعْرَاضِ الكَفَرَةِ عَنْ آياتِهِ وأَجمعَ المُفَسِّرُونَ وأَهْلُ السُّنَّةِ علي وُقُوعِهِ * أَخْبَرَنا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ مِنْ كِتابِهِ حدثنا القاضي سِرَاجُ بنُ عبدِ اللهِ حدثنا الأَصِيلِيُّ حدثنا المَرْوَزِيُّ حدثنا الفِرَبْرِيُّ حدثنا البُخارِيُّ حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا يَحْيَى عن شُعْبَةَ وسُفْيانَ عنِ الأَعْمَشِ عن ابْرَاهِيمَ عن أبي مَعْمَرٍ عنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللهُ عنه قَالَ انْشَقَّ القَمَرُ على عَهْدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ وفِرْقَةً دُونَهُ فَقَالَ رسولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم اشْهَدُوا وفي رِوايَةِ مُجاهِدٍ ونَحْنُ مَعَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وفي بَعْضِ طُرُقِ الأَعْمَشِ بِمِنًى ورَوَاهُ أيضاً عنِ ابنِ مَسْعُودٍ الأَسْوَدُ وقَالَ حَتَّي رَأَيْتُ الجَبَلَ بَيْنَ فُرْجَتَيِ القَمَرِ ورَوَاهُ عَنْهُ مَسْرُوقٌ أَنَّهُ كانَ بِمَكَّةَ وزَادَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ سَحَرَكُمُ ابنُ أبي كَبْشَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا إِنْ كانَ سَحَرَ القَمَرَ فَإِنَّهُ لا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسْحَرَ الأَرْضَ كُلَّها فَاسْأَلُوا مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ هَلْ رَأَوْا هٰذَا فَأَتَوْا فَسَأَلُوهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذٰلِكَ وحَكَي

السَّمَرْقَنْدِي عن الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ وقَالَ فَقَالَ أبو جَهْلٍ هٰذَا سِحْرٌ فَابْعَثُوا الى أَهْلِ الآفَاقِ حَتَّى تَنْظُرُوا أَرَأَوْا ذَلِكَ أَمْ لا فَأَخْبَرَ أَهْلُ الآفَاقِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مُنْشَقًا فقالوا يَعْنِي الكُفَّارَ هٰذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ورَوَاهُ أَيْضاً عن ابنِ مَسْعُودٍ عَلْقَمَةُ فَهٰؤُلاءِ الأَرْبَعَةُ عنْ عَبْدِ اللهِ وقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ ابْنِ مَسْعُودٍ كما رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ أَنَسٌ وَابْنُ عَبَّاسٍ وابْنُ عُمَرَ وحُذَيْفَةُ وعَلِيٌّ وجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ فقالَ عَلِيٌّ مِنْ رِوايَةِ أبي حُذَيْفَةَ الأَرْحَبِيِّ انْشَقَّ القَمَرُ ونَحْنُ مَعَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم * وعنْ أَنَسٍ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقاقَ القَمَرِ مَرَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ عنْ أَنَس قَتَادَةُ * وفي رِوايَةِ مَعْمَرٍ وغَيْرِهِ عنْ قَتَادَةَ عنهُ أَرَاهُمُ القَمَرَ مَرَّتَيْنِ انْشِقاقَهُ فَنَزَلَتِ اقْتَرَبَتِ السَّاعةُ وانْشَقَّ القَمَرُ ورواهُ عنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَابنُ ابْنِهِ جُبَيْرُ بنُ مُحَمَّدٍ ورَوَاهُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ورَوَاهُ عَنِ ابنِ عُمَرَ مُجَاهِدٌ ورَوَاهُ عَنْ حُذَيْفَةَ أبو عَبْدِ الرَّحمٰنِ السُّلَمِيُّ ومُسْلِمُ بْنُ أَبي عِمْرَانَ الأَزْدِيُّ وأَكْثَرُ طُرُقِ هٰذِهِ الأَحادِيثِ صَحِيحَةٌ وَالآيَةُ مُصَرِّحَةٌ ولا يُلْتَفَتُ الى اعْتِرَاضِ مَخْذُولٍ بِأَنَّهُ لَوْ كانَ هٰذَا لم يَخْفَ على أهْلِ الأَرْضِ اذْ هوَ شيءٌ ظاهِرٌ لِجَمِيعِهِمْ اذْلَمْ يُنْقَلْ لَنا عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَنهُمْ رَصَدُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَوْهُ انْشَقَّ وَلَوْ نُقِلَ الَيْنا عَمَّنْ لا يَجُوزُ تمالُؤُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ على الكَذِبِ لَما كانَتْ عَلَيْنا بِهِ حُجَّةٌ إِذْ لَيْسَ القَمَرُ في حَدٍّ واحِدٍ لِجَمِيعِ أهْلِ الأَرْضِ فَقَدْ يَطْلُعُ على قَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلعَ على الآخَرِينَ وقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْمٍ بِضِدِّ ما هوَ مِنْ مُقَابِلِيهِمْ مِنْ أَقْطارِ الأَرْضِ أَوْ يَحُولُ بَيْنَ قَوْمٍ وَبَيْنَهُ سَحابٌ أَوْ

جبالٌ ولهذا نجدُ الكسوفاتِ في بعضِ البلادِ دونَ بعضٍ وفي بعضها جزئيةً وفي بعضها كليّةً وفي بعضها لا يعرفها الّا المدّعونَ لعلمها ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ وآيةُ القمرِ كانتْ ليلاً والعادةُ منَ النّاسِ بالليلِ الهدوُّ والسّكونُ وايجافُ الأبوابِ وقطعُ التصرّفِ ولا يكادُ يعرفُ منْ أمورِ السّماءِ شيئاً الّا مَنْ رصدَ ذلكَ واهتبلَ بهِ ولذلكَ ما يكونُ الكسوفُ القمريُّ كثيراً في البلادِ وأكثرُهمْ لا يعلمُ بهِ حتّى يُخبَرَ وكثيراً ما يحدّثُ الثّقاتُ بعجائبَ يشاهدونها منْ أنوارٍ ونجومٍ طوالعَ عظامٍ تظهرُ في الأحيانِ بالليلِ في السّماءِ ولا علمَ عندَ أحدٍ منها * وخرّجَ الطّحاويُّ في مشكلِ الحديثِ عنْ أسماءَ بنتِ عُميسٍ منْ طريقينِ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يُوحى اليهِ ورأسُهُ في حجرِ عليٍّ فلمْ يصلّ العصرَ حتّى غربتِ الشمسُ فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم أصلّيتَ يا عليُّ قالَ لا فقالَ اللهمَّ إنّهُ كانَ في طاعتِكَ وطاعةِ رسولكَ فارْدُدْ عليهِ الشّمسَ قالتْ أسماءُ فرأيتُها غربتْ ثمَّ رأيتُها طلعتْ بعدَ ما غربتْ ووقفتْ على الجبالِ والأرضِ وذلكَ بالصّهباءِ في خيبرَ قالَ وهذانِ الحديثانِ ثابتانِ ورُواتُهما ثِقاتٌ * وحكى الطّحاويُّ أنَّ أحمدَ بنَ صالحٍ كانَ يقولُ لا ينبغي لِمَنْ سبيلُهُ العلمُ التخلّفُ عنْ حفظِ حديثِ أسماءَ لأنّهُ منْ علاماتِ النّبوّةِ * وروى يونسُ بنُ بُكيرٍ في زيادةِ المغازي روايتَهُ عنِ ابنِ إسحقَ لمّا اسريَ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأخبرَ قومَهُ بالرّفقةِ والعلامةِ التي في العيرِ قالوا متى تجيءُ قالَ يومَ الأربعاءِ فلمّا كانَ ذلكَ اليومُ أشرفتْ قريشٌ ينظرونَ وقدْ ولّى النهارُ ولمْ تجيءْ فدعا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه

وسلم فَزِيدَ لَهُ في النَّهارِ ساعةٌ وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

(فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته)

أمَّا الأَحاديثُ في هٰذا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ المَاءِ مِنْ أصابِعِهِ صلى اللهُ عليه وسلم جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحابَةِ مِنْهُمْ أَنَسٌ وجابِرٌ وابْنُ مَسْعُودٍ حدثنا أبو اسحٰقَ ابْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الفَقِيهُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حدثنا القاضِي عِيسٰي بْنُ سهْل حدثنا أبو القاسِمِ حاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حدثنا أبو عُمَرَ بْنُ الفَخَّارِ حدثنا أبو عيسٰي حدثنا يَحْيٰي حدثنا مالِكٌ عَنْ اسْحٰقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أبي طَلْحَةَ عنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم وحانَتْ صَلاةُ العَصْرِ فالْتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في ذَلِكَ الإِناءِ يَدَهُ وأَمَرَ النَّاسَ أنْ يَتَوَضَّؤُا مِنْهُ قالَ فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ ورَوَاهُ أَيْضاً عَنْ أنَس قَتادَةُ وقالَ بِإِناءٍ فِيهِ ماءٌ يَغْمُرُ أصابِعَهُ أوْ لا يَكادُ يَغْمُرُ قالَ كَمْ كُنْتُمْ قالَ زُهاءَ ثَلٰثِمائَةٍ وفي رِوايَةٍ عَنْهُ وهُمْ بالزَّوْرَاءِ عِنْدَ السُّوقِ ورَوَاهُ أَيْضاً حُمَيْدٌ وثابِتٌ والحَسَنُ عَنْ أَنَسٍ وفي رِوَايَةِ حُمَيْدٍ قُلْتُ كَمْ كانُوا قالَ ثَمانِينَ رَجُلاً ونَحْوُهُ عَنْ ثابِتٍ عَنْهُ وعَنْهُ أَيْضاً وهُمْ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا * وأمَّا ابنُ مَسْعُودٍ فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ عَنْهُ بَيْنَما نَحْنُ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ولَيْسَ مَعَنا ماءٌ فقالَ لَنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اطْلُبُوا مَنْ

مَعَهُ فَضْلُ ماء فَأتِيَ بِماء فَصَبَّهُ في إِناء ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ المَاء يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم * وفي الصَّحِيحِ عَنْ سالِمِ بنِ أبي الجَعْدِ عنْ جابِرٍ رضيَ الله عنهُ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ورَسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فتوضَّأَ مِنْها وأقبلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وقالُوا لَيْسَ عِنْدَنا ماء إلاّ مافي رَكْوَتِكَ فَوَضَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ في الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ المَاء يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِ كأمْثالِ العُيُونِ وَفِيهِ فقُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ ألْف لَكَفانا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ أنَسٍ عَنْ جابِرٍ وَفِيهِ أنَّهُ كانَ بالحُدَيْبِيَةِ * وفي رِوايَةِ الوَلِيدِ بنِ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ عَنْهُ في حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّويلِ في ذِكْرِ غَزْوَةِ بُواطٍ قالَ قالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يا جابِرُ نادِ الوَضُوءَ وذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ وأنَّهُ لمْ يَجِدْ إلاّ قَطْرَةً في عَزْلاءِ شَجْبٍ فَأُتِيَ بِهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَغَمَزَهُ وتَكَلَّمَ بِشَيْء لا أدْرِي ماهُوَ وقالَ نادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ فَأتَيْتُ بِها فَوَضَعْتُها بَيْنَ يَدَيْهِ وذَكَرَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بَسَطَ يَدَهُ في الجَفْنَةِ وفَرَّقَ أصابِعَهُ وصَبَّ جابِرٌ عَلَيْهِ وقالَ بِسْمِ الله قالَ فَرَأيْتُ المَاء يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِ ثُمَّ فارَتِ الجَفْنَةُ واسْتَدارَتْ حَتّى امْتَلأَتْ وأمَرَ النَّاسَ بالاسْتِقاءِ فاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا فقُلْتُ هَلْ بَقِيَ أحَدٌ لَهُ حاجَةٌ فَرَفَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَدَهُ مِنَ الجَفْنَةِ وَهِيَ مَلأَى * وعَنِ الشعْبِيِّ أُتِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في بَعْضِ أسْفارِهِ بِإِداوَةِ ماء وَقِيلَ ما مَعَنا يا رسولَ الله ماء غَيْرُها فَسَكَبَها في رَكْوَةٍ وَوَضَعَ إِصْبَعَهُ وَسَطَها وغَمَسَها في المَاءِ وجَعَلَ النّاسُ يَجِيئُونَ وَيَتَوَضَّؤُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ

قالَ الترمذيُّ وفي الباب عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ومِثْلُ هٰذَا في هٰذِهِ المَوَاطِنِ الحَفِلَةِ والجُمُوعِ الكَثِيرَةِ لا تَتَطَرَّقُ التُّهْمَةُ الي المُحَدِّثِ بِهِ لِأَنَّهُمْ كانُوا أَسْرَعَ شَيْءٍ الي تَكْذِيبِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ وَلِأَنَّهُمْ كانُوا مِمَّنْ لا يَسْكُتُ على باطِلٍ فَهؤُلاءِ قَدْ رَوَوْا هٰذَا وأشاعُوهُ ونَسَبُوا حُضُورَ الجَمَّاءِ الغَفِيرِ لَهُ ولم يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ عَلَيْهِمْ ما حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ وشاهَدُوهُ فَصارَ كَتَصْدِيقِ جَمِيعِهِمْ لَهُ

﴿ فصل ﴾ وَمِمَّا يُشْبِهُ هٰذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ تَفْجِيرُ المَاءِ بِبَرَكَتِهِ وابْتِعاثُهُ بِمَسِّهِ ودَعْوَتِهِ * فِيما رَوَى مالِكٌ في المُوَطَّأِ عَنْ مُعاذِ بن جَبَلٍ في قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا العَيْنَ وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ ماءٍ مِثْلِ الشِّرَاكِ فَغَرَفُوا مِنَ العَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِيهِ وَجْهَهُ ويَدَيْهِ وأعادَهُ فيها فَجَرَت بِماءٍ كَثِيرٍ فاسْتَقَى النّاسُ قالَ في حَدِيثِ ابنِ اسحٰقَ فانْخَرَقَ مِنَ المَاءِ مالَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّواعِقِ ثُمَّ قالَ يُوشِكُ يامُعاذُ ان طالَتْ بِكَ حَياةٌ أَنْ تَرَى ماهاهُنا قَدْ مُلِئَ جِناناً * وفي حَدِيثِ البَرَاءِ وسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ وحَدِيثُهُ أَتَمُّ في قِصَّةِ الحُدَيْبِيَةِ وهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وبِئْرُها لا تُرْوِي خَمْسِينَ شاةً فَنَزَحْناها فَلَمْ نَتْرُكْ فِيها قَطْرَةً فَقَعَدَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على جَباها قالَ البَرَاءُ وَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْها فَبَصَقَ فَدَعا وقالَ سَلَمَةُ فَإِمّا دَعا وَإِمّا بَصَقَ فِيها فَجاشَتْ فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكابَهُمْ وفي غَيْرِ هاتَيْنِ الرِّوايَتَيْنِ في هٰذِهِ القِصةِ مِنْ طَرِيقِ ابنِ شِهابٍ في الحُدَيْبِيَةِ فَأَخْرَجَ سَهْماً مِنْ كِنانَتِهِ فَوَضَعَهُ في قَعْرِ قَلِيبٍ لَيْسَ فِيهِ ماءٌ فَرَوِيَ النّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطَنٍ *

وعَنْ أبي قَتَادَةَ وذَكَرَ أنّ النّاسَ شَكَوْا الي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العطَشَ في بَعْضِ أسْفارِهِ فدَعا بالْمِيضَأةِ فجَعَلَها في ضِبْنِهِ ثُمّ التقَمَ فَمَها فَالله أعْلَمُ نَفَثَ فِيها أمْ لا فَشَرِبَ النّاسُ حَتَّى رَوُوا ومَلَؤُا كُلَّ إناءٍ مَعَهُمْ فَخُيِّلَ إلَيَّ أنّها كما أخَذَها مِنِّي وكانُوا اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ رَجُلاً ورَوَي مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وذَكَرَ الطَّبَرِيُّ حَدِيثَ أبي قَتادَةَ على غَيْرِ ما ذكَرَهُ أهْلُ الصَّحِيحِ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ بِهِمْ مُمِدًّا لِأهْلِ مُؤْتَةَ عِنْدَ ما بَلَغَهُ قَتْلُ الأُمَراءِ وذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً فِيهِ مُعْجِزاتٌ وآياتٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَفِيهِ إعْلامُهُمْ أنَّهُمْ يَفْقِدُونَ الْمَاءَ في غَدٍ وذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَأةِ قالَ والقَوْمُ زُهاءُ ثلثمِائَةٍ وَفِي كِتابِ مُسْلِمٍ أنَّهُ قالَ لِأبي قتادَةَ احْفَظْ عَلَيَّ مِيضَأتَكَ فإنَّهُ سَيَكُونُ لها نَبَأٌ وذَكَرَ نَحْوَهُ وَمِنْ ذلِكَ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حِينَ أصابَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وأصْحابَهُ عَطَشٌ في بَعْضِ أسفارِهِمْ فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أصْحابِهِ وأعْلَمَهُما أنّهُما يَجِدانِ امْرَأةً بِمَكانِ كَذَا مَعَها بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزادَتانِ الحَدِيثَ فَوَجَدَاها وأتَيا بِها الى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ في إناءٍ مِنْ مَزادَتَيْها وقالَ فِيهِ ماشاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ ثُمَّ أعادَ الْمَاءَ في الْمَزادَتَيْنِ ثُمَّ فُتِحَتْ عَزالِيهِما وأمَرَ النَّاسَ فَمَلَؤُا أسْقِيَتَهُمْ حَتَّي لَمْ يَدَعُوا شَيْئاً الاَّ مَلَؤُهُ قالَ عِمْرَانُ وَيُخَيَّلُ اليَّ أنَّهُما لَمْ تَزْدَادَا الاَّ امْتِلاءً ثمَّ أمَرَ فَجُمِعَ لِلْمَرْأةِ مِنَ الأزْوَادِ حَتَّي مَلأَ ثَوْبَها وَقالَ اذْهَبِي فإنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مائِكِ شَيْئاً وَلكِنَّ اللهَ سَقانا الحَدِيثَ بِطُولِهِ وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ قالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَلْ مِنْ وَضُوءٍ فَجاءَ رَجُلٌ بِإدَاوَةٍ فِيها نُطْفَةٌ فَأفْرَغَها في قَدَحٍ فَتَوَضَّأْنا

كلُّنا نُدَغفِقُهُ دَغفقَةً أربعَ عشرَةَ مائةً وفي حديثِ عُمَرَ في جَيشِ العُسرَةِ وذَكَرَ ما أصابهُم مِنَ العَطَشِ حتّى إنَّ الرَّجُلَ لَينحَرُ بَعيرَهُ فَيعصِرُ فَرثَهُ فَيَشرَبُهُ فَرَغِبَ أبُو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ الي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الدُّعاء فَرَفَعَ يَدَيهِ فَلَمْ يَرجِعهُما حَتَّي قَلَّتِ السَّماء فانسَكَبَتْ فَمَلَؤُا ماَمعَهُم مِنْ آنِيَةٍ ولَمْ تُجاوِزِ العَسكَرَ وعَنْ عَمرِو بنِ شُعَيبٍ أنَّ أبا طالِبٍ قالَ لِلنَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وهُوَ رَديفُهُ بِذِي المَجازِ عَطِشْتُ ولَيسَ عِندِي ماء فَنَزَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وَضَرَبَ بِقَدَمِهِ الأَرضَ فَخَرَجَ المَاء فَقالَ اشرَبْ والحَديثُ في هذا البابِ كَثيرٌ وَمِنهُ الإِجابَةُ بِدُعاء الإستِسقاء وما جانَسَهُ

(فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته و دعائه)

حدثنا القاضي الشهيدُ أبو عَليٍّ رَحِمَهُ اللهُ حدثنا العُذريُّ حدثنا الرَّازيُّ حدثنا الجُلُوديُّ حدثنا ابنُ سُفيانَ حدثنا مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ حدثنا سَلَمَةُ بنُ شَبيبٍ حدثنا الحسَنُ بنُ أعيَنَ حدثنا مَعقِلٌ عَنْ أبي الزُّبَيرِ عَنْ جابِرٍ أنَّ رَجُلاً أتي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَستَطعِمُهُ فأطعَمَهُ شَطرَ وَسْقِ شَعيرٍ فَما زالَ يأكُلُ مِنهُ وامرَأتُهُ وضَيفُهُ حَتَّي كالَهُ فأتي النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فأَخبَرَهُ فَقالَ لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلتُمْ مِنهُ ولَقامَ بِكُمْ * وَمِنْ ذَلِكَ حَديثُ أبي طَلحَةَ المَشهُورُ وإطعامُهُ صلى الله عليه وسلم ثَمانينَ أوْ سَبعينَ رَجُلاً مِنْ أقرَاصٍ مِنْ شَعيرٍ جاء بِها أنَسٌ تَحتَ يَدِهِ أيْ ابطِهِ فأمَرَ بِها فَفُتَّتْ وقالَ فيها ماشاء اللهُ أنْ يَقُولَ وحَديثُ جابِرٍ في اطعامِهِ صلى اللهُ عليه

وسلم يَوْمَ الخَنْدَقِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صاعِ شَعِيرٍ وعَنَاقٍ وقَالَ جابِرٌ فأُقْسِمُ بِاللهِ
لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا وانَّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كما هِيَ وَإِنْ عَجِينَنَا
لَيُخْبَزُ وَكانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَصَقَ في العَجِينِ والبُرْمَةِ
وَبارَكَ رَوَاهُ عن جابِرٍ سَعِيدُ بْنُ مِيناء وأَيْمَنُ وعَنْ ثابِتٍ مِثْلُهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ
الأَنْصارِ وَامْرَأَتِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِما قالَ وَجِيءَ بِمِثْلِ الكَفِّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ
صلى الله عليه وسلم يَبْسُطُها في الإِناءِ وَيَقُولُ ما شاء اللهُ فأَكَلَ مِنْهُ مَنْ في
البَيْتِ والحُجْرَةِ والدَّارِ وَكانَ ذَلِكَ قَدِ امْتَلأَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ صلى الله عليه
وسلم لِذَلِكَ وَبَقِيَ بَعْدَ ما شَبِعُوا مِثْلُ ما كانَ في الإِناءِ وحَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ
أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلِأَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّعامِ زُهاءَ ما
يَكْفِيهِما فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ادْعُ ثَلاثِينَ مِنْ أَشْرافِ
الأَنْصارِ فَدَعاهُمْ فأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوا ثُمَّ قالَ ادْعُ سِتِّينَ فَكانَ مِثْلَ
ذَلِكَ ثُمَّ قالَ ادْعُ سَبْعِينَ فأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وما خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
حَتَّى أَسْلَمَ وَبايَعَ قالَ أَبو ايُّوبَ فأَكَلَ مِنْ طَعامِي مِائَةٌ وَثَمانُونَ رَجُلاً
وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَصْعَةٍ فِيها لَحْمٌ
فَتَعاقَبُوها مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ وَمِنْ ذَلِكَ
حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
ثَلاثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ في الحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صاعٌ مِنْ طَعامٍ وَصُنِعَتْ شاةٌ
فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِها قالَ وايْمُ اللهِ ما مِنَ الثَّلاثِينَ وَمِائَةٍ الاَّ وَقَدْ حَزَّ لَهُ
حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِها ثُمَّ جَعَلَ مِنْها قَصْعَتَيْنِ فأَكَلْنا أَجْمَعُونَ وفَضَلَ في
القَصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ على البَعِيرِ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي

عَمْرَةَ الأنْصارِيِّ عَنْ أبِيهِ ومِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ وأبِي هُرَيْرَةَ وعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً أصابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم في بَعْضِ مَغازِيهِ فَدَعا بِبَقِيَّةِ الأَزْوادِ فَجاءَ الرَّجُلُ بالحَثْيَةِ مِنَ الطَّعامِ وفَوْقَ ذَلِكَ وأعْلاهُمُ الَّذِي أتَى بالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ فَجَمَعَهُ على نِطْعٍ قالَ سَلَمَةُ فَحَزَرْتُهُ كَرَبْضَةِ العَنْزِ ثُمَّ دَعا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ فَما بَقِيَ في الجَيْشِ وِعاءٌ الاَّ مَلَؤُهُ وَبَقِيَ مِنْهُ قَدْرُ ما جُعِلَ وأكْثَرُ ولَوْ وَرَدَهُ أهْلُ الأَرْضِ لَكَفاهُمْ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أمَرَنِي النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أنْ أدْعُوَ لَهُ أهْلَ الصفَّةِ فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّي جَمَعْتُهُمْ فَوُضِعَتْ بَيْنَ أيْدِينا صَحْفَةٌ فأَكَلْنا ما شِئْنا وفَرَغْنا وَهِيَ مِثْلُها حِينَ وُضِعَتْ الاَّ أنَّ فِيها أثَرَ الأَصابِعِ وعَنْ عَلِيِّ بْن أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَعَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ وكانُوا أرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يأْكُلُونَ الجَذْعةَ وَيشْرَبُونَ الفَرْقَ فَصنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعامٍ فأَكَلُوا حَتَّي شَبِعُوا وَبَقِيَ كَما هو ثُمَّ دَعا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّي رَوُوا وَبَقِيَ كأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ وقالَ أنَسٌ انَّ النَّبِيَّ صلي اللهُ عليه وسلم حِينَ ابْتَنَي بِزَيْنَبَ أمَرَهُ أنْ يَدْعُوَ لَهُ قَوْماً سَمَّاهُمْ وَكُلَّ مَنْ لَقِيتَ حَتَّي امْتَلأَ البَيْتُ والحُجْرَةُ وقَدَّمَ الَيْهِمْ تَوْرًا فيهِ قَدْرُ مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْساً فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلاثَ أصابِعِهِ وجَعَلَ القَوْمُ يَتَغَدَّوْنَ وَيَخْرُجُونَ وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْوًا مِمَّا كانَ وَكانَ القَوْمُ أحَدًا أوِ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ وَفي رِوَايَةٍ أُخرَي في هٰذِهِ القِصَّةِ أوْ مِثْلِها انَّ القَوْمَ كانُوا زُهاءَ ثَلَثِمِائَةٍ وأنَّهُم أكَلُوا حَتَّي شَبِعُوا وقالَ لِي ارْفَعْ فَلا أدْرِي وُضِعَتْ كانَتْ أكْثَرَ أمْ حِينَ رُفِعَتْ وفي حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أبِيهِ

عَنْ عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ فاطمةَ طبخَتْ قدرًا لغَدَائهما ووَجّهتْ عليًّا إلي النّبيّ صلى الله عليه وسلم ليتغدّى معهُما فأمرَها فغرفَتْ منْها لجميعِ نسائهِ صَحْفَةً صَحْفَةً ثُمّ لَهُ صلى الله عليه وسلم ولِعَليّ ثُمّ لهَا ثم رَفعتِ القِدْرَ وإنّها لتَفيضُ قالَتْ فأكلنا منها ماشاءَ اللهُ * وأمرَ عُمرَ بْنَ الخطّابِ أنْ يُزوّدَ أربعمائةِ رَاكبٍ منْ أحمَسَ فقَالَ يارسُولَ اللهِ ماهيَ إلاّ أصْوُعٌ قالَ اذْهَبْ فذَهَبَ فزَوّدَهمْ منْهُ وكانَ قدْرَ الفَصيلِ الرّابضِ منَ التّمرِ وبَقيَ بحالهِ منْ روايةِ دُكَيْنٍ الأحْمَسيّ ومنْ روايةِ جَريرٍ ومِثْلُهُ منْ روايةِ النّعْمانِ بْنِ مقَرّنٍ الخبَرُ بعَيْنهِ إلاّ أنّهُ قالَ أربعمائةِ راكبٍ منْ مزَيْنةَ ومنْ ذلكَ حَديثُ جابرٍ في دَيْنِ أبيهِ بعْدَ موْتهِ وقدْ كانَ بذَلَ لغُرَماءِ أبيهِ أصْلَ مالِهِ فلَمْ يقْبَلُوهُ ولَمْ يَكُنْ في ثمرِها سنَتَيْنِ كَفَافُ دَيْنِهِمْ فجاءَهُ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم بعْدَ أنْ أمَرَهُ بجدّها وجَعْلِها يبادرَ في أصُولِها فمَشَى فيها ودَعا فأوْفَى منْهُ جابرٌ غُرَماءَ أبيهِ وفضَلَ مثْلُ ما كانُوا يجدُّونَ كُلَّ سنَةٍ وفي روايةٍ مِثْلُ ما أعْطاهُمْ قالَ وكانَ الغُرَماءُ يهُودَ فعَجبُوا منْ ذلكَ * وقالَ أبوهُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصابَ النّاسَ مَخْمَصَةٌ فقَالَ لي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هلْ منْ شيْءٍ قلْتُ نعَمْ شيْءٌ منَ التّمرِ في المِزْوَدِ قالَ فأتِني بهِ فأدْخَلَ يدَهُ فأخْرَجَ قبْضَةً فبَسطَها ودَعا بالبَرَكةِ ثُمّ قالَ ادْعُ عشَرَةً فأكَلُوا حتّى شبعوا ثُمّ عشَرَةً كذَلكَ حتّى أطْعَمَ الجيْشَ كلّهُمْ وشَبعُوا قالَ خُذْ ماجئْتَ بهِ وأدْخلْ يدَكَ واقْبضْ منْهُ ولاتَكُبّهُ فقَبضْتُ على أكْثرَ ممّا جئْتُ بهِ فأكلْتُ منْهُ وأطْعَمْتُ حَياةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأبي بكْرٍ وعُمَرَ إلي أنْ قُتلَ عثْمانُ فانتُهِبَ منّي فذَهَبَ وفي روايةٍ فقَدْ حَمَلْتُ منْ ذلكَ التّمرِ كذَا

وكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وذُكِرَتْ مِثْلُ هٰذِهِ الحِكَايَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ
وأنّ التَّمْرَ كَانَ بِضْعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً ومِنْهُ أَيْضاً حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حِينَ
أَصابَهُ الجُوعُ فاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ قَدْ
اهدِيَ إِلَيْهِ وأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ أَهْلَ الصُّفَّةِ قالَ فَقُلْتُ ماهٰذَا اللَّبَنُ فِيهِمْ كُنْتُ
أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ شَرْبَةً أَتَقَوَّي بِها فَدَعَوْتُهُمْ وذَكَرَ أَمْرَ النَّبِيِّ صلى الله
عليه وسلم لهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ فَجَعَلْتُ اعطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّي يَرْوَى ثُمَّ
يأْخُذُهُ الآخَرُ حَتَّي رَوِيَ جَمِيعُهُمْ قالَ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم القَدَحَ
وقالَ بَقِيتُ أنا وأَنْتَ اقعُدْ فاشْرَبْ فَشَرِبْتُ ثُمَّ قالَ اشْرَبْ وما زَالَ يَقُولُها
وأَشْرَبُ حَتَّي قُلْتُ لا والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً فَأَخَذَ القَدَحَ
فَحَمِدَ الله وسَمَّي وشَرِبَ الفَضْلَةَ وفي حديث خالدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى أَنَّهُ أَجْزَرَ
النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم شاةً وكانَ عِيالُ خالدٍ كَثِيرًا يَذْبَحُ الشَّاةَ فلا تُبِدُّ
عِيالَهُ عَظْماً عَظْماً وإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّاةِ
وجَعَلَ فَضْلَتَها فِي دَلْوِ خالدٍ ودَعا لهُ بالبَرَكَةِ فَنَثَرَ ذلِكَ لِعِيالِهِ فأَكَلُوا
وأَفْضَلُوا ذَكَرَ خَبَرَهُ الدُّولابِيُّ وفي حَدِيثِ الآجُرِّيِّ فِي إِنْكاحِ النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ فاطِمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِلالاً بِقَصْعَةٍ
مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٍ ويَذْبَحَ جَزُورًا لِوَلِيمَتِها قالَ فَأَتَيْتُهُ بِذلِكَ
فَطَعَنَ فِي رَأْسِها ثُمَّ أَدْخَلَ النَّاسَ رُفْقَةً رُفْقَةً يأكُلونَ مِنْها حَتَّي فَرَغُوا وبَقِيَتْ
مِنْهافَضْلَةٌ فَبَرَّكَ فِيها وأَمَرَ بِحَمْلِها الي أَزْوَاجِهِ وقالَ كُلْنَ وأَطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُنَّ
وفي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَصَنَعَتْ
أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْساً فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه

وسلم فقالَ ضعَةٌ وادعُ لي فُلانًا وفُلانًا ومَنْ لقيتَ فدعوتُهُمْ ولَمْ أدعْ أحـدًا لَقيتُهُ إلاَّ دعوتُهُ وذَكرَ أنَّهُـمْ كانوا زُهاء ثلثمائَةٍ حتَّى ملَؤُا الصُّـفة والحُجرَةَ فقالَ لهُمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم تحلَّقوا عشرَةً عشرَةً ووضعَ النَّـبِيُّ صلى الله عليه وسلم يدَهُ على الطَّعامِ فدعا فيـهِ وقال ماشاء اللهُ أنْ يقُولَ فأكلُوا حتَّى شبِعُوا كلُّهُمْ فقالَ لى ارفَعْ فما أدري حِين وُضعَتْ كانَتْ أكثَرَ أمْ حِينَ رُفِعَتْ وأكثَرُ أحادِيثِ هذِهِ الفُصُولِ الثَّلاثَةِ في الصَّحِيحِ وقَدِ اجتَمَعَ على معـنَي حَدِيثِ هذَا الفَصْلِ بِضعَةَ عشَرَ مِنَ الصَّحابَةِ رَوَاهُ عَنهُمْ أضعافُهُمْ مِنَ التَّابِعِـينَ ثُمَّ مَنْ لاينعَدُّ بَعْـدَهُمْ وأكثَرُها في قِصَصٍ مَشهُورَةٍ ومَجامِعَ مَشهُودَةٍ ولايُمْـكِنُ التحدُّثُ عنها إلاَّ بالحَقِّ ولا يَسْـكُتُ الحاضِرُ لهـا على ماأُنـكِرَ مِنها

(فصل)

﴿ في كَلَامِ الشَّجَرِ وشَهادَتِها لَهُ بالنُّبوَّةِ وإجابَتِها دَعوَتَهُ ﴾

قالَ حَدَّثَنا أحمَدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ غلبُونٍ الشَّيخُ الصَّالِحُ فِيما أجازَنِيهِ عَنْ أبِي عَمرٍو الطَّلَمَنْـكِيُّ عَنْ أبِي بَـكرِ بنِ المُهَندِسِ عَنْ أبِي القاسِمِ البَغَوِيِّ حَدَّثَنا أحمَدُ بنُ عِمرَانَ الأخنَسِيُّ حَدَّثَنا أبو حيَّانَ التَّيمِيُّ وكانَ صَدُوقًا عَنْ مُجاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ فدَنا مِنهُ أعرَابِيٌّ فقالَ ياأعرَابِيُّ أينَ تُرِيدُ قالَ إلي أهـلِي قالَ هَلْ لكَ إلي خَـيرٍ قالَ وماهُوَ قالَ تَشهَدُ أنْ لاإلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشَرِيكَ لهُ وأنَّ مُحمَّـدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ قالَ مَن يَشهَدُ لكَ على ماتَقُولُ قالَ هذِهِ الشَّجرَةُ السَّمُرَةُ وهِيَ

بِشاطِئِ الوَادِي فأقبلَتْ تَخُدُّ الأرْضَ حَتَّي قامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فاستَشْهَدَها ثلاثًا فشهِدَتْ أنَّهُ كما قالَ ثُمَّ رَجَعَتْ الى مَكانِها وعَنْ بُرَيْدَةَ سألَ أعرابيٌّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم آيَةً فقالَ لَهُ قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوكِ قالَ فمالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِها وشِمالِها وبَيْنَ يَدَيْها وخَلْفَها فتَقَطَّعَتْ عُرُوقُها ثُمَّ جاءَتْ تَخُدُّ الأرْضَ تَجُرُّ عُرُوقَها مُغْبَرَّةً حَتَّي وقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَتِ السَّلامُ عَلَيْكَ يارَسُولَ اللهِ قالَ الأعرابِيُّ مُرْها فلْتَرْجِعْ إلي مَنْبَتِها فرَجَعَتْ فدالَتْ عُرُوقَها فاستَوَتْ فقالَ الأعرابِيُّ ائْذَنْ لي أسْجُدْ لَكَ قالَ لَوْ أمَرْتُ أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لِأحَدٍ لَأمَرْتُ المَرْأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها قالَ فأْذَنْ لِي أنْ أُقَبِّلَ يَدَيْكَ ورِجْلَيْكَ فأذِنَ لَهُ وفي الصَّحِيحِ في حَدِيثِ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الطَّوِيلِ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْضِي حاجَتَهُ فلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فإذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشاطِئِ الوَادِي فانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى احْدَاهُما فأخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أغْصانِها فقالَ انْقادِي عَلَيَّ بِإذْنِ اللهِ فانْقادَتْ مَعَهُ كالبَعِيرِ المَخْشُوشِ الَّذِي يُصانِعُ قائِدَهُ وذَكَرَ أنَّهُ فعَلَ بالاخْرَي مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّي إذَا كانَ بالمَنْصَفِ بَيْنَهُما قالَ الْتَئِما عَلَيَّ بِإذْنِ اللهِ فالْتَأمَتا وفي رِوَايَةٍ أُخْرَي فقالَ يا جابِرُ قُلْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْحَقِي بِصاحِبَتِكِ حَتَّي أجْلِسَ خَلْفَكُما فزَحَفَتْ حَتَّي لَحِقَتْ بِصاحِبَتِها فجَلَسَ خَلْفَهُما فخَرَجْتُ أُحْضِرُ وجَلَسْتُ احَدِّثُ نَفْسِي فالْتَفَتُّ فإذَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُقْبِلاً والشَّجَرَتانِ قَدِ افْتَرَقَتا فقامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُما على ساقٍ فوَقَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

عليه وسلم وقفة قال برأسه هكذا يميناً وشمالاً وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكاناً لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أري نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتي اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتي صرن ركاماً خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتي عدن الي مواضعهن * وقال يعلى ابن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضاً وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت الي منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث

الأوَّلِ أوْ نَحْوَهُ قالَ القاضي أبو الفضْلِ فهٰذا ابنُ عُمَرَ وبُرَيْدَةُ وجابِرٌ وابنُ مَسْعُودٍ ويَعْلَى بنُ مُرَّةَ وأُسامَةُ بنُ زَيْدٍ وأنَسُ بنُ مالِكٍ وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ وابنُ عَبَّاسٍ وغَيرُهُمْ قَدِ اتَّفَقُوا على هٰذِهِ القِصَّةِ نَفْسِها أوْ مَعْناها ورَواها عَنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أضْعافُهُمْ فصارَتْ في انْتِشارِها مِنَ القُوَّةِ حيْثُ هيَ وذَكَرَ ابنُ فُورَكٍ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم سارَ في غَزْوَةِ الطَّائِفِ لَيْلاً وهُوَ وَسِنٌ فاعْتَرَضَتْهُ سِدْرَةٌ فانْفَرَجَتْ لَهُ نِصْفَيْنِ حَتَّى جازَ بَيْنَهُما وبَقِيَتْ على ساقَيْنِ إلى وقْتِنا وهِيَ هُناكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ * ومِنْ ذلِكَ حَدِيثُ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ورَآهُ حَزِيناً أتُحِبُّ أنْ أُرِيَكَ آيَةً قالَ نَعَمْ فنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الي شَجَرَةٍ مِنْ وراءِ الوادِي فقالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَجاءَتْ تَمْشِي حَتَّي قامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قالَ مُرْها فلْتَرْجِعْ فَعادَتْ الي مَكانِها وعَنْ عَلِيٍّ نَحْوُ هٰذا ولَمْ يَذْكُرْ فِيها جِبْرِيلَ قال اللَّهُمَّ أرِنِي آيَةً لا ابالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَها فَدَعا شَجَرَةً وذَكَرَ مِثْلَهُ وحُزْنُهُ صلى الله عليه وسلم لِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وطَلَبُهُ الآيَةَ لَهُمْ لالَهُ وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أرَى رُكانَةَ مِثْلَ هٰذِهِ الآيَةِ في شَجَرَةٍ دَعاها فأتَتْ حَتَّي وقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قالَ ارْجِعِي فَرَجَعَتْ وعَنِ الحَسَنِ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم شَكَي إلي رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وأنَّهُمْ يُخَوِّفُونَهُ وسَألَهُ آيَةً يَعْلَمُ بِها أنْ لا مَخافَةَ عَلَيْهِ فأُوحِيَ إلَيْهِ أنِ ائْتِ وادِيَ كَذا فِيهِ شَجَرَةٌ فادْعُ غُصْناً مِنْها يَأْتِكَ فَفَعَلَ فَجاءَ يَخُطُّ الأرْضَ خَطًّا حَتَّي انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَحَبَسَهُ ما شاءَ اللهُ ثُمَّ قالَ لَهُ ارْجِعْ كما جِئْتَ فَرَجَعَ فقالَ يارَبِّ عَلِمْتُ

أَنْ لا مَخافَةَ عَلَيَّ * ونَحْوٌ مِنهُ عن عُمَرَ وقالَ فِيهِ أرِنِي آيَةً لا أُبالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَها وذَكَرَ نَحْوَهُ * وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لِأَعْرابِيٍّ أرَأيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هٰذا العِذْقَ مِنْ هٰذِهِ النَّخْلَةِ أتَشْهَدُ أنِّي رَسولُ اللهِ قالَ نَعَمْ فدَعاهُ فَجَعَلَ يَنْقزُ حَتَّى أتاهُ فقالَ ارْجِعْ فَعادَ الي مَكانِهِ وخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ هٰذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ

(فصل في قصة حَنِينِ الجِذْعِ)

. وَيَعْضُدُ هٰذِهِ الأَخْبارَ حَدِيثُ أَنِينِ الجِذْعِ وهوَ في نَفْسِهِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ والخَبَرُ بِهِ مُتَواتِرٌ قَدْ خَرَّجَهُ أهْلُ الصَّحِيحِ وَرَواهُ مِنَ الصَّحابَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ وجابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وأَنَسُ بْنُ مالِكٍ وعَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ وعبدُ اللهِ بنُ عَبَّاس وسَهْلُ بنُ سَعْدٍ وأبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ وَبُرَيْدَةُ وَامُّ سَلَمَةَ والمُطَّلِبُ بْنُ أبي وَداعَةَ كُلُّهُمْ يُحَدِّثُ بِمَعْنَى هٰذا الحَدِيثِ قالَ التِّرْمِذِيُّ وحَدِيثُ أنَسٍ صَحِيحٌ قالَ جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ كانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفاً على جُذُوعِ نَخْلٍ فَكانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم اذا خَطَبَ يَقُومُ الى جِذْعٍ مِنْها فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ العِشارِ * وفي رِوايَةِ أنَسٍ حَتَّى ارْتَجَّ المَسْجِدُ بِخُوارِهِ * وفي رِوايَةِ سَهْلٍ وكَثُرَ بُكاءُ النَّاسِ لِما رَأَوْا بِهِ * وفي رِوايَةِ المُطَّلِبِ وابَيٍّ حَتَّى تَصَدَّعَ وانْشَقَّ حَتَّى جاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ زادَ غَيْرُهُ فقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ هٰذا بَكَى لِما فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ وزادَ غَيْرُهُ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هٰكَذا الي يَوْمِ القِيامَةِ

تحزَنًا على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأمرَ بهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فدُفِنَ تحتَ المنبرِ كذا في حديثِ المطَّلِبِ وسهلِ بنِ سعدٍ واسحٰقَ عن أنسٍ وفي بعضِ الرواياتِ عن سهلٍ فدُفِنَتْ تحتَ منبرِهِ أو جُعِلَتْ في السقفِ * وفي حديثِ أُبَيٍّ فكانَ اذا صلَّى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم صلَّى اليهِ فلمّا هُدِمَ المسجدُ أخذَهُ أُبَيٌّ فكانَ عندَهُ الي أنْ أكلَتْهُ الأرضُ وعادَ رُفاتاً * وذكرَ الإسفرائينيُّ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دعاهُ الى نفسِهِ فجاءهُ يخرِقُ الأرضَ فالتزمَهُ ثمَّ أمرَهُ فعادَ الي مكانِهِ * وفي حديثِ بُرَيْدَةَ فقالَ يعني النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم إنْ شئتَ أرُدُّكَ الي الحائطِ الّذي كُنْتَ فيهِ تنبُتُ لكَ عروقُكَ ويَكْمُلُ خلقُكَ ويُجَدَّدُ لكَ خوص وثمرَةٌ وإنْ شئتَ أغرِسُكَ في الجنَّةِ فيأكلُ أولياءُ اللهِ من ثمرِكَ ثمَّ أصغَى لهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يستمِعُ ما يقولُ فقالَ بلْ تغرِسُني في الجنَّةِ فيأكلُ منّي أولياءُ اللهِ وأكونُ في مكانٍ لا أبلَى فيهِ فسمِعَهُ مَنْ يليهِ فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قدْ فعلتُ ثمَّ قالَ اختارَ دارَ البقاءِ على دارِ الفناءِ فكانَ الحسَنُ اذا حدَّثَ بهذا بكى وقالَ ياعبادَ اللهِ الخشبةُ تحِنُّ الي رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم شوقاً اليهِ لِمكانِهِ فأنتُمْ أحقُّ أنْ تشتاقُوا الى لقائِهِ رواهُ عنْ جابرٍ حفصُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ ويُقالُ عبدُ اللهِ ابنُ حفصٍ وأيمنُ وأبو نضرَةَ وابنُ المسيَّبِ وسعيدُ بنُ أبي كرْبٍ وكُرَيْبٌ وأبو صالحٍ ورواهُ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ الحسَنُ وثابتٌ وإسحٰقُ بنُ أبي طلْحَةَ ورواهُ عنِ ابنِ عُمَرَ نافِعٌ وأبو حيَّةَ ورواهُ أبو نضْرَةَ وأبو الوداكِ عنْ أبي سعيدٍ وعمّارُ بنُ أبي عمّارٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ وأبو حازمٍ وعبّاسُ بنُ سهلٍ عنْ

سَهلِ بنِ سَعدٍ وَكَثيرُ بنُ زَيدٍ عَنِ المُطَّلِبِ وعَبْدُ اللهِ بنُ بُرَيدَةَ عَنْ أبيهِ والطُّفَيلُ بنُ أُبَيّ عَنْ أبيهِ قالَ القاضي أبو الفَضلِ وَفَّقَهُ اللهُ فَهذا حَديثٌ كما تَراهُ خرَّجَهُ أهلُ الصِحَّةِ وَرَواهُ مِنَ الصَّحابَةِ مَنْ ذَكَرنا وغَيرُهُمْ مِنَ التَّابِعينَ ضِعفُهُمْ الي مَنْ لم نَذكُرْهُ وَبِدُونِ هذا العَدَدِ يَقَعُ العِلمُ لِمَنِ اعتَنى بِهذا الباب واللهُ المُثَبِّتُ على الصَّوابِ

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات

حدثنا القاضي أبو عَبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عيسى التَّميميُّ حدثنا القاضي أبو عَبدِ اللهِ محمّدُ بنُ المُرَابِطِ حدثَنا المُهَلَّبُ حدثنا أبو القاسِمِ حدثنا أبو الحَسَنِ القابِسيُّ حدثنا المَرْوَزيُّ حدثنا الفِربرِيُّ حدثنا البُخاريُّ حدثنا محمّدُ بنُ المُثَنّى حدثنا أبو أحمَدَ الزُّبَيريُّ قالَ حدثنا إسرائيلُ عنْ مَنصُورٍ عنْ إبراهيمَ عنْ عَلقَمَةَ عنِ ابنِ مَسعُودٍ قالَ لَقَدْ كُنَّا نَسمَعُ تَسبيحَ الطَّعامِ وهوَ يُؤكَلُ وفي غَيرِ هذِهِ الرِّوايَةِ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ كُنَّا نَأكُلُ مَعَ رَسولِ اللهِ صلى اللهِ عليه وسلم الطَّعامَ وَنَحنُ نَسمَعُ تَسبيحَهُ وقالَ أنَسٌ أخَذَ النَّبيُّ صلى اللهِ عليه وسلم كَفًّا مِن حَصًى فَسَبَّحْنَ في يَدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى سَمِعنا التَّسبيحَ ثُمَّ صَبَّهُنَّ في يَدِ أبي بَكرٍ رضيَ اللهُ عَنهُ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ في أيدِينا فَما سَبَّحْنَ * وَرَوَى مِثلَهُ أبو ذَرٍّ وذَكَرَ أنَّهُنَّ سبَّحْنَ في كَفِّ عُمَرَ وعُثمانَ رضيَ اللهُ عنهما وقالَ عَليٌّ كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَخَرَجَ الي بَعضِ نَواحِيها فَما استَقبَلَهُ شَجَرَةٌ ولا جَبَلٌ الا قالَ لَهُ السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ اللهِ * وعَنْ جابِرِ بنِ سَمُرَةَ عنهُ صلى الله عليه وسلم

إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قِيلَ إِنَّهُ الحَجَرُ الأَسْوَدُ * وعَنْ عائِشَةَ رضِيَ اللّهُ عنها لَمَّا استَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بالرِّسالَةِ جَعَلْتُ لا أَمُرُّ بِحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إِلَّا قالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللّهِ * وعَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللّهِ لَمْ يَكُنِ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولا شَجَرٍ الّا سَجَدَ لَهُ * وفي حَدِيثِ العَبَّاسِ اذَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم وعلى بَنِيهِ بِمُلَاءَةٍ ودَعا لَهُمْ بالسَّتْرِ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِهِ إِيَّاهُمْ بِمُلَاءَتِهِ فَأَمَّنَتْ أَسْكُفَّةُ الباب وَحَوَائِطُ البَيْتِ آمِينَ آمِينَ * وعنِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مَرِضَ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم فَأَتاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فيهِ رُمَّانٌ وعِنَبٌ فَأَكَلَ مِنْهُ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم فَسَبَّحَ * وعَنْ أَنَسٍ صَعِدَ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ أُحُدًا فَرَجَفَ بِهِمْ فقالَ اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وشَهِيدَانِ ومِثْلُهُ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ في حِرَاءٍ وزَادَ مَعَهُ وعَلِيٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وقالَ فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ والخَبَرُ في حِرَاءٍ أَيْضاً عَنْ عُثْمانَ قالَ ومَعَهُ عَشَرَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ أنا فِيهِمْ وَزَادَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ وسَعْدًا قالَ ونَسِيتُ الِاثْنَيْنِ * وفي حَدِيثِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ أيضاً مِثْلُهُ وذَكَرَ عَشَرَةً وَزَادَ نَفْسَهُ وقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ طَلَبَتْهُ قُرَيْشٌ قالَ لَهُ ثَبِيرُ اهْبِطْ يا رسولَ اللّهِ فإِنِّي أَخافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ على ظَهْرِي فَيُعَذِّبَنِي اللّهُ فقالَ حِرَاءٌ إِلَيَّ يا رسولَ اللّهِ * ورَوَى ابنُ عُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهما أنَّ النبيَّ صلى اللّهُ عليه وسلم قَرَأَ على المِنْبَرِ وما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثُمَّ قالَ يُمَجِّدُ الجَبَّارُ نَفْسَهُ يَقُولُ أنا الجَبَّارُ أنا الكَبِيرُ المُتَعالِ فَرَجَفَ المِنْبَرُ حَتَّى قُلْنا لَيَخِرَّنَّ عَنْهُ * وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ كانَ حَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وثَلثُمِائَةِ

صنم

صَنَمٍ مُثْبَتَةَ الأَرْجُلِ بالرَّصاصِ في الحِجارةِ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المَسْجِدَ عامَ الفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ في يَدِهِ إِلَيْها ولا يَمَسُّها ويَقُولُ جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ الآيَةَ فَما أَشارَ إِلي وجهِ صَنَمٍ إِلاَّ وقَعَ لِقَفاهُ ولا لِقَفاهُ إِلاّ وقَعَ لِوَجْهِهِ حَتّي ما بَقِيَ مِنها صَنَمٌ ومِثْلُهُ في حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وقالَ فَجَعَلَ يَطْعَنُها ويَقُولُ جاءَ الحَقُّ وما يُبْدِئُ الباطِلُ وما يُعِيدُ ومِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرّاهِبِ في ابْتِداءِ أَمْرِهِ إِذْ خَرَجَ تاجِرًا مَعَ عَمِّهِ وكانَ الرّاهِبُ لا يَخْرُجُ الي أَحَدٍ فَخَرَجَ وجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّي أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم فَقالَ هذا سَيِّدُ العالَمِينَ يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلعالَمِينَ فَقالَ لَهُ أَشْياخٌ مِنْ قُرَيْشٍ ما عِلْمُكَ فَقالَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ولا حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ ساجِدًا لَهُ ولا يَسْجُدُ إِلاَّ لِنَبِيٍّ وذَكَرَ القِصَّةَ ثُمَّ قالَ وأَقْبَلَ صلى الله عليه وسلم وعَلَيْهِ غَمامَةٌ تُظِلُّهُ فَلَمَّا دَنا مِنَ القَوْمِ وجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلي فَيْءِ الشَّجَرَةِ فَلَمّا جَلَسَ مالَ الفَيْءُ اليهِ

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حَدَّثَنا سِراجُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ أبو الحُسَيْنِ الحافِظُ حَدَّثَنا أَبِي حَدَّثَنا القاضِي أبو يونسَ حَدَّثَنا أبو الفَضْلِ الصِّقِلِّيُّ حَدَّثَنا ثابِتُ بْنُ قاسِمِ بْنِ ثابِتٍ عَنْ أَبِيهِ وجَدِّهِ قالا حَدَّثَنا أبو العَلاءِ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرانَ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنا يونُسُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنا مُجاهِدٌ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالَتْ كانَ عِنْدَنا داجِنٌ فإِذا كانَ عِنْدَنا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَرَّ وثَبَتَ مَكانَهُ فَلَمْ يَجِيءْ ولَمْ يَذْهَبْ وإِذا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى

اللهُ عليه وسلم جاء وذَهَبَ وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ في مَحْفَلٍ مِنْ أَصْحابِهِ إِذْ جاءَ أَعْرابِيٌّ قَدْ صادَ ضَبًّا فَقالَ مَنْ هذَا قالوا نَبِيُّ اللهِ فَقالَ واللاَّتِ والعُزَّى لا آمَنْتُ بكَ أَوْيُؤْمِنَ بِكَ هٰذَا الضَّبُّ وطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليهِ وسلم لَهُ ياضَبُّ فأَجابَهُ بلسان مُبِين يَسْمَعُهُ القَوْمُ جَمِيعًا لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يازَيْنَ مَنْ وافي القِيامَةَ قالَ مَنْ تَعْبُدُ قالَ الَّذِي في السَّماءِ عَرْشُهُ وفي الأَرْضِ سُلْطانُهُ وفي البَحْرِ سَبِيلُهُ وفي الجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وفي النَّارِ عِقابُهُ قالَ فَمَنْ أنا قالَ رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ وخاتَمُ النَّبِيِّينَ وقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وخابَ مَنْ كَذَّبَكَ فأَسْلَمَ الأَعْرابِيُّ * ومِنْ ذَلِكَ قصةُ كَلَامِ الذِّئْبِ المَشْهورَةُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ بَيْنا راعٍ يَرْعَي غَنَماً لَهُ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشاةٍ مِنْها فأَخَذَها مِنْهُ فأَقْعَي الذِّئْبُ وقالَ لِلرَّاعِي ألا تَتَّقِي اللهَ حُلْتَ بَيْنِي وبَيْنَ رِزْقِي قالَ الرَّاعِي العَجَبُ مِنْ ذِئْب يَتَكَلَّمُ بِكَلامِ الإِنْسِ فَقالَ الذِّئْبُ ألا أُخْبِرُكَ بأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بأَنْباءِ ماقَدْ سَبَقَ فأَتَي الرَّاعِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فأَخْبَرَهُ فَقالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ علىه وسلم لَهُ قُمْ فَحَدِّثْهُمْ ثُمَّ قالَ صَدَقَ والحَدِيثُ فيهِ قِصَّةٌ وفي بَعْضهِ طُولٌ ورُوِيَ حَدِيثُ الذِّئْبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وفي بَعْضِ الطُرُقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقالَ الذِّئْبُ أَنْتَ أَعْجَبُ واقِفًا علي غَنَمِكَ وتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ أَعظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْرًا قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ وأَشْرَفَ أَهْلُها على أَصْحابِهِ يَنْظُرُونَ قِتالَهُمْ ومابَيْنَكَ وبَيْنَهُ إِلاَّ هذَا الشِّعْبُ فَتَصِيرُ في جُنُودِ اللهِ قالَ الرَّاعِي مَنْ لِي بِغَنَمِي قالَ الذِّئْبُ أنا أَرْعاها حَتَّي

تَرْجِعَ فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ غَنَمَهُ ومَضَى وذَكَرَ قِصَّتَهُ وإِسْلَامَهُ ووُجُودَهُ
النَّبِيَّ صلى اللّهُ عليهِ وسلم يُقَاتِلُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم
عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ وذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً مِنْهَا وعَنْ
أُهْبَانَ بْنِ أَوْسٍ وأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ القِصَّةِ والمُحَدِّثَ بِهَا ومُكَلِّمَ الذِّئْبِ
وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَكْوَعِ وأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ هٰذِهِ القِصَّةِ أَيْضاً وسَبَبَ
إِسْلَامِهِ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وقَدْ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ مِثْلَ هٰذَا أَنَّهُ جَرَى
لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مَعَ ذِئْبٍ وَجَدَاهُ أَخَذَ ظَبْياً فَدَخَلَ
الظَّبْيُ الحَرَمَ فَانْصَرَفَ الذِّئْبُ فَعَجِبَا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الذِّئْبُ أَعْجَبُ مِنْ
ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بِالمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الجَنَّةِ وتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ فَقَالَ
أَبُو سُفْيَانَ واللَّاتِ والعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هٰذَا بِمَكَّةَ لَتَتْرُكَنَّهَا خُلُوفاً
وقَدْ رُوِيَ مِثْلُ هٰذَا الخَبَرِ وأَنَّهُ جَرَى لِأَبِي جَهْلٍ وأَصْحَابِهِ وعَنْ عَبَّاسِ
ابْنِ مِرْدَاسٍ لَمَّا تَعَجَّبَ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ صَنَمِهِ وإِنْشَادِهِ الشِّعْرَ الَّذِي
ذَكَرَ فِيهِ النَّبِيَّ صلى اللّهُ عليهِ وسلم فَإِذَا طَائِرٌ سَقَطَ فَقَالَ يَا عَبَّاسُ أَتَعْجَبُ
مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ وَلَا تَعْجَبُ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم
يَدْعُو إِلَى الإِسْلَامِ وأَنْتَ جَالِسٌ فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَجُلٍ أَتَى النَّبِيَّ صلى اللّه عليه وسلم وآمَنَ بِهِ وهُوَ
عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ وكَانَ فِي غَنَمٍ يَرْعَاهَا لَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ
بِالغَنَمِ قَالَ أَحْصِبْ وُجُوهَهَا فَإِنَّ اللّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ ويَرُدُّهَا إِلَى
أَهْلِهَا فَفَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ
دَخَلَ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وسلم حَائِطَ أَنْصَارِيٍّ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ ورَجُلٌ

مِنَ الأَنصارِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وفي الحائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقالَ أبو بَكْرٍ نَحْنُ أحَقُّ بالسُّجُودِ لَكَ مِنْها الحَديثَ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم حائِطاً فَجاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ وَذَكَرَ مِثْلَهُ ومِثْلُهُ في الجَمَلِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكٍ وجابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ويَعْلَى بْنِ مُرَّةَ وعَبْدِ اللهِ ابْنِ جَعْفَرٍ قالَ وكانَ لا يَدْخُلُ أحَدٌ الحائِطَ إلاَّ شَدَّ عَلَيْهِ الجَمَلُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم دَعاهُ فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ على الأَرْضِ وبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَخَطَمَهُ وقالَ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ شَيْءٌ إلاَّ يَعْلَمُ أنِّي رَسُولُ اللهِ إلاَّ عاصِيَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَمِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أبي أوْفى وفي خَبَرٍ آخَرَ في حَدِيثِ الجَمَلِ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرُوهُ أنَّهُمْ أرادُوا ذَبْحَهُ وفي رِوايَةٍ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لَهُمْ إنَّهُ شَكَى كَثْرَةَ العَمَلِ وقِلَّةَ العَلَفِ وفي رِوايَةٍ أنَّهُ شَكَى إلَيَّ أنَّكُمْ أرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أنِ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ في شاقِّ العَمَلِ مِنْ صِغَرِهِ فَقالُوا نَعَمْ وقَدْ رُوِيَ في قِصَّةِ العَضْباءِ وكَلامِها لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وتَعْرِيفِها لَهُ بِنَفْسِها ومُبادَرَةِ العُشْبِ إلَيْها في الرَّعْيِ وتَجَنُّبِ الوُحُوشِ عَنْها ونِدائِهِمْ لَها انَّكِ لِمُحَمَّدٍ وأنَّها لَمْ تَأْكُلْ ولَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى ماتَتْ ذَكَرَهُ الإِسْفَرائِينِيُّ وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ أنَّ حَمامَ مَكَّةَ أظَلَّتِ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يَوْمَ فَتْحِها فَدَعا لَها بِالْبَرَكَةِ وَرُوِيَ عَنْ أنَسٍ وزَيْدِ بْنِ أرْقَمَ والمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ أمَرَ اللهُ لَيْلَةَ الغارِ شَجَرَةً فَنَبَتَتْ تُجاهَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فَسَتَرَتْهُ وأمَرَ حَمامَتَيْنِ فَوَقَفَتا بِفَمِ الغارِ وفي حَدِيثٍ آخَرَ وأنَّ العَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ على بابِهِ فَلَمَّا أتَى الطَّالِبُونَ لَهُ

ورَأوْا ذَلِكَ قالوا لوْ كانَ فيهِ أحَدٌ لمْ تَكُنِ الحمامتَانِ ببابهِ والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَسْمَعُ كَلامَهُمْ فانصَرَفُوا وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ قُرِّبَ إلي النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بَدَناتٌ خَمْسٌ أوْ سِتٌّ أوْ سَبْعٌ لِيَنْحَرَها يَوْمَ عيدٍ فازْدَلَفْنَ إليْهِ بأيِّهِنَّ يَبْدَا وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم في صَحْرَاء فنادَتْهُ ظَبْيَةٌ يارَسُولَ اللهِ قالَ ماحاجَتُكِ قالَتْ صادَنِي هٰذَا الأعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانِ في ذَلِكَ الجَبَلِ فاطْلِقْنِي حَتَّى أذْهَبَ فأُرْضِعَهُما وأرْجِعَ قالَ أوَتَفْعَلِينَ قالَتْ نَعَمْ فأطْلَقَها فَذَهَبَتْ ورَجَعَتْ فأوْثَقَها فانْتَبَهَ الأعْرَابِيُّ وقالَ يارَسُولَ اللهِ ألَكَ حاجَةٌ قالَ تُطْلِقُ هٰذِهِ الظَّبْيَةَ فأطْلَقَها فَخَرَجَتْ تَعْدُو في الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ أشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ الاَّ اللهُ وأنكَ رَسُولُ اللهِ ومِنْ هٰذَا البابِ ما رُوِيَ مِنْ تَسْخِيرِ الأسَدِ لِسَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم اذ وَجَّهَهُ الي مُعاذٍ باليَمَنِ فَلَقِيَ الأسَدَ فَعَرَّفَهُ أنَّهُ مَوْلَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومَعَهُ كِتابُهُ فَهَمْهَمَ وتَنَحَّي عَنِ الطَّرِيقِ وذَكَرَ في مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وفي رِوايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ أنَّ سَفِينَةً تَكَسَّرَتْ بِهِ فَخَرَجَ إلى جَزِيرَةٍ فإِذَا الأسَدُ فَقُلْتُ أنا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَجَعَلَ يَغْمِزُنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أقامَنِي على الطَّرِيقِ وأخَذَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأُذُنِ شاةٍ لِقَوْمٍ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ ثُمَّ خَلاَّها فَصارَ لَها مِيسَماً وَبَقِيَ ذَلِكَ الأثَرُ فيها وفي نَسْلِها بَعْدُ وَما رُوِيَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَّادٍ بِسَنَدِهِ مِنْ كَلامِ الحِمارِ الّذِي أصابَهُ بِخَيْبَرَ وقالَ لَهُ اسْمِي يَزِيدُ بْنُ شِهابٍ فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم يَعْفُورًا وأنهُ كانَ يُوَجِّهُهُ الى دُورِ أصْحابِهِ فَيَضْرِبُ عَلَيْهِمُ البابَ بِرَأْسِهِ ويَسْتَدْعِيهِمْ وأنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لَمَّا ماتَ تَرَدَّى في بِئْرٍ جَزَعًا وحُزْنًا فَماتَ وحَدِيثُ

النَاقَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى اللّٰهُ عليه وسلم لِصاحِبِها أَنَّهُ ما سَرَقَها وأَنَّها مِلْكُهُ وفي حَدِيثِ العَنْزِ الَّتِي أَتَتْ رسولَ اللّٰهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلم في عَسْكَرِهِ وقَدْ أصابَهُمْ عَطَشٌ ونَزَلُوا على غَيْرِ ماءٍ وهُمْ زُهاءُ ثَلاثِمِائَةٍ فَحَلَبَها رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم فَأَرْوَى الجُنْدَ ثُمَّ قالَ لِرافِعٍ أَمْلِكْها وما أُراكَ فَرَبَطَها فَوَجَدَها قَدِ انْطَلَقَتْ رَوَاهُ ابْنُ قانِعٍ وغَيْرُهُ وفِيهِ فقالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ الَّذِي جاءَ بِها هوَ الَّذِي ذَهَبَ بِها وقالَ لِفَرَسِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وقَدْ قامَ الي الصَّلاةِ في بَعْضِ أَسْفارِهِ لا تَبْرَحْ بارَكَ اللّٰهُ فِيكَ حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ صَلاتِنا وجَعَلَهُ قِبْلَتَهُ فَما حَرَّكَ عُضْوًا حَتَّى صَلَّى صلى اللّٰهُ عليه وسلم ويَلْتَحِقُ بِهٰذَا مارَوَاهُ الوَاقِدِيُّ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا وَجَّهَ رُسُلَهُ الي المُلُوكِ فَخَرَجَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْهُمْ في يَوْمٍ واحِدٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسانِ القَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ الَيْهِمْ والحَدِيثُ في هٰذَا البابِ كَثِيرٌ وقَدْ جِئْنا مِنْهُ بالمَشْهُورِ وما وَقَعَ في كُتُبِ الأَئِمَّةِ

(فصل في احياءِ الموتى وكلامهم)

﴿ وكَلامِ الصِّبْيانِ والمَراضِعِ وشَهاداتِهِمْ له بالنبوَّة صلى اللّٰه عليه وسلم ﴾

حدثنا أَبو الوَلِيدِ هِشامُ بنُ أَحْمَدَ الفَقِيهُ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ والقاضِي أَبُو الوَلِيدِ محمَّدُ بْنُ رُشْدٍ والقاضِي أبو عَبْدِ اللّٰهِ محمَّدُ بنُ عِيسى التَّمِيمِيُّ وغَيْرُ واحِدٍ سَماعاً وإِذْناً قالوا حدثنا أبو عَلِيٍّ الحافِظُ حدثنا أبو عُمَرَ الحافِظُ حدثنا أبو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ يَحْيَى حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ حدثنا ابْنُ الأَعْرابِيِّ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ عَنْ خالِدٍ هوَ الطَّحَّانُ عَنْ محمَّدِ بنِ

عمْرٍو عنْ أبي سَلَمَةَ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنّ يَهُودِيَّةً أهْدَتْ لِلنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بِخَيْبَرَ شاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْهَا وَأَكَلَ القَوْمُ فَقَالَ ارْفَعُوا أيْدِيَكُمْ فَإنَّهَا أخْبَرَتْنِي أنّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ البَرَاء وقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ ما حَمَلَكِ علي ما صَنَعْتِ قَالَتْ ان كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ وانْ كُنْتَ مَلِكاً أرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ قالَ فَأَمَرَ بِهَا فَقُتِلَتْ وقَدْ رَوَى هٰذَا الحديثَ أنَسٌ وَفِيهِ قَالَتْ أرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ ما كانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ على ذَلِكَ فَقَالُوا نَقْتُلُهَا قَالَ لا وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ منْ رِوَايَةِ غَيْرِ وَهْبٍ قَالَ فَمَا عَرَضَ لَهَا وَرَوَاهُ أيْضاً جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وفيهِ أخْبَرَتْنِي بِهِ هٰذِهِ الذِّرَاعُ قَالَ ولَمْ يُعَاقِبْهَا وَفِي رِوَايَةِ الحَسَنِ أنَّ فَخِذَهَا تُكَلِّمُنِي أنَّهَا مَسْمُومَةٌ وَفِي رِوَايَةِ أبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحمنِ قَالَتْ انِّي مَسْمُومَةٌ وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الخَبَرَ ابْنُ اسْحٰقَ وقَالَ فِيهِ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ عَنْ أنَسٍ أنَّهُ قَالَ فَمَا زِلْتُ أعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَفِي حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي ماتَ فِيهِ ما زَالَتْ أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي فَالآنَ أوَانُ قَطَعَتْ أبْهَرِي وَحَكَي ابْنُ اسْحاقَ ان كَانَ المُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ماتَ شَهِيداً مَعَ ما أكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وقَالَ ابْنُ سُحْنُونٍ أجْمَعَ أهْلُ الحَدِيثِ أنّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قَتَلَ اليَهُودِيَّةَ الَّتِي سَمَّتْهُ وقَدْ ذَكَرْنا اخْتِلَافَ الرِّوَايات في ذَلِكَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ وأنَسٍ وَجَابِرٍ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنّهُ دَفَعَهَا لِأَوْلِيَاءِ بِشْرِ بْنِ البَرَاءِ فَقَتَلُوها وَكَذَلِكَ قَدِ اخْتُلِفَ في قَتْلِهِ

لِلَّذِي سَحَرَهُ قَالَ الوَاقِدِيُّ وَعَفْوُهُ عَنْهُ أَثْبَتُ عِنْدَنا وقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَهُ وَرَوى الحَدِيثَ البَزّارُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَذَكَرَ مِثْلَهُ الاَّ أَنَّهُ قَالَ في آخِرِهِ فَبَسَطَ يَدَهُ وقَالَ كُلُوا بِسْمِ اللهِ فَأَكَلْنا وذَكَرَ اسْمَ اللهِ فَلَمْ تَضُرَّ مِنّا أَحَدًا قَالَ القاضِي أبو الفَضْلِ وَقَدْ خَرَّجَ حَدِيثَ الشَّاةِ المَسْمُومَةِ أَهْلُ الصَّحِيحِ وخَرَّجَهُ الأَئِمَّةُ وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ واخْتَلَفَ أَئِمَّةُ أَهْلِ النَّظَرِ في هٰذَا البَابِ فَمِنْ قائِلٍ يَقُولُ هُوَ كَلامٌ يَخْلُقُهُ اللهُ تَعالى في الشَّاةِ المَيِّتَةِ أَوِ الحَجَرِ أَوِ الشَّجَرِ وَحُرُوفٌ وأَصْوَاتٌ يُحْدِثُها اللهُ فِيها وَيُسْمِعُها مِنْها دُونَ تَغْيِيرِ أَشْكالِها وَنَقْلِها عَنْ هَيْئَتِها وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ والقاضِي أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُما اللهُ وَآخَرُونَ ذَهَبُوا الي ايجادِ الحَياةِ بِها أَوَّلاً ثُمَّ الكَلامِ بَعْدَهُ وَحُكِيَ هذَ أَيْضاً عَنْ شَيْخِنا أَبِي الحَسَنِ وَ كُلٌّ مُحْتَمَلٌ واللهُ أَعْلَمُ اذْ لَمْ نَجْعَلِ الحَياةَ شَرْطاً لِوُجُودِ الحُرُوفِ والأَصْوَاتِ اذْ لاَ يَسْتَحِيلُ وُجُودُها مَعَ عَدَمِ الحَيَاةِ بِمُجَرَّدِها فَأَمَّا اذا كانَتْ عِبارَةً عَنِ الكَلامِ النَّفْسِيِّ فَلاَ بُدَّ مِنْ شَرْطِ الحَياةِ لَها اذْ لا يُوجَدُ كَلاَمُ النَّفْسِ الاَّ مِنْ حَيٍّ خِلافاً لِلْجُبَّائِيِّ مِنْ بَيْنِ سائِرِ مُتَكَلِّمِي الفِرَقِ في احالَةِ وُجُودِ الكَلامِ اللَّفْظِيِّ والحُرُوفِ والأَصْوَاتِ الاّ مِنْ حَيٍّ مُرَكَّبٍ علي تَرْكِيبِ مَنْ يَصِحُّ مِنْهُ النُّطْقُ بِالحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ والْتَزَمَ ذَلِكَ في الحَصا والجِذْعِ والذِّرَاعِ وقالَ انَّ اللهَ خَلَقَ فِيها حَياةً وَخَرَقَ لَها فَماً ولِساناً وَ آلَةً أَمْكَنَها بِها مِنَ الكَلامِ وَهٰذَا لَوْ كانَ لَكانَ نَقْلُهُ والتَّهَمُّمُ بِهِ آكَدَ مِنَ التَّهَمُّمِ بِنَقْلِ تَسْبِيحِهِ أَوْ حَنِينِهِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالرِّوَايَةِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَدَلَّ على سُقُوطِ دَعْوَاهُ مَعَ أَنَّهُ لا ضَرُورَةَ الَيْهِ في النَّظَرِ وَالمُوَفِّقُ اللهُ

وَرَوَى وَكِيعٌ رَفَعَهُ عَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ فَقَالَ مَنْ أَنا قَالَ رَسُولُ اللهِ وَرُوِيَ عَنْ مُعَرِّضِ بْنِ مُعَيْقِيبٍ رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم عَجباً جِيءَ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ وهُوَ حَدِيثُ مُبارَكِ اليَمامَةِ وَيُعْرَفُ بِحَدِيثِ شاصُونَةَ اسْمِ رَاوِيهِ وَفِيهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلي اللهُ عليهِ وسلم صَدَقْتَ بارَكَ اللهُ فِيكَ ثُمَّ انَّ الغُلامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَها حَتَّي شَبَّ فَكانَ يُسَمَّي مُبارَكَ اليَمامَةِ وَكانَتْ هٰذِهِ القِصَّةُ بِمَكَّةَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ وعَنِ الحَسَنِ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ طَرَحَ بُنَيَّةً لَهُ فِي وَادِي كَذَا فانْطَلَقَ مَعَهُ الي الوَادِي ونادَاها باسْمِها يافُلانَةُ أَجِيبِي باذْنِ اللهِ فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ لَها انَّ أَبَوَيْكِ قَدْ أَسْلَما فَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أَرُدَّكِ عَلَيْهِما قَالَتْ لا حاجَةَ لِي فِيهِما وَجَدْتُ اللهَ خَيْرًا لى مِنْهُما وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ شاباً مِنَ الأَنْصارِ تُوُفِّيَ ولَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمْياءُ فَسَجَّيْناهُ وعَزَّيْناها فَقَالَتْ ماتَ ابْنِي قُلْنا نَعَمْ قالَتِ اللّهُمَّ انْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هاجَرْتُ الَيْكَ وَالي رَسُولِكَ رَجاءَ أَنْ تُعِينَنِي على كُلِّ شِدَّةٍ فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هٰذِهِ المُصِيبَةَ فَما بَرِحْنا أَنْ كَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمَ وَطَعِمْنا وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُبَيْدِ اللهِ الأَنْصارِيِّ كُنْتُ فِيمَنْ دَفَنَ ثابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكانَ قُتِلَ بالْيَمامَةِ فَسَمِعْناهُ حِينَ أَدْخَلْناهُ القَبْرَ يَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عُمَرُ الشَّهِيدُ عُثْمانُ البَرُّ الرَّحِيمُ فَنَظَرْنا فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ وذُكِرَ عَنِ النُّعْمانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خارِجَةَ خَرَّ مَيِّتاً في بَعْضِ أَزِقَّةِ المَدِينَةِ فَرُفِعَ وَسُجِّيَ اذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ العِشاءَيْنِ والنِّساءُ يَصْرُخْنَ حَوْلَهُ يَقُولُ أَنْصِتُوا

أنصتوا فحَسِرَ عَنْ وَجْهِهِ فقَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ وخاتَمُ النَّبِيّينَ كانَ ذَلِكَ في الكِتابِ الأوَّلِ ثُمَّ قالَ صَدَقَ صَدَقَ وذَكَرَ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ ثُمَّ قالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ثُمَّ عادَ مَيِّتاً كما كانَ

﴿ فصل في ابراء المرضى وذوى العاهات ﴾

أخْبَرَنا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ فِيما أجازَنيهِ وقَرَأْتُهُ علي غَيْرِهِ قالَ حدثنا أبو اسْحاقَ الحَبَّالُ حدثنا أبو محمّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ حدثنا أبو الوَرْدِ عَنِ البَرْقِيِّ عَنِ ابنِ هِشامٍ عَنْ زِيادٍ البَكَّائِيِّ عَنْ محمّدِ بْنِ اسْحاقَ حدثنا ابْنُ شِهابٍ وعاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتادَةَ وَجَماعَةٌ ذَكَرَهُمْ بِقَضِيَّةِ أُحُدٍ بِطُولِها قالَ وقالُوا قالَ سَعْدُ بْنُ أبِي وَقّاصٍ إنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيُناوِلُنِي السَّهْمَ لا نَصْلَ لهُ فَيَقُولُ ارْمِ بِهِ وقَدْ رَمَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ عَنْ قَوْسِهِ حَتَّي انْدَقّتْ وأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتادَةَ يَعْنِي ابْنَ النُّعْمانِ حَتَّي وقَعَتْ على وَجْنَتِهِ فَرَدَّها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكانَتْ أحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَرَوَى قِصّةَ قَتادَةَ عاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتادَةَ وَيَزِيدُ بْنُ عِياضِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ قَتادَةَ وَرَواها أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ عَنْ قَتادَةَ وَبَصَقَ على أثَرِ سَهْمٍ فى وَجْهِ أبِي قَتادَةَ في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ قالَ فَما ضَرَبَ عَلَيَّ وَلا قاحَ وَرَوَى النَّسائِيُّ عَنْ عُثْمانَ بن حُنَيْفٍ أنّ أعْمَي قالَ يا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي قالَ فانطَلِقْ فَتَوَضّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلِ اللّهُمَّ اِنِّي أسْأَلُكَ وأتَوَجَّهُ إلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يا محمّدُ اِنِّي أتَوَجَّهُ بِكَ الي

رَبَّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بصَرِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ قالَ فَرَجَعَ وقَدْ كَشَفَ اللهُ عَنْ بَصَرِهِ ورُوِيَ أَنَّ ابْنَ مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ أصابَهُ اسْتِسْقاءٌ فَبَعَثَ الي النبيِّ صلى الله عليه وسلم فأخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً منَ الأَرْضِ فَتَفَلَ عَلَيْها ثُمَّ أعطاها رَسولَهُ فأخَذَها مُتعَجِّباً يَرَى أَنْ قَدْ هُزِئَ بِهِ فأتاهُ بِها وهوَ على شَفاً فَشَرِبَها فَشَفاهُ اللهُ وذَكَرَ العُقَيْلِيُّ عَن حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ وَيُقالُ فُرَيْكٍ أَنَّ أباهُ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ فَكانَ لا يُبْصِرُ بِهِما شَيْئاً فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فى عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الخَيْطَ في الإِبْرَةِ وهوَ ابْنُ ثَمانِينَ ورُمِيَ كُلْثُومُ بْنُ الحُصَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ في نَحْرِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِيهِ فَبَرَأَ وتَفَلَ على شَجَّةِ عَبْدِ اللهِ بن أُنَيْسٍ فَلَمْ تَمِدَّ وتَفَلَ في عَيْنَيْ عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ وكانَ رَمِدًا فَأَصْبَحَ بارِئاً ونَفَثَ على ضَرْبَةٍ بِساقِ سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَبَرِئَتْ وفي رِجْلِ زَيْدِ بْنِ مُعاذٍ حِينَ أصابَها السَّيْفُ الي الكَعْبِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ الأَشْرَفِ فَبَرِئَتْ وعلى ساقِ عَلِيِّ ابْنِ الحَكَمِ يَوْمَ الخَنْدَقِ إِذِ انْكَسَرَتْ فَبَرِئَ مَكانَهُ وما نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ واشْتَكَى عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ فَجَعَلَ يَدْعُو فَقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اللَّهُمَّ اشْفِهِ أَوْ عافِهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَما اشْتَكَى ذَلِكَ الوَجَعَ بَعْدُ وقَطَعَ أبوجَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْراءَ فَجاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ فَبَصَقَ عَلَيْها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأَلْصَقَها فَلَصِقَتْ رَواهُ ابْنُ وَهْبٍ * ومِنْ رِوايَتِهِ أَيْضاً أَنَّ حُبَيْبَ ابْنَ يَسافٍ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِضَرْبَةٍ على عاتِقِهِ حَتَّي مالَ شِقُّهُ فَرَدَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ونَفَثَ عَلَيْهِ حَتَّي صَحَّ وأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ مَعَها صَبِيٌّ بِهِ بَلاءٌ لا يَتَكَلَّمُ فَأُتِيَ بِماءٍ فَمَضْمَضَ

فاهُ وغَسلَ يدَيهِ ثمَّ أعطاها إيّاهُ وأمَرَها بِسقْيِهِ ومَسِّهِ بِهِ فبَرأَ الغُلامُ وعقَلَ عقْلًا يفضُلُ عقُولَ النَّاسِ * وعَنِ ابنِ عبَّاسٍ جاءتِ امْرأَةٌ بِابْنٍ لَها بِهِ جنُونٌ فَمَسَحَ صَدْرَهُ فثَعَّ ثعَّةً فخَرَجَ مِن جوْفه مثْلُ الجرْوِ الأَسْوَدِ فسَعَى وانكَفَأَتِ القِدْرُ على ذِراعِ محمّدِ بنِ حاطِبٍ وهوَ طِفْلٌ فمَسَحَ علَيْهِ ودَعا لَهُ وتفَلَ فيهِ فبَرَأَ لِحِينِهِ وكانَتْ في كَفِّ شُرَحْبِيلَ الجُعْفِيِّ سِلْعَةٌ تَمنَعُهُ القَبْضَ على السَّيْفِ وعِنانِ الدَّابَّةِ فشَكاها لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم فما زالَ يَطْحَنُها بكَفِّهِ حتَّي رَفعَها ولمْ يَبْقَ لَها أثرٌ وسَأَلَتهُ جارِيَةٌ طعاماً وهوَ يأْكُلُ فناوَلَها مِنْ بَيْنِ يدَيْهِ وكانَتْ قَلِيلَةَ الحَياءِ فقالَتْ إِنَّما أُرِيدُ مِنَ الَّذِي في فِيكَ فناوَلَها مافي فِيهِ ولمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شيْئًا فيَمْنَعَهُ فلَمَّا اسْتَقرَّ في جوْفِها أُلْقِيَ علَيْها مِنَ الحَياءِ مالَمْ تَكُنِ امْرَأَةٌ بالمَدِينَةِ أشَدَّ حَياءً مِنْها

﴿ فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ وهَـذَا بابٌ واسِعٌ جِدًّا ﴾

وإجابَةُ دَعْوَةِ النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لجماعَةٍ بِما دَعا لَهُمْ وعلَيْهِمْ مُتَواتِرٌ على الجُمْلَةِ معْلُومٌ ضَرُورَةً * وقَدْ جاءَ في حَدِيثِ حُذَيْفَةَ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم اذَا دَعا لِرَجُلٍ أدْرَكَتِ الدَّعْوَةُ ولَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ * حدثنا أبو محمّدٍ العتَّابِيُّ بِقِراءَتِي علَيْهِ حدثنا أبوالقاسِمِ حاتِمُ بْنُ محمّدٍ حدثنا أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ حدثنا أبو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ حدثنا محمّدُ بْنُ يُوسُفَ حدثنا محمّدُ بْنُ اسماعيلَ حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أبي الأسْوَدِ حدثنا حَرَمِيٌّ حدثنا شُعْبَةُ عَنْ قتادَةَ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَتْ أُمِّي يارَسولَ

الله

اللهِ خادِمُكَ أَنَسٌ أُدعُ اللهَ لَهُ قالَ اللهُمَّ أكثِرْ مالَهُ وَوَلَدَهُ وَبارِكْ لَهُ فِيما آتَيتَهُ ومِنْ رِوايةِ عِكرِمةَ قالَ أنسٌ فَواللهِ إنّ مالِي لَكَثِيرٌ وإنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيُعادُّونَ اليَومَ على نَحوِ المِائَةِ وفي رِوايةٍ فَما أعلَمُ أحَدًا أصابَ مِنْ رَخاءِ العَيشِ ما أصَبْتُ ولَقَدْ دَفَنتُ بِيَدَيَّ هاتَينِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي لا أقُولُ سِقْطًا ولا وَلَدَ وَلَدٍ * ومِنهُ دُعاؤُهُ لِعَبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عَوفٍ بالبَرَكَةِ قالَ عَبدُ الرَّحمٰنِ فَلَوْ رَفَعتُ حَجَرًا لَرَجَوتُ أنْ أُصِيبَ تَحتَهُ ذَهَبًا وفَتَحَ اللهُ عَلَيهِ وماتَ فَحُفِرَ الذَّهَبُ مِنْ تَرِكَتِهِ بالفُؤُسِ حَتَّى مَجَلَتْ فِيهِ الأيدِي وأخَذَتْ كُلُّ زَوجةٍ ثَمانِينَ ألفًا وكُنَّ أربَعًا وقِيلَ مِائَةَ ألفٍ وقِيلَ بَلْ صُولِحَتْ إحداهُنَّ لِأنَّهُ طَلَّقَها في مَرَضِهِ على نَيِّفٍ وثَمانِينَ ألفًا وأوصَى بِخَمسِينَ ألفًا بَعدَ صَدَقاتِهِ الفاشِيةِ في حَياتِهِ وعَوارِفِهِ العَظِيمةِ أعتَقَ يَومًا ثَلاثِينَ عَبدًا وتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعِيرٍ فِيها سَبعُمائةِ بَعِيرٍ وَرَدَتْ عَلَيهِ تَحمِلُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ فَتَصَدَّقَ بِها وَبِما عَلَيها وَبِأقتابِها وأحلاسِها ودَعا لِمُعاوِيةَ بالتَّمكِينِ فَنالَ الخِلافةَ ولِسَعدِ بنِ أبي وَقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنْ يُجِيبَ اللهُ دَعوَتَهُ فَما دَعا على أحَدٍ إلّا استُجِيبَ لَهُ ودَعا بِعِزِّ الإسلامِ بِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أو بِأبي جَهلٍ فاستُجِيبَ لَهُ في عُمَرَ وقالَ ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ مازِلْنا أعِزَّةً مُنذُ أسلَمَ عُمَرُ وأصابَ النّاسَ في بَعضِ مَغازِيهِ عَطَشٌ فَسَألَهُ عُمَرُ الدُّعاءَ فَدَعا فَجاءَتْ سَحابةٌ فَسَقَتهُمْ حاجَتَهُمْ ثُمَّ أقلَعَتْ ودَعا في الاستِسقاءِ فَسُقُوا ثُمَّ شَكَوا اِلَيهِ المَطَرَ فَدَعا فَصَحَوا وقالَ لِأبي قَتادةَ أفلَحَ وَجهُكَ اللّهُمَّ بارِكْ لَهُ في شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ فَماتَ وهوَ ابنُ سَبعِينَ سَنةً وكَأنَّهُ ابنُ خَمسَ عَشرةَ سَنةً وقالَ لِلنّابِغةِ لا يَفضُضِ اللهُ فاكَ فَما سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ وفي

رِوَايَةٍ فَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ثَغْرًا اذا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ نَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى وعاشَ عِشْرِينَ ومِائَةً وقِيلَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ودَعَا لِابنِ عَبَّاسٍ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ فَسُمِّيَ بَعْدُ الحَبْرَ وتَرْجُمَانَ القُرْآنِ ودَعَا لِعَبْدِ اللّٰهِ ابنِ جَعْفَرٍ بِالْبَرَكَةِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ فَمَا اشْتَرَى شَيْئًا الَّا رَبِحَ فِيهِ ودَعَا لِلمِقْدَادِ بِالبَرَكَةِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ غَرَائِرُ مِنَ المَالِ ودَعَا بِمِثْلِهِ لِعُرْوَةَ بنِ أَبِي الجَعْدِ فقالَ فَلَقَدْ كُنْتُ أَقُومُ بِالْكُنَاسَةِ فَمَا أَرْجِعُ حَتَّى أَرْبَحَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وقَالَ البُخَارِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ رَبِحَ فِيهِ ورُوِيَ مِثْلُ هٰذَا لِغَرْقَدَةَ أَيْضًا ونَدَّتْ لَهُ نَاقَةٌ فَدَعَا فَجَاءَهُ بِهَا إِعْصَارُ رِيحٍ حَتَّى رَدَّهَا عَلَيْهِ ودَعَا لِامِّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَسْلَمَتْ ودَعَا لِعَلِيٍّ أَنْ يُكْفَى الحَرَّ والقَرَّ فَكَانَ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ثِيَابَ الصَّيْفِ وفِي الصَّيْفِ ثِيَابَ الشِّتَاءِ ولا يُصِيبُهُ حَرٌّ ولا بَرْدٌ ودَعَا لِفَاطِمَةَ ابْنَتِهِ اللّٰهَ أَنْ لا يُجِيعَهَا قَالَتْ فَمَا جُعْتُ بَعْدُ وسَأَلَهُ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو آيَةً لِقَوْمِهِ فقالَ اللَّهُمَّ نَوِّرْ لَهُ فَسَطَعَ لَهُ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فقالَ يَارَبِّ أَخَافُ أَنْ يَقُولُوا مُثْلَةٌ فَتَحَوَّلَ الى طَرَفِ سَوْطِهِ فَكَانَ يُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ فَسُمِّيَ ذَا النُّورِ ودَعَا على مُضَرَ فَأُقْحِطُوا حَتَّى اسْتَعْطَفَتْهُ قُرَيْشٌ فَدَعَا لَهُمْ فَسُقُوا ودَعَا على كِسْرَى حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ أَنْ يُمَزِّقَ اللّٰهُ مُلْكَهُ فَلَمْ تَبْقَ لَهُ بَاقِيَةٌ ولا بَقِيَتْ لِفَارِسَ رِيَاسَةٌ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا ودَعَا على صَبِيٍّ قَطَعَ عَلَيْهِ الصَّلاةَ أَنْ يَقْطَعَ اللّٰهُ أَثَرَهُ فَأُقْعِدَ وقالَ لِرَجُلٍ رَآهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ كُلْ بِيَمِينِكَ فقالَ لا أَسْتَطِيعُ فقالَ لَا سْتَطَعْتَ فَلَمْ يَرْفَعْهَا الي فِيهِ وقَالَ لِعُتْبَةَ بنِ أَبِي لَهَبٍ اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ فَأَكَلَهُ الأَسَدُ وقالَ لِامْرَأَةٍ أَكَلَكِ الأَسَدُ فَأَكَلَهَا وحَدِيثُهُ المَشْهُورُ مِنْ رِوَايَةِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في دُعائِهِ على قُرَيْشٍ حِينَ وَضَعُوا السَّلا علي رَقَبَتِهِ وهُوَ ساجِدٌ مَعَ الفَرْثِ والدَّمِ وسَمَّاهُمْ وقالَ فَلَقَدْ رَأيتُهُمْ قتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ودَعا على الحَكَمِ بْنِ أَبِي العاصِ وَكانَ يَخْتَلِجُ بِوَجْهِهِ وَيَغْمِزُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أيْ لا فَرَآهُ فَقالَ كَذَلِكَ كُنْ فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِجُ الي أنْ ماتَ ودَعا على مُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ فَماتَ لِسَبْعٍ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ ثُمَّ وُورِيَ فَلَفَظَتْهُ مَرَّاتٍ فأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَّيْنِ وَرَضَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجارَةِ الصُّدُّ جانِبُ الوَادِي وجَحَدَهُ رَجُلٌ بَيْعَ فَرَسٍ وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ فِيها خُزَيْمَةُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ الفَرَسَ بَعْدُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم على الرَّجُلِ وقالَ اللَّهُمَّ انْ كانَ كاذِباً فَلاَ تُبارِكْ لَهُ فِيها فَأَصْبَحَتْ شاصِيَةً بِرِجْلِها أيْ رَافِعَةً وهٰذَا البابُ أَكْثَرُ مِنْ أنْ يُحاطَ بِهِ

﴿ فصل ﴾

﴿ في كَرَاماتِهِ وَبَرَكاتِهِ وانْقِلاَبِ الأَعْيانِ لَهُ فِيما لَمَسَهُ أَوْ باشَرَهُ صلى الله عليه وسلم ﴾

أَخْبَرَنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنا أبو ذَرٍ الهَرَوِيُّ إجازَةً وحَدَّثَنا القاضِي أبو عَلِيّ سَماعاً والقاضِي أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَغَيْرُهُما قالُوا حدثنا أبو الوَلِيدِ القاضِي حدثنا أبو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ حدثنا أبو مُحَمَّدٍ وأبو إِسْحاقَ وأبو الهَيْثَمِ قالوا حدثنا الفِرَبْرِيُّ حدثنا البُخارِيُّ حدثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حدثَنا سَعِيدٌ عَنْ قَتادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَرَساً لِأَبِي طَلْحَةَ كانَ يَقْطِفُ

أَوْبِهِ قِطَافٌ وقالَ غَيْرُهُ يُبَطِّأُ فَلَمَّا رَجَعَ قالَ وَجَدْنا فَرَسَكَ بَحْرًا فَكانَ بَعْدُ لا يُجارَى وَنَخَسَ جَمَلَ جابِرٍ وَكانَ قَدْ أَعْيا فَنَشِطَ حَتَّى كانَ ما يَمْلِكُ زِمامَهُ وصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ بِفَرَسٍ لِجُعَيْلٍ الأَشْجَعِيِّ خَفَقَها بِمِخْفَقَةٍ مَعَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْها فَلَمْ يَمْلِكْ رَأْسَها نَشاطاً وباعَ مِنْ بَطْنِها بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً ورَكِبَ حِمارًا قَطُوفاً لِسَعْدِ بْنِ عُبادَةَ فَرَدَّهُ هِمْلاجاً لا يُسايَرُ وكانَتْ شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِهِ في قَلَنْسُوَةِ خالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَلَمْ يَشْهَدْ بِها قِتالاً إِلاَّ رُزِقَ النَّصْرَ وفي الصَّحِيحِ عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّها أَخْرَجَتْ جُبَّةً طَيالِسَةً وقالَتْ كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُها فَنَحْنُ نَغْسِلُها لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِها وحدثنا القاضي أبو عَلِيٍّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي القاسِمِ بْنِ المَأْمُونِ قالَ كانَتْ عِنْدَنا قَصْعَةٌ مِنْ قِصاعِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فَكُنَّا نَجْعَلُ فيها الماءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِها وأَخَذَ جَهْجاهُ الغِفارِيُّ القَضِيبَ مِنْ يَدِ عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ على رُكْبَتِهِ فَصاحَ النَّاسُ بِهِ فَأَخَذَتْهُ فيها الآكِلَةُ فَقَطَعَها وماتَ قَبْلَ الحَوْلِ وسَكَبَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ في بِئْرِ قُباءَ فَما نَزَفَتْ بَعْدُ وبَزَقَ في بِئْرٍ كانَتْ في دارِ أَنَسٍ فَلَمْ يَكُنْ بالمَدِينَةِ أَعْذَبَ مِنْها ومَرَّ على ماءٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ اسْمُهُ بَيْسانُ وماؤُهُ مِلْحٌ فَقالَ بَلْ هُوَ نُعْمانُ وماؤُهُ طَيِّبٌ فَطابَ وأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ فَمَجَّ فيهِ فَصارَ أَطْيَبَ مِنَ المِسْكِ وأَعْطَى الحَسَنَ والحُسَيْنَ لِسانَهُ فَمَصَّاهُ وكانا يَبْكِيانِ عَطَشاً فَسَكَتا وَكانَ لِأُمِّ مالِكٍ عُكَّةٌ تُهْدِي فيها لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم سَمْناً فَأَمَرَها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ لا تَعْصُرَها ثُمَّ دَفَعَها إِلَيْها فَإِذا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْناً فَيَأْتِيها بَنُوها يَسْأَلُونَها الأُدْمَ ولَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَيْها

فَتَجِدُ فيها سَمْناً فَكانَتْ تُقِيمُ ادمَها حَتّي عَصَرَتْها و كانَ يَتفِلُ في أفواهِ الصِّبْيانِ المَرَاضِعِ فَيُجزِئُهُمْ رِيقُهُ إلي اللّيْلِ ومِنْ ذَلِكَ بَرَكَةُ يَدِهِ فيما لَمَسَهُ وغَرَسَهُ لِسَلْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ كاتَبَهُ مَوَالِيهِ على ثَلْثِمائَةِ وَدِيَّةٍ يَغرِسُها لَهُمْ كُلُّها تَعلَقُ وتُطْعِمُ وعلى أرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ فَقامَ صلى اللهُ عليه وسلم وغَرَسَها لَهُ بِيَدِهِ الاّ واحِدَةً غَرَسَها غَيْرُهُ فَأَخَذَتْ كُلُّها الاّ تِلْكَ الوَاحِدَةَ فَقَلَعَها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ورَدَّها فَأَخَذَتْ وفي كِتابِ البَزّارِ فَأَطْعَمَ النَّخْلُ مِنْ عامِهِ إلاّ الوَاحِدَةَ فَقَلَعَها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وغَرَسَها فَأَطعَمَتْ مِنْ عامِها وأعْطاهُ مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أنْ أدَارَها على لِسانِهِ فَوَزَنَ مِنْها لِمَوَالِيهِ أرْبَعِينَ أوقِيَّةً وبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ ما أعْطاهُمْ وفي حَدِيثِ حنَشِ بْنِ عُقَيْلٍ سَقانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ شَرِبَ أوَّلَها وشَرِبْتُ آخِرَها فَما بَرِحْتُ أجِدُ شِبَعَها إذَا جُعْتُ وَرِيَّها إذَا عَطِشْتُ وبَرْدَها إذَا ظَمِئْتُ وأعْطَي قَتادَةَ بْنَ النُّعْمانِ وصَلّي مَعَهُ العِشاءَ في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُوناً وقالَ انطَلِقْ بِهِ فَإنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا ومِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا فَإذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَادًا فَاضْرِبْهُ حَتّي يَخْرُجَ فَإنَّهُ الشَّيْطانُ فانطَلَقَ فَأَضاءَ لَهُ العُرْجُونُ حَتّي دَخَلَ بَيْتَهُ ووَجَدَ السَّوَادَ فَضَرَبَهُ حَتّي خَرَجَ ومِنْها دَفْعُهُ لِعُكّاشَةَ جِذْلَ حَطَبٍ وقالَ اضْرِبْ بِهِ حِينَ انْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَعادَ في يَدِهِ سَيْفاً صارِماً طَوِيلَ القامَةِ أبْيَضَ شَدِيدَ المَتْنِ فَقاتَلَ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ المَوَاقِفَ إلى أنِ اسْتُشْهِدَ في قِتالِ أهْلِ الرِّدَّةِ وَ كانَ هذَا السَّيْفُ يُسَمَّي العَوْنَ ودَفْعُهُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ عَسِيبَ نَخْلٍ فَرَجَعَ في يَدِهِ

سَيْفاً ومِنْهُ بَرَكَتُهُ في دُرُورِ الشِّياهِ الحَوائِلِ باللَّبَنِ الكَثِيرِ كَقِصَّةِ شاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وأَعْنُزِ مُعاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ وشاةِ أَنَسٍ وغَنَمِ حَلِيمَةَ مُرْضِعَتِهِ وشارِفِها وشاةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ وكانَتْ لَمْ يَنْزُ عَلَيْها فَحْلٌ وشاةِ المِقْدادِ ومِنْ ذَلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحابَهُ سِقاءَ ماءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكاهُ ودَعا فِيهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُمُ الصَّلاةُ نَزَلُوا فَحَلُّوهُ فإذَا بِهِ لَبَنٌ طَيِّبٌ وزُبْدَةٌ في فَمِهِ مِنْ رِوايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ومَسَحَ على رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وبَرَّكَ فَماتَ وهُوَ ابْنُ ثَمانِينَ فَما شابَ ورُوِيَ مِثْلُ هٰذِهِ القِصَصِ عَنْ غَيْرِ واحِدٍ مِنْهُمُ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ومَدْلُوكٌ وكانَ يُوجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ طِيبٌ يَغْلِبُ طِيبَ نِسائِهِ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَسَحَ بِيَدَيْهِ على بَطْنِهِ وظَهْرِهِ وسَلَتَ الدَّمَ عَنْ وجْهِ عائِذِ ابْنِ عَمْرٍو وكانَ جُرِحَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ودَعا لَهُ فَكانَتْ لَهُ غُرَّةٌ كَغُرَّةِ الفَرَسِ ومَسَحَ على رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ الجُذامِيِّ ودَعا لَهُ فَهَلَكَ وهُوَ ابْنُ مائَةِ سَنَةٍ ورَأْسُهُ أَبْيَضُ ومَوْضِعُ كَفِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وما مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعَرِهِ أَسْوَدُ فَكانَ يُدْعَى الأَغَرَّ ورُوِيَ مِثْلُ هٰذِهِ الحِكايَةِ لِعَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الجُهَنِيِّ ومَسَحَ وجْهَ آخَرَ فَما زالَ على وجْهِهِ نُورٌ ومَسَحَ وجْهَ قَتادَةَ بْنِ مِلْحانَ فَكانَ لِوَجْهِهِ بَرِيقٌ حَتَّى كانَ يُنْظَرُ في وجْهِهِ كَما يُنْظَرُ في المِرْآةِ ووَضَعَ يَدَهُ على رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمٍ وبَرَّكَ عَلَيْهِ فَكانَ حَنْظَلَةُ يُؤْتَى بالرَّجُلِ قَدْ وَرِمَ وَجْهُهُ والشَّاةِ قَدْ وَرِمَ ضَرْعُها فَيُوضَعُ على مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فَيَذْهَبُ الوَرَمُ ونَضَحَ في وَجْهِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً مِنْ ماءٍ فَما يُعْرَفُ كانَ في وَجْهِ امْرَأَةٍ مِنَ الجَمالِ ما بِها ومَسَحَ على رَأْسِ صَبِيٍّ بِهِ عاهَةٌ فَبَرَأَ واسْتَوَى شَعَرُهُ ومِثْلُهُ رُوِيَ في خَبَرِ المُهَلَّبِ بْنِ قُبالَةَ وعلى غَيْرِ

واحِدٍ مِنَ الصِّبْيانِ والمَرْضى والمَجانِينِ فَبَرَوْا وأتاهُ رَجُلٌ بِهِ أُدْرَةٌ فأمَرَهُ أنْ يَنْضَحَهَا بِماءٍ مِنْ عَيْنٍ مَجَّ فِيهِ فَفَعَلَ فَبَرَأَ * وعنْ طاوُسٍ لَمْ يُؤْتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأحَدٍ بِهِ مَسٌّ فصَكَّ في صَدْرِهِ إلَّا ذَهَبَ المَسُّ الجُنُونُ ومَجَّ في دَلْوٍ مِنْ بِئْرٍ ثُمَّ صَبَّ فِيها فَفاحَ مِنْها رِيحُ المِسْكِ وأخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ ورَمى بِها في وُجُوهِ الكُفَّارِ وقالَ شاهَتِ الوُجُوهُ فانصَرَفُوا يَمْسَحُونَ القَذَى عَنْ أعْيُنِهِمْ وشَكَى إليْهِ أبو هُرَيْرَةَ رضيَ الله عَنْهُ النِّسْيانَ فأمَرَهُ بِبَسْطِ ثَوْبِهِ وغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ثُمَّ أمَرَهُ بِضَمِّهِ فَفَعَلَ فَما نَسِيَ شَيْئاً بَعْدُ وما يُرْوَى عَنْهُ في هذا كَثِيرٌ وضَرَبَ صَدْرَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ودَعا لَهُ وكانَ ذَكَرَ لَهُ أنَّهُ لا يَثْبُتُ على الخَيْلِ فَصارَ مِنْ أفْرَسِ العَرَبِ وأثْبَتِهِمْ ومَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الخَطَّابِ وهوَ صَغِيرٌ وكانَ دَمِيماً ودَعا لهُ بالبَرَكَةِ فَفَرَعَ الرِّجالَ طُولاً وتَماماً

(فصل)

﴿ ومِنْ ذَلِكَ ما أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الغُيُوبِ وما يَكُونُ ﴾

والأحادِيثُ في هذا البابِ بَحْرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ولا يُنْزَفُ غَمْرُهُ وهذِهِ المُعجِزَةُ مِنْ جُمْلَةِ مُعجِزاتِهِ المَعْلُومَةِ على القَطْعِ الواصِلِ إلَيْنا خَبَرُها على التَّواتُرِ لِكَثْرَةِ رُواتِها واتِّفاقِ مَعانِيها على الإطِّلاعِ على الغَيْبِ * حدثنا الإمامُ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الوَلِيدِ الفِهْرِيُّ إجازَةً وقَرَأْتُهُ علي غَيْرِهِ قالَ أبو بَكْرٍ حدثنا أبو عَلِيٍّ التُّسْتَرِيُّ حدثنا أبو عُمَرَ الهاشِمِيُّ حدثنا اللُّؤْلُؤِيُّ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا عُثْمانُ بْنُ أبي شَيْبَةَ حدثنا جَرِيرٌ عنِ الأعْمَشِ عنْ أبي

وَائِلٍ عنْ حُذَيْفَةَ قالَ قامَ فِينا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مقاماً فما تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ في مقامِهِ ذَلِكَ الي قِيامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَن نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحابِي هؤُلاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَأَعرِفُهُ فَأَذْكُرُهُ كما يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجهَ الرَّجُلِ اذا غابَ عَنْهُ ثُمَّ اذا رَآهُ عَرَفَهُ ثُمَّ قالَ حُذَيْفَةُ ما أَدرِي أَنَسِيَ أَصْحابِي أَمْ تَناسَوْهُ واللهِ ما تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم مِنْ قائِدِ فِتْنَةٍ الي أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلثَمِائَةٍ فَصاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنا بِاسْمِهِ واسْمِ أَبِيهِ وقَبِيلَتِهِ وقالَ أَبو ذَرٍّ لَقَدْ تَرَكَنا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وما يُحَرِّكُ طائِرٌ جَناحَيْهِ في السَّماءِ الَّا ذَكَّرَنا مِنْهُ عِلْمًا وقَدْ خَرَّجَ أَهْلُ الصَّحِيحِ والأَئِمَّةُ ما أَعْلَمَ بِهِ أَصْحابَهُ صلى اللهُ عليه وسلم مِمَّا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّهُورِ على أَعْدائِهِ وفَتْحِ مَكَّةَ وَبَيْتِ المَقْدِسِ والْيَمَنِ والشَّامِ والعِراقِ وظُهُورِ الأَمْنِ حَتَّي تَظْعَنَ المَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ الي مَكَّةَ لا تَخافُ إِلَّا اللهَ وأَنَّ المَدِينَةَ سَتُغْزَى وتُفْتَحُ خَيْبَرُ على يَدَيْ عَلِيٍّ في غَدِ يَوْمِهِ وما يَفْتَحُ اللهُ علي أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيا وَيُؤْتَوْنَ مِنْ زَهْرَتِها وقِسْمَتِهِمْ كُنُوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ وما يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الفُتُونِ والِاخْتِلافِ والأَهْوَاءِ وسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ وافْتِراقِهِمْ على ثَلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً النَّاجِيَةُ مِنْها فِرْقَةٌ واحِدَةٌ وأَنَّها سَتَكُونُ لَهُمْ أَنْماطٌ ويَغْدُو أَحَدُهُمْ في حُلَّةٍ ويَرُوحُ في أُخْرَي وتوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وتُرْفَعُ أُخْرَي ويَسْتُرُونَ بُيُوتَهُمْ كما تُسْتَرُ الكَعْبَةُ ثُمَّ قالَ آخِرَ الحَدِيثِ وأَنْتُمُ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ وأَنَّهُمْ إِذَا مَشَوُا المُطَيْطاءَ وخَدَمَتْهُمْ بَنات فارِسَ والرُّومِ رَدَّ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ وسَلَّطَ شِرارَهُمْ على خِيارِهِمْ وقِتالِهِمُ التُّرْكَ والخُزَرَ والرُّومَ وذَهابِ كِسْرَي

وفارِسَ حتَّى لا كِسْرَى ولا فارِسَ بعْدَهُ وذَهاب قَيْصَرَ حتَّى لا قَيْصَرَ بعْدَهُ وذَكَرَ أنّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ الي آخرِ الدَّهْرِ وبذَهابِ الأَمْثَلِ فالأَمْثَلِ منَ النَّاسِ وتقارُبِ الزَّمانِ وقبْضِ العِلْمِ وظُهُورِ الفِتَنِ والهَرْجِ وقالَ ويْلٌ لِلعَرَبِ منْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ وأنّهُ زُويَتْ لَهُ الأَرْضُ فَارِيَ مَشارِقَها ومغارِبَها وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمّتِهِ ما زُوِيَ لَهُ مِنْها ولِذَلِكَ كانَ امْتَدَّتْ في المَشارِقِ والمَغارِبِ ما بينَ أرْضِ الهِنْدِ أقْصَى المَشْرِقِ الى بَحْرِ طَنْجَةَ حَيْثُ لا عِمارَةَ وَراءَهُ وذَلِكَ مالَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ منَ الأُمَمِ ولَمْ تَمْتَدَّ في الجَنُوبِ ولا في الشّمالِ مِثْلَ ذَلِكَ وقَوْلُهُ لا يَزالُ أهْلُ الغَرْبِ ظاهِرِينَ على الحَقّ حتَّي تقُومَ السّاعَةُ ذَهَبَ ابْنُ المَدِينِيّ الى أنّهُمُ العَرَبُ لِأَنّهُمُ المُخْتَصُّونَ بالسَّقْيِ بالغَرْبِ وهِيَ الدَّلْوُ وغَيْرُهُ يذْهَبُ الي أنّهُمْ أهْلُ المَغْرِبِ وقَدْ وَرَدَ المَغْرِبُ كذَا في الحَدِيثِ بِمَعْناهُ * وفي حَدِيثٍ آخَرَ منْ رِوايَةِ أبي أُمامَةَ لا تَزالُ طائِفَةٌ منْ أُمَّتي ظاهِرِينَ على الحَقّ قاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ حتَّي يأْتِيَهُمْ أمْرُ اللهِ وهُمْ كذَلِكَ قِيلَ يارَسُولَ اللهِ وأيْنَ هُمْ قالَ بِبَيْتِ المَقْدِسِ وأخْبَرَ بِمُلْكِ بَني أُميَّةَ ووِلايَةِ مُعاوِيَةَ ووَصّاهُ واتّخاذِ بَني أُميَّةَ مالَ اللهِ دُوَلاً وخُرُوجِ وَلَدِ العَبّاسِ بالرّاياتِ السُّودِ ومُلْكِهِمْ أضْعافَ ما مَلَكُوا وخُرُوجِ المَهْدِيّ وما ينالُ أهْلُ بَيْتِهِ وتَقْتِيلِهِمْ وتَشْرِيدِهِمْ وقَتْلِ عَلِيٍّ وأنَّ أشْقاها الّذي يَخْضِبُ هٰذِهِ منْ هٰذِهِ أيْ لِحْيَتَهُ منْ رَأْسِهِ وأنّهُ قَسِيمُ النّارِ يَدْخُلُ أوْلِياؤُهُ الجَنَّةَ وأعْداؤُهُ النّارَ فكانَ فِيمَنْ عاداهُ الخَوارِجُ والنّاصِبَةُ وطائِفَةٌ مِمّنْ يُنْسَبُ الَيْهِ منَ الرّوافِضِ كَفَّرُوهُ وقالَ يُقْتَلُ عثْمانُ وهوَ يَقْرَأُ المُصْحَفَ وأنَّ اللهَ عَسَى أنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصاً وأنّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ وأنّهُ سَيَقْطُرُ دَمُهُ

على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد رضي الله عنه ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة وأخبر بشأن اويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا أحدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك

أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمُ العَجَمُ يأكُلُونَ فَيْئَكُمْ ويَضْرِبُونَ رِقابَكُمْ ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعَصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ وقَالَ خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ ويَنْذِرُونَ ولا يُوفُونَ ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ وقَالَ لا يَأْتِي زَمانٌ إِلاَّ والَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ وقَالَ هَلاكُ أُمَّتِي على يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وقَالَ أبو هُرَيْرَةَ رَاوِيهِ لَوْشِئْتُ سَمَّيْتُهُمْ لَكُمْ بَنُو فُلانٍ وبَنُو فُلانٍ وأَخْبَرَ بِظُهُورِ القَدَرِيَّةِ والرَّافِضَةِ وسَبِّ آخِرِ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا وقِلَّةِ الأَنْصارِ حَتَّى يَكُونُوا كالمِلْحِ في الطَّعامِ فلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَتَبَدَّدُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ جَماعَةٌ وأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ بَعْدَهُ أَثَرَةً وأَخْبَرَ بِشَأْنِ الخَوَارِجِ وصِفَتِهِمْ والمُخْدَجِ الَّذِي فِيهِمْ وأَنَّ سِيماهُمُ التَّحْلِيقُ وتُرَى رُعاءُ الغَنَمِ رُؤُسَ النَّاسِ والعُرَاةُ الحُفَاةُ يَتَبارَوْنَ في البُنْيانِ وأَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها وأَنَّ قُرَيْشاً والأَحْزابَ لا يَغْزُونَهُ أَبَدًا وأَنَّهُ هُوَ يَغْزُوهُمْ وأَخْبَرَ بالمُوتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ وما وعَدَ مِنْ سُكْنَى البَصْرَةِ وأَنَّهُمْ يَغْزُونَ في البَحْرِ كالمُلُوكِ على الأَسِرَّةِ وأَنَّ الدِّينَ لَوْ كانَ مَنُوطًا بالثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْ أَبْناءِ فارِسَ وهاجَتْ رِيحٌ في غَزَاتِهِ فَقالَ هاجَتْ لِمَوْتِ مُنافِقٍ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلي المَدِينَةِ وجَدُوا ذَلِكَ وقَالَ لِقَوْمٍ مِنْ جُلَسائِهِ ضِرْسُ أَحَدِكُمْ في النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ قالَ أبو هُرَيْرَةَ فَذَهَبَ القَوْمُ يَعْنِي ماتُوا وبَقِيتُ أَنا ورَجُلٌ فَقُتِلَ مُرْتَدًّا يَوْمَ اليَمامَةِ وأَعْلَمَ بالَّذِي غَلَّ خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ فَوُجِدَتْ في رَحْلِهِ وبالَّذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ وحَيْثُ هِيَ وناقَتِهُ حِينَ ضَلَّتْ وكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بالشَّجَرَةِ بِخِطامِها وبِشَأْنِ كِتابِ حاطِبٍ الي أَهْلِ مَكَّةَ وبِقَضِيَّةِ عُمَيْرٍ مَعَ صَفْوَانَ حِينَ سارَّهُ وشارَطَهُ على قَتْلِ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم فلمّا جاء عُمَيرٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله وأطلعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الأمرِ والسرِّ أسلمَ وأخبرَ بالمالِ الذي تركه عمُّهُ العبّاسُ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ أُمِّ الفضل بعدَ أنْ كتمَهُ فقالَ ماعلمهُ غيري وغيرُها فأسلمَ وأعلمَ بأنّهُ سيقتُلُ أُبَيَّ بنَ خلفٍ وفي عتبةَ بنِ أبي لهب أنهُ يأكُلُهُ كلبُ اللهِ وعنْ مصارعِ أهلِ بدرٍ فكانَ كما قالَ وقالَ في الحسنِ إنّ ابني هذا سيّدٌ وسيُصلحُ اللهُ بهِ بينَ فئتينِ ولسعدٍ لعلّكَ تُخلّفُ حتّى ينتفعَ بكَ أقوامٌ ويستضرَّ بكَ آخرونَ وأخبرَ بقتلِ أهلِ مؤتةَ يومَ قُتِلوا وبينَهمْ مسيرةُ شهرٍ أوْ أزيدَ وبموتِ النجاشيِّ يومَ ماتَ وهوَ بأرضهِ وأخبرَ فيروزَ إذْ وردَ عليهِ رسولاً منْ كسرى بموتِ كسرى ذلكَ اليومَ فلمّا حقّقَ فيروزُ القصّةَ أسلمَ وأخبرَ أبا ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ بتطريدهِ كما كانَ ووجدهُ في المسجدِ نائماً فقالَ لهُ كيفَ بكَ اذا أُخرجتَ منهُ قالَ أسكُنُ المسجدَ الحرامَ قالَ فإذا أُخرجتَ منهُ الحديثَ وبعيشهِ وحدهُ وموتهِ وحدهُ وأخبرَ أنّ أسرعَ أزواجهِ بهِ لحوقاً أطولُهنَّ يداً فكانتْ زينبَ لطولِ يدِها بالصدقةِ وأخبرَ بقتلِ الحسينِ بالطفِّ وأخرجَ بيدهِ تربةً وقالَ فيها مضجعُهُ وقالَ في زيدِ بنِ صوحانَ يسبقهُ عضوٌ منهُ إلى الجنّةِ فقُطعتْ يدهُ في الجهادِ وقالَ في الذينَ كانوا معهُ على حراء اثبتْ فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدٌ فقُتلَ عليٌّ وعمرُ وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ وطُعنَ سعدٌ رضيَ اللهُ عنهمْ وقالَ لسُراقةَ كيفَ بكَ اذا لبستَ سوارَيْ كسرى فلمّا أُتيَ بهما عمرُ ألبسهما اياهُ وقالَ الحمدُ للهِ الذي سلبَهما كسري وألبسَهما سُراقةَ وقالَ تُبنى مدينةٌ بينَ دجلةَ ودُجيلٍ وقطربُلَ والصراةِ تُجبى اليها خزائنُ الأرضِ يُخسفُ بها يعني بغدادَ وقالَ سيكونُ

في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل

أَنْ يَكُونَ دِيوانًا مُفْرَدًا يَشْتَمِلُ علي أجزاء وَحدَهُ وفيما أشرْنا اليْهِ مِنْ نُكتِ الأحاديثِ الَّتِي ذَكَرْناها كِفايَةٌ وأكثرُها فِي الصَّحِيحِ وعِنْدَ الأَئِمَّةِ

﴿ فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته مَنْ آذاه ﴾

قَالَ اللهُ تَعالي واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وقال تَعالى واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وقالَ أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ قِيلَ بِكافٍ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلَمَ أعْدَاءهُ المُشْرِكِينَ وقيلَ غَيْرُ هٰذَا وقالَ انَّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ وقالَ واذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الآيَةَ * أَخْبَرَنا القاضِي الشَّهِيدُ أبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ والفَقِيهُ الحافِظُ أبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ المَعافِرِيُّ قالا حَدَّثَنا أبُو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ قالَ حَدَّثَنا أبو يَعْلَى البَغْدادِيُّ حَدَّثنا أبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنا أبُو العَبَّاسِ المَرْوَزِيُّ حَدَّثَنا أبُو عِيسى الحافِظُ حدثنا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حدثنا مُسْلِمُ بْنُ إبْراهِيم حدثنا الحارِث بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ سَعِيدٍ الجُرَيْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ كانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ يُحْرَسُ حَتَّي نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَأَخْرَجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ فَقالَ لَهُمْ يا أيُّها النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وجَلَّ ورُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ إِذا نَزَلَ مَنْزِلاً إِخْتارَ لَهُ أصْحابُهُ شَجَرَةً يَقِيلُ تَحْتَها فأَتاهُ أعْرابِيٌّ فاخْتَرَطَ سَيْفَهُ ثُمَّ قالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فَأُرْعِدَتْ يَدُ الأَعْرابِيِّ وسَقَطَ سَيْفُهُ وضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّي سالَ دِماغُهُ فَنَزَلَتِ الآيَةُ وَقَدْ رُوِيَتْ هٰذِهِ القِصَّةُ فِي الصَّحِيحِ وأَنَّ غَوْرَثَ ابْنَ الحارِثِ صاحِبُ هٰذِهِ القِصَّةِ وأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَفَا عَنْهُ فَرَجَعَ

الى قَوْمِهِ وقالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ وقَدْ حُكِيَتْ مِثْلُ هٰذِهِ الحِكايَةِ أَنَّها جَرَتْ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وقَدِ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحابِهِ لِقَضاءِ حاجَتِهِ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ المُنافِقِينَ وَذَكَرَ مِثْلَهُ وقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ مِثْلُها في غَزْوَةِ غَطَفانَ بِذِي أَمَرٍ مَعَ رَجُلٍ اسْمُهُ دُعْثُورُ بْنُ الحارِثِ وأَنَّ الرَّجُلَ أَسْلَمَ فَلَمَّا رَجَعَ الى قَوْمِهِ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ وكانَ سَيِّدَهُمْ وأَشْجَعَهُمْ قالُوا لَهُ أَيْنَ ما كُنْتَ تَقُولُ وقَدْ أَمْكَنَكَ فَقالَ إِنِّي نَظَرْتُ الى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ في صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي وَسَقَطَ السَّيْفُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ وأَسْلَمْتُ قِيلَ وَفِيهِ نَزَلَتْ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ اذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ الآيَةَ * وفي رِوايَةِ الخَطَّابِيِّ أَنَّ غَوْرَثَ بْنَ الحارِثِ المُحارِبِيَّ أَرادَ أَنْ يَفْتِكَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وهوَ قائِمٌ على رَأْسِهِ مُنْتَضِياً سَيْفَهُ فَقالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِما شِئْتَ فَانْكَبَّ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلَّخَةٍ زُلِخَها بَيْنَ كَتِفَيْهِ ونَدَرَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ والزُّلَّخَةُ وَجَعُ الظَّهْرِ وَقِيلَ في قِصَّتِهِ غَيْرُ هٰذا وذُكِرَ أَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ الآيَةَ وقِيلَ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخافُ قُرَيْشاً فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ اسْتَلْقَى ثُمَّ قالَ مَنْ شاءَ فَلْيَخْذُلْنِي * وذَكَرَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قالَ كانَتْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ تَضَعُ العِضاهَ وَهِيَ جَمْرٌ على طَرِيقِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكَأَنَّما يَطَؤُها كَثِيباً أَهْيَلَ وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحٰقَ عَنْها أَنَّها لَمَّا بَلَغَها نُزُولُ تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَذِكْرُها بِما ذَكَرَها اللهُ مَعَ زَوْجِها مِنَ الذَّمِّ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهوَ جالِسٌ في المَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ وفي يَدِها فِهْرٌ مِنْ حِجارَةٍ فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِما لَمْ تَرَ

الا أبا بكرٍ وأخذ اللهُ تعالى ببصرها عن نبيه صلى اللهُ عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنهُ يهجوني والله لو وجدتُهُ لضربتُ بهذا الفهر فاهُ وعن الحكم بن أبي العاصي قال تواعدنا على النبي صلى اللهُ عليه وسلم حتى اذا رأيناهُ سمعنا صوتاً خلفنا ماظننا أنهُ بقي بتهامة أحدٌ فوقعنا مغشياً علينا فما أفقنا حتى قضى صلاتهُ ورجع الي أهله ثمَّ تواعدنا ليلةً أخرى فجئنا حتى اذا رأيناهُ جاءت الصفا والمروةُ فحالت بيننا وبينهُ وعن عمر رضي اللهُ عنهُ تواعدتُ أنا وأبو جهم ابن حذيفة ليلةً قتل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فجئنا منزلهُ فسمعنا لهُ فافتتح وقرأ الحاقةُ ماالحاقةُ الى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرَّا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي اللهَ عنهُ ومنهُ العبرةُ المشهورةُ والكفايةُ التامةُ عند ماأخافتهُ قريشٌ وأجمعت على قتله وبيتوهُ فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب اللهُ تعالى على أبصارهم وذرَّ التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايتهُ عن رؤيتهم في الغار بما هيأ اللهُ لهُ من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أميةُ ابنُ خلف حين قالوا ندخلُ الغار ماأربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ماأرى أنهُ قبل أن يولد محمدٌ ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريشٌ لو كان فيه أحدٌ لما كانت هناك الحمامُ وقصتهُ مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريشٌ فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسهُ واتبعهُ حتى اذا قرب منهُ دعا عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فساخت قوائمُ فرسه فخرَّ عنها واستقسم بالأزلام فخرج لهُ مايكرهُ ثمَّ

رَكِبَ وَدَنَا حَتَّى سَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وهُوَ لايَلْتَفِتُ وأبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَلْتَفِتُ وقَالَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أُتِينا فقَالَ لاتحزَنْ انَّ اللهَ مَعَنَا فَساخَتْ ثانيةً الى رُكْبَتَيْها وَخرَّ عنْها فَزَجَرَهافَنَهضَتْ ولِقَوَائِمِها مِثْلُ الدُّخانِ فَنادَاهُمْ بالأَمانِ فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أماناً كَتَبَهُ ابنُ فُهَيْرَةَ وَقِيلَ أبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَهُمْ بالأَخْبارِ وأمَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ لايَتْرُكَ أَحَدًا يَلْحَقُ بِهِمْ فانْصَرَفَ يَقُولُ لِلنّاسِ كُفِيتُمْ ماهُهُنا وَقِيلَ بلْ قَالَ لَهُما أرَاكُما دَعَوْتُما عَلَيَّ فادْعُوَالِي فَنَجا وَوَقَعَ في نَفْسِهِ ظُهُورُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وفي خَبرٍ آخَرَ أنَّ رَاعِياً عَرَفَ خَبَرَهُما فَخَرَجَ يَشْتَدُّ يُعلِمُ قُرَيْشاً فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضُرِبَ على قَلْبِهِ فَما يَدْرِى مايَصنَعُ وأُنْسِيَ ماخَرَجَ لَهُ حَتَّى رَجَعَ الى مَوْضِعِهِ وجاءَهُ فيما ذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ وَغَيْرُهُ أبُو جَهْلٍ بِصَخْرَةٍ وَهُوَ ساجِدٌ وَقُرَيْشٌ يَنظُرُونَ لِيَطْرَحَها عَلَيْهِ فَلَزِقَتْ بِيَدِهِ وَيَبِسَتْ يَدَاهُ إِلى عُنُقِهِ وأقبَلَ يَرْجِعُ القَهْقَرى إِلى خَلْفِهِ ثُمَّ سَأَلَهُ أنْ يَدْعُوَ لَهُ فَفَعَلَ فانْطَلَقَتْ يَدَاهُ وكانَ قدْ تَواعَدَ مَعَ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ وحَلَفَ لَئِنْ رَآهُ لَيَدْمَغَنَّهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ شأْنِهِ فذَكَرَ أنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ ما رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ هَمَّ بِي أنْ يَأْكُلَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ذَاكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنا لَأَخَذَهُ وَذَكَرَ السَّمَرْقَنْدِيُّ أنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي المُغِيرَةِ أَتَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لِيَقْتُلَهُ فَطَمَسَ اللهُ على بَصَرِهِ فَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وسَمِعَ قَوْلَهُ فَرَجَعَ إِلى أصْحابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نادَوْهُ وذَكَرَ أنَّ في هاتَيْنِ القِصَّتَيْنِ نَزَلَتْ انّا جَعَلْنا في أعْناقِهِمْ أغْلالاً الآيَتَيْنِ ومِنْ ذَلِكَ ماذَكَرَهُ ابنُ إِسْحاقَ في قِصَّتِهِ اذ خَرَجَ الي بَنِي قُرَيْظَةَ في أصْحابِهِ فَجَلَسَ

الي جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكي السمرقندي أنه خرج الي بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتي نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتي دخل المدينة وذكر أهل التفسير معني الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلي الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الإنسان ليطغي إلي آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي فما رفعها الا

وَهُوَ أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ وقَالَ لِي ادْنُ فَقَاتِلْ فَتَقَدَّمْتُ أَمامَهُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي وأَقِيهِ بِنَفْسِي ولَوْ لَقِيتُ أَبِي تِلْكَ السَّاعةَ لَأَوْقَعْتُ بِهِ دُونَهُ وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَرَدْتُ قَتْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفَتْحِ وهُوَ يَطُوفُ بالْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قَالَ أَفَضَالَةُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ ما كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ قُلْتُ لاشَيْءَ فَضَحِكَ واسْتَغْفَرَ لِي وَوَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِي فَسَكَنَ قَلْبِي فَوَاللهِ مارَفَعَها حَتَّى ما خَلَقَ اللهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ وَمِنْ مَشْهُورِ ذَلِكَ خَبَرُ عامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وأَرْبَدَ بْنِ قَيْسٍ حِينَ وفَدَا على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ عامِرٌ قَالَ لَهُ أَنا أَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ فَاضْرِبْهُ أَنْتَ فَلَمْ يَرَهُ فَعَلَ شَيْئاً فَلَمَّا كَلَّمَهُ في ذَلِكَ قَالَ لَهُ واللهِ ماهَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَهُ إِلَّا وَجَدْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ وَمِنْ عِصْمَتِهِ لَهُ تَعالى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودِ والكَهَنَةِ أَنْذَرُوا بِهِ وَعَيَّنُوهُ لِقُرَيْشٍ وَأَخْبَرُوهُمْ بِسَطْوَتِهِ بِهِمْ وَحَضُّوهُمْ على قَتْلِهِ فَعَصَمَهُ اللهُ تَعالى حَتَّى بَلَغَ فِيهِ أَمْرَهُ وَمِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ بالرُّعْبِ أَمامَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كما قالَ صلى الله عليه وسلم

(فصل)

ومِنْ مُعْجِزَاتِهِ الباهِرَةِ ماجَمَعَهُ اللهُ لَهُ مِنَ المَعارِفِ والعُلُومِ وخَصَّهُ بِهِ مِنَ الإِطِّلَاعِ على جَمِيعِ مَصالِحِ الدُّنْيا والدِّينِ ومَعْرِفَتُهُ بِأُمُورِ شَرائِعِهِ وقَوانِينِ دِينِهِ وَسِياسَةِ عِبادِهِ ومَصالِحِ أُمَّتِهِ وما كانَ في الأُمَمِ قَبْلَهُ وقِصَصِ الأَنْبِياءِ والرُّسُلِ والجَبابِرَةِ والقُرُونِ المَاضِيَةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ الي زَمَنِهِ وحِفْظِ شَرائِعِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَوَعْيِ سِيَرِهِمْ وَسَرْدِ أَنْبائِهِمْ وَأَيَّامِ اللهِ فِيهِمْ وَصِفاتِ

أغنيائهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الإحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لاتناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع مايدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً والتخويف بالنار آجلاً مما لايعلم علمه ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومناقثة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولاً في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكذ رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل داء البردة وماروى عنه في حديث أبي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ المِعَدَةُ حَوْضُ البَدَنِ والعُرُوقُ اليْهَا وارِدَةٌ وانْ كانَ هٰذَا حَدِيثاً لا نُصَحِّحُهُ لِضَعْفِهِ وَكَوْنِهِ مَوْضُوعاً تَكَلَّمَ عَلَيْهِ الدَّارَ قُطْنِيُّ وقَوْلِهِ خَيْرُ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ السَّعُوطُ واللَّدُودُ والحِجامَةُ والمَشِيُّ وخَيْرُ الحِجامَةِ يَوْمَ سَبْعَ عَشَرَةَ وَتِسْعَ عَشَرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ وَفِي العُودِ الهِنْدِيِّ سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الجَنْبِ وقَوْلِهِ ما مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ الى قَوْلِهِ فانْ كانَ لا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ وقَوْلِهِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ سَبَإٍ أَرَجُلٌ هوَ أَمِ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ فَقالَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً تَيامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشاءَمَ أَرْبَعَةٌ الحَدِيثَ بِطُولِهِ وكَذَلِكَ جَوابُهُ في نَسَبِ قُضاعَةَ وغَيْرُ ذَلِكَ مِمّا اضْطَرَّتِ العَرَبُ على شُغْلِها بِالنَّسَبِ الى سُؤالِهِ عَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَقَوْلِهِ حِمْيَرُ رَأْسُ العَرَبِ وَنابُها ومَذْحِجُ هامَتُها وغَلْصَمَتُها والأَزْدُ كاهِلُها وَجُمْجُمَتُها وهَمْدَانُ غارِبُها وَذِرْوَتُها وقَوْلِهِ إِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ وقَوْلِهِ في الحَوْضِ زَوَايَاهُ سَوَاءٌ وقَوْلِهِ في حَدِيثِ الذِّكْرِ وَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثالِها فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ على اللِّسانِ وأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ في المِيزَانِ وقَوْلِهِ وهوَ بِمَوْضِعٍ نِعْمَ مَوْضِعُ الحَمَّامِ هٰذَا وقَوْلِهِ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ قِبْلَةٌ وقَوْلِهِ لِعُيَيْنَةَ أَوِ الأَقْرَعِ أَنَا أَفْرَسُ بِالخَيْلِ مِنْكَ وقَوْلِهِ لِكاتِبِهِ ضَعِ القَلَمَ علي أُذُنِكَ فَانَّهُ أَذْكَرُ لِلمُمِلِّ هٰذَا مَعَ أَنَّهُ صلى اللّٰهُ عليه وسلم كانَ لا يَكْتُبُ وَلَكِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قَدْ وَرَدَتْ آثارٌ بِمَعْرِفَتِهِ حُرُوفَ الخَطِّ وَحُسْنَ تَصْوِيرِها كَقَوْلِهِ لا تَمُدُّوا بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ رَوَاهُ ابْنُ شَعْبانَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ وقَوْلِهِ في الحَدِيثِ الآخَرِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ

مُعاوِيَةَ أنَّهُ كانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ صلى الله عليهِ وسلم فَقالَ لَهُ ألقِ الدَّواةَ وَحَرِّفِ القَلَمَ وَأَقِمِ الباء وَفَرِّقِ السِّينَ وَلا تعوِّرِ المِيمَ وحَسِّنِ اللهَ ومُدَّ الرَّحْمٰنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ وهٰذا وَانْ لَمْ تَصِحَّ الرِّوَايَةُ أنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم كَتَبَ فَلا يَبْعُدُ أنْ يُرْزَقَ عِلْمَ هٰذا وَيُمْنَعَ الكِتابَةَ والقِراءَةَ * وأمَّا عِلْمُهُ صلى الله عليه وسلم بِلُغاتِ العَرَبِ وَحِفْظُهُ مَعانِيَ أَشْعارِها فأَمْرٌ مَشْهُورٌ قَدْ نَبَّهْنا على بَعْضِهِ أوَّلَ الكِتابِ وَكَذَلِكَ حِفْظُهُ لِكَثِيرٍ مِنْ لُغاتِ الأُمَمِ كَقَوْلِهِ في الحَدِيثِ سَنَهْ سَنَهْ وَهِيَ حَسَنَةٌ بالحَبَشِيَّةِ وقَوْلِهِ وَيَكْثُرُ الهَرَجُ وهوَ القَتْلُ بها وقَوْلِهِ في حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ أشْكَنْبَ دَرْدَمْ أيْ وَجَعُ البَطْنِ بالفارِسِيَّةِ الى غَيْرِ ذَلِكَ مِمّا لا يَعْلَمُ بَعْضَ هٰذا وَلا يَقُومُ بِهِ ولا بِبَعْضِهِ الَّا مَنْ مارَسَ الدَّرْسَ والعُكُوفَ على الكُتُبِ وَمُثافَنَةِ أهْلِها عُمْرَهُ وهوَ رَجُلٌ كما قالَ اللهُ تعالى أُمِّيٌّ لَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يَقْرَأْ ولا عُرِفَ بِصُحْبَةِ مَنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ ولا نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَهُمْ عِلْمٌ ولا قِراءَةٌ لِشَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ الأُمُورِ ولا عُرِفَ هوَ قَبْلُ بِشَيْءٍ مِنْها قالَ اللهُ تَعالي وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ الآيَةَ إنَّما كانَتْ غايَةُ مَعارِفِ العَرَبِ النَّسَبَ وأخْبارَ أوائِلِها والشِّعْرَ والبَيانَ وَإِنَّما حَصَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّغِ لِعِلْمِ ذَلِكَ والاشْتِغالِ بِطَلَبِهِ ومُباحَثَةِ أهْلِهِ عَنْهُ وهٰذا الفَنُّ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ صلى الله عليه وسلم ولا سَبِيلَ الي جَحْدِ المُلْحِدِ لِشَيْءٍ مِمّا ذَكَرْناهُ ولا وَجَدَ الكَفَرَةُ حِيلَةً في دَفْعِ ما نَصَصْناهُ إلَّا قَوْلَهُمْ أساطِيرُ الأوَّلِينَ وَانَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ فَرَدَّ اللهُ قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ الَيْهِ أعْجَمِيٌّ وهٰذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ثُمَّ ما قالُوهُ مُكابَرَةُ العِيانِ فإنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعلِيمَهُ الَيْهِ إمَّا سَلْمانُ أوِ العَبْدُ

الرُّومِيُّ وَسَلْمَانُ انما عَرَفَهُ بَعْدَ الهِجْرَةِ ونُزُولِ الكَثِيرِ مِنَ القُرْآنِ وظُهُورِ ما لا يَنعَدُّ مِنَ الآيَاتِ وأمَّا الرُّومِيُّ فكَانَ أسْلَمَ وكانَ يَقرَأُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم واختُلِفَ في آسمِهِ وَقِيلَ بَلْ كانَ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم يَجْلِسُ عِنْدَهُ عِنْدَ المَرْوَةِ وَكِلاهُما أعْجَمِيُّ اللِسانِ وهُمُ الفُصَحاءُ اللُّدُّ والخُطَباءُ اللُّسْنُ قَدْ عَجَزُوا عَنْ مُعارَضَةِ ما أتي بِهِ وَالإتْيانِ بِمِثْلِهِ بَلْ عَنْ فَهْمِ وَصفِهِ وَصُورَةِ تَأْلِيفِهِ وَنَظْمِهِ فَكَيْفَ بِأعْجَمِيٍّ ألْكَنَ نَعَمْ وَقَدْ كانَ سَلْمانُ أوْ بَلْعامُ الرُّومِيُّ أوْ يَعِيشُ أوْ جَبْرٌ أوْ يَسارٌ على اخْتِلافِهِمْ في اسْمِهِ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ يُكَلِّمُونَهُمْ مَدَى أعْمارِهِمْ فَهَلْ حُكِيَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيءٌ مِنْ مِثْلِ ما كانَ يَجِيءُ بِهِ مُحَمَّدٌ صلي الله عليه وسلم وهَلْ عُرِفَ واحِدٌ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وما مَنَعَ العَدُوَّ حِينَئِذٍ علي كَثْرَةِ عَدَدِهِ ودُؤُوبِ طَلَبِهِ وقُوَّةِ حَسَدِهِ أنْ يَجْلِسَ الي هٰذا فَيَأْخُذَ عَنْهُ أيْضاً ما يُعارِضُ بِهِ وَيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ما يَحْتَجُّ بِهِ على شيعَتِهِ كَفِعْلِ النَّضْرِ بنِ الحارِثِ بِما كانَ يُمَخْرِقُ بِهِ مِنْ أخْبارِ كُتُبِهِ وَلا غابَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وَسلم عنْ قَوْمِهِ ولا كَثُرَتْ اخْتِلافاتُهُ الي بِلادِ أهْلِ الكِتابِ فَيُقالُ انهُ اسْتَمَدَّ مِنْهُمْ بَلْ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ يَرْعَى في صِغَرِهِ وشَبابِهِ على عادَةِ أنْبِيائِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ بِلادِهِمْ الّا في سَفْرَةٍ أوْ سَفْرَتَيْنِ لَمْ يَطُلْ فِيهِما مُكْثُهُ مُدَّةً يَحْتَمِلُ فِيها تَعْلِيمُ القَلِيلِ فَكَيْفَ الكَثِيرُ بَلْ كانَ في سَفَرِهِ في صُحْبَةِ قَوْمِهِ وَرِفاقَةِ عَشِيرَتِهِ لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ وَلاَ خالَفَ حالُهُ مُدَّةَ مُقامِهِ بِمَكَّةَ مِنْ تَعْلِيمٍ واخْتِلافٍ الي حَبْرٍ أوْ قَسٍّ أوْ مُنَجِّمٍ أوْ كاهِنٍ بَلْ لَوْ كانَ هٰذا بَعْدُ كُلُّهُ لَكانَ مَجِيءُ ما أتي بِهِ في مُعْجِزِ القُرْآنِ قاطِعاً لِكُلِّ عُذْرٍ ومُدْحِضاً لِكُلِّ حُجَّةٍ وَمُجَلِّيًا لِكُلِّ أمْرٍ

﴿ فصل ﴾ ومِنْ خَصائِصِهِ صلى الله عليه وسلم وكَرَاماتِهِ وَباهِرِ آياتِهِ أنباؤُهُ مَعَ المَلائِكَةِ وَالْجِنِّ وَإِمْدادُ اللهِ لَهُ بالمَلائِكَةِ وطاعةُ الجِنِّ لَهُ ورُؤْيَةُ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحابِهِ لَهُمْ * قالَ اللهُ تعالى وَانْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ فانَّ اللهَ هوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ الآيَةَ وقالَ اذ يُوحِي رَبُّكَ الي المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا وقالَ اذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ الآيَتَيْنِ وقالَ وَاذْ صَرَفْنا الَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ الآيَةَ * حدثنا سُفْيانُ بْنُ العاصِ الفَقِيهُ بِسَماعِي عَلَيْهِ حدثنا أبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ قالَ حدثنا عَبْدُ الغَافِرِ الفارِسِيُّ حدثنا أبو أحْمَدَ الجُلُودِيُّ حدثنا ابْنُ سفْيانَ نا مُسْلِمٌ حدثنا عَبْدُ اللهِ بنُ مُعاذٍ حدثنا أبى حدثنا شُعْبَةُ عنْ سُلَيْمانَ الشَّيْبانِيِّ سَمعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قالَ لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرَى قالَ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلامُ في صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَناحٍ والخَبَرُ في مُحادَثَتِهِ مَعَ جِبْرِيلَ وَاسْرافِيلَ وغَيْرِهِما مِنَ المَلائِكَةِ وما شاهَدَهُ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُوَرِ بَعْضِهِمْ لَيْلَةَ الإِسْراءِ مَشْهُورٌ وقَدْ رَآهُمْ بِحَضْرَتِهِ جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ في مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ فَرَأَى أَصْحابُهُ جِبْرِيلَ عليه السلامُ في صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الإِسْلامِ والإِيمانِ ورَأَى ابنُ عبَّاسٍ وأُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ وغَيْرُهُما عِنْدَهُ جِبْرِيلَ في صُورَةِ دِحْيَةَ ورَأَى سَعْدٌ على يَمِينِهِ و يَسارِهِ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ في صُورَةِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِما ثِيابٌ بِيضٌ ومِثْلُهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ زَجْرَ المَلائِكَةِ خَيْلَها يَوْمَ بَدْرٍ وبَعْضُهُمْ رَأَى تَطايُرَ الرُّؤُسِ مِنَ الكُفَّارِ وَلا يَرَوْنَ الضَّارِبَ ورَأَى أبو سُفْيانَ ابنُ الحارِثِ يَوْمَئِذٍ رِجالًا بِيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ

مايقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين وأرى النبيُّ صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بينا نحن جلوس مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه وسلم نغمة الجن من أنت قال أنا هامة ابن الهيم بن لاقس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقديُّ قتل خالد عند هدمه العزى السوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الي سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

﴿ فصل ﴾

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالاته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان

والأحبارِ وَعُلَماءِ أهلِ الكُتُبِ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ واسْمِهِ وَعَلاماتِهِ وَذِكْرِ الخاتَمِ الذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَما وُجِدَ مِنْ ذَلِكَ في أشْعارِ المُوَحِّدِينَ المُتَقَدِّمِينَ مِنْ شِعْرِ تُبَّعٍ والأَوْسِ بنِ حارِثَةَ وَكَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ وَسُفْيانَ بنِ مُجاشِعٍ وَقُسِّ بنِ ساعِدَةَ وماذُكِرَ عَنْ سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنٍ وَغَيْرِهِمْ وَماعُرِّفَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ وَوَرَقَةُ بنُ نَوفَلٍ وَعثْكَلانُ الحِمْيَرِيُّ وَعُلَماءُ يَهُودَ وشامُولُ عالِمُهُمْ صاحِبُ تُبَّعٍ مِنْ صِفَتِهِ وَخَبَرِهِ وَما أُلْفِيَ مِنْ ذَلِكَ في التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ مِمَّا قَدْ جَمَعَهُ العُلَماءُ وَبَيَّنُوهُ وَنَقَلَهُ عَنْهُما ثِقاتُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ مِثْلُ ابنِ سَلامٍ وَبَنِي سَعْيَةَ وَابنِ يامِينَ ومُخَيْرِيقٍ وَكَعْبٍ وَأَشْباهِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَماءِ يَهُودَ وَبَحِيراءَ وَنَسْطُورِ الحَبَشَةِ وصاحِبِ بُصْرَى وضَغاطِرَ وَأُسْقُفِّ الشّامِ وَالجارُودِ وَسَلْمانَ والنَّجاشِيِّ وَنَصارَى الحَبَشَةِ وَأَساقِفِ نَجْرانَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَماءِ النَّصارَى وَقَدِ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ هِرَقْلُ وَصاحِبُ رُومَةَ عالِما النَّصارَى وَرَئِيساهُمْ وَمُقَوْقِسُ صاحِبُ مِصْرَ والشَّيْخُ صاحِبُهُ وابنُ صُورِيا وَابنُ أَخْطَبَ وَأَخُوهُ وَكَعْبُ ابنُ أَسَدٍ والزُّبَيْرُ ابنُ باطِيا وغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَماءِ اليَهُودِ مِمَّنْ حَمَلَهُ الحَسَدُ والنَّفاسَةُ على البَقاءِ على الشَّقاءِ وَالأَخْبارُ في هَذا كَثِيرَةٌ لا تَنْحَصِرُ وَقَدْ قَرَّعَ أَسْماعَ اليَهُودِ والنَّصارَى بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ في كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أَصْحابِهِ واحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ صُحُفُهُمْ وَذَمَّهُمْ بِتَحْرِيفِ ذَلِكَ وَكِتْمانِهِ وَلَيِّهِمْ أَلْسِنَتَهُمْ بِبَيانِ أَمْرِهِ وَدَعْوَتَهُمْ الي المُباهَلَةِ على الكاذِبِ فَما مِنْهُمْ الا مَنْ نَفَرَ عَنْ مُعارَضَتِهِ وَإِبْداءِ ما أَلْزَمَهُمْ مِنْ كُتُبِهِمْ اظْهارَهُ وَلَوْ وَجَدُوا خِلافَ قَوْلِهِ لَكانَ اظْهارُهُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَذْلِ النُّفُوسِ

والأَمْوَالِ وَتَخْرِيبِ الدِّيارِ وَنَبْذِ القِتالِ وَقَدْ قالَ لَهُمْ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوها ان كُنْتُمْ صادِقِينَ الى ما أَنْذَرَ بِهِ الكُهّانُ مِثْلُ شافِعِ بْنِ كُلَيْبٍ وشِقٍّ وسَطِيحٍ وسَوَادِ بْنِ قارِبٍ وخُنافِرٍ وأَفْعَي نَجْرانَ وجِذْلِ بْنِ جِذْلٍ الكِنْدِيِّ وابْنِ خَلَصَةَ الدَّوْسِيِّ وسَعْدِ ابْنِ بِنْتِ كُرَيْزٍ وفاطِمَةَ بِنْتِ النُّعْمانِ ومَنْ لا يَنْعَدُّ كَثْرَةً الي ماظَهَرَ علي أَلْسِنَةِ الأَصْنامِ مِنْ نُبُوَّتِهِ وحُلُولِ وقْتِ رِسالَتِهِ وسُمِعَ مِنْ هَوَاتِفِ الجانِّ ومِنْ ذَبائِحِ النُّصُبِ وأَجْوَافِ الصُّوَرِ وما وُجِدَ مِنِ اسْمِ النَّبِيِّ صلى اللّٰهُ عليه وسلم والشَّهادَةِ لَهُ بِالرِّسالَةِ مَكْتوباً في الحِجارَةِ والقُبُورِ بالخَطِّ القَدِيمِ ماأَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ وإِسْلامُ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مَذْكُورٌ

(فصل)

ومِنْ ذَلِكَ ماظَهَرَ مِنَ الآياتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ وما حَكَتْهُ أُمُّهُ ومَنْ حَضَرَهُ مِنَ العَجائِبِ وكَوْنُهُ رافِعاً رَأْسَهُ عِنْدَ ماوضَعَتْهُ شاخِصاً بِبَصَرِهِ الى السَّماءِ ومارَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلادَتِهِ ومارَأَتْهُ اذ ذاكَ أُمُّ عُثْمانَ بْنِ أَبِي العاصِ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ وظُهُورِ النُّورِ عِنْدَ وِلادَتِهِ حَتَّي ماتَنْظُرُ الاّ النُّورَ وقَوْلِ الشِّفَّاءِ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ لَمّا سَقَطَ صلى اللّٰهُ عليه وسلم على يَدَيَّ واسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قائِلاً يَقُولُ رَحِمَكَ اللّٰهُ وأَضاءَ لِي مابَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ حَتَّي نَظَرْتُ الي قُصُورِ الرُّومِ وما تَعَرَّفَتْ بِهِ حَلِيمَةُ وزَوْجُها ظِئْرَاهُ مِنْ بَرَكَتِهِ ودُرُورِ لَبَنِها لَهُ ولَبَنِ شارِفِها وخِصْبِ غَنَمِها

وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ وحُسْنِ نَشْأَتِهِ وما جرى مِنَ العَجائِبِ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ مِنَ ارْتِجاجِ إِيوانِ كِسْرَى وسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ وغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ وخُمُودِ نارِ فارِسَ وكانَ لهَا أَلْفُ عامٍ لَمْ تَخْمَدْ وأَنَّهُ كانَ اذا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طالِبٍ وآلِهِ وهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا ورَوُوا فاذَا غابَ فأَكَلُوا في غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا وكانَ سائِرُ وَلَدِ أَبِي طالِبٍ يُصْبِحُونَ شُعْثاً ويُصْبِحُ صلى الله عليه وسلم صَقِيلاً دَهِيناً كَحِيلاً قالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ حاضِنَتُهُ مارَأَيْتُهُ صلى الله عليه وسلم شَكَى جُوعاً ولا عَطَشاً صَغِيرًا ولا كَبِيرًا *ومِنْ ذَلِكَ حِراسَةُ السَّماءِ بالشُّهُبِ وقَطْعُ رَصَدِ الشَّياطِينِ ومَنْعُهُمْ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وما نَشَأَ عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِ الأَصْنامِ والعِفَّةِ عَنْ أُمُورِ الجاهِلِيَّةِ وما خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وحَمَاهُ حَتَّي في سَتْرِهِ في الخَبَرِ المَشْهُورِ عِنْدَ بِناءِ الكَعْبَةِ اذْ أَخَذَ إِزارَهُ لِيَجْعَلَهُ علي عاتِقِهِ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ الحِجارَةَ وتَعَرَّي فَسَقَطَ الي الأَرْضِ حَتَّي رَدَّ إِزارَهُ عَلَيْهِ فَقالَ لَهُ عَمُّهُ مابالُكَ قَالَ إِنِّي نُهِيتُ عَنِ التَّعَرِّي *ومِنْ ذَلِكَ إِظْلالُ اللهِ لَهُ بالغَمامِ في سَفَرِهِ وفي رِوايَةٍ أَنَّ خَدِيجَةَ ونِساءَها رَأَيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ ومَلَكانِ يُظِلاَّنِهِ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِمَيْسَرَةَ فأَخْبَرَها أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مُنْذُ خَرَجَ مَعَهُ في سَفَرِهِ وقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَتْ غَمامَةً تُظِلُّهُ وهُوَ عِنْدَها ورُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضاعَةِ *ومِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ في بَعْضِ أَسْفارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يابِسَةٍ فاعْشَوْشَبَ ماحَوْلَهَا وأَيْنَعَتْ هِيَ فأَشْرَقَتْ وتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصانُها بِمَحْضَرِ مَنْ رَآهُ ومَيْلُ فَيْءِ الشَّجَرَةِ الَيْهِ في الخَبَرِ الآخَرِ حَتَّي أَظَلَّتْهُ وما ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كانَ

لاظِلَّ لِشَخصِهِ في شَمْسٍ وَلا قَمَرٍ لِأَنَّهُ كانَ نُورًا وأنّ الذُّبابَ كانَ لايَقَعُ على جَسَدِهِ ولا ثِيابِهِ * وَمِنْ ذَلِكَ تَحْبِيبُ الخَلْوَةِ اليْهِ حَتَّي أُوحِيَ اليْهِ ثُمَّ إِعلامُهُ بِمَوْتِهِ ودُنُوِّ أجلهِ وأنّ قَبرَهُ في المَدِينَةِ وفي بَيْتِهِ وأنّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مِنْبَرِهِ رَوْضَةً مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ وتَخْيِيرُ اللهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وما اَشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الوَفاةِ مِنْ كَرَاماتِه وَتَشْرِيفِهِ وصَلَاةِ المَلائِكَةِ على جَسَدِهِ على مارَوَيْناهُ في بَعْضِها وَاَسْتِئذَانِ مَلَكِ المَوْتِ عَلَيْهِ ولَمْ يَستأْذِنْ على غَيْرِهِ قَبْلَهُ ونِدَائِهِمُ الَّذِي سَمِعُوهُ أنْ لا تَنْزِعُوا القَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ وما رُوِيَ مِنْ تَعْزِيَةِ الخَضِرِ والمَلائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ الي ماظَهَرَ علي أصْحابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ في حَيَاتِهِ ومَوْتِهِ كاسْتِسقاءِ عُمَرَ بِعَمِّهِ وَتَبَرُّكِ غَيرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ

(فصل)

قالَ القاضِي أبُو الفَضْلِ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ أتَيْنا في هذَا البابِ على نُكَتٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَاضِحَةٍ وجُمَلٍ مِنْ علاماتِ نُبُوَّتِهِ مُقْنِعَةٍ في واحِدٍ مِنْها الكِفايَةُ والغُنْيَةُ وتَرَكْنا الكَثِيرَ سِوَى ماذَكَرْنا واقتَصَرْنا مِنَ الأَحادِيثِ الطِّوَالِ على عَيْنِ الغَرَضِ وفَصِّ المَقْصِدِ ومِنْ كَثِيرِ الأحادِيثِ وغَرِيبِها على ماصَحَّ واشْتَهَرَ الاَّ يَسِيرًا مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشاهِيرُ الأَئِمَّةِ وحَذَفْنا الإِسْنادَ في جُمْهُورِها طَلَباً لِلاِختِصارِ وبِحَسْبِ هذَا البابِ لَوْ تُقُصِّيَ أنْ يَكُونَ دِيوَاناً جامِعاً يَشْتَمِلُ علي مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ * ومُعْجِزَاتُ نَبِيِّنا صلى الله عليه

وسلم أظهرُ مِنْ سائِرِ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ بِوَجْهَيْنِ أحدُهُما كَثْرَتُها وأنّهُ لَمْ يُؤْتَ نَبيٌّ مُعْجِزَةً الاّ وعِنْدَ نَبِيِّنَا مِثْلُها أوْ ماهُوَ أبلَغُ مِنها وقَدْ نَبَّهَ النّاسُ على ذَلِكَ فإنْ أرَدْتَهُ فَتأمّلْ فُصُولَ هٰذَا البابِ ومُعْجِزَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأنْبياءِ تَقِفْ على ذلِكَ ان شاءَ اللهُ وأمّا كَوْنُها كثِيرةً فَهٰذَا القُرْآنُ وكُلُّهُ مُعْجِزٌ وأقَلُّ مايَقَعُ الإعْجازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ أئِمّةِ المُحَقِّقِينَ سُورَةُ انّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ أوْ آيَةٌ في قَدْرِها وذَهَبَ بَعْضُهُمْ الي أنّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ كَيْفَ كانَتْ مُعْجِزَةٌ وزَادَ آخَرُونَ أنّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنْهُ مُعْجِزَةٌ وانْ كانَتْ مِنْ كَلِمَةٍ أوْ كَلِمَتَيْنِ والحَقُّ ماذَكَرْناهُ أوّلاً لِقَوْلِهِ تَعالي فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَهُوَ أقَلُّ ماتَحَدّاهُمْ بِهِ مَعَ مايَنْصُرُ هٰذَا مِنْ نَظَرٍ وتَحْقِيقٍ يَطُولُ بَسْطُهُ واذَا كانَ هٰذَا فَفِي القُرْآن مِنَ الكَلِماتِ نَحْوٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ ألفَ كَلِمَةٍ وَنَيِّفٍ على عَدَدِ بَعْضِهِمْ وَعَدَدُ كَلِماتِ إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ عَشْرُ كَلِماتٍ فَتَجزِئُ القُرْآنِ على نِسبَةِ عَدَدِ إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ أزْيدُ مِنْ سَبْعَةِ آلافِ جُزْءٍ كُلُّ واحِدٍ مِنْها مُعْجِزٌ في نَفْسِهِ ثُمّ إعْجازُهُ كَما تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ طَرِيقِ بَلاغَتِهِ وطَرِيقِ نَظْمِهِ فَصارَ في كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هٰذَا العَدَدِ مُعْجِزَتانِ فَتَضاعَفَ العَدَدُ مِنْ هٰذَا الوَجْهِ ثُمّ فِيهِ وُجُوهُ إعجازٍ أُخَرُ مِنَ الإخْبارِ بِعُلُومِ الغَيْبِ فَقَدْ يَكُونُ في السُّورَةِ الوَاحِدَةِ مِنْ هٰذِهِ التَّجزِئَةِ الخَبَرُ عَنْ أشْياءَ مِنَ الغَيْبِ كُلُّ خَبَرٍ مِنْها بِنَفْسِهِ مُعْجِزٌ فَتَضاعَفَ العَدَدُ كَرَّةً أُخرَي ثُمّ وُجُوهُ الإعْجازِ الأُخَرُ الّتِي ذَكَرْناها تُوجِبُ التَّضْعِيفَ هٰذَا في حَقِّ القُرْآنِ فلا يَكادُ يأْخُذُ العَدُّ

مُعْجِزَاتِهِ ولا يَحْوِي الحَصْرُ بَرَاهِينَهُ ثُمَّ الأَحَادِيثُ الوَارِدَةُ والأَخْبَارُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم في هٰذِهِ الأَبْوَابِ وعَمَّا دَلَّ على أمْرِهِ مِمَّا أشَرْنَا الى جُمَلِهِ يَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ هٰـذَا * الوَجْـهُ الثَّانِي وُضُوحُ مُعْجِزَاتِهِ صلى الله عليه وسلم فانَّ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ كانَت بِقَـدْرِ هِمَمِ أهلِ زَمانِهِمْ وبِحَسَبِ الفَنِّ الَّذِي سَما فِيـهِ قَرْنُهُ فَلَمَّا كانَ زَمَنُ مُوسى غايَةَ عِلْمِ أهْلِهِ السِّحْرُ بُعِثَ اليهِمْ مُوسى بِمُعْجِزَةٍ تُشْبِهُ مايَدَّعُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَيْهِ فَجاءَهُمْ مِنْها ماخَرَقَ عادَتَهُمْ ولَمْ يَكُنْ في قُدْرَتِهِمْ وأبْطَلَ سِحْرَهُمْ وكَذَٰلِكَ زَمَنُ عِيسى أغْـنَى ما كانَ الطِّبُّ وأوْفَرَ ما كانَ أهْلُهُ فَجاءَهُمْ أمْرٌ لا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وأتاهُمْ مالَمْ يَحْتَسِبُوهَ مِنْ احْياءِ المَيِّتِ وابْرَاءِ الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ دونَ مُعالَجَةٍ ولا طِبٍّ وهٰـكَذَا سائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِياءِ ثُمَّ انَّ اللهَ تَعالى بَعَثَ مُحَمَّـدًا صلى الله عليه وسلم وَجُمْلَةُ مَعارِفِ العَرَبِ وعُلُومِها أرْبَعَـةٌ البَلاغَةُ والشِّعْرُ والخَبَرُ والـكَهانَةُ فَأنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ القُرْآنَ الخارِقَ لِهٰذِهِ الأَرْبَعَـةِ فُصُولٍ مِنَ الفَصاحَةِ والإِيجازِ والبَلاغَةِ الخارِجَةِ عَنْ نَمَطِ كَلامِهِمْ ومِنَ النَّظْمِ الغَرِيبِ والأُسْلُوبِ العَجِيبِ الَّذِى لَمْ يَهْتَدُوا فى المَنْظُومِ الى طَرِيقِهِ ولا عَلِمُوا في أسالِيبِ الأَوْزَانِ مَنْهَجَهُ ومِنَ الأَخْبارِ عَنِ الـكَوائِنِ والحَوادِثِ والأَسْرَارِ والمُخَبَّآتِ والضَّمائِرِ فَتُوجَدُ علي ما كانَتْ ويَعْـتَرِفُ المُخْـبَرُ عَنْها بِصِحَّةِ ذَلِكَ وصِدْقِهِ وانْ كانَ أعْدَى العَدُوِّ فَأبْطَلَ الـكَهانَةَ الـتِي تَصْدُقُ مَرَّةً وتَـكْذِبُ عَشْرًا ثُمَّ اجْتَثَّها مِنْ أصْلِها بِرَجْمِ الشُّهُبِ ورَصْدِ النُّجُومِ وجاءَ مِنَ الأَخْبارِ عَنِ القُرُونِ السَّالِفَةِ وأنْباءِ الأَنْبِياءِ والأُمَمِ

البائِدَةِ والحَوَادثِ المَاضِيَةِ مايعْجزُ مَنْ تفرَّغَ لِهٰذَا العِلْمِ عَنْ بَعْضهِ على الوُجُوهِ التي بَسطْناها وبَيَّنّا المُعجزَ فِيها ثُمَّ بَقِيَتْ هٰذِهِ المُعْجِزَةُ الجامِعةُ لِهٰذِهِ الوُجُوهِ الي الفُصُولِ الأُخَرِ التي ذَكَرْناها في مُعْجزَاتِ القُرْآنِ ثابِتةَ الى يَوْمِ القِيامَةِ بَيِّنَةَ الحُجّةِ لِكُلِّ أُمّةٍ تأْتِي لايَخْفي وُجُوهُ ذلِكَ علي مَنْ نظَرَ فِيهِ وتأَمّلَ وُجُوهَ إعْجازِهِ الى ماأخْبَرَ بِهِ مِنَ الغيُوبِ على هٰذِهِ السَّبيلِ فلا يَمُرُّ عصْرٌ ولا زَمَنٌ الاّ ويَظْهَرُ فِيهِ صِدْقُهُ بِظُهُورِ مُخْبَرِهِ على ماأخْبَرَ فيَتَجَدَّدُ الايمانُ ويَتَظاهَرُ البُرْهانُ ولَيْسَ الخَبَرُ كالعِيانِ ولِلْمُشاهَدَةِ زِيادَةٌ في اليَقِينِ والنَّفسُ أشَدُّ طُمأْنِينةً الي عَيْنِ اليَقِينِ مِنْها الى عِلْمِ اليَقِينِ وانْ كانَ كُلٌّ عِنْدَها حَقًّا وسائِرُ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ انْقَرَضَتْ بانْقِراضِهِمْ وعُدِمَتْ بِعَدَمِ ذَوَاتِها ومُعْجِزَةُ نَبِيّنا صلى اللّهُ عليه وسلم لاتَبِيدُ ولا تَنْقَطِعُ وآياتُهُ تَتَجَدّدُ ولاتَضْمَحِلُّ ولِهٰذَا أشارَ صلى الله عليه وسلم بِقَوْلِهِ فِيما حدّثَنا القاضِي الشّهِيدُ أبُو عَلِيٍّ حدثنا القاضي أبو الوَلِيدِ حدثنا أبو ذَرٍّ حدثنا أبو مُحَمّدٍ وأبو اسحاقَ وأبوالهَيْثَمِ قالوا حدثنا الفِرَبْرِيُّ حدثنا البُخارِيُّ حدثنا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِاللهِ حدثنا اللّيْثُ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أبِيهِ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النّبِيِّ صلى اللّهُ عليهِ وسلم قالَ مامِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ الاّ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ مامِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ وانّما كانَ الّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أوْحاهُ اللّهُ اليَّ فارْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعاً يَوْمَ القِيامَةِ هٰذَا مَعْنَي الحَدِيثِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ وهُوَ الظّاهِرُ والصَّحِيحُ انْ شاءَ اللّهُ وذَهَبَ غَيْرُ واحِدٍ مِنَ العُلَماءِ في تأْوِيلِ هٰذَا الحَدِيثِ وَظُهُورِ مُعْجِزَةِ نَبِيّنا صلى اللّهُ

عليهِ وسلم الي مَعْنيَ آخَرَ مِنْ ظهُورِها بِكَوْنِها وَحياً وكلاماً لا يُمكِنُ التَّخيُّلُ فيهِ ولا التَّحيلُ عليهِ ولا التَّشبيهُ فإنَّ غيرَها مِنْ مُعجزاتِ الرُّسلِ قد رَامَ المُعانِدُونَ لَها بأشياءَ طَمِعُوا في التَّخييلِ بِها على الضُّعفاءِ كإلقاءِ السَّحَرَةِ حبالَهُمْ وَعِصيَّهُمْ وَشبهُ هذا مِمَّا يُخَيِّلُهُ السَّاحِرُ أوْ يَتحيَّلُ فيهِ والقُرْآنُ كلامٌ ليسَ لِلحيلةِ ولا لِلسِّحرِ في التَّخييلِ فيهِ عَمَلٌ فكانَ مِنْ هذا الوَجهِ عِندَهُمْ أظهَرَ مِنْ غيرِهِ مِنَ المُعجزاتِ كما لا يَتِمُّ لِشاعرٍ ولا خطيبٍ أنْ يكُونَ شاعِرًا أوْ خَطيباً بِضَرْبٍ مِنَ الحِيَلِ والتَّمويهِ والتَّأويلُ الأوَّلُ أخلَصُ وأرْضى وفي هذا التَّأويلِ الثَّاني ما يُغمِّضُ عليهِ الجَفْنُ ويُغضي

*وَجْهٌ ثالثٌ على مَذهَبِ مَنْ قالَ بالصَّرْفَةِ وأنَّ المُعارَضَةَ كانَتْ في مَقْدُورِ البَشَرِ فصُرِفُوا عنها أوْ على أحَدِ مَذهَبَيْ أهلِ السُّنَّةِ مِنْ أنَّ الإتيانَ بِمِثلِهِ مِنْ جِنسِ مَقْدُورِهِمْ ولكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَبلُ ولا يَكُونُ بَعْدُ لِأنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يُقْدِرْهُمْ ولا يُقدِرُهُمْ عليهِ وبَيْنَ المَذهَبَيْنِ فَرْقٌ بَيِّنٌ وعليهِما جَميعاً فتَرْكُ العَرَبِ الإتيانَ بِما في مَقْدُورِهِمْ أوْ ما هُوَ مِنْ جِنسِ مَقْدُورِهِمْ وَرِضاهُمْ بالبَلاءِ والجَلاءِ والسِّباءِ والإذلالِ وتغييرِ الحالِ وَسَلْبِ النُّفُوسِ والأموالِ والتَّقريعِ والتَّوبيخِ والتَّعجيزِ والتَّهديدِ والوَعيدِ أبيَنُ آيةٍ لِلعَجزِ عَنِ الإتيانِ بِمِثلِهِ والنُّكُولِ عَنْ مُعارَضَتِهِ وأنَّهُمْ مُنِعُوا عَنْ شَيْءٍ هُوَ مِنْ جِنسِ مَقْدُورِهِمْ والي هذا ذَهَبَ الامامُ أبو المَعالي الجُوَيْنيُّ وغيرُهُ قالَ وهذا عِندَنا أبلَغُ في خَرْقِ العادةِ بالأفعالِ البَديعةِ في أنفُسِها كَقَلْبِ العَصا حَيَّةً ونَحوِها فإنَّهُ قَدْ يَسْبِقُ الى بالِ النَّاظِرِ بِدارًا أنَّ

ذَلِكَ مَن اختصاصِ صاحِبِ ذَلِكَ بِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ في ذَلِكَ الفَنِّ وفَضلِ عِلْمٍ الي أنْ يَرُدَّ ذَلِكَ صَحيحُ النَّظَرِ وأمَّا التَّحدِّي لِلْخَلائِقِ المِئِينَ مِنَ السِّنِينَ بِكَلامٍ مِنْ جِنْسِ كَلامِهِمْ لِيَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يَأْتُوا فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي على المُعارَضَةِ ثُمَّ عَدَمِها الاَّ أنْ مَنَعَ اللهُ الخَلْقَ عَنْها بِمَثابَةٍ مالوْ قالَ نَبِيٌّ آيَتِي أن يَمْنَعَ اللهُ القِيامَ عَنِ النَّاسِ مَعَ مَقْدرَتِهِمْ عَلَيْهِ وارْتِفاعِ الزِّمانَةِ عَنهُمْ فَلَوْ كانَ ذَلِكَ وعَجَّزَهُمُ اللهُ تَعالي عَنِ القِيامِ لَكانَ ذَلِكَ مِنْ أبْهَرِ آيَةٍ وأظْهَرِ دِلالَةٍ وباللهِ التَّوْفيقُ وقَدْ غابَ عَنْ بَعْضِ العُلَماءِ وجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ على سائِرِ آياتِ الأنبياءِ حَتَّي احتاجَ لِلْعُذرِ عَنْ ذَلِكَ بِدِقَّةِ أفهامِ العَرَبِ وذَكاءِ ألبابِها وَوُفُورِ عُقُولِها وأنَّهُمْ أدْرَكُوا المُعجِزَةَ فيهِ بِفِطْنَتِهِمْ وجاءَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ ادْرَاكِهِمْ وغَيْرُهُمْ مِنَ القِبْطِ وبَنِي اسْرائِيلَ وغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهذِهِ السَّبيلِ بَلْ كانُوا مِنَ الغَباوَةِ وقِلَّةِ الفِطْنَةِ بِحَيْثُ جَوَّزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أنَّهُ رَبُّهُمْ وجَوَّزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ ذَلِكَ في العِجْلِ بَعْدَ إِيمانِهِمْ وعَبَدُوا المَسيحَ مَعَ اجْماعِهِمْ على صَلْبِهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فَجاءَتْهُمْ مِنَ الآياتِ الظَّاهِرَةِ البَيِّنَةِ لِلْأَبْصارِ بِقَدْرِ غِلَظِ أفْهامِهِمْ مالا يَشُكُّونَ فيهِ ومَعَ هذَا فَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّي نَرَى اللهَ جَهْرَةً ولَمْ يَصْبِرُوا على المَنِّ والسَّلْوَي واسْتَبْدَلُوا الَّذِى هُوَ أدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ والعَرَبُ على جاهِلِيَّتِها أكْثَرُها يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ وإِنَّما كانَتْ تَتَقَرَّبُ بالأصنامِ الى اللهِ زُلْفَي وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وحْدَهُ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم بِدَليلِ عَقْلِهِ وَصَفاءِ لُبِّهِ ولَمَّا جاءَهُمُ

الرَّسُولُ بِكِتابِ اللهِ فَهِمُوا حِكْمَتَهُ وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ ادْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعْجِزَتَهُ فَآمَنُوا بِهِ وازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ ايمَاناً وَرَفَضُوا الدُّنْيا كُلَّها في صُحْبَتِهِ وَهَجَرُوا دِيارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وقَتَلُوا آباءَهُمْ وأَبْناءَهُمْ في نُصْرَتِهِ وأتي في مَعْنى هٰذا بِمَا يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ وَيُعْجِبُ مِنْهُ زِبْرِجٌ لَوِ احْتِيجَ الَيْهِ وَحُقِّقَ لٰكِنَّا قَدَّمْنا مِنْ بَيانِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم وَظُهُورِها ما يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هٰذِهِ المَسالِكِ وظُهُورِها وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ وهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ

﴿ تَمَّ الجُزْءُ الأَوَّلُ مِنَ الشِّفا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفى ﴾

(وَيَلِيهِ الجُزْءُ الثَّاني وَأَوَّلُهُ القِسمُ الثَّاني فِيما يَجِبُ على الأَنامِ الي آخِرِهِ)



كتاب

الشفا بتعريف حقوق المصطفى

صلى الله عليه وسلم

وهو لعلامة زمانه تحقيقاً وعلو اسناد وامام

وقته اقتدارا ونفعاً للعباد القاضي

عياض اليحصبي رحمه الله

وأثابه رضاه

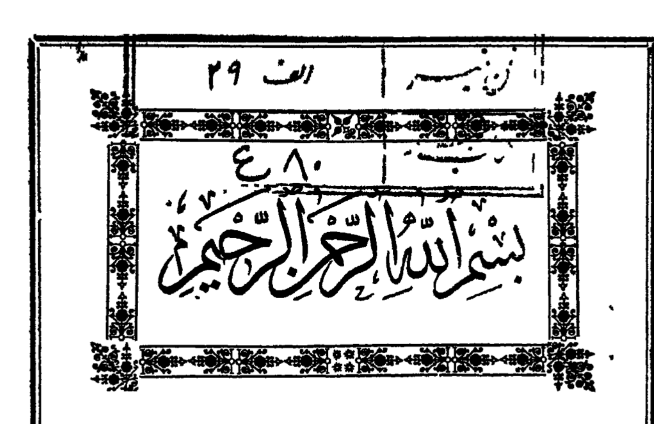
الجزء الثاني

طبع بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

على نفقة أصحابها

(مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى بمصر)



القسم الثانى

فيما يجبُ على الأنامِ مِنْ حقوقهِ صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضلِ وَفقهُ اللهُ وهذا قِسمٌ لخصنا فِيه الكلامَ في أربعةِ أبوابٍ على ما ذكرناهُ في أوّلِ الكتابِ ومجموعُها في وجوبِ تصديقهِ واتّباعهِ في سنّتهِ وطاعتهِ ومحبّتهِ ومناصحتهِ وتوقيرهِ وبرّهِ وحكمِ الصلاةِ عليهِ والتسليمِ وزيارةِ قبرهِ صلى الله عليه وسلم

الباب الاوّل

في فرض الإيمانِ به ووجوبِ طاعتهِ واتّباعِ سنتهِ

اذا تقرّرَ بما قدّمناه ثبوتُ نبوّتهِ وصحةُ رسالتهِ وَجَبَ الإيمانُ به وتصديقهُ فيما أتى به * قال اللهُ تعالى فآمنوا باللهِ ورسولِه والنورِ الّذِي أنزلنا

وقال

وقال انّا أرسلناكَ شاهِدًا ومُبَشّرًا ونَذِيرًا لِتُؤمنوا باللهِ ورسولِه وقالَ فَآمِنُوا باللهِ ورَسولِه النَّبيِّ الأُمّيِّ الآيَةَ فالإيمانُ بالنَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم واجِبٌ مُتعَيّنٌ لا يَتِمُّ ايمانٌ الّا بهِ ولا يَصِحُّ إسلامٌ الّا معَهُ قال الله تعالى ومَنْ لم يُؤمِنْ باللهِ ورسولِه فإنّا أعتَدْنا لِلكافِرينَ سَعيرًا * حدثنا ابو محمّدٍ الخُشَنِيُّ الفَقيهُ بقِرَاءَتِي عليهِ حدثنا الإمامُ أبو علِيٍّ الطَّبَرِيُّ حدثنا عبدُ الغافِرِ الفارِسِيُّ حدثنا ابنُ عَمْرَوَيْهِ حدثنا ابنُ سُفيانَ حدثنا أبو الحُسَيْنِ حدثنا أُمَيَّةُ بنُ بِسْطامٍ حدثنا يَزيدُ بنُ زُرَيْعٍ حدثنا رَوْحٌ عَن العَلاءِ بنِ عبد الرَّحمٰنِ بنِ يَعقوبَ عنْ أبيه عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتّي يَشهَدُوا أنْ لا إلٰهَ الّا اللهُ ويُؤمِنُوا بِي وَبِما جِئْتُ به فاذا فَعلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنّي دِماءَهُمْ وأموالَهُمْ الّا بِحَقِّها وحِسابُهُمْ علي اللهِ * قال القاضي أبو الفَضلِ وَفَّقَهُ اللهُ والإيمانُ به صلى الله عليه وسلم هوَ تَصديقُ نُبُوَّته ورِسالَةِ اللهِ لهُ وتَصديقُه في جميعِ ماجاءَ به وما قالَهُ ومُطابَقَةُ تصديقِ القلْبِ بذلِكَ شَهادَةَ اللِّسانِ بأنّهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فاذا اجتَمَعَ التَّصديقُ به بالقَلبِ والنُّطقُ بالشَّهادَةِ بِذلِكَ باللِّسانِ تَمَّ الإيمانُ به والتَّصديقُ لَهُ كما وَرَدَفي هٰذا الحَديثِ نَفسِهِ منْ رِوايَةِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهما أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتّي يَشهَدُوا أنْ لا الٰهَ الّا اللهُ وأنَّ محمّدًا رَسولُ اللهِ وقَدْ زادَهُ وُضوحاً في حَديثِ جِبريلَ اذْ قالَ أخبِرْني عَنِ الإسلامِ فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ تَشهَدَ أنْ لا الٰهَ الّا اللهُ وأنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ وذَكَرَ أرْكانَ الإسلامِ ثُمَّ سأَلَهُ عَنِ الإيمانِ فقالَ أنْ تُؤمِنَ باللهِ وملائكَتِهِ

وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ الحَديثَ فقَدْ قرَّرَ أنَّ الإِيمانَ به مُحتاجٌ الى العَقْدِ بالجَنانِ والإِسْلامَ به مُضطَرٌّ الى النُّطقِ باللِّسانِ وهٰذِهِ الحَالَةُ المَحْمُودَةُ التَّامَّةُ وأمَّا الحالُ المَذمُومَةُ فالشَّهادَةُ باللِّسانِ دُونَ تَصْدِيقِ القَلْبِ وهٰذا هوَ النِّفاقُ قالَ اللهُ تعالى اذا جاءكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ انَّكَ لَرَسولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ أىْ كاذِبونَ في قوْلِهِمْ ذلِكَ عَنِ اعتِقادِهِمْ وتَصْدِيقِهِمْ وهُمْ لا يَعتَقِدُونَهُ فلمَّا لمْ تُصَدِّقْ ذَلِكَ ضَمائِرُهُمْ لمْ يَنفَعْهُمْ أنْ يَقولُوا بألسِنَتِهِمْ ماليسَ في قُلوبِهِمْ فخَرَجُوا عَن اسْمِ الإيمانِ ولمْ يَكُنْ لَهُمْ فى الآخِرَةِ حُكْمُهُ اذ لم يَكُنْ مَعَهُمْ إِيمانٌ وَلَحِقُوا بالكافِرِينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ منَ النَّارِ وبَقِيَ عليهِمْ حُكْمُ الإِسْلامِ بإِظهارِ شَهادَةِ اللِّسانِ فى أحْكامِ الدُّنيا المُتَعَلِّقَةِ بالأَئِمَّةِ وحُكَّامِ المُسْلِمِينَ الذينَ أحْكامُهُمْ على الظَّواهِرِ بِما أظْهَرُوهُ منْ عَلامَةِ الإِسْلامِ اذْ لمْ يُجْعَلْ لِلبَشَرِ سَبِيلٌ الى السَّرائِرِ ولا أُمِرُوا بالبَحْثِ عنها بَلْ نَهى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عنِ التَّحَكُّمِ عليها وذَمَّ ذَلِكَ وقالَ هَلَّا شَقَقْتَ عنْ قَلبِهِ وَالفَرْقُ بَيْنَ القَوْلِ والعَقْدِ ماجُعِلَ في حَديثِ جِبْرِيلَ الشَّهادَةُ منَ الإِسْلامِ والتَّصْدِيقُ منَ الإِيمانِ وبَقِيَتْ حالَتانِ أُخْرَيانِ بَيْنَ هٰذَيْنِ احْداهُما أنْ يُصَدِّقَ بِقَلْبِهِ ثُمَّ يُختَرَمَ قَبْلَ اتِّساعِ وَقتٍ لِلشَّهادَةِ بِلسانِه فاختُلِفَ فيه فَشَرَطَ بَعضُهُمْ منْ تمامِ الإِيمانِ القَوْلَ والشَّهادَةَ به ورَآهُ بَعضُهُمْ مُؤْمِناً مُستَوْجِباً لِلجَنَّةِ لقَولِهِ صلي الله عليه وسلم يَخْرُجُ منَ النَّارِ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ منْ إِيمانٍ فَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى مافي القَلْبِ وهٰذا مُؤْمن بقَلْبِه غَيْرُ عاصٍ ولا مُفَرِّطٍ بِتَرْكِ غَيْرِه وهٰذا هوَ

الصحيح

الصَّحِيحُ في هذَا الوَجْهِ الثَّانِيَةُ أنْ يُصَدِّقَ بِقَلْبِهِ وَيُطَوِّلَ مهلَهُ وَعَلِمَ ما يَلْزَمُهُ مِنَ الشَّهادَةِ فَلَمْ يَنْطِقْ بِها جُمْلَةً وَلا استَشْهَدَ في عُمُرِهِ وَلا مَرَّةً فَهذا اختُلِفَ فِيهِ أيْضاً فَقِيلَ هُوَ مُؤْمِنٌ لِأنَّهُ مُصَدِّقٌ وَالشَّهادَةُ مِنْ جُمْلَةِ الأعْمالِ فَهُوَ عاصٍ بِتَرْكِها غَيْرُ مُخَلَّدٍ وَقِيلَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُقارِنَ عَقْدُهُ شَهادَةَ اللِّسانِ إذِ الشَّهادَةُ انْشاءُ عَقْدٍ والْتِزامُ ايمانٍ وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ مَعَ العَقْدِ وَلا يَتِمُّ التَّصْدِيقُ مَعَ المُهْلَةِ الا بِها وهٰذا هُوَ الصَّحِيحُ وَهذَا نَبْذٌ يُفْضِي الي مُتَّسَعٍ مِنَ الكَلامِ في الإسْلامِ وَالإيمانِ وأبْوابِهِما وَفي الزِّيادَةِ فِيهِما والنُّقْصانِ وَهَلِ التَّجزّي مُمْتَنِعٌ على مُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ لا يَصِحُّ فِيهِ جُمْلَةً وَانَّما يَرْجِعُ الي ما زادَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ أوْ قَدْ يَعْرِضُ فِيهِ لِاخْتِلافِ صِفاتِهِ وَتَبايُنِ حالاتِهِ مِنْ قُوَّةِ يَقِينٍ وَتَصْمِيمِ اعْتِقادٍ وَوُضُوحِ مَعْرِفَةٍ وَدَوامِ حالَةٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ وفي بَسْطِ هٰذا خُرُوجٌ عَنْ غَرَضِ التَّأْلِيفِ وفِيما ذَكَرْنا غُنْيَةٌ فِيما قَصَدْنا ان شاءَ اللهُ تعالي

فصل

وأمَّا وُجُوبُ طاعَتِهِ فإذَا وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَصْدِيقُهُ فِيما جاءَ بِهِ وَجَبَتْ طاعَتُهُ لِأنَّ ذَلِكَ مِمَّا أتي بِهِ قالَ اللهُ تَعالي يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وقالَ قُلْ أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وقالَ وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وقالَ وَانْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وقالَ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللهَ وقالَ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا وقالَ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولَئِكَ الآيَةَ وقالَ وما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ الاّ لِيُطاعَ بِإذْنِ اللهِ فَجَعَلَ تَعالى طاعَةَ رَسُولِهِ طاعَتَهُ وَقَرَنَ طاعَتَهُ بِطاعَتِهِ وَوَعَدَ علي ذَلِكَ بِجَزِيلِ

الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما أرسل الله من رسول الا فرض طاعته على من أرسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة * حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له * وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم * وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني

دَخَلَ الجَنَّةَ ومَنْ عَصانِي فَقَدْ أَبَى وفي الحَدِيثِ الآخَرِ الصَّحِيحِ عنهُ صلى الله عليه وسلم مَثَلِي ومَثَلُ مابَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْماً فَقالَ ياقَوْمِ إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيانُ فالنَّجاءَ فَأَطاعَهُ طائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فانطَلَقُوا على مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وكَذَّبَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ واجْتاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطاعَنِي واتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ ومَثَلُ مَنْ عَصانِي وكَذَّبَ ماجِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ وفي الحَدِيثِ الآخَرِ في مَثَلِهِ كَمَثَلِ مَنْ بَنَى دارًا وجَعَلَ فِيها مَأْدُبَةً وبَعَثَ داعِياً فَمَنْ أَجابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ ومَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ فالدَّارُ الجَنَّةُ والدَّاعِي مُحَمَّدٌ صلي اللهُ عليهِ وسلم فَمَنْ أَطاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ومَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللهَ ومُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ

﴿ فصل ﴾

وأَمَّا وُجُوبُ اتِّباعِهِ وامْتِثالِ سُنَّتِهِ والاقْتِداءِ بِهَدْيِهِ فَقَدْ قالَ اللهُ تَعالى قُلْ انْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وقالَ فَآمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ باللهِ وكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وقالَ فلا ورَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ الي قَوْلِهِ تَسْلِيماً أَيْ يَنْقادُوا لِحُكْمِكَ يُقالُ سَلَّمَ واسْتَسْلَمَ وأَسْلَمَ اذَا انْقادَ وقالَ تَعالي لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ الآيَةَ قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ الأُسْوَةُ في

الرَّسُولِ الاقتِدَاء بِهِ والاتّباعُ لِسُنَّتِهِ وتَرْكُ مُخالَفَتِهِ في قَولٍ أوْ فِعلٍ وقالَ غَيْرُ واحِدٍ منَ المُفَسِّرِينَ بمَعْناهُ وقِيلَ هُوَ عِتابٌ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهُ وقالَ سَهلٌ في قَوْلِهِ تَعالي صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قالَ بمُتابَعَةِ السُّنَّةِ فأَمَرَهُمْ تَعالي بِذَلِكَ وَوَعَدَهُمْ الاهتِدَاء باتّباعِهِ لِأَنَّ اللهَ تَعالي أرْسَلَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقّ لِيُزَكِّيَهُمْ ويُعَلِّمَهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ ويَهْدِيَهُمْ الي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَوَعَدَهُمْ مَحَبَّتَهُ تَعالي في الآيَةِ الأُخْرَى ومَغْفِرَتَهُ اذَا اتّبَعُوهُ وآثَرُوهُ على أهْوائِهِمْ وما تَجْنَحُ اليْهِ نُفُوسُهُمْ وأنّ صِحَّةَ ايمانِهِمْ بانقِيادِهِمْ لَهُ ورِضاهُمْ بحُكْمِهِ وتَرْكِ الاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ وَرُوِيَ عنِ الحَسنِ أنَّ أقْوَاماً قالوا يارسُولَ اللهِ انّا نُحبُّ اللهَ فأنْزَل اللهُ تَعالي قُلْ ان كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ الآيَةَ ورُوِي أنّ الآيَةَ نَزَلَتْ في كَعْبِ بنِ الأَشْرف وغَيْرِهِ وأنَّهُمْ قالوا نحْنُ أبْناء اللهِ وأحِبَّاؤُهُ ونحْنُ أشَدُّ حُبًّا للهِ فأنْزَل اللهُ الآيَةَ وقال الزَّجاجُ معْناهُ ان كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ أنْ تَقْصِدُوا طاعَتَهُ فافعَلُوا ماأمَرَكُمْ بِهِ اذ مَحَبَّةُ العَبْدِ للهِ والرَّسُولِ طاعَتُهُ لهُما ورِضاهُ بِما أمرا ومَحَبَّةُ اللهِ لَهُمْ عَفْوُهُ عَنْهُمْ وانْعامُهُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ ويُقالُ الحُبُّ مِن اللهِ عِصْمَةٌ وتَوْفِيقٌ ومِنَ العِبادِ طاعَةٌ كما قال القائلُ

تَعْصِي الإِلهَ وأنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ * هذَا لَعَمْرِي في القِياسِ بَدِيعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَهُ * انَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

ويُقالُ مَحَبَّةُ العَبْدِ للهِ تَعْظِيمُهُ لَهُ وهيْبَتُهُ مِنْهُ ومَحَبَّةُ اللهِ لهُ رَحْمَتُهُ لَهُ وارادَتُهُ الجَمِيلَ لَهُ وتَكُونُ بمَعْنَي مَدْحِهِ وثَنائِهِ عَلَيْهِ قال القُشَيْرِيُّ فاذا كانَ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ والارادةِ والمَدْحِ كانَ مِنْ صِفاتِ الذَّاتِ وسيأْتِي

بعدُ في ذِكْرِ محبَّةِ العبدِ غَيرُ هذا بحولِ اللهِ تعالي حدثنا أبو اسحاق ابْرَاهيمُ بْنُ جعفرٍ الفقيهُ قال حدثنا أبو الأصبغِ عِيسى بْنُ سَهْلٍ وحدثنا أبو الحَسنِ يونُسُ بْنُ مُغيثٍ الفقيهُ بقراءتِي عليهِ قالا حدثنا حاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال حدثنا أبو حَفْصٍ الجُهَنِيُّ حدثنا أبو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ حدثنا ابْرَاهِيمُ ابْنُ مُوسى الجَوْزِيُّ حدثنا داوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ حدثنا الوليدُ بْنُ مُسْلِمٍ عنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عنْ خالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عنْ عبدِ الرَّحمنِ بْنِ عَمْرٍو الأسْلَمِيِّ وحُجْرٍ الكَلاعِيِّ عنِ العِرْباضِ بْنِ سارِيَةَ في حدِيثِهِ في موْعِظَةِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّهُ قالَ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ وايَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمُورِ فانَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ زَادَ في حَدِيثِ جابِرٍ بِمَعْناهُ وكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ وفي حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ مُتَّكِئاً على أرِيكَتِهِ يأْتِيهِ الأمْرُ منْ أمْرِي مِمَّا أمَرْتُ بِهِ أوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فيَقُولُ لا أدْرِي ماوَجَدْنا في كِتابِ اللهِ اتَّبَعْناهُ وفي حَدِيثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها صَنَعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم شيْئاً تَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قالَ مابالُ قَوْمٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أصْنَعُهُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللهِ وأشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً ورُوِيَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قالَ القُرْآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ على مَنْ كَرِهَهُ وَهُوَ الحَكَمُ فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيثِي وفَهِمَهُ وحَفِظَهُ جاءَ معَ القُرْآنِ ومَنْ تَهاوَنَ بالقُرْآنِ وحَدِيثِي خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ أُمِرَتْ أُمَّتِي أنْ يأْخُذُوا بِقَوْلِي ويُطِيعُوا أمْرِي ويَتَّبِعُوا سُنَّتِي فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ

بالقرآنِ قالَ اللهُ تعالى وما آتاكُمُ الرَّسولُ فخُذوهُ الآية وقالَ صلى اللهُ عليه وسلم مَنِ اقتَدى بي فهُوَ مِنّي ومَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فلَيسَ مِنّي وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّهُ قالَ انَّ أحسَنَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وشَرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها وعَنْ عَبدِاللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رضى اللهُ عنه قالَ النَّبيُّ صلى الله عليهِ وسلم العِلْمُ ثَلاثَةٌ فَما سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضلٌ آيَةٌ مُحكَمَةٌ أوْ سُنَّةٌ قائِمَةٌ أوْ فَرِيضَةٌ عادِلَةٌ وعن الحَسَنِ بن أبي الحَسَنِ رَحِمَهُما اللهُ تَعالى قالَ صلى اللهُ عليه وسلم عَمَلٌ قَليلٌ في سُنَّةٍ خَيرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثيرٍ في بِدعَةٍ وقالَ صلى الله عليه وسلم انَّ اللهَ تَعالى يُدْخِلُ العَبدَ الجَنَّةَ بالسُّنَّةِ تَمَسَّكَ بِها وعنْ أبي هُرَيرَةَ رضى الله عنه عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ المُتَمَسِّكُ بِسُنَّتي عِندَ فَسادِ أُمَّتي لهُ أجرُ مائةِ شَهيدٍ وقالَ صلى الله عليه وسلم انَّ بَني اسْرائيلَ افتَرَقوا على اثنَتَينِ وسَبعِينَ مِلَّةً وانَّ أُمَّتي تَفتَرِقُ على ثَلاثٍ وسَبْعينَ كُلُّها في النَّارِ الاّ واحِدَةً قالُوا ومَنْ هُمْ يارسولَ اللهِ قالَ الّذي أنا عَلَيهِ اليَومَ وأصحابِي وعَنْ أنَسٍ قالَ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ أحيا سُنَّتي فَقَدْ أحياني ومَنْ أحيانِي كانَ مَعِيَ في الجَنَّةِ وعنْ عَمرِو بنِ عَوفٍ المُزَنِيِّ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ لِبِلالِ بنِ الحارثِ مَنْ أحيا سُنَّةً مِنْ سُنَّتي قَدْ أُميتَتْ بَعْدِي فانَّ لهُ مِنَ الأجرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِها مِنْ غَيرِ أنْ يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً ومَنِ ابتَدَعَ بِدعَةً ضَلالَةً لاتُرضِي اللهَ وَرَسُولَهُ كانَ عليهِ مِثلُ آثامِ مَنْ عَمِلَ بِها لايَنقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارِ النَّاسِ شَيئاً

﴿ فصل ﴾ وأمّا ماوَرَدَ عنِ السَّلَفِ والأئِمَّةِ مِنَ اتّباعِ سُنَّتِهِ والإقتِداءِ

بِهَدْيِهِ وسِيرَتِهِ فحدثنا الشَّيخُ أبو عِمْرَانَ مُوسى بنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ أبي تَلِيدٍ الفَقِيهُ سَماعاً عليه قالَ حدثنا أبو عُمَرَ الحافِظُ حدثنا سَعِيدُ بنُ نَصْر حدثنا قاسِمُ بنُ أَصْبَغَ وَوَهْبُ بنُ مَسَرَّةَ قالا حدثنا مُحَمَّدُ بنُ وَضَّاحٍ حدثنا يَحْيَى بنُ يَحْيَى حدثنا مالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهابٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ خالِدِ ابنِ أسِيدٍ أنَّهُ سأَلَ عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ فَقالَ ياأبا عَبْدِ الرَّحمنِ انَّا نَجِدُ صلاةَ الخَوْفِ وصلاةَ الحَضَرِ في القُرْآنِ ولا نَجِدُ صلاةَ السَّفَرِ فقالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما ياابنَ أخي انَّ اللهَ بَعَثَ الينا مُحَمَّدًا صلى اللهُ عليه وسلم ولا نَعْلَمُ شَيئًا وانما نَفْعَلُ كَما رَأَيناهُ يَفْعَلُ وقالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ سَنَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَوُلاةُ الأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَناً الأَخْذُ بِها تَصْدِيقٌ بِكِتابِ اللهِ واسْتِعْمالٌ لِطاعَةِ اللهِ وقُوَّةٌ على دِينِ اللهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُها ولا تَبْدِيلُها ولا النَّظَرُ في رَأْيِ مَنْ خالَفَها مَنِ اقْتَدَي بِها فَهُوَ مُهْتَدٍ ومَنِ انْتَصَرَ بِها مَنْصُورٌ ومَنْ خالَفَها واتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ ولَّاهُ اللهُ ماتَوَلَّى وأصْلاهُ جَهَنَّمَ وساءَتْ مَصِيرًا وقالَ الحَسَنُ بنُ أبي الحَسَنِ عَمَلٌ قَلِيلٌ في سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ في بِدْعَةٍ وقالَ ابنُ شِهابٍ بَلَغَنا عنْ رِجالٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ قالوا الاعْتِصامُ بالسُّنَّةِ نَجاةٌ وكَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه الى عُمَّالِهِ بِتَعَلُّمِ السُّنَّةِ والفَرائِضِ واللَّحْنِ أي اللُّغَةِ وقالَ انَّ ناساً يُجادِلُونَكُمْ يَعْنِي بالقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بالسُّنَنِ فانَّ أصْحابَ السُّنَنِ أعْلَمُ بِكِتابِ اللهِ وفي خَبَرِهِ حِينَ صَلَّي بِذِي الحُلَيفَةِ رَكْعَتَيْنِ فَقالَ أصْنَعُ كما رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ وعَنْ عَلِيٍّ حِينَ قَرَنَ فَقالَ لَهُ عُثْمانُ تَرَي أنِّي أنْهَي النَّاسَ عَنْهُ وتَفْعَلُهُ قالَ لَمْ أكُنْ أدَعُ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه

وسلم لِقَوْلِ أحَدٍ مِنَ النَّاسِ وعَنْهُ ألاَ إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ ولا يُوحي اليَّ ولٰكِنِّي أعْمَلُ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ما اسْتَطَعْتُ وكانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ القَصْدُ في السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاِجْتِهادِ في البِدْعَةِ وقالَ ابْنُ عُمَرَ صَلاةُ السَّفرِ رَكْعَتانِ مَنْ خالَفَ السُّنَّةَ كَفَرَ وقالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَلَيْكُمْ بالسَّبِيلِ والسُّنَّةِ فانَّهُ ماعلي الأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ على السَّبِيلِ والسُّنَّةِ ذَكَرَ اللهَ في نَفْسِهِ فَفاضَتْ عَيْناهُ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ أبَدًا وما على الأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ على السبيلِ والسُّنَّةِ ذَكَرَاللهَ في نَفْسِهِ فاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ الاَّ كانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ قَدْ يَبِسَ وَرَقُها فَهِيَ كَذٰلِكَ اذْ أصابَتْها رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَتَحاتَّ عَنْها وَرَقُها الاَّ حُطَّ عَنْهُ خَطاياهُ كما تَحاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقُها فانَّ اقْتِصادًا في سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهادٍ في خِلافِ سَبِيلٍ وسُنَّةٍ وَمُوافَقَةِ بِدْعَةٍ وانظُرُوا أنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ انْ كانَ اجْتِهادًا أوِ اقْتِصادًا أنْ يَكُونَ على مِنْهاجِ الأَنْبِياءِ وَسُنَّتِهِمْ * وكَتَبَ بَعْضُ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ الي عُمَرَ بِحالِ بَلَدِهِ وَكَثْرَةِ لُصُوصِهِ هَلْ يَأْخُذُهُمْ بالظَّنَّةِ أوْ يَحْمِلُهُمْ علي البَيِّنَةِ وما جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فَكَتَبَ الَيْهِ عُمَرُ خُذْهُمْ بالبَيِّنَةِ وما جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فإنْ لَمْ يُصْلِحْهُمُ الحَقُّ فَلاَ أصْلَحَهُمُ اللهُ وَعَنْ عَطاءٍ في قَوْلِهِ فإنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ الى اللهِ والرَّسُولِ أيْ الى كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقالَ الشَّافِعِيُّ لَيْسَ في سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاَّ اتِّباعُها وقالَ عُمَرُ وَنَظَرَ الى الحَجَرِ الأَسْوَدِ انَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ وَلَوْلا أنِّي رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ ثُمَّ قَبَّلَهُ وَرُؤِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يُدِيرُ ناقَتَهُ في

مَكانٍ فَسُئِلَ عنهُ فقالَ لا أدري الاّ أنِّي رأيتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فعلَهُ ففعلتُهُ وقالَ أبو عثمانَ الحيريُّ مَنْ أمَّرَ السُّنَّةَ على نفسهِ قولاً وفعلاً نطقَ بالحكمةِ ومَنْ أمَّرَ الهوى على نفسهِ نطقَ بالبدعةِ وقالَ سهلٌ التُّستريُّ أصولُ مذهبنا ثلاثةٌ الاقتداءُ بالنبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم في الأخلاقِ والأفعالِ والأكلُ منَ الحلالِ واخلاصُ النيَّةِ في جميعِ الأعمالِ وجاءَ في تفسيرِ قولهِ تعالي والعملُ الصالحُ يرفعهُ أنهُ الاقتداءُ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وحُكِيَ عنْ أحمدَ بنِ حنبلٍ قالَ كنتُ يوماً معَ جماعةٍ تجرَّدُوا ودخلُوا الماءَ فاستعملتُ الحديثَ مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يدخلُ الحمَّامَ الاَّ بمئزرٍ ولمْ أتجرَّدْ فرأيتُ تلكَ الليلةَ قائلاً لي يا أحمدُ أبشرْ فإنَّ اللهَ قدْ غفرَ لكَ باستعمالكَ السنَّةَ وجعلكَ اماماً يُقتدَى بكَ قلتُ مَنْ أنتَ قالَ جبريلُ

(فصل)

ومخالفةُ أمرهِ وتبديلُ سنَّتهِ ضلالٌ وبدعةٌ متوعَّدٌ منَ اللهِ عليهِ بالخذلانِ والعذابِ قالَ اللهُ تعالى فليحذرِ الذينَ يخالفونَ عنْ أمرهِ أنْ تصيبهمْ فتنةٌ أوْ يصيبهمْ عذابٌ اليمٌ وقالَ ومَنْ يشاققِ الرسولَ منْ بعدِ ماتبيَّنَ لهُ الهُدَى ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّهِ ماتولَّي الآيةَ حدثنا أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ عتَّابٍ بقراءتى عليهما قالا حدثنا أبو القاسمِ حاتمُ بنُ محمدٍ حدثنا ابو الحسنِ القابسيُّ حدثنا أبو الحسينِ بنُ مسرورٍ الدبَّاغُ حدتنا أحمدُ بنُ أبي سليمانَ حدثنا سحنونُ بنُ سعيدٍ حدثنا ابنُ القاسمِ حدثنا مالكٌ عنِ العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ عنْ أبيهِ عنْ

أبي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَرَجَ الي المَقبَرَةِ وذَكَرَ الحَدِيثَ في صِفَةِ أُمتِهِ وفِيهِ فَلَيُذادَنَ رِجالٌ عن حَوْضِي كَما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ فأُنادِيهِمْ ألاَ هَلُمَّ ألا هَلُمَّ ألا هَلُمَّ فَيُقالُ انَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فأقولُ فَسُحْقًا فَسُحْقًا فَسُحْقًا وَرَوَي أنَسٌ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وقالَ مَنْ أدْخَلَ في أمرِنا ماليْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ وروَى ابْنُ أبِي رَافِعٍ عَنْ أبِيهِ عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ مُتَّكِئًا علي أرِيكَتِهِ يأتيهِ الأمْرُ مِنْ أمْرِي مِمَّا أمَرْتُ بِهِ أوْ نَهَيْتُ عَنهُ فَيَقُولُ لاأدْرِى ماوجَدْنا في كِتابِ اللهِ اتبَعْناهُ زَادَ في حديثِ المِقْدامِ ألا وانَّ ماحَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم مِثْلُ ماحَرَّمَ اللهُ وقالَ صلى الله عليه وسلم وجيءَ بِكِتابٍ في كَتِفٍ كَفَى بِقَوْمٍ حُمْقًا أوْ قالَ ضَلالاً أنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ الى غَيْرِ نَبِيِّهِمْ أوْ كِتابٍ غَيْرِ كِتابِهِمْ فَنَزَلَتْ أوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنزلنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ الآيَةَ وقالَ صلي الله عليه وسلم هلَكَ المُتَنَطِّعُونَ وقالَ أبو بَكْرٍ الصِدِّيقُ رضى الله عنه لَسْتُ تارِكاً شَيْئًا كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ بِهِ الاَّ عَمِلْتُ بِهِ انِّي أخْشي انْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أمْرِهِ أنْ أزِيغَ

الباب الثانى في لزوم محبته صلى الله عليه وَسلم

قالَ اللهُ تَعالي قُلْ انْ كانَ آباؤُكُمْ وَأبْناؤُكُمْ وَاخْوانُكُمْ وَازْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها الآيَةَ فَكَفَي بِهذا حَضًّا وتَنْبِيهاً وَدِلالَةً وحُجَّةً على الزَامِ مَحَبَّتِهِ وَوُجُوبِ فَرْضِها وعِظَمِ خطَرِهاواسْتِحْقاقِهِ لَهاصلى الله عليه

وسلم اذ قَرَّعَ تعالى مَنْ كانَ مالُهُ وأهلُهُ وَوَلَدُهُ أحبَّ اليهِ مِنَ اللهِ ورسُولِهِ وأوْعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ تعالى فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يأتِيَ اللهُ بأمْرِهِ ثُمَّ فَسَّقَهُمْ بِتمامِ الآيَةِ وأعْلَمَهُمْ أنَّهُمْ مِمَّنْ ضَلَّ ولَمْ يهْدِهِ اللهُ حدثنا أبو علِيٍّ الغسَّانِيُّ الحافِظُ فِيما أجازَنِيهِ وَهُوَ مِمَّا قَرَأْتُهُ على غَيْرِ واحِدٍ قالَ حدثنا سِرَاجُ ابنُ عَبْدِاللهِ القاضِي حدثنا أبو مُحَمَّدٍ الأصِيلِيُّ حدثنا المَرْوَزِيُّ حدثنا أبو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يوسُفَ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ اسْماعِيلَ حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ ابْرَاهِيمَ حدثنا ابنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبْدِالعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أنَسٍ رضى الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ لايُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ اليْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضى اللهُ عنه نَحْوُهُ وعَنْ أنَسٍ عنه صلى الله عليه وسلم ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ أنْ يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أحَبَّ اليْهِ مِمَّا سِوَاهُما وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لايُحِبُّهُ الاَّ لِلهِ وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ وعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضى الله عنه أنَّهُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَأَنْتَ أحَبُّ الَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الاَّ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَنْ يُؤْمِنَ أحَدُكُمْ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ اليْهِ مِنْ نَفْسِهِ فَقالَ عُمَرُ والَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ لَأَنْتَ أحَبُّ الَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الآنَ يا عُمَرُ قالَ سَهْلٌ مَنْ لَمْ يَرَ وِلايَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأحْوَالِ ويَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ صلى الله عليه وسلم لايَذُوقُ حَلاوَةَ سُنَّتِهِ لِأنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ اليْهِ مِنْ نَفْسِهِ الحَدِيثَ

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدَّثنا أبُو محمَّدٍ بنُ عتّابٍ بقِراءتي عليه حدثنا أبو القاسمِ حاتِمُ بنُ محمَّدٍ حدثنا أبو الحَسَنِ عَليُّ بنُ خلَفٍ حدثنا أبو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ حدثنا محمَّدُ بنُ يُوسُفَ حدثنا محمَّدُ بنُ اسماعيلَ حدثنا عبْدَانُ حدثنا أبي حدثنا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بنِ مُرَّةَ عَنْ سالِمِ بنِ أبي الجَعْدِ عَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَجُلاً أتَى النَّبيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم فَقالَ مَتَى السَّاعَةُ يارَسُولَ اللهِ قالَ ما أعْدَدْتَ لَها قالَ ما أعْدَدْتُ لَها مِنْ كَثِيرِ صلاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صَدَقَةٍ ولٰكِنِّي أُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ قالَ أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ قُدامَةَ هاجَرْتُ الى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فأتَيْتُهُ فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهِ ناوِلْنِي يَدَكَ أُبايِعْكَ فَناوَلَنِي يَدَهُ فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهِ انِّي أُحِبُّكَ قالَ المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ وَرَوَى هٰذا اللَّفْظَ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وأبو مُوسٰى وأنَسٌ وعَنْ أبِي ذَرٍّ بِمَعْناهُ وعَنْ عَلِيٍّ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وحُسَيْنٍ فَقالَ مَنْ أحَبَّنِي وأحَبَّ هٰذَيْنِ وأباهُما وأُمَّهُما كانَ مَعِي في دَرَجَتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَرُوِيَ أنَّ رَجُلاً أتَى النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فَقالَ يا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أحَبُّ الَيَّ مِنْ أهْلِي ومالي وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَما أصْبِرُ حَتَّى أجِيءَ فَأَنْظُرَ اليكَ وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي ومَوْتَكَ فَعَرَفْتُ أنَّكَ اذا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ وانْ دَخَلْتُها لا أراكَ فأنْزَلَ اللهُ تَعالى ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً فَدَعابِهِ فَقَرَأَها عَلَيْهِ * وفي حديثٍ آخَرَ كانَ رَجُلٌ

عِنْدَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَنظُرُ اليهِ لا يَطْرِفُ فقالَ مابالُكَ قالَ بأبي أنْتَ وأُمِّي أتمتَّعُ مِنَ النَّظَرِ اليكَ فاذا كانَ يَوْمَ القِيامَةِ رفعَكَ اللهُ بتفضيلِه فأَنزَلَ اللهُ الآيَةَ * وفي حديثِ أنسٍ رضي الله عنه مَنْ أحبَّنِي كانَ معِي في الجَنَّةِ

فصل فيما رُوِيَ عن السلفِ والأئمةِ

﴿ من محبتهم لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم وشوقِهم له ﴾

حدثنا القاضي الشَّهِيدُ حدثنا العُذْرِيُّ حدثنا الرَّازيُّ حدثنا الجُلُودِيُّ حدثنا ابنُ سُفْيانَ حدثنا مُسْلِمٌ حدثنا قُتَيْبَةُ حدثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ عنْ سُهَيْلٍ عن أبيهِ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ مِنْ أشَدِّ أُمَّتِي لي حُبًّا ناسٌ يَكُونُونَ بَعْدِى يَوَدُّ أحَدُهُمْ لوْ رَآنى بأهْلِهِ ومالِهِ ومِثْلُهُ عَنْ أبي ذَرٍّ وتَقَدَّمَ حديثُ عُمَرَ رضي الله عنهُ وقَوْلُهُ لِلنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لَأَنْتَ أحَبُّ اليَّ مِنْ نَفْسِي وما تَقَدَّمَ عَنِ الصَّحابَةِ في مِثْلِهِ وعنْ عَمْرِو بنِ العاصِ رضى اللهُ عنه ما كانَ أحَدٌ أحَبَّ اليَّ مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وعنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خالِدِ بنِ مَعْدَانَ قالَتْ ما كانَ خالِدٌ يأوِى الى فِراشٍ الّا وهوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِه الى رسولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم والى أصْحابِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ يُسَمِّيهِمْ ويَقُولُ هُمْ أصْلِي وفَصْلِي واليهِمْ يَحِنُّ قَلْبِي طالَ شَوْقِي اليْهِمْ فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي اليكَ حَتَّي يَغْلِبَهُ النَّوْمُ ورُوِىَ عنْ أبى بَكْرٍ رضي الله عنهُ أنَّهُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم والذى بَعَثَكَ بالحَقِّ لَإِسْلامُ

أبى طالِبٍ كانَ أقرّ لِعيْني مِنْ إسْلامِهِ يَعْني أباهُ أبا قُحافَةَ وذلِكَ أنّ اسْلامَ أبي طالبٍ كانَ أقرّ لِعينِكَ ونحوُهُ عنْ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ قالَ لِلعبّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ تُسْلِمَ أحبُّ اليَّ منْ أنْ يُسْلِمَ الخطّابُ لِأنَّ ذلكَ أحبُّ الى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعنِ ابنِ إسحٰقَ أنَّ امْرَأَةً منَ الأنصارِ قُتِلَ أبوها وأخوها وزوْجها يوْمَ أُحُدٍ معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقالَتْ ما فعَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالوا خيرًا هوَ بحمْدِ اللهِ كما تُحِبّينَ قالَتْ أرِنيهِ حتّى أنظُرَ اليْهِ فلمّا رأَتْهُ قالَتْ كُلُّ مُصيبةٍ بعْدَكَ جَلَلٌ وسُئِلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه كيْفَ كانَ حُبُّكُمْ لرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ كانَ واللهِ أحبَّ الَيْنا منْ أمْوالِنا وأوْلادِنا وآبائِنا وأُمّهاتِنا ومِنَ المَاءِ البارِدِ على الظَّمَأِ وعَنْ زَيْدِ بنِ أسْلَمَ خرَجَ عمرُ رضي الله عنهُ لَيْلَةً يَحْرُسُ النّاسَ فرَأى مِصْباحاً في بَيْت واذا عَجُوزٌ تَنفُشُ صُوفاً وتَقُولُ

على محمّدٍ صَلاةُ الأبْرار * صَلّى عليهِ الطَّيّبُونَ الأَخْيار

قدْ كُنْتَ قوّاماً بُكًا بالأسْحار * ياليْتَ شِعْرِى والمَنايا أطْوار

هلْ تَجْمعُني وحَبيبِي الدّار

تَعْنِى النّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَجلَسَ عمرُ رضي الله عنهُ يَبْكي وفي الحِكايَةِ طُولٌ * ورُوِيَ أنْ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ خَدِرَتْ رِجْلُهُ فَقِيلَ لهُ اذْكُرْ أحبَّ النّاسِ اليكَ يزُلْ عنْكَ فَصاحَ يا محمّداهْ فانْتَشرَتْ ولمّا احتُضِرَ بِلالٌ رضي الله عنه نادَتِ امرَأَتُهُ واحزْناهْ فقالَ واطَرباهْ غداً ألْقى الأحِبَّهْ محمّدًا وحِزْبَهْ * ويُرْوَى أنّ امرَأَةً قالَتْ لِعائِشةَ رضيَ اللهُ عنها اكْشِفِي لي

قَبْرَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فكشفتهُ لها فبكت حتي ماتت ولمَّا أخرجَ أهلُ مكةَ زيدَ بنَ الدثنةِ منَ الحرمِ ليقتلوهُ قالَ لهُ أبو سفيانَ ابنُ حربٍ أنشدُكَ اللهَ يا زيدُ أتحبُّ أنَّ محمدًا الآنَ عندَنا مكانَكَ يُضربُ عنقهُ وانَّكَ في أهلِكَ فقالَ زيدٌ واللهِ ما أُحبُّ أنَّ محمدًا الآنَ في مكانِهِ الذي هوَ فيهِ تُصيبهُ شوكةٌ وانّي جالسٌ في أهلي فقالَ أبو سفيانَ ما رأيتُ منَ النَّاسِ أحدًا يُحبُّ أحدًا كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا * وعنِ ابنِ عبَّاسٍ كانَتِ المرأةُ اذا أتتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم حلَّفها باللهِ ماخرجتْ من بُغضِ زوجٍ ولا رغبةً بأرضٍ عنْ أرضٍ وما خرجتْ الّا حُبًّا للهِ ورسولِهِ ووقفَ ابنُ عمرَ على ابنِ الزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهما بعدَ قتلِهِ فاستغفرَ لهُ وقالَ كُنتَ واللهِ ما علمتُ صوَّاماً قوَّاماً تُحبُّ اللهَ ورسولَهُ

(فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم)

اعلمْ أنَّ منْ أحبَّ شيئًا آثرَهُ وآثرَ موافقتَهُ والّا لمْ يكنْ صادقاً في حُبِّهِ وكانَ مدَّعياً فالصادقُ في حُبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم منْ تظهرُ علامةُ ذلكَ عليهِ وأوّلُها الاقتداءُ بهِ واستعمالُ سُنَّتِهِ واتِّباعُ أقوالِهِ وأفعالِهِ وامتثالُ أوامرِهِ واجتنابُ نواهيهِ والتأدُّبُ بآدابِهِ في عُسرِهِ ويُسرِهِ ومنشطِهِ ومكرَهِهِ وشاهدُ هذا قولُهُ تعالى قُلْ إنْ كُنتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبعُوني يُحبِبكُمُ اللهُ وإيثارُ ما شرعَهُ وحضَّ عليهِ على هوَي نفسِهِ وموافقةِ شهوتِهِ قالَ اللهُ تعالى والذينَ تبوَّؤُا الدَّارَ والإيمانَ منْ قبلِهمْ يُحبُّونَ منْ هاجرَ اليهمْ ولا يجدُونَ في صُدورِهمْ حاجةً ممَّا أُوتوا ويُؤثرونَ على أنفسِهمْ ولوْ

كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وإسْخاطُ العِبادِ في رِضَى اللهِ تعالى * حدثنا القاضي أبو عَلِيٍّ الحافِظُ حدثنا أبو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأبو الفَضْلِ بنُ خَيْرُونَ قالا حدثنا أبو يَعْلَى البغْدادِيُّ حدثنا ابو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ مَحْبُوبٍ حدثنا أبو عيسى حدثنا مُسْلِمُ بنُ حاتِمٍ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ عنْ أبيهِ عنْ عَلِيِّ بن زَيْدٍ عنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قالَ قالَ أنَسُ بنُ مالِكٍ رضي اللهُ عنه قالَ لِي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يا بُنَيَّ إنْ قَدَرْتَ أنْ تُصْبِحَ وتُمْسِيَ لَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فافْعَلْ ثُمَّ قالَ لِي يا بُنَيَّ وذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ومَنْ أحيا سُنَّتِي فَقَدْ أحَبَّنِي ومَنْ أحَبَّنِي كانَ مَعِي في الجَنَّةِ فَمَنِ اتصفَ بِهٰذِهِ الصِفَةِ فَهُوَ كامِلُ المَحَبَّةِ لِلّٰهِ ورَسولِه ومَنْ خالَفَها في بَعْضِ هٰذِهِ الأُمُورِ فَهُوَ ناقِصُ المَحَبَّةِ ولا يَخْرُجُ عَنِ اسْمِها ودَلِيلُهُ قَوْلُهُ صلى اللهُ عليه وسلم لِلَّذِي حَدَّهُ في الخَمْرِ فَلَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وقالَ ما أكْثَرَ ما يُؤْتَى به فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لا تَلْعَنْهُ فانَّهُ يُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ * ومِنْ علاماتِ مَحَبَّةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم كَثْرَةُ ذِكْرِهِ لَهُ فَمَنْ أحَبَّ شَيْئاً أكْثَرَ ذِكْرَهُ ومنها كَثْرَةُ شَوْقِهِ الى لقائِهِ فَكُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ لِقاءَ حَبِيبِهِ وفي حَدِيثِ الأشْعَرِيِّينَ عِنْدَ قُدُومِهِمِ المَدِينَةَ أنَّهُمْ كانُوا يَرْتَجِزُونَ (غداً نَلْقَى الأحِبَّةْ * مُحَمَّداً وصَحْبَهْ) وتَقَدَّمَ قَوْلُ بِلالٍ ومِثْلُهُ قالَ عَمَّارٌ قَبْلَ قَتْلِهِ وما ذَكَرْناهُ مِنْ قِصَّةِ خالِدِ بْنِ مَعْدانَ * ومِنْ علاماتِهِ مَعَ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ تَعْظِيمُهُ لَهُ وتَوْقِيرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ واظْهارُ الخُشُوعِ والانكِسارِ مَعَ سَماعِ اسْمِهِ قالَ اسْحاقُ التُّجِيبِيُّ كانَ أصْحابُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بَعْدَهُ لايَذْكُرُونَهُ الاّ خَشَعُوا واقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وبَكَوْا وكَذٰلِكَ كَثِيرٌ مِنَ التّابِعِينَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

مَحَبَّةً لَهُ وشَوْقاً اليهِ ومِنهُمْ مَنْ يفعلُهُ تَهيُّباً وتَوْقِيرًا * ومِنها مَحَبَّتُهُ لِمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ومَنْ هُوَ بِسَبَبِهِ مِنْ آلِ بَيْتِهِ وصَحابَتِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنصارِ وعَداوَةُ مَنْ عاداهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وسَبَّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّ وقدْ قالَ صلى الله عليه وسلم في الحَسَنِ والحُسَيْنِ اللَّهُمَّ اِنِّي أُحِبُّهُما فَأَحِبَّهُما وفي رِوايَةٍ في الحَسَنِ اللَّهُمَّ اِنِّي أُحِبُّهُ فاحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وقالَ مَنْ أَحَبَّهُما فَقَدْ أَحَبَّنِي ومَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ ومَنْ أَبْغَضَهُما فَقَدْ أَبْغَضَنِي ومَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ وقالَ اللهَ اللهَ في أَصْحابِي لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذانِي وَمَنْ آذانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يأْخُذَهُ وَقالَ في فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها انَّها بِضعَةٌ مِنِّي يُغْضِبُنِي ما أَغْضَبَها وَقالَ لِعائِشَةَ في أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ اَحِبِّيهِ فإِنِّي أُحِبُّهُ وقالَ آيَةُ الإِيمانِ حُبُّ الأَنصارِ وَآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُهُمْ وَفي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ فَبِالْحَقِيقَةِ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ كُلَّ شَيْءٍ يُحِبُّهُ وَهٰذِهِ سِيرَةُ السَّلَفِ حَتَّى فِي المُباحاتِ وَشَهَواتِ النَّفْسِ وَقَدْ قالَ أَنَسٌ حِينَ رَأَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وَسلم يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوالَيِ القَصْعَةِ فما زِلْتُ أُحِبُّ الدباءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ وهٰذا الحَسَنُ ابنُ عَلِيٍّ وعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وابْنُ جَعْفَرٍ أَتَوْا سَلْمَى وسأَلُوها أَنْ تَصنَعَ لَهُمْ طَعاماً مِمَّا كانَ يُعْجِبُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وكانَ ابْنُ عُمَرَ يَلْبَسُ النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ ويَصْبُغُ بالصُّفْرَةِ اذ رَأَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم يَفْعَلُ نَحْوَ ذَلِكَ * ومِنها بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَ اللهَ ورَسُولَهُ ومُعاداةُ

مَنْ عاداهُ ومُجانبَةُ مَنْ خالَفَ سُنَّتَهُ وابْتَدَعَ في دِينِهِ واستِثْقالُهُ كُلَّ أمْرٍ يُخالِفُ شَرِيعَتَهُ قالَ اللهُ تَعالي لاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ وهؤُلاءِ أصْحابُهُ صلي الله عليه وسلم قدْ قَتَلُوا أحِبّاءَهُمْ وقاتَلُوا آباءَهُمْ وأبْناءَهُمْ في مَرْضاتِهِ وقالَ لَهُ عَبْدُاللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ لوْ شِئْتَ لَأَتَيْتُكَ بِرَأْسِهِ يَعْنِي أباهُ * ومِنْها أنْ يُحِبَّ القُرْآنَ الذِي أتي بِهِ صلي الله عليه وسلم وهَدَى بِهِ واهتَدَى وتَخَلَّقَ بِهِ حَتَّي قالَتْ عائِشَةُ رضي الله عنها كانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ وحُبُّهُ لِلْقُرْآنِ تِلاوَتُهُ والعَمَلُ بِهِ وتَفَهُّمُهُ ويُحِبُّ سُنَّتَهُ ويَقِفُ عِنْدَ حُدُودِها قالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِاللهِ عَلامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ القُرْآنِ وعلامَةُ حُبِّ القُرْآنِ حُبُّ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم وعلامَةُ حُبِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حُبُّ السُّنَّةِ وعلامَةُ حُبِّ السُّنَّةِ حُبُّ الآخِرَةِ وعلامَةُ حُبِّ الآخِرَةِ بُغْضُ الدُّنْيا وعلامَةُ بُغْضِ الدُّنْيا أنْ لا يَدَّخِرَ مِنْها الاّ زادًا وبُلْغَةً الي الآخِرَةِ * وقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لا يَسْأَلُ أحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ الّا القُرْآنَ فإنْ كانَ يُحِبُّ القُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ * ومِنْ عَلاماتِ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شَفَقَتُهُ علي أُمَّتِهِ ونُصْحُهُ لَهُمْ وسَعْيُهُ في مَصالِحِهِمْ وَرَفْعُ المَضارِّ عَنْهُمْ كما كانَ صلى الله عليه وسلم بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفًا رَحِيماً * ومِنْ عَلامَةِ تَمامِ مَحَبَّتِهِ زُهْدُ مُدَّعِيها في الدُّنْيا وإِيثارُهُ الفَقْرَ واتِّصافُهُ بِهِ وقَدْ قالَ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ انّ الفَقْرَ الى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ مِنْ أعْلى الوادِى أوِ الجَبَلِ الى أسْفَلِهِ * وفي حَديث عبدِ اللهِ ابنِ مُغَفَّلٍ قالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يارَسُولَ اللهِ إِنِّى أُحِبُّكَ فَقالَ انْظُرْ ماتَقُولُ قالَ واللهِ إِنِّي أُحِبُّكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ قالَ ان كُنْتَ

مُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلفَقرِ تِجفافاً ثُمَّ ذَكَرَ نَحوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بِمَعناهُ

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلَفَ النَّاسُ في تَفسِيرِ مَحبَّةِ اللهِ ومَحبَّةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وكَثُرَتْ عِباراتُهُمْ في ذَلِكَ ولَيسَتْ تَرجِعُ بالحَقِيقَةِ الى اختِلافِ مَقالٍ ولٰكِنَّها اختِلافُ أحوالٍ فقالَ سُفيانُ المَحبَّةُ اتِّباعُ الرَّسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلم كأنَّهُ التفَتَ الى قَولِه تعالي قُلْ إنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِى الآيَةَ وقالَ بَعضُهُمْ مَحبَّةُ الرَّسولِ اعتِقادُ نُصرَتِه والذَّبُّ عن سُنَّتِه والانقِيادُ لَها وهَيبَةُ مُخالَفَتِه وقالَ بَعضُهُمْ المَحبَّةُ دَوامُ الذِّكرِ لِلمَحبُوبِ وقالَ آخَرُ إيثارُ المَحبُوبِ وقالَ بَعضُهُمْ المَحبَّةُ الشَّوقُ الي المَحبُوبِ وقالَ بعضُهُمْ المَحبَّةُ مُواطَأةُ القَلبِ لِمُرادِ الرَّبِّ يُحِبُّ ما أحَبَّ ويَكرَهُ ما كَرِهَ وقالَ آخَرُ المَحبَّةُ مَيلُ القَلبِ الي مُوافِقٍ لهُ وأكثَرُ العِباراتِ المُتقَدِّمَةِ إشارَةٌ الى ثَمَراتِ المَحبَّةِ دُونَ حَقِيقَتِها وحَقِيقَةُ المَحبَّةِ المَيلُ الي ما يُوافِقُ الإنسانَ وتَكُونُ مُوافَقَتُهُ لهُ إمَّا لِاستِلذاذِهِ بإدراكِهِ كَحُبِّ الصُّوَرِ الجَمِيلَةِ والأصواتِ الحَسَنَةِ والأطعِمَةِ والأشرِبَةِ اللَّذِيذَةِ وأشباهِها مِمَّا كُلُّ طَبعٍ سَلِيمٍ مائِلٌ اليها لِمُوافَقَتِها لَهُ أو لِاستِلذاذِهِ بإدراكِه بِحاسَّةِ عَقلِه وقَلبِه مَعانِيَ باطِنَةً شَرِيفَةً كَحُبِّ الصَّالِحِينَ والعُلَماءِ وأهلِ المَعرُوفِ والمَأثُورِ عنهُمُ السِّيَرُ الجَمِيلَةُ والأفعالُ الحَسَنَةُ فإنَّ طَبعَ الإنسانِ مائِلٌ الى الشَّغَفِ بأمثالِ هؤلاءِ حتَّي يَبلُغَ التَّعَصُّبَ بِقَومٍ لِقَومٍ والتَّشَيُّعَ مِنْ أُمَّةٍ في آخَرِينَ ما يُؤَدِّى الى الجَلاءِ عَنِ الأوطانِ وهَتكِ الحُرَمِ واختِرامِ النُّفُوسِ أو يَكُونَ حُبُّهُ إيَّاهُ

لِمُوَافَقَتِهِ لهُ من جِهَةِ إِحْسانِهِ لهُ وَإِنعامِهِ عليه فقد جُبِلَتِ النُفوسُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ اليها فاذا تقرَّرَ لكَ هذا نظرْتَ هذِهِ الأَسبابَ كلَّها في حقِّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَلِمْتَ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم جامعٌ لِهذه المَعانِي الثَّلاثَةِ المُوجِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ * أمَّا جمالُ الصُّورَةِ والظَّاهِرِ وكمال الأَخلاقِ والباطِنِ فقدْ قرَّرْنا منها قَبْلُ فِيما مرَّ من الكتابِ مالا يحتاجُ الي زيادةٍ * وأمَّا إِحسانُهُ وَإِنعامُهُ على أُمَّتِهِ فكذلكَ قد مرَّ منهُ في أوصافِ اللهِ تعالي لهُ من رَأْفتِهِ بِهِمْ ورحمتِهِ لَهُمْ وهِدايتِهِ إِيَّاهُمْ وشَفَقَتِهِ عليهِمْ واستِنْقاذِهِمْ به منَ النَّارِ وأنَّهُ بالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ورحمةٌ لِلعالَمِينَ ومُبَشِّرًا ونَذيرًا وداعِياً الى اللهِ بإِذْنِه ويَتْلُو عليهِمْ آياتِه ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ ويَهْدِيهِمْ الى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فَأَيُّ إِحسانٍ أجلُّ قدْرًا وأعظَمُ خطَرًا منْ احسانِهِ الي جميعِ المُؤْمنينَ وأيُّ إِفضالٍ أعمُّ منْفعةً وأكثرُ فائدةً منْ إِنعامِهِ على كافةِ المُسلمينَ اذْ كانَ ذَرِيعَتَهُمْ الي الهِدايَةِ ومُنْقِذَهُمْ منَ العَمايَةِ وداعِيَهُمْ الي الفَلاحِ والكَرامَةِ ووَسِيلَتَهُمْ الى رَبِّهِمْ وشَفِيعَهُمْ والمُتَكَلِّمَ عنهُمْ والشَّاهِدَ لهُمْ والمُوجِبَ لهُمُ البَقاءَ الدَّائِمَ والنَّعيمَ السَّرْمَدَ فقدِ استَبانَ لكَ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم مُسْتَوْجِبٌ لِلْمَحَبَّةِ الحَقِيقيَّةِ شَرْعاً بِما قَدَّمْناهُ منْ صَحِيحِ الآثارِ وعادةً وجِبِلَّةً بِما ذَكَرْناهُ آنِفاً لِإِفاضَتِهِ الإِحْسانَ وعُمُومِهِ الإِجْمالَ فاذا كانَ الإِنسانُ يُحِبُّ مَنْ منَحَهُ في دُنْياهُ مرَّةً أوْ مرَّتَيْنِ معْرُوفاً أوِ استَنْقَذَهُ منْ هَلَكَةٍ أوْ مضَرَّةٍ مُدَّةَ التَّأَذِّي بِها قليلٌ مُنْقَطِعٌ فَمَنْ منَحَهُ مالا يَبِيدُ منَ النَّعِيمِ ووَقاهُ مالا يَفْنِي منْ عذابِ الجَحِيمِ أوْلَي بالحُبِّ واذا كانَ يُحَبُّ بالطبْعِ مَلِكٌ لِحُسْنِ سِيرَتِه أوحاكِمٌ

لِما يُؤثَرُ منْ قِوامِ طَرِيقَتِهِ أو قاصٍ نَعيدُ الدَّارِ لِما يُشادُ منْ عِلمِهِ أوْ كَرَمِ شيمتهِ فمَنْ جَمعَ هٰذِه الخِصالَ على غايَةِ مَراتِبِ الكَمالِ أحَقُّ بالحبِّ وأوْلَى بالمَيْلِ وقدْ قالَ عَلِيٌّ رضى الله عنهُ في صِفَتِهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هابَهُ ومَنْ خالَطَهُ مَعْرِفَةً أحَبَّهُ وذَكَرْنا عنْ بَعْضِ الصَّحابَةِ أنَّهُ كانَ لا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عنهُ مَحَبَّةً فيه

فصل في وجوبِ مناصحتِه صلى الله عليه وسلم

قالَ اللهُ تعالي ولا على الذينَ لا يَجِدُونَ ما ينفِقُونَ حَرَجٌ اذا نَصَحُوا لِلّٰهِ ورَسُولِه ما علي المُحْسنينَ مِنْ سَبِيلٍ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قالَ أهلُ التَّفْسِيرِ اذا نَصَحُوا لِلّٰهِ ورسُولِه اذا كانُوا مُخْلِصِينَ مُسْلِمِينَ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ * حدثنا الفقيهُ أبو الوَلِيدِ بقِراءَتِي عليه حدثنا حُسَيْنُ بْنُ محمّدٍ حدثنا يوسُفُ ابنُ عبدِ اللهِ حدثنا ابنُ عبدِ المُؤْمنِ حدثنا أبو بَكْرٍ التَّمَّارُ حدثنا أبو دَاوُد حدثنا أحمَدُ بنُ يُونُسَ حدثنا زُهَيْرٌ حدثنا سُهَيْلُ بنُ أبي صالحٍ عنْ عَطاءِ بنِ يَزِيدَ عنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله علىه وسلم إنَّ الدِّينَ النَّصِيحةُ إن الدِّينَ النَّصِيحةُ إنَّ الدِّينَ النَّصِيحةُ قالُوا لِمَنْ يا رسولَ اللهِ قالَ لِلّٰهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسُولِه وأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ قالَ أئِمَّتُنا النَّصِيحَةُ لِلّٰهِ ولِرَسُولِهِ وأئِمَّةِ المُسْلمينَ وعامَّتِهِمْ واجِبَةٌ قالَ الإمامُ أبو سُلَيْمانَ البُسْتِيُّ النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِها عَنْ جُمْلَةِ إرادَةِ الخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لهُ وليسَ يُمْكِنُ أنْ يُعَبَّرَ عنها بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ تَحْصُرُها ومَعْناها في اللُّغَةِ الإخْلاصُ مِنْ قَوْلِهِمْ نَصَحْتُ العَسَلَ اذا خَلَّصْتَهُ منْ شَمْعِهِ

وقالَ أبو بَكرِ بنُ أبي إسحٰقَ الخفّافُ النُّصحُ فِعلُ الشيْءِ الّذي به الصَّلاحُ والمُلاءمةُ مأخوذٌ منَ لنصاحِ وهوَ الخَيطُ الّذي يُخاطُ به الثّوبُ وقالَ أبو اسحٰقَ الزَّجّاجُ نحوَهُ فنصيحةُ اللهِ تعالى صِحّةُ الاعتِقادِ لهُ بالوَحدانيّةِ ووَصفُهُ بِما هو أهلُهُ وتنزيهُهُ عمّا لا يجوزُ عليهِ والرَّغبةُ في محابِّهِ والبُعدُ مِن مَساخِطِهِ والإخلاصُ في عِبادَتِهِ والنَّصيحةُ لِكتابهِ الإيمانُ بِهِ والعَملُ بِما فيهِ وتَحسِينُ تِلاوَتِهِ والتَّخَشُّعُ عِندَهُ والتَّعظُّمُ لهُ وتفهُّمُهُ والتَّفقُّهُ فيهِ والذَّبُّ عنهُ من تأويلِ الغالِينَ وطَعنِ المُلحِدِينَ والنصيحةُ لِرَسُولِهِ التَّصدِيقُ بنُبُوَّتِهِ وبَذلُ الطّاعةِ لهُ فيما أمرَ بهِ ونهي عنهُ قالَهُ أبو سُليمانَ وقالَ أبو بَكرٍ ومُوازَرَتُهُ ونُصرَتُهُ وَحِمايَتُهُ حيًّا وَميتًا وَإحياءُ سُنَّتِهِ بالطَّلَبِ والذَّبِّ عَنها ونَشرِها والتَّخلُّقُ بأخلاقِهِ الكَريمةِ وآدابِهِ الجَميلَةِ وقالَ أبو ابراهيمَ اسحٰقُ التُّجِيبيُّ نصيحةُ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم التَّصدِيقُ بِما جاءَ به والاعتِصامُ بِسُنَّتِهِ ونَشرُها والحضُّ عليها والدَّعوَةُ الي اللهِ والي كِتابه والى رسُولِه والَيها والي العمل بِها وقالَ أحمدُ بنُ محمّدٍ مِن مفرُوضاتِ القُلوبِ اعتِقادُ النَّصيحةِ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقالَ أبو بكرٍ الآجُرّيُّ وغَيرُهُ النُّصحُ لهُ يَقتَضِي نُصحَينِ نُصحًا في حَياتِه ونُصحًا بَعدَ مَماتِه فَفِي حَياتِهِ نُصحُ أصحابِه لهُ بالنَّصرِ والمُحاماةِ عنه ومُعاداةِ مَن عاداهُ والسَّمعِ والطّاعةِ لهُ وبَذلِ النُّفُوسِ والأموالِ دُونَهُ كما قالَ اللهُ تعالي رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ الآيَةَ وقالَ وَيَنصُرُونَ اللهَ ورَسولَهُ الآيَةَ وأمّا نَصيحةُ المُسلمينَ لهُ بَعدَ وَفاتِهِ فالتِزامُ التَّوقيرِ والإجلالِ وشِدَّةُ المحبّةِ لَهُ والمُثابرَةُ علي تَعلُّمِ سنَّتِهِ والتَّفقُّهُ في شَريعَتِهِ ومَحبّةُ آلِ بَيتِهِ وأصحابِهِ ومُجانَبَةُ مَن رَغِبَ

عَنْ سُنَّتِهِ وَانْحَرَفَ عَنْهَا وَبُغْضُهُ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ وَالشَّفَقَةُ عَلَى أُمَّتِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ تَعَرُّفِ أَخْلَاقِهِ وَسِيَرِهِ وَآدَابِهِ وَالصَّبْرُ عَلَى ذَلِكَ فَعَلَى مَا ذَكَرَهُ تَكُونُ النَّصِيحَةُ احْدَى ثَمَرَاتِ الْمَحَبَّةِ وَعَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَحَكَى الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ أَنَّ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ أَحَدَ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَمَشَاهِيرِ الثُّوَّارِ الْمَعْرُوفَ بِالصَّفَّارِ رُؤِيَ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ فَقَالَ غَفَرَ لِي فَقِيلَ بِمَاذَا قَالَ صَعِدْتُ ذِرْوَةَ جَبَلٍ يَوْمًا فَأَشْرَفْتُ عَلَى جُنُودِي فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ فَتَمَنَّيْتُ أَنِّي حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعَنْتُهُ وَنَصَرْتُهُ فَشَكَرَ اللهُ لِي ذَلِكَ وَغَفَرَ لِي * وَأَمَّا النُّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَطَاعَتُهُمْ فِي الْحَقِّ وَمَعُونَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَتَذْكِيرُهُمْ اِيَّاهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَي مَا غَفَلُوا عَنْهُ وَكُتِمَ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَضْرِيبِ النَّاسِ وَافْسَادِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ وَالنُّصْحُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ارْشَادُهُمْ الي مَصَالِحِهِمْ وَمَعُونَتُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَتَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ وَتَبْصِيرُ جَاهِلِهِمْ وَرَفْدُ مُحْتَاجِهِمْ وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ الَيْهِمْ

الباب الثالث

﴿ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَوُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ الثَّلَاثَ الْآيَاتِ وَقَالَ تَعَالي لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

بَعْضِـهِمْ بَعْضاً فأَوْجَبَ تَعالي تَعْـزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَأَلْزَمَ اكْرَامَهُ وَتَعْظِيمَهُ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ تُعَزِّرُوهُ تجلُّوهُ وقالَ المبرِّدُ تُعَزِّرُوهُ تُبالِغُوا في تَعْظِيمِهِ وقالَ الأَخْفَشُ تَنْصُرُونَهُ وَقالَ الطَّبَرِيُّ تُعِينُونَهُ وَقُرِئَ تُعَزِّزُوهُ بزاءيْنِ مِنَ العِزِّ وَنَهي عَنِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ بالقَوْلِ وَسُوءِ الأَدَبِ بِسبْقِهِ بالكَلامِ على قَوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ وغَيْرِهِ وهُوَ اخْتِيارُ ثَعْلَبَ قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لا تَقُولُوا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ وَاذَا قالَ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا وَنُهُوا عَنِ التَّقَدُّمِ والتَّعَجُّلِ بِقَضاءِ أَمْرٍ قَبْلَ قَضائِهِ فِيهِ وَأَنْ يَفْتاتُوا بِشَيْءٍ في ذلِكَ مِنْ قِتالٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ الاّ بأَمْرِهِ وَلا يَسْبِقُوهُ بِهِ والى هٰذا يَرْجِعُ قَوْلُ الحَسَنِ وَمُجاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ والسُّدِّيِّ والثَّوْرِيِّ ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ مُخالَفَةَ ذَلِكَ فَقالَ واتَّقُوا اللهَ انَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ قالَ المَاوَرْدِيُّ اتَّقُوهُ يَعْني في التَّقَدُّمِ وقالَ السُّلَمِيُّ اتَّقُوا اللهَ في اهْمالِ حَقِّهِ وَتَضْيِيعِ حُرْمَتِهِ انَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ عَلِيمٌ بِفِعْلِكُمْ ثُمَّ نَهاهُمْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ والجَهْرِ لَهُ بالقَوْلِ كَما يَجْهَرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ وَقِيلَ كَما يُنادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً باسْمِهِ قالَ أَبو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ أَيْ لا تُسابِقُوهُ بالكَلامِ وَتُغْلِظُوا لَهُ بالخِطابِ وَلا تُنادُوهُ باسْمِهِ نِداءَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ولٰكِنْ عَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ وَنادُوهُ بأَشْرَفِ ما يُحِبُّ أَنْ يُنادَى بِهِ يا رَسُولَ اللهِ يا نَبِيَّ اللهِ وَهٰذا كَقَوْلِهِ في الآيَةِ الأُخْرَى لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً على أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ وقالَ غَيْرُهُ لا تُخاطِبُوهُ الاّ مُسْتَفْهِمِينَ ثُمَّ خَوَّفَهُمُ اللهُ تَعالي بِحَبْطِ أَعْمالِهِمْ اِنْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ قِيلَ نَزَلَتِ الآيَةُ في وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ وَقِيلَ في غَيْرِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَنادَوْهُ يا مُحَمَّدُ

يا مُحَمَّدُ اخرُجْ الينا فذمَّهُمُ اللهُ تعالي بالجَهْلِ ووَصَفَهُمْ بِأَنَّ أكثرَهُمْ لا يَعْقِلونَ
وَقِيلَ نزلَتِ الآيَةُ الأُولي في مُحاوَرَةٍ كانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بَيْنَ
يَدَيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاخْتِلافٍ جرَي بَيْنَهُما حتَّي ارْتفعَتْ
أصْوَاتُهُما وَقِيلَ نَزَلَتْ في ثابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبِ النَّبِيِّ صلى
الله عليه وسلم في مُفاخَرَةِ بَنِي تَمِيمٍ وَكانَ في أُذُنَيْهِ صَمَمٌ فَكانَ يَرْفَعُ
صَوْتَهُ فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ أقامَ في مَنْزِلِهِ وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ حَبِطَ عَمَلُهُ
ثُمَّ أتي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقالَ يا نَبِيَّ اللهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ
هَلَكْتُ نَهانا اللهُ أَنْ نَجْهَرَ بالقَوْلِ وأنا امْرُؤٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ فَقالَ النَّبِيُّ
صلى الله عليه وسلم يا ثابِتُ أما تَرْضَي أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا وتُقْتَلَ شَهِيدًا وتَدْخُلَ
الجَنَّةَ فَقُتِلَ يومَ اليمامَةِ وَرُوِيَ أَنَّ أبا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ قالَ واللهِ
يا رَسُولَ اللهِ لا أُكَلِّمُكَ بَعْدَها الَّا كَأَخِي السِّرَارِ وأَنَّ عُمَرَ كانَ اذا
حدَّثَهُ حدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ ما كانَ يُسْمِعُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
بَعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ حَتَّي يَسْتَفْهِمَهُ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى فِيهِمْ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ وقِيلَ نَزَلَتْ انَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ
في غَيْرِ بَنِي تَمِيمٍ نادَوْهُ باسْمِهِ ورَوَى صَفْوانُ بْنُ عَسَّالٍ بَيْنا النَّبِيُّ صلى الله
عليه وسلم في سَفَرٍ اذْ ناداهُ اعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ أيا مُحَمَّدُ أيا مُحَمَّدُ
فَقُلْنا لَهُ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ وقالَ اللهُ
تَعالي يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنا قالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ هِيَ لُغَةٌ كانَتْ
في الأَنْصارِ نُهُوا عَنْ قَوْلِها تَعْظِيماً لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وتَبْجِيلاً لَهُ لِأَنَّ

مَعْنَاها ارْعَنا نَرْعَكَ فنُهُوا عَنْ قَوْلِهَا اذْ مُقْتَضَاها كأنّهُمْ لا يَرْعَوْنَهُ الّا بِرِعايَتِهِ لَهُمْ بَلْ حَقُّهُ أنْ يُرْعَى علي كُلِّ حالٍ وقِيلَ كانَتِ اليَهُودُ تُعرِّضُ بِها لِلنّبِيِّ صلي الله عليه وسلم بالرُّعُونَةِ فَنُهِيَ المُسْلِمُونَ عَنْ قَوْلِهَا قطْعاً لِلذَّرِيعَةِ ومَنْعاً لِلتَّشَبُّهِ بِهِمْ في قَوْلِهَا لِمُشارَكَةِ اللَّفْظَةِ وقِيلَ غَيْرُ هذَا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله

حدثنا القاضِي أبو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ وأبو بَحْرٍ الأَسَدِيُّ بِسَماعِي عَلَيْهِما في آخَرِينَ قالُوا حدثنا أحْمَدُ بْنُ عُمَرَ حدثنا أحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى حدثنا ابْرَاهِيمُ بنُ سُفْيانَ حدثنا مُسْلِمٌ حدثنا مُحَمّدُ بْنُ مُثَنّى وأبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ واسْحاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قالُوا حدثنا الضَّحّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ حدثنا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ حدثني يَزِيدُ بْنُ أبِي حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ شُماسَةَ المَهْرِيِّ قالَ حَضَرْنا عَمْرَو بْنَ العاص فَذَكَرَ حدِيثاً طَوِيلاً فِيهِ عَنْ عَمْرٍو قالَ وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ الَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وَلا أجَلَّ في عَيْنِي مِنْهُ وَما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ اجْلالاً لَهُ ولَوْ سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ لِأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أنَسٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كانَ يَخْرُجُ على أصْحابِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِيهِمْ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ فَلاَ يَرْفَعُ أحَدٌ مِنْهُمْ الَيْهِ بَصَرَهُ الاّ أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ فإنّهُما كانا يَنْظُرانِ الَيْهِ وَيَنْظُرُ الَيْهِما وَيَتَبَسَّمانِ الَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ لَهُما وَرَوَى أُسامَةُ بْنُ شَرِيكٍ قالَ أتَيْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم

وأصحابُهُ حوْلَهُ كأنَّما على رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ وَفي حَدِيثِ صِفَتِهِ اذا تَكَلَّمَ أطرَقَ جُلَساؤُهُ كأنَّما على رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ وقالَ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ حِينَ وَجَّهَتْهُ قُرَيْشٌ عامَ القَضِيَّةِ الى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ورأي مِنْ تَعظِيمِ أصْحابِهِ لهُ ما رَأي وأنَّهُ لايَتَوَضَّأُ الا ابْتَدَرُوا وَضُوءهُ وكادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ ولا يَبْصُقُ بُصاقاً ولا يَتَنَخَّمُ نُخامَةً الاّ تَلَقَّوْها بأكُفِّهِمْ فَدَلَكُوا بِها وُجُوهَهُمْ وأجْسادَهُمْ ولا تَسقُطُ مِنْهُ شَعَرَةٌ الاَّ ابْتَدَرُوها واذا أمَرَهُمْ بأمْرٍ ابتَدَرُوا أمْرَهُ واذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْواتَهُمْ عِنْدَهُ وما يُحِدُّونَ الَيْهِ النَّظَرَ تَعظِيماً لَهُ فَلَمّا رَجَعَ الي قُرَيْش قالَ يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ انّي جِئْتُ كِسْرى في مُلْكِهِ وقَيْصَرَ في مُلْكِهِ والنَّجاشِيَّ في مُلْكِهِ وانّي واللهِ مارَأيتُ مَلِكاً في قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ في أصْحابِهِ وفي رِوايَةٍ ان رَأيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحابُهُ مايُعَظِّمُ مُحَمَّداً أصْحابُهُ وقَدْ رَأيْتُ قَوْماً لايُسْلِمُونَهُ أبَداً وعَنْ أنَسٍ لقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم والحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ وأطافَ بِهِ أصْحابُهُ فَما يُرِيدُونَ أنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ الاّ في يَدِ رَجُلٍ ومِنْ هذا لَمّا أذِنَتْ قُرَيْشٌ لِعُثْمانَ في الطَّوافِ بالبَيْتِ حِينَ وجَّهَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اليْهِمْ في القَضِيَّةِ أبَي وقالَ ما كُنْتُ لِأفْعَلَ حَتّي يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وفي حدِيثِ طَلْحَةَ أنَّ أصْحابَ رَسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم قالُوا لأعْرابِيٍّ جاهِلٍ سَلْهُ عَمَّنْ قَضي نَحْبَهُ وكانُوا يَهابُونَهُ ويُوَقِّرُونَهُ فَسألَهُ فأعْرَضَ عَنْهُ اذ طَلَعَ طَلْحَةُ فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هذا مِمَّنْ قَضى نَحْبَهُ وفي حَدِيثِ قَيْلَةَ فَلَمّا رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جالِساً القُرْفُصاء أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ وذَلِكَ هَيْبَةً لَهُ وتَعظِيماً وفي حَدِيثِ المُغِيرَةِ

كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقرعُونَ بابَهُ بالأظافرِ وقالَ البَراءُ بنُ عازبٍ لقدْ كُنتُ أُريدُ أنْ أسألَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الأمرِ فأُؤَخِّرُ سنينَ مِنْ هَيْبَتِهِ

(فصل)

واعلَمْ أنّ حُرْمَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ مَوْتِهِ وتَوْقيرَهُ وتَعْظيمَهُ لازِمٌ كَما كانَ حالَ حَياتِهِ وذلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ صلى الله عليه وسلم وذِكْرِ حَديثِهِ وسُنَّتِهِ وسَماعِ اسْمِهِ وسِيرَتِهِ ومُعامَلَةِ آلِهِ وعِتْرَتِهِ وتَعْظيمِ أهلِ بَيْتِهِ وصَحابَتِهِ قالَ أبو ابراهيمَ التُّجيبيُّ واجبٌ علي كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ أوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أنْ يَخْضَعَ ويَخْشَعَ ويَتَوَقَّرَ ويَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ ويَأْخُذَ في هَيْبَتِهِ واجلالِهِ بِما كانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ لَوْ كانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ويَتأدَّبَ بِما أدَّبَنا اللهُ بِهِ قالَ القاضي أبو الفضلِ وهذِهِ كانَتْ سيرةَ سَلَفِنا الصالحِ وأئمتِنا الماضينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ حدثنا القاضي أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الأشعَريُّ وأبو القاسِمِ أحمَدُ بنُ بَقِيٍّ الحاكِمُ وغَيْرُ واحِدٍ فيما أجازُونيهِ قالُوا أخبَرَنا أبو العبّاسِ أحْمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ دِلْهاثٍ قالَ حدثنا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ فِهْرٍ حدثنا أبو بَكْرٍ محمّدُ بنُ أحْمَدَ بنِ الفَرَجِ حدثنا أبو الحَسَنِ عبدُ اللهِ بنُ المُنْتابِ حدثنا يَعْقُوبُ بنُ اسحاقَ بنِ أبي اسرائيلَ حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قالَ ناظَرَ أبو جعفرٍ أميرُ المُؤمنينَ مالِكاً في مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلي الله عليه وسلم فقالَ لَهُ مالِكٌ يا أميرَ المُؤمنينَ لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ في هذا المسجدِ فإنَّ اللهَ تعالي أدَّبَ قوماً فقالَ لا تَرْفَعُوا أصواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبيِّ الآيَةَ ومَدَحَ قوماً

فَقَالَ ان الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ الآيَةَ وَذَمَّ قَوْماً فَقَالَ انَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ الآيَةَ وأَنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ حَيًّا فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبو جَعْفَرٍ وقَالَ يا أَبا عَبْدِ اللهِ أَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ وأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رسولَ الله صلي اللهُ عليه وسلم فقَالَ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ الي اللهِ تَعَالي يَوْمَ القِيامَةِ بَل اسْتَقْبِلْهُ واسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعَهُ اللهُ قَالَ اللهُ تَعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ اذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمُ الآيَةَ وقَالَ مالِكٌ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيانِيِّ ما حَدَّثْتُكُمْ عَنْ أَحَدٍ الاَّ وأَيُّوبُ أَفْضَلُ مِنْهُ قَالَ وحَجَّ حَجَّتَيْنِ فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ ولا أَسْمَعُ مِنْهُ غَيْرَ أَنَّهُ كانَ اذا ذُكِرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَكَى حَتَّي أَرْحَمَهُ فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مارَأَيْتُ واجْلالَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَتَبْتُ عَنْهُ وقالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللهِ كانَ مالِكٌ اذَا ذُكِرَ النبيُّ صلي الله عليه وسلم يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي حَتَّي يَصْعُبَ ذَلِكَ علي جُلَسائِهِ فَقِيلَ لَهُ يَوْماً في ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ رَأَيْتُمْ ما رَأَيْتُ لَما أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ ما تَرَوْنَ ولَقَدْ كُنْتُ أَرَى مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ وَكانَ سَيِّدَ القُرَّاءِ لا نَكادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَدًا الاَّ يَبْكِي حَتَّي نَرْحَمَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَكانَ كَثِيرَ الدُّعابَةِ والتَّبَسُّمِ فَاذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم اصفَرَّ وَما رَأَيْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاَّ على طَهارَةٍ وَلَقَدِ اخْتَلَفْتُ الَيْهِ زَماناً فَما كُنْتُ أَراهُ الاَّ على ثَلاثِ خِصالٍ امَّا مُصَلِّيًا وَامَّا صامِتاً وَامَّا يَقْرَأُ القُرْآنَ ولا يَتَكَلَّمُ فِيما لا يَعْنِيهِ وكانَ مِنَ العُلَماءِ والعُبَّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ولَقَدْ كانَ عَبْدُ الرَّحْمنِ ابْنُ القاسِمِ يَذْكُرُ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم فَيُنْظَرُ الى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نُزِفَ

مِنهُ الدمُ وقد جفَّ لِسانُهُ في فَمِهِ هيبةً مِنهُ لِرسُولِ اللهِ صلي اللهُ عليهِ وسلم ولقد كُنتُ آتِي عامِرَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ فإذا ذُكِرَ عِندَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيهِ دموعٌ ولقد رأيتُ الزهريَّ وكانَ مِن أهنأِ الناسِ وأقربِهِم فاذا ذُكِرَ عِندَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فكأنهُ ما عرفكَ ولا عرفتهُ ولقد كُنتُ آتِي صفوانَ بنَ سُلَيمٍ وكانَ مِنَ المُتعبدِينَ المُجتهِدِينَ فاذا ذُكِرَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم بكي فلا يزالُ يبكي حتي يقومَ الناسُ عنهُ ويترُكُوهُ ورُوِيَ عن قتادةَ أنهُ كانَ اذا سمعَ الحديثَ أخذَهُ العويلُ والزويلُ ولما كثُرَ على مالِكٍ الناسُ قِيلَ لَهُ لو جعلتَ مُستملِياً يُسمِعُهُم فقال قالَ اللهُ تعالي يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا ترفعُوا أصواتَكُم فوقَ صوتِ النبيِّ وحُرمتُهُ حيًّا وميتاً سواءٌ وكانَ ابنُ سيرينَ رُبما يضحكُ فاذا ذُكِرَ عِندَهُ حديثُ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم خشعَ وكانَ عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ اذا قرأَ حديثَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أمرَهُم بالسكُوتِ وقالَ لا ترفعُوا أصواتَكُم فوقَ صوتِ النبيِّ ويتأوَّلُ أنهُ يجبُ لهُ مِنَ الإنصاتِ عِندَ قِراءةِ حدِيثِهِ ما يجبُ لهُ عِندَ سماعِ قولِهِ

(فصل في سيرةِ السلفِ في تعظيمِ روايةِ حديثِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وسُنَّتِهِ)

حدثنا الحسينُ بنُ محمدٍ الحافظُ حدثنا أبو الفضلِ بنُ خيرُونَ حدثنا أبو بكرٍ البرقانيُّ وغيرُهُ حدثنا أبو الحسنِ الدارَقُطنيُّ حدثنا عليُّ بنُ مُبشرٍ حدثنا أحمدُ بنُ سِنانٍ القطانُ حدثنا يزيدُ بنُ هارُونَ حدثنا

المَسْعُودِيُّ عَنْ مُسْلِمٍ البَطِينِ عَنْ عَمْرِو بنِ مَيْمُونٍ قَالَ اخْتَلَفْتُ الي ابنِ مَسْعُودٍ سَنَةً فما سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاّ أنّهُ حَدّثَ يَوْماً فَجَرَى على لِسانِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ علاهُ كَرْبٌ حَتّي رَأَيْتُ العَرَقَ يَتَحَدَّرُ عَنْ جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ هٰكَذَا ان شاءَ اللهُ أوْ فَوْقَ ذَا أوْ مادُونَ ذا أوْ ما هُوَ قَرِيبٌ مِنْ ذَا وَفي رِوَايَةٍ فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَفي رِوَايَةٍ وقَدْ تَغَرْغَرَتْ عَيناهُ وانْتَفَخَتْ أوْداجُهُ وَقَالَ ابْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْن قُرَيْمٍ الأنْصارِيُّ قاضِي المَدِينَةِ مَرَّ مالِكُ بْنُ أنَسٍ علي أبِي حازِمٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ فَجازَهُ وقَالَ انّي لَمْ أجِدْ مَوْضعاً أجْلِسُ فِيهِ فَكَرِهْتُ أنْ آخُذَ حَدِيثَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأنا قائِمٌ وقَالَ مالِكٌ جاءَ رَجُلٌ الى ابنِ المُسَيِّبِ فَسَألَهُ عَنْ حَدِيثٍ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فَجَلَسَ وَحَدَّثَهُ فقالَ لهُ الرَّجُلُ وَدِدْتُ أنَّكَ لم تَتَعَنَّ فقالَ إنّي كَرِهْتُ أنْ أُحَدِّثَكَ عنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأنا مُضْطَجِعٌ * ورُوِيَ عنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أنّهُ قدْ يَكُونُ يَضْحَكُ فاذا ذُكِرَ عندَهُ حديثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خَشَعَ * وقالَ أبو مُصْعَبٍ كانَ مالِكُ بْنُ أنَسٍ لا يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الّا وهوَ على وُضُوءٍ إجلالًا لهُ * وحَكَي مالِكٌ ذلكَ عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ وقالَ مُصْعَبُ بْنُ عبدِ اللهِ كانَ مالِكُ بْنُ أنَسٍ اذا حَدَّثَ عنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ وتَهَيَّأَ ولَبِسَ ثِيابَهُ ثمَّ يُحَدِّثُ قالَ مُصْعَبٌ فَسُئِلَ عنْ ذلِكَ فقالَ إنّهُ حديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ مُطَرِّفٌ كانَ اذا أتَي النَّاسُ مالِكًا خَرَجَتْ اليهِمُ الجارِيَةُ فتَقولُ لهُمْ يَقُولُ لَكُمُ الشيْخُ تُرِيدُونَ الحَدِيثَ أوِ المَسائِلَ فانْ قالُوا المَسائِلَ خَرَجَ اليهمْ وانْ قالُوا الحَدِيثَ دَخَلَ مُغْتَسَلَهُ واغْتَسَلَ وتَطَيَّبَ ولَبِسَ ثِياباً

جُدُدًا ولَبِسَ ساجَهُ وتَعَمَّمَ وَوَضَعَ على رَأْسِهِ رِداءهُ وتُلْـقَى لهُ مِنصَّةٌ فَيَخْرُجُ فَيَجْلِسُ عليها وعليهِ الخُشُوعُ ولا يَزالُ يُبَخَّرُ بالعُودِ حتَّي يَفْرُغَ منْ حديثِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ غـيرُهُ ولمْ يَكُنْ يَجْلِسُ على تِلْكَ المِنَصَّةِ الّا اذا حَدَّثَ عنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ ابنُ أبي أُوَيسٍ فقيلَ لِمَالِكٍ في ذلِكَ فقالَ أُحِبُّ أنْ أُعظِّمَ حديثَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ولا أُحَدِّثُ بهِ الّا على طَهارَةٍ مُتَمَكِّنًا قالَ وكانَ يَكْرَهُ أنْ يُحَدِّثَ في الطَّرِيقِ أوْ وهوَ قائِمٌ أوْ مُسْتَعْجِلٌ. وقالَ أُحِبُّ أنْ افَهِّمَ حديثَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ ضِرارُ بنُ مُرَّةَ كانوا يَكْرَهُونَ أنْ يُحَدِّثُوا على غَيرِ وُضُوءٍ ونحْوُهُ عَنْ قتادَةَ وكانَ الأَعمَشُ اذا حَدَّثَ وهوَ على غَيرِ وُضُوءٍ تَيَمَّمَ قالَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ كُنتُ عندَ مالِكٍ وهوَ يُحَدِّثُنا فَلَدَغَتْهُ عقرَبٌ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً وهوَ يَتَغَيَّرُ لوْنُهُ وَيَصْفَرُّ ولا يَقْطَعُ حديثَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَلمَّا فَرَغَ منَ المَجْلِسِ وتَفَرَّقَ عنهُ النَّاسُ قُلْتُ لهُ يا أبا عبدِ اللهِ لَقَدْ رَأيْتُ منكَ اليَوْمَ عَجَباً قالَ نَعَمْ انَّما صَبَرْتُ اجْلالًا لِحديثِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ ابنُ مَهْدِيٍّ مَشَيْتُ يَوْماً مَعَ مالِكٍ الي العَقِيقِ فَسَأَلْتُهُ عنْ حديثٍ فانْتَهَرَنِي وقالَ لي كُنتَ في عَيْنِي أجَلَّ منْ أنْ تَسْأَلَ عنْ حديثِ رسولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم ونحْنُ نَمْشِي وسَأَلَهُ جَرِيرُ بنُ عبدِ الحَمِيدِ القاضِي عنْ حديثٍ وهوَ قائِمٌ فأَمَرَ بِحَبْسِهِ قيلَ لهُ إِنَّهُ قاضٍ قالَ القاضى أحَقُّ مَنْ أُدِّبَ وذُكِرَ أنَّ هِشامَ بنَ الغازِى سَأَلَ مالِكًا عنْ حديثٍ وهوَ واقِفٌ فضَرَبَهُ عِشرِينَ سَوْطًا ثمَّ أشفَقَ عليهِ فحَدَّثَهُ عشرِينَ حديثاً فقالَ هِشامٌ وَدِدْتُ لَوْ زادَنِي

سياطًا ويزيدُني حديثاً قالَ عبدُ الله بنُ صالحٍ كانَ مالِكٌ والليْثُ لا يكتُبانِ الحَديثَ الّا وهُما طاهِرانِ وكانَ قَتادةُ يَستَحِبُّ أنْ لا يقرأَ أحاديثَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الّا على وُضوءٍ ولا يُحدِّثُ الّا علي طَهارةٍ وكانَ الأعْمَشُ اذا أراد أنْ يُحدِّثَ وهوَ علي غَيرِ وُضوءٍ تيمَّمَ

فصل

ومِنْ توقِيرِهِ صلى الله عليه وسلم وبِرِّهِ بِرُّ آلِه وذُرّيّتِه وأُمَّهاتِ المُؤمنينَ أزْواجِهِ كما حَضَّ عليه صلى الله عليه وسلم وسَلَكَهُ السَّلفُ الصّالحُ رضيَ الله عنهمْ قالَ اللهُ تعالي انّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ الآيةَ وقالَ تعالى وأزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ * أخبرَنا الشَّيخُ أبو مُحمّدِ بنُ أحمَدَ العَدْلُ مِنْ كِتابِهِ وكَتَبْتُ منْ أصْلِهِ حدثنا أبو الحَسَن المُقرئُ الفَرْغانيُّ حدثتني أُمُّ القاسِمِ بِنْتُ الشَّيخِ أبي بَكرٍ الخَفّافِ قالتْ حدثني أبي حدثنا حاتِمٌ هوَ ابنُ عُقَيلٍ حدثنا يَحْيى هوَ ابنُ اسمٰعيلَ حدثنا يَحْيي هوَ الحِمّانيُّ حدثنا وَكيعٌ عنْ أبيهِ عنْ سَعيدِ بنِ مَسْرُوق عنْ يَزيدَ بن حيّانَ عنْ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْشُدُكُمُ اللهَ أهْلَ بَيْتي ثلاثاً قُلْنا لِزَيْدٍ مَنْ أهْلُ بَيْتِهِ قالَ آلُ عَليٍّ وآلُ جَعفَرٍ وآلُ عَقيلٍ وآلُ العَبّاسِ وقالَ صلي الله عليه وسلم إنّي تارِكٌ فيكُمْ ما انْ أخَذْتُمْ به لم تَضِلُّوا كِتابَ اللهِ وعِتْرَتي أهْلَ بَيْتي فانْظُرُوا كَيفَ تَخلُفُوني فيهما وقالَ صلى الله عليه وسلم مَعْرِفَةُ آلِ مُحمّدٍ صلى الله عليه وسلم بَراءةٌ منَ النّارِ وحُبُّ آلِ مُحمّدٍ جَوازٌ على الصِّراطِ والوِلايةُ لِآلِ مُحمّدٍ أمانٌ

منَ العذابِ قالَ بعضُ العلماءِ معرفتُهم هِيَ معرفةُ مكانِهم منَ النبيِّ صلي الله عليه وسلم واذا عرفَهمْ بذلكَ عرفَ وجوبَ حقِّهِمْ وحرمتَهمْ بسببِهِ * وعنْ عمرَ بنِ أبي سلمةَ لمَّا نزلتْ انَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ الآيةَ وذلِكَ في بيتِ أمِّ سلمةَ دعا فاطمةَ وحسنًا وحسينًا فجلَّلهمْ بكساءٍ وعليٌّ خلفَ ظهرِهِ ثمَّ قالَ اللهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي فأذهِبْ عنهمُ الرِّجسَ وطهِّرْهمْ تطهيرًا * وعنْ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ لمَّا نزلتْ آيةُ المباهلَةِ دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليًّا وحسنًا وحسينًا وفاطمةَ وقالَ اللهمَّ هؤلاءِ أهلي وقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في عليٍّ منْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ اللهمَّ والِ منْ والاهُ وعادِ منْ عاداهُ وقالَ فيهِ لا يحبُّكَ الاَّ مؤمنٌ ولا يبغضُكَ الاَّ منافقٌ وقالَ لِلعبَّاسِ والذي نفسي بيدِهِ لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتَّى يحبَّكُمْ للهِ ورسولِهِ ومنْ آذى عمِّي فقدْ آذاني وانَّما عمُّ الرَّجلِ صنوُ أبيهِ وقالَ لِلعبَّاسِ اغدُ عليَّ ياعمِّ معَ ولدِكَ فجمعهمْ وجلَّلهمْ بملاءتِهِ وقالَ هذا عمِّي وصنوُ أبي وهؤلاءِ أهلُ بيتي فاسترْهمْ منَ النَّارِ كسترِي ايَّاهمْ فأمَّنتْ أسكفَّةُ البابِ وحوائطُ البيتِ آمينَ آمينَ وكانَ يأخذُ بيدِ أسامةَ بنِ زيدٍ والحسنِ ويقولُ اللهمَّ انِّي أحبُّهما فأحبَّهُما وقالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه ارقبُوا محمَّدًا في أهلِ بيتِهِ وقالَ أيضًا والذي نفسي بيدِهِ لقرابةُ رسولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم أحبُّ اليَّ أنْ أصلَ منْ قرابتي وقالَ صلى اللهُ عليه وسلم أحبَّ اللهُ منْ أحبَّ حسنًا وقالَ منْ أحبَّني وأحبَّ هذينِ وأشارَ الي حسنٍ وحسينٍ وأباهُما وأمَّهُما كانَ معي في درجتي يومَ القيامةِ وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلم منْ أهانَ قريشًا أهانَهُ اللهُ وقالَ صلي اللهُ

عليه وسلم قدّموا قُرَيشاً ولا تقدَّموها وقالَ صلى الله عليه وسلم لأُمّ سَلمة لا تُؤْذِيني في عائِشَةَ * وعنْ عُقْبَةَ بن الحارثِ رأيتُ أبا بَكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وجَعَلَ الحسَنَ على عنقِهِ وهوَ يقولُ بأبِي شَبِيهٌ بالنَّبي * ليسَ شَبِيهاً بِعَلي وعَليٌّ رضيَ الله عنه يَضحكُ * ورُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ حسَنِ بن حُسَينٍ قالَ أتيتُ عُمَرَ بنَ عبدِ العزيزِ في حاجَةٍ فقالَ لي اذا كانَ لكَ حاجةٌ فأرْسِلْ اليَّ أوِ اكْتُبْ فإنِّي أستَحْيِي مِنَ اللهِ أنْ يَراكَ على بَابي * وعنِ الشَّعبيّ قالَ صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثابتٍ على جَنازَةِ أُمِّهِ ثمّ قُرِّبَتْ لهُ بَغلتُهُ لِيَرْكَبَها فَجاءَ ابنُ عبَّاسٍ فأخَذَ بِرِكابِهِ فقالَ زَيْدٌ خَلِّ عنهُ يا ابنَ عَمّ رسولِ اللهِ فقالَ هكَذا نَفْعَلُ بالعُلَماءِ فَقَبَّلَ زَيْدٌ يَدَ ابنِ عبَّاسٍ وقالَ هكَذا أُمِرْنا أنْ نَفْعَلَ بأهْلِ بَيْتِ نَبيِّنا ورأى ابنُ عُمَرَ محمَّدَ بنَ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ فقالَ لَيْتَ هذا عَبْدِي قيلَ لهُ هوَ محمَّدُ بنُ أُسامةَ فطَأطأَ ابنُ عُمَرَ رأسَهُ ونَقَرَ بِيدِهِ الأرْضَ وقالَ لوْ رَآهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم لأحَبَّهُ وقالَ الأوزاعيُّ دَخَلَتْ بِنْتُ أُسامةَ بنِ زيدٍ صاحِبِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ ومعَها مَوْلًى لَها يُمسِكُ بِيَدِها فقامَ لَها عُمَرُ ومشَى اليْها حتَّى جَعَلَ يَدَيْها بَيْنَ يدَيْهِ ويداهُ في ثِيابِهِ ومَشَى بها حتَّى أجلَسَها على مَجْلِسِهِ وجلَسَ بَيْنَ يدَيْها وما تَرَكَ لَها حاجةً الّا قَضاها ولمَّا فَرَضَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِابنِهِ عبدِ اللهِ في ثَلاثةِ آلافٍ ولِأُسامةَ بنِ زَيْدٍ في ثَلاثةِ آلافٍ وخَمْسِمِائةٍ قالَ عبدُ اللهِ لِأبِيهِ لِمَ فَضَّلْتَهُ فَواللهِ ما سبَقَنِي الى مَشْهَدٍ فقالَ لهُ لِأنَّ زَيْدًا كانَ أحَبَّ الي رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ أبِيكَ وأُسامةُ أحَبُّ اليهِ منكَ فآثَرْتُ حبَّ رسولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم على حبِّي *

وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ أَنَّ كَابِسَ بنَ رَبِيعَةَ يُشْبِهُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا دَخَلَ عليهِ مِنْ بابِ الدَّارِ قَامَ عنْ سَرِيرِهِ وتَلَقَّاهُ وقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وأَقْطَعَهُ المِرْغابَ لِشَبَهِهِ صُورَةَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم * ورُوِيَ أَنَّ مالِكًا رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ضَرَبَهُ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ ونالَ مِنْهُ ما نالَ وَحُمِلَ مَغْشِيًّا عليهِ دَخَلَ عليهِ النَّاسُ فَأَفاقَ فقالَ اشْهَدُ كُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ضارِبِي في حِلٍّ فَسُئِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فقالَ خِفْتُ أَنْ أَمُوتَ فَأَلْقَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْتَحْيِي منهُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ آلِهِ النَّارَ بِسَبَبِي وَقِيلَ إِنَّ المَنْصُورَ أَقادَهُ مِنْ جَعْفَرٍ فقالَ لَهُ أَعُوذُ باللهِ واللهِ ما ارْتَفَعَ مِنها سَوْطٌ عَنْ جِسْمِي الا وقَدْ جَعَلْتُهُ في حِلٍّ لِقَرابَتِهِ منْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم وقالَ أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ لوْ أَتانِي أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعَلِيٌّ لَبَدَأْتُ بِحاجَةِ عَلِيٍّ قَبْلَهُما لِقَرابَتِهِ مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ولَأَنْ أَخِرَّ منَ السَّماءِ الى الأَرْضِ أَحَبُّ الَيَّ منْ أَنْ اقَدِّمَهُ عليْهِما وَقِيلَ لِابْنِ عبَّاسٍ ماتَتْ فُلانَةُ لِبَعْضِ أزْواجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَجَدَ فَقِيلَ لهُ أَتَسْجُدُ هٰذِهِ السَّاعةَ فقالَ أَلَيْسَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اذا رَأَيْتُمْ آيَةً فاسْجُدُوا وأَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ منْ ذَهابِ أَزْواجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وكانَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ يَزُورانِ أُمَّ أَيْمَنَ مَوْلاةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ويَقولانِ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَزُورُها ولَمَّا ورَدَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَسَطَ لَها رِداءَهُ وقَضَى حاجَتَها فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَفَدَتْ على أبي بَكْرٍ وعُمَرَ فَصَنَعا بِها مِثْلَ ذَلِكَ

(فصل)

﴿ فصل ﴾

ومِنْ تَوْقيرِهِ وَبِرِّهِ صلى الله عليه وسلم تَوْقيرُ أصحابِهِ وَبِرُّهُمْ ومَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ والاقْتِداء بِهِمْ وحُسْنُ الثَّناء عليْهِمْ والاسْتِغْفارُ لَهُمْ والإِمْساكُ عمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ومُعاداةُ مَنْ عاداهُمْ والإِضْرابُ عَنْ أخْبارِ المُؤَرِّخِينَ وجَهَلَةِ الرُّواةِ وضُلَّالِ الشِّيعَةِ والمُبْتَدِعينَ القادِحَةِ في أحَدٍ مِنْهُمْ وأنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيما نُقِلَ عنهُمْ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِيما كانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الفِتَنِ أحْسَنُ التَّأْوِيلاتِ وَيُخَرَّجَ لَهُمْ أصْوَبُ المَخارِجِ اذ هُمْ أهْلُ ذَلِكَ ولا يُذْكَرُ أحَدٌ منهُمْ بِسُوء ولا يُغْمَصُ عليهِ أمْرٌ بَلْ تُذْكَرُ حَسَناتُهُمْ وفَضائِلُهُمْ وحَمِيدُ سِيَرِهِمْ وَيُسْكَتُ عمَّا وَراءَ ذَلِكَ كما قالَ صلى الله عليه وسلم اذا ذُكِرَ أصْحابِي فَأَمْسِكُوا قالَ اللهُ تعالي مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ علي الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ الي آخِرِ السُّورَةِ وقالَ والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ الايَةَ وقالَ تعالي لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ اذ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وقالَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليْهِ الآيَةَ * حدثنا القاضي أبو عَلِيٍّ حدثنا أبو الحُسَيْنِ وأبو الفَضْلِ قالا حدثنا أبو يَعْلى حدثنا أبو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ مَحْبُوبٍ حدثنا التِّرْمِذِيُّ حدثنا الحَسَنُ بنُ الصَّبَّاحِ حدثنا سُفْيان بنُ عُيَيْنَةَ عنْ زائِدَةَ عنْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرٍ عنْ رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ عنْ حُذَيْفَةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ من بَعْدِي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ وقالَ أصْحابِي كالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ * وعنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَثَلُ أصْحابي كَمَثَلِ المِلْحِ في الطَّعامِ

لا يَصلُحُ الطَّعامُ الَّا به وقالَ اللهَ اللهَ في أصحابِي لا تتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أحبَّهُمْ فَبِحُبِّي أحبَّهُمْ ومَنْ أبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أبغضَهُمْ ومَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ومَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ومَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أنْ يَأْخُذَهُ وقالَ لا تَسُبُّوا أصحابِي فلَوْ أنفَقَ أحَدُكُمْ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصيفَهُ وقالَ مَنْ سَبَّ أصحابِي فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ لا يَقْبَلُ اللهُ منهُ صَرْفاً ولا عَدْلاً وقالَ اذا ذُكِرَ أصحابِي فأمْسِكُوا وقالَ في حديثِ جابِرٍ إنَّ اللهَ اختارَ أصحابِي على جميعِ العالَمِينَ سِوَى النَّبِيّينَ والمُرْسَلِينَ واختارَ لِي مِنهُمْ أربَعَةً أبا بَكرٍ وعمرَ وعُثْمانَ وعَلِيًّا فَجعَلَهُمْ خَيرَ أصحابِي وفي أصحابِي كُلِّهِمْ خَيرٌ وقالَ مَنْ أحَبَّ عمرَ فقَدْ أحَبَّنِي ومَنْ أبغَضَ عمرَ فقدْ أبغَضَنِي وقالَ مالِكُ بنُ أنسٍ وغَيرُهُ مَنْ أبغَضَ الصَّحابَةَ وسَبَّهُمْ فَلَيسَ لهُ في فَيْءِ المُسلِمِينَ حَقٌّ وَنَزَعَ بآيةِ الحَشْرِ والَّذِينَ جاؤُا مِنْ بَعْدِهِمْ الآيةَ وقالَ مَنْ غاظَهُ أصحابُ محمّدٍ فَهُوَ كافِرٌ قالَ اللهُ تعالي لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ خَصلَتانِ مَنْ كانَتا فيهِ نَجا الصِّدْقُ وحُبُّ أصحابِ محمّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ أيُّوبُ السَّختِيانِيُّ مَنْ أحَبَّ أبا بَكرٍ فقدْ أقامَ الدِّينَ ومَنْ أحَبَّ عمرَ فقدْ أوْضَحَ السَّبِيلَ ومَنْ أحَبَّ عُثْمانَ فقدِ استَضاءَ بِنُورِ اللهِ ومَنْ أحَبَّ عَلِيًّا فقدْ أخَذَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى ومَنْ أحسَنَ الثَّناءَ على أصحابِ محمّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم فقدْ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ ومَنِ انتَقَصَ أحَدًا مِنهُمْ فَهُوَ مُبتَدِعٌ مُخالِفٌ لِلسُّنَّةِ والسَّلَفِ الصَّالِحِ وأخافُ أنْ لا يَصعَدَ لهُ عَمَلٌ الي السَّماءِ حَتَّى يُحِبَّهُمْ جميعاً وَيَكونَ قَلبُهُ سَليماً * وفي حديثِ خالِدِ بنِ سَعِيدٍ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ أيُّها النَّاسُ إنِّي راضٍ

عن

عَنْ أبِي بَكْر فاعرِفُوا لَهُ ذلِكَ أيُّها النَّاسُ انِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ وعَنْ عَلِيّ
وعَنْ عثْمانَ وطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وسَعْدٍ وسعِيدٍ وعَبْدِالرَّحمٰنِ بنِ عوْفٍ فاعرِفُوا
لَهُمْ ذلِكَ أيُّها النَّاسُ انّ اللهَ غفَرَ لِأهْلِ بَدْر والحُدَيْبِيَةِ أيُّها النَّاسُ احفظُوني
في أصْحابِي وأصْهارِي وأخْتانِي لايُطالِبَنَّكُمْ أحَدٌ مِنهُمْ بِمَظْلِمَةٍ فانّها مَظْلِمَةٌ
لاتُوهَبُ في القِيامَةِ غدًا وقالَ رَجلٌ لِلمُعافي بْنِ عِمْرانَ أيْنَ عُمَرُ بْنُ عبْدِ
العَزِيزِ مِنْ مُعاوِيَةَ فَغَضِبَ وقالَ لايُقاسُ بأصْحابِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ
وسلم أحَدٌ مُعاوِيَةُ صاحِبُهُ وصِهْرُهُ وَكاتِبُهُ وأمِينُهُ علي وحْيِ اللهِ واتِيَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِجَنازَةِ رَجلٍ فلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ وقالَ كانَ
يُبْغِضُ عثْمانَ فأبْغَضَهُ اللهُ وقالَ صلى الله عليه وسلم في الأنْصارِ
اعفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ واقبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وقالَ احفَظُونِي في أصْحابِي
وأصْهارِي فانَّهُ مَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حفِظَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ومَنْ لَمْ
يَحْفَظْنِي فِيهِمْ تخَلَّى اللهُ مِنهُ ومَنْ تخَلَّي اللهُ مِنْهُ يُوشِكُ أنْ يأخُذَهُ وعَنهُ
صلى الله عليه وسلم مَنْ حَفِظَنِي في أصْحابِي كُنْتُ لَهُ حافِظاً يوْمَ القيامَةِ
وقالَ مَنْ حَفِظَنِي في أصْحابِي وَرَدَ عَلَيَّ الحَوْضَ ومَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي في
أصْحابِي لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوْضَ ولَمْ يَرَنِي الا مِنْ بَعِيدٍ قالَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ
هٰذَا النَّبِيُّ مُؤَدِّبُ الخَلْقِ الَّذِي هَدَانا اللهُ بِهِ وجعَلَهُ رَحْمَةً لِلعالَمِينَ يَخْرُجُ
في جَوْفِ اللَّيْلِ الي البَقِيعِ فيَدْعُو لَهُمْ ويَسْتَغْفِرُ كالمُوَدِّعِ لَهُمْ وبِذَلِكَ أمَرَهُ
اللهُ وأمَرَ النَّبِيُّ بِحُبِّهِمْ ومُوالاتِهِمْ ومُعاداةِ مَنْ عاداهُمْ وَرُوِيَ عَنْ كَعْبٍ
لَيْسَ أحَدٌ مِنْ أصْحابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الاَّ لَهُ شفاعَةٌ يوْمَ القِيامَةِ
وطَلَبَ مِنَ المُغِيرَةِ بْنِ نَوْفَلٍ أنْ يَشفَعَ لَهُ يَوْمَ القيامَةِ قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللهِ

التُّسْتَرِيُّ لَمْ يُؤْمِنْ بالرَّسُولِ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أصحابَهُ ولَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ

(فصل)

ومِنْ اعظامِهِ واكبارِهِ اعظامُ جَمِيعِ أسبابِهِ واكرامُ مشاهِدِهِ وأمكِنَتِهِ مِنْ مَكَّةَ والمَدِينَةِ ومَعاهِدِهِ وما لَمَسَهُ صلى الله عليه وسلم أوْ عُرِفَ بِهِ ورُوِىَ عَنْ صفيَّةَ بِنْتِ نَجْدَةَ قالَتْ كانَ لِأبِي مَحْذُورَةَ قُصَّةٌ في مُقَدَّمِ رَأْسِهِ اذا قَعَدَ وأرسَلَها أصابَتِ الأَرْضَ فَقِيلَ لَهُ ألاَ تَحْلِقُها فَقالَ لَمْ أكُنْ بالَّذِي أحْلِقُها وقَدْ مَسَّها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ وكانَتْ في قَلَنْسُوَةِ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِهِ صلي الله عليه وسلم فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوَتُهُ في بَعْضِ حُرُوبِهِ فَشَدَّ عَلَيْها شَدَّةً أنكَرَ عَلَيْهِ أصحابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَثْرَةَ مَنْ قُتِلَ فِيها فَقالَ لَمْ أفْعَلْها بِسَبَبِ القَلَنْسُوَةِ بَلْ لِما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ شَعَرِهِ صلي الله عليه وسلم لِئَلاَّ أُسْلَبَ بَرَكَتَها وتَقَعَ في أيْدِي المُشْرِكِينَ ورُوِىَ ابْنُ عُمَرَ واضِعاً يَدَهُ علي مَقْعَدِ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم مِنَ المِنْبَرِ ثُمَّ وضَعَها على وجْهِهِ ولِهٰذا كانَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ لايَرْكَبُ بالمَدِينَةِ دابَّةً وكانَ يَقُولُ أستَحْيِي مِنَ اللهِ أنْ أطَأَ تُرْبَةً فِيها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِحافِرِ دابَّةٍ ورُوِيَ عَنْهُ أنَّهُ وهَبَ لِلشّافِعِيِّ كُرَاعاً كَثِيراً كانَ عِنْدَهُ فَقالَ لَهُ الشّافِعِيُّ أمْسِكْ مِنْها دابَّةً فَأجابَهُ بِمِثْلِ هٰذا الجَوابِ وقَدْ حَكَى أبو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ عَنْ أحْمَدَ بْنِ فَضْلُوَيْهِ الزّاهِدِ وكانَ مِنَ الغُزاةِ الرُّماةِ أنَّهُ قالَ ما مَسَسْتُ القَوْسَ بِيَدِي الأعلى طَهارَةٍ مُنْذُ بَلَغَنِي أنَّ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم أخَذَ القَوْسَ بِيَدِهِ وقَدْ أفْتَي مالِكٌ فِيمَنْ قالَ تُرْبَةُ المَدِينَةِ رَدِيَّةٌ يُضْرَبُ ثَلاثِينَ دِرَّةً وأمَرَ بِحَبْسِهِ

وكان له قدرٌ وقال ما أحوجهُ الى ضربِ عنقِهِ تربةٌ دفن فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم يزعمُ أنها غيرُ طيبةٍ وفي الصحيحِ أنهُ قال صلى الله عليه وسلم في المدينةِ من أحدثَ فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ لا يقبلُ اللهُ منهُ صرفاً ولا عدلاً وحُكيَ أنَّ جهجاهاً الغفاريَّ أخذَ قضيبَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم من يدِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ وتناولهُ ليكسرهُ على رُكبتهِ فصاحَ بهِ الناسُ فأخذتهُ الآكلةُ في رُكبتهِ فقطعها وماتَ قبلَ الحولِ وقالَ صلى الله عليه وسلم من حلفَ على منبري كاذباً فليتبوأْ مقعدهُ من النارِ وحُدِّثتُ أنَّ أبا الفضلِ الجوهريَّ لمَّا وردَ المدينةَ زائراً وقربَ من بيوتها ترجّلَ ومشى باكياً منشداً

ولمَّا رأينا رسمَ من لم يدعْ لنا * فؤاداً لعرفانِ الرسومِ ولا لُبَّا
نزلنا عن الأكوارِ نمشي كرامةً * لمن بانَ عنهُ أنْ نُلمَّ بهِ رَكْباً

وحُكيَ عن بعضِ المريدينَ أنهُ لمَّا أشرفَ على مدينةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم أنشأَ يقولُ متمثلاً

رُفعَ الحجابُ لنا فلاحَ لناظرٍ * قمرٌ تقطّعَ دونهُ الأوهامُ
واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً * فظهورهنَّ على الرحالِ حرامُ
قرّبننا من خيرِ من وطئَ الثرى * فلها علينا حرمةٌ وذمامُ

وحُكيَ عن بعضِ المشايخِ أنهُ حجَّ ماشياً فقيلَ لهُ في ذلكَ فقالَ العبدُ الآبقُ يأتي الى بيتِ مولاهُ راكباً لو قدرتُ أنْ أمشيَ على رأسي ما مشيتُ على قدميَّ قالَ القاضي وجديرٌ لمواطنَ عمرتْ بالوحيِ والتنزيلِ وترددَ بها جبريلُ وميكائيلُ وعرجتْ منها الملائكةُ والروحُ وضجّتْ عرصاتها

بالتقديسِ والتسبيحِ واشتملتْ تُربتُها على جسدِ سيّدِ البشرِ وانتشر عنها من دينِ اللهِ وسنّةِ رسولِهِ ما انتشر مدارسُ آياتٍ ومساجدُ وصلواتٌ ومشاهدُ الفضائلِ والخيراتِ ومعاهدُ البراهينِ والمعجزاتِ ومناسكُ الدينِ ومشاعرُ المسلمينَ ومواقفُ سيّدِ المرسلينَ ومتبوّأُ خاتمِ النبيّينَ حيثُ انفجرتِ النبوّةُ وأينَ فاضَ عُبابُها ومواطنُ طُويتْ فيها الرسالةُ وأوّلُ أرضٍ مسّ جلدَ المصطفى ترابُها أنْ تعظمَ عرصاتُها وتتنسّمَ نفحاتُها وتقبّلَ ربوعُها وجدرانُها

يا دارَ خيرِ المرسلينَ ومَنْ بهِ * هُدِيَ الأنامُ وخُصَّ بالآياتِ

عندي لأجلِكِ لوعةٌ وصبابةٌ * وتشوّقٌ متوقّدُ الجمراتِ

وعليَّ عهدٌ انْ ملأتُ محاجري * منْ تلكمُ الجدراتِ والعرصاتِ

لأُعفرنَّ مصونَ شيبي بينها * منْ كثرةِ التقبيلِ والرشفاتِ

لولا العوادي والأعادي زرتُها * أبدًا ولوْ سحبًا على الوجناتِ

لكنْ سأهدي منْ حفيلِ تحيّتي * لقطينِ تلكَ الدارِ والحجراتِ

أزكي منَ المسكِ المفتّقِ نفحةً * تغشاهُ بالآصالِ والبكراتِ

وتخصُّهُ بزواكي الصلواتِ * ونوامي التسليمِ والبركاتِ

الباب الرابع

في حكمِ الصلاةِ عليهِ والتسليمِ وفرضِ ذلكَ وفضيلتِهِ

قالَ اللهُ تعالى ان اللهَ وملائكتهُ يصلّونَ على النبيِّ الآيةَ قال ابنُ عبّاس معناهُ انّ اللهَ وملائكتهُ يباركونَ على النبيِّ وقيلَ انّ اللهَ يترحّمُ على النبيِّ وملائكتهُ يدعونَ لهُ قالَ المبرّدُ وأصلُ الصلاةِ الترحّمُ فهيَ منَ

الله

اللهِ رَحمةٌ ومِنَ المَلائِكةِ رِقّةٌ واستِدعاءٌ لِلرَّحمَةِ مِنَ اللهِ وقَدْ وَرَدَ في الحَدِيثِ صِفَةُ صلاةِ المَلائِكةِ على مَنْ جلَسَ يَنْتَظِرُ الصلاةَ اللّهُمَّ اغفِرْ لهُ اللّهُمَّ ارْحَمْهُ فَهٰذا دُعاءٌ وقالَ بَكرٌ القُشَيْرِيُّ الصَّلاةُ مِنَ اللهِ تَعالي لِمَنْ دُونَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَحمَةٌ ولِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَشرِيفٌ وزِيادَةُ تَكرِمةٍ وقالَ أبو العالِيَةِ صلاةُ اللهِ ثناؤُهُ عليهِ عِنْدَ الملائِكةِ وصلاةُ الملائِكةِ الدُّعاءُ قالَ القاضِي أبو الفَضْلِ وقدْ فرَّقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في حَدِيثِ تَعلِيمِ الصَّلاةِ علَيْهِ بَيْنَ لَفظِ الصَّلاةِ ولفظِ البَرَكةِ فَدَلَّ أنَّهُما بِمَعنَيَيْنِ وأمّا التَّسلِيمُ الَّذِي أمَرَ اللهُ تَعالي بِهِ عِبادَهُ فَقالَ القاضِي أبو بَكرِ بْنُ بُكَيْرٍ نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ على النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم فأَمَرَ اللهُ أصحابَهُ أنْ يُسلِّمُوا علَيْهِ وكَذلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ أُمِرُوا أنْ يُسلِّمُوا على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ حُضُورِهِمْ قَبرَهُ وعِنْدَ ذِكرِهِ وفي مَعنَي السَّلام علَيْهِ ثَلاثَةُ وُجُوهٍ أحَدُها السَّلامَةُ لكَ ومعَكَ ويَكونُ السَّلامُ مَصدَرًا كاللَّذاذِ واللَّذاذَةِ الثّانِي أيِ السَّلامُ علي حِفظِكَ ورِعايَتِكَ مُتَولٍّ لَهُ وكَفِيلٌ بِهِ ويَكونُ هُنا السَّلامُ اسمَ اللهِ الثّالِثُ أنَّ السَّلامَ بِمَعنَي المُسالَمَةِ لَهُ والِانقِيادِ كَما قالَ فَلاَ ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّي يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسلِيماً

(فصل)

اعلَمْ أنَّ الصَّلاةَ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فرضٌ على الجُملَةِ غَيرُ مُحَدَّدٍ بِوَقتٍ لِأَمرِ اللهِ تَعالي بالصَّلاةِ علَيْهِ وحَمْلِ الأئِمّةِ والعُلَماءِ لَهُ على

الوُجُوبِ وأجمَعُوا عليْهِ وحَكَي أبو جعْفرٍ الطَبَرِيُّ أنّ محمِلَ الآيَةِ عِنْدَهُ على النَّدبِ وادَّعي فيهِ الإجْماعَ ولعَلّهُ فيما زَادَ على مرَّةٍ والوَاجِبُ مِنهُ الّذِي يَسقُطُ بِهِ الحَرَجُ ومَأثَمُ ترْكِ الفرْضِ مرَّةٌ كالشَّهادَةِ لَهُ بالنُّبُوَّةِ وما عدَا ذلِكَ فمَنْدُوبٌ مُرَغَّبٌ فيهِ مِنْ سُنَنِ الإسْلَامِ وشِعارِ أهْلِهِ قَالَ القاضِي أبو الحَسَنِ بْنُ القصَّارِ المَشهُورُ عَنْ أصْحابِنا أنّ ذَلِكَ وَاجِبٌ في الجُمْلَةِ على الإنْسانِ وَفَرْضٌ عَلَيْهِ أنْ يأْتِيَ بِها مرَّةً مِنْ دَهْرِهِ مَعَ القُدْرَةِ على ذَلِكَ وقَالَ القاضِي أبو بَكْرِ بْنُ بُكَيْرٍ افْتَرَضَ اللهُ على خلْقِهِ أنْ يُصَلُّوا على نَبِيِّهِ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ولمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ لِوَقْتٍ معْلُومٍ فالوَاجِبُ أنْ يُكْثِرَ المَرْءُ مِنْها ولا يَغْفُلَ عنْها قالَ القاضِي أبو محمَّدٍ بْنُ نَصْرٍ الصَّلاةُ على النَّبيِّ صلى اللهُ علَيْهِ وسلم وَاجِبَةٌ في الجُمْلَةِ قالَ القاضِي أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ذهَبَ مالِكٌ وأصْحابُهُ وغَيْرُهُمْ مِنْ أهلِ العِلْمِ أنّ الصَّلاةَ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَرْضٌ بالجُمْلَةِ بعقْدِ الإيمَانِ لا يتَعَيَّنُ في الصَّلاةِ وأنّ مَنْ صَلَّى علَيْهِ مرَّةً واحِدَةً مِنْ عُمُرِهِ سقَطَ الفَرْضُ عَنْهُ وقالَ أصْحابُ الشَّافِعِيِّ الفَرْضُ مِنْها الّذِي أمَرَ اللهُ تَعالي بِهِ وَرَسُولُهُ صلى اللهُ عليه وسلم هُوَ في الصَّلاةِ وقالُوا وأمّا في غَيْرِها فلا خِلافَ أنّها غَيْرُ واجِبَةٍ وأمّا في الصَّلاةِ فَحَكَى الإمامانِ أبو جعْفرٍ الطَّبَرِيُّ والطَّحاوِيُّ وغَيْرُهُما اجْماعَ جَمِيعِ المُتَقَدِّمِينَ والمُتأَخِّرِينَ مِنْ عُلَماءِ الأُمّةِ على أنّ الصَّلاةَ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في التَّشَهُّدِ غَيْرُ واجِبَةٍ وشَذَّ الشَّافِعِيُّ في ذَلِكَ فقَالَ مَنْ لمْ يُصَلِّ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَعْدِ التَّشَهُّدِ الآخِرِ قَبْلَ السَّلامِ فَصَلاتُهُ فاسِدَةٌ وانْ صَلَّى علَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ لمْ تُجزِهِ ولاَ سَلَفَ لَهُ في هٰذا القَوْلِ ولا سُنَّةَ يَتّبِعُها وقدْ بالَغَ في انْكارِ هٰذِهِ المَسْئلَةِ علَيْهِ لِمُخالَفَتِهِ فِيها

مَنْ تَقَدَّمَهُ جَمَاعَةٌ وشنّعُوا عليهِ الخِلافَ فِيها مِنهُمُ الطَّبَرِيُّ والقُشَيرِيُّ وغَيرُهُ واحِدٍ وقالَ أبو بَكرِ بْنُ المُنْذِرِ يُستَحَبُّ أنْ لا يُصَلِّيَ أحَدٌ صلاةً الاّ صَلَّى فِيها علي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تارِكٌ فصلاتُهُ مُجزِئَةٌ في مَذهَبِ مالِكٍ وأهلِ المَدِينَةِ وسفْيانَ الثَّورِيِّ وأهلِ الكُوفَةِ منْ أصحابِ الرَّأيِ وَغَيرِهِمْ وهُوَ قَوْلُ جُمَلِ أهلِ العِلْمِ وَحُكِيَ عَنْ مالِكٍ وسفْيانَ أنّها في التَّشَهُّدِ الأخِيرِ مُستَحبَّةٌ وأنّ تارِكَها في التَّشهُّدِ مُسِيءٌ وشَذَّ الشَّافِعِيُّ فأوْجَبَ على تارِكِها في الصَّلاةِ الإعادَةَ وأوْجَبَ اسحاقُ الإعادَةَ مَعَ تَعَمُّدِ تَرْكِها دُونَ النِّسْيانِ وحَكَي أبو مُحمّدِ بْنُ أبي زَيْدٍ عَنْ مُحَمّدِ بنِ المَوَّازِ أنّ الصلاةَ على النبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَرِيضَةٌ قالَ أبو محمّدٍ يُرِيدُ لَيسَتْ مِنْ فَرائِضِ الصَّلاةِ وقالَهُ مُحمّد بْنُ عَبْدِ الحَكَمِ وغَيرُهُ وحَكَي ابْنُ القَصّارِ وَعَبْدُ الوَهّابِ أنّ مُحَمّدَ بْنَ المَوَّازِ يَرَاها فَرِيضَةً في الصَّلاةِ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ وَحَكَى أبو يَعْلَى العَبْدِيُّ المَالِكِيُّ عَنِ المَذهَبِ فِيها ثَلاثَةَ أقْوالٍ الوُجُوبُ والسنّةُ والنَّدْبُ وَقَدْ خالَفَ الخَطّابِيُّ مِنْ أصْحابِ الشّافِعِيِّ وغَيرُهُ الشّافِعِيَّ في هٰذِهِ المَسْأَلَةِ قالَ الخَطّابِيُّ وَلَيسَتْ بِواجِبَةٍ في الصَّلاةِ وهُوَ قَوْلُ جَماعَةِ الفُقَهاءِ الاّ الشَّافِعِيَّ وَلا أعْلَمُ لَهُ فِيها قُدْوَةً والدَّلِيلُ على أنّها لَيسَتْ مِنْ فُرُوضِ الصَّلاةِ عَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِحِ قَبْلَ الشّافِعِيِّ واجْماعُهُمْ عَلَيْهِ وقَدْ شَنَّعَ النَّاسُ عَلَيْهِ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ جِدًّا وَهٰذَا تَشَهُّدُ ابنِ مَسْعُودٍ الّذِي اخْتارَهُ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ الّذِي عَلّمَهُ لَهُ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم لَيسَ فِيهِ الصَّلاةُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ رَوَى التَّشَهُّدَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كأبِي هُرَيْرَةَ وابْنِ عَبّاسٍ وجابِرٍ وابْنِ عُمَرَ وأبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وأبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ

وعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ صلاةً على النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وقَدْ قالَ ابنُ عبَّاسٍ وجابِرٌ كانَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا التَّشَهُّدَ كما يُعَلِّمُنا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ ونَحْوُهُ عَنْ أَبِي سَعيدٍ وقالَ ابنُ عُمَرَ كانَ أبو بَكْرٍ يُعَلِّمُنا التَّشَهُّدَ علي المِنْبَرِ كما يُعَلِّمُونَ الصِّبْيانَ في الكُتَّابِ وعَلَّمَهُ أيضاً على المِنْبَرِ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ وفي الحَديثِ لاصلاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ قالَ ابْنُ القَصَّارِ مَعْناهُ كامِلَةً أوْ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ مَرَّةً في عُمُرِهِ وضَعَّفَ أهلُ الحَديثِ كُلُّهُمْ رِوَايَةَ هذا الحَديثِ وفي حَديثِ أبِي جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صلي الله عليه وسلم مَنْ صَلَّى صلاةً لَمْ يُصَلِّ فِيها عَلَيَّ وعلى أهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ قالَ الدَّارَقُطْنِيُّ الصَّوابُ أنَّهُ مِنْ قَوْلِ أبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحسَيْنِ لَوْ صَلَّيْتُ صلاةً لَمْ أُصَلِّ فِيها على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ولا على أهْلِ بَيْتِهِ لَرَأَيْتُ أنَّها لا تَتِمُّ

فصل في المواطنِ التي يُستحبُّ فيها الصلاةُ والسلامُ (على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم)

ويُرَغَّبُ من ذَلِكَ في تَشَهُّدِ الصَّلاةِ كما قَدَّمْناهُ وذَلِكَ بعْدَ التَّشَهُّدِ وقَبْلَ الدُّعاءِ حدثنا القاضى أبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ بِقِراءَتِي عليهِ قالَ حدثنا الإمامُ أبو القاسِمِ البَلْخِيُّ قال حدثنا الفارِسِيُّ عنْ أبي القاسِمِ الخُزاعِيِّ عَنْ أبي الهَيْثَمِ بنِ كُلَيْبٍ عنْ أبي عِيسَى الحافِظِ حدثنا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حدثنا عبدُ اللهِ بنُ يَزِيدَ المُقْرِئُ حدثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ حدثَني أبو هانِئٍ الخَوْلانِيُّ أنَّ عَمْرَو ابنَ مالِكٍ الجَنْبِيَّ أخبَرَهُ أنَّهُ سَمِعَ فَضالَةَ بنَ عُبَيْدٍ يقولُ سَمِعَ النَّبِيُّ صلى

الله

الله عليه وسلم رَجُلًا يدعُو في صَلاتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم عَجِلَ هٰذا ثمَّ دَعاهُ فقال لهُ ولغيرِهِ اذا صَلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ثمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِما شاء ويُرْوَى مِنْ غَيْرِ هٰذَا السَّنَدِ بِتَمْجِيدِ اللهِ وهوَ أصحُّ * وعنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ الدُّعاءُ والصلاةُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ فَلا يَصْعَدُ الي اللهِ منهُ شيْءٌ حتَّي يُصَلَّى على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعنْ عَليٍّ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بِمَعْناهُ .وعَنْ عَليٍّ وعلى آلِ محمَّدٍ ورُوِيَ أنَّ الدُّعاءَ مَحْجُوبٌ حتّي يُصَلِّيَ الدَّاعِي على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعن ابن مَسْعُودٍ اذا أرادَ أحدُكُمْ أنْ يَسْأَلَ اللهَ شيئًا فَلْيَبْدَأْ بِمدْحِهِ والثَّناءِ عليهِ بِما هوَ أهلُهُ ثمَّ يُصَلِّي علي النبيّ صلى الله عليه وسلم ثمَّ لِيَسْأَلْ فانّهُ أجْدَرُ أنْ يَنْجَحَ وعنْ جابِرٍ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لا تَجْعَلُونِى كَقَدَحِ الرَّاكِبِ فانَّ الرَّاكِبَ يَمْلَأُ قَدَحَهُ ثمَّ يَضَعُهُ ويَرْفَعُ مَتاعَهُ فإنِ احْتاجَ الى شَرابٍ شَرِبَهُ أوِ الوُضُوءِ تَوَضَّأَ والّا أهْرَاقَهُ ولَكِنِ اجْعَلُوني في أوَّلِ الدُّعاءِ وأوْسَطِهِ وآخِرِهِ * وقال ابنُ عَطاءٍ لِلدُّعاءِ أرْكانٌ وأجْنِحَةٌ وأسْبابٌ وأوْقاتٌ فانْ وافَقَ أرْكانَهُ قَوِيَ وانْ وافَقَ أجْنِحَتَهُ طارَ في السَّماءِ وانْ وافَقَ مَواقِيتَهُ فازَ وانْ وافَقَ أسْبابَهُ أنْجَحَ فأرْكانُهُ حُضُورُ القَلْبِ والرِّقَّةُ والِاسْتِكانَةُ والخُشُوعُ وتَعَلُّقُ القَلْبِ باللهِ وقَطْعُهُ منَ الأسْبابِ وأجْنِحَتُهُ الصِّدْقُ ومَواقِيتُهُ الأسْحارُ وأسْبابُهُ الصّلاةُ على محمّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم * وفي الحَديثِ الدُّعاءُ بَيْنَ الصّلاتَيْنِ لا يُرَدُّ وفي حديثٍ آخَرَ كُلُّ

دُعاءٍ مَحْجُوبٌ دُونَ السَّماءِ فاذا جاءتِ الصلاةُ عَلَيَّ صَعِدَ الدُّعاءُ وفي دُعاءِ
ابنِ عبَّاس الَّذِي رَواهُ عنهُ حَنَشٌ فقالَ في آخرِهِ واستَجِبْ دُعائِي ثمَّ تَبْدَا
بالصلاةِ علي النبيِّ صلى الله عليه وسلم فتَقولُ اللهُمَّ انِّي أسأَلُكَ أنْ تُصَلِّيَ على محمدٍ
عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ ورَسُولِكَ أفضَلَ ما صلَّيْتَ على أحَدٍ مِن خَلْقِكَ أجمَعِينَ آمينَ ومِنْ
مَواطِنِ الصَّلاةِ عليه عندَ ذِكْرِهِ وسَماعِ اسْمِهِ أوْ كِتابِهِ أوْ عنْدَ الأذانِ
وقدْ قالَ صلى الله عليه وسلم رَغِمَ أنفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عندَهُ فلم يُصَلِّ
عَلَيَّ وكَرِهَ ابنُ حَبِيبٍ ذِكْرَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندَ الذَّبْحِ وكَرِهَ
سُحْنونٌ الصَّلاةَ عليه عندَ التَّعجُّبِ وقالَ لا يُصَلِّي عليهِ الا على طَرِيقِ الِاحتِساب
وطَلَبِ الثَّوابِ وقال أصْبغُ عنِ ابنِ القاسِمِ مَوْطِنان لا يُذْكَرُ فِيهما الا اللهُ
الذبِيحةُ والعُطاسُ فَلا تَقُلْ فيهِما بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ولوْ قالَ بَعْدَ
ذِكْرِ اللهِ صلَّى اللهُ على محمَّدٍ لم يَكُنْ تَسْمِيَةً لهُ معَ اللهِ وقالَهُ أشْهبُ قالَ ولا
يَنْبَغي أنْ تُجعَلَ الصَّلاةُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيهِ اسْتِناناً ورَوَى
النَّسائِيُّ عَنْ أوْسِ بْنِ أوْسٍ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الأمْرَ بالإِكْثارِ
مِنَ الصَّلاةِ عليْهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ ومِنْ مَواطِنِ الصَّلاةِ والسَّلامِ دُخُولُ المَسْجِدِ
قالَ أبو اسْحاقَ بْنُ شَعْبانَ ويَنْبَغي لِمنْ دَخَلَ المسْجِدَ أنْ يُصَلِّيَ على النَّبيِّ
صلى الله عليه وسلم وعلى آلِهِ ويَتَرَحَّمَ عليه وعلى آلِهِ ويُبارِكَ عليه وعلى آلِه ويُسَلِّمَ
تَسْلِيماً ويَقُولَ اللهُمَّ اغفِرْ لِي ذُنُوبِي وافتَحْ لِي أبْوابَ رَحْمَتِكَ واذا خَرَجَ
فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وجعَلَ مَوْضِعَ رَحْمَتِكَ فَضْلَكَ وقالَ عَمْرُو بْنُ دِينار في قَوْلِهِ
تَعالَى فاذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا على أنْفُسِكُمْ قالَ انْ لَمْ يَكُنْ في البَيْتِ
أحَدٌ فقلِ السَّلامُ علي النَّبيِّ ورَحمةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ السَّلامُ علينا وعلى عِبادِ

اللهِ

اللهِ الصَّالِحينَ السَّلامُ على أهلِ البيْتِ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ قالَ ابنُ عبَّاسٍ
المُرَادُ بالبُيُوتِ هُنا المَساجِدُ وقالَ النَّخَعِيُّ اذَا لَمْ يَكُنْ في المَسْجِدِ أحَدٌ فَقُلِ
السَّلامُ على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم واذَا لَمْ يَكُنْ في البَيْتِ أحَدٌ
فَقُلِ السَّلامُ علَيْنا وعلي عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ وعَنْ علْقَمَةَ اذا دَخلْتُ المَسْجِدَ
أقُولُ السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبِيُّ ورَحمةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ صَلَّي اللهُ وملائِكَتهُ
على مُحمَّدٍ ونَحْوُهُ عنْ كَعْبٍ اذا دَخَلَ واذا خَرَجَ ولمْ يَذْكُرِ الصَّلاةَ واحْتَجَّ
ابنُ شَعْبانَ لِما ذَكَرَهُ بِحَدِيثِ فاطِمَةَ بِنْتِ رسولِ اللهِ صلي اللهُ عليه
وسلم أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يَفْعَلُهُ اذا دَخَلَ المَسْجِدَ ومِثْلُهُ عنْ
أبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ وذَكَرَ السَّلامَ والرَّحمَةَ وقدْ ذَكَرْنا هذا
الحَدِيثَ آخِرَ القِسْمِ والإِخْتِلافَ في الفاظِهِ * ومِنْ مَواطِنِ الصَّلاةِ عليه أيْضاً
الصَّلاةُ على الجَنائِزِ وذُكِرَ عنْ أبِي أُمامةَ أنَّها مِنَ السُّنَّةِ * ومِنْ مَوَاطِنِ
الصَّلاةِ الَّتِي مَضَى عليْها عَمَلُ الأُمَّةِ ولمْ تُنْكِرْها الصَّلاةُ على النَّبِيِّ صلى
اللهُ عليه وسلم وآلِهِ في الرَّسائِلِ وما يُكْتَبُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ ولَمْ يَكُنْ
هذَا في الصَّدْرِ الأوَّلِ وأُحْدِثَ عِنْدَ وِلايَةِ بَنِي هاشِمٍ فَمَضَي بِهِ عَمَلُ النَّاسِ في
أقْطارِ الأرْضِ ومِنْهُمْ مَنْ يَخْتِمُ بِهِ أيْضاً الكُتُبَ وقالَ صلي اللهُ عليه وسلم مَنْ صَلَّى
عَلَيَّ في كِتابٍ لمْ تزَلِ المَلائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مادامَ اسْمِي في ذَلِكَ الكِتابِ * ومِنْ
مَواطِنِ السَّلامِ علي النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم تَشَهُّدُ الصَّلاةِ * حدثنا أبو القاسِمِ
خَلَفُ بنُ ابراهِيمَ المُقْرِئُ الخَطِيبُ رَحِمَهُ اللهُ وغَيْرُهُ قالَ حدثَتْني كَرِيمَةُ بِنْتُ
مُحمَّدٍ قالَتْ حدثنا أبو الهَيْثَمِ حدثنا مُحمَّدُ بنُ يوسُفَ حدثنا مُحمَّدُ بنُ اسماعيلَ
حدثنا أبو نُعَيْمٍ حدثنا الأعْمَشُ عنْ شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ

مَسْعُودٍ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ اذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ التحيّاتُ لِلّهِ والصَّلَوَاتُ والطَّيِّباتُ السّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ السَّلامُ علينا وعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ فإِنَّكُمْ اذا قُلْتُمُوها أصابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صالِحٍ في السَّماءِ والأَرْضِ هذا أحَدُ مَواطِنِ التَّسْليمِ عليهِ وسُنَّتُهُ أوَّلُ التَّشَهُّدِ وقَدْ رَوَى مالِكٌ عنِ ابنِ عُمَرَ أنَّهُ كانَ يقُولُ ذَلِكَ اذا فَرَغَ مِنْ تَشَهُّدِهِ وأرادَ أنْ يُسَلِّمَ واسْتَحَبَّ مالِكٌ في المَبْسُوطِ أنْ يُسَلِّمَ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَبْلَ السَّلامِ قالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ أرادَ ماجاءَ عنْ عائِشَةَ وابنِ عُمَرَ أنّهما كانا يقولانِ عنْدَ سَلامِهِما السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ السَّلامُ علينا وعلي عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ السَّلامُ عليكُمْ واسْتَحَبَّ أهلُ العِلْمِ أنْ يَنْوِيَ الإِنسانُ حِينَ سَلامِهِ كُلَّ عبدٍ صالِحٍ في السَّماءِ والأَرْضِ منَ المَلائكَةِ وبَني آدَمَ والجِنِّ قالَ مالِكٌ في المَجْمُوعَةِ وأُحِبُّ لِلمَأْمُومِ اذا سَلَّمَ إِمامُهُ أنْ يَقُولَ السَّلامُ على النَّبيِّ ورحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالِحِينَ السَّلامُ عليكُمْ

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا أبو إِسْحٰقَ ابراهِيمُ بنُ جَعْفَرٍ الفَقِيهُ بِقِراءتِي عليهِ حدثنا القاضِي أبو الأَصْبَغِ نا أبو عَبْدِاللهِ بْنُ عَتّابٍ حدثنا أبو بَكْرِ بنُ واقِدٍ وغَيْرُهُ حدثنا أبو عيسى حدثنا عُبَيْدُاللهِ حدثنا يَحْيَى حدثنا مالِكٌ عن عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ عنْ أبِيهِ عنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ أنّهُ قالَ أخْبَرَنِي أبو حُمَيْدٍ السّاعِدِيُّ أنَّهُمْ قالوا يارسولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عليكَ فقالَ قُولوا

اللهم

اللهمَّ صلِّ علي محمّدٍ وأزواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ كما صلّيتَ على آلِ ابراهيمَ وبارِكْ علي محمّدٍ وأزواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ كما باركتَ على آلِ ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ وفي رِوايةِ مالِكٍ عنْ أبي مَسعُودٍ الأنصارِيِّ قالَ قُولوا اللهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وعلي آلِهِ كما صلّيتَ على آلِ ابراهيمَ وبارِكْ على محمّدٍ وعلي آلِ محمّدٍ كما باركتَ على آلِ ابراهيمَ في العالمينَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ والسّلامُ كما قد علّمتُمْ وفي رِوايةِ كعْبِ بنِ عُجْرَةَ اللهُمَّ صلِّ علي محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كما صلّيتَ على ابراهيمَ وبارِكْ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كما باركتَ على ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ وعَنْ عقْبَةَ بنِ عمْرٍو في حديثِهِ اللهُمَّ صلِّ على محمّدٍ النّبيِّ الأُمّيِّ وعلى آلِ محمّدٍ وفي رِوايةِ أبى سَعيدٍ الخُدْرِيِّ اللهُمَّ صلِّ على محمّدٍ عبْدِكَ ورَسُولِكَ وذَكَرَ معْناهُ وحدثنا القاضي أبو عبْدِاللهِ التّميميُّ سماعاً عليه وأبو علِيٍّ الحَسَنُ بنُ طَرِيفٍ النَّحْويُّ بِقراءَتِي علَيْهِ قالا حدثنا أبو عبدِاللهِ بنُ سَعْدُونَ الفَقيهُ حدثنا أبو بَكْرٍ المُطَّوِّعيُّ قالَ حدثنا أبو عبدِاللهِ الحاكِمُ عَنْ أبي بَكْرِ بن أبي دارِمٍ الحافِظِ عَنْ علِيِّ بنِ أحمَدَ العِجْلِيِّ عَنْ حرْبِ بنِ الحَسَنِ عَنْ يحْيَى بنِ المُساوِرِ عَنْ عمْرِو بنِ خالِدٍ عَنْ زَيْدِ بنِ علِيِّ بنِ الحُسَيْنِ عَنْ أبِيهِ علِيٍّ عَنْ أبِيهِ الحُسَيْنِ عنْ أبِيهِ علِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ قالَ عدّهُنَّ في يَدِي رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقالَ عدّهُنَّ في يَدِي جِبْرِيلُ وقالَ هكَذا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ رَبِّ العِزّةِ اللهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما صلّيتَ على ابراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ اللهُمَّ بارِكْ علي محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما باركتَ على ابراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ اللهمَّ وتَرَحَّمْ

على محمدٍ وعلي آل محمدٍ كما ترحّمت على ابراهيمَ وعلى آلِ ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ
اللهمَّ وتحنّنْ على محمدٍ وعلي آل محمدٍ كما تحنّنْتَ علي ابراهيمَ وعلي آل ابراهيمَ
انّكَ حميدٌ مجيدٌ اللهمَّ وسلِّمْ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما سلّمْتَ على ابراهيمَ وعلي
آل ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ *وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مَنْ
سَرَّهُ أنْ يَكتالَ بالمِكْيالِ الأوْفيْ اذا صَلَّي علَينا أهْلَ البيْتِ فلْيَقُلِ اللّهمَّ
صلِّ علي مُحَمّدٍ النَّبيِّ وأزْواجِهِ أُمّهاتِ المُؤْمنِينَ وذُرّيّتِهِ وأهْلِ بَيْتِهِ كما
صَلَّيْتَ علي ابراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ وفي رِوَايَةِ زَيْدِ بنِ خارجةَ الأنْصاريِّ
سألتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فقالَ صلُّوا واجْتَهِدُوا
في الدُّعاءِ ثُمَّ قُولوا اللّهُمَّ بارِكْ على مُحَمّدٍ وعلى آلِ مُحَمّدٍ كما بارَكْتَ على
ابْراهيمَ انّكَ حميدٌ مجيدٌ وعنْ سلامَةَ الكِنْدِيِّ كانَ عَلِيٌّ يُعَلِّمُنا الصَّلاةَ
على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم اللّهُمَّ داحِيَ المَدْحُوّاتِ وبارِئَ المَسْمُوكاتِ
اجْعَلْ شَرائِفَ صَلَواتِكَ ونَوامِيَ بَرَكاتِكَ ورأْفَةَ تَحَنُّنِكَ علي مُحَمّدٍ عَبْدِكَ
ورَسُولِكَ الفاتِحِ لِما أُغْلِقَ والخاتِمِ لِما سَبَقَ والمُعْلِنِ الحَقَّ بالحَقِّ والدّامِغِ
لِجَيْشاتِ الأباطِيلِ كما حُمِّلَ فاضْطَلَعَ بأمْرِكَ لِطاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا في مَرْضاتِكَ
واعِياً لِوَحْيِكَ حافِظاً لِعَهْدِكَ ماضِياً على نَفاذِ أمْرِكَ حَتّى أوْرَى قَبَساً لِقابِسِ
آلاءِ اللهِ تَصِلُ بأهْلِهِ أسْبابُهُ بِهِ هُدِيَتِ القُلوبُ بَعْدَ خَوْضاتِ الفِتَنِ والإثْمِ
وأبْهَجَ مُوضِحاتِ الأعْلامِ ونائِراتِ الأحْكامِ ومُنِيراتِ الإسْلامِ فَهُوَ
أمِينُكَ المَأْمُونُ وخازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ نِعْمَةً
ورَسولُكَ بالحَقِّ رَحْمَةً اللهمَّ افْسَحْ لَهُ في عَدْنِكَ واجْزِهِ مُضاعَفاتِ الخَيْرِ
مِنْ فَضْلِكَ مُهَنّآتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّراتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوابِكَ المَحْلُولِ وجَزِيلِ

عطائِكَ المَعْلُولِ اللهُمَّ أعلِ على بناءِ النَّاسِ بناءهُ وأكرِمْ مثواهُ لَديكَ ونُزُلَهُ وأتِمَّ لَهُ نورَهُ واجزهِ مِنَ ابتعاثِكَ لهُ مقبُولَ الشَّهادةِ ومَرْضِيَّ المَقالَةِ ذا منطقٍ عدلٍ وخُطَّةِ فصلٍ وبُرهانٍ عظيمٍ * وعنهُ أيضاً في الصَّلاةِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم انَّ اللهَ وملائكتهُ يُصلُّونَ على النَّبيِّ الآيةَ لَبَّيكَ اللهُمَّ ربِّي وسعديكَ صلواتُ اللهِ البرِّ الرَّحيمِ والملائكةِ المُقرَّبينَ والنَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وما سبَّحَ لكَ مِنْ شيءٍ يارَبَّ العالمينَ على محمَّدِ بن عبدِ اللهِ خاتمِ النَّبيِّينَ وسيِّدِ المُرسلينَ وامامِ المُتَّقينَ ورسُولِ رَبِّ العالمينَ الشَّاهدِ البشيرِ الدَّاعي اليكَ باذنكَ السِّراجِ المُنيرِ وعليهِ السَّلامُ * وعَنْ عبدِاللهِ بن مسعودٍ اللهُمَّ اجعلْ صلَواتِك وبركاتكَ ورحمتكَ على سيِّدِ المُرسلينَ وامامِ المُتَّقينَ وخاتمِ النَّبيِّينَ محمدٍ عبدِكَ ورسُولِكَ امامِ الخيرِ ورسُولِ الرَّحمةِ اللهُمَّ ابعثهُ مقاماً محمُودًا يغبطهُ فيهِ الأوَّلونَ والآخرونَ اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما صلَّيتَ على ابراهيمَ انَّكَ حميدٌ مجيدٌ وبارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما باركتَ على ابراهيمَ وعلى آل ابراهيمَ انَّكَ حميدٌ مجيدٌ * وكانَ الحسنُ البصريُّ يقُولُ مَنْ أرادَ أنْ يشربَ بالكأسِ الأوفى مِنْ حوضِ المُصطفى فَليَقُلِ اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ وأولادِهِ وأزواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ وأهلِ بيتِهِ وأصهارِهِ وأنصارِهِ وأشياعِهِ ومُحبِّيهِ وأُمَّتِهِ وعلينا معهُمْ أجمعينَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ * وعَنْ طاوُسٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّهُ كانَ يقُولُ اللهُمَّ تقبَّلْ شفاعةَ محمَّدٍ الكُبرى وارفعْ درجتهُ العُليا وآتِهِ سُؤلَهُ في الآخرةِ والأولى كما آتيتَ ابراهيمَ ومُوسى * وعَنْ وُهيبِ بنِ الوردِ أنَّهُ كانَ يقُولُ في دُعائِهِ اللهُمَّ أعطِ محمَّدًا أفضلَ ما سألكَ لِنفسهِ وأعطِ محمَّدًا

أفضلَ ماسألكَ له أحدٌ مِنْ خلقِكَ وأعطِ محمّدًا أفضلَ ماأنتَ مسئُولٌ لهُ الي يَوْمِ القيامَةِ * وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه أنّهُ كانَ يَقُولُ اذا صلّيتُمْ علي النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأَحْسِنُوا الصّلاةَ عليه فانّكُمْ لاتدرُونَ لعلّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عليْهِ وقُولوا اللّهُمَّ اجْعَلْ صلَواتِكَ ورَحْمَتَكَ وبرَكاتِكَ علي سَيّدِ المُرْسَلِينَ وامامِ المُتقِينَ وخاتَمِ النَّبيّينَ محمّدٍ عبدِكَ ورَسُولِكَ امامِ الخَيرِ وقائدِ الخيرِ ورَسُولِ الرّحْمَةِ اللّهُمَّ ابعَثهُ مقاماً محمُودًا يغبِطهُ فيهِ الأوّلونَ والآخرُون اللّهُمَّ صلّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما صلّيْتَ علي ابرَاهيمَ انّكَ حَميدٌ مجيدٌ اللّهُمَّ بارِكْ علي محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ كما بارَكْتَ علي ابرَاهيمَ إنّكَ حَميدٌ مجيدٌ * وما يُؤثَرُ مِنْ تَطويلِ الصّلاةِ وتكثيرِ الثّناءِ عَنْ أهْلِ البَيْتِ وغَيْرِهِمْ كَثيرٌ وقولُهُ والسّلامُ كما قدْ عُلِّمْتُمْ هوَ ما علّمَهُمْ في التّشهُّدِ مِنْ قولِه السّلامُ عليْكَ أيُّها النّبيُّ ورحمَةُ اللهِ وبرَكاتُهُ السّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحِينَ وفي تشهُّدِ علِيٍّ السلامُ على نَبيِّ اللهِ السّلامُ على أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ السّلامُ على رسولِ اللهِ السّلامُ على محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ السّلامُ علينا وعلى المُؤمنينَ والمُؤمِناتِ مَنْ غابَ منهُمْ ومَنْ شَهِدَ اللّهُمَّ اغفِرْ لِمحمّدٍ وتقبّلْ شفاعتَهُ واغفِرْ لأهْلِ بَيْتِهِ واغفِرْ لي ولوالِدَيَّ وما وَلَدَا وارْحَمهُما السّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحِينَ السلامُ عليكَ أيُّها النّبيُّ ورحمَةُ اللهِ وبرَكاتُهُ جاءَ في هذا الحَديثِ عنْ علِيٍّ الدُّعاءُ للنّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بالغُفرانِ * وفي حديثِ الصّلاةِ عليهِ عنهُ أيضاً قبلُ الدُّعاءُ لهُ بالرّحمَةِ ولمْ يأْتِ في غيْرِهِ مِنَ الأحاديثِ المَرفوعَةِ المعرُوفَةِ وقدْ ذهَبَ أبُو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ وغَيْرُهُ الي أنّهُ لايُدْعَى للنّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم

بالرَّحمَةِ وانّما يُدْعي لهُ بالصَّلاةِ والبَرَكَةِ الّتي تختصُّ بهِ ويُدْعي لغيرِهِ بالرَّحمَةِ والمَغفرَةِ وقدْ ذَكَرَ أبو محمّدِ بنُ أبي زَيْدٍ في الصَّلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم اللّهمَّ ارْحَمْ محمّدًا وآلَ محمّدٍ كما ترَحّمْتَ على إبْراهيمَ وآلِ ابراهيمَ ولمْ يأْتِ هذا في حديث صَحيحٍ وحُجّتُهُ قولُهُ في السَّلامِ السَّلامُ عليْكَ أيُّها النبيُّ ورَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ

فصل في فضيلةِ الصلاةِ على النبي
﴿ والتّسليمِ عليه والدُّعاءِ لهُ ﴾

حدثنا أحمَدُ بنُ محمدٍ الشَّيْخُ الصَّالِحُ منْ كِتابِهِ حدثنا القاضي يُونُسُ بنُ مُغيثٍ حدثنا أبو بَكْرِ بنُ مُعاوِيَةَ حدثنا النَّسائيُّ أنبأنا سُوَيْدُ بنُ نَصْرٍ أخبَرَنا عبدُ اللهِ عنْ حَيْوَةَ بنِ شُرَيحٍ قالَ أخبرَني كَعْبُ بنُ عَلقمَةَ أنّهُ سَمِعَ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ جُبَيْرٍ مَوْلَى نافِعٍ أنّهُ سَمِعَ عبدَ اللهِ بنَ عَمرو يقولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ اذا سَمِعتُمُ المُؤَذِّنَ فقولوا مِثْلَ ما يقولُ وصَلُّوا عَلَيَّ فإنّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً واحِدَةً صلّي اللهُ عليه عَشرًا ثمَّ سَلُوا لِيَ الوَسيلَةَ فإنّها مَنْزِلَةٌ في الجَنّةِ لا تَنْبَغي الّا لعَبْدٍ مِنْ عِبادِ اللهِ وأرْجُو أنْ أكُونَ أنا هوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسيلة حلّتْ عليهِ الشَّفاعَةُ * ورَوَى أنَسُ بنُ مالِكٍ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عليهِ عَشْرَ صَلَواتٍ وحَطّ عنهُ عشرَ خَطيئاتٍ ورفَعَ لهُ عَشْرَ دَرَجاتٍ وفي روايَةٍ وكَتَبَ لهُ عشرَ حَسَناتٍ * وعنْ أنسٍ عنهُ صلى الله عليه وسلم أنّ جِبْرِيلَ ناداني فقالَ مَنْ صَلَّى عليْكَ

صَلاةً صَلّى اللهُ عليهِ عشرًا ورَفَعَهُ عشرَ دَرَجاتٍ * ومنْ روايةِ عبدِ
الرَّحمٰنِ بنِ عَوْفٍ عنهُ صلى الله عليه وسلم لَقِيتُ جبريلَ فقالَ لِي إنّي
أُبَشِّرُكَ أنّ اللهَ تعالي يقولُ مَنْ سَلَّمَ عليكَ سَلَّمْتُ عليه ومَنْ صلّى عليكَ
صلّيْتُ عليه * ونَحْوُهُ من روايةِ أبي هُرَيْرَةَ ومالِكِ بنِ أوسِ بنِ الحَدَثانِ
وعُبَيْدِ اللهِ بنِ أبي طَلْحَةَ وعنْ زَيْدِ بنِ الحُبابِ سَمِعْتُ النبيَّ صلى اللهُ
عليه وسلم يقولُ مَنْ قالَ اللّهُمَّ صَلِّ علي محمّدٍ وأنزِلْهُ المَنزِلَ المُقَرَّبَ عندَكَ
يَوْمَ القِيامَةِ وَجَبَتْ لهُ شَفاعَتِي * وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أوْلَى النّاسِ بِي يَوْمَ
القِيامَةِ أكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً * وعنْ أبي هُرَيْرَةَ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم
مَنْ صَلّى عَلَيَّ في كِتابٍ لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لهُ ما بَقِيَ اسْمِي في
ذلِكَ الكِتابِ * وعنْ عامِرِ بنِ رَبِيعَةَ سَمِعْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه
وسلم يقولُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّتْ عليهِ المَلائِكَةُ ماصَلّى عَلَيَّ
فَلْيُقْلِلْ مِنْ ذَلِكَ عبدٌ أوْ لِيُكْثِرْ * وعنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ كانَ رسولُ اللهِ
صلى اللهُ عليهِ وسلم اذا ذَهَبَ رُبْعُ اللَّيْلِ قامَ فقالَ يا أيُّها النّاسُ اذكُرُوا اللهَ
جاءَتِ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ جاءَ المَوْتُ بِما فِيهِ فقالَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ يا رسولَ
اللهِ إنّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عليكَ فَكَمْ أجْعَلُ لكَ مِنْ صَلاتِي قالَ
ما شِئْتَ قالَ الرُّبْعَ قالَ ما شِئْتَ وانْ زِدْتَ فهُوَ خَيْرٌ قالَ الثُّلُثَ قالَ
ما شِئْتَ وانْ زِدتَ فهوَ خَيْرٌ قالَ النِّصفَ قالَ ما شِئْتَ وانْ زِدتَ فهوَ خَيْرٌ
قالَ الثُّلُثَيْنِ قالَ ما شِئْتَ وانْ زِدتَ فهوَ خَيْرٌ قالَ يا رسولَ اللهِ فأَجْعَلُ
صَلاتِي كُلَّها لكَ قالَ اذًا تُكْفَى ويُغْفَرَ ذَنْبُكَ * وعنْ أبي طَلْحَةَ
دَخَلْتُ علي النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُ مِنْ بِشْرِهِ وطَلاقَتِهِ ما لَمْ أرَهُ

قَطُّ فَسَأَلْتُهُ فقالَ وما يَمنَعُني وقدْ خَرَجَ جبرِيلُ آنِفاً فأَتاني بِبِشارَةٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ إِنَّ اللهَ تعالى بَعَثَني اليكَ أُبَشِّرُكَ أَنَّهُ ليسَ أَحَدٌ من أُمَّتِكَ يُصَلِّي عليكَ الّا صلّي اللهُ عليه وملائِكَتُهُ بِها عشرًا * وعنْ جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ قالَ النبيُّ صلي اللهُ عليهِ وسلم مَنْ قالَ حِينَ يَسمَعُ النِّداء اللّهمَّ ربَّ هٰذِه الدَّعوَةِ التّامَّةِ والصلاةِ القائِمَةِ آتِ محمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ وابعَثْهُ مقاماً محمودًا الذِي وَعَدْتَهُ حلَّتْ لهُ شفاعَتي يومَ القِيامَةِ * وعنْ سَعدِ بن أبي وَقّاصٍ مَنْ قالَ حِينَ يَسمَعُ المُؤَذِّنَ وأنا أشهَدُ أنْ لا إِلهَ الّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ وأَنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ رَضِيتُ باللهِ رَبًّا وَبِمُحمَّدٍ رَسولاً وبالإِسلامِ دِيناً غُفِرَ لَهُ * وروَى ابنُ وَهْبٍ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ عَشرًا فَكأَنّما أعتَقَ رَقَبَةً وفي بَعضِ الآثارِ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقوامٌ ما أعرِفُهُمْ الّا بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ عَلَيَّ وفي آخَرَ انَّ أنجاكُمْ يَومَ القيامَةِ مِنْ أهوالِها ومَواطِنِها أكثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلاةً * وعنْ أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ الصلاةُ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَمحَقُ لِلذُّنوبِ منَ الماءِ البارِدِ لِلنّارِ والسَّلامُ عليهِ أفضَلُ مِنْ عِتقِ الرِّقابِ

فصل في ذمّ من لم يصلّ على النبيّ (صلى الله عليه وسلم وإثمه)

حدثنا القاضي الشَّهِيدُ أبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ حدثنا أبو الفَضلِ بنُ خَيرُونَ وأبو الحَسَنِ الصَّيرَفيُّ قالا حدثنا أبو يَعلى حدثنا السِّنجِيُّ حدثنا محمَّدُ

ابنُ محبوبٍ حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمَدُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقِيُّ حدثنا رِبْعِيُّ بنُ إبْراهيمَ عنْ عبدِ الرَّحْمٰنِ بنِ إسْحٰقَ عنْ سَعِيدِ بنِ أبي سَعيدٍ عنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم رَغِمَ أنفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِندَهُ فلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ورَغِمَ أنفُ رَجُلٍ دَخَلَ رَمَضانُ ثُمَّ انسَلَخَ قَبْلَ أنْ يُغفَرَ لهُ ورَغِمَ أنفُ رَجُلٍ أدرَكَ عندَهُ أبَواهُ الكِبَرَ فلَمْ يُدْخِلاهُ الجَنَّةَ قالَ عبدُ الرَّحْمٰنِ وأظُنُّهُ قالَ أوْ أحَدُهُما * وفي حديثٍ آخَرَ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ المِنْبَرَ فقالَ آمينَ ثمَّ صَعِدَ فقالَ آمينَ ثمَّ صَعِدَ فقالَ آمينَ فسَأَلَهُ مُعاذٌ عَنْ ذلِكَ فقالَ إنَّ جِبريلَ أتاني فقالَ يا مُحَمَّدُ مَنْ سُمِّيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عليْكَ فَماتَ فدَخَلَ النَّارَ فأبْعَدَهُ اللهُ قُلْ آمينَ فقُلْتُ آمينَ وقالَ فِيمَنْ أدرَكَ رَمَضانَ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فَماتَ مِثلَ ذلِكَ وَمَنْ أدرَكَ أبَوَيْهِ أوْ أحَدَهُما فَلَمْ يَبَرَّهُما فَماتَ مِثْلَهُ *وعَنْ عَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قالَ البَخيلُ الذِي ذُكِرْتُ عِندَهُ فلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ * وعَنْ جعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أبيهِ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ أُخطِئَ بِهِ طَريقُ الجَنَّةِ * وَعَنْ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ انَّ البَخيلَ كُلَّ البَخيلِ مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ *وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ أبُو القاسِمِ صلي الله عليه وسلم أيُّما قَوْمٍ جلَسُوا مَجْلِساً ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أنْ يَذْكُرُوا اللهَ وَيُصَلُّوا علي النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم كانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ تِرَةٌ انْ شاءَ عَذَّبَهُمْ وانْ شاءَ غَفَرَ لَهُمْ *وعنْ أبِي هُرَيْرَةَ

رضى

رضى الله عنه مَنْ نَسِيَ الصلاةَ عَلَيَّ نَسِيَ طَرِيقَ الجَنَّةِ * وعنْ قَتادَةَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم مِنَ الجَفاءِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَ الرَّجُلِ فلا يُصَلِّي عَلَيَّ * وعنْ جابِرٍ عنهُ صلى الله عليه وسلم ماجَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً ثُمَّ تَفَرَّقُوا على غَيْرِ صلاةٍ على النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم الاّ تَفَرَّقُوا على أَنْتَنَ مِنْ رِيحِ الجِيفَةِ وعنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لايَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِساً لايُصَلُّونَ فِيهِ على النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم الاّ كانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وانْ دَخَلُوا الجَنَّةَ لِما يَرَوْنَ مِنَ الثَّوابِ وحَكَي أبو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ عنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ قالَ اذا صَلَّى الرَّجُلُ عَلي النَّبي صلى الله عليه وسلم مَرَّةً في المَجْلِسِ أَجْزَأَ عَنْهُ ما كانَ في ذَلِكَ المَجْلِسِ

(فصل في تخصيصه صلى الله عليه سلم بتبليغ صلاةِ مَنْ صَلَّى عليه أَوْ سَلَّمَ مِنَ الانامِ)

حدثنا القاضى أبو عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ حدثنا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ حدثنا أبو عُمَرَ الحافِظُ حدثنا ابنُ عبدِ المُؤْمِنِ حدثنا ابنُ داسةَ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا ابنُ عَوْفٍ حدثنا المُقْرِئُ حدثنا حَيْوَةُ عنْ أَبِي صَخْرٍ حُمَيْدِ بْنِ زِيادٍ عَنْ يَزِيدَ بن عبدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ مامِنْ أحدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ الاّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّي أَرُدَّ عليهِ السَّلامَ وذَكَرَ أبو بَكْرِ بنُ أَبِي شَيْبَةَ عن أَبِي هُرَيْرة قالَ قالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم من صَلَّي عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ ومَنْ

صَلّى عَلَيَّ نائياً بُلِّغْتُهُ * وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ انّ لِلّهِ ملائِكَةً سيّاحِينَ فى الأرْضِ يُبَلّغُونِي عَنْ أُمّتِي السَّلامَ ونحوُهُ عَنْ أبِى هُرَيرَةَ * وعنِ ابنِ عُمَرَ أكْثِرُوا مِنَ السَّلامِ على نَبِيّكُمْ كُلَّ جُمُعَةٍ فانّهُ يُؤْتَي بِهِ مِنْكُمْ في كُلِّ جُمُعَةٍ وفى رِوايَةٍ فانَّ أحدًا لا يُصَلِّي عَلَيَّ الاّ عُرِضَتْ صلاتُهُ عَلَيَّ حِينَ يَفْرُغُ مِنْها * وعنِ الحَسَنِ عنه صلى الله عليه وسلم حَيْثُما كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فانّ صلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي * وعنِ ابنِ عبّاسٍ لَيْسَ أحَدٌ من أُمّةِ مُحَمّدٍ صلي الله عليه وسلم يُسَلِّمُ عليهِ ويُصَلِّي عليهِ الاّ بُلِّغَهُ * وذَكَرَ بَعْضُهُمْ أنّ العَبْدَ اذا صَلَّي على النَّبيّ صلى الله عليه وسلم عُرِضَ عليهِ اسْمُهُ * وعنِ الحَسَنِ ابن عَلِيٍّ اذا دَخَلْتَ المَسْجِدَ فسَلّمْ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فانّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ لا تَتّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا ولا تَتّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُمْ فانّ صلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ وفي حدِيثِ أوْسٍ أكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فانّ صلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ * وعنْ سُلَيْمانَ بْنِ سُحَيْمٍ رَأيْتُ النّبِيَّ صلي الله عليه وسلم في النَّوْمِ فَقُلْتُ يارَسولَ اللّهِ هؤُلاءِ الّذِينَ يأتُونَكَ فَيُسَلّمُونَ عليْكَ أتفْقَهُ سَلامَهُمْ قالَ نَعَمْ وأرُدُّ عليْهِمْ وعنِ ابنِ شِهابٍ بَلَغَنا أنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ أكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ في اللّيْلَةِ الزّهْراءِ واليَوْمِ الأزْهَرِ فانّهُما يُؤَدِّيانِ عَنْكُمْ وأنّ الأرْضَ لا تأكُلُ أجْسادَ الأنْبِياءِ ومامِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ الاّ حمَلَها مَلَكٌ حَتّي يُؤَدِّيَها اليَّ ويُسَمِّيَهِ حَتّي انّهُ لَيَقُولُ ان فُلانًا يَقُولُ كَذا وكَذا

فصل في الاختلاف في الصلاةِ على غيرِ النبي صلى الله عليه وسلم وسائرِ الأنبياء عليهم السّلام

قالَ القاضي وفّقهُ اللهُ عامّةَ أهلِ العِلْمِ متّفقونَ على جوازِ الصّلاةِ على غيرِ النّبيّ صلي الله عليه وسلم ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ أنّهُ لا تجوزُ الصّلاة علي غيرِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ورُوِيَ عنهُ لا تنْبغي الصّلاةُ على أحدٍ الاّ النّبيّينَ وقالَ سفْيانُ يُكرهُ أنْ يُصلّي الّا علي نبيٍّ ووَجدْتُ بخطِّ بعْضِ شيُوخي مذْهبُ مالِكٍ أنّهُ لا يجوزُ أنْ يُصلّي علي أحدٍ منَ الأنبياء سوى محمّدٍ صلى الله عليه وسلم وهذا غيرُ معْرُوفٍ منْ مذْهبِهِ وقدْ قالَ مالكٌ في المبْسُوطِ ليحْيي بنِ اسحاقَ أكْرهُ الصّلاةَ على غيرِ الأنْبياء وما ينْبغي لنا أنْ نتعدّى ما أُمِرْنا بِهِ قالَ يحْيي بنُ يحْيي لستُ آخذُ بِقوْلِهِ ولا بأْسَ بالصّلاةِ على الأنبياء كُلّهِمْ وعلي غيرِهِمْ واحتجّ بحديثِ ابنِ عُمَرَ وبما جاء في حديثِ تعْليمِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم الصّلاةَ عليهِ وفيه وعلى أزْواجِهِ وعلى آلِهِ وقدْ وجدْتُ معلّقًا عنْ أبي عِمْرانَ الفاسيّ روى عنِ ابنِ عبّاسٍ رضى الله عنهما كراهةَ الصّلاةِ على غيرِ النّبي صلى الله عليه وسلم قالَ وبهِ نقُولُ ولمْ يكُنْ يُستعملُ فيما مضي وقدْ روي عبْدُ الرّزّاقِ عنْ أبي هُريْرةَ رضى الله عنه قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صلّوا على أنْبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ فانّ اللهَ بعثهُمْ كما بعثني قالوا والأسانيدُ عن ابنِ عبّاسٍ ليّنةٌ والصّلاةُ في لِسانِ العربِ بمعْني التّرحُّمِ والدُّعاء وذلِكَ علي الإطْلاقِ حتّي يمْنعَ منْهُ حديثٌ صحيحٌ أوْ اجماعٌ وقدْ قالَ تعالي هُوَ الذي يُصلّي عليْكمْ وملائِكتُهُ

الآيَةَ وقالَ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِهاوصلِّ عليهِمْ الآيَةَ
وقالَ أُولئِكَ عليهِمْ صلَواتٌ من رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه
وسلم اللهمَّ صلِّ علي آلِ أَبِي أَوْفَي وَكانَ اذا أَتاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قالَ اللهُمَّ
صلِّ علي آلِ فُلانٍ وَفي حَدِيثِ الصَّلاةِ اللهُمَّ صلِّ علي محمَّدٍ وَعلي أَزْوَاجِهِ
وَذُرِّيَّتِهِ وَفي آخرَ وَعلي آلِ محمَّدٍ قِيلَ أَتْباعُهُ وَقيلَ أُمَّتُهُ وَقِيلَ آلُ
بَيْتِهِ وَقِيلَ الأَتْباعُ وَالرَّهْطُ والعَشِيرَةُ وَقِيلَ آلُ الرَّجلِ وَلَدُهُ وَقِيلَ قَوْمُهُ
وَقِيلَ أَهلُهُ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ وَفي رِوَايَةِ أَنَسٍ سُئِلَ النَّبيُّ صلي
الله عليه وسلم مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ قالَ كُلُّ تَقِيٍّ وَيَجِيءُ علي مَذْهَبِ الحَسَنِ
أَنَّ المُرَادَ بِآلِ محمَّدٍ محمَّدٌ نَفْسُهُ فإِنَّهُ كانَ يَقُولُ في صلاَتِهِ علي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم
اللهُمَّ اجْعَلْ صلَوَاتِكَ وَبَرَكاتِكَ علي آلِ محمَّدٍ يُرِيدُ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ كانَ لا يُخِلُّ بالفَرْضِ
ويأْتِي بالنَّفْلِ لِأَنَّ الفَرْضَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعالي بِهِ هُوَ الصَّلاةُ علي محمَّدٍ نَفْسِهِ وهذا
مِثْلُ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم لقدْ أُوتِيَ مِزْماراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ يُرِيدُ مِنْ
مَزَامِيرِ دَاوُدَ وفي حديثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ في الصَّلاةِ اللهُمَّ صلِّ علي محمَّدٍ
وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي علي النَّبيِّ صلي
اللهُ عليه وسلم وعلي أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ ذَكَرَهُ مالِكٌ في المُوَطَّأ مِنْ رِوايَةِ
يَحْيي الأَنْدُلُسِيِّ والصَّحِيحُ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِهِ ويدْعُو لِأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ
وَرَوَى ابنُ وَهْبٍ عنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ كُنَّا نَدْعُو لِأَصْحابِنا بالغَيْبِ فَنَقُولُ
اللهُمَّ اجْعَلْ مِنْكَ علي فلانٍ صلَواتِ قَوْمٍ أَبْرارٍ الَّذِينَ يَقُومُونَ بالليلِ
وَيَصُومُونَ بالنَّهارِ قالَ القاضي وَالَّذِي ذَهَبَ اليهِ المُحَقِّقُونَ وأَمِيلُ اليهِ ماقالَهُ
مالِكٌ وَسُفْيانُ رَحِمَهُما اللهُ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ واختارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ

من

مِنَ الفُقَهاء والمُتَكلّمينَ أنَّهُ لايُصَلّي علي غَيْرِ الانبياء عندَ ذِكْرِهِم بَلْ هُوَ شيْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ الأنبياء توْقيرًا وتعزيزًا كما يُخَصُّ اللهُ تعالي عِنْدَ ذِكْرِهِ بالتَّنْزيهِ والتَّقديسِ والتعظيمِ ولا يُشارِكُهُ فيهِ غيْرُهُ كَذلِكَ يَجِبُ تخصيصُ النَّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم وسائِرِ الأنبياءِ بالصَّلاةِ والتَّسليمِ ولا يُشارِكُ فيهِ سِواهُمْ كما أمَرَ اللهُ بِهِ بِقَوْلِه صَلُّوا عليهِ وسَلِّمُوا تَسْليماً وَيُذْكَرُ مَنْ سِواهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ وغَيْرِهِمْ بالغُفْرانِ والرِّضى كما قالَ تعالي يَقُولونَ رَبّنا اغفِرْ لَنا وَلِإخْوانِنا الّذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ وقالَ والّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بإِحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأيْضاً فهُوَ أمْرٌ لمْ يَكُنْ مَعْرُوفاً في الصَّدْرِ الأوّلِ كما قالَ أبو عِمْرانَ وانَّما أحْدَثَهُ الرّافِضَةُ والمُتَشَيِّعَةُ في بَعْضِ الأَئِمَّةِ فَشارَكُوهُمْ عندَ الذِّكْرِ لهُمْ بالصَّلاةِ وساوَوْهُمْ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في ذَلِكَ وأيضاً فانّ التَّشَبُّهَ بأَهْلِ البِدَعِ مَنْهِيٌّ عنهُ فَتَجِبُ مُخالَفَتُهُمْ فيما الْتَزَمُوهُ مِنْ ذَلِكَ وذِكْرُ الصَّلاةِ على الآلِ والأزْواجِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِحُكْمِ التَّبَعِ والإضافَةِ اليهِ لا علي التَّخْصيصِ قالُوا وصَلاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليهِ وسلم على مَنْ صَلّى عليهِ مَجْرَاها مَجْرَى الدُّعاءِ والمُواجَهَةِ ليسَ فيها مَعْنَي التَّعظيمِ والتَّوْقيرِ قالُوا وقد قالَ تعالي لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعضاً فَكَذَلِكَ يَجِبُ أنْ يَكونَ الدُّعاءُ لهُ مُخالِفاً لِدُعاءِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وهذا اختيارُ الإمامِ أبي المُظَفَّرِ الإسْفِرائِنِيّ مِنْ شُيُوخِنا وَبِه قالَ أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَرّ

فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم
(وفضيلة مَنْ زارَهُ وسلَّمَ عليهِ وكيفَ يُسلِّمُ ويدعو)

وزيارةُ قبرِهِ صلى الله عليه وسلم سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ المُسلِمينَ مُجمَعٌ عليها وفَضيلةٌ مُرَغَّبٌ فيها * حدثنا القاضي أبو علِيّ حدثنا أبو الفَضلِ بنُ خَيرُونَ قالَ حدثنا الحَسَنُ بنُ جعفرٍ قالَ حدثنا أبو الحَسَنِ علِيُّ بنَ عُمَرَ الدّارَ قُطنِيُّ قال حدثنا القاضي المُحامِلِيُّ قال حدثنا محمّدُ بنُ عبدِ الرَّزّاقِ قال حدثنا موسى بنُ هِلالٍ عنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ عنْ نافِعٍ عن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قال قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْ زارَ قبرِي وَجَبَتْ لهُ شَفاعَتِي * وعنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ قال قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ زارَنِي في المَدينةِ مُحتَسِباً كانَ في جِوارِي وكُنتُ لهُ شَفيعاً يومَ القيامَةِ وفي حديثٍ آخَرَ مَنْ زارَنِي بعدَ مَوتِي فكأنَّما زارَنِي في حَياتِي وكَرِهَ مالِكٌ أنْ يُقالَ زُرْنا قبرَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقدِ اختُلِفَ في معنى ذَلِكَ فقِيلَ كَراهِيَةَ الاسْمِ لِما وَرَدَ مِنْ قولِه صلى الله عليه وسلم لَعَنَ اللهُ زَوّاراتِ القُبورِ وهذا يَرُدُّهُ قولُهُ نَهَيتُمْ عنْ زِيارَةِ القُبورِ فَزُورُوها وقولُهُ مَنْ زارَ قبرِي فقدْ أطلَقَ اسْمَ الزِّيارَةِ وقيلَ لِأنَّ ذَلِكَ لِما قيلَ إنَّ الزائِرَ أفضَلُ منَ المَزُورِ وهذا أيضاً ليسَ بِشَيْءٍ اذ ليسَ كلُّ زائِرٍ بِهذهِ الصِّفَةِ وليسَ هذا عُموماً وقدْ وَرَدَ في حديثِ أهلِ الجَنَّةِ زِيارَتُهُمْ لِرَبِّهِمْ ولمْ يُمْنَعْ هذا اللَّفظُ في حَقِّهِ تعالى وقالَ أبو عِمْرانَ رَحِمَهُ اللهُ انَّما كَرِهَ مالِكٌ أنْ يُقالَ طَوافُ الزِّيارَةِ وزُرْنا قبرَ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم

لِاستِعمالِ النَّاسِ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ و كَرِهَ تَسْوِيَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَعَ النَّاسِ بِهٰذا اللفظِ وأحَبَّ أنْ يُخَصَّ بأنْ يُقالَ سَلَّمْنا على النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم وأيضاً فإنَّ الزِّيارَةَ مُباحَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَوَاجِبٌ شَدُّ المَطِيِّ الي قَبْرِهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُرِيدُ بالوُجُوبِ هُنا وُجُوبَ نَدْبٍ وتَرْغِيبٍ وتأكِيدٍ لا وُجُوبَ فَرْضٍ والأَوْلَى عندِي أنَّ مَنْعَهُ وكَراهَةَ مالِكٍ لهُ لِإضافَتِهِ الي قَبْرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنَّهُ لوْ قالَ زُرْنا النبيَّ لَمْ يَكْرَهْهُ لقَوْلِه صلى الله عليه وسلم اللهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ بَعْدِي اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبيائِهِمْ مَساجِدَ فَحَمِيَ إضافَةَ هٰذا اللفظِ الي القَبْرِ والتَّشَبُّهَ بِفِعْلِ أُولٰئِكَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ وحَسْمًا لِلْبابِ واللهُ أعْلَمُ قالَ إسْحٰقُ بنُ إبْراهِيمَ الفَقِيهُ وَمِمَّا لم يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ المُرُورُ بالمَدِينَةِ والقَصْدُ الى الصَّلاةِ في مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم والتَّبَرُّكُ بِرُؤْيَةِ رَوْضَتِهِ ومِنْبَرِهِ وقَبْرِهِ ومَجْلِسِهِ ومَلامِسِ يَدَيْهِ ومَواطِئِ قَدَمَيْهِ والعَمُودِ الذي كانَ يَسْتَنِدُ اليهِ ويَنْزِلُ جِبْرِيلُ بالوَحْيِ فيهِ عليهِ وبِمَنْ عَمَّرَهُ وقَصَدَهُ مِنَ الصَّحابَةِ وأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ والاِعْتِبارُ بِذٰلِكَ كُلِّهِ وقالَ ابنُ أبي فُدَيْكٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أدْرَكْتُ يَقُولُ بَلَغَنا أنَّهُ مَنْ وَقَفَ عندَ قَبْرِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فَتَلا هٰذِهِ الآيَةَ انَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ ثُمَّ قالَ صلى اللهُ عليكَ يا محمّدُ مَنْ يَقُولُها سَبْعِينَ مَرَّةً ناداهُ مَلَكٌ صلى اللهُ عليكَ يافلانُ ولمْ تَسْقُطْ لهُ حاجَةٌ وعنْ يزيدَ بنِ أبِي سَعِيدٍ المَهْرِيِّ قَدِمْتُ علي عُمَرَ بنِ عَبْدِالعَزِيزِ فَلَمَّا ودَّعْتُهُ قالَ لِي الَيْكَ حاجَةٌ اذا أتَيْتَ المَدِينَةَ سَتَرَي قَبْرَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم فأقْرِهِ مِنِّي السَّلامَ قالَ غَيْرُهُ

وكانَ يُبْرِدُ اليهِ البَرِيدَ مِنَ الشَّامِ قالَ بَعضُهُمْ رَأَيْتُ أنَسَ بنَ مالِكٍ أتَي قَبْرَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فوَقفَ فرَفعَ يَدَيْهِ حتَّي ظَنَنْتُ أنَّهُ افتَتَحَ الصَّلاةَ فسَلَّمَ علي النَّبي صلى الله عليه وسلم ثُمَّ انصَرَفَ وقالَ مالِكٌ في رِوايَةِ ابنِ وهبٍ اذا سَلَّمَ على النَّبي صلى الله عليه وسلم ودَعا يَقِفُ ووَجهُهُ الي القَبرِ لا الي القِبلَةِ ويَدنُو ويُسَلِّمُ ولا يَمَسُّ القَبرَ بِيَدِهِ وقالَ في المَبسُوطِ لا أرَى أنْ يَقِفَ عِندَ قَبرِ النبي صلى الله عليه وسلم يَدعُو ولٰكِنْ يُسَلِّمُ ويَمضِي قالَ ابنُ أبِي مُلَيكَةَ مَنْ أحَبَّ أنْ يَقُومَ وِجاهَ النبيِّ صلي الله عليه وسلم فَليَجعَلِ المِندِيلَ الذي في القِبلَةِ عِندَ القَبرِ علي رَأسِهِ وقالَ نافِعٌ كانَ ابنُ عُمَرَ يُسَلِّمُ على القَبرِ رَأيتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ وأكثَرَ يَجيءُ الي القَبرِ فيَقُولُ السَّلامُ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم السَّلامُ علي أبِي بَكرٍ السَّلامُ علي أبي ثُمَّ يَنصَرِفُ ورُؤِيَ ابنُ عُمَرَ واضِعاً يَدَهُ علي مَقعَدِ النَّبيِّ صلي اللهُ عليهِ وسلم مِنَ المِنبَرِ ثُمَّ وَضَعَها علي وَجهِهِ * وعَنِ ابنِ قُسَيطٍ والعُتبِيِّ كانَ أصحابُ النَّبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم اذا خَلاَ المَسجِدُ حَسُّوا رُمَّانَةَ المِنبَرِ الَّتِي تَلِي القَبرَ بِمَيامِنِهِمْ ثُمَّ استَقبَلُوا القِبلَةَ يَدعُونَ وفي المُوَطَّأ مِنْ رِوايَةِ يَحيَي بنِ يَحيَي اللَّيثِيِّ أنَّهُ كانَ يَقِفُ على قَبرِ النبي صلى الله عليه وسلم فيُصَلِّي علي النَّبيِّ وعلي أبِي بَكرٍ وعُمَرَ وعِندَ ابنِ القاسِمِ والقَعنَبِيِّ ويَدعُو لِأَبِي بَكرٍ وعُمَرَ قالَ مالِكٌ في رِوايَةِ ابنِ وهبٍ يَقُولُ المُسَلِّمُ السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبِيُّ ورَحمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ قالَ في المَبسُوطِ ويُسَلِّمُ علي أبِي بَكرٍ وعُمَرَ قالَ القاضى أبو الوَلِيدِ الباجِيُّ وعِندِي أنَّهُ يَدعُو لِلنَّبِيِّ صلي اللهُ علىه وسلم بلَفظِ الصَّلاةِ ولِأَبِي بَكرٍ وعُمَرَ كما في حديثِ

ابنِ عُمَرَ مِنَ الخِلافِ وقالَ ابنُ حَبيبٍ ويقُولُ اذا دَخلَ مَسْجِدَ الرَّسُولِ بِاسْمِ اللهِ وسلامٌ علي رسُولِ اللهِ السَّلامُ علَيْنا مِنْ رَبِّنا وصَلَّي اللهُ وملائِكَتُهُ علي محمَّدٍ اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذُنُوبِي وافتحْ لِي أبْوابَ رَحْمَتِكَ وجنَّتِكَ واحفَظْنِي مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ثُمَّ اقصِدْ الي الرَّوْضَةِ وهِيَ مابَيْنَ القَبْرِ والمِنْبَرِ فارْكَعْ فِيها رَكعَتَيْنِ قَبلَ وُقُوفِكَ بالقَبْرِ تَحْمَدُ اللهَ فِيهما وتَسْأَلُهُ تَمامَ ماخَرَجْتَ اليهِ والعَوْنَ علَيْهِ وانْ كانَتْ رَكعَتاكَ في غَيْرِ الرَّوْضَةِ أجزأتاكَ وفي الرَّوْضَةِ أفضَلُ وقدْ قالَ صلى الله عليه وسلم مابَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ ومِنْبَرِي على تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ ثُمَّ تَقِفُ بالقَبْرِ مُتَواضِعاً مُتَوَقِّرًا فتُصَلِّي علَيْهِ وتُثْنِي بِما يَحْضُرُكَ وتُسَلِّمُ علي أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وتَدْعُو لَهُما وأَكثِرْ مِنَ الصَّلاةِ في مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم باللَّيْلِ والنَّهارِ ولا تَدَعْ أنْ تأْتِيَ مَسْجِدَ قُباء وقُبُورَ الشُّهَداء قالَ مالِكٌ في كِتابِ محمَّدٍ ويُسَلِّمُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اذا دَخلَ وخَرَجَ يَعْنِي في المَدِينَةِ وفِيما بَيْنَ ذلِكَ قالَ محمَّدٌ واذا خَرَجَ جَعَلَ آخِرَ عَهْدِهِ الوُقُوفَ بالقَبْرِ وكَذلِكَ مَنْ خَرَجَ مُسافِرًا ورَوَي ابنُ وَهْبٍ عنْ فاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صلي اللهُ عليه وسلم أنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ اذا دَخَلْتَ المَسْجِدَ فصَلِّ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وقُلِ اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذُنُوبِي وافتَحْ لِي أبْوابَ رَحمَتِكَ واذا خَرَجْتَ فصَلِّ على النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وقُلِ اللَّهُمَّ اغفِرْ لى ذُنُوبِي وافتَحْ لى أبْوابَ فَضْلِكَ وفي رِوايَةٍ أُخْرَي فلْيُسَلِّمْ مَكانَ فَلْيُصَلِّ فِيهِ ويَقُولُ اذا خَرَجَ اللَّهُمَّ انّى أسأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وفي أُخْرَي اللَّهُمَّ احفَظْنِي مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ وعَنْ

مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ كانَ النَّاسُ يَقُولونَ اذا دَخلُوا المَسْجِدَ صَلَّي اللهُ وملائِكَتهُ على مُحَمَّدٍ السَّلامُ عليْكَ أيُّها النَّبيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ باسْمِ اللهِ دَخلْنا وباسْمِ اللهِ خَرَجْنا وعلى اللهِ تَوَكَّلْنا وكانُوا يَقُولونَ اذا خَرجُوا مِثْلَ ذَلِكَ وعَنْ فاطِمَةَ أيضاً كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم اذا دخَلَ المَسْجِدَ قالَ صَلّى اللهُ على مُحَمَّدٍ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حديثِ فاطِمَةَ قَبْلَ هٰذا وفي رِوايَةٍ حَمِدَ اللهَ وسَمَّي وصَلّي على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وذَكَرَ مِثْلَهُ وفي رِوَايَةٍ باسْمِ اللهِ والسَّلامُ على رَسُولِ اللهِ وعنْ غَيْرِها كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم اذا دَخَلَ المَسْجِدَ قالَ اللّهُمَّ افْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِكَ ويَسّرْ لي أبْوابَ رِزْقِكَ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ اذا دَخَلَ أحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلْيُصَلِّ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولْيَقُل اللّهُمَّ افْتَحْ لِي وقالَ مالِكٌ في المَبْسُوطِ ولَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ وَخرَجَ مِنْهُ مِنْ أهْلِ المَدِينَةِ الوُقُوفُ بالقَبْرِ وَانَّمَا ذَلِكَ لِلغُرَباءِ وَقالَ فِيهِ أيضاً لا بأسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أوْ خَرَجَ الي سَفَرٍ أنْ يَقِفَ على قَبْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَلأَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقيلَ لَهُ انَّ ناساً مِنْ أهلِ المَدِينَةِ لا يَقْدَمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلا يُرِيدُونهُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ في اليَوْمِ مَرَّةً أوْ أكْثَرَ وَرُبَّمَا وَقَفُوا في الجُمُعَةِ أوْ في الأيَّامِ المَرَّةَ أوِ المَرَّتَيْنِ أوْ أكْثَرَ عِنْدَ القَبْرِ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ ساعَةً فَقالَ لَمْ يَبْلُغْنِي هٰذَا عَنْ أحَدٍ مِنْ أهْلِ الفِقْهِ بِبَلَدِنا وَتَرْكُهُ وَاسِعٌ وَلا يُصْلِحُ آخِرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ الَّا ما أصْلَحَ أوَّلَهَا وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أوَّلِ هٰذِهِ الامَّةِ وصَدْرِها أنَّهُمْ كانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيُكْرَهُ الاَّ لِمَنْ جاءَ مِنْ سَفَرٍ أوْ أرادَهُ قالَ ابنُ القاسِمِ ورَأَيْتُ أهْلَ المَدِينَةِ اذا خَرَجُوا مِنْها أوْ دَخَلُوها

اتوا

أَتَوْا القَبْرَ فَسَلَّمُوا قالَ وذَلِكَ رأْيٌ قالَ الباجيُّ فَفَرَقَ بَيْنَ أَهْلِ المَدِينَةِ والغُرَباءِ لِأَنَّ الغُرَباءَ قَصَدُوا لِذَلِكَ وأَهْلُ المَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِها لَمْ يَقْصِدُوها مِنْ أَجْلِ القَبْرِ والتَّسْلِيمِ وقالَ صلي الله عليه وسلم اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ وقالَ لاتَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ومِنْ كِتابِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الهِنْدِيِّ فِيمَنْ وَقَفَ بالقَبْرِ لايَلْصَقُ بِهِ ولا يَمَسُّهُ وَلا يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلاً وَفي العُتْبِيَّةِ يَبْدَأُ بالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلامِ في مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلي اللهُ عليهِ وسلم وأَحَبُّ مَواضِعِ التَّنَفُّلِ فِيهِ مُصَلَّى النَّبِيِّ حَيْثُ العَمُودُ المُخَلَّقُ وَأَمَّا في الفَرِيضَةِ فالتَّقَدُّمُ الي الصُّفُوفِ والتَّنَفُّلُ فِيهِ لِلْغُرَباءِ أَحَبُّ اليَّ مِنَ التَّنَفُّلِ في البُيُوتِ

(فصل)

فِيما يلْزَمُ مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صلي اللهُ عليه وسلم مِنَ الأَدَبِ سِوَى ما قَدَّمْناهُ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ الصَّلاةِ فِيهِ وَفي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَذِكْرِ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ وَفَضْلِ سُكْنَي المَدِينَةِ وَمَكَّةَ قالَ اللهُ تَعالي لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ علي التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رُوِيَ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ أَيُّ مَسْجِدٍ هُوَ قالَ مَسْجِدِي هٰذا وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ المُسَيَّبِ وَزَيْدِ بْنِ ثابِتٍ وابنِ عُمَرَ ومالِكِ بْنِ أَنَسٍ وغَيْرِهِمْ وعن ابْنِ عبّاسٍ أَنَّهُ مَسْجِدُ قُباءَ حدثنا هِشامُ بْنُ أَحْمَدَ الفَقِيهُ بِقِراءَتِي عَلَيه قالَ حدثنا الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ حدثنا أبو عُمَرَ النَّمَرِيُّ حدثنا أبو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ حدثنا أبو بَكْرِ بْنُ داسَةَ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا سُفْيانُ عنِ الزُّهْرِيِّ

عنْ سَعيدِ بنِ المُسَيَّبِ عنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه عنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لاتُشَدُّ الرِّحالُ الاّ الي ثلاثةِ مَساجدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ومَسْجِدِي هٰذَا والمَسْجِدِ الأقْصى وقدْ تَقَدَّمَتِ الآثارُ في الصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ دُخُولِ المَسْجِدِ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ اذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قالَ أعُوذُ باللهِ العَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ وسُلْطانِهِ القدِيمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ وقالَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ سَمِعَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضى اللهُ عنهُ صَوْتاً في المسْجِدِ فدَعا بِصاحِبِهِ فقالَ مِمَّنْ أنتَ قالَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ قالَ لوْ كُنْتَ مِنْ هاتَيْنِ القَرْيَتَيْنِ لَأدَّبْتُكَ انّ مَسْجِدَنا لا يُرْفَعُ فِيهِ الصَّوْتُ قالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لا يَنْبَغي لِأحَدٍ أنْ يَعْتَمِدَ المَسْجِدَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ ولا بِشَيْءٍ مِنَ الأذَي وأنْ يُنَزَّهَ عمَّا يُكْرَهُ قالَ القاضِي حَكَي ذلِكَ كُلَّهُ القاضي اسْماعيلُ في مَبْسُوطِهِ في بابِ فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم والعُلَماءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ أنّ حُكْمَ سائِرِ المَساجِدِ هٰذا الحُكْمُ قالَ القاضِي اسْماعيلُ وقالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ ويُكْرَهُ في مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم الجَهْرُ علي المُصَلِّينَ فيما يُخَلِّطُ عليهِمْ صلاتَهُمْ ولَيْسَ مِمّا يُخَصُّ بِهِ المَساجِدُ رَفْعُ الصَّوْتِ قَدْ كُرِهَ رَفْعُ الصَّوْتِ بالتَّلْبِيَةِ في مَساجِدِ الجَماعاتِ الّا المَسْجِدَ الحَرَامَ ومَسْجِدَنا وقالَ أبو هُرَيْرَةَ عنهُ صلى الله عليه وسلم صَلاةٌ في مَسْجِدِي هٰذا خَيْرٌ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيما سِوَاهُ الّا المَسْجِدَ الحَرامِ قالَ القاضي اخْتَلَفَ النّاسُ في مَعْني هٰذا الإسْتِثْناءِ على اخْتِلافِهِمْ في المُفاضَلَةِ بَيْنَ مَكَّةَ والمدِينَةِ فَذَهَبَ مالِكٌ في رِوايَةِ أشْهَبَ عنهُ وقالَهُ ابنُ نافِعٍ صاحِبُهُ وجَماعَةُ أصْحابِهِ الى أنّ مَعْنَي الحَدِيثِ أنّ الصَّلاةَ في مَسْجِدِ الرَّسولِ أفْضَلُ مِنَ

الصَّلاةِ في سائِرِ المَساجِدِ بِألْفِ صَلاةٍ الّا المَسْجِدَ الحَرامَ فإنّ الصَّلاةَ في مَسْجِدِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أفضَلُ مِنَ الصَّلاةِ فيهِ بِدُونِ الألْفِ واحتَجُّوا بِما رُوِيَ عن عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ صَلاةٌ في المَسْجِدِ الحَرامِ خَيرٌ من مِائَةِ صَلاةٍ فِيما سِواهُ فَتَأتِي فَضِيلَةُ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم بِتِسْعِمائَةٍ وعلي غَيْرِهِ بألْفٍ وهٰذا مَبْنِيٌّ على تَفْضِيلِ المَدِينَةِ علي مَكَّةَ على ما قَدَّمْناهُ وهوَ قَوْلُ عُمَرَ بنِ الخطّاب ومالِكٍ وأكْثرِ المَدَنِيِّينَ وذَهَبَ أهْلُ مَكَّةَ والكُوفَةِ الي تَفْضِيلِ مَكَّةَ وهوَ قَوْلُ عَطاء وابنِ وَهْبٍ وابنِ حَبِيبٍ مِنْ أصْحابِ مالِكٍ وحَكاهُ السَّاجِيُّ عنِ الشَّافِعِيِّ وحَمَلُوا الإسْتِثْناء في الحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ على ظاهِرِهِ وأنّ الصَّلاةَ في المَسْجِدِ الحَرامِ أفضَلُ واحتَجُّوا بِحَدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ عنِ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ وفيه وصَلاةٌ في المَسْجِدِ الحَرامِ أفضَلُ مِنَ الصَّلاةِ في مَسْجِدِي هٰذا بِمِائَةِ صَلاةٍ * ورَوَى قَتادَةُ مِثْلَهُ فيَأتِي فَضْلُ الصَّلاةِ في المَسْجِدِ الحَرامِ على هٰذا على الصَّلاةِ فى سائِرِ المَساجِدِ بِمِائَةِ ألْفٍ ولا خِلافَ أنّ مَوْضِعَ قَبْرِهِ أفْضَلُ بِقاعِ الأرْضِ قالَ القاضي أبو الوَلِيدِ الباجِيُّ الّذِي يَقتَضِيهِ الحَدِيثُ مُخالَفَةُ حُكْمِ مَسْجِدِ مَكَّةَ لِسائِرِ المساجِدِ ولا يُعْلَمُ منهُ حُكْمُها مَعَ المَدِينَةِ وذَهَبَ الطَّحاوِيُّ الي أنّ هٰذا التَفْضِيلَ انّما هوَ في صَلاةِ الفَرْضِ وذَهَبَ مُطَرِّفٌ من أصْحابِنا الى أنّ ذلِكَ في النَّافِلَةِ أيْضاً قالَ وجُمُعَةٌ خَيرٌ من جُمُعَةٍ ورَمَضانُ خَيرٌ من رَمَضانَ وقدْ ذَكَرَ عبدُ الرَّزّاقِ في تَفْضِيلِ رَمَضانَ بالمَدِينَةِ وغَيْرِها حديثاً نَحْوَهُ وقالَ صلى الله عليه وسلم ما بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ

رِياضِ الجَنَّةِ ومِثْلهُ عنْ أبي هُرَيْرَةَ وأبي سَعِيدٍ وزَادَ ومِنْبَرِي على حَوْضِي وفي حديثٍ آخرَ مِنْبَرِي على تُرْعةٍ من تُرَعِ الجَنَّةِ قالَ الطَّبرَيُّ فيهِ مَعْنَيانِ أحَدُهُما أنَّ المُرادَ بالبَيْتِ بَيْتُ سُكْناهُ على الظَّاهِرِ معَ أنَّهُ رُوِيَ ما بَيْنَ حُجْرَتِي ومِنْبَرِي والثَّاني أنَّ البَيْتَ هُنا القَبْرُ وهوَ قَولُ زَيْدِ بنِ أسْلَمَ في هٰذا الحَديثِ كما رُوِيَ بَيْنَ قَبْرِي ومِنْبَرِي قالَ الطَّبرَيُّ واذا كانَ قَبْرُهُ في بَيْتِهِ اتَّفَقَتْ مَعانِي الرِّواياتِ ولمْ يَكنْ بينَهما خِلافٌ لأنَّ قَبْرَهُ في حُجْرَتِهِ وهوَ بَيْتُهُ وقولُهُ ومِنْبَرِي على حَوْضِي قِيلَ يَحْتَمِلُ أنَّهُ مِنْبَرُهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي كانَ في الدُّنْيا وهوَ أظْهَرُ والثَّاني أنْ يَكُونَ لهُ هُناكَ مِنْبَرٌ والثَّالثُ أنَّ قَصْدَ مِنْبَرِهِ والحُضُورَ عندَهُ لِمُلازَمَةِ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ الحَوْضَ وَيُوجِبُ الشُّرْبَ منهُ قالَهُ الباجِيُّ وقولُهُ رَوْضَةٌ من رِياضِ الجَنَّةِ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ أحَدُهُما أنَّهُ مُوجِبٌ لِذَلِكَ وأنَّ الدُّعاءَ والصَّلاةَ فِيهِ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ منَ الثَّوابِ كما قِيلَ الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ والثَّاني أنَّ تِلْكَ البُقْعةَ قدْ يَنْقُلُها اللهُ فَتَكُونُ في الجَنَّةِ بِعَيْنِها قالَهُ الدَّاوُدِيُّ * ورَوَى ابنُ عُمَرَ وجَماعَةٌ منَ الصَّحابَةِ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ في المَدينَةِ لا يَصْبِرُ على لأْوائِها وشِدَّتِها أحَدٌ الَّا كُنْتُ لهُ شَهِيدًا أوْ شَفِيعاً يَوْمَ القِيامَةِ وقالَ فِيمَنْ تَحَمَّلَ عَنِ المَدينَةِ والمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لوْ كانُوا يَعْلَمُونَ وقالَ إِنَّما المَدينَةُ كالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَها ويَنْصَعُ طِيبُها وقالَ لا يَخْرُجُ أحَدٌ منَ المَدينَةِ رَغْبَةً عنها الَّا أبْدَلَها اللهُ خَيْرًا منهُ * ورُوِيَ عنهُ صلى الله عليه وسلم مَنْ ماتَ في أحَدِ الحَرَمَيْنِ حاجًّا أوْ مُعْتَمِرًا بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ لا حِسابَ عليهِ ولا عَذابَ وفي طَرِيقٍ آخَرَ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ يَوْمَ القِيامَةِ * وعَنِ ابنِ عُمَرَ

مَنِ اسْتَطاعَ أنْ يَمُوتَ بالمَدينَـةِ فَلْيَمُتْ بِها فَإنّي أشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِها * وقالَ تعـالي إنَّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّـاسِ لَلذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً الي قوْلِهِ آمِنًا قالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ آمِنًا مِنَ النّارِ وَقيـلَ كانَ يَأْمَنُ مِنَ الطَّلَبِ مَنْ أحْدَثَ حَدَثاً خارِجاً عَنِ الحَرَمِ ولَجأَ اليهِ في الجاهِلِيَّـةِ وهٰذا مِثْلُ قوْلِهِ وَإذْ جَعَلْنا البَيْتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وأمْنًا على قَوْلِ بَعْضِهِمْ * وحُكِيَ أنّ قوْماً أتوْا سَعْدُونَ الخَوْلانِيّ بالمُنَسْتِيرِ فَأعْلَمُوهُ أنّ كُتامَةَ قَتَلُوا رَجُلاً وأضْرَمُوا عليهِ النّارَ طُولَ اللّيْلِ فَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ شَيْئاً وَبَقِيَ أبْيَضَ البَدَنِ فقالَ لَعَلَّهُ حَجَّ ثَلاثَ حِجَجٍ قالُوا نَعَمْ قالَ حُدِّثْتُ أن مَنْ حَجَّ حِجَّةً أدّى فَرْضَهُ ومَنْ حَجَّ ثانِيَـةً دايَنَ رَبَّهُ ومَنْ حَجَّ ثَلاثَ حِجَجٍ حَرَّمَ اللهُ شَعَرَهُ وبَشَرَهُ على النّارِ ولَمّا نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الى الكَعْبَةِ قالَ مَرْحَباً بِكِ مِنْ بَيْتٍ ماأعْظَمَكِ وأعْظَمَ حُرْمَتَكِ وفي الحَدِيثِ عنـهُ صلي اللهُ عليهِ وسلم مامِنْ أحَدٍ يَدْعُو اللهَ تَعالي عِنْدَ الرُّكْنِ الأسْوَدِ الّااسْتَجابَ اللهُ لَهُ وكَذٰلِكَ عِنْدَ المِيزابِ وعنه صلي الله عليه وسلم مَنْ صَلّى خَلْفَ المَقامِ رَكْعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ وحُشِرَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ الآمِنِـينَ قالَ الفَقِيهُ القاضِي أبو الفَضْلِ قَرأْتُ علي القاضِي الحافِظِ أبي عَلِيّ حدثنا أبو العَبّاسِ العُذْرِيّ قالَ حدثنا أبو أُمامَةَ مُحَمَّدُ بنُ أحْمَدَ بْنِ مُحَمّدٍ الهَرَوِيّ حدثنا الحَسَنُ بنُ رَشِيقٍ سَمِعْتُ أباالحَسَنِ مُحَمَّدَ بنَ الحسَنِ بنِ راشِدٍ سَمِعْتُ أبا بَكْرٍ مُحَمّدَ بنَ ادريسَ سَمِعْتُ الحُمَيْدِيّ قالَ سَمِعْتُ سُفْيانَ بنَ عُيَيْنَةَ قالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بنَ دِينارٍ قالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبّاسٍ

يقولُ سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ مادعا أحدٌ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ الاّ استُجِيبَ لَهُ قالَ ابنُ عبّاسٍ وأنا فما دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاّ استُجِيبَ لِي وقالَ عَمْرُو بنُ دِينارٍ وأنا فما دَعَوْتُ اللهَ تعالى بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنِ ابنِ عَبّاسٍ الاّ استُجِيبَ لِي وقالَ سُفْيانُ وَأنا فما دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنْ عَمْرو الاّ استُجِيبَ لِي قالَ الحُمَيْدِيُّ وأنا فما دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰـذا مِنْ سُفْيانَ الاّ استُجِيبَ لي وقالَ محمّدُ بنُ ادريسَ وأنا فما دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰـذا مِنَ الحُمَيْدِيِّ الاّ استُجِيبَ لي وقالَ أبو الحَسَنِ محمّدُ بنُ الحَسَنِ وأنا فَمَا دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنْ محمّدِ بنِ إِدْرِيسَ الاّ استُجِيبَ لِي قالَ أبو اسامةَ وما أَذْكُرُ الحَسَنَ ابنَ رَشِيقٍ قالَ فيهِ شَيْئاً وأنا فَمَا دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنَ الحَسَنِ بنِ رَشِيقٍ الاّ استُجِيبَ لِي مِنْ أمْرِ الدُّنْيا وأنا أرْجُو أنْ يُستَجابَ لِي مِنْ أمْرِ الآخِرَةِ قالَ العُذْرِيُّ وأنا فَما دَعَوْتُ اللهَ بِشَيْءٍ في هٰـذا المُلْـتَزَمِ مُنْذُ سَمِعْتُ هٰذا مِنْ أبي أسامةَ الاّ استجيبَ لي قالَ أبو عَلِيٍّ وأنا فَقَدْ دَعَوْتُ اللهَ فيهِ بأشياء كَثِيرَةٍ استُجِيبَ لي بَعْضُها وأنا أرْجُو مِنْ سَعَةِ فَضْلِهِ أنْ يَستَجِيبَ لي بَقِيَّتَها قالَ القاضي أبو الفَضْلِ ذَكَرْنا نُبَذاً مِنْ هٰذِهِ النُّكَتِ في هٰذا الفَصلِ وانْ لَمْ تَكُنْ مِنَ البابِ لِتَعَلُّقِها بالفَصلِ الّذِى قَبْلَهُ حِرصاً على تَمامِ الفائِدَةِ واللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوابِ بِرَحْمَتِهِ

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا الي البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالي ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالي واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالي وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ علينا ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت

الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسادهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم انى أظل يطعمني ربى ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج الي بسط وتفصيل علي ماناتي به بعد هذا في البابين بعون الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم قال القاضي أبو الفضل وفقه الله اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لايخلو

أنْ تَطرأ على جسمِهِ أوْ على حوَاسِهِ بِغَيْرِ قَصْدٍ واختيارٍ كالأمْراضِ والأسقامِ أوْ تَطرأَ بِقَصدٍ واختيارٍ وكُلُّهُ فى الحَقِيقَةِ عَمَلٌ وفِعلٌ ولٰكِنْ جرَى رَسْمُ المَشايخِ بتَفصيلِهِ الي ثَلاثَةِأنواعٍ عقْدٍ بالقَلْبِ وقوْلٍ باللسانِ وعَمَلٍ بالجوارحِ وجميعُ البَشَرِ تطرأُ عليهمُ الآفاتُ والتَغيُّراتُ بالإختيارِ وبِغَيرِ الاختيارِ في هٰذِهِ الوُجُوهِ كُلِّها والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وانْ كانَ مِنَ البَشَرِ ويجُوزُ على جِبِلَّتِهِ مايجُوزُ على جِبلَّةِ البشَرِ فقَدْ قامَتِ البَرَاهِينُ القاطِعَةُ وتمَّتْ كَلمَةُ الإجماعِ على خرُوجِهِ عنْهُمْ وتَنزيهِهِ عنْ كَثيرٍ مِنَ الآفاتِ التي تقَعُ علي الاختيارِ وعلى غَيْرِ الاختيارِ كما سَنُبَيِّنُهُ ان شاءَ اللهُ تَعالي فيما نأْتِى بِهِ مِنَ التَّفاصيل

(فصل)

في حُكمِ عقدِ قَلْبِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ وقتِ نُبُوَّتِهِ

اعلَمْ مَنَحنَا اللهُ وايّاكَ توْفِيقَهُ أنَّ ماتَعلَّقَ مِنْهُ بِطَرِيقِ التَّوْحيدِ والعِلْمِ باللهِ وَصِفاتِهِ والإيمانِ بهِ وَبِما أُوحيَ اليْهِ فَعلى غايَةِ المعرِفَةِ ووُضُوحِ العِلْمِ واليَقِينِ والانتِفاء عن الجهْلِ بشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أوِ الشَّكِّ أوِ الرَّيْبِ فيهِ والعِصمَةِ مِنْ كُلِّ ما يُضادُّ المَعْرِفَةَ بذلِكَ واليقِينَ هٰذا ماوقَعَ اجماعُ المُسْلِمِينَ عليهِ ولا يَصِحُّ بالبَرَاهِين الواضِحَةِ أنْ يكُونَ في عقُودِ الأنْبياءِسِواهُ ولا يُعْتَرَضُ على هٰذا بقوْلِ ابْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ بَلى ولٰكِنْ ليطْمَئِنَّ قَلْبِي إذْلمْ يَشُكَّ إبْراهيمُ في إخبارِ اللهِ تعالى لهُ بإحياءِ المَوْتى ولٰكِنْ أرادَ طُمأْنينةَ القَلْبِ وتَرْكَ المُنازَعَةِ لِمُشاهَدَةِ الإحْياءِ فَحصَلَ لهُ العِلْمُ الأوَّلُ بِوُقُوعِهِ وأرادَ العِلْمَ الثَّانِي بِكيفِيَّتِهِ ومُشاهَدَتِهِ * الوَجهُ

الثاني أن ابراهيمَ عليهِ السّلامُ إنّما أرادَ اختبارَ منزلتِهِ عندَ ربِّهِ وعِلمَ إجابتِهِ دعوتَهُ بسؤالِ ذلكَ من ربِّهِ ويكونُ قولُهُ تعالي أوَ لمْ تؤمنْ أي تُصدِّقْ بمنزلتِكَ مِني وخُلّتِكَ واصطفائِكَ * الوجهُ الثّالثُ أنّهُ سألَ زيادةَ يقينٍ وقوّةَ طمأنينةٍ وانْ لم يكنْ في الأوّلِ شكٌّ إذِ العلومُ الضّروريّةُ والنّظريّةُ قدْ تتفاضلُ في قوّتِها وطريانُ الشكوكِ على الضّروريّاتِ ممتنعٌ ومجوّزٌ في النظريّاتِ فأرادَ الانتقالَ منَ النّظرِ أوِ الخبرِ الي المُشاهدةِ والتّرقّي منْ عِلمِ اليقينِ الي عينِ اليقينِ فليسَ الخبرُ كالمعاينةِ ولهذا قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ سألَ كشفَ غِطاءِ العيانِ ليزدادَ بنورِ اليقينِ تمكّناً في حالِهِ * الوجهُ الرّابعُ أنّهُ لمّا احتجَّ على المشركينَ بأنّ ربّهُ يُحيي ويُميتُ طلبَ ذلكَ مِنْ ربِّهِ ليصحَّ احتجاجُهُ عياناً * الوجهُ الخامسُ قولُ بعضِهِمْ هوَ سؤالٌ علي طريقِ الأدبِ المُرادُ أقدِرْني علي إحياءِ الموتي وقولُهُ ليطمئنَّ قلبي عنْ هذهِ الأمنيّةِ * الوجهُ السادسُ أنّهُ أرى مِنْ نفسِهِ الشّكَّ وما شكَّ لكنْ ليُجاوبَ فيزدادَ قربُهُ وقولُ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم نحنُ أحقُّ بالشّكِّ مِنْ ابراهيمَ نفيٌ لأنْ يكونَ ابراهيمُ شكَّ وإبعادٌ للخواطِرِ الضّعيفةِ أنْ تظنَّ هذا بإبراهيمَ أي نحنُ موقنونَ بالبعثِ وإحياءِ اللهِ الموتى فلوْ شكَّ ابراهيمُ لكُنّا أولي بالشّكِّ منهُ إمّا علي طريقِ الأدبِ أوْ أنْ يُريدَ أمّتَهُ الّذينَ يجوزُ عليهمُ الشّكُّ أوْ على طريقِ التّواضعِ والإشفاقِ انْ حُمِلَتْ قِصّةُ ابراهيمَ علي اختبارِ حالِهِ أوْ زيادةِ يقينِه * فانْ قلتَ فما معنى قولِهِ فانْ كنتَ في شكٍّ ممّا أنزلنا عليكَ فاسألِ الذينَ يقرؤونَ الكِتابَ مِنْ قبلِكَ الآيتينِ فاحذرْ ثبّتَ اللهُ قلبَكَ أنْ يخطرَ ببالِكَ

ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي اليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكي قتادة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هنا غير النبي صلي الله عليه وسلم ليسأل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي أمر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب إنما هو فيما قصه الله من أخبار الأمم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله العتبي

وَقِيلَ مَعْنَاهُ سَلْنَا عَمَّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحُذِفَ الخافِضُ وتَمَّ الكَلامُ
ثمَّ ابْتَدَأَ أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحمَنِ الى آخرِ الآيَةِ على طَرِيقِ الإِنْكارِ أيْ
ما جَعَلْنا حَكاهُ مَكِّيٌّ وَقِيلَ أُمِرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَسْأَلَ
الأَنْبِياءَ لَيْلَةَ الإِسْراءِ عَنْ ذلِكَ فَكانَ أَشَدَّ يَقِيناً مِنْ أنْ يَحْتاجَ الى
السُّؤالِ فَرُوِيَ أنَّهُ قالَ لا أَسْأَلُ قَدِ اكْتَفَيْتُ قالَهُ ابنُ زَيْدٍ وقِيلَ سَلْ
أُمَمَ مَنْ أَرْسَلْنا هَلْ جاؤُهُمْ بِغَيْرِ التَّوْحِيدِ وهوَ مَعْنَى قولِ مُجاهِدٍ
والسُّدِّيِّ والضَّحّاكِ وقَتادَةَ والمُرادُ بِهَذا والذِي قَبْلَهُ إعْلامُهُ صلى الله
عليه وسلم بِما بُعِثَتْ به الرُّسُلُ وأنَّهُ تعالي لمْ يَأْذَنْ في عِبادَةِ غَيْرِهِ لِأَحَدٍ
رَدًّا علي مُشْرِكِي العَرَبِ وغَيْرِهِمْ في قولِهِمْ إِنَّما نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونا الي
اللهِ زُلْفَي وكَذَلِكَ قولُهُ تعالي والَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ
مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بالحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ أيْ في عِلْمِهِمْ بأنَّكَ
رسولُ اللهِ وانْ لم يُقِرُّوا بذلِكَ وليْسَ المُرادُ بِهِ شَكَّهُ فِيما ذُكِرَ في أوَّلِ الآيَةِ
وقدْ يَكونُ أيضاً علي مِثْلِ ما تَقَدَّمَ أيْ قُلْ يا مُحَمَّدُ لِمَنِ امْتَرَى في ذلِكَ
لا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ بدَلِيلِ قولِهِ أوَّلَ الآيَةِ أفَغَيْرَ اللهِ أبْتَغِي حَكَماً الآيَةَ
وأنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يُخاطِبُ بذلِكَ غَيْرَهُ وقِيلَ هوَ تَقْرِيرٌ كَقولِهِ
أنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ وقدْ عَلِمَ أنَّهُ
لمْ يَقُلْ وقِيلَ مَعْناهُ ما كُنْتَ فى شَكٍّ فاسْأَلْ تَزْدَدْ طُمَأْنِينَةً وعِلْماً الى عِلْمِكَ
ويَقِينِكَ وقِيلَ إنْ كُنْتَ تَشُكُّ فِيما شَرَّفْناكَ وفَضَّلْناكَ بِهِ فاسْأَلْهُمْ عَنْ
صِفَتِكَ في الكُتُبِ ونَشْرِ فَضائِلِكَ وحُكِيَ عنْ أبي عُبَيْدَةَ أنَّ المُرادَ إنْ
كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ غَيْرِكَ فِيما أنْزَلْنا فانْ قِيلَ فما مَعْنَي قَوْلِهِ حَتَّي اذا

استيأسَ الرُّسلُ وظنُّوا أنَّهم قد كُذِبُوا على قراءةِ التخفيفِ قُلنا المعنى في ذلكَ ماقالتهُ عائشةُ رضى اللهُ عنها معاذَ اللهِ أنْ تظنَّ ذلكَ الرُّسلُ بربِّها وانَّما معنى ذلكَ أنَّ الرُّسلَ لما استيأسُوا ظنُّوا أنَّ منْ وعدهمُ النَّصرَ منْ أتباعهمْ كذَّبوهمْ وعلى هذا أكثرُ المفسِّرينَ وقيلَ انَّ ضميرَ ظنُّوا عائدٌ على الأتباعِ والأممِ لا على الأنبياءِ والرُّسلِ وهوَ قولُ ابنِ عبَّاسٍ والنَّخعيِّ وابنِ جُبيرٍ وجماعةٍ منَ العلماءِ وبهذا المعنى قرأَ مجاهدٌ كَذَبُوا بالفتحِ فلا تشغلْ بالكَ منْ شاذِّ التفسيرِ بسواهُ ممَّا لا يليقُ بمنصبِ العلماءِ فكيفَ بالأنبياءِ وَ كذلكَ ماوردَ في حديثِ السِّيرةِ ومبدأِ الوحيِ منْ قولهِ صلى اللهُ عليه وسلم لخديجةَ لقدْ خشيتُ على نفسي ليسَ معناهُ الشكُّ فيما آتاهُ اللهُ بعدَ رؤيةِ الملكِ ولكنْ لعلَّهُ خشيَ أنْ لا تحتملَ قوَّتهُ مقاومةَ الملكِ وأعباءَ الوحيِ فينخلعَ قلبهُ أوْ تزهقَ نفسهُ هذا على ماوردَ في الصَّحيحِ أنَّهُ قالهُ بعدَ لقائهِ الملكَ أوْ يكونُ ذلكَ قبلَ لقائهِ واعلامِ اللهِ تعالى لهُ بالنبوَّةِ لأوَّلِ ماعُرضتْ عليه منَ العجائبِ وسلَّمَ عليهِ الحجرُ والشجرُ وبدأتهُ المناماتُ والتباشيرُ كما رُوىَ في بعضِ طُرُقِ هذا الحديثِ أن ذلكَ كانَ أوَّلاً في المنامِ ثمَّ أُريَ في اليقظةِ مثلَ ذلكَ تأنيساً لهُ عليهِ السَّلامُ لئلاَّ يفجأهُ الأمرُ مشاهدةً ومشافهةً فلا يحتملهُ لأوَّلِ حالةِ بنيةُ البشريةِ وفي الصَّحيحِ عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها أوَّلُ ما بُدئَ به رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم منَ الوحيِ الرُّؤيا الصَّادقةُ قالتْ ثمَّ حُبِّبَ اليهِ الخلاءُ وقالتْ الى أن جاءهُ الحقُّ وهوَ في غارِ حراءَ الحديثَ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ مكثَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم بمكَّةَ خمسَ عشرةَ سنةً يسمعُ الصَّوتَ ويرَى الضَّوءَ سبعَ سنينَ ولا يرى شيئاً وثمانَ سنينَ يُوحى اليهِ وقدْ روَى

ابنُ اسحاقَ عنْ بعضهم أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ وذكَرَ جوارَهُ بثارِ حِراء قالَ فجاءني وأنا نائمٌ فقالَ اقرأ فقلتُ ما أقرأ وذكَرَ نحوَ حديثِ عائشةَ في غطِّهِ لهُ واقرائِهِ لهُ اقرأ باسمِ ربِّكَ السورةَ قالَ فانصرفَ عني وهببْتُ مِنْ نومي كأنَّما صوِّرَتْ في قلبي ولمْ يكنْ أبغضَ اليَّ منْ شاعرٍ أوْ مجنونٍ قلتُ لا تحدَّثُ عنِّي قريشٌ بهذا أبدًا لأعمدنَّ الى حالقٍ منَ الجبلِ فلأطرحنَّ نفسي منهُ فلأقتلنَّها فبينا أنا عامدٌ لذلكَ اذْ سمعتُ مناديًا ينادي منَ السَّماءِ يا محمَّدُ أنتَ رسولُ اللهِ وأنا جبريلُ فرفعتُ رأسي فاذا جبريلُ على صورةِ رجلٍ وذكَرَ الحديثَ فقدْ بيَّنَ في هذا أنَّ قولَهُ لما قالَ وقصدَهُ لما قصدَ انَّما كانَ قبلَ لقاءِ جبريلَ عليهما السَّلامُ وقبلَ اعلامِ اللهِ تعالى لهُ بالنبوَّةِ واظهارِهِ واصطفائِهِ لهُ بالرِّسالةِ ومثلُهُ حديثُ عمرِو بنِ شرحبيلَ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم قالَ لخديجةَ انِّي اذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً وقدْ خشيتُ واللهِ أنْ يكونَ هذا لأمرٍ ومنْ روايةِ حمَّادِ بنِ سلمةَ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لخديجةَ انِّي لأسمعُ صوتًا وأرى ضوءًا وأخشى أنْ يكونَ بي جنونٌ وعلى هذا يتأوَّلُ لوْ صحَّ قولُهُ في بعضِ هذهِ الأحاديثِ انَّ الأبعدَ شاعرٌ أوْ مجنونٌ والفاظًا يفهمُ منها معاني الشَّكِّ في تصحيحِ ما رآهُ وأنَّهُ كانَ كلُّهُ في ابتداءِ أمرهِ وقبلَ لقاءِ الملكِ لهُ واعلامِ اللهِ لهُ أنَّهُ رسولُهُ فكيفَ وبعضُ هذهِ الألفاظِ لا تصحُّ طرقُها وأمَّا بعدَ اعلامِ اللهِ تعالى لهُ ولقائهِ الملكَ فلا يصحُّ فيهِ ريبٌ ولا يجوزُ عليه شكٌّ فيما أُلقيَ اليه وقدْ روى ابنُ اسحاقَ عنْ شيوخهِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يرقى بمكَّةَ منَ العينِ قبلَ أنْ ينزلَ عليه فلمَّا نزلَ عليهِ القرآنُ

أصابهُ نحوُ ما كانَ يُصيبهُ فقالَتْ لهُ خديجةُ أُوَجِّهُ إليكَ مَنْ يرْقيكَ قالَ أمَّا الآنَ فلا وحَديثُ خديجةَ واختبارُها أمْرَ جبْريلَ بكَشْفِ رأْسِها الحَديثَ إنَّما ذلِكَ في حقِّ خديجةَ لِتحقَّقَ صِحَّةَ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأنَّ الذي يأْتيهِ ملَكٌ ويَزُولُ الشَّكُّ عنْها لا أنَّها فعلَتْ ذلِكَ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولِيَخْتَبِرَ هُوَحالَهُ بذلِكَ بَلْ قَدْ وَرَدَ في حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ محمَّدِ بْنِ يَحْيي بنِ عُرْوَةَ عَنْ هِشامٍ عَنْ أبيهِ عَنْ عائِشَةَ أنَّ ورَقَةَ أمرَ خديجةَ أنْ تخبُرَ الأمْرَ بِذلِكَ وفي حديثِ اسماعِيلَ بْنِ أبي حَكيمٍ أنَّها قالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ياابْنَ عَمِّ هَلْ تَستَطِيعُ أنْ تُخْبِرَني بِصاحِبِكَ اذا جاءكَ قال نعَمْ فلمَّا جاء جبْريلُ أخْبَرَها فقالَتْ لهُ اجْلِسْ الى شِقِّي وذَكَرَ الحديثَ الي آخرِهِ وفيهِ فقالَتْ ما هذَا بِشيْطانٍ هذَا المَلَكُ يا ابْنَ عمِّ فاثْبُتْ وأبْشِرْ وآمنَتْ بِهِ فهذَا يَدُلُّ على أنَّها مُسْتَثْبِتَةٌ بِما فعلَتْهُ لِنفسِها وَمُسْتَظْهِرَةٌ لإيمانِها لا لِلنَّبيِّ صلي الله عليه وسلم وقولُ معْمَرٍ في فَتْرَةِ الوَحْيِ فحزِنَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فيما بلَغَنا حزْناً غدَا منهُ مِراراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ شَواهِقِ الجبالِ لا يَقْدَحُ في هذا الأصْلِ لِقَوْلِ مَعْمَرٍ عنهُ فيما بلَغنَا ولَمْ يُسنِدْهُ ولا ذَكَرَ رُواتَهُ ولا مَنْ حدَّثَ بِهِ ولا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَهُ ولا يُعْرَفُ مِثْلُ هذا الاَّ مِنْ جهَةِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم معَ أنَّهُ قَدْ يُحْمَلُ على أنَّهُ كانَ أوَّلَ الأمْرِ كما ذَكَرْناهُ أوْ أنَّهُ فعَلَ ذلِكَ لِما أحرَجَهُ مِنْ تكْذِيبِ مَنْ بلَّغَهُ كما قالَ تَعالي فلَعلَّكَ باخِعٌ نفْسَكَ على آثارِهِمْ إنْ لمْ يُؤْمِنوا بِهذَا الحَديثِ أسَفًا ويُصحِّحُ معْني هذا التَّأْويلِ حديثٌ رَواهُ شَريكٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عَقِيلٍ

عنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ أنّ المُشرِكينَ لمّا اجتمَعُوا بِدارِ النَّدْوَةِ لِلتّشاوُرِ
في شأْنِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم واتّفقَ رأْيُهمْ على أنْ يقُولُوا إنّهُ ساحِرٌ
اشْتدّ ذلِكَ علَيْهِ وتزمّلَ في ثِيابِهِ وتدثّرَ فِيها فأتاهُ جِبْرِيلُ فقالَ يا أيُّها المُزّمِّلُ
يا أيُّها المُدّثِّرُ أوْ خافَ أنّ الفَتْرةَ لِأمْرٍ أوْ سببٍ مِنْهُ فخشِيَ أنْ تكُونَ
عُقُوبةً مِنْ ربِّهِ ففعَلَ ذلِكَ بِنفْسِهِ ولمْ يرِدْ بعْدُ شرْعٌ بالنّهْيِ عنْ ذلِكَ
فيُعْترَضُ بِهِ ونحْوُ هذا فِرارُ يُونُسَ عليهِ السّلامُ خشْيةَ تكْذِيبِ قوْمِهِ
لهُ لِما وعدَهُمْ بِهِ مِنَ العذابِ وقوْلُ اللهِ في يُونُسَ فظنّ أنْ لنْ نقْدِرَ
عليهِ معْناهُ أنْ لنْ نُضيِّقَ عليهِ قالَ مكّيٌّ طمِعَ في رحْمةِ اللهِ وأنْ لا يُضيِّقَ
عليهِ مسْلكَهُ في خُرُوجِهِ وقِيلَ حسّنَ ظنّهُ بِموْلاهُ أنّهُ لا يقْضِي علَيْهِ
العُقُوبةَ وقِيلَ نُقدِّرُ عليهِ ما أصابهُ وقدْ قُرِئَ نُقدِّرَ عليهِ بالتّشْدِيدِ وقِيلَ
نُؤاخِذُهُ بِغضبِهِ وذهابِهِ وقالَ ابنُ زيْدٍ معْناهُ أفظنّ أنْ لنْ نقْدِرَ عليه على
الاِسْتِفْهامِ ولا يلِيقُ أنْ يظُنّ بِنبِيٍّ أنْ يجْهلَ صِفةً مِنْ صِفاتِ ربِّهِ وكذلِكَ
قوْلُهُ اذْ ذهبَ مُغاضِباً الصّحِيحُ مُغاضِباً لِقوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ وهوقوْلُ ابْنِ عبّاسٍ
والضّحّاكِ وغيْرِهِما لا لِربّهِ عزّ وجلّ اذْ مغاضبةُ اللهِ مُعاداةٌ لهُ ومُعاداةُ اللهِ كُفْرٌ
لا تلِيقُ بالمُؤْمِنِينَ فكيْفَ بالأنْبِياءِ وقِيلَ مُسْتحْيِياً مِنْ قوْمِهِ أنْ يسِمُوهُ بالكذِبِ
أوْ يقْتُلُوهُ كما وردَ في الخبرِ وقِيلَ مُغاضِباً لِبعْضِ المُلُوكِ فِيما أمرهُ بِهِ مِنَ
التّوجُّهِ الي أمْرٍ أمرهُ اللهُ بِهِ على لِسانِ نبِيٍّ آخرَ فقالَ لهُ يُونُسُ غيْرِي أقْوى عليه
مِنّي فعزمَ عليهِ فخرجَ لِذلِكَ مُغاضِباً وقدرُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ أنّ ارسالَ
يُونُسَ ونُبُوّتهُ انّما كانَ بعْدَ أنْ نبذهُ الحُوتُ واسْتدلّ مِنَ الآيةِ بِقوْلِهِ
فنبذْناهُ بالعراءِ وهُوَ سقِيمٌ وأنْبتْنا عليه شجرةً مِنْ يقْطِينٍ وأرْسلْناهُ الي

مائةَ الفٍ ويُستَدَلُّ أيضاً بقولِهِ ولا تَكُنْ كصاحِبِ الحُوتِ وذَكَرَ القِصةَ ثُمَّ قالَ فاجتَباهُ ربُّهُ فجعَلهُ مِنَ الصالِحِينَ فتَكونُ هذهِ القِصةُ اذًا قبلَ نُبُوَّتهِ فانْ قِيلَ فما مَعنى قولِهِ صلي اللهُ عليه وسلم إِنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبِي فأستَغفِرُ اللهَ كلَّ يَومٍ مائةَ مرَّةٍ وفي طريقٍ في اليَومِ أكثَرَ مِنْ سبعِينَ مرَّةً فاحذَرْ أنْ يقَعَ ببالِكَ أنْ يكُونَ هذا الغَينُ وسوَسَةً أوْ رَيْباً وقَعَ في قلبِهِ عليهِ السَّلامُ بلْ أصلُ الغَينِ في هذا مايتَغشَّى القلبَ ويُغطِّيهِ قالهُ أبو عُبَيدٍ وأصلُهُ مِنْ غَينِ السَّماء وهُوَ اطْباقُ الغَيمِ عليها وقالَ غَيرُهُ والغَينُ شيءٌ يُغشِّي القلبَ ولا يُغطِّيهِ كُلَّ التَّغطِيَةِ كالغَيمِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَعرِضُ في الهَواءِ فلا يَمنَعُ ضَوءَ الشَّمسِ وكذلِكَ لايُفهَمُ مِنَ الحَديثِ أنَّهُ يُغان علي قلبِهِ مائةَ مرَّةٍ أوْ أكثَرَ من سبعِينَ في اليَومِ اذْ ليسَ يَقتَضيهِ لفظُهُ الَّذِي ذَكَرْناهُ وهُوَ أكثَرُ الرِّواياتِ وانَّما هذا عدَدٌ لِلاستِغفارِ لا لِلغَينِ فيَكُونُ المُرادُ بهذا الغَينِ اشارَةً الي غفلاتِ قلبِهِ وفَتَراتِ نَفْسِهِ وسَهْوِها عنْ مُداومةِ الذِّكْرِ ومُشاهَدةِ الحقِّ بِما كان صلى اللهُ عليه وسلم دُفِعَ اليهِ مِنْ مُقاساةِ البَشَرِ وسِياسَةِ الأُمَّةِ ومُعاناةِ الأهْلِ ومُقاومةِ الوَلِيِّ والعَدُوِّ ومصلَحَةِ النَّفسِ وكَلَّفَهُ مِنْ أعباءِ أداءِ الرِّسالةِ وحَمْلِ الأمانةِ وهُوَ في كُلِّ هذا في طاعةِ رَبِّهِ وعبادةِ خالِقِهِ ولكِنْ لمَّا كانَ صلى اللهُ عليه وسلم أرفَعَ الخَلقِ عندَ اللهِ مَكانةً وأعلاهُمْ دَرَجةً وأتَمَّهُمْ بِهِ مَعرِفةً وكانتْ حالُهُ عندَ خُلُوصِ قلبِهِ وخُلُوِّ هَمِّهِ وتفرُّدِهِ برَبِّهِ واقبالِهِ بِكُلِّيَتِهِ عليهِ ومَقامُهُ هُنالِكَ أرفَعُ حالَيهِ رَأى صلى اللهُ عليه وسلم حالَ فَترَتِهِ عنها وشُغلِهِ بِسِواها غَضًّا مِنْ عَلِيِّ حالِهِ وخَفضاً

مِنْ رفيعِ مقامِهِ فاستغفرَ اللهَ مِنْ ذلِكَ هذا أولي وُجوهِ الحديثِ وأشهرُها والي معنى ماأشرنا بِهِ مالَ كثيرٌ مِنَ النّاسِ وحامَ حولَهُ فقاربَ ولمْ يَرِدْ وقدْ قرّبنا غامِضَ معناهُ وكشفْنا لِلمُستفيدِ مُحيّاهُ وهُوَ مبنيٌّ على جوازِ الفتراتِ والغفلاتِ والسّهوِ في غيرِ طريقِ البلاغِ على ماسيأتي وذهبَتْ طائِفةٌ مِنْ أرْبابِ القلُوبِ ومشْيخَةِ المُتصوّفةِ مِمّنْ قالَ بتنزيهِ النّبيِّ صلى اللهُ عليْهِ وسلم عنْ هذا جُمْلةً وأجلّهُ أنْ يجُوزَ عليْهِ في حال سهْوٌ أوْ فترةٌ الي أنّ معنى الحديثِ مايُهمُّ خاطِرَهُ ويَغمُّ فِكْرَهُ مِنْ أمْرِ أمّتِهِ صلى الله عليه وسلم لاهتمامِهِ بِهِمْ وكثْرَةِ شفقتهِ عليْهِمْ فيَستغفرُ لهُمْ قالوا وقدْ يكُونُ الغيْنُ هُنا على قلْبِهِ السّكِينةَ تتغشّاهُ لقوْلِهِ تعالى فأنْزلَ اللهُ سكِينتَهُ عليهِ ويكونُ استغفارُهُ صلى الله عليه وسلم عندَها اظهارًا لِلعبُودِيّةِ والافتقارِ قالَ ابنُ عطاء استغفارُهُ وفِعْلُهُ هذا تعريفٌ لِلأُمّةِ يحملُهُمْ على الاستغفارِ قالَ غيرُهُ ويَستشْعِرُونَ الحذَرَ ولا يرْكنُونَ الى الأمْنِ وقدْ يحتمِلُ أنْ تكُونَ هذهِ الإغانةُ حالَةَ خشْيةٍ واعظامٍ تغشى قلْبَهُ فيستغفرُ حينئِذٍ شُكْرًا لِلّهِ ومُلازمةً لِعبُودِيّتِهِ كما قالَ في مُلازمةِ العبادةِ أفلا أكُونُ عبدًا شكُورًا وعلى هذه الوُجُوهِ الأخيرةِ يُحمَلُ مارُوِيَ في بعضِ طُرقِ هذا الحديثِ عنهُ صلى الله عليه وسلم إنّهُ ليُغانُ على قلْبي في اليوْمِ أكثرَ مِنْ سبعِينَ مرّةً فاستغفِرُ اللهَ فانْ قُلْتَ فما معْنى قولِهِ تعالي لِمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم ولوْ شاءَ اللهُ لجمعهُمْ على الهُدى فلا تكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ وقوْلِهِ لِنُوحٍ عليْهِ السّلامُ فلا تسألْني ماليْسَ لكَ بِهِ علمٌ انّي أعِظُكَ أنْ تكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ فاعْلمْ أنّهُ لايُلتفتُ

في ذلِكَ الي قولِ مَنْ قالَ في آيَةِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم لاتَكونَنَّ مِمَّنْ يَجْهَلُ أنَّ اللهَ لوْ شاءَ لجَمَعَهُمْ على الهُدٰى وفي آيَةِ نوحٍ لاتَكُونَنَّ مِمَّنْ يَجْهَلُ أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ لقولِهِ وأنَّ وعدَكَ الحَقُّ اذْ فيه اثباتَ الجهلِ بصفَةٍ مِنْ صفاتِ اللهِ وذلِكَ لا يجُوزُ على الأنبياءِ والمَقصُودُ وعظُهُمْ أنْ لا يَتَشبَّهُوا في أمُورِهِمْ بِسِماتِ الجاهِلِينَ كما قالَ انّى أعِظُكَ وليسَ في آيَةٍ مِنْها دليلٌ على كَوْنِهِمْ على تِلْكَ الصِفَةِ الَّتِي نَهاهُمْ عنِ الكوْنِ عليْها فَكَيْفَ وآيَةُ نُوحٍ قبلَها فلا تسألْنِي ما ليْسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ فَحَمْلُ ما بَعْدَها على ما قبلها أولى لِأنَّ مِثْلَ هٰذا قدْ يَحْتاجُ الي اذْنٍ وقدْ تجُوزُ اباحَةُ السُّؤالِ فيهِ ابتِداءً فنَهاهُ اللهُ أنْ يَسألهُ عمّا طَوى عنه علْمَهُ وأكَنَّهُ مِنْ غَيْبِهِ منَ السَّبَبِ المُوجِبِ لِهَلاكِ ابنِهِ ثمّ أكمَلَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ عليهِ بإعْلامِه ذلِكَ بقوْلِه إنهُ ليْسَ من أهْلِكَ إنّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ حَكي معْناهُ مَكِّيٌّ كذلِكَ أُمِرَ نَبِيُّنا في الآيةِ الأُخْرَى بالْتِزامِ الصَّبْرِ علي إعْراضِ قومِهِ ولا يُحْرَجُ عندَ ذلِكَ فيُقارِبَ حالَ الجاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ حَكاهُ أبو بَكرِ بنُ فُورَكٍ وقيلَ معْني الخِطابِ لِأُمَّةِ محمّدٍ أىْ فلا تَكونُوا منَ الجاهِلِينَ حَكاهُ أبو محمّدٍ مَكِّيٌّ وقالَ مِثْلُهُ في القُرْآنِ كَثيرٌ فَبِهٰذا الفَضْلِ وَجَبَ القوْلُ بِعِصْمَةِ الأنبياءِ منهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ قَطْعًا فانْ قُلْتَ فاذا قَرَّرْتَ عِصْمَتَهُمْ منْ هٰذا وأنّهُ لا يَجُوزُ عليهِمْ شيْءٌ منْ ذلِكَ فما معْني اذًا وَعيدِ اللهِ لِنَبِيِّنا صلي الله عليه وسلم على ذلِكَ انْ فَعَلَهُ وتَحذيرِهِ منهُ كَقوْلِه لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الآيَةَ وقوْلِه تعالي ولا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ الآيَةَ وقوْلِه تعالى اذًا لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ

الآيَةَ وقوله لَأَخَذْنا منهُ باليَمِينِ وانْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ في الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عنْ سَبيلِ اللهِ وقوله وانْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ وقوله فانْ لم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وقوله اتّقِ اللهِ ولا تُطِعِ الكافِرينَ والمُنافِقِينَ فاعْلَمْ وَفّقَنا اللهُ وَإِيّاكَ أنّهُ صلى الله عليه وسلم لا يَصحُّ ولا يَجُوزُ عليهِ أنْ لا يُبَلّغَ ولا يُخالِفَ أمْرَ رَبّهِ ولا أنْ يُشْرِكَ بهِ ولا يَتقوّلَ على اللهِ مالا يُحِبُّ أوْ يَفْتَرِيَ عليهِ أوْ يَضِلَّ أوْ يَخْتِمَ على قلبِهِ أوْ يُطِيعَ الكافِرينَ لَكِنْ يَسّرَ أمْرَهُ بالمُكاشَفَةِ والبَيانِ في البَلاغِ لِلمُخالِفِينَ وأنّ إِبْلاغَهُ انْ لمْ يَكُنْ بِهٰذِهِ السَّبِيلِ فَكَأَنّهُ ما بَلّغَ وطَيَّبَ نَفْسَهُ وقَوّى قَلْبَهُ بقَوْلِه واللهُ يَعْصِمُكَ منَ النّاسِ كما قالَ لِمُوسى وهارُونَ لا تخافا لِتَشْتَدَّ بَصائِرُهُمْ في الإِبْلاغِ وَإِظْهارِ دِينِ اللهِ ويُذْهِبَ عنهُمْ خَوْفَ العَدُوّ المُضْعِفَ لِلنَّفْسِ *
وأمّا قوْلُهُ تعالى ولوْ تقوّلَ علينا بَعْضَ الأَقاوِيلِ الآيَةَ وقوْلُهُ اذًا لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ فَمعْناهُ أنّ هٰذا جَزاءُ مَنْ فَعَلَ هٰذا وجَزاؤُكَ لوْ كُنْتَ مِمّنْ يَفْعَلُهُ وهوَ لا يَفْعَلُهُ وكذلِكَ قوْلُهُ وانْ تطِعْ أَكْثَرَ مَنْ في الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ فالمُرادُ غَيْرُهُ كما قالَ انْ تُطِيعُوا الّذينَ كَفَرُوا الآيَةَ وقوْلُهُ فانْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ ولَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وما أشْبَهَهُ فالمُرادُ غَيْرُهُ وأنّ هٰذه حالُ مَنْ أشْرَكَ والنّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لا يَجُوز عليه هٰذا وقوْلُهُ اتّقِ اللهَ ولا تُطِعِ الكافِرينَ فليْسَ فيهِ أنّهُ أطاعَهُمْ واللهُ يَنْهاهُ عمّا يَشاءُ ويَأْمُرُهُ بِما يَشاءُ كما قالَ ولا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ الآيَةَ وما كانَ طَرَدَهُمْ صلى الله عليه وسلم ولا كانَ منَ الظّالِمينَ

(فصل)

(فصل)

وأمَّا عِصمَتُهُمْ من هٰذا الفَنّ قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَلِلنَّاسِ فيه خِلافٌ * والصَّوابُ أنَّهُمْ مَعصومُونَ قبلَ النبُوَّةِ منَ الجَهلِ باللهِ وصِفاتِه والتَّشَكُّكِ في شَيْء من ذلِكَ وقدْ تَعاضَدَتِ الأَخْبارُ والآثارُ عنِ الأَنبياءِ بِتَنْزِيهِهِمْ عنْ هٰذِه النَّقِيصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا ونَشْأَتِهِم علي التَّوْحِيد والإِيمانِ بلْ على إِشْراقِ أنوارِ المَعارِفِ ونَفَحاتِ أَلطافِ السَّعادَةِ كما نَبَّهْنا عليه في البابِ الثَّاني منَ القِسْمِ الأوَّلِ منْ كِتابِنا هٰذا ولَمْ يَنْقُلْ أحَدٌ منْ أهْلِ الأَخْبارِ أنَّ أحَدًا نُبِّيءَ واصْطُفِيَ مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وإِشْراكٍ قَبْلَ ذَلِكَ ومُسْتَنَدُ هٰذا البابِ النَّقْلُ وقدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بأنَّ القُلوبَ تَنْفِرُ عمَّنْ كانَتْ هٰذِه سَبِيلَهُ وأنا أقولُ إنَّ قُرَيْشًا قد رَمَتْ نَبِينا بِكُلِّ ما افْتَرَتْهُ وعَيَّرَ كُفَّارُ الأُمَمِ أنبياءها بِكُلِّ ما أمْكَنَها واخْتَلَقَتْهُ مِمَّا نَصَّ اللهُ تعالى عليه أوْ نَقَلَتْهُ الينا الرُّواةُ ولَمْ نَجِدْ في شَيْء منْ ذلِكَ تَعْيِيرًا لِواحِدٍ منهُمْ بِرَفْضِهِ آلِهَتَهُ وتَقْريعِهِ بِذَمِّه بِتَرْكِ ما كانَ قد جا مَعَهُمْ عليه ولَوْ كانَ هٰذا لَكانُوا بذَلِكَ مُبادِرِينَ وَبِتَلَوُّنِه في مَعْبودِهِ مُحْتَجِّينَ ولَكانَ تَوْبِيخُهُمْ لهُ بِنَهْيِهِمْ عمَّا كانَ يَعْبُدُ قَبْلُ أفْظَعَ وأقْطَعَ في الحُجَّةِ منْ تَوْبِيخِهِ بِنَهْيِهِمْ عَنْ تَرْكِهِمْ آلِهَتَهُمْ وما كانَ يَعْبُدُ آباؤُهُمْ من قَبْلُ فَفي إِطْباقِهِمْ علي الإِعْراضِ عنهُ دَلِيلٌ على أنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا اليهِ اذْ لوْ كانَ لَنُقِلَ وما سَكَتُوا عنهُ كما لم يَسْكُتُوا عندَ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ وقالوا ما وَلَّاهُمْ عنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانوا عليها كما حَكاهُ اللهُ عنهُمْ وقدِ اسْتَدَلَّ القاضي القُشَيْرِيُّ على تَنْزِيهِهِمْ

عَنْ هٰذا بقوله تعالي واذ أخذنا منَ النَّبيّينَ ميثاقَهُمْ ومنكَ الآية
وبقوله تعالي واذ أخذَ اللهُ ميثاقَ النَّبيّينَ الي قوله لتؤمنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ
قالَ فطهّرَهُ اللهُ في الميثاقِ وبَعيدٌ أنْ يأخُذَ منهُ الميثاقَ قبلَ خلقِهِ ثمَّ يأخُذَ ميثاقَ
النَّبيّينَ بالإيمانِ به ونَصرِهِ قبلَ مَوْلِدِه بدُهُورٍ ويُجوِّزَ عليه الشِّركَ أوْ
غيرَهُ منَ الذُّنوبِ هٰذا ما لا يُجوِّزُهُ الّا مُلحِدٌ هٰذا معْنى كلامِه وكيفَ
يَكونُ ذلِكَ وقدْ أتاهُ جبْرِيلُ عليه السلامُ وشَقَّ قلْبَهُ صَغيرًا واسْتَخرَجَ منهُ
عَلَقَةً وقالَ هٰذا حظُّ الشَّيْطانِ منكَ ثمَّ غَسَلَهُ ومَلأَهُ حِكمَةً وإيمانًا
كما تَظاهرَتْ به أخبارُ المَبْدَأِ ولا يُشَبِّهُ عليكَ بقولِ ابراهيمَ في الكوكَبِ
والقمَرِ والشَّمسِ هٰذا رَبّى فانّهُ قد قيلَ كانَ هٰذا في سِنِّ الطُّفُولِيّةِ وابْتِداءِ
النّظَرِ والاستِدْلالِ وقَبلَ لُزومِ التَّكليفِ وذهَبَ مُعظَمُ الحُذّاقِ
منَ العُلماءِ والمُفَسِّرِينَ الي أنّهُ انّما قالَ ذلِكَ مُبَكِّتًا لِقومِه ومُستَدِلًّا
عليهِمْ وقيلَ معْناهُ الاستِفهامُ الوارِدُ مَوْرِدَ الإنكارِ والمُرادُ فهٰذا رَبّى
قالَ الزَّجّاجُ قولُهُ هٰذا رَبّي أىْ على قولِكُمْ كما قالَ أينَ شُرَكائي أىْ
عندَكُمْ ويَدُلُّ على أنّهُ لمْ يَعبُدْ شَيئًا مِنْ ذلِكَ ولا أشرَكَ قطُّ باللهِ طَرْفَةَ
عينٍ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ عنهُ اذْ قالَ لأبيهِ وقومِه ما تَعبُدُونَ ثمَّ قالَ أفرأيتُمْ
ما كُنتُمْ تَعبُدُونَ أنتُمْ وآباؤُكُمُ الأقدَمُونَ فانّهُمْ عَدُوٌّ لي الّا رَبَّ
العالمينَ وقالَ اذْ جاءَ رَبَّهُ بقَلْبٍ سَليمٍ أيْ منَ الشِّرْكِ وقولُهُ واجْنُبْني
وبَنيَّ أنْ نَعبُدَ الأصنامَ فانْ قُلتَ فما معْني قولِه لَئنْ لمْ يَهدِني رَبّى
لأكونَنَّ منَ القومِ الضالّينَ قيلَ انّهُ انْ لمْ يُؤيّدْنى بمَعُونَتِه أكُنْ مِثلَكُمْ
في ضَلالَتِكُمْ وعِبادَتِكُمْ على معْنَى الإشفاقِ والحَذَرِ والّا فهُوَ مَعصُومٌ في

الأَزَلِ منَ الضَّلالِ فانْ قُلْتَ فَما مَعْنى قوْلِه وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ من أرْضِنا أوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنا ثمَّ قالَ بَعْدُ عنِ الرُّسُلِ قدِ افْتَرَيْنا على اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا في مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اذْ نَجَّانا اللهُ منها فلا يُشْكِلُ عليكَ لَفْظَةُ العَوْدِ وأنّها تقتضي أنّهُمْ إنَّما يَعُودُونَ الى ما كانُوا فيه مِنْ مِلَّتِهِمْ فقدْ تَأْتِي هٰذهِ اللفظَةُ في كلامِ العَرَبِ لِغَيْرِ ماليسَ لهُ ابْتِداءٌ بِمَعْنى الصَّيْرُورَةِ كما جاء في حديثِ الجهنَّمِيِّينَ عادُوا حُمَماً ولم يَكونوا قبلُ كذلِكَ ومِثْلُه قولُ الشّاعرِ

تِلْكَ المَكارِمُ لا قَعْبانِ منْ لَبَنٍ * شيبا بِماءٍ فَعادا بَعْدُ أبْوالا

وما كانا قَبْلُ كذلكَ فانْ قُلْتَ فَما مَعْنى قوْلِه وَوَجَدَكَ ضالًّا فَهَدى فليسَ هوَ منَ الضَّلالِ الذي هوَ الكُفْرُ قِيلَ ضالا عَنِ النُّبُوَّةِ فهَداكَ اليْها قالَهُ الطبَرِيُّ وقِيلَ وجدكَ بَيْنَ أهْلِ الضَّلالِ فعصَمَكَ مِنْ ذلِكَ وهَداكَ لِلإِيمانِ والي ارْشادِهِمْ ونَحْوُهُ عنِ السُّدّيّ وغَيْرِ واحِدٍ وقيلَ ضالاً عنْ شَرِيعَتِكَ أيْ لا تَعرِفُها فهَداكَ اليْها والضَّلالُ هنُا التَّحَيُّرُ ولهذا كانَ صلى اللهُ عليه وسلم يخلُو بغارِ حِراءٍ في طلبِ مايَتَوَجَّهُ بهِ الي ربِّهِ ويَتَشَرَّعُ بِهِ حَتّي هَداهُ اللهُ الى الإِسْلامِ قالَ معناهُ القُشَيْرِيُّ وقِيلَ لاتَعرِفُ الحقَّ فهَداكَ اليْهِ وهٰذا مِثْلُ قوْلِهِ تَعالي وعلّمَكَ مالَمْ تَكُنْ تَعلَمُ قالَهُ عَلِيُّ ابْنُ عِيسي قالَ ابنُ عبّاسٍ لَمْ تَكُنْ لهُ ضَلالةُ مَعْصِيَةٍ وقيلَ هَدَي أىْ بَيَّنَ أمْرَكَ بالبَرٰهِينِ وقيلَ وَجَدَكَ ضالاً بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ فَهَدَكَ الي المَدِينَةِ وقيلَ المَعْنى وَجَدَكَ فَهَدى بِكَ ضالاً * وعنْ جعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ وَوَجَدَكَ ضالًّا عَنْ مَحَبَّتِي لكَ في الأَزَلِ أىْ لا تَعرِفُها فَمَنَنْتُ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَتِي وقرأ الحَسَنُ

ابْنُ عَلِيٍّ وَوَجَدَكَ ضالًّا فَهَدَى أي اهْتَدَي بِكَ وقالَ ابْنُ عطاء وَوَجَدَكَ ضالاً أيْ مُحِبًّا لِمَعْرِفَتِي والضَّالُّ المُحِبُّ كما قالَ انَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ أىْ مَحَبَّتِكَ القَدِيمَةِ ولَمْ يُرِيدُوا هٰهُنا في الدِّينِ اذْ لَوْ قالُوا ذٰلِكَ في نَبِيِّ اللهِ لَكَفَرُوا وَمِثْلُهُ عِنْدَ هٰذا قَوْلُهُ انّا لَنَراها فى ضَلالٍ مُبِينٍ أىْ مَحَبَّةٍ بَيِّنَةٍ وقالَ الجُنَيْدُ وَوَجَدَكَ مُتَحَيِّرًا في بَيانِ ما أُنْزِلَ اليْكَ فَهَداكَ لِبيانِه لِقَوْلِهِ وأَنْزَلْنا اليْكَ الذِّكْرَ الآيَةَ وقيلَ وَوَجَدَكَ لَمْ يَعرِفْكَ أَحَدٌ بالنُّبُوَّةِ حَتّي أظْهَرَكَ فَهَدَى بِكَ السُّعَداء وَلا أعْلَمُ أحَدًا قالَ مِنَ المُفَسِّرِينَ فِيها ضالاً عَن الايمَانِ وَ كَذٰلِكَ في قِصَّةِ مُوسٰى عليه السَّلامُ قَوْلُهُ فَعَلْتُها اذًا وَأنا مِنَ الضَّالِّينَ أىْ مِنَ المُخْطِئِينَ الفاعِلِينَ شَيْئًا بِغَيْرِ قصْدٍ قالَهُ ابْنُ عرفَةَ وقالَ الأَزْهَرِيُّ معْناهُ مِنَ النَّاسِينَ وقدْ قيلَ ذٰلِكَ في قولِهِ ووجدَكَ ضالاً فهَدَي أي ناسِيًا كما قالَ تَعالي أنْ تَضِلَّ احْداهُما فانْ قلْتَ فما معْنى قولِه ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتابُ ولا الايمانُ فالجَوابُ أنَّ السَّمَرْقَنْدِيَّ قالَ معْناهُ ما كُنْتَ تدْرِي قبْلَ الوَحْيِ أنْ تقْرَأَ القُرْآنَ ولا كَيْفَ تدْعُو الخَلْقَ الي الايمانِ وقالَ بَكْرٌ القاضِي نَحْوَهُ قالَ ولا الايمانُ الَّذِى هُوَ الفَرائِضُ والأَحْكامُ قالَ فكانَ قَبْلُ مُؤْمِنًا بِتَوْحِيدِهِ ثُمَّ نزَلَتِ الفرائِضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدْرِيها قبْلُ فزادَ بالتَّكْلِيفِ ايمانًا وهُوَ أحْسَنُ وُجُوهِهِ فانْ قلْتَ فما معْني قولِهِ وانْ كُنْتَ مِنْ قبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ فاعْلَمْ أنَّهُ ليْسَ بِمَعْني قوْلِهِ والَّذِينَ هُمْ عنْ آياتِنا غافِلُونَ بلْ حَكي أبوعبدِاللهِ الهَرَوِيُّ أنَّ معْناهُ لَمِنَ الغافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ اذ لم تَعْلَمْها الّا بِوَحْيِنا

وكذلك

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الذي يَرْوِيهِ عثمان بن أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ كَانَ يَشْهَدُ مَعَ المُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ فَسَمِعَ مَلَكَيْنِ خَلْفَهُ أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ حَتَّى تَقُومَ خَلْفَهُ فَقَالَ الآخَرُ كَيْفَ أَقُومُ خَلْفَهُ وَعَهْدُهُ بِاسْتِلَامِ الأَصْنَامِ فَلَمْ يَشْهَدْهُمْ بَعْدُ فَهَذَا حَدِيثٌ أَنْكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ جِدًّا وَقَالَ هُوَ مَوْضُوعٌ أَوْ شَبِيهٌ بِالمَوْضُوعِ وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ يُقَالُ انَّ عُثْمَانَ وَهِمَ فِي اسْنَادِهِ وَالحَدِيثُ بِالجُمْلَةِ مُنْكَرٌ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَى اسْنَادِهِ فَلَا يُلْتَفَتُ الَيْهِ وَالمَعْرُوفُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خِلَافُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ قَوْلِهِ بُغِّضَتْ الَيَّ الأَصْنَامُ وَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ الَّذِي رَوَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ حِينَ كَلَّمَهُ عَمُّهُ وَآلُهُ فِي حُضُورِ بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ وَعَزَمُوا عليه فِيهِ بَعْدَ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ فَخَرَجَ مَعَهُمْ وَرَجَعَ مَرْعُوبًا فَقَالَ كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْهَا مِنْ صَنَمٍ تَمَثَّلَ لِي شَخْصٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَصِيحُ بِي وَرَاءَكَ لَا تَمَسَّهُ فَمَا شَهِدَ بَعْدُ لَهُمْ عِيدًا وَقَوْلِهِ فِي قِصَّةِ بَحِيرَا حِينَ اسْتَحْلَفَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِاللَّاتِ وَالعُزَّى اذْ لَقِيَهُ بِالشَّامِ فِي سَفْرَتِهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ صَبِيٌّ وَرَأَى فِيهِ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فَاخْتَبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا تَسْأَلْنِي بِهِمَا فَوَاللهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا فَقَالَ لَهُ بَحِيرَا فَبِاللهِ الَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَالَكَ وَكَذَلِكَ المَعْرُوفُ مِنْ سِيرَتِهِ صلى الله عليه وسلم وَتَوْفِيقِ اللهِ لَهُ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ يُخَالِفُ المُشْرِكِينَ فِي وُقُوفِهِمْ بِمُزْدَلِفَةَ فِي الحَجِّ فَكَانَ يَقِفُ هُوَ بِعَرَفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ مَوْقِفَ ابْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فصل

قالَ القاضي أبو الفضلِ وفقهُ اللهُ قد بانَ بما قدَّمناهُ عقودُ الأنبياء في التَّوحيدِ والإيمانِ والوحيِ وعصمتُهم في ذلكَ علي مابيَّنَّاهُ فأمَّاماعدَا هذا البابَ مِنْ عقودِ قلوبِهِمْ فجماعُها أنَّها مملوءةٌ علماً ويقيناً على الجملةِ وأنَّها قد احتوَتْ مِنَ المعرفةِ والعِلْمِ بأُمورِ الدِّين والدُّنيا مالا شيْءَ فوقَهُ ومَنْ طالعَ الأخبارَ واعتنى بالحديثِ وتأمَّلَ ماقلناهُ وجدَهُ وقدْ قدَّمنا مِنهُ في حقِّ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم في البابِ الرَّابعِ أوَّلَ قسمٍ مِنْ هذا الكتابِ مايُنبِّهُ علي ماوراءهُ الاَّ أنَّ أحوالَهُمْ في هذهِ المعارفِ تختلفُ فأمَّا ماتعلَّقَ مِنها بأمرِ الدُّنيا فلا يُشترَطُ في حقِّ الأنبياءِ العِصمةُ مِنْ عدمِ معرفةِ الأنبياءِ ببعضِها أو اعتقادِها على خلافِ ماهيَ عليه ولا وَصْمَ عليهِمْ فيهِ اذْ هِمَمُهُمْ متعلِّقةٌ بالآخرةِ وأنبائِها وأمرِ الشَّريعةِ وقوانينِها وأُمورُ الدُّنيا تُضادُّها بخلافِ غيرِهم مِنْ أهلِ الدُّنيا الَّذينَ يَعلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنيا وَهُمْ عَنِ الآخرةِ هُمْ غافِلُونَ كماسنُبيِّنُ هذا في البابِ الثَّاني انْ شاءَ اللهُ ولكنَّهُ لا يُقالُ انَّهُمْ لايَعلمُونَ شيئاً مِنْ أمرِ الدُّنيا فانَّ ذلِكَ يُؤدِّي الى الغفلةِ والبَلَهِ وهُمُ المُنزَّهُونَ عنه بلْ قدْ أُرسِلُوا الي أهلِ الدُّنيا وقُلِّدُوا سياستَهُمْ وهدايتَهُمْ والنَّظرَ في مَصالِحِ دينِهِمْ وَدُنياهُمْ وهذا لا يكُونُ معَ عدمِ العلمِ بأُمورِ الدُّنيا بالكُلِّيَّةِ وأحوالُ الأنبياءِ وَسِيَرُهُمْ في هذا البابِ معلُومةٌ وَمعرِفتُهُمْ بذلِكَ كُلِّهِ مشهُورةٌ وَأمَّا انْ كانَ هذا العقْدُ مِمَّا يتعلَّقُ بالدِّينِ فلا يصحُّ مِنَ النَّبيِّ

صلى الله عليهِ وسلم الاّ العلمُ بهِ ولا يجوز عليهِ جهلُهُ جُملَةً لِأنَهُ لا يخلو أنْ يَكونَ حصَلَ عِندَهُ ذلِكَ عَنْ وَحيٍ مِنَ اللهِ فَهُوَ مالا يَصِحُّ الشَكُّ مِنهُ فيهِ على ما قدَّمناهُ فكيفَ الجهلُ بَلْ حصَلَ لهُ العِلمُ اليَقينُ أوْ يَكونَ فعَلَ ذلِكَ باجتِهادِهِ فيما لمْ ينزِلْ علَيهِ فيهِ شيْءٌ علي القولِ بتَجويز وُقوعِ الإجتِهادِ مِنهُ في ذلِكَ على قولِ المحقِّقينَ وعلي مُقتَضى حديثِ أُمِّ سلَمَةَ انّي انَّما أقضي بَينَكُمْ بِرَأيي فيمالمْ ينزَلْ علَيَّ فيهِ شيْءٌ خرّجَهُ الثِقاتُ وكقِصّةِ أسْرى بَدرٍ والإذنِ للمُتَخَلِّفينَ علي رأيِ بَعضِهِمْ فلا يَكونُ أيضاً ما يعتَقِدُهُ ممّا يثمِرُهُ اجتِهادُهُ الّا حقًّا وصَحيحاً هذا هوَ الحَقُّ الذي لا يُلْتَفَتُ الى خِلافِ مَنْ خالَفَ فيه ممَّنْ أجازَ عليهِ الخطَأَ في الإجتِهادِ لا على القولِ بتَصويبِ المجتَهِدينَ الذي هوَ الحقُّ والصّوابُ عندَنا ولا على قولِ الآخَرِ بأنّ الحَقَّ في طَرَفٍ واحِدٍ لِعِصمَةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من الخطَأِ في الإجتِهادِ في الشّرعيّاتِ ولِأنّ القَولَ في تَخطِئَةِ المجتَهِدينَ انّما هوَ بعدَ اسْتِقرارِ الشّرعِ ونَظَرُ النَّبيِّ صلى اللهُ علنهِ وسلم واجتِهادُهُ انّما هوَ فيما لم يُنزَلْ عليه فيه شيْءٌ ولمْ يُشرَعْ لهُ قبلُ هذا فيما عقَدَ عليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قلبَهُ فأمَّا مالمْ يعقِدْ عليهِ قلبَهُ مِنْ أمرِ النَّوازِلِ الشّرعيَّةِ فقدْ كانَ لا يعلَمُ منها أوّلاً الّا ما علَّمَهُ اللهُ شيئاً شيئاً حتّي اسْتقرَّ عِلمُ جُملَتِها عندَهُ إمّا بوَحيٍ منَ اللهِ أوْ إذنٍ أنْ يَشرَعَ في ذلكَ ويحكُمَ بما أراهُ اللهُ وقد كانَ ينتَظِرُ الوَحيَ في كثيرٍ منها ولكِنَّهُ لمْ يمُتْ حتّي اسْتَفرَغَ عِلمَ جَميعِها عندَهُ صلى الله عليه وسلم وتقرَّرَتْ معارِفُها لَدَيهِ على التّحقيقِ ورَفعِ الشَّكِّ والرّيْبِ وانتِفاءِ الجَهلِ وبالجُملَةِ فلا يَصِحُّ منهُ

الجَهلُ بشيء من تفاصيلِ الشَّرعِ الذي امِرَ بالدَّعوةِ اليه اذ لا تصِحُّ دعوتُهُ الي مالا يَعلَمهُ وأمَّا ما تعلَّقَ بعقدِهِ من مَلَكوتِ السَّمواتِ والأرضِ وخَلقِ اللهِ وتَعيينِ أسمائِه الحُسْني وآياتِه الكُبرَى وأمُورِ الآخرةِ وأشراطِ السَّاعةِ وأحوالِ السُّعَداء والأشقِياء وعِلمِ ما كانَ وما يَكونُ مِمَّا لم يَعلَمهُ الّا بوَحيٍ فعَلى ما تقدَّمَ من أنَّهُ معصُومٌ فيهِ لا يأخُذُهُ فيما أعلِمَ منهُ شَكٌّ ولا رَيبٌ بَلْ هوَ فيه على غايةِ اليَقِينِ لَكِنَّهُ لا يُشترَطُ لهُ العِلمُ بجَميعِ تفاصيلِ ذلكَ وانْ كانَ عِندَهُ منْ عِلمِ ذلكَ ما ليسَ عندَ جَميعِ البشرِ لقولِه صلى الله عليه وسلم إنِّي لا أعلَمُ الّا ما علَّمَني رَبِّي وبِقولِه ولا خطَرَ علي قَلبِ بَشَرٍ فلا تعلَمُ نفس ما أُخفِي لَهُمْ منْ قُرَّةِ أعيُنٍ وقولِ مُوسى لِلخَضِرِ هَلْ أتبِعُكَ على أنْ تعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشدًا وقولِه صلى الله عليه وسلم أسألُكَ بأسمائِكَ الحُسْني ما علِمتُ منها وما لم أعلَمْ وقولِه أسألُكَ بِكُلِّ اسمٍ هوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نفسَكَ،أو استأثرتَ به في عِلمِ الغَيبِ عندكَ وقدْ قالَ اللهُ تعالي وفَوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ قالَ زَيدُ بنُ أسلَمَ وغَيرُهُ حتّى ينتَهيَ العِلمُ الي اللهِ وهذا مالا خفاء بهِ اذ معلُوماتُهُ تعالى لا يُحاطُ بِها ولا منتَهى لها هذا حُكمُ عقدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في التَّوحيدِ والشَّرعِ والمَعارِف والامُورِ الدِّينيَّةِ

(فصل)

واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ مُجمِعَةٌ على عِصمَةِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مِنَ الشيطانِ وكِفايتِهِ منهُ لا في جِسمِهِ بأنواعِ الأذى ولا على خاطِرِهِ

بالوساوس

بالوَساوِسِ وقدْ أخبرَنا القاضي الحافِظُ أبو عَلِيٍّ رحمَهُ اللهُ قالَ حدثنا أبو الفَضْلِ
ابنُ خَيْرُونَ العَدْلُ حدثنا أبو بَكْرٍ البَرْقانِيُّ وغَيْرُهُ حدثنا أبو الحَسَنِ
الدَّارَقُطْنِيُّ حدثنا اسمٰعِيلُ الصَّفَّارُ حدثنا عَبَّاسٌ التَّرْقُفِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ
يُوسُفَ حدثنا سُفْيانُ عنْ مَنْصُورٍ عنْ سالِمِ بنِ أبي الجَعْدِ عنْ مَسْرُوقٍ
عنْ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قال قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما مِنْكُمْ
منْ أحَدٍ الّا وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ وقَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ قالوا وَإِيَّاكَ
يارسول اللهِ قالَ وَإِيَّايَ ولٰكِنَّ اللهَ تعالى أعانَنِي عليهِ فأَسْلَمَ * زادَ
غَيْرُهُ عنْ مَنْصُورٍ فَلا يأْمُرُني الّا بخَيْرٍ * وعنْ عائِشَةَ بمَعْناهُ رُوِيَ فأَسْلَمُ
بِضَمِّ المِيمِ أيْ فأَسْلَمُ أنا منهُ وصَحَّحَ بَعْضُهُمْ هٰذِهِ الرِّوايَةَ ورَجَّحَها ورُوِيَ
فأَسْلَمَ يَعْنِي القَرِينَ أنَّهُ انتَقَلَ عنْ حالِ كُفْرِهِ الي الإسْلامِ فصارَ
لا يأْمُرُ الّا بخَيْرٍ كالمَلَكِ وهوَ ظاهِرُ الحَديثِ ورَوَاهُ بَعْضُهُمْ فاسْتَسْلَمَ
قالَ القاضى أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ فاذا كانَ هٰذا حُكْمَ شَيْطانِه وقَرِينِهِ
المُسَلَّطِ على بَنِي آدَمَ فَكَيْفَ بِمَنْ بَعُدَ منهُ ولمْ يَلْزَمْ صُحْبَتَهُ ولا أُقْدِرَ
علي الدُّنُوِّ منهُ وقد جاءتِ الآثارُ بتَصَدِّي الشَّياطِينِ لهُ في غَيْرِ مَوْطِنٍ
رَغْبَةً في إطْفاءِ نُورِهِ وإماتَةِ نَفْسِهِ وَإِدْخالِ شُغْلٍ عليه اذْ يَئِسُوا مِنْ
إغْوائِهِ فانقَلَبُوا خاسِرِينَ كَتَعَرُّضِهِ لهُ في صَلاتِه فأَخَذَهُ النَّبِيُّ صلى الله
عليه وسلم وأَسَرَهُ * فَفِي الصِّحاحِ قالَ أبو هُرَيْرَةَ عنهُ صلى الله عليه وسلم
إنَّ الشَّيْطانَ عَرَضَ لِي قالَ عبدُ الرَّزّاقِ في صُورَةِ هِرٍّ فَشَدَّ عَلَيَّ يَقْطَعُ عَلَيَّ
الصَّلاةَ فأَمْكَنَنِي اللهُ منهُ فَذَعَتُّهُ ولَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أُوثِقَهُ الي سارِيَةٍ حَتَّي
تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ اليهِ فذَكَرْتُ قَوْلَ أخِي سُلَيْمانَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وهَبْ لِي

مُلْكاً الآيَة فَرَدَّهُ اللهُ خاسِئاً * وفي حديثِ أبي الدَّرْداء عنهُ صلى الله عليه وسلم إنّ عَدُوَّ اللهِ إبْليسَ جاءَنِي بِشِهابٍ مِنْ نارٍ لِيَجْعَلَهُ في وَجْهِي والنبيُّ صلى الله عليه وسلم في الصَّلاةِ وذَكَرَ تَعوُّذَهُ باللهِ منهُ ولَعْنَهُ لهُ ثمَّ أرَدْتُ آخُذُهُ وذَكَرَ نَحْوَهُ وقالَ لأَصْبَحَ مُوثَقاً يَتَلاعَبُ به وِلْدانُ أهْلِ المَدينَةِ وكَذلكَ في حديثِهِ في الإسْراءِ وَطَلَبِ عِفْريت لهُ بِشُعْلَةِ نارٍ فَعَلَّمَهُ جِبْرِيلُ ما يَتَعوَّذُ به منهُ ذَكَرَهُ في المُوَطَّأ ولَمّا لمْ يَقْدِرْ على أذاهُ بِمُباشَرَتِهِ تَسَبَّبَ بالتَّوَسُّطِ الى عِداهُ كَقَضِيَّتِهِ مَعَ قُرَيْشٍ في الائْتِمارِ بِقَتْلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتَصَوُّرِهِ في صُورَةِ الشَّيْخِ النَّجْدِيِّ وَمَرَّةً اخْرَى في غَزْوَةِ يَوْمِ بَدْرٍ في صُورَةِ سُراقَةَ بْنِ مالكٍ وَهُوَ قَوْلُهُ واذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ الآيَةَ وَمَرَّةً يُنْذِرُ بِشأْنِهِ عِنْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ وَكُلُّ هذا فَقَدْ كَفاهُ اللهُ أمْرَهُ وَعَصَمَهُ ضُرَّهُ وَشَرَّهُ وَقَدْ قالَ صلي اللهُ عليهِ وسلم انّ عيسى عليه السّلامُ كُفِيَ مِنْ لَمْسِهِ فَجاءَ لِيَطْعَنَ بِيَدِهِ في خاصِرَتِهِ حِينَ وُلِدَ فَطَعَنَ في الحِجابِ وقالَ صلى الله عليه وسلم حِينَ لُدَّ في مَرَضِهِ وَقيلَ لَهُ خَشِينا أنْ يَكُونَ بِكَ ذاتُ الجَنْبِ فقالَ انّها مِنَ الشَّيْطانِ وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ فإنْ قيلَ فَما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى وامّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللهِ الآيَةَ فَقَدْ قالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ انّها راجِعَةٌ الي قَوْلِهِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ ثُمَّ قالَ وامّا يَنْزَغَنَّكَ أيْ يَسْتَخِفَّنَّكَ غَضَبٌ يَحْمِلُكَ على تَرْكِ الإعْراضِ عَنْهُمْ فاسْتَعِذْ باللهِ وَقيلَ النَّزْغُ هُنا الفَسادُ كَما قالَ مِنْ بَعْدِ أنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ اخْوَتِي وَقيلَ يَنْزَغَنَّكَ يُغْرِيَنَّكَ وَيُحَرِّكَنَّكَ والنَّزْغُ أدْنى الوَسْوَسَةِ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعالي أنَّهُ مَتي تَحَرَّكَ عَلَيْهِ غَضَبٌ على عَدُوِّهِ أوْ رامَ

الشَّيْطانُ مِنْ اغرائِهِ بِهِ وخواطِرَ أدْنَى وساوِسِهِ مالَمْ يُجْعَلْ لهُ سَبِيلٌ اليهِ أنْ يَسْتَعِيذَ مِنْهُ فَيُخْفى أمْرُهُ ويَكُونُ سَبَبَ تمامِ عِصْمَتِهِ اذْ لَمْ يُسَلَّطْ عليهِ باكْثرَ منَ التَّعَرُّضِ لهُ ولمْ يُجْعَلْ لهُ قُدْرَةٌ عليهِ وقدْ قِيلَ في هذهِ الآيَةِ غيرُ هذا وكذلكَ لايَصِحُّ أنْ يَتصَوَّرَ لهُ الشَّيطانُ في صُورةِ المَلَكِ ويُلَبِّسَ عليهِ لا في أوَّلِ الرِّسالةِ ولا بَعْدَها والاعتِمادُ في ذلِكَ دليلُ المُعجزةِ بلْ لا يَشُكُّ النَّبيُّ أنَّ ما يأتيهِ مِنَ اللهِ المَلَكُ ورسُولُهُ حقيقَةً امَّا بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَخلُقُهُ اللهُ لهُ أوْ بِبُرْهانٍ يُظْهِرُهُ لَدَيْهِ لِتَتِمَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لامُبَدِّلَ لِكَلماتِهِ فانْ قيلَ فما معْنَي قوْلِهِ تَعالي وما أرْسلْنا مِنْ قبلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نَبِيٍّ الاَّ اذا تَمَنَّى ألْقي الشَّيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ الآيَةَ فاعْلَمْ أنَّ لِلنَّاس في معْني هذهِ الآيَةِ أقاوِيلَ منْها السَّهْلُ والوَعْثُ والسَّمِينُ والغَثُّ وأوْلي مايُقالُ فيها ماعليهِ الجُمْهُورُ مِنَ المُفَسِّرِينَ أنَّ التَّمَنّي ههُنا التِّلاوَةُ والقاءُ الشَّيْطانِ فِيها اشغالُهُ بِخَواطِرَ وأذْكارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنيا لِلتَّالى حَتّي يُدْخِلَ عليهِ الوَهْمَ والنِّسْيانَ فيما تلاهُ أوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذلِكَ على أفْهامِ السَّامِعِينَ منَ التَّحْرِيفِ وسُوءِ التَّأْوِيلِ مايُزِيلُهُ اللهُ ويَنْسَخُهُ ويَكْشِفُ لَبْسَهُ ويُحْكِمُ آياتِهِ وسَيأتِي الكَلامُ علي هذهِ الآيَةِ بَعْدُ بأشْبَعَ مِنْ هذا انْ شاءَ اللهُ وقدْ حَكي السَّمَرْقَنْدِيُّ انْكارَ قوْلِ منْ قالَ بِتَسَلُّطِ الشَّيْطانِ على مُلْكِ سُلَيْمان وغلبَتِهِ عليهِ وأنَّ مِثْلَ هذا لايَصِحُّ وقدْ ذكَرْنا قِصَّةَ سُلَيْمانَ مُبَيَّنَةً بَعْدَ هذا ومَنْ قالَ انَّ الجسَدَ هُوَ الوَلدُ الّذِى وُلِدَ لهُ وقالَ أبو محمَّدٍ مَكِّيٌّ في قِصَّةِ أيُّوبَ وقَوْلِهِ انّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وعذابٍ إنَّهُ لايَجُوزُ لأحَدٍ أنْ يَتأوَّلَ

انّ الشَّيْطانَ هُوَ الّذِي أمرَضَهُ وألقي الضُّرَّ في بَدَنِهِ ولا يَكُونُ ذٰلِكَ الاَّ بِفِعْلِ اللهِ وأمرِهِ لِيَبْتَلِيَهُمْ ويُثِيبَهُمْ قالَ مَكّيٌّ وقيلَ انّ الّذِي أصابَهُ الشَّيْطانَ ماوسْوَسَ بِهِ الي أهْلِهِ فانْ قُلْتَ فما معْنى قوْلِهِ تعالي عَنْ يُوشَعَ وما أنسانيهُ الاّ الشَّيْطانُ وقوْلِهِ عنْ يوسُفَ فأنساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ وقوْلِ نَبِيِّنا صلى اللهُ عليه وسلم حِينَ نامَ عنِ الصَّلاةِ يَوْمَ الوَادِي إنَّ هٰذَا وَادٍ بِهِ شَيْطانٌ وقَوْلِ مُوسٰى عليهِ السَّلامُ في وَكْزَتِهِ هٰذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فاعْلَمْ أنّ هٰذا الكَلامَ قدْ يَرِدُ في جميعِ هٰذا على مَوْرِدِ مُسْتَمِرِّ كلامِ العَرَبِ في وصْفِهِمْ كُلَّ قبيحٍ منْ شخْصٍ أوْ فعْلٍ بالشَّيْطانِ أوْ فعْلِهِ كما قالَ تعالى طلْعُها كأنّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ وقالَ صلى اللهُ عليه وسلم فَلْيُقاتِلْهُ فإنَّما هُوَ شَيْطانٌ وأيْضاً فانّ قَوْلَ يُوشَعَ لا يلْزَمُنا الجَوابُ عنْهُ اذْ لمْ يَثْبُتْ لَهُ في ذلكَ الوَقْتِ نُبُوَّةٌ مَعَ مُوسٰى قالَ اللهُ تعالى واذْ قالَ مُوسٰى لِفَتاهُ والمَرْوِيُّ أنّهُ انّما نُبِّئَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسٰي وقِيلَ قُبَيْلَ مَوْتِهِ وقولُ مُوسٰى كانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ بِدَلِيلِ القُرْآنِ وقِصّةُ يُوسُفَ قدْ ذُكِرَ أنّها كانَتْ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ وقدْ قالَ المُفَسِّرُونَ في قَوْلِهِ أنْساهُ الشَّيْطانُ قَوْلَيْنِ أحدُهُما أنّ الّذى أنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ أحدُ صاحِبَيِ السِّجْنِ ورَبُّهُ المَلِكُ أيْ أنْساهُ أنْ يَذْكُرَ لِلْمَلِكِ شأْنَ يُوسُفَ عليه السَّلامُ وأيْضاً فإنّ مِثْلَ هٰذا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطانِ لَيْسَ فيهِ تَسَلُّطٌ على يُوسُفَ ويُوشَعَ بِوَساوِسَ ونَزْغٍ وانّما هُوَ بِشُغْلِ خَواطِرِهِما بأُمُورٍ أُخَرَ وتَذْكِيرِهِما مِنْ أُمُورِهِما ما يُنْسِيهِما ما نَسِيا وأمَّا قَوْلُهُ صلى اللهُ عليه وسلم انَّ هٰذا وَادٍ بِهِ شَيْطانٌ فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ تَسَلُّطِهِ عليهِ ولا وَسْوَسَتِهِ لَهُ بَلْ انْ كانَ بِمُقْتَضي ظاهِرِهِ فَقَدْ بَيَّنَ

أمرَ ذلكَ الشَّيطانِ بقولِه انّ الشَّيطانَ أتى بلالاً فلَم يزَلْ يُهدِّئُهُ كما يُهدَّأُ الصَّبي حتَّى نامَ فأعلَمَ أنّ تسلُّطَ الشَّيطانِ في ذلكَ الوادي انّما كانَ على بلالٍ الموكّلِ بكِلاءةِ الفجرِ هذا انْ جعَلْنا قولَهُ انّ هذا وادٍ بهِ شيطانٌ تنبيهاً على سبَبِ النّومِ عنِ الصَّلاةِ وأمّا انْ جعلْناهُ تنبيهاً على سبَبِ الرَّحيلِ عنِ الوادي وعِلّةً لترْكِ الصَّلاةِ بهِ وهُوَ دليلُ مَساقِ حديثِ زيدِ ابنِ أسلَمَ فلا اعتِراضَ بهِ في هذا البابِ لبيانِهِ وارْتفاعِ اشكالِهِ

(فصل)

وأمّا أقوالُهُ صلى اللهُ عليه وسلم فقدْ قامَتِ الدَّلائلُ الواضِحةُ بصِحّةِ المُعجزَةِ على صِدْقِهِ وأجمعَتِ الأُمّةُ فيما كانَ طريقُهُ البلاغَ أنّهُ معصُومٌ فيهِ منَ الإخبارِ عنْ شيْءٍ منها بخِلافِ ماهُوَ به لاقصْداً ولا عمْداً ولا سهْواً ولا غلَطاً امّا تعَمُّدُ الخُلْفِ في ذلكَ فمُنْتفٍ بدليلِ المُعجزَةِ القائِمةِ مقامَ قوْلِ اللهِ صدقَ فيما قالَ اتّفاقاً وباطْباقِ أهلِ المِلّةِ اجماعاً وأمّا وُقوعُهُ على جِهةِ الغلَطِ في ذلكَ فبِهذِهِ السَّبيلِ عنْدَ الأُستاذِ أبي اسْحاقَ الإسفَرائِني ومنْ قالَ بقوْلِهِ ومنْ جهةِ الاجماعِ فقطْ ووُرُودِ الشَّرعِ بانْتِفاءِ ذلكَ وعِصْمَةِ النَّبيِّ لامنْ مُقْتَضى المُعجزَةِ نفْسِها عنْدَ القاضي أبي بَكْرٍ الباقِلاّنيِّ ومنْ وافقَهُ لاخْتِلافٍ بيْنَهُمْ في مُقْتَضي دليلِ المُعجزَةِ لا نُطَوِّلُ بذِكْرِهِ فنَخْرُجُ عنْ غرَضِ الكِتابِ فلْنَعْتَمِدْ على ماوقَعَ عليه اجماعُ المُسلِمينَ أنّهُ لايجُوزُ عليْهِ خُلْفٌ في القوْلِ في ابلاغِ الشَّريعَةِ والإعلامِ بِما أخْبرَ بهِ عنْ ربِّهِ وما أوْحاهُ اليْهِ منْ وحْيِهِ لاعلي وجْهِ

العَمْدِ ولا على غيرِ عمْدٍ ولا في حالَيَ الرِّضَى والسُّخطِ والصحةِ والمرَضِ
وفي حديثِ عبدِاللهِ بنِ عَمْرٍو قلتُ يارسولَ اللهِ ءأَكْتُبُ كلَّ ماأسمعُ
مِنكَ قالَ نعَمْ قلتُ في الرِّضَى والغضَبِ قالَ نعَمْ فانّى لا أقولُ في ذلِكَ
كُلِّهِ الاّ حقًّا ولنَزِدْ ماأشرْنا اليهِ منْ دليل المُعجِزَةِ عليهِ بياناً فنقُولُ اذا
قامتِ المعْجزَةُ على صدقِهِ وأنّهُ لايقُولُ الاّ حقًّا ولا يُبَلّغُ عنِ اللهِ الاّ صدقاً
وأنّ المُعْجِزَةَ قائِمةٌ مقامَ قوْلِ اللهِ لهُ صدَقْتَ فيما تذْكُرُهُ عنّي وهُوَ يقُولُ
انّي رسولُ اللهِ اليْكُمْ لِأُبلّغكُمْ ماأُرْسلْتُ بهِ اليكُمْ وأُبَيّنَ لكُمْ
مانُزّلَ عليْكُمْ وما ينْطِقُ عنِ الهوَى انْ هوَ الاّ وحْيٌ يوحى وقدْ جاءكُمُ
الرّسُولُ بالحقّ مِنْ ربّكُمْ وماآتاكُمُ الرّسُولُ فخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنهُ
فانْتهُوا فلا يَصِحُّ أنْ يُوجَدَ مِنْهُ في هذا البابِ خَبَرٌ بخِلافِ مُخْبَرِهِ على أيّ
وجْهٍ كانَ فلوْ جوّزْنا عليهِ الغلَط والسّهْوَ لَما تميّزَ لنا مِنْ غيرِهِ
ولَاخْتلَطَ الحقُّ بالباطِلِ فالمُعجِزَةُ مُشْتَمِلَةٌ على تصديقِهِ جُمْلَةً واحِدَةً مِنْ غيرِ
خُصُوصٍ فتنْزِيهُ النبيّ صلى الله عليه وسلم عنْ ذلكَ كُلّهِ واجبٌ
بُرْهاناً واجْماعاً كما قالهُ أبو اسحاق

(فصل)

وَقَدْ تَوَجّهَتْ هُنا لِبَعْضِ الطّاعِنِينَ سُؤَالاتٌ مِنها ما رُوِيَ مِنْ أنّ النّبيّ
صلى اللهُ علَيْهِ وسلم لَمّا قرَأَ سُورَةَ والنّجْمِ وقالَ أفرَأيْتُمُ اللّاتَ والعُزّى ومَناةَ
الثّالِثَةَ الأُخرَى قالَ تِلكَ الغَرانِيقُ العُلَى وانّ شفاعتَها لَترْتَجى ويُرْوَى
تُرْتَضى وفي رِوايَةٍ انّ شفاعَتَها لَترْتَجي وانّها لَمَعَ الغرانِيقِ العُلَى

وفي أُخرى والغرانِقةُ العُلَى تِلكَ الشَّفاعةُ تُرتَجي فلمّا ختمَ السُّورةَ سَجدَ وسَجدَ معَهُ المُسلِمُونَ والكُفَّارُ لمّا سَمِعُوه أثنى علي آلِهَتِهِمْ وما وقعَ في بَعضِ الرِّواياتِ أنّ الشَّيطانَ ألقاها على لِسانِهِ وأنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يتَمَنّى أن لوْ نَزَلَ عليه شيءٌ يُقارِبُ بَينَهُ وبَينَ قَومِه * وفي روايةٍ أُخرى أن لا يَنزِلَ عليه شيءٌ يُنفِّرُهُمْ عنهُ وذَكَرَ هٰذِهِ القِصَّةَ وأنّ جِبرِيلَ عليه السلامُ جاءهُ فَعَرَضَ عليه السُّورةَ فلمّا بَلغَ الكَلِمَتَينِ قالَ لهُ ما جِئتُكَ بِهاتَينِ فَحزِنَ لذٰلِكَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فأنزَلَ اللهُ تعالي تَسلِيَةً لهُ وما أرسَلنا مِن قَبلِكَ من رَسُولٍ ولا نَبيّ الآيَةَ وقولَهُ وان كادُوا لَيفتِنُونَكَ الآيَةَ فاعلَمْ أكرَمَكَ اللهُ أنّ لنا في الكلامِ على مُشكِلِ هٰذا الحَديثِ مأخَذَينِ أحدُهُما في تَوهِينِ أصلِهِ والثّاني على تَسليمِهِ أمّا المأخذُ الأوّلُ فَيكفِيكَ أنّ هٰذا حديثٌ لم يُخَرِّجهُ أحَدٌ مِن أهلِ الصِّحَّةِ ولا رَواهُ ثِقةٌ بِسَنَدٍ سَليمٍ مُتَّصِلٍ وانّما أُولِعَ به وبِمِثلِهِ المُفَسِّرُونَ والمُؤَرِّخُونَ المُولَعُونَ بِكُلِّ غَريبٍ المُتَلَقِّفُونَ منَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحيحٍ وسَقيمٍ وصَدَقَ القاضي بَكرُ بنُ العَلاءِ المالِكيُّ حيثُ قالَ لقدْ بُلِيَ النّاسُ بِبَعضِ أهلِ الأهواءِ والتَّفسيرِ وتَعَلَّقَ بذلِكَ المُلحِدُونَ مَعَ ضَعفِ نَقَلَتِه واضطِرابِ رِواياتِه وانقِطاعِ إسنادِه واختِلافِ كَلِماتِه فَقائِلٌ يَقُولُ إنّهُ في الصَّلاةِ وآخَرُ يقولُ قالَها في نادِي قَومِهِ حِينَ أُنزِلَتْ عليه السُّورَةُ وآخَرُ يقولُ قالَها وقدْ أصابَتْهُ سِنَةٌ وآخَرُ يقولُ بَلْ حَدَّثَتْ نَفسَهُ فَسَها وآخَرُ يقولُ إنّ الشَّيطانَ قالَها على لِسانِه وأنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لَمّا عرَضَها على جِبرِيلَ قالَ ما هٰكذا أقرَأتُكَ

وآخرُ يقولُ بلْ أعلَمهمُ الشّيطانُ أنّ النّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم قرأها فلمّا بلَغَ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم ذلك قالَ واللهِ ما هكَذا نزَلَتْ الي غيرِ ذلك منَ اختِلافِ الرُّواةِ ومَن حُكيتْ هذِهِ الحِكايَةُ عنهُ منَ المُفسّرينَ والتّابعِينَ لم يُسْنِدْها أحدٌ منهُمْ ولا رفَعَها الى صاحِبٍ وأكثَرُ الطُّرُق عنهُمْ فيها ضَعيفةٌ واهِيةٌ والمَرْفوعُ فيهِ حديثُ شُعْبَةَ عنْ أبي بِشْرٍ عنْ سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ عن ابنِ عبّاسٍ قالَ فيما أحسِبُ الشّكُّ في الحديثِ أنّ النّبيَّ صلي الله عليه وسلم كانَ بِمَكّةَ وذكَرَ القِصّةَ قالَ أبو بَكرٍ البزّارُ هذا الحديثُ لا نعلَمُهُ يُرْوَى عنِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم بإسْنادٍ متّصِلٍ يجوزُ ذِكْرُهُ الّا هذا ولمْ يُسْنِدْهُ عنْ شُعْبَةَ الّا أُميّةُ بنُ خالِدٍ وغَيرُهُ يُرْسِلُهُ عنْ سَعيدِ بن جُبَيرٍ وانّما يُعْرَفُ عنِ الكَلْبيّ عنْ أبي صالحٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ فقدْ بيَّنَ لكَ أبو بكرٍ رحمَهُ اللهُ أنّهُ لا يُعْرَفُ منْ طَريقٍ يجوزُ ذِكرُهُ سوَى هذا وفيه منَ الضّعفِ ما نبّهَ عليه معَ وُقوعِ الشّكِّ فيه كما ذكَرْناهُ الذي لا يُوثَقُ به ولا حَقيقةَ معَهُ وأمّا حديثُ الكلْبيّ فمِمّا لا تجوزُ الرّوايةُ عنهُ ولا ذِكْرُهُ لقُوّةِ ضَعفِهِ وكذِبه كما أشارَ اليه البزّارُ رحمهُ اللهُ والذي منهُ في الصّحيحِ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ والنّجمِ وهوَ بمَكّةَ فسَجَدَ معَهُ المُسْلِمونَ والمُشرِكونَ والجِنُّ والإنسُ هذا توْهينُهُ منْ طَريقِ النّقْل فأمّا منْ جِهَةِ المَعْنى فقد قامَتِ الحُجّةُ وأجْمعَتِ الأُمّةُ على عِصمَتِهِ صلى الله عليه وسلم ونَزاهتِهِ عنْ مِثْلِ هذه الرّذيلَةِ إمّا مِنْ تمَنّيهِ أنْ يُنزَلَ عليه مِثلُ هذا منْ مَدحِ آلِهَةِ غيرِ اللهِ وهوَ كُفرٌ أوْ أنْ يتَسوّرَ عليهِ الشّيطانُ ويُشَبّهَ عليه القُرْآنَ حتّى يجْعَلَ فيهِ ماليسَ

منهُ ويَعتقِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ مِنَ القُرآنِ ماليسَ منهُ حتّي يُنَبِّهَهُ جبريلُ عليه السّلامُ وذلكَ كلُّهُ ممتنِعٌ في حقِّهِ صلى الله عليه وسلم أوْ يقولَ ذلكَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ قِبَلِ نفْسِهِ عمْدًا وذلِكَ كُفرٌ أوْ سهوًا وهوَ معصومٌ منْ هذا كلِّهِ وقد قرَّرْنا بالبَراهِينِ والإجْماعِ عِصمتَهُ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ جرَيانِ الكُفرِ على قلْبِه أوْ لِسانِه لا عمْدًا ولا سهوًا أوْ أنْ يتشبَّهَ عليه ما يُلقيهِ الملَكُ ممّا يُلْقِي الشّيطانُ أوْ يكونَ لِلشّيطانِ عليه سبيلٌ أوْ أنْ يتقوَّلَ علي اللهِ لا عمْدًا ولا سهوًا مالم يُنزَلْ عليه وقد قالَ اللهُ تعالي ولوْ تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ الآيةَ وقالَ تعالي اذًا لأذقْناكَ ضِعفَ الحَياةِ وضِعفَ المَماتِ الآيةَ ووَجهٌ ثانٍ وهوَ استِحالةُ هذِهِ القِصّةِ نظرًا وعُرْفًا وذلكَ أنّ هذا الكلامَ لوْ كانَ كما رُوِيَ لَكانَ بَعيدَ الالتِئامِ متناقِضَ الأقسامِ مُمتزِجَ المَدحِ بالذّمِّ متخاذِلَ التّأليفِ والنّظمِ ولَما كانَ النبيُّ صلي اللهُ عليهِ وسلم ولا مَنْ بحَضرَته منَ المُسلِمينَ وصَناديدِ المُشرِكينَ ممّنْ يَخْفي عليه ذلكَ وهذا لا يَخْفي على أدْنى متأمِّلٍ فكيفَ بمَنْ رَجَحَ حِلمُه واتّسعَ في بابِ البَيانِ ومعْرفةِ فَصيحِ الكلامِ عِلمُهُ ووَجهٌ ثالثٌ أنّهُ قدْ عُلِمَ مِنْ عادةِ المُنافِقينَ ومُعانِدي المُشركينَ وضَعَفةِ القُلوبِ والجَهَلةِ منَ المُسلِمينَ نُفورُهُمْ لأوّلِ وَهْلَةٍ وتَخليطُ العَدُوِّ على النّبيِّ صلى الله عليه وسلم لِأقلِّ فِتنَةٍ وتَعييرُهُمُ المُسلِمينَ والشّماتةَ بِهِمُ الفَيْنَةَ بعدَ الفَيْنةِ وارْتِدادُ مَنْ في قَلْبِه مَرَضٌ ممّنْ أظهرَ الإسْلامَ لِأدْنى شُبهَةٍ ولمْ يَحكِ أحدٌ في هذِه القِصّةِ شيئًا سوَى هذِه الرِّوايةِ الضّعيفةِ الأصْلِ ولوْ كانَ ذلكَ لوَجدَتْ قُرَيشٌ بها علي المُسلِمينَ الصّولةَ

وَلَأَقامَتْ بِها اليَهُودُ عليهمُ الحجَّةَ كما فعلُوا مُكابرَةً في قِصَّةِ الإِسْراءِ حتّي كانَتْ في ذلكَ لِبَعْضِ الضعفاء رِدَّةٌ وكذلكَ ما رُوِيَ في قِصَّةِ القَضِيَّةِ ولا فِتْنَةَ أعظَمُ منْ هذهِ البَلِيَّةِ لوْ وُجِدَتْ ولا تَشْغِيبَ لِلمُعادِي حِينَئِذٍ أشَدُّ مِنْ هذهِ الحادِثَةِ لوْ أمكَنَتْ فما رُوِيَ عنْ مُعانِدٍ فيها كَلِمَةٌ ولا عَنْ مُسْلِمٍ بِسَبَبِها بِنْتُ شَفَةٍ فَدَلَّ على بُطْلِها واجْتِثاثِ أصلِها ولا شَكَّ في إِدْخالِ بَعْضِ شَياطِينِ الإِنْسِ أوِ الجِنِّ هٰذا الحَدِيثَ على بَعْضِ مُغفَّلِي المُحَدِّثِينَ لِيُلَبِّسَ به على ضُعَفاءِ المُسْلِمِينَ ووَجْهٌ رابِعٌ ذَكَرَ الرُّواةُ لِهذهِ القَضِيَّةِ أنَّ فيها نَزَلَتْ وانْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ الآيَتَيْنِ وهاتانِ الآيَتانِ تَرُدّانِ الخَبَرَ الذي رَوَوْهُ لِأَنَّ اللهَ تعالي ذَكَرَ أنَّهُمْ كادُوا يَفْتِنُونَهُ حتّي يَفْتَرِيَ وأنَّهُ لوْلا أنْ ثَبَّتَهُ لَكادَ يَرْكَنُ اليهمْ فَمَضْمُونُ هذا ومَفهومُهُ أنَّ اللهَ تعالي عَصَمَهُ مِنْ أنْ يَفْتَرِيَ وثَبَّتَهُ حتّي لَمْ يَرْكَنْ اليهمْ قَليلاً فَكَيْفَ كَثِيرًا وهُمْ يَرْوُونَ في أخبارِهِمُ الواهِيَةِ أنَّهُ زادَ على الرُّكونِ والافتِراءِ بِمَدْحِ آلِهَتِهِمْ وأنَّهُ قالَ صلى اللهُ عليه وسلم افتَرَيْتُ على اللهِ وقُلْتُ ما لَمْ يَقُلْ وهذا ضِدُّ مفهُومِ الآيَةِ وَهِيَ تُضَعِّفُ الحديثَ لوْ صَحَّ فَكَيْفَ ولا صِحَّةَ لهُ وهذا مِثْلُ قوْلِه تعالي في الآيَةِ الأُخرى ولوْلا فَضْلُ اللهِ عليكَ ورَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ منهُمْ أنْ يُضِلُّوكَ وما يُضِلُّونَ إلّا أنْفُسَهُمْ وما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وقد رُوِيَ عَنِ ابنِ عبّاسٍ كلُّ ما في القُرآنِ كادَ فهُوَ ما لا يَكونُ قالَ اللهُ تعالى يَكادُ سَنا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأبصار ولمْ يَذْهَبْ وأكادُ أُخفِيها ولمْ يفعَلْ قالَ القُشَيْرِيُّ القاضي ولقدْ طالَبَهُ قُرَيْشٌ وثَقِيفٌ اذْ مَرَّ بآلِهَتِهِمْ أنْ يُقبِلَ بوَجْهِهِ اليها ووَعَدُوهُ الإِيمانَ بِهِ انْ فعَلَ فما فعَلَ ولا كانَ لِيفعَلَ قالَ

ابنُ الأنبارِيِّ ما قارَبَ الرَّسُولُ ولا رَكَنَ وقدْ ذُكِرَتْ في معَني هٰذهِ الآيةِ تفاسِيرُ أُخَرُ ماذَكَرْناهُ مِنْ نَصِّ اللهِ على عِصمَةِ رسُولِهِ تَرُدُّ سِفْسافَها فلمْ يَبْقَ في الآيةِ الاّ أنّ اللهَ تعالى امْتَنَّ على رسُولِهِ بِعِصْمَتِهِ وتَثْبيتِهِ بِما كادَهُ بِهِ الكُفّارُ وراموُا منْ فِتْنَتِهِ ومُرادُنا مِنْ ذلِكَ تنزِيهُهُ وعِصْمَتُهُ صلى الله عليه وسلم وهُوَ مفهُومُ الآيةِ وأمّا المَأخَذُ الثَّاني فهُوَ مَبْنِيٌّ على تَسليمِ الحديثِ لوْ صَحَّ وقدْ أعاذنا اللهُ مِنْ صحتِهِ ولٰكِنْ على كُلِّ حالٍ فقدْ أجابَ عنْ ذلِكَ أئِمةُ المُسلِمِينَ بأجوِبَةٍ مِنها الغَثُّ والسَّمِينُ فمِنْها مارَوٰى قتادةُ ومُقاتِلٌ انّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أصابَتْهُ سِنةٌ عِنْدَ قِراءتِهِ هٰذهِ السُّورَةَ فجرٰى هٰذا الكَلامُ علي لِسانِهِ بحُكمِ النَّوْمِ وهٰذا لايَصِحُّ اذْ لايَجُوزُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلُهُ في حالةٍ مِنْ أحوالِهِ ولا يَخْلُقُهُ اللهُ على لسانِهِ ولا يَستَوْلِي الشَّيْطانُ عليْهِ في نوْمٍ ولا يَقَظَةٍ لِعِصْمَتِهِ في هٰذا البابِ مِنْ جَمِيعِ العَمْدِ والسَّهْوِ وفي قوْلِ الكَلْبِيِّ انّ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم حدَّثَ نفْسَهُ فقالَ ذلِكَ الشَّيْطانُ على لِسانِهِ وفي رِوايةِ ابنِ شِهابٍ عنْ أبي بَكْرِ بن عبدِالرَّحمٰنِ قالَ وسَها فلمّا أُخْبِرَ بِذلِكَ قالَ انّما ذلِكَ مِنَ الشَّيطانِ وكُلُّ هٰذا لايَصِحُّ أنْ يقُولَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لاسهْوًا ولا قصدًا ولا يتقوَّلَهُ الشَّيْطانُ على لِسانِهِ وَقيلَ لَعلَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالهُ أثْناءَ تِلاوَتِهِ على تَقْديرِ التَّقْريرِ والتَّوبِيخِ لِلْكُفّارِ كقولِ ابرَاهِيمَ عليهِ السلامُ هٰذا رَبِّي على أحَدِ التَّأوِيلاتِ وَكقوْلِهِ بَلْ فَعَلهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا بعْدَ السَّكْتِ وَبَيانِ الفَصْلِ بَيْنَ الكَلامَيْنِ ثُمَّ رَجَعَ الي تِلاوَتِهِ وَهٰذا

مُمكنٌ مَعَ بَيانِ الفَصْلِ وقَرِينَةٍ تَدُلُّ علي المُرَادِ وأنّهُ لَيسَ مِنَ المَتلُوِّ وهُوَ أحدُ ما ذَكَرَهُ القاضِي أبو بَكرٍ ولا يُعترَضُ على هذا بِمَا رُوِيَ أنّهُ كانَ في الصَّلاةِ فقدْ كانَ الكَلامُ قَبلُ فِيها غَيرَ مَمنُوعٍ والَّذِي يَظهرُ ويَترَجَّحُ في تأوِيلِهِ عِندَهُ وعِندَ غَيرِهِ مِنَ المُحقّقِينَ علي تَسلِيمِهِ أنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ كما أمرَهُ رَبُّهُ يُرَتِّلُ القرْآنَ تَرْتِيلاً ويُفَصِّلُ الآيَ تَفصِيلاً في قِرَاءتِهِ كما رَوَاهُ الثِّقاتُ عَنهُ فَيُمكِنُ تَرَصُّدُ الشَّيطانِ لِتِلكَ السَّكتاتِ وَدَسُّهُ فِيها ما اختَلَقَهُ مِنْ تِلكَ الكَلِماتِ مُحاكِياً نَغْمَةَ النَّبيِّ صلي اللهُ عليهِ وسلم بحَيْثُ يَسْمَعُهُ مَنْ دَنا اليهِ مِنَ الكُفَّارِ فَظَنُّوها مِنْ قَوْلِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأشاعُوها ولَمْ يَقْدَحْ ذلِكَ عِنْدَ المُسْلِمِينَ بِحِفْظِ السُّورَةِ قبلَ ذلِكَ على ما أنزَلَها اللهُ وتَحقُّقِهِمْ مِنْ حالِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في ذَمِّ الأوثانِ وعَيبِها ماعُرِفَ منهُ وقدْ حَكي موسَي بنُ عُقبَةَ في مَغازِيهِ نَحْوَ هذا وقالَ انَّ المُسلِمِينَ لَمْ يَسْمَعُوها وانَّما ألقَي الشَّيطانُ ذلِكَ في أسْماعِ المُشرِكِينَ وقُلُوبِهِمْ ويَكُونُ مارُوِيَ مِنْ حُزْنِ النبي صلى الله عليه وسلم لهذِهِ الإشاعَةِ والشُّبْهَةِ وسَبَبِ هذِهِ الفِتْنَةِ وقدْ قالَ اللهُ تَعالى وما أرْسَلْنا مِنْ قبلِكَ مِنْ رَسولٍ ولا نَبيٍّ الآيَةَ فمَعْني تَمَنَّي تلا قالَ اللهُ تعالي لايَعلَمُونَ الكِتابَ الاّ أمانيَّ أيْ تِلاوَةً وقَوْلُهُ فَيَنْسَخُ اللهُ مايُلقِي الشَّيطانُ أيْ يُذهِبُهُ ويُزِيلُ اللَّبسَ بهِ ويُحكِمُ آياتِهِ وقِيلَ مَعْنَي الآيَةِ هُوَ مايَقَعُ للنبي صلى الله عليه وسلم منَ السَّهوِ اذا قرأَ فيَنْتَبِهُ لِذلِكَ ويَرْجِعُ عنهُ وهذا نَحْوُ قولِ الكَلبِيِّ في الآيَةِ انهُ حدَّثَ نَفسَهُ وقالَ اذا تمَنَّي أيْ حدَّثَ نفسَهُ وفي رِوَايَةِ أبي بَكرِ بنِ عبدِالرَّحمَنِ نحْوُهُ وهذا السَّهْوُ في

القراءةِ انما يَصِحُّ فيما ليسَ طريقهُ تغييرَ المعاني وتبديلَ الألفاظ وزيادةَ ما لَيسَ مِنَ القرآن بَلِ السَّهوُ عَنْ اسقاطِ آيةٍ مِنهُ أوْ كلمةٍ ولكنَّهُ لا يُقرُّ على هذا السَّهوِ بَلْ يُنبَّهُ عليهِ ويُذكَّرُ بهِ لِلحينِ على ماسنذكرهُ في حُكمِ مايجوزُ عليهِ مِنَ السَّهوِ وما لا يجوزُ ومِمّا يظهرُ في تأويلهِ أيضاً أنَّ مُجاهِداً رَوَى هذه القِصةَ والغرانقةُ العُلَى فانْ سلَّمنا القِصَّةَ قُلنا لا يَبعُدُ أنَّ هذا كانَ قرآناً والمُرادُ بالغرانقةِ العُلَى وانَّ شفاعتَهنَّ لَترتجي الملائكةُ على هذهِ الرِّوايةِ وبهذا فسَّرَ الكلبيُّ الغرانقةَ أنها المَلائكةُ وذلكَ أنَّ الكُفّارَ كانُوا يَعتقدُونَ الأوثانَ والملائكةَ بَناتُ اللهِ كما حَكى اللهُ عَنهُمْ وَرَدَّ عليهِمْ في هذهِ السُّورةِ بقولهِ ألكُمُ الذَّكرُ ولهُ الأنثي فأنكرَ اللهُ كلَّ هذا مِنْ قولِهِمْ ورَجاء الشَّفاعةِ مِنَ الملائكةِ صَحيحٌ فلمَّا تأوَّلهُ المُشرِكُونَ على أنَّ المُرادَ بهذا الذِكرِ آلِهتهُمْ ولبَّسَ عليهِمُ الشَّيطانُ ذلكَ وزيَّنه في قُلُوبِهِمْ وألقاهُ اليهِمْ نَسخَ اللهُ ما ألقي الشَّيطانُ وأحكمَ آياتِهِ ورفَعَ تِلاوةَ تِلكَ اللَّفظتينِ اللَّتينِ وَجدَ الشَّيطانُ بِهما سَبيلاً لِلالباسِ كما نُسِخَ كَثيرٌ مِنَ القرآنِ ورُفعتْ تِلاوتُهُ وكانَ في انزالِ اللهِ تعالي لِذلكَ حِكْمَةٌ وَفي نَسخِهِ حِكْمَةٌ لِيُضِلَّ بهِ مَنْ يَشاء ويَهدِي مَنْ يَشاء وما يُضِلُّ بِهِ الاَّ الفاسِقينَ وليَجْعَلَ مايُلقي الشَّيطانُ فِتنَةً لِلَّذين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والقاسيةِ قُلُوبُهُمْ وانَّ الظَّالِمينَ لَفي شِقاقٍ بَعيدٍ ولِيَعلَمَ الَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ أنهُ الحقُّ مِنْ رَبِّكَ فيؤْمِنُوا به فتُخبِتَ لهُ قلوبُهُمُ الآيةَ وقيلَ ان النبي صلى الله عليه وسلم لمّا قرأ هذه السُّورةَ وبلغَ ذِكرَ اللاتِ والعُزّى ومناةِ الثّالِثةِ الأُخرى خافَ الكُفّارُ أنْ يأتِيَ بشيْءٍ مِنْ ذمِّها

فسبقوا الي مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه علي عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الي الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالي بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالي من قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع اليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار الواردة فى هذا الباب أن يونس عليه السلام قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالي الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروى في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم

فاقول

فأقولُ أوَ عليمٌ حكيمٌ فيقولُ نعم كلٌّ صوابٌ وفي حديث آخرَ فيقولُ لهُ النبي صلى الله عليه وسلم أُكتبْ كذا فيقولُ أكتبُ كذا فيقولُ اكتبْ كيفَ شئتَ ويقولُ أكتبْ عليماً حكيماً فيقولُ أكتبُ سميعاً بصيرًا فيقولُ لهُ اكتبْ كيفَ شئتَ وفي الصحيحِ عنْ أنسٍ رضي الله عنه أنّ نصرانيًا كانَ يكتبُ للنبيّ صلى الله عليه وسلم بعدَ ماأسلمَ ثمَّ ارتدّ وكانَ يقولُ مايدري محمدٌ الاّ ما كتبتُ لهُ فاعلمْ ثبّتنا اللهُ وايّاكَ على الحقّ ولا جعلَ للشيطانِ وتلبيسهِ الحقَّ بالباطلِ الينا سبيلاً أنّ مثلَ هذهِ الحكايةِ أوّلاً لاتوقعُ في قلبِ مؤمنٍ ريباً اذ هيَ حكايةٌ عمّنَ ارتدَّ و كفرَ باللهِ ونحنُ لانقبلُ خبرَ المسلمِ المتهمِ فكيفَ بكافرٍ افترى هوَ ومثلُهُ على اللهِ ورسولهِ ماهوَ أعظمُ منْ هذا والعجبُ لسليم العقلِ يشغلُ بمثلِ هذهِ الحكايةِ سرَّهُ وقدْ صدرتْ منْ عدوٍّ كافرٍ مبغضٍ للدينِ مفترٍ على اللهِ ورسولهِ ولمْ يردْ عنْ أحدٍ منَ المسلمينَ ولا ذكرَ أحدٌ منَ الصحابةِ أنهُ شاهدَ ماقالهُ وافتراهُ على نبيّ اللهِ وانّما يفتري الكذبَ الّذينَ لايؤمنونَ بآياتِ اللهِ وأولئكَ همُ الكاذبونَ وما وقعَ منْ ذكرها في حديثِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ وظاهرِ حكايتها فليسَ فيهِ ما يدلُّ على أنهُ شاهدَها ولعلّهُ حكى ما سمعَ وقدْ علّلَ البزّارُ حديثهُ ذلكَ وقالَ رواهُ ثابتٌ عنهُ ولمْ يتابعْ عليهِ ورواهُ حميدٌ عنْ أنسٍ قالَ وأظنُّ حميدًا انّما سمعهُ منْ ثابتٍ قالَ القاضي أبو الفضلِ وفقهُ اللهُ ولهذا واللهُ أعلمُ لمْ يخرجْ أهلُ الصحيحِ حديثَ ثابتٍ ولا حميدٍ والصحيحُ

حَدِيثُ عبدِ اللهِ بنِ عَزِيزِ بن رَفِيعٍ عنْ أنَسٍ رضي الله عنه الذي خرّجَهُ أهلُ الصحةِ وذَكَرْنَاهُ وليسَ فيه عنْ أنَسٍ قولُ شيْءٍ مِنْ ذلك منْ قِبَلِ نفسِه الّا مِنْ حكايَتِه عنِ المُرْتَدِّ النّصْرانِيِّ ولوْ كانَتْ صَحيحَةً لَمَا كانَ فيها قَدْحٌ ولا تَوْهِيمٌ لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم فِيما اوحِيَ اليه ولا جَوازٌ لِلنِّسْيانِ والغَلَطِ عليه والتَّحريفِ فِيما بلَّغَهُ ولا طَعْنَ في نَظْمِ القُرْآنِ وأنّهُ منْ عندِ اللهِ اذْ ليسَ فيه لو صَحَّ أكْثَرُ مِنْ أنّ الكاتِبَ قالَ لهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أوْ كَتَبَهُ فقالَ لهُ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم كذلكَ هوَ أفْسَقَهُ لِسانُهُ أوْ قَلَمُهُ لِكَلِمَةٍ أوْ كلِمَتَيْنِ مِمّا نُزِّلَ على الرّسولِ قبْلَ إظْهارِ الرّسولِ لها اذْ كانَ ما تقدّمَ مِمّا أمْلاهُ الرّسولُ يَدُلُّ عليها ويقْتضِي وُقوعَها بِقُوّةِ قُدْرَةِ الكاتِبِ على الكلامِ ومَعْرِفَتِه به وجَوْدَةِ حِسِّه وفطْنَتِه كما يتَّفِقُ ذلكَ لِلعارِفِ اذا سَمِعَ البَيْتَ أنْ يَسْبِقَ الى قافِيَتِه أوْ مُبْتَدَإِ الكلامِ الحَسَنِ الي ما يَتِمُّ به ولا يتّفِقُ ذلك في جُمْلَةِ الكلامِ كما لا يتّفِقُ ذلك في آيَةٍ ولا سُورَةٍ و كذلكَ قَوْلُهُ صلى اللهُ عليه وسلم إنْ صَحَّ كُلٌّ صَوابٌ فقدْ يَكونُ هذا فِيما فيه منْ مَقاطِعِ الآيِ وَجْهانِ وقِراءتانِ أُنْزِلَتا جَميعاً على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فأمْلى إحْداهُما وتَوَصَّلَ الكاتِبُ بِفِطْنَتِه ومَعْرِفَتِه بِمُقْتَضى الكلامِ الي الأُخْرَى فذَكَرَها لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم فَصَوَّبَها لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ثمّ أحْكَمَ اللهُ منْ ذلكَ ما أحْكَمَ ونَسَخَ ما نَسَخَ كما قد وُجِدَ ذلك في بَعْضِ مَقاطِعِ الآيِ مِثْلُ قوْلِه تعالي إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنّهُمْ عِبادُكَ وانْ تَغفِرْ لهُمْ فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ وهذه قِراءةُ الجُمْهُورِ وقدْ قَرَأَ جماعةٌ فإنّكَ أنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ

وليستْ مِنَ المُصحَفِ وكذلكَ كلماتٌ جاءتْ على وَجهَينِ في غيرِ المقاطعِ قَرَأَ بِهما معاً الجمهورُ وثبتتا في المُصحَفِ مثلُ وانظُرْ الى العظامِ كيفَ نُنشِرُها وَنُنشِزُها ويَقضِي الحقَّ ويَقُصُّ الحقَّ وكلُّ هذا لا يُوجِبُ رَيباً ولا يُسَبِّبُ لِلنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم غَلَطاً ولا وَهماً وقد قيلَ إنَّ هذا يحتملُ أنْ يكونَ فيما يَكتُبُهُ عنِ النبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم الي النَّاسِ غيرَ القُرآنِ فيَصِفُ اللهَ ويُسَمِّيهِ في ذلكَ كيفَ شاء

﴿ فصل ﴾

هذا القولُ فيما طَريقُهُ البلاغُ وأمَّا ماليسَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ البلاغِ مِنَ الأخبارِ الّتي لا مُستَنَدَ لها الي الأحكامِ ولا أخبارِ المَعادِ ولا تُضافُ الي وَحيٍ بَلْ في أُمورِ الدُّنيا وأحوالِ نَفسِهِ فالذي يجبُ تَنزيهُ النبيِّ صلي الله عليه وسلم عَنْ أنْ يَقعَ خَبَرُهُ في شَيْءٍ من ذلكَ بخِلافِ مُخبَرِه لا عَمداً ولا سَهواً ولا غَلَطاً وأنَّهُ معصومٌ مِنْ ذلكَ في حالِ رِضاهُ وفي حالِ سَخَطِه وجِدِّهِ ومَزحِهِ وصِحَّتِهِ ومَرَضِه ودَليلُ ذلكَ اتِّفاقُ السَّلَفِ وإِجماعُهُمْ عليه وذلكَ أنَّا نَعلَمُ مِنْ دِينِ الصَّحابةِ وعادَتِهِمْ مُبادَرَتَهُمْ الي تَصديقِ جَميعِ أحوالِه والثِّقَةِ بجَميعِ أخبارِهِ في أيِّ بابٍ كانَتْ وعنْ أيِّ شَيْءٍ وَقَعَتْ وأنَّهُ لم يَكُنْ لَهُمْ تَوَقُّفٌ ولا تَرَدُّدٌ في شَيْءٍ منها ولا استِثباتٌ عنْ حالِه عندَ ذلكَ هَلْ وَقَعَ فيها سَهوٌ أمْ لا ولَمَّا احتَجَّ ابنُ أبي الحُقَيقِ اليَهودِيُّ على عُمَرَ حينَ أجلاهُمْ مِنْ خَيبَرَ بإِقرارِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَهُمْ واحتَجَّ عليه عُمَرُ رضى اللهُ عنهُ بقَولِهِ صلي الله عليه وسلم كيفَ بِكَ اذا أُخرِجتَ من خَيبَرَ قالَ

اليهوديُّ كانت هزيلةً من أبي القاسم فقال له عمرُ كذبتَ يا عدوَّ الله وأيضاً فانّ أخبارهُ وآثارهُ وسيرهُ وشمائلهُ معتني بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكهُ صلى الله عليه وسلم لغلطٍ في قولٍ قالهُ أو اعترافهُ بوهمٍ في شيء أخبر بهِ ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصتهِ عليه السلامُ رجوعهُ صلى الله عليه وسلم عمّا أشار بهِ على الأنصار في تلقيح النخلِ وكان ذلك رأياً لا خبراً وغيرُ ذلك من الأمورِ التي ليست من هذا الباب كقولهِ والله لا أحلفُ على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها الّا فعلتُ الّذى حلفتُ عليهِ وكفرتُ عن يميني وقولهِ انكم تختصمونَ اليَّ الحديثَ وقولهِ اسقِ يا زبيرُ حتّى يبلغَ الماءُ الجدرَ كما سنبيّنُ كلَّ ما في هذا من مشكلِ ما في هذا الباب والذي بعدهُ ان شاء اللهُ مع أشباههما وأيضاً فانّ الكذبَ متى عُرِفَ من أحدٍ في شيءٍ منَ الأخبارِ بخلاف ما هوَ علي أيِّ وجهٍ كانَ استُريبَ بخبرهِ واتُّهِمَ في حديثهِ ولم يقعْ قولهُ في النفوسِ موقعاً ولهذا تركَ المحدّثونَ والعلماءُ الحديثَ عمّنْ عُرِفَ بالوهمِ والغفلةِ وسوءِ الحفظِ وكثرةِ الغلطِ مع ثقتهِ وأيضاً فانّ تعمُّدَ الكذبِ في أمورِ الدنيا معصيةٌ والاكثارُ منهُ كبيرةٌ باجماعٍ مسقطٌ للمروءةِ وكلُّ هذا مما ينزّهُ عنهُ منصبُ النبوّةِ والمرّةُ الواحدةُ منهُ فيما يُستبشعُ ويُستشنعُ مما يخلُّ بصاحبها ويزري بقائلها لاحقةٌ بذلكَ وأمّا فيما لا يقعُ هذا الموقعَ فانْ عددناها منَ الصغائرِ فهلْ تجري على حكمها في الخلافِ فيها مختلفٌ فيهِ والصوابُ تنزيهُ النبوّةِ عنْ قليلهِ وكثيرهِ وسهوهِ وعمدهِ اذ عمدةُ النبوّةِ البلاغُ والإعلامُ والتبيينُ وتصديقُ ما جاء بهِ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ

وتجويز

وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا اليه

﴿ فصل ﴾

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر حدثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى ما قَصُرَتِ الصَّلاةُ وما نَسِيتُ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ فَأَخْبَرَ بِنَفْيِ الحَالَتَيْنِ وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ وقدْ كانَ أَحَدُ ذلِكَ كما قالَ ذُو اليَدَيْنِ قَدْ كانَ بَعْضُ ذلِكَ يارَسُولَ اللهِ فاعْلَمْ وَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاكَ أَنَّ لِلْعُلَماءِ في ذلِكَ أَجْوِبَةً بَعْضُها بِصَدَدِ الإِنْصافِ وَمِنْها ما هُوَ بِنِيَّةِ التَّعَسُّفِ والاِعْتِساف وَها أنا أَقُولُ أَمَّا علي القَوْلِ بِتَجْوِيزِ الوَهْمِ والغَلَطِ مِمَّا لَيْسَ طَرِيقُهُ مِنَ القَوْلِ البَلاغَ وَهُوَ الَّذِي زَيَّفْناهُ مِنَ القَوْلَيْنِ فَلا اعْتِرَاضَ بِهذا الحَدِيثِ وَشِبْهِهِ وأَمَّا على مَذْهَبِ مَنْ يَمْنَعُ السَّهْوَ والنِّسْيانَ في أَفْعالِهِ جُمْلَةً وَيَرَى أَنَّهُ في مِثْلِ هذا عامِدٌ لِصُورَةِ النِّسْيانِ لِيَسُنَّ فَهُوَ صادِقٌ في خَبَرِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْسَ ولا قَصُرَتْ ولٰكِنَّهُ على هذا القَوْلِ تَعَمَّدَ هذا الفِعْلَ في هذِهِ الصُّورَةِ لِيَسُنَّهُ لِمَنِ اعْتَرَاهُ مِثْلُهُ وهُوَ قَوْلٌ مَرْغُوبٌ عنهُ نَذْكُرُهُ في مَوْضِعِهِ وأَمَّا على إِحالَةِ السَّهْوِ عليه في الأَقْوالِ وَتَجْوِيزِ السَّهْوِ عليهِ فِيما لَيْسَ طَرِيقُهُ القَوْلَ كما سَنَذْكُرُهُ فَفِيهِ أَجْوِبَةٌ مِنْها أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أَخْبَرَ عَنِ اعْتِقادِهِ وَضَمِيرِهِ أَمَّا إِنْكارُ القَصْرِ فَحَقٌّ وَصِدْقٌ باطِناً وَظاهِرًا وأَمَّا النِّسْيانُ فَأَخْبَرَ صلي اللهُ عليه وسلم عَنِ اعْتِقادِهِ وأَنَّهُ لَمْ يَنْسَ في ظَنِّهِ فَكَأَنَّهُ قَصَدَ الخَبَرَ بِهذا عَنْ ظَنِّهِ وان لَمْ يَنْطِقْ بِهِ وهذا صِدْقٌ أَيْضاً وَوَجْهٌ ثانٍ أَنَّ قَوْلَهُ ولَمْ أَنْسَ رَاجِعٌ الي السَّلامِ أَيْ أَنِّي سَلَّمْتُ قَصْدًا وَسَهَوْتُ عَنِ العَدَدِ أَيْ لَمْ أَسْهُ في نَفْسِ السَّلامِ وَهذا مُحْتَمَلٌ وَفِيهِ بُعْدٌ وَوَجْهٌ ثالِثٌ وَهُوَ أَبْعَدُها ما ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وانِ احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ قَوْلِهِ كُلُّ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ أَيْ لَمْ يَجْتَمِعِ القَصْرُ والنِّسْيانُ بَلْ كانَ أَحَدُهُما وَمَفْهُومُ اللَّفْظِ خِلافُهُ مَعَ الرِّوَايَةِ الأُخْرَى الصَّحِيحَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ ما قَصُرَتِ الصَّلاةُ وَما نَسِيتُ هذا ما رَأَيْتُ فِيهِ

لِأَئِمَّتِنا وَ كُلٌّ مِنْ هٰذِهِ الوُجُوهِ مُحْتَمِلٌ لِلَّفظِ على بُعْدِ بَعْضِها وَتَعَسُّفِ الآخَرِ مِنْها قالَ القاضي أبو الفَضْـلِ وَفَّقَهُ اللهُ والَّذِي أقُولُ وَيَظْهَرُ لِي أنَّهُ أقْرَبُ مِنْ هٰذِهِ الوُجُوهِ كُلِّها أنَّ قَوْلَهُ لَمْ أنْسَ انكارٌ لِلَّفظِ الَّذِي نَفاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأنْكَرَهُ على غَيْرِهِ بِقَوْلِهِ بِئْسَما لِأحَدِكُمْ أنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَذا وَ كَذا ولَكِنَّهُ نُسِّيَ وَبِقَوْلِهِ في بَعْضِ رِوايات الحَدِيثِ الآخَرِ لَسْتُ أنْسَى وَلَكِنْ أُنَسَّى فَلَمَّا قالَ لَهُ السّائِلُ أقَصُرَتِ الصَّلاةُ أمْ نَسِيتَ أنْكَرَ قَصْرَها كَما كانَ وَنِسْيانَهُ هُوَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وأنَّهُ ان كانَ جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَقَدْ نُسِّيَ حَتَّى سَأَلَ غَيْرَهُ فَتَحَقَّقَ أنَّهُ نُسِّيَ وَأُجْرِيَ عليهِ ذٰلكَ لِيَسُنَّ فَقَوْلُهُ على هذا لَمْ أنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ وَ كُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ صِدْقٌ وَحَقٌّ لَمْ تُقْصَرْ وَلَمْ يَنْسَ حَقِيقَةً ولَكِنَّهُ نُسِّيَ * وَوَجْهٌ آخَرُ اسْتَثَرْتُهُ من كَلامِ بعْض المَشايِخِ وذٰلكَ أنَّهُ قالَ انَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يسهُو ولا يَنْسَي ولِذٰلِكَ نَفَى عنْ نَفْسهِ النِّسْيانَ قالَ لأنَّ النِّسْيانَ غَفْلَةٌ وآفَةٌ والسَّهْوُ انَّما هُوَ شُغْلٌ قالَ فَكانَ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم يَسْهُو في صلاتِهِ ولا يَغْفُلُ عنها وَكانَ يَشْغَلُهُ عنْ حَرَكاتِ الصَّلاةِ مافي الصَّلاةِ شُغْلاً بِها لاغَفْلَةً عنها فَهٰذا ان تَحَقَّقَ على هٰذا المَعْنَي لَمْ يَكُنْ في قَوْلِهِ ماقَصُرَتْ وما نَسِيتُ خُلْفٌ في قولٍ وعِنْدِي أنَّ قَوْلَهُ ماقَصُرَتِ الصَّلاةُ وما نَسِيتُ بِمَعْنَى التَّرْكِ الَّذِي هُوَ أحدُ وجْهَيِ النِّسْيانِ أرادَ واللهُ أعْلَمُ أنِّي لَمْ أُسَلِّمْ منْ رَكْعَتَيْنِ تارِكاً لِإكْمالِ الصَّلاةِ ولَكِنِّي نَسِيتُ ولَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنْ تِلْقاءِ نفْسِي والدَّلِيلُ على ذٰلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم في الحديثِ الصَّحِيحِ انِّي لَأَنْسَي أوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ وأمَّا قِصَّةُ كَلِماتِ ابْراهِيمَ المَذْكُورَةِ أنَّها كَذِباتُهُ الثَّلاثُ المَنْصُوصَةُ في القُرْآنِ مِنْها اثْنَتانِ قَوْلُهُ انِّي

سَقِيمٌ بَلْ فعلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا وقولُهُ لِلْمَلِكِ عن زَوْجَتِهِ انها أُخْتِي فاعلَمْ أَكْرَمَكَ اللهُ أنّ هذِهِ كُلَّهَا خارِجَةٌ عن الكَذِبِ لافي القصدِ ولا في غيْرِهِ وهِيَ داخِلَةٌ في بابِ المعارِيضِ الّتي فيها مَنْدُوحَةٌ عنِ الكَذِبِ أمّا قولُهُ انّي سقيمٌ فقالَ الحسَنُ وغيْرُهُ معناهُ سأسقَمُ أيْ أنّ كلَّ مخلُوقٍ مُعَرَّضٌ لذلِكَ فاعتَذَر لقَوْمِهِ منَ الخُرُوجِ معهُمْ الي عيدِهِمْ بِهذا وقِيلَ بلْ سَقِيمٌ بِما قُدِّرَ عَلَيَّ منَ الموْتِ وقِيلَ سقيمُ القَلْبِ بِما أُشاهِدُهُ مِنْ كُفْرِكُمْ وعِنادِكُمْ وقيل بلْ كانَتِ الحُمَّي تأْخُذُهُ عنْدَ طُلوعِ نَجْمٍ معلُومٍ فلَمّا رآهُ اعتَذَرَ بِعادَتِهِ وكُلُّ هذا ليْسَ فيهِ كِذْب بَلْ خبَرٌ صحيحٌ صِدْقٌ وقِيلَ بلْ عَرَّضَ بِسقَمِ حُجّتِهِ عليْهِمْ وضَعْف ماأرادَ بَيانَهُ لهُمْ منْ جهَةِ النُّجُومِ الّتي كانُوا يَشْتَغِلُونَ بِها وأنّهُ أثْناء نَظَرِهِ في ذلِكَ وقبْلَ استِقامَةِ حُجّتِهِ عليهِمْ في حالِ سَقَمٍ ومَرَضٍ مع أنّهُ لمْ يَشُكَّ هُوَ ولا ضعُفَ ايمانُهُ ولكِنّهُ ضعُفَ في استِدْلالِهِ عليْهِمْ وسَقِمَ نَظَرُهُ كما يُقالُ حُجّةٌ سَقِيمَةٌ ونَظَرٌ معلُولٌ حتّي ألْهَمَهُ اللهُ باستِدْلالِهِ وصِحّةِ حُجّتِهِ عليْهِمْ بالكَواكِبِ والشّمْسِ والقمَرِ مانَصّهُ اللهُ تَعالي وقدّمْنا بَيانَهُ وأمّا قولُهُ بلْ فعلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا الآيَةَ فانّهُ علّقَ خبَرَهُ بِشَرْطِ نُطْقِهِ كأنّهُ قالَ ان كانَ يَنْطِقُ فهُوَ فعلَهُ على طَرِيقِ التّبْكِيتِ لِقَوْمِهِ وَهذا صِدْق أيضاً ولا خُلْفَ فيهِ وأمّا قَوْلُهُ أُخْتِي فَقَدْ بَيّنَ في الحَدِيثِ وقالَ فإنّكِ أُخْتِي في الإسْلامِ وَهُوَ صِدْقٌ واللهُ تعالى يقُولُ انّما المُؤْمِنُونَ اخوَةٌ فإنْ قُلْتَ فهذا النبي صلى اللهُ عليه وسلم قدْ سمّاها كَذِبات وقالَ لمْ يَكْذِبْ ابراهِيمُ الاّ ثلاثَ كَذِباتٍ وقالَ في حديثِ الشّفاعَةِ ويذْكُرُ كَذِباتِه فمَعناهُ أنّهُ لمْ يتَكلّمْ

بكلامٍ صورتُهُ صورةُ الكذبِ وانْ كانَ حقًّا في الباطنِ الاّ هٰذهِ الكلماتِ ولمّا
كانَ مفهومُ ظاهرِها خلافَ باطنِها أشفقَ ابرَاهيمُ عليهِ السَّلامُ بمؤاخذتهِ بها وأما
الحديثُ كانَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم اذا أرادَ غزوةً ورَّى بغيرِها فليسَ فيه
خُلفٌ في القوْلِ انّما هو سَترُ مقصدِهِ لِئلَّا يأخُذَ عدوُّهُ حِذرَهُ وكتمَ وجهَ
ذَهابهِ بذِكرِ السُّؤالِ عَنْ موْضعٍ آخرَ والبحثُ عنْ أخبارهِ والتَّعريضِ بذِكرهِ
لا أنَّهُ يقولُ تجهَّزُوا الى غزوةِ كذا أوْ وجهتُنا الي موْضعِ كذا خِلافَ مقصِدِهِ
فهٰذا لَمْ يكنْ والأوّلُ ليسَ فيه خبرٌ يدخُلُهُ الخُلْفُ فانْ قُلْتَ فما معْني قولِ
مُوسى عليه السلامُ وقد سُئِلَ أيُّ النَّاسِ أعلَمُ فقالَ أنا أعلَمُ فعتبَ اللهُ عليه
ذلكَ اذ لم يرُدَّ العِلْمَ اليهِ الحَديثَ وفيه قالَ بَلْ عبدٌ لنا بمجمعِ البحرَيْنِ أعلَمُ
منكَ وهٰذا خبرٌ قد أنبأ اللهُ أنّهُ ليسَ كذلكَ فاعلَمْ أنّهُ وقَعَ في هٰذا
الحَديثِ مِنْ بعْضِ طُرُقه الصَّحيحةِ عن ابنِ عبَّاسٍ هلْ تعلَمُ أحدًا أعلَمَ
منكَ فاذا كانَ جوَابُهُ على عِلمِهِ فهوَ خبرٌ حقٌّ وصِدقٌ لا خُلْفَ فيه ولا شُبهَةَ
وعلى الطَّريقِ الآخرِ فمحمَلُهُ على ظَنِّهِ ومُعتقَدِهِ كما لوْ صرَّحَ به لِأنّ حالَهُ في النُّبوَّةِ
والِاصطِفاءِ يقتَضِي ذلكَ فيكُونُ إخبارُهُ بذلكَ أيضاً عن اعتِقادِهِ وحُسبانِهِ صِدقًا
لا خُلْفَ فيهِ وقد يُريدُ بقوْلِه أنا أعلَمُ بما يقتَضيهِ وَظائفُ النُّبوَّةِ من عُلومِ
التَّوحيدِ وأمُورِ الشَّريعةِ وسياسةِ الأمَّةِ ويكونُ الخَضرُ أعلَمَ منهُ بامورٍ
أُخرَ ممَّا لا يعلَمُهُ أحدٌ الا بإعْلامِ اللهِ منْ علومِ غيْبهِ كالقِصَصِ المَذكورَةِ
في خبَرِهما فكانَ موسى عليه السلامُ أعلَمَ على الجُملَةِ بما تقدَّمَ وهٰذا أعلَمُ
على الخُصُوصِ بما أُعلِمَ ويدُلُّ عليه قوْلُهُ تعالي وعلّمناهُ من لدُنّا عِلمًا وعتبُ
اللهِ ذلكَ عليه فِيما قالَهُ العُلماءُ إنكارُ هٰذا القوْلِ عليه لِأنَّهُ لم يرُدَّ العِلمَ اليه

كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعاً وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث إحدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون الولي أعلم من النبي وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره الا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئاً يعول عليه واذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله والخضر أعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما ألجئ موسى الي الخضر للتأديب لا للتعليم

(فصل)

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد

وما قدَّمْناهُ مِنْ معارِفه المُخْتصَّةِ به فأجمَعَ المُسْلِمُونَ على عِصْمَةِ الأنْبياء مِنَ الفَواحشِ والكَبائرِ المُوبِقاتِ ومُسْتَنَدُ الجُمهُورِ في ذلك الإجْماعُ الذى ذَكَرْناهُ وهوَ مَذْهَبُ القاضى أبي بَكْرٍ ومَنَعَها غَيْرُهُ بِدَليلِ العَقْلِ مَعَ الإجْماعِ وهوَ قَوْلُ الكافّةِ واخْتارَهُ الأُسْتاذُ أبو اسْحٰقَ وكَذلك لا خِلافَ أنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ كِتْمانِ الرِّسالَةِ والتَّقْصيرِ في التَّبْليغِ لِأَنَّ كُلَّ ذلك يَقْتَضِي العِصْمَةَ منهُ المُعْجِزَةُ مَعَ الإجْماعِ على ذلك مِنَ الكافَّةِ والجُمْهُورُ قائِلٌ بأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ ذلك مِنْ قِبَلِ اللهِ مُعْتَصِمُونَ باخْتِيارِهِمْ و كَسْبِهِمْ الّا حُسَيْنًا النَّجّارَ فانَّهُ قالَ لا قُدْرَةَ لَهُمْ علي المَعاصِي أَصْلًا وأمّا الصَّغائِرُ فَجَوَّزَها جَماعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وغَيْرِهِمْ على الأنْبياءِ وهوَ مَذْهَبُ أبى جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وغَيْرِهِ مِنَ الفُقَهاءِ والمُحَدِّثِينَ والمُتَكَلِّمِينَ وسَنُورِدُ بعدَ هذا ما احْتَجُّوا به وذَهَبَتْ طائِفَةٌ أُخرَى الي الوَقْفِ وقالوا العَقْلُ لا يُحِيلُ وُقُوعَها منهمْ ولَمْ يَأْتِ في الشَّرْعِ قاطِعٌ بأَحَدِ الوَجْهَيْنِ وذَهَبَتْ طائِفَةٌ أُخرَى مِنَ المُحَقِّقِينَ مِنَ الفُقَهاءِ والمُتَكَلِّمِينَ الي عِصْمَتِهِمْ مِنَ الصَّغائِرِ كَعِصْمَتِهِمْ مِنَ الكَبائِرِ قالوا لِاخْتِلافِ النّاسِ في الصَّغائِرِ وتَعْيِينِها منَ الكَبائِرِ وإشْكالِ ذلك وقَوْلِ ابنِ عَبّاسٍ وغَيْرِهِ انَّ كُلَّ ما عُصِيَ اللهُ به فهُوَ كَبِيرَةٌ وأَنَّهُ انَّما سُمِّيَ منها الصَّغِيرُ بالإضافَةِ الي ما هوَ أكْبَرُ منهُ ومُخالَفَةُ البارِي في أيِّ أمْرٍ كانَ يَجِبُ كَوْنُهُ كَبِيرَةً قالَ القاضى أبو محمّدٍ عبدُ الوَهّابِ لا يُمْكِنُ أنْ يُقالَ انّ في مَعاصِى اللهِ صَغِيرَةً الّا على مَعْنى أنّها تُغْتَفَرُ باجْتِنابِ الكَبائِرِ ولا يَكونُ لَها حُكْمٌ مَعَ ذلك بخِلافِ الكَبائِرِ اذا لم يُتَبْ منها فلا يُحْبِطُها شيْءٌ والمَشِيئَةُ في العَفْوِ عنْها الي اللهِ تعالي وهوَ قَوْلُ القاضِي أبى بَكْرٍ وجَماعَةِ أئِمَّةِ الأشْعَرِيَّةِ

وكثير من أئمة الفقهاء وقال بعض أئمتنا ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت الي إزالة الحشمة وأسقطت المروة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضاً مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى الي مثله لخروجه بما أدى اليه عن اسم المباح الي الحظر وقد ذهب بعضهم الي عصمتهم من مواقعة المكروه قصدًا وقد استدل بعض الأئمة علي عصمتهم من الصغائر بالمصير الي امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقاً وجمهور الفقهاء علي ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقاً عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويزمنداذ وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوباً وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طائفة الي الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم اذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما علي من يرى من الأصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر ومن نفاها

عَنْ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم مُجْمِعُونَ على أنَّهُ لا يُقِرُّ على مُنْكَرٍ مِنْ قولٍ أوْ فِعل وأنَّهُ مَتَى رَأى شَيْئاً فَسَكَتَ عنهُ صلى الله عليه وسلم دَلَّ على جَوَازِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ هذا حالُهُ في حَقِّ غَيْرِهِ ثُمَّ يُجَوَّزُ وُقُوعُهُ مِنْهُ في نَفْسِهِ وعلى هذا المأخذِ تَجِبُ عِصْمَتُهُ مِنْ مُوَاقعةِ المكرُوهِ كما قِيلَ واذِ الحَظْرُ أو النَّدبُ على الاقتِداءِ بِفِعْلِهِ يُنافي الزَّجْرَ والنَّهْيَ عنْ فعْلِ المكرُوهِ وأيضاً فقدْ عُلِمَ منْ دِينِ الصَّحابَةِ قطْعاً الِاقتِداءُ بأفعالِ النبي صلى الله عليه وسلم كَيْفَ توَجَّهَتْ وفي كُلِّ فنٍّ كالِاقتِداءِ بأقوالِهِ فقدْ نَبَذُوا خواتِيمَهُمْ حِينَ نَبَذَ خاتَمَهُ وخلَعُوا نِعالَهُمْ حِينَ خلَعَ واحْتِجاجُهُمْ بِرُؤْيَةِ ابنِ عُمَرَ اياهُ جالِساً لقضاءِ حاجَتِهِ مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ المَقْدِسِ واحتَجَّ غيرُ واحِدٍ مِنهُم في غيرِ شيْءٍ مِمّا بابُهُ العِبادةُ أوِ العادةُ بِقوْلِهِ رأيْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ وقالَ هَلاَّ خَبَّرْتِيها أنِّي أُقبِّلُ وأنا صائِمٌ وقالتْ عائِشَةُ مُحتَجَّةً كُنتُ أفعَلُهُ أنا ورَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وغضِبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على الذِي أُخبِرَ بِمِثْلِ هذا عنه فقالَ يُحِلُّ اللهُ لِرَسُولِهِ مايَشاءُ وقالَ انِّي لأَخشاكُمْ لِلهِ وأعلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ والآثارُ في هذا أعظَمُ منْ أنْ نُحيطَ لكِنَّهُ يُعْلَمُ مِنْ مَجْمُوعِها على القطْعِ اتِّباعُهُمْ أفعالَهُ واقْتِداؤُهُمْ بِها ولوْ جَوَّزُوا علَيهِ المُخالَفَةَ في شَيْءٍ منها لما اتَّسَقَ هذا ولَنُقِلَ عنهُمْ وظَهَرَ بَحْثُهُمْ عنْ ذلِكَ ولما أنكَرَ صلى الله عليه وسلم على الآخرِ قوْلَهُ واعتِذارَهُ بِما ذكَرْناهُ وأمّا المُباحاتُ فجائِزٌ وُقوعُها مِنهُمْ اذْ لَيْسَ فِيها قَدْحٌ بلْ هِيَ مأذُونٌ فِيها وأيْدِيهِمْ كأيْدِي غيْرِهِمْ مُسَلَّطَةٌ علَيْها الاَّ أنهُمْ بِما خُصُّوا بِهِ مِنْ رَفِيعِ المَنزِلَةِ وَشُرِحَتْ لهُمْ صدُورُهُمْ

مِنْ أنْوَارِ المَعْرِفَةِ واصْطَفُوا بِهِ مِنْ تَعَلَّقَ بالِهِمْ بِاللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ لا يَأْخُذُونَ مِنَ المباحاتِ الَّا الضَّرُورَاتِ مِمَّـا يَتقوَّوْنَ بِهِ على سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ وَصلاحِ دِينِهِمْ وضَرُورَةِ دُنْياهُمْ وما أُخِذَ على هـذهِ السَّبِيلِ التَحَقَ طاعَةً وصارَ قُرْبَةً كما بَيَّنَّا مِنْهُ أوَّلَ الـكتاب طَرَفاً في خِصالِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسـلم فَبانَ لكَ عَظِيمُ فَضْـلِ اللهِ على نَبِيِّنا وعلى سائِرِ أنْبِيائِهِ عليهمُ السَّـلامُ بأنْ جَعَلَ أفْعالَهُمْ قُرُباتٍ وطاعاتٍ بَعِيدَةً عَنْ وَجْهِ المُخالَفَةِ وَرَسْمِ المَعْصِيَةِ

(فصل)

وَقَدِ اخْتُلِفَ في عِصْمَتِهِمْ مِنَ المَعاصِي قَبْـلَ النُّبُوَّةِ فَمَنَعَها قَوْمٌ وَجَوَّزَها آخَرُونَ والصَّحِيحُ انْ شاءَ اللهُ تَـنْزِيهُهُمْ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وعِصْمَتُهُمْ مِنْ كُلِّ ما يُوجِبُ الرَّيْبَ فَـكَيْفَ والمَسْألَةُ تَصوُّرُها كالمُمْتَنِـعِ فإنَّ المَعاصِيَ والنَّواهِيَ انَّمـا تَـكُونُ بَعْدَ تَقرُّرِ الشَّرْعِ وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ في حالِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم قَبْـلَ أنْ يُوحَي الَيْهِ هَـلْ كانَ مُتَّبِعاً لِشَرْعٍ قَبْـلَهُ أمْ لا فَقالَ جَماعَةٌ لَمْ يـكُنْ مُتَّبِعاً لِشَيْءٍ وهٰذا قَوْلُ الجُمْهُورِ فالمعاصِي على هٰذا القَوْلِ غَـيْرُ مَوْجُودَةٍ ولا مُعْتَـبَرَةٍ في حَقِّهِ حِينَـئِذٍ اذِ الاحْـكامُ الشَّرْعِيَّةُ انَّمـا تَتَعَلَّقُ بالأوامِرِ والنَّواهِي وتَقرُّرِ الشَّرِيعَةِ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ حُجَجُ القائِلِينَ بِهٰـذهِ المَقالَةِ عليْها فذَهَبَ سَيْفُ السُّنَّةِ ومُقْتَدي فِرَقِ الأُمَّةِ القاضِي أبو بَـكْرٍ الي أنَّ طَرِيقَ العِلْمِ بِذٰلِكَ النَّقْلُ ومَوارِدُ الخَـبَرِ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ وحُجَّتُهُ أنَّهُ لَوْ كانَ ذٰلِكَ لَنُقِلَ ولما أمْـكَنَ كَـتْمُهُ وسَـتْرُهُ في العادَةِ اذْ كانَ مِنْ مُهِمِّ أمْرِهِ وأوْلي ما اهْتُبِلَ بِهِ مِنْ سِـيرَتِهِ ولَفَخَرَ بِهِ أهْلُ تِلْكَ الشَّرِيعَـةِ

ولاحتجوا

وَلاحتجُّوا بِهِ عليــهِ ولم يُؤثَرْ شيْءٌ من ذلِكَ جُمْلَةً وذهبَتْ طائفةٌ الى امتِناع ذلِكَ عقلاً قالوا لِأنَّهُ يبْعُدُ أن يَـكُونَ متبُوعاً منْ عُرِفَ تابعاً وبَنَوْا هذا على التَّحسِينِ والتَّقبيحِ وهي طرِيقةٌ غَـيرُ سَدِيدَةٍ واسْتِنادُ ذلِكَ الي النَّقلِ كما تَقَـدَّمَ لِلقاضِي أبِي بَـكرٍ أولى وأظهرُ وقالتْ فِرقةٌ أُخرَى بالوَقْفِ في أمْرِهِ صـلى الله عليه وسـلم وَترْكِ قَطْعِ الحُـكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ في ذَلِكَ اذ لمْ يُحِـلِ الوَجْهَيْنِ مِنْها العَقْلُ وَلا استَبانَ عِنْدَها في أحَدِهما طَرِيقُ النَّقلِ وهُوَ مَذهَبُ أبِي المعالِي وقالَتْ فِرْقَةٌ ثالِثَةٌ انَّهُ كانَ عامِلاً بِشَرْعِ مَنْ قبلَهُ ثُمَّ اختلَفُوا هَلْ يَتَعَـيَّنُ ذلِكَ الشَّرْعُ أمْ لا فَوَقَفَ بَعْضُهُمْ عن تَعْيِينِهِ وأحجم وجَسَرَ بَعْضُهُمْ علي التَّعْيِـينِ وصَمَّمَ ثُمَّ اختلفَتْ هــذِهِ المُعَيِّنَةُ فِيمَنْ كانَ يَتَّبِـعُ فقِيلَ نُوحٌ وَقِيلَ ابْرَاهِيمُ وقِيلَ مُوسي وَقِيــلَ عِيسى صلَوَاتُ اللهِ عليهِمْ فَهذِهِ جُمْلَةُ المَذاهِبِ في هذِه المَسْـأَلةِ والأظهرُ فيها ما ذَهَبَ اليْهِ القاضِي أبو بَـكْرٍ وأبْعَدُها مذَاهِبُ المُعَيِّـنِينَ اذْ لَوْ كانَ شيْءٌ مِن ذلِكَ لَنُقِلَ كما قدَّمْناهُ ولمْ يَخْفَ جُمْلَةً وَلا حُجَّةَ لَهُمْ في أنَّ عِيسَي آخِرُ الأَنْبِياء فلَزِمَتْ شَرِيعَتُهُ مَنْ جاءَ بَعْـدَها اذ لمْ يَثْبُتْ عُمُومُ دَعْوَةِ عِيسَي بَلِ الصَّحِيحُ أنَّهُ لمْ يَـكُنْ لِنَـبِيٍّ دَعْوَةٌ عامَّةٌ الَّا لِنَبِيِّنا صلي الله عليه وسـلم وَلا حُجَّةَ أيْضاً لِلآخَرِ في قَوْلِهِ أنِ اتَّبِـعْ مِلَّةَ ابْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَلا لِلآخَرِينَ في قوْلِهِ تعالي شَرَعَ لَـكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً فَحَمْلُ هــذِهِ الآيَةِ على اتِّباعِهِمْ في التَّوحِيدِ كـقَوْلِهِ تَعالى أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَـدَي اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ وَقَدْ سَمَّي اللهُ تَعالي فِيهِمْ مَنْ لمْ يُبْعَثْ وَلمْ تَـكُنْ لَهُ شَرِيعَةٌ تَخُصُّـهُ كَيُوسُفَ ابْنِ يَعْقُوبَ على قَوْلِ مَنْ يَقُولُ انَّهُ لَيْسَ بِرَسُولٍ وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعالى جَماعَةً

مِنهُمْ في هذه الآيَةِ شَرَائِعُهُمْ مُختَلِفَةٌ لا يُمكِنُ الجمعُ بَيْنَها فَدَلَّ أنَّ المُرادَ ما اجتَمَعُوا عليه مِنَ التَّوحِيدِ وَعِبادَةِ اللهِ تَعالي وَبَعدَ هذا فَهَلْ يَلزَمُ مَنْ قالَ بِمَنعِ الاتِّباعِ هذا القَوْلُ في سائِرِ الأنبياءِ غَيرِ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم أوْ يُخالِفُونَ بَيْنَهُمْ أمَّا مَنْ مَنَعَ الاتِّباعَ عَقلاً فَيَطَّرِد أصلُهُ في كُلِّ رَسُولٍ بِلا مِرْيَةٍ وأمَّا مَنْ مالَ الى النَّقلِ فأَيْنَما تُصُوِّرَ لَهُ وَتَقَرَّرَ اتَّبَعَهُ وَمَنْ قالَ بالوَقفِ فَعَلَي أصلِهِ وَمَنْ قالَ بِوُجُوبِ الاتِّباعِ لِمَنْ قَبلَهُ يَلتَزِمُهُ بِمَساقِ حُجَّتِهِ في كُلِّ نَبِيٍّ

فصل

هذا حُكمُ ماتَكُون المُخالَفَةُ فِيهِ مِنَ الأَعمالِ عنْ قَصدٍ وهُوَ مايُسَمَّي مَعصِيَةً ويَدخُلُ تَحتَ التَّكليفِ وأمّا مايَكُونُ بِغَيرِ قصدٍ وتَعَمُّدٍ كالسَّهوِ والنِّسيانِ في الوَظائِفِ الشَّرعِيَّةِ مِمّا تَقَرَّرَ الشَّرعُ بِعَدَمِ تَعَلُّقِ الخِطابِ بِهِ وتَرْكِ المُؤاخَذَةِ عليهِ فأَحوالُ الأَنبياءِ في تَرْكِ المُؤاخَذَةِ بِهِ و كَوْنِهِ لَيسَ بِمَعصِيَةٍ لَهُمْ معَ أُمَمِهِمْ سَواءٌ ثُمَّ ذلِكَ على نوعَينِ ما طرِيقُهُ البَلاغُ وتَقرِيرُ الشَّرعِ وتَعَلُّقُ الأَحكامِ وتَعلِيمُ الأُمة بالفِعلِ وأخذُهُمْ باتِّباعِهِ فيهِ وما هُوَ خارِجٌ عنْ هذا مِمَّا يَختَصُّ بنَفسِهِ أمّا الأَوَّلُ فحُكمُهُ عِندَ جَماعةٍ مِنَ العُلَماءِ حُكمُ السَّهوِ في القَوْلِ في هذا البابِ وقدْ ذَكَرْنا الإتِّفاقَ على امتِناعِ ذلِكَ في حَقِّ النبي صلى الله عليه وسلم وعِصمَتِهِ منْ جوازِهِ عليهِ قَصداً أوْ سَهوَاً فكَذلِكَ قالوا الأَفعالُ في هذا البابِ لايَجُوزُ طُرُوُّ المُخالَفَةِ فِيها لاعمْداً ولا سَهوًا لِأَنَّها بِمَعنَي القَوْلِ مِنْ جِهَةِ التَّبلِيغِ والأَداءِ وطُرُوُّ هذهِ العَوارِضِ عليها يوجِبُ التَّشكِيكَ

ويُسَبّبُ المَطاعِنَ واعتَذَرُوا عَنْ أحادِيثِ السَّهْوِ بِتَوْجِيهاتٍ نَذْكُرُها بَعْدَ هٰذا والِيَ هٰذا مالَ أبو إسْحٰقَ وذَهَبَ الأكْثَرُ مِنَ الفُقَهاءِ والمُتَكَلِّمِينَ الي أنّ المُخالَفَةَ في الأفْعالِ البَلاغِيَّةِ والأحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ سَهْوًا وعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ منهُ جائِزٌ عليهِ كما تَقَرَّرَ مِنْ أحادِيثِ السَّهْوِ في الصَّلاةِ وفَرَّقُوا بَيْنَ ذلك وبَيْنَ الأقْوالِ البَلاغِيَّةِ لِقِيامِ المُعْجِزَةِ علي الصِّدْقِ في القَوْلِ ومُخالَفَةُ ذلك تُناقِضُها وأمّا السَّهْوُ في الأفْعالِ فَغَيْرُ مُناقِضٍ لَها ولا قادِحٍ في النُّبُوَّةِ بَلْ غَلَطاتُ الفِعْلِ وغَفَلاتُ القَلْبِ مِنْ سِماتِ البَشَرِ كما قالَ صلى اللهُ عليه وسلم انَّما أنا بَشَرٌ أنْسَي كما تَنْسَوْنَ فاذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي نَعَمْ بَلْ حالَةُ النِّسْيانِ والسَّهْوِ هُنا في حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم سَبَبُ إفادَةِ عِلْمٍ وتَقْرِيرِ شَرْعٍ كما قالَ صلى الله عليه وسلم إنّي لَأنْسَي أوْ أُنَسَّي لِأسُنَّ بلْ قد رُوِيَ لَسْتُ أنْسى ولٰكِنْ أُنَسَّى لِأسُنَّ وهٰذه الحالَةُ زِيادَةٌ لهُ في التَّبْلِيغِ وتَمامٌ عليه في النِّعْمَةِ بَعِيدَةٌ عَنْ سِماتِ النَّقْصِ وأغْراضِ الطَّعْنِ فانّ القائِلِينَ بِتَجْوِيزِ ذلك يَشْتَرِطُونَ أنّ الرُّسُلَ لا تُقَرُّ على السَّهْوِ والغَلَطِ بَلْ يُنَبَّهُونَ عليه ويَعْرِفُونَ حُكْمَهُ بالفَوْرِ على قَوْلِ بَعْضِهِمْ وهوَ الصَّحِيحُ وقَبْلَ انْقِراضِهِمْ على قَوْلِ الآخَرِينَ وأمّا ما ليسَ طَرِيقُه البَلاغَ ولا بَيانَ الأحْكامِ مِنْ أفْعالِه صلى اللهُ عليه وسلم وما يَخْتَصُّ به مِنْ أُمُورِ دِينِه وأذْكارِ قَلْبِه مِمّا لم يَفْعَلْهُ لِيُتَّبَعَ فيه فالأكْثَرُ مِنْ طَبَقاتِ عُلَماءِ الأُمَّةِ على جَوازِ السَّهْوِ والغَلَطِ عليه فيها ولُحُوقِ الفَتَراتِ والغَفَلاتِ بِقَلْبِه وذلكَ بِما كُلِّفَهُ مِنْ مُقاساةِ الخَلْقِ وسِياساتِ الأُمَّةِ ومُعاناةِ الأهْلِ ومُلاحَظَةِ الأعْداءِ ولٰكِنْ ليسَ على سَبِيلِ التَّكْرارِ ولا الاتِّصالِ بَلْ على سَبِيلِ النُّدُورِ كما قالَ صلى

الله عليه وسلم إِنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وليسَ في هذا شيءٌ يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِ ويُناقِضُ مُعْجِزَتَهُ وذَهَبَتْ طائِفَةٌ الي مَنْعِ السَّهْوِ والنِّسْيانِ والغَفَلاتِ والفَتَراتِ في حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم جُمْلَةً وهوَ مَذْهَبُ جَماعَةِ المُتَصَوِّفَةِ وأصْحابِ عِلْمِ القُلوبِ والمَقاماتِ ولَهُمْ في هذه الأَحادِيثِ مَذاهِبُ نَذْكُرُها بعْدَ هذا انْ شاءَ اللهُ

فصل في الكلام على الاحاديثِ المذكورِ فيها السهوُ منه (صلي اللهُ عليه وسلم)

وقد قدَّمْنا في الفُصُولِ قبلَ هذا ما يَجُوزُ فيه عليه السَّهْوُ صلى الله عليه وسلم وما يَمْتَنِعُ وأحَلْناهُ في الأخبارِ جُمْلَةً وفي الأَقْوالِ الدِّينِيَّةِ قَطْعًا وأجَزْنا وُقُوعَهُ في الأَفْعالِ الدِّينِيَّةِ علي الوَجْهِ الذِي رَتَّبْناهُ وأشَرْنا الى ما وَرَدَ في ذلك ونحْنُ نَبْسُطُ القَوْلَ فيه والصَّحِيحُ مِنَ الأَحاديثِ الوارِدَةِ فى سَهْوِهِ صلى الله عليه وسلم في الصَّلاةِ ثَلاثَةُ أحاديثَ أوَّلُها حديثُ ذِى اليَدَيْنِ في السَّلامِ مِنَ اثْنَتَيْنِ الثَّانِي حديثُ ابنِ بُحَيْنَةَ في القِيامِ مِنَ اثْنَتَيْنِ الثَّالثُ حديثُ ابنِ مَسْعُودٍ رضىَ الله عنهُ أنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم صَلَّي الظُّهْرَ خَمْساً وهذِهِ الأَحاديثُ مَبْنِيَّةٌ على السَّهْوِ في الفِعْلِ الذى قَرَّرْناهُ وحِكْمَةُ اللهِ فيه لِيُسْتَنَّ به إِذِ البَلاغُ بالفِعْلِ أجْلى منهُ بالقَوْلِ وأرْفَعُ لِلاحْتِمالِ وشَرْطُهُ أنَّهُ لا يُقَرُّ على السَّهْوِ بَلْ يَشْعَرُ به لِيَرْتَفِعَ الالْتِباسُ وتَظْهَرَ فائِدَةُ الحِكْمَةِ كما قَدَّمْناهُ وأنَّ النِّسْيانَ والسَّهْوَ في الفِعْلِ في حَقِّهِ صلى اللهُ عليه وسلم غَيْرُ مُضادٍّ لِلْمُعْجِزَةِ ولا قادِحٍ في التَّصْدِيقِ وقد قالَ صلى اللهُ عليه وسلم انَّما أنا بَشَرٌ أنْسى كما

تَنْسَوْنَ فاذا نَسِيتُ فذَكِّرُونِي وقالَ رَحِمَ اللهُ فلاناً لقدْ أذْكَرَنِي كذا وكذا آيَةً كُنْتُ أسقطتُهُنَّ ويُرْوَي أُنسيتهُنَّ وقالَ صلى الله عليهِ وسلم اني لَأنسَي أوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ قِيلَ هذا اللفظ شَكٌّ منَ الرَّاوِي وقدْ رُوِيَ انّي لاأنسَي ولكنْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ وذَهَبَ ابنُ نافِع وعيسَى بنُ دِينارٍ أنَّهُ لَيْسَ بِشَكٍّ وأنّ معناهُ التَّقسِيمُ أيْ أنسَى أنا أوْ يُنْسِينِي اللهُ قالَ القاضِي أبو الوَليدِ الباجيُّ يحتَمِلُ ماقالاهُ أنْ يُرِيدَ أنّي أنْسي في اليَقظَةِ وأُنَسَّي في النَّوْمِ أوْ أنْسى على سَبِيل عادَةِ البَشَرِ منَ الذُّهُولِ عنِ الشَّيْءِ والسَّهْوِ أوْ أُنَسَّى مَعَ اقبالِي علَيْهِ وتفرُّغِي لهُ فاضافَ أحدَ النِّسيانَيْنِ الي نفسِهِ اذْ كانَ لهُ بَعْضُ السَّبَبِ فيهِ ونَفْيِ الآخَرَ عنْ نَفْسِهِ اذْ هُوَ فِيهِ كالمُضْطَرّ وذَهَبَتْ طائِفَةٌ مِنْ أصْحابِ المعانِي والكَلامِ على الحدِيثِ الي أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يَسْهُو في الصَّلاةِ ولا يَنْسَى لِأَنَّ النِّسيانَ ذُهُولٌ وغَفْلَةٌ وآفَةٌ قال والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ عَنْها والسَّهْوُ شغلٌ فَكانَ صلي اللهُ عليهِ وسلم يَسْهُو في صلاتِهِ ويُشْغِلُهُ عنْ حرَكاتِ الصَّلاةِ مافي الصَّلاةِ شُغْلاً بِها لاغَفْلَةً عَنْها واحْتَجَّ بِقَوْلِهِ في الرِّوايَةِ الأُخْرَى انّي لاأنْسي وذَهَبَتْ طائِفَةٌ الي مَنْعِ هٰذا كُلِّهِ عَنْهُ وقالوا انَّ سَهْوَهُ عليهِ السَّلامُ كانَ عَمْدًا وقَصْدًا لِيَسُنَّ وهذا قولٌ مَرْغُوبٌ عنهُ مُتَناقِضُ المَقاصِدِ لايَحْلَى منهُ بطائِلٍ لأنّهُ كيْفَ يَكُونُ مُتَعَمِّدًا ساهِياً في حالٍ ولا حُجَّةَ لَهُمْ في قَوْلِهِمْ انَّهُ أُمِرَ بتعمُّدِ صُورَةِ النِّسْيانِ لِيَسُنَّ لِقَوْلِهِ انّي لَأنْسَى أوْ أُنَسَّى وَقَدْ أثْبَتَ أحَدَ الوَصْفَيْنِ وَنَفَي مُناقضَةَ التَّعَمُّدِ والقَصْدِ وقالَ انَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أنسَى كما تَنْسَوْنَ وقدْ مالَ الى هٰذا عَظِيمٌ مِنَ المُحقِّقِينَ مِنْ أئِمَّتِنا وَهوَ

أبو المُظَفَّرِ الإسفرائِني ولم يرتضهِ غيرُهُ منهُمْ ولا أرتضيه ولا حُجّة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا أنسى ولكن أُنسّي اذ ليس فيه نفيُ حُكمِ النّسيان بالجملة وانما فيه نفيُ لفظهِ وكراهةُ لقبهِ كقولهِ بئسما لأحدِكُم أن يقولَ نسيتُ آيةَ كذا ولكنهُ نُسّيَ أو نفيُ الغفلةِ وقلةِ الاهتمامِ بأمرِ الصلاةِ عن قلبهِ لكن شغلَ بها عنها ونَسِيَ بعضها ببعضها كما تركَ الصلاةَ يومَ الخندقِ حتّى خرجَ وقتها وشُغِلَ بالتحرّزِ من العدوّ عنها فشُغِلَ بطاعةٍ عن طاعةٍ وقيلَ انّ الذي تركَ يومَ الخندقِ أربعُ صلواتِ الظُّهرُ والعصرُ والمغربُ والعشاء وبهِ احتجَّ من ذهبَ الي جوازِ تأخيرِ الصلاةِ في الخوفِ اذا لم يتمكّنْ من أدائها الي وقتِ الأمنِ وهوَ مذهبُ الشاميّين والصحيحُ أنّ حُكمَ صلاةِ الخوفِ كانَ بعدَ هذا فهوَ ناسخٌ لهُ فإنْ قلتَ فما تقولُ في نومهِ صلى الله عليه وسلم عن الصلاةِ يومَ الوادي وقد قالَ إنَّ عينيَّ تنامانِ ولا ينامُ قلبي فاعلمْ أنّ للعلماءِ عن ذلكَ أجوبةً منها أنّ المرادَ بأنّ هذا حُكمُ قلبهِ عندَ نومهِ وعينيهِ في غالبِ الأوقاتِ وقد يندرُ منهُ غيرُ ذلكَ كما يندرُ من غيرهِ خلافُ عادتهِ ويُصحّحُ هذا التأويلَ قولُهُ صلى الله عليه وسلم في الحديثِ نفسهِ انّ اللهَ قبضَ أرواحنا وقولُ بلالٍ فيهِ ما أُلقيتْ عليَّ نومةٌ مثلها قطُّ ولكن مثلُ هذا انما يكونُ منهُ لأمرٍ يُريدهُ اللهُ من اثباتِ حُكمٍ وتأسيسِ سُنّةٍ واظهارِ شرعٍ وكما قالَ في الحديثِ الآخرِ لو شاء اللهُ لأيقظنا ولكن أرادَ أنْ يكونَ لمن بعدكُم الثاني أنّ قلبهُ لا يستغرقهُ النومُ حتّي يكونَ منهُ الحدثُ فيهِ لما رُوِيَ أنهُ كانَ محروساً وأنهُ كانَ ينامُ حتّى ينفخَ وحتّي

يَسْمَعُ غطيطَهُ ثُمَّ يُصَلِّي وَلا يَتَوَضَّأُ وَحَدِيثُ ابنِ عبَّاسٍ المَذْكُورُ فيهِ وُضُوءُهُ عِنْدَ قيامِهِ مِنَ النَّوْمِ فيهِ نَوْمُهُ مَعَ أَهْلِهِ فَلا يُمْكِنُ الِاحْتِجاجُ بِهِ علي وُضُوئِهِ بِمُجَرَّدِ النَّوْمِ اذ لعَلَّ ذلِكَ لِمُلامَسَةِ الأَهْلِ أَوْ لِحَدَثٍ آخَرَ فَكَيْفَ وَفي آخرِ الحَدِيثِ نَفْسِهِ ثُمَّ نامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى ولَمْ يَتَوَضَّأْ وقيلَ لا يَنامُ قَلْبُهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُوحي اليْهِ في النَّوْمِ وَلَيْسَ في قِصَّةِ الوَادِي الّا نَوْمُ عَيْنَيْهِ عَنْ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ ولَيْسَ هذا مِنْ فِعْلِ القَلْبِ وقَدْ قالَ صلي اللهُ عليه وسلم انَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنا ولَوْ شاء لَرَدَّها الَينا في حِينٍ غَيْرِ هٰذا فإِنْ قِيلَ فلَوْلا عادَتُهُ مِنَ اسْتِغْرَاقِ النَّوْمِ لَما قالَ لِبِلالٍ اكْلَأْ لَنا الصُّبْحَ قِيلَ في الجَوَابِ انَّهُ كانَ مِنْ شَأْنِهِ صلى الله عليه وسلم التَّغْلِيسُ بالصُّبْحِ وَمُرَاعاةُ أَوَّلِ الفَجْرِ لا تَصِحُّ مِمَّنْ نامَتْ عَيْنُهُ اذْ هُوَ ظاهِرٌ يُدْرَكُ بالجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ فَوَكَّلَ بِلالاً بِمُرَاعاةِ أَوَّلِهِ لِيُعْلِمَهُ بذلِكَ كما لوْ شُغِلَ بِشُغْلٍ غَيْرِ النَّوْمِ عَنْ مُرَاعاتِهِ فإِنْ قِيلَ فَما مَعْنَي نَهْيِهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَنِ القَوْلِ نَسِيتُ وَقَدْ قالَ صلى الله عليه وسلم انِّي أُنْسي كما تَنْسَوْنَ فإِذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي وقالَ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذا وَكَذا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُها فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللهُ أَنَّهُ لا تَعارُضَ في هٰذِهِ الأَلْفاظِ أَمَّا نَهْيُهُ عَنْ أَنْ يُقالَ نَسِيتُ آيَةَ كَذا فَمَحْمُولٌ على ما نُسِخَ نَقْلُهُ مِنَ القُرْآنِ أيْ أَنَّ الغَفْلَةَ في هٰذا لَمْ تَكُنْ مِنْهُ ولٰكِنِ اللهُ تعالي اضْطَرَّهُ الَيْها لِيَمْحُوَ ما يَشاء وَيُثْبِتَ وما كانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ مِنْ قِبَلِهِ تَذَكَّرَها صَلُحَ أَنْ يُقالَ فيهِ أُنْسِي وَقَدْ قِيلَ انَّ هٰذا مِنْهُ صلى الله عليه وسلم على طَرِيقِ الِاسْتِحْبابِ أَنْ يُضِيفَ الفِعْلَ الي خالِقِهِ وَالآخَرَ على طَرِيقِ الجَوَازِ

لِا كْتِساب العَبْدِ فِيهِ واسقاطُهُ صلى الله عليه وسلم لِما أسقَطَ مِنْ هذِهِ الآيَاتِ جائِز عَلَيْهِ بَعْدَ بَلاغِ ما أُمِرَ بِبَلاغِهِ وتَوْصيلهِ الي عبادِهِ ثُمَّ يَسْتَذْكِرُها مِنْ أُمَّتِهِ أوْ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ الّا ما قَضَى اللهُ نَسْخَهُ وَمَحْوَهُ مِنَ القُلُوبِ وَتَرْكَ اسْتِذْكارِهِ وقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَنْسي النّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ما هٰذا سَبِيلُهُ كَرَّةً وَيَجُوزُ أنْ يُنَسِيَهُ مِنْهُ قَبْلَ البَلاغِ مالا يُغَيِّرُ نَظْماً وَلا يُخَلِّطُ حُكْماً مِمّا لا يدخِلُ خَلَلاً في الخَبَرِ ثُمَّ يُذَكِّرُهُ اياهُ وَيَسْتَحِيلُ دَوامُ نِسْيانِهِ لَهُ لِحِفْظِ اللهِ كِتابَهُ وَتَكْلِيفِهِ بلاغَهُ

فصل

(في الرّدِّ على مَنْ أجازَ عليْهِمُ الصَّغائِرَ والكَلامِ على ما احتَجُّوا بِهِ في ذَلِكَ)

اعلَمْ أنّ المُجَوِّزِينَ لِلصَّغائِرِ على الأَنبياءِ مِنَ الفُقَهاءِ والمُحَدِّثِينَ ومَنْ شايَعَهُمْ على ذلِكَ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ احتَجُّوا على ذلِكَ بِظَواهِرَ كَثِيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ والحَدِيثِ انِ التَزَمُوا ظَواهِرَها أفضَتْ بِهِمْ الي تَجْوِيزِ الكَبائِرِ وخَرْقِ الإِجْماعِ ومالا يَقُولُ بِهِ مُسْلِمٌ فَكَيْفَ وَكُلُّ ما احتَجُّوا بِهِ مِمّا اختَلَفَ المُفَسِّرُونَ في معناهُ وتقابَلَتِ الاحتِمالاتُ في مُقْتَضاهُ وجاءَتْ أقاوِيلُ فِيها لِلسَّلَفِ بِخِلافِ ماالتَزَمُوهُ مِنْ ذَلِكَ فاذا لَمْ يَكُنْ مَذهبُهُمْ اجْماعاً وكانَ الخِلافُ فِيما احتَجُّوا بهِ قَديماً وقامَتِ الدّلالَةُ على خَطَأِ قولِهِمْ وصِحّةِ غيرِهِ وجَبَ تَرْكُهُ والمصيرُ الى ماصَحَّ وها نَحْنُ نأْخُذُ في النَّظَرِ فيها ان شاء اللهُ فَمِنْ ذلِكَ قولُهُ تَعالي لِنَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ

وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء الآية وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وما ذكره من قصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب الي قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت وماأسررت وماأعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الي ما أشبه هذه الظواهر فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع

لكَ مِنْ ذَنْبٍ وما لمْ يقعْ أعلَمَهُ أنهُ مغفورٌ لهُ وَقِيلَ المُتقَدِّمُ ما كانَ
قَبْلَ النُّبُوَّةِ والمُتأَخِّرُ عِصمَتُكَ بَعْدَها حكاهُ أحمَدُ بنُ نَصْرٍ وَقِيلَ المُرادُ
بِذٰلِكَ أُمَّتُهُ صلى اللهُ عليه وسلم وقِيلَ المُرادُ ما كانَ عَنْ سَهْوٍ وغَفْلَةٍ
وتأوِيلٍ حَكاهُ الطَّبَرِيُّ واختارَهُ القُشَيْرِيُّ وقِيلَ ماتقَدَّمَ لِأَبِيكَ آدَمَ
وما تأَخَّرَ من ذُنُوبِ أُمَّتِكَ حَكاهُ السَّمَرْقَندِيُّ والسُّلَمِيُّ عنِ ابنِ عطاء
وبِمِثْلِهِ والَّذِي قَبْلَهُ يتأَوَّلُ قولُهُ واستَغفِرْ لذَنْبِكَ ولِلمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ
قالَ مَكِّيٌّ مُخاطَبَةُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم هٰهُنا هِيَ مُخاطَبَةٌ لِأُمَّتِهِ وقِيلَ
انَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا أُمِرَ أنْ يقولَ وما أدرِي مايُفْعَلُ بِي
وَلا بِكُمْ سُرَّ بذٰلِكَ الكُفَّارُ فأنزَلَ اللهُ تعالى لِيَغفِرَ لكَ اللهُ ما تقَدَّمَ مِنْ
ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ الآيَةَ وَبِمآلِ المُؤْمِنِينَ في الآيَةِ الأُخرَى بَعْدَها قالَهُ ابنُ
عبَّاسٍ فمَقصِدُ الآيَةِ أنَّكَ مغفورٌ لكَ غيرُ مُؤاخَذٍ بِذَنْبٍ أنْ لَوْ كانَ قالَ
بَعضُهُمُ المَغفِرَةُ هٰهُنا تبرِئَةٌ مِنَ العُيُوبِ وأمَّا قولُهُ ووَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ
الَّذِي أنقَضَ ظَهْرَكَ فقِيلَ ماسلَفَ منْ ذَنْبِكَ قبلَ النُّبُوَّةِ وهُوَ قولُ ابنِ
زَيْدٍ والحَسَنِ ومَعْنَى قولِ قتادَةَ وقِيلَ معناهُ أنَّهُ حُفِظَ قبلَ نُبُوَّتِهِ مِنْها
وعُصِمَ ولَوْلا ذٰلِكَ لأَثقَلَتْ ظهرَهُ حَكِي معناهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وقِيلَ المُرادُ
بِذٰلِكَ ما أثقَلَ ظهرَهُ منْ أعباءِ الرِّسالةِ حَتَّي بلَّغَها حَكاهُ الماوَرْدِيُّ
والسُّلَمِيُّ وقِيلَ حطَطْنا عنكَ ثِقَلَ أيَّامِ الجاهِلِيَّةِ حَكاهُ مَكِّيٌّ وقِيلَ ثِقَلَ
شُغْلِ سِرِّكَ وحَيْرَتِكَ وطَلَبِ شَرِيعَتِكَ حَتَّي شَرَعْنا ذٰلِكَ لكَ حَكي
مَعناهُ القُشَيْرِيُّ وقِيلَ معناهُ خفَّفْنا عليكَ ماحُمِّلْتَ بِحِفْظِنا لما استُحفِظْتَ
وحُفِظَ عليكَ ومعنَى أنقَضَ ظهرَكَ أي كادَ ينقُضُهُ فيكُونُ المَعْنَي على

منْ جَعَلَ ذلِكَ لِما قبْلَ النبُوَّةِ اهتِمامُ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بأُمُورٍ فعلَها قبلَ نبُوَّتِهِ وحرُمتْ عليهِ بعدَ النبُوَّةِ فعدَّها أوْزارًا وثَقُلتْ عليهِ وأشفَقَ مِنها أوْ يكُونُ الوضْعُ عِصمَةَ اللهِ لهُ وكِفايتَهُ مِنْ ذُنوبٍ لوْ كانَتْ لأنقَضَتْ ظَهرَهُ أوْ يكُونُ مِنْ ثِقَلِ الرِّسالةِ أوْ ماثَقُلَ عليهِ وشغَلَ قلبَهُ من أُمُورِ الجاهِلِيّةِ واعلامِ اللهِ تعالي لهُ بحِفظِ مااستَحفَظَهُ من وَحيِهِ وأمّا قوْلُهُ عفا اللهُ عنكَ لِمَ أذِنتَ لهُمْ فأمرٌ لمْ يتقدَّمْ لِلنبِيّ صلى اللهُ عليه وسلم فيهِ مِنَ اللهِ تعالي نَهيٌ فيُعدَّ معْصِيةً ولا عدَّهُ اللهُ تعالي عليهِ معصيةً بلْ لمْ يعدَّهُ أهلُ العِلْمِ مُعاتبَةً وغلَّطُوا مَنْ ذهَبَ الي ذلِكَ قالَ نِفطَويْهِ وقدْحاشاهُ اللهُ تعالي منْ ذلِكَ بلْ كانَ مُخيَّرًا في أمرَيْنِ قالوا وقدْ كانَ لهُ أنْ يفعَلَ ماشاء فيما لمْ يُنزَلْ عليهِ فيهِ وحيٌ فكيفَ وقدْ قالَ اللهُ تعالي فأْذَنْ لِمَنْ شِئتَ مِنهُمْ فلمّا أذِنَ لهُمْ أعلَمَهُ اللهُ بِما لمْ يطّلِعْ عليْهِ من سِرِّهِمْ أنَّهُ لوْ لمْ يأذَنْ لهُمْ لقعَدُوا وأنّهُ لاحَرَجَ عليْهِ فيما فعَلَ وليسَ عفا هٰهُنا بِمعْنى غفَرَ بلْ كما قالَ النبيُّ صلي الله عليه وسلم عفا اللهُ لكُمْ عنْ صدقَةِ الخيْلِ والرَّقيقِ ولم تَجِبْ عليهِمْ قطُّ أيْ لم يُلزِمْكُمْ ذلكَ ونحوُهُ لِلقُشَيْرِيّ قالَ وإنّما يقولُ العفْوُ لايكُونُ الّا عنْ ذنْبٍ منْ لم يعرِفْ كلامَ العرَبِ قالَ ومعْنى عفا اللهُ عنكَ أيْ لم يُلزِمْكَ ذنبًا قالَ الدّاوُدِيُّ رُوِيَ أنّها كانتْ تكرِمَةً قالَ مكِّيٌّ هوَ استِفتاحُ كلامٍ مِثلُ أصلَحَكَ اللهُ وأعزَّكَ وحكى السَّمرقَنديُّ أنَّ معْناهُ عافاكَ اللهُ وأمّا قوْلُهُ في أُسارى بدْرٍ ما كانَ لِنبِيٍّ أنْ يكُونَ لهُ أسْرى الآيتيْنِ فليسَ فيهِ إلزامُ ذنْبٍ لِلنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بلْ فيهِ بيانُ ماخُصَّ بهِ وفُضِّلَ مِنْ بيْنِ سائِرِ الأنبياءِ فكأنّهُ قالَ ما كانَ هٰذا لِنبِيٍّ

غَيرِكَ كما قالَ صلى الله عليه وسلم أُحِلَّتْ لِيَ الغنائمُ ولم تحِلَّ لِنبيٍّ قَبلِي فانْ قِيلَ فَما معْني قولِه تعالى تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا الآيَةَ قِيلَ المَعْني الخِطابُ لِمَنْ أرادَ ذلكَ منهمْ وتجرَّدَ غرَضُهُ لِغرَضِ الدُّنيا وَحدَهُ والاِستِكثارِ منها وليسَ المُرادُ بِهذا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولاَ عِلْيَةَ أصْحابِهِ بَلْ قد رُوِيَ عنِ الضَّحَّاكِ أنَّها نزَلتْ حِينَ انهزَمَ المُشْرِكونَ يومَ بَدْرٍ واشتَغَلَ النَّاسُ بالسَّلَبِ وجَمْعِ الغنائمِ عنِ القِتالِ حتَّى خَشِيَ عُمَرُ أنْ يَعْطِفَ عليهمُ العَدُوُّ ثمَّ قالَ تعالي لوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سبَقَ فاختَلَفَ المُفَسِّرونَ في معْني الآيَةِ فقِيلَ معْناها لوْلا أنَّهُ سبَقَ مِنِّي أنْ لا أُعَذِّبَ أحدًا الّا بَعدَ النَّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ فهذا يَنْفِي أنْ يكونَ أمرُ الأسْرٰى معْصِيَةً وقِيلَ المَعْني لوْلا إيمانُكُمْ بالقُرْآنِ وهوَ الكِتابُ السَّابِقُ فاستَوْجَبْتُمْ به الصَّفحَ لَعُوقِبْتُمْ على الغنائمِ ويُزادُ هذا القوْلُ تفْسِيرًا وبَيانًا بأنْ يُقالَ لوْلا ما كُنْتُمْ مؤْمِنِينَ بالقُرْآنِ و كُنْتُمْ مِمَّنْ أُحِلَّتْ لَهُمُ الغنائمُ لَعُوقِبْتُمْ كما عُوقِبَ مَنْ تَعَدّٰى وقِيلَ لوْلا أنَّهُ سبَقَ في اللَّوْحِ المَحفوظِ أنَّها حلالٌ لَكُمْ لَعُوقِبْتُمْ فهٰذا كلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ والمَعْصِيَةَ لِأنَّ مَنْ فعَلَ ما أُحِلَّ لهُ لم يَعْصِ قال اللهُ تعالي فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حلالاً طَيِّباً وقِيلَ بَلْ كانَ صلى الله عليه وسلم قد خُيِّرَ في ذلكَ وقد رُوِيَ عنْ عَلِيٍّ رضيَ الله عنه قالَ جاءَ جِبْرِيلُ عليه السلامُ الى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يوْمَ بَدْرٍ فقالَ خَيِّرْ أصْحابَكَ في الأُسارٰى إنْ شاؤُا القتْلَ وانْ شاؤُا الفِداءَ على أنْ يُقْتَلَ منهُمْ في العامِ المُقْبِلِ مِثْلُهُمْ فقالوا الفِداءَ ويُقْتَلُ مِنَّا وهٰذا دَلِيلٌ على صِحَّةِ ما قُلْناهُ وأنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا الّا ما أُذِنَ لَهُمْ فِيه لٰكِنْ بَعضُهُمْ مالَ الي أضْعَفِ الوَجْهَيْنِ مِمَّا

كانَ الأَصْلَحُ غَيْرَهُ مِنَ الإِثْخانِ والقَتْلِ فَعُوتِبُوا على ذلكَ وبُيِّنَ لَهُمْ ضَعْفُ اختيارِهِمْ وتَصْوِيبُ اختيارِ غَيْرِهِمْ وكُلُّهُمْ غَيْرُ عُصاةٍ ولا مُذْنِبِينَ والى نحوِ هٰذا أشارَ الطَّبَرِيُّ وقولُهُ صلى اللهُ عليه وسلم في هٰذِه القَضِيَّةِ لَوْ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ عَذابٌ ما نَجا منهُ الّا عُمَرُ إشارَةً الي هٰذا مِنْ تَصْوِيبِ رَأْيِهِ ورَأْيِ مَنْ أخَذَ بِمَأْخَذِهِ في إعْزازِ الدِّينِ وإِظْهارِ كَلِمَتِهِ وإِبادَةِ عَدُوِّهِ وأَنَّ هٰذِه القَضِيَّةَ لَوِ اسْتَوْجَبَتْ عَذاباً نَجا منهُ عُمَرُ ومِثْلُهُ وعَيَّنَ عُمَرَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أشارَ بِقَتْلِهِمْ ولٰكِنِ اللهُ لم يُقَدِّرْ عليهِمْ في ذلكَ عَذاباً لِحِلِّهِ لَهُمْ فِيما سَبَقَ وقالَ الدَّاوُدِيُّ والخَبَرُ بِهٰذا لا يَثْبُتُ ولوْ ثَبَتَ لَما جازَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم حَكَمَ بِما لا نَصَّ فيه ولا دَلِيلَ مِنْ نَصٍّ ولا جُعِلَ الأَمْرُ فيه اليه وقد نَزَّهَهُ اللهُ تعالي عنْ ذلكَ وقالَ القاضى بَكْرُ بنُ العَلاءِ أَخْبَرَ اللهُ تعالي نَبِيَّهُ في هٰذِه الآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وافَقَ ما كَتَبَهُ لهُ مِنْ إِحْلالِ الغَنائِمِ والفِداءِ وقد كانَ قَبْلَ هٰذا فادَوْا في سَرِيَّةِ عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ الَّتِي قُتِلَ فِيها ابنُ الحَضْرَمِيِّ بالحَكَمِ بنِ كَيْسانَ وصاحِبِهِ فَما عَتَبَ اللهُ ذلكَ عليهِمْ وذلكَ قَبْلَ بَدْرٍ بأَزْيَدَ مِنْ عامٍ فَهٰذا كُلُّهُ يَدُلُّ على أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم في شَأْنِ الأَسْرى كانَ على تَأْوِيلٍ وبَصِيرَةٍ وعلى ما تَقَدَّمَ قَبْلُ مِثْلُهُ فَلَمْ يُنْكِرْهُ اللهُ تعالي عليهِمْ لٰكِنِ اللهُ تعالى أرادَ لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرٍ وكَثْرَةِ أَسْراها واللهُ أَعْلَمُ إِظْهارَ نِعْمَتِهِ وتَأْكِيدَ مِنَّتِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ ما كَتَبَهُ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذلكَ لَهُمْ لا على وَجْهِ عِتابٍ وإِنْكارٍ وتَذْنِيبٍ هٰذا مَعْنى كلامِه وأَمَّا قَوْلُهُ عَبَسَ وتَوَلّي الآياتِ فليسَ فيه إِثْباتُ ذَنْبٍ لهُ صلى اللهُ عليه وسلم بَلْ

إعلامُ الله أنّ ذلك المُتصدّى له مِمّنْ لا يتزكّى وأنّ الصوابَ والأوْلَي كانَ لوْ كُشِفَ لك حالُ الرّجُلَيْنِ الإقبالُ على الأعْمَي وفِعْلُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لِما فعلَ وتصدّيهِ لذاكَ الكافِرِ كانَ طاعةً لِلهِ وتبليغاً عنهُ واستِئلافاً لهُ كما شَرَعَهُ اللهُ لهُ لا معْصيةً ومُخالَفةً لهُ وما قصّهُ اللهُ عليه منْ ذلك إعلامٌ بحالِ الرّجُلَيْنِ وتوْهِينِ أمْرِ الكافِرِ عندَهُ والإشارةِ الى الإعْراضِ عنهُ بقوْلِه وما عليكَ ألّا يزّكّى وقيلَ أرادَ بِعَبَسَ وتوَلّي الكافِرَ الذي كانَ مَعَ النّبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَهُ أبو تمّامٍ *وأمّا قِصّةُ آدمَ عليه السلامُ وقوْلُهُ تعالي فأكَلا منها بَعدَ قوْلِه ولا تقْرَبا هذِهِ الشّجَرَةَ فتَكُونا مِنَ الظّالِمينَ وقوْلُهُ ألَمْ أنْهَكُما عنْ تِلْكُما الشّجرَةِ وتصْريحُهُ تعالَي عليه بالمَعْصيةِ بقوْلِهِ تعالي وعَصي آدمُ ربّهُ فغوَي أيْ جَهِلَ وقيلَ أخْطأَ فانّ اللهَ تعالي قد أخْبَرَ بِعُذْرِهِ بقوْلِه ولقد عَهِدْنا الي آدمَ مِنْ قَبْلُ فنَسِيَ ولَمْ نجِدْ له عزْماً قالَ ابنُ زَيدٍ نَسِيَ عَداوةَ ابليسَ لهُ وما عَهِدَ اللهُ اليه مِنْ ذلِك بقوْلِه إنّ هذا عَدُوٌّ لك ولِزَوْجِكَ الآيةَ قيلَ نَسِيَ ذلك بِما أظْهَرَ لَهُما وقالَ ابنُ عبّاسٍ انّما سُمّيَ الإنْسانُ انساناً لِأنّهُ عُهِدَ اليه فنَسِيَ وقيلَ لمْ يقْصِدِ المُخالَفَةَ استِحْلالاً لَها ولٰكِنّهُما اغْترّا بِحَلِفِ ابليسَ لَهُما انّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ وتوَهّما أنّ أحَدًا لا يَحْلِفُ باللهِ حانِثاً وقد رُوِيَ عُذْرُ آدمَ بِمِثْلِ هذا في بعضِ الآثارِ وقال ابنُ جُبَيرٍ حلَفَ باللهِ لَهما حتّي غرّهُما والمُؤْمنُ يُخْدَعُ وقد قِيلَ نَسِيَ ولمْ ينْوِ المُخالَفَةَ فلِذلك قالَ ولمْ نجِدْ لهُ عزْماً أيْ قصْدًا لِلْمُخالَفَةِ وأكْثَرُ المُفَسّرِينَ علي أنّ العزْمَ هُنا الحزْمُ والصّبْرُ وقيلَ كانَ عندَ أكْلِه سَكْرانَ وهذا فيه ضعْفٌ لِأنّ اللهَ تعالي وَصفَ خمْرَ الجنّةِ

أنها لا تُنكر فاذا كانَ ناسياً لمْ تكُنْ معصيةً وكذلك ان كانَ مُلبّساً عليه غالِطاً اذِ الإتّفاقُ على خرُوجِ النّاسِي والسّاهِي عنْ حُكمِ التّكليفِ وقالَ الشّيخُ أبو بكرِ بنُ فُورَكٍ وغيرُهُ انهُ يمْكِنُ أنْ يكونَ ذلك قبلَ النُّبوَّةِ ودَليلُ ذلك قولُهُ وعصَى آدَمُ رَبّهُ فغوَى ثمّ اجتَباهُ رَبُّهُ فتابَ عليهِ وهدَى فذَكَرَ أنّ الاجتِباءَ والهِدايَةَ كانا بعدَ العصيانِ وقيلَ بلْ أكلَها مُتأوّلاً وهوَ لا يَعلَمُ أنّها الشّجرَةُ الّتي نُهِيَ عنها لِأنّهُ تأوّلَ نَهيَ اللهِ عَنْ شَجَرَةٍ مَخصوصةٍ لاعلى الجنْسِ ولهذا قِيلَ انّما كانَتِ التّوبَةُ مِنْ تَرْكِ التّحفّظِ لامِنَ المُخالفَةِ وقيلَ تأوّلَ أنّ اللهَ لمْ ينهَهُ عنها نَهيَ تحرِيمٍ فانْ قيلَ فعَلى كُلِّ حالٍ فقد قالَ اللهُ تعالي وعصَى آدَمُ رَبّهُ فغوَى وقالَ فتابَ عليه وهدَى وقولُهُ في حديثِ الشّفاعَةِ ويذكُرُ ذنبَهُ وانّي نُهيتُ عنْ أكلِ الشّجرَةِ فعصَيتُ فسيأْتِي الجوابُ عنهُ وعَنْ أشباهِهِ مُجْمَلاً آخرَ الفصْلِ انْ شاءَ اللهُ وأمّا قِصّةُ يُونُسَ فقد مضَى الكلامُ على بَعضِها آنِفًا وليسَ في قِصّةِ يُونُسَ نَصٌّ على ذَنْبٍ وانّما فيها أبَقَ وذَهبَ مُغاضِباً وقد تكلّمْنا عليه وقيلَ انّما نَقِمَ اللهُ عليه خرُوجَهُ عنْ قومِهِ فارًّا منْ نُزُولِ العَذابِ وقِيلَ بَلْ لمّا وعدَهُمُ العذابَ ثُمّ عفا اللهُ عنهُمْ قالَ واللهِ لا ألقاهُمْ بوَجهِ كذّابٍ أبدًا وقيلَ بلْ كانُوا يقتُلُونَ مَنْ كذَبَ فخافَ ذلِكَ وقيلَ ضَعُفَ عنْ حَمْلِ أعباءِ الرّسالَةِ وقَدْ تقَدّمَ الكلامُ أنّهُ لمْ يكذِبْهُمْ وهذا كُلُّهُ لَيْسَ فيهِ نَصٌّ على معَصيَةٍ الّا على قَوْلٍ مَرغُوبٍ عنهُ وقولُهُ أبَقَ الي الفُلْكِ المَشحُونِ قالَ المُفسّرُونَ تباعَدَ وأمّا قولُهُ انّي كُنتُ مِنَ الظّالمِينَ فالظُّلمُ وَضعُ الشّيءِ في غيرِ موْضِعِهِ فهذا اعتِرافٌ مِنْهُ عِنْدَ بَعضِهِمْ بذَنبِهِ فإمّا أنْ يكُونَ لِخُرُوجِهِ عَنْ قَومِهِ بِغَيرِ اذنِ رَبِّهِ أوْ لِضَعفِهِ عمّا حمّلَهُ

أَوْ لِدُعائِهِ بالعَذابِ على قَوْمِهِ وقَد دَعا نُوحٌ بِهَلاكِ قَوْمِهِ فَلَمْ يُؤاخَذْ وقال الواسِطِيُّ في مَعْناهُ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنِ الظُلْمِ وأَضافَ الظُّلْمَ الي نَفْسِهِ اعْتِرافاً واسْتِحْقاقاً ومِثْلُ هذا قَوْلُ آدَمَ وحَوَّاء رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا اذْ كانا السَّبَبَ في وَضْعِهِما في غَيْرِ المَوْضِعِ الَّذِي أُنْزِلا فيهِ واخْراجِهِما مِنَ الجَنَّةِ وانْزالِهِما الي الأَرْضِ * وأمَّا قِصَّةُ داوُدَ عليه السَّلامُ فلا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ الى ما سَطَّرَهُ فيهِ الأَخْبارِيُّونَ عَنْ أَهْلِ الكِتابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا وَنَقَلَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ ولَمْ يَنُصَّ اللهُ علي شَيْءٍ مِنْ ذلِكَ ولا وَرَدَ في حَدِيثٍ صَحِيحٍ والَّذِى نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ الى قَوْلِهِ وحُسْنَ مَآبٍ وقَوْلُهُ فيهِ أَوَّابٌ فَمَعْنى فَتَنَّاهُ اخْتَبَرْناهُ وَأَوَّابٌ قالَ قَتادَةُ مُطِيعٌ وهذا التَّفْسِيرُ أَوْلَي قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وابْنُ مَسْعُودٍ ما زادَ داوُدُ على أَنْ قالَ لِلرَّجُلِ انْزِلْ لِي عَنِ امْرَأَتِكَ واكْفِلْنِيها فَعاتَبَهُ اللهُ على ذلِكَ وَنَبَّهَهُ عليهِ وأَنْكَرَ عليه شُغْلَهُ بالدُّنْيا وهذا الَّذِى يَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّلَ عليه مِنْ أَمْرِهِ وَقِيلَ خَطَبَها على خِطْبَتِهِ وَقِيلَ بَلْ أَحَبَّ بِقَلْبِهِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ وحَكَي السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّ ذَنْبَهُ الَّذِى اسْتَغْفَرَ مِنْهُ قَوْلُهُ لِأَحَدِ الخَصْمَيْنِ لَقَدْ ظَلَمَكَ فَظَلَّمَهُ بِقَوْلِ خَصْمِهِ وقِيلَ بَلْ لِما خَشِيَ على نَفْسِهِ وَظَنَّ مِنَ الفِتْنَةِ بِما بُسِطَ لَهُ مِنَ المُلْكِ والدُّنْيا والى نَفْيِ ما أُضِيفَ في الأَخْبارِ الي داوُدَ ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ وأَبو تَمَّامٍ وغَيْرُهُما مِنَ المُحَقِّقِينَ قالَ الدَّاوُدِيُّ لَيْسَ في قِصَّةِ داوُدَ وأُورِيا خَبَرٌ يَثْبُتُ ولا يُظَنُّ بِنَبِيٍّ مَحَبَّةُ قَتْلِ مُسْلِمٍ وقيلَ انَّ الخَصْمَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَصَما الَيْهِ رَجُلانِ في نِتاجِ غَنَمٍ على ظاهِرِ الآيَةِ * وأَمَّا قِصَّةُ يوسُفَ واخْوَتِهِ فلَيْسَ علي يوسُفَ مِنْها تَعَقُّبٌ وأمّا اخْوَتُهُ فلَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُمْ

فلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون يريد من نبي من أبناء الأسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف مافعلوه صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم وأما قول الله تعالي فيه ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلي مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لايؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والإعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكي أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رآى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالي عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالي وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمها

امتناعُهُ عنها وقيلَ همَّ بها نظَرَ اليها وقيلَ همَّ بضربِها ودفعِها وقيلَ هذا كلُّهُ كانَ قبلَ نبوَّتِهِ وقد ذكرَ بعضُهُم مازالَ النساء يملنَ الي يوسفَ ميلَ شهوةٍ حتّي نبأَهُ اللهُ فالقي عليهِ هيبةَ النبوةِ فشغلتْ هيبتُهُ كلَّ منْ رآهُ عن حُسنِهِ * وأمَّا خبرُ موسَي صلى اللهُ عليه وسلم معَ قتيلِهِ الذي وكزَهُ وقد نصَّ اللهُ تعالي أنَّهُ من عدوِّهِ وقيلَ كانَ منَ القبطِ الذينَ على دينِ فرعَونَ ودليلُ السورةِ في هذا كلِّهِ أنَّهُ قبلَ نبوَّةِ موسَي وقالَ قتادةُ وكزَهُ بالعصا ولمْ يتعمَّدْ قتلَهُ فعلَى هــذا لا معصيةَ في ذلكَ وقولُهُ هذا منْ عَمَلِ الشيطانِ وقولُهُ ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي قالَ ابنُ جُريجٍ قالَ ذلكَ منْ أجلِ أنَّهُ لا ينبغي لنبيٍّ أنْ يقتلَ حتَّي يؤمرَ وقالَ النقَّاشُ لمْ يقتلْهُ عنْ عمدٍ مُريدًا للقتلِ وانَّما وكزَهُ وكزةً يريدُ بها دفعَ ظلمِهِ قالَ وقد قيلَ انَّ هذا كانَ قبلَ النبوَّةِ وهوَ مقتضي التلاوةِ وقولُهُ تعالي في قصتِهِ وفتنَّاكَ فتونًا أي ابتليناكَ ابتلاءً بعدَ ابتلاءٍ قيلَ في هــذهِ القصةِ وما جرَي لهُ معَ فرعونَ وقيلَ القاؤُهُ في التابوتِ واليمِّ وغيرُ ذلكَ وقيلَ معناهُ أخلصناكَ اخلاصًا قالهُ ابنُ جبيرٍ ومجاهدٌ منْ قولهمْ فتنتُ الفضةَ في النارِ اذا خلَّصتَها وأصلُ الفتنةِ معنَي الاختبارُ واظهارُ مابطنَ الا أنَّهُ استُعملَ في عُرفِ الشرعِ في اختبارٍ أدّى الي مايُكرَهُ وكذلكَ ماروِيَ في الخبرِ الصحيحِ منْ أنَّ ملكَ الموتِ جاءَهُ فلطَمَ عينَهُ ففقأَها الحديثَ ليسَ فيهِ مايحكَمُ على موسَى عليهِ السلامُ بالتعدّي وفعلِ مالايجبُ اذ هوَ ظاهرُ الأمرِ بيِّنُ الوجهِ جائزُ الفعلِ لأنَّ موسَي دافعَ عنْ نفسِهِ مَنْ أتاهُ لإتلافِها وقدْ تصوَّرَ لهُ في صورةِ آدميٍّ ولا يُمكنُ أنَّهُ علمَ حينئذٍ أنَّهُ ملكُ الموتِ فدافعَهُ عنْ نفسِهِ مدافعةً

أدَّتْ الى ذَهابِ عَينِ تِلكَ الصُّورَةِ الَّتِي تَصوَّرَ لهُ فِيها المَلَكُ امتِحاناً مِنَ اللهِ فَلمّا جاءَهُ بَعدُ وأعلَمَهُ اللهُ تعالى أنّهُ رَسُولُهُ اليه استَسلَمَ وَلِلمُتَقَدِّمينَ والمُتَأخِّرِينَ على هـذا الحديثِ أجوِبةٌ هـذا أسَدُّها عندِي وهوَ تأويلُ شَيخِنا الإمامِ أبي عبدِ اللهِ المازَرِيِّ وقد تأوَّلَهُ قديماً ابنُ عائِشةَ وغَيرُهُ على صَكِّهِ ولَطمِهِ بالحُجَّةِ وفَقْءِ عَينِ حُجَّتِهِ وهوَ كلامٌ مُستَعمَلٌ في هذا البابِ في اللُغَةِ ومَعرُوفٌ *وأمّا قِصَّةُ سُليمانَ وما حَكَى فيها أهلُ التَفاسيرِ مِنْ ذَنبِه وقولُهُ ولقَدْ فَتَنَّا سُليمانَ فمَعناهُ ابتَلَيناهُ وابتِلاؤُهُ ما حُكِيَ عَنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنّهُ قالَ لأَطُوفَنَّ اللَيلَةَ على مِائَةِ امرَأةٍ أوْ تِسعٍ وتِسعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِفارِسٍ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ فقالَ لهُ صاحِبُهُ قُلْ انْ شاءَ اللهُ فَلَمْ يَقُلْ فَلَمْ تَحمِلْ منهُنَّ الا امرَأةٌ واحدَةٌ جاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ قالَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم والَّذِي نَفسِي بيَدِهِ لوْ قالَ انْ شاءَ اللهُ لَجاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ قال أصحابُ المَعانِي والشِّقُّ هوَ الجَسَدُ الذي أُلقِيَ على كُرسِيِّهِ حِينَ عُرِضَ عليه وهيَ عُقوبَتُهُ ومِحنَتُهُ وقيلَ بَلْ ماتَ فَأُلقِيَ على كُرسِيِّهِ مَيِّتاً وقيلَ ذَنبُهُ حِرصُهُ على ذلكَ وتَمَنِّيه وقيلَ لِأنّهُ لم يَستَثْنِ لِمَا استَغرَقَهُ مِنَ الحِرصِ وغَلَبَ عليه مِنَ التَمَنِّي وقيلَ عُقوبَتُهُ أنْ سُلِبَ مُلْكَهُ وذَنبُهُ أنْ أحَبَّ بِقَلبِهِ أنْ يَكُونَ الحَقُّ لِأَخْتانِه على خَصمِهِمْ وقيلَ اوخِذَ بِذَنبٍ قارَفَهُ بعضُ نِسائِهِ ولا يَصِحُّ ما نَقَلَهُ الأَخبارِيُّونَ مِنْ تَشَبُّهِ الشَّيطانِ به وتَسَلُّطِهِ على مُلكِهِ وتَصَرُّفِهِ في أُمَّتِه بالجَوْرِ في حُكمِهِ لِأنَّ الشَّياطِينَ لا يُسَلَّطُونَ على مِثْلِ هذا وقد عُصِمَ الأنبِياءُ مِنْ مِثْلِهِ وانْ سُئِلَ لِمَ لمْ يَقُلْ سُليمانُ في القِصَّةِ المَذكُورَةِ انْ شاءَ اللهُ فعَنهُ أجوِبَةٌ أحدُها ما رُوِيَ في الحديثِ الصَّحيحِ أنّهُ نَسِيَ أنْ يَقولَها وذلكَ لِيَنفُذَ

مُرادُ اللهِ والثاني أنَّهُ لم يَسمَعْ صاحِبَهُ وشغِلَ عنهُ وقولُهُ وهَبْ لِي مُلْكاً لا ينبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي لم يفعَلْ هذا سُلَيْمانُ غَيْرَةً على الدُّنيا ولا نَفاسةً بِها ولٰكِنْ مقصِدُهُ في ذلك على ما ذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ أنْ لا يُسَلَّطَ عليه أحَدٌ كما سُلِّطَ عليه الشَّيطانُ الذي سَلَبَهُ إيَّاهُ مُدَّةَ امتِحانِه على قولِ مَنْ قالَ ذلك وقيلَ بَلْ أرادَ أنْ يَكونَ لهُ مِنَ اللهِ فَضِيلَةٌ وخاصَّةٌ يَختَصُّ بِها كاختِصاص غَيْرِه مِنْ أنبياءِ اللهِ ورُسُلِهِ بِخَواصَّ منهُ وقيلَ لِيَكونَ ذلك دليلاً وحُجَّةً على نُبُوَّته كإلانَةِ الحَديدِ لِأبيه وإحياءِ المَوْتي لِعيسي واختِصاص محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم بالشَّفاعَةِ ونحوِ هٰذا * وأمَّا قِصَّةُ نُوحٍ عليه السلامُ فَظاهِرَةُ العُذْرِ وأنّهُ أخذَ فيها بالتأويلِ وظاهِرِ اللفظِ لقولِه تعالي وأهْلَكَ فَطَلَبَ مُقتضي هذا اللَّفظِ وأرادَ عِلْمَ ما طُوِيَ عنهُ مِنْ ذلك لا أنّهُ شَكٌّ في وَعْدِ اللهِ فبَيَّنَ اللهُ عليه أنّهُ ليسَ مِنْ أهْلِهِ الذينَ وَعَدَهُ بنَجاتِهِمْ لِكُفْرِه وعَمَلِهِ الذي هوَ غيرُ صالِحٍ وقد أعْلَمَهُ أنهُ مُغرِقُ الذينَ ظَلَمُوا ونَهاهُ عنْ مُخاطَبَتِه فيهِمْ فَوُخِذَ بِهٰذا التأويلِ وعُتِبَ عليه وأشْفَقَ هوَ مِنْ إقْدامِه على رَبِّه لِسُؤالِه ما لم يُؤْذَنْ لهُ في السُّؤالِ فيه وكانَ نُوحٌ فيما حَكاهُ النَّقاشُ لا يَعلَمُ بِكُفْرِ ابنِه وقيلَ في الآيَةِ غَيْرُ هذا وكلُّ هذا لا يَقضِي على نُوحٍ بِمَعصيَةٍ سوَي ما ذَكَرْناهُ مِنْ تأويلِه وإقدامِه بالسُّؤالِ فِيمَنْ لم يُؤْذَنْ لهُ فيه ولا نُهِيَ عنهُ وما رُوِيَ في الصحيحِ مِنْ أنَّ نَبِيّاً قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فحَرَّقَ قَرْيَةَ النَّملِ فأوحَى اللهُ اليه أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ فليسَ في هذا الحديثِ أنَّ هذا الذي أتَي مَعصيَةٌ بَلْ فَعَلَ ما رآهُ مَصلَحَةً وصَواباً بقَتْلِ مَنْ يُؤْذِي جِنسُهُ ويَمنَعُ المَنفَعَةَ بِما أباحَ اللهُ ألا تَرَى أنَّ هذا النَّبِيَّ كانَ نازِلاً تحتَ الشَّجَرَةِ فلَمَّا آذَتْهُ النَّملَةُ

تَحَوَّلَ بِرَحْلِهِ عنها مَخافَةَ تَكْرارِ الأَذَى عليه ولَيْسَ فِيما أَوْحَى اللهُ اليهِ ما يُوجِبُ عليه مَعْصِيَةً بلْ نَدَبَهُ الي احتِمالِ الصَّبْرِ وتَرْكِ التَّشَفِّي كما قالَ تَعالى ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ اذْ ظاهِرُ فِعلِه انَّما كانَ لِأَجْلِ أَنَّها آذَتْهُ هوَ في خاصَّتِهِ فَكانَ انتِقاماً لِنَفْسِهِ وقَطْعَ مَضَرَّةٍ يَتَوَقَّعُها مِنْ بَقِيَّةِ النَّمْلِ هُناكَ ولَمْ يَأْتِ في كُلِّ هٰذا أَمْرًا نُهِيَ عنهُ فَيُعَصَّي بِهِ ولا نَصَّ فِيما أَوْحَي اللهُ اليْهِ بِذلِكَ وَلا بِالتَّوْبَةِ والِاسْتِغْفارِ مِنْهُ واللهُ أَعْلَمُ فإِنْ قِيلَ فَما مَعْنَي قَوْلِهِ عليه السَّلامُ ما مِنْ أَحَدٍ الَّا أَلَمَّ بِذَنْبٍ أَوْ كادَ الَّا يَحْيَي بنُ زَكَرِيَّا أَوْ كَما قالَ عليه السَّلامُ فالجَوابُ عنه كما تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِ الأَنْبِياءِ الَّتِي وَقَعَتْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ وعَنْ سَهْوٍ وغَفْلَةٍ

فصل

فانْ قُلْتَ فاذا نَفَيْتَ عنهُمْ صَلَواتُ اللهِ عليْهِمُ الذُّنُوبَ والمَعاصيَ بِما ذَكَرْتَهُ مِنِ اختِلافِ المُفَسِّرِينَ وتأْوِيلِ المحَقِّقِينَ فَما مَعْنَي قَوْلِهِ تَعالي وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى وماتَكَرَّرَ في القُرْآنِ والحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنِ اعْتِرافِ الأَنْبِياءِ بِذُنُوبِهِمْ وتَوْبَتِهِمْ واسْتِغْفارِهِمْ وبُكائِهِمْ على ماسَلَفَ مِنْهُمْ واشْفاقِهِمْ وهَلْ يُشْفَقُ ويُتابُ ويُسْتَغْفَرُ مِنْ لا شَيْءٍ فاعْلَمْ وَفَّقَنا اللهُ واياكَ أَنَّ دَرَجَةَ الأَنْبِياءِ في الرِّفْعَةِ والعُلُوِّ والمَعْرِفَةِ باللهِ وسُنَّتِهِ في عِبادِهِ وعِظَمِ سُلْطانِهِ وقُوَّةِ بَطْشِهِ مِمَّا يَحْمِلُهُمْ علي الخَوْفِ منهُ جَلَّ جَلالُهُ والإِشْفاقِ مِنَ المُؤاخَذَةِ بِما لا يُؤاخَذُ بِهِ غَيْرُهُمْ وأَنَّهُمْ في تَصَرُّفِهِمْ بِامُورٍ لَمْ يُنْهَوْا عنْها ولا امِرُوا بِها ثُمَّ وُوخِذُوا عَلَيها وعُوتِبُوا بِسَبَبِها وحُذِّرُوا مِنَ المُؤاخَذَةِ بِها وأَتَوْها على وَجْهِ

التأويلِ أوِ السّهوِ أو تزيّدٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنيا المُباحةِ خائِفُونَ وَجِلُونَ وهِيَ ذُنوبٌ بالإضافةِ الي عَلِيِّ مَنصبِهِمْ وَمَعاصٍ بالنِّسبَةِ الى كمالِ طاعتِهِمْ لا أنّها كذنوبِ غَيرِهِمْ ومَعاصيهِم فإنَّ الذَّنبَ مأخُوذٌ مِنَ الشّيءِ الدَّنِيِّ الرَّذْلِ ومِنهُ ذَنَبُ كلِّ شيءٍ أيْ آخِرُهُ وأذنابُ النّاسِ رُذالُهُمْ فكانَ هذهِ أدنَي أفعالِهِمْ وأسْوأَ ما يجْرِي مِنْ أحْوالِهِمْ لِتطهِيرِهِمْ وتنزِيهِهِمْ وَعِمارَةِ بوَاطِنِهِمْ وظوَاهِرِهِمْ بالعَمَلِ الصّالحِ والكَلِمِ الطّيّبِ والذِّكْرِ الظّاهِرِ والخفِيِّ والخَشْيَةِ للهِ واعظامِهِ في السِّرِّ والعَلانيةِ وغَيرُهُمْ يتلوّثُ منَ الكبائِرِ والقبائِحِ والفَواحِشِ ماتكُونُ بالاضافةِ الي هذِهِ الهَناتِ في حَقِّهِ كالحَسَناتِ كما قيلَ حَسَناتُ الأبْرارِ سَيّآتُ المُقرّبِينَ أيْ يرَوْنَها بالإضافةِ الي عَلِيِّ أحوالِهِمْ كالسّيِّآتِ وكذلكَ العِصْيانُ التّرْكُ والمُخالَفَةُ فعلَي مُقتَضَى اللفظَةِ كيفَما كانَتْ منْ سَهْوٍ أوْ تأوِيلٍ فهِيَ مخالَفَةٌ وتَرْكٌ وقولُهُ غوَي أيْ جَهِلَ أنَّ تِلكَ الشّجرَةَ هِيَ الّتي نُهِيَ عنها والغَيُّ الجَهلُ وقِيلَ أخطأَ ما طلَبَ منَ الخُلُودِ اذْ أكلها وخابَتْ أُمنيَتُهُ وهذا يوسُفُ عليهِ السّلامُ قدْ وُوخِذَ بِقولِهِ لأحَدِ صاحِبَيِ السِّجْنِ اذكُرْنِي عندَ رَبِّكَ فأنساهُ الشّيطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فلبِثَ في السِّجْنِ بِضعَ سِنِينَ قِيلَ أُنسِيَ يوسُفُ ذِكْرَ اللهِ وقِيلَ أُنسِيَ صاحِبُهُ أنْ يذْكُرَهُ لِسيِّدِهِ الملِكِ قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لولا كلِمةُ يوسُفَ مالَبِثَ في السِّجنِ مالبِثَ قالَ ابنُ دِينارٍ لمّا قالَ ذلِكَ يوسفُ قِيلَ لهُ اتّخَذتَ مِنْ دُونِي وكِيلاً لَاطِيلَنَّ حَبْسَكَ فقالَ يارَبِّ أنسَي قلبِي كثرَةُ البلوَى وقالَ بعضُهُمْ يُؤاخَذُ الأنبياء بمثاقيلِ الذّرِّ لِمكانَتِهِمْ عندَهُ ويُجاوِزُ عَنْ سائِرِ الخَلقِ لقِلّةِ مُبالاتِهِ بِهِمْ في أضعافِ ماأتَوْا بِهِ منْ سُوءِ الأدَبِ وقدْ قالَ المُحتجُّ لِلفِرقَةِ

الأولي على سياقِ ما قُلْناهُ اذا كانَ الأنبياء يُؤاخذُون بهذا مِمّا لا يُؤاخَذُ به غَيرُهُمْ من السهوِ والنِّسيانِ وما ذكرْتَهُ وحالُهُمْ أرفَعُ فحالُهُم اذًا في هذا أسوَا حالاً من غيرِهِمْ فاعلَمْ أكرمكَ اللهُ أنَا لا نُثْبِتُ لكَ المُؤاخذةَ في هذا على حَدِّ مُؤاخَذةِ غيرِهِمْ بَلْ نقولُ إِنَّهُمْ يُؤاخَذُونَ بذلك في الدُّنْيا لِيَكُونَ ذلكَ زِيادةً في دَرَجاتِهِمْ ويُبْتَلُونَ بذلكَ لِيَكُونَ استِشعارُهُمْ له سبَبًا لِنَماءِ رُتَبِهِمْ كما قالَ ثمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ فتابَ عليهِ وهَدَى وقالَ لِداوُدَ فغفرْنا لهُ ذلكَ الآيَةَ وقالَ بَعدَ قولِ موسى تُبْتُ اليكَ إِنّي اصطَفَيْتُكَ علي النّاس وقالَ بَعدَ ذِكرِ فِتْنَةِ سُلَيمانَ وإِنابَتِهِ فسَخَّرْنا لهُ الرِّيحَ الي وحُسْنَ مَآبٍ وقالَ بَعضُ المُتَكَلِّمِينَ زَلّاتُ الأنبياءِ في الظّاهِرِ زَلّاتٌ وفى الحَقيقَةِ كَرامات وزُلَفٌ وأشارَ الي نحوِ مِمّا قدَّمناهُ وأيضاً فَلِيُنَبَّهَ غيرُهُمْ مِنَ البَشَرِ منهُمْ أوْ مِمَّنْ ليسَ في دَرَجَتِهِمْ بِمُؤاخَذَتِهِمْ بذلك فيَستَشعِرُوا الحَذَرَ ويَعتَقِدُوا المُحاسبَةَ لِيَلتَزِمُوا الشُّكرَ على النِّعَمِ ويُعِدُّوا الصَّبرَ على المِحَنِ بِمُلاحَظَةِ ما وقعَ بأهلِ هذا النِّصابِ الرَّفيعِ المَعصُومِ فكيفَ بِمَنْ سِواهمْ ولِهذا قالَ صالحٌ المُرِّيُّ ذِكرُ داوُدَ بَسطَةٌ لِلتوّابِينَ قالَ ابنُ عطاء لم يَكُنْ ما نَصَّ اللهُ تعالي مِنْ قِصَّةِ صاحِبِ الحُوتِ نَقصاً لهُ ولكِنِ استِزادَةً مِنْ نَبِيِّنا صلى اللهُ عليه وسلم وأيضاً فيُقالُ لهُمْ فانَّكُمْ ومَنْ وافَقَكُمْ تَقُولونَ بِغُفرانِ الصَّغائِرِ باجتِنابِ الكَبائِرِ ولا خِلافَ في عِصْمَةِ الأنبياءِ مِنَ الكَبائِرِ فَما جَوَّزْتُمْ مِنْ وُقُوعِ الصَّغائِرِ عليهِمْ هِيَ مَغفُورَةٌ على هذا فَما مَعنَى المُؤاخَذَةِ بِها اذا عِندَكُمْ وخَوفِ الأنبياءِ وتَوبَتِهِمْ منها وهِيَ مَغفُورَةٌ لو كانَتْ فَما أجابُوا به فَهُوَ جَوابُنا عَنِ المُؤاخَذَةِ بأفعالِ السَّهْوِ والتَّأوِيلِ وقد قِيلَ إِنَّ كَثرَةَ استِغفارِ

النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وتوبَتِهِ وغَيرِهِ مِنَ الأَنبياءِ على وَجهِ مُلازَمَةِ الخُضُوعِ والعُبُودِيَّةِ والاِعتراف بالتَّقصيرِ شُكرًا لِلهِ على نِعَمِهِ كما قالَ صلى اللهُ عليه وسلم وقد أَمِنَ مِنَ المُؤاخَذَةِ بِما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّرَ أَفَلا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا وقالَ إِنِّي أَخشاكُمْ لِلهِ وأَعلَمُكُمْ بِما أَتَّقِي قالَ الحارِثُ بنُ أَسَدٍ خَوفُ المَلائِكَةِ والأَنبياءِ خَوفُ إِعظامٍ وتَعَبُّدٍ لِلهِ لِأَنَّهُمْ آمِنُونَ وقيلَ فَعَلُوا ذلكَ لِيَقتَدِيَ بِهِمْ وتَستَنَّ بِهِمْ أُمَمُهُمْ كما قالَ صلى الله عليه وسلم لو تَعلَمُونَ ما أَعلَمُ لَضَحِكتُمْ قَليلاً ولَبَكَيتُمْ كَثيرًا وأَيضاً فانَّ في التَّوبَةِ والاِستِغفارِ مَعنًى آخَرَ لَطيفاً أَشارَ اليه بعضُ العُلَماءِ وهوَ استِدعاءُ مَحَبَّةِ اللهِ قالَ اللهُ تعالى انَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ فَإِحداثُ الرُّسُلِ والأَنبياءِ الاِستِغفارَ والتَّوبَةَ والإِنابَةَ والأَوبَةَ في كُلِّ حِينٍ استِدعاءٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ والاِستِغفارُ فيه مَعنَى التَّوبَةِ وقد قالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم بعدَ أَنْ غَفَرَ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ وما تَأَخَّرَ لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأَنصارِ الآيَةَ وقالَ تعالى فَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ واستَغفِرْهُ انَّهُ كانَ تَوّاباً

فصل

قَدِ استَبانَ لكَ أَيُّها النّاظِرُ بِما قَرَّرناه ما هوَ الحَقُّ مِنْ عِصمَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَنِ الجَهلِ باللهِ وصِفاتِه أَوْ كَونِه على حالَةٍ تُنافِي العِلمَ بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ كُلِّهِ جُملَةً بَعدَ النُّبُوَّةِ عَقلاً وإِجماعاً وقَبلَها سَماعاً ونَقلاً ولا بِشَيْءٍ مِمّا قَرَّرناهُ مِنْ أُمُورِ الشَّرعِ وأَدّاهُ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الوَحيِ قَطعًا وعَقلاً وشَرعاً وعِصمَتِهِ عَنِ الكَذِبِ وخُلفِ القَولِ مُنذُ نَبَّأَهُ اللهُ وأَرسَلَهُ قَصدًا أَوْ غَيرَ

قَصْدٍ واستِحالَةِ ذلك عليه شَرْعاً واجْماعاً ونَظَرًا وبُرْهاناً وتَنْزِيهِهِ عنهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ قطْعًا وتَنْزِيهِهِ عَنِ الكَبائِرِ اجْماعاً وعَنِ الصَّغائِرِ تَحْقِيقاً وعَنِ اسْتِدامَةِ السَّهْوِ والغَفْلَةِ واستِمْرارِ الغَلَطِ والنِّسْيانِ عليه فِيما شَرَعَهُ لِلْأُمَّةِ وعِصْمَتِهِ في كُلِّ حالاتِهِ مِنْ رِضًى وغَضَبٍ وجِدٍّ ومَزْحٍ فَيَجِبُ عليكَ أَنْ تَتَلَقَّاهُ باليَمِينِ وتَشُدَّ عليه يَدَ الضَّنِينِ وتُقَدِّرَ هذِه الفُصُولَ حَقَّ قَدْرِها وتَعْلَمَ عَظِيمَ فائِدَتِها وخَطَرِها فانَّ مَنْ يَجْهَلُ ما يَجِبُ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَوْ يَجُوزُ أَوْ يَسْتَحِيلُ عليه ولا يَعْرِفُ صُوَرَ أَحْكامِه لا يَأْمَنُ أَنْ يَعْتَقِدَ في بَعْضِها خِلافَ ما هِيَ عليه ولا يُنَزِّهُهُ عَمَّا لا يَجِبُ أَنْ يُضافَ اليه فَيَهْلِكَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي ويَسْقُطَ في هُوَّةِ الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ اذْ ظَنُّ الباطِلِ به واعْتِقادُ ما لا يَجُوزُ عليه يُحِلُّ بِصاحِبِه دارَ البَوارِ ولِهذا احْتاطَ عليه السلامُ على الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأَياهُ لَيْلًا وهوَ مُعْتَكِفٌ في المَسْجِد مَعَ صَفِيَّةَ فقالَ لَهُما انَّها صَفِيَّةُ ثُمَّ قالَ لَهُما انَّ الشَّيْطانَ يَجْرِى مِنِ ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وانِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شَيْئًا فَتَهْلِكا * هذه أَكْرَمَكَ اللهُ إِحْدَى فَوائِدِ ما تَكَلَّمْنا عليه في هذه الفُصُولِ ولَعَلَّ جاهِلاً لا يَعْلَمُ بِجَهْلِهِ اذا سَمِعَ شَيْئًا منها يَرَي أَنَّ الكلامَ فيها جُمْلَةً مِنْ فُضُولِ العِلْمِ وأَنَّ السُّكُوتَ أَوْلَي وقدِ اسْتَبانَ لكَ أَنَّهُ مُتَعَيِّنٌ لِلفائِدَةِ الَّتِي ذَكَرْناها وفائِدَةٌ ثانِيَةٌ يُضْطَرُّ اليها في أُصُولِ الفِقْهِ ويُبْتَنِي عليها مَسائِلُ لا تَنْعَدُّ مِنَ الفِقْهِ ويُتَخَلَّصُ بِها مِنْ تَشْغِيبِ مُخْتَلِفِي الفُقَهاءِ في عِدَّةٍ منها وهِيَ الحُكْمُ في أَقوالِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأَفْعالِه وهوَ بابٌ عَظِيمٌ وأَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أُصُولِ الفِقْهِ ولا بُدَّ مِنْ بِنائِه على صِدْقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه

وسلم في أخبارهِ وبلاغهِ وأنَّهُ لا يَجُوزُ عليه السَّهْوُ فيه وعِصْمَتِهِ مِنَ المُخالفَةِ في أفعالِه عَمْدًا وبِحَسَبِ اختِلافِهِمْ في وُقُوعِ الصَّغائِرِ وَقَعَ خِلافٌ في امتِثالِ الفِعْلِ بَسْطُ بَيانِهِ في كُتُبِ ذلكَ العِلْمِ فَلا نُطَوِّلُ به وفائِدَةٌ ثالِثَةٌ يَحْتاجُ اليها الحاكِمُ والمُفْتي فِيمَنْ أضافَ الي النبيِّ صلي الله عليه وسلم شَيْئًا مِنْ هذه الأُمُورِ وَوَصَفَهُ بها فَمَنْ لَمْ يَعرِفْ ما يَجُوزُ وما يَمْتَنِعُ عليه وما وَقَعَ الإجماعُ فيه والخِلافُ كَيْفَ يُصَمِّمُ في الفُتْيا في ذلكَ ومِنْ أيْنَ يَدْرِي هَلْ ما قالَهُ فيه نَقْصٌ أوْ مَدْحٌ فإمَّا أنْ يَجْتَرِئَ علي سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ حَرامٍ أوْ يُسْقِطَ حَقًّا وَيُضَيِّعَ حُرْمَةً لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وبِسَبِيلِ هذا ما قدِ اختَلَفَ أرْبابُ الأُصُولِ وأئِمَّةُ العُلَماءِ والمُحَقِّقِينَ فى عِصْمَةِ المَلائِكَةِ

فصل في القول فى عصمةِ الملائكة

أجْمَعَ المُسْلِمُونَ على أنَّ المَلائِكَةَ مُؤْمِنُونَ فُضَلاءُ واتَّفَقَ أئِمَّةُ المُسْلِمِينَ أنَّ حُكْمَ المُرْسَلِينَ منهُمْ حُكْمُ النَّبِيِّينَ سَواءٌ فى العِصْمَةِ مِمَّا ذَكَرْنا عِصْمَتَهُمْ منهُ وأنَّهُمْ في حُقُوقِ الأنْبِياءِ والتَّبْلِيغِ اليهِمْ كالأنْبِياءِ مَعَ الأُمَمِ واختَلَفُوا في غَيْرِ المُرْسَلِينَ منهُمْ فَذَهَبَتْ طائِفَةٌ الي عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عنِ المَعاصِي واحتَجُّوا بقَوْلِهِ تعالي لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ وبقَوْلِه وما مِنَّا الَّا لهُ مَقامٌ مَعْلومٌ وانَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وانَّا لَنحنُ المُسَبِّحُونَ وبقَوْلِه ومَنْ عندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عنْ عبادَتِه ولا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ وبقَوْلِه انَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عنْ عِبادَتِهِ الآيَةَ وبقَوْلِه كِرامٍ بَرَرَةٍ ولا يَمَسُّهُ الَّا المُطَهَّرُونَ ونَحْوِهِ

منَ السَّمْعِيَّاتِ وذَهبَتْ طائِفَةٌ الي أنَّ هذا خُصُوصٌ لِلْمُرْسَلِينَ منهُمْ والمُقَرَّبِينَ واحتَجُّوا بأشياء ذَكَرَها أهلُ الأخبارِ والتَّفاسِيرِ نَحنُ نَذْكُرُها ان شاءَ اللهُ بَعْدُ ونُبَيِّنُ الوَجهَ فيها ان شاءَ اللهُ والصوابُ عِصْمَةُ جَمِيعِهِمْ وتَنْزِيهُ نِصابِهِمُ الرَّفيعِ عنْ جميعِ ما يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِمْ ومَنْزِلَتِهِمْ عَنْ جَلِيلِ مِقْدارِهِمْ ورأَيتُ بَعْضَ شُيُوخِنا أشارَ بأنْ لا حاجَةَ بالفَقيهِ الي الكلامِ في عِصْمَتِهِمْ وأنا أَقُولُ انَّ لِلْكَلامِ في ذلِكَ ما لِلْكَلامِ في عِصْمَةِ الأنبياء منَ الفَوائِدِ الَّتِي ذَكَرْناها سِوى فائِدَةِ الكَلامِ في الأقوالِ والأفعالِ فَهِيَ ساقِطَةٌ هُنا فِيمَا احتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قِصَّةُ هارُوتَ ومارُوتَ وما ذَكَرَ فِيها أهلُ الأخبارِ ونَقَلَةُ المُفَسِّرِينَ وما رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وابنِ عبّاسٍ في خَبَرِهِما وابتِلائِهِما فاعلَمْ أكرَمَكَ اللهُ أنَّ هٰذِهِ الأخبارَ لَمْ يُرْوَ مِنها شَيْءٌ لاسَقِيمٌ ولا صَحِيحٌ عنْ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وليسَ هُوَ شَيئاً يُؤْخَذُ بِقِياسٍ والذِي مِنهُ في القُرآنِ اختَلَفَ المُفَسِّرُونَ في مَعناهُ وأنكَرَ ما قالَ بَعضُهُمْ فيهِ كَثِيرٌ منَ السَّلَفِ كما سَنَذكُرُهُ وهٰذِهِ الأخبارُ مِنْ كُتُبِ اليَهُودِ وافتِرائِهِمْ كما نَصَّهُ اللهُ أَوَّلَ الآياتِ مِنِ افتِرائِهِمْ بِذلِكَ على سُلَيْمانَ وتَكفِيرِهِمْ اياهُ وقدِ انطَوَتِ القِصَّةُ على شُنَعٍ عَظِيمَةٍ وها نحنُ نُخبِرُ في ذلِكَ ما يَكشِفُ غِطاءَ هٰذِهِ الإشكالاتِ ان شاءَ اللهُ فاختُلِفَ أَوَّلاً في هارُوتَ ومارُوتَ هلْ هُما مَلَكانِ أو انسِيّانِ وهلْ هُما المُرادُ بالمَلَكَينِ أمْ لا وهلِ القِراءَةُ مَلَكَينِ أو مَلِكَينِ وهلْ ما في قولِهِ وما أُنزِلَ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أحَدٍ نافِيَةٌ أو مُوجِبَةٌ فأكثَرُ المُفَسِّرِينَ أنَّ اللهَ تعالي امتَحَنَ النّاسَ بالمَلَكَينِ لِتَعليمِ السِّحرِ وتَبيِينِهِ وأنَّ عَمَلَهُ

كُفْرٌ فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ ومَنْ تَرَكَهُ آمَنَ قَالَ اللهُ تعالي انَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُرْ وتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ لهُ تَعْلِيمُ انْذارٍ أىْ يَقُولانِ لِمَنْ جاءَ يَطْلُبُ تَعلُّمَهُ لاتَفْعَلُوا كذا فانَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ ولا تتَخَيَّلُوا بِكذا فانَّهُ سِحْرٌ فلا تَكْفُرُوا فعلَي هذا فِعْلُ المَلَكَيْنِ طاعَةٌ وتَصَرُّفُهُمَا فِيما أُمِرَا بِهِ لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ وهِيَ لِغَيْرِهِما فِتْنَةٌ وَرَوَى ابنُ وهْبٍ عنْ خالدِ بنِ أبِي عِمْرَانَ أنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ هارُوتُ ومارُوتُ وأنَّهُمَا يُعَلِّمانِ السِّحْرَ فقالَ نَحْنُ نُنَزِّهُهُمَا عنْ هذا فقَرَأَ بَعْضُهُمْ وما أُنْزِلَ علي المَلَكَيْنِ فقالَ خالدٌ لَمْ يُنْزَلْ عليهما فهذا خالدٌ على جَلالَتِهِ وعِلْمِهِ نَزَّهَهُمَا عنْ تعْلِيمِ السِّحْرِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ أنَّهُما مأْذُونٌ لهُما في تعْلِيمِهِ بِشَرِيطَةِ أنْ يُبَيِّنَا أنَّهُ كُفْرٌ وأنَّهُ امْتِحانٌ منَ اللهِ وابْتِلاءٌ فكَيْفَ لايُنَزِّهُهُمَا عنْ كبائِرِ المَعاصِي والكُفْرِ المَذْكُورَةِ في تلْكَ الأَخْبارِ وقوْلُ خالِدٍ لَمْ يُنْزَلْ يُرِيدُ أنَّ ما نافِيَةٌ وهُوَ قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ قالَ مَكِّيٌّ وتقْدِيرُ الكَلامِ وما كَفَرَ سُلَيْمانُ يُرِيدُ بالسِّحْرِ الَّذِي افتَعَلَتْهُ علَيْهِ الشَّياطِينُ واتَّبَعَتْهُمْ في ذلِكَ اليَهُودُ وما انْزِلَ على المَلَكَيْنِ قالَ مَكِّيٌّ هُما جِبْرِيلُ ومِيكائِيلُ ادَّعَي اليَهُودُ علَيْهِما المَجِيءَ بِهِ كما ادَّعَوْا علي سُلَيْمانَ فأَكْذَبَهُمُ اللهُ في ذلِكَ ولكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبابِلَ هارُوتَ ومارُوتَ قِيلَ هُما رجُلانِ تَعَلَّماهُ قالَ الحَسَنُ هارُوتَ ومارُوتُ عِلْجانِ منْ أهْلِ بابِلَ وقرَأَ وما أُنْزِلَ علي المَلِكَيْنِ بِكَسْرِ اللَّامِ وتكُونُ ما إيجاباً على هذا وكَذلِكَ قِراءَةُ عبْدِ الرَّحْمنِ بنِ أبْزَي بِكَسْرِ اللَّامِ ولكِنَّهُ قالَ المَلِكانِ هنا داوُدُ وسُلَيْمانُ وتكُونُ ما نافِياً على ما تَقَدَّمَ وقِيلَ كانا مَلِكَيْنِ منْ

بَنِي اسْرَائِيلَ فَسَخَهُمَا اللهُ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ والقِرَاءَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ شاذَّةٌ فَحَمْلُ الآيَةِ على تَقْدِيرِ أبِي مُحَمَّدٍ مَكِّيٍّ حَسَنٌ يُنَزِّهُ الملائِكَةَ ويُذْهِبُ الرِّجْسَ عَنْهُمْ ويُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا وقَدْ وصَفَهُمُ اللهُ بأنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ وكِرَامٍ بَرَرَةٍ ولا يَعْصُونَ اللهَ ماأمَرَهُمْ ومِمَّا يَذْكُرُونَهُ قِصَّةُ ابْلِيسَ وأنَّهُ كَانَ مِنَ الملائِكَةِ ورَئِيساً فِيهِمْ ومِنْ خُزَّانِ الجَنَّةِ الي آخِرِ ماحَكَوْهُ وأنَّهُ اسْتَثْنَاهُ مِنَ الملائِكَةِ بِقَوْلِهِ فَسَجَدُوا الاَّ ابْلِيسَ وهٰذا أيْضاً لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهِ بَلِ الأكْثَرُ يَنْفُونَ ذلِكَ وأنَّهُ أبو الجِنِّ كما آدَمُ أبو الإِنْسِ وهُوَ قَوْلُ الحسَنِ وقَتادَةَ وابنِ زَيْدٍ وقالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ كانَ مِنَ الجِنِّ الَّذِينَ طَرَدَتْهُمُ الملائِكَةُ في الارْضِ حِينَ أفْسَدُوا والاِسْتِثْناءُ مِنْ غَيْرِ الجِنْسِ شائِعٌ في كلامِ العَرَبِ سائِغٌ وقَدْ قالَ اللهُ تَعالي مالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ الاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ ومِمَّا رَوَوْهُ في الأخْبارِ أنَّ خَلْقاً مِنَ الملائِكَةِ عَصَوُا اللهَ فحُرِّقُوا وأُمِرُوا أنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فأبَوْا فحُرِّقُوا ثُمَّ آخَرُونَ كذلِكَ حَتَّي سَجَدَ لهُ مَنْ ذَكَرَ اللهُ الاَّ ابْلِيسَ في أخْبارٍ لاأصْلَ لهاتَرُدُّها صِحاحُ الأخْبارِ فلا يُشْتَغَلُ بِها واللهُ أعْلَمُ

(الباب الثانى)

(فِيما يَخُصُّهُمْ في الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ ويَطْرَأُ عليهِمْ مِنَ العَوارِضِ البَشَرِيَّةِ)

قَدْ قَدَّمْنا أنَّهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم وسائِرَ الأنْبِياءِ والرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ وأنَّ جِسْمَهُ وظاهِرَهُ خالِصٌ لِلْبَشَرِ يجُوزُ علَيْهِ مِنَ الآفاتِ والتَّغْيِيراتِ والآلامِ والأسْقامِ وتجَرُّعِ كأسِ الحِمامِ مايجُوزُ على البَشَرِ وهٰذا كُلُّهُ

لَيْسَ بِنَقِيصَةٍ فِيهِ لِأَنَّ الشَّيْءَ انَّمَا يُسَمَّي نَاقِصاً بِالإِضَافَةِ الى مَاهُوَ أَتَمُّ مِنْهُ وأَكْمَلُ مِنْ نَوْعِهِ وقَدْ كَتَبَ اللهُ تَعَالى على أَهلِ هٰذِهِ الدَّارِ فِيهَا يَحْيَوْنَ وفِيهَا يَمُوتُونَ ومِنْهَا يُخْرَجُونَ وخَلَقَ جَمِيعَ البَشَرِ بِمَدْرَجَةِ الغِيَرِ فَقَدْ مَرِضَ صلى الله عليه وسلم واشْتَكَي وأَصَابَهُ الحَرُّ والقَرُّ وأَدْرَكَهُ الجُوعُ والعَطَشُ ولَحِقَهُ الغَضَبُ والضَّجَرُ ونَالَهُ الإِعْيَاءِ والتَّعَبُ ومَسَّهُ الضَّعْفُ والكِبَرُ وسَقَطَ فَجُحِشَ شِقُّهُ وشَجَّهُ الكُفَّارُ وكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وسُقِيَ السَّمَّ وسُحِرَ وتَدَاوَى واحْتَجَمَ وتَنَشَّرَ وتَعَوَّذَ ثُمَّ قَضَي نَحْبَهُ فَتُوُفِّيَ صلى الله عليه وسلم ولَحِقَ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَي وتَخَلَّصَ مِنْ دارِ الامْتِحَانِ والبَلْوَي وهذِهِ سِمَاتُ البَشَرِ الَّتِي لامَحِيصَ عَنْهَا وأَصَابَ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَاهُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقُتِّلُوا قَتْلاً ورُمُوا في النَّارِ ونُشِرُوا بِالمَنَاشِيرِ ومِنْهُمْ مَنْ وَقَاهُ اللهُ ذلِكَ في بَعْضِ الأَوْقَاتِ ومِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ كَمَا عُصِمَ بَعْدُ نَبِيُّنَا مِنَ النَّاسِ فَلَئِنْ لمْ يَكْفِ نَبِيَّنَا رَبُّهُ يَدَابنِ قَمِئَةَ يَوْمَ احُدٍ ولاحَجَبَهُ عنْ عُيُونِ عِدَاهُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَقَدْ أَخَذَ على عُيُونِ قُرَيْشٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ الي ثَوْرٍ وأَمْسَكَ عنهُ سَيْفَ غَوْرَثٍ وحَجَرَ أَبِي جَهْلٍ وفَرَسَ سُرَاقَةَ ولَئِنْ لمْ يَقِهِ مِنْ سِحْرِ ابن الأَعْصَمِ فَلَقَدْ وَقَاهُ مَاهُوَ أَعْظَمُ مِنْ سَمِّ اليَهُودِيَّةِ وهكَذا سَائِرُ أَنْبِيَائِهِ مُبْتَلًى ومُعَافيً وذلِكَ مِنْ تَمَامِ حِكْمَتِهِ لِيُظْهِرَ شَرَفَهُمْ في هذِهِ المَقَامَاتِ ويُبَيِّنَ أَمْرَهُمْ ويُتِمَّ كَلِمَتَهُ فِيهِمْ ولِيُحَقِّقَ بِامْتِحَانِهِمْ بَشَرِيَّتَهُمْ ويَرْتَفِعَ الالْتِبَاسُ عَنْ أَهْلِ الضَّعْفِ فِيهِمْ لِئَلا يَضِلُّوا بِمَا يَظْهَرُ مِنَ العَجَائِبِ علي أَيْدِيهِمْ ضَلَالَ النَّصارَى

بعيسى بن مريمَ وليكونَ في محنهمْ تسليةٌ لأممهمْ ووفورٌ لأجورهمْ عندَ ربهمْ تماماً على الذي أحسنَ اليهمْ قالَ بعضُ المحققينَ وهذهِ الطَّوارئُ والتغييراتُ المذكورةُ انَّما تختصُّ بأجسامهمُ البشريةِ المقصودِ بها مقاومةُ البشرِ ومعاناةُ بني آدمَ لمشاكلةِ الجنسِ وأمَّا بواطنُهمْ فمنزهةٌ غالباً عنْ ذلكَ معصومةٌ منهُ متعلقةٌ بالملأ الأعلى والملائكةِ لأخذها عنهمْ وتلقيها الوحيَ منهمْ قالَ وقد قالَ صلى اللهُ عليه وسلم إنَّ عينيَّ تنامانِ ولا ينامُ قلبي وقالَ إنِّي لستُ كهيئتكمْ إنِّي أبيتُ يطعمُني ربي ويسقيني وقالَ لستُ أنسى ولكنْ أُنسَّى ليُستنَّ بي فأخبرَ أنَّ سِرَّهُ وباطنَهُ وروحَهُ بخلافِ جسمهِ وظاهرهِ وأنَّ الآفاتِ التي تحلُّ ظاهرَهُ منْ ضعفٍ وجوعٍ وسهرٍ ونومٍ لا يحلُّ منها شيءٌ باطنَهُ بخلافِ غيرِه منَ البشرِ في حكمِ الباطنِ لأنَّ غيرَهُ اذا نامَ استغرقَ النومُ جسمَهُ وقلبَهُ وهوَ صلى الله عليه وسلم في نومهِ حاضرُ القلبِ كما هوَ في يقظتهِ حتَّى قد جاء في بعضِ الآثارِ أنَّهُ كانَ محروساً منَ الحدثِ في نومه لكونِ قلبه يقظانَ كما ذكرناهُ وكذلكَ غيرُهُ اذا جاعَ ضعفَ لذلكَ جسمُهُ وخارتْ قوتُهُ فبطلتْ بالكليةِ جملتُهُ وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبرَ أنَّهُ لا يعتريهِ ذلكَ وأنَّهُ بخلافهمْ لقوله إنِّي لستُ كهيئتكمْ إنِّي أبيتُ يطعمُني ربي ويسقيني وكذلكَ أقولُ إنَّهُ في هذه الأحوالِ كلِّها منْ وصبٍ ومرضٍ وسحرٍ وغضبٍ لم يجرِ على باطنهِ ما يخلُّ به ولا فاضَ منهُ على لسانه وجوارحهِ ما لا يليقُ به كما يعتري غيرَهُ منَ البشرِ ممَّا نأخذُ بعدُ في بيانه

(فصل)

فانْ قُلْتَ فقد جاءتِ الأَخبارُ الصَّحيحةُ أنهُ صلى الله عليه وسلم سُحِرَ كما حدثنا الشَّيخُ أبو محمدٍ العتَّابِيُّ بقراءتِي عليه قال نا حاتمُ بنُ محمدٍ نا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ خَلَفٍ نا محمدُ بنُ أحمدَ نا محمدُ بنُ يوسفَ نا البُخاريُّ نا عُبَيْدُ بنُ اسماعيلَ نا أبو أُسامةَ عنْ هِشامِ بنِ عُرْوَةَ عنْ أبيهِ عنْ عائِشَةَ رضيَ الله عنها قالَتْ سُحِرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهوسلم حتَّى إِنَّهُ ليُخَيَّلُ اليهِ أنَّهُ فَعَلَ الشيْءَ وما فعَلَهُ وفي رِوايَةٍ أُخرَى حتَّي كانَ يُخَيَّلُ اليه أنَّهُ كانَ يأْتِي النِّساءَ ولا يأْتِيهِنَّ الحديثَ واذا كانَ هذا منَ التباسِ الأَمْرِ علي المَسْحُورِ فكيْفَ حالُ النَّبيِّ صلي الله عليه وسلم في ذلك وكَيْفَ جازَ عليه وهوَ مَعْصُومٌ فاعْلَمْ وَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاكَ أنَّ هذا الحديثَ صَحيحٌ مُتَّفَقٌ عليه وقد طَعَنَتْ فيه المُلْحِدَةُ وتذَرَّعَتْ به لِسُخْفِ عقُولِهَا وتَلْبِيسِها علي أمثالِهَا الي التَّشْكِيكِ في الشَّرْعِ وقد نَزَّهَ اللهُ الشَّرْعَ والنَّبيَّ عمَّا يُدْخِلُ في أمْرِه لَبْساً وانَّما السِّحْرُ مَرَضٌ منَ الأَمْراضِ وعارِضٌ منَ العِلَلِ يَجُوزُ عليه كأَنْواعِ الأَمْراضِ مِمَّا لا يُنْكَرُ ولا يَقْدَحُ في نُبُوَّتِه * وأمَّا ما وَرَدَ أنَّهُ كانَ يُخَيَّلُ اليه أنَّهُ فَعَلَ الشيْءَ ولا يَفْعَلُهُ فليسَ في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخِلَةً في شَيْءٍ منْ تَبْلِيغِهِ أوْ شَرِيعَتِهِ أوْ يَقْدَحُ في صِدْقِه لِقِيامِ الدَّليلِ والإِجْماعِ على عِصْمَتِهِ منْ هذا وانَّما هذا فِيما يَجُوزُ طُرُوُّهُ عليه في أمْرِ دُنْياهُ الَّتِي لم يُبْعَثْ بِسَبَبِها ولا فُضِّلَ مِنْ أجْلِها وهوَ فيها عُرْضَةٌ للآفاتِ كسائِرِ البَشَرِ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أنْ يُخَيَّلَ اليه مِنْ أُمُورِها مالا حَقِيقَةَ لهُ ثمَّ

يَنجَلِي عنهُ كما كانَ وأيضاً فقد فسَّرَ هذا الفصلَ الحديثُ الآخرُ من قولِه حتَّى يُخيَّلَ اليه أنَّهُ يأْتِي أهلَهُ ولا يأْتِيهنَّ وقد قالَ سفيانُ هذا أشدُّ مايكُون مِنَ السِّحرِ ولمْ يأْتِ في خبرٍ مِنها أنَّهُ نُقِلَ عنهُ في ذلِكَ قولٌ بخِلافِ ما كانَ أخبرَ أنَّهُ فعلَهُ ولمْ يفعلْهُ وانَّما كانتْ خواطِرَ وتخييلات وقدْ قيلَ انَّ المُرادَ بالحديثِ أنَّهُ كانَ يتخيَّلُ الشيْءَ أنَّهُ فعلَهُ ومافعلَهُ لكِنَّهُ تخييلٌ لايعتقِدُ صِحَّتَهُ فتكُونُ اعتِقاداتُهُ كلُّها على السَّدادِ وأقوالُهُ على الصِّحَّةِ هذا ماوقفْتُ عليْهِ لِأئِمَّتِنا مِنَ الأجوِبَةِ عنْ هذا الحديثِ مَعَ ماأوْضحْنا مِنْ معنَى كلامِهِمْ وزِدْناهُ بيَاناً مِنْ تلوِيحاتِهِمْ وكُلُّ وجْهٍ منها مُقْنِعٌ لكِنَّهُ قدْ ظهَرَ لِي في الحديثِ تأْوِيلٌ أجلَى وأبعَدُ منْ مطاعِنِ ذوِي الأضالِيلِ يُستفادُ مِنْ نفْسِ الحديثِ وهوَ أنَّ عبدَالرَّزَّاقِ قدْ روَى هذا الحديثَ عنِ ابنِ المُسيَّبِ وعُروةَ بنِ الزُّبيْرِ وقالَ فيهِ عنهُما سحَرَ يهُودُ بَنِي زُريْقٍ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فجعَلُوهُ في بِئْرٍ حتَّى كادَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنْ ينكِرَ بصَرَهُ ثُمَّ دلَّهُ اللهُ على ماصنعُوا فاستخرَجَهُ منَ البِئْرِ ورُوِيَ نحْوُهُ عنِ الواقِدِيِّ وعَنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ كعْبٍ وعُمَرَ بنِ الحكَمِ وذُكِرَ عنْ عطاءٍ الخُراسانِيِّ عنْ يحيَى بنِ يعْمَرَ حُبِسَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عنْ عائِشَةَ سنَةً فبيْنا هوَ نائِمٌ أتاهُ ملَكانِ فقعَدَ أحدُهُما عندَ رأسِهِ والآخرُ عندَ رِجليْهِ الحديثَ قالَ عبدُالرَّزَّاقِ حُبِسَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عنْ عائِشَةَ خاصَّةً سنةً حتَّى أنكرَ بصَرَهُ ورَوَى محمَّدُ بنُ سعْدٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ مرِضَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فحُبِسَ عنِ النِّساءِ والطَّعامِ والشَّرابِ

فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه انما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى انه ليخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصاً من بعض أزواجه أو شاهد فعلاً من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد به الملحد المعترض أنسا

(فصل)

هذا حاله في جسمه فاما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعاً وقراءة قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس

الرَّازيُّ حدثنا أبو أحمَدَبنُ عَمْرَوَيْهِ حدثنا ابنُ سُفْيانَ حدثنا مُسْلِمٌ حدثنا
عبْدُ اللهِ بنُ الرُّوميِّ وعبَّاسٌ العَنبَرِيُّ وأحمَدُ المَعْقِرِيُّ قالُوا حدَّثَنا النَّضْرُ
ابنُ محمَّدٍ قالَ حَدَّثَني عِكرِمةُ حدَّثنا أبو النَّجاشيِّ قالَ حدَّثنا رَافِعُ بنُ خَدِيجٍ
قال قَدِمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المدِينَةَ وَهُمْ يأبُرُونَ النَّخْلَ فقالَ
ما تَصنَعُونَ قالُوا كُنَّا نَصنَعُهُ قالَ لَعَلَّكُمْ لَوْ لمْ تفعَلُوا كانَ خَيرًا فتَرَكُوهُ
فَنَقَصتْ فذَكَرُوا ذلِكَ لهُ فقَالَ انَّما أنا بَشَرٌ اذا أمَرْتُكُمْ بِشيْءٍ من دِينِكُمْ
فَخُذُوا بِهِ واذا أمَرْتُكُمْ بشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فإنَّما أنا بشَرٌ وفي رِوَايَةِ أنَسٍ أنتُمْ أعلَمُ
بِأمْرِ دُنياكُمْ وفي حديثٍ آخرَ انَّما ظَنَنْتُ ظنًّا فلا تُؤَاخذونِي بالظَّنِّ وفي حديثِ
ابنِ عبَّاسٍ في قِصةِ الخَرْصِ فقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم انَّما انا بَشَرٌ فما
حَدَّثْتُكُمْ عنِ اللهِ فهُوَ حقٌّ وما قُلْتُ فيهِ منْ قبَلِ نفسى فانَّما أنا بَشَرٌ اخطِئُ
وأُصِيبُ وهذا على ماقرَّرْناهُ فيما قالهُ منْ قبلِ نفْسِهِ في أُمُورِ الدُّنيا وظَنِّهِ
مِنْ أحْوالِها لاماقالَهُ منْ قِبَلِ نفسِهِ واجْتِهادِهِ في شَرْعٍ شرَعَهُ وسُنَّةٍ
سَنَّها وكما حَكَى ابنُ اسْحاقَ أنَّهُ صلى الله عليه وسلم لمَّا نَزَلَ بأدْنى مياهِ
بَدْرٍ قالَ لهُ الحُبابُ بنُ المُنْذِرِ أهذا مَنْزِلٌ أنزلَكَهُ اللهُ ليسَ لنا أنْ نتقدَّمَهُ
أمْ هُوَ الرَّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدَةُ قالَ لا بلْ هُوَ الرَّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدَةُ
قالَ فانَّهُ ليسَ بمَنْزِلٍ انهَضْ حتَّى نأتِيَ أدْنَي ماءٍ منَ القَوْمِ فَننْزِلَهُ ثُمَّ
نُغَوِّرَ ماوَرَاءَهُ منَ القُلُبِ فنَشْرَبَ ولا يَشْرَبُونَ فقالَ أشَرْتَ بالرَّأْيِ وفعلَ
ما قالَهُ وقدْ قالَ اللهُ تعالي لهُ صلى الله عليه وسلم وشاوِرْهُمْ في الأمْرِ وأرادَ
مُصالحَةَ بَعْضِ عدُوِّهِ على ثُلُثِ تَمْرِ المَدِينَةِ فاسْتَشارَ الأنْصارَ فلَمَّا أخْبَرُوهُ برأْيِهِمْ
رَجَعَ عنهُ فمِثْلُ هذا وأشْباهِهِ منْ أُمُورِ الدُّنيا الَّتِي لامَدْخَلَ فِيها لِعِلْمِ دِيانَةٍ

ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

(فصل)

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار * حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث * وفي

روَايَةِ الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ فلعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ أبْلغَ منْ بَعْض فأَحْسِبَ أَنَّهُ صادِقٌ فأقضِيَ لهُ ويُجْرِى أحكامَهُ صلى الله عليه وسلم على الظَّاهِرِ ومُوجَبِ غلبَاتِ الظّنِّ بِشهادَةِ الشَّاهِدِ ويمِينِ الحالِفِ ومُرَاعاةِ الأَشْبَهِ ومَعْرِفَةِ العِفاصِ والوِكاءِ معَ مُقْتَضى حِكْمَةِ اللهِ في ذلِكَ فانَّهُ تعالى لوْ شاءَ لأَطْلَعَهُ على سَرَائِرِ عبادِهِ ومُخبَّآتِ ضمائِرِ أُمّتِهِ فتوَلّي الحُكْمَ بَيْنَهُمْ بمُجرَّدِ يقِينِهِ وعِلْمِهِ دُونَ حاجَةٍ الي اعْترَافٍ أوْ بيِّنَةٍ أوْ يمِينٍ أوْ شُبْهَةٍ ولـكنْ لمّا أمرَ اللهُ أُمَّتَهُ باتّباعِهِ والإِقْتِداءِ بِهِ في أفعالِهِ وأحْوالِهِ وقضاياهُ وسِيَرِهِ و كانَ هذا لوْ كانَ مِمّا يَخْتَصُّ بِعلْمِهِ ويُؤْثِرُهُ اللهُ بِهِ لمْ يَكُنْ لِلأُمّةِ سَبِيلٌ الى الاقْتِدَاءِ بِهِ في شَيْءٍ منْ ذلِكَ ولا قامَتْ حُجّةٌ بِقَضِيّةٍ منْ قضاياهُ لِأَحَدٍ في شَرِيعَتِهِ لِأَنّا لا نَعْلَمُ ماأُطْلِعَ عليْهِ هوَ في تِلْكَ القَضِيَةِ بحُكْمِهِ هوَاذًا في ذلِكَ بالمَكْنُونِ منْ اعلامِ اللهِ لهُ بمـا أطْلَعهُ علَيْهِ منْ سَرَائِرِهِمْ وهذا مالا تَعلَمُهُ الأُمّةُ فأَجْرَي اللهُ تعالي أحْكامَهُ علي ظواهِرِهِمْ الـتي يَسْتَوِي في ذلِكَ هوَ وغَـيْرُهُ منَ البَشَرِ لِيَتِمَّ اقْتِداءُ أُمّتِهِ بِهِ في تعيِينِ قضاياهُ وتَنْزِيلِ أحْكامِهِ ويأْتُونَ ماأتَوْا منْ ذلِكَ على عِلْمٍ ويَقِينٍ منْ سُنَّتِهِ اذِ البَيانُ بالفِعْلِ أوْقَعُ منْهُ بالقَوْلِ وأرْفعُ لاحتِمال اللّفظِ وتأْوِيلِ المُتأَوِّلِ وكانَ حُكْمُهُ على الظّاهِرِ أجْلَى في البَيانِ وأوْضَحَ في وُجُوهِ الأَحْكامِ وأكْثَرَ فائِدَةً لموجِباتِ التَّشاجُرِ والخِصامِ ولِيَقْتَدِيَ بذلِكَ كُلِّهِ حُكّامُ أُمّتِهِ ويُسْتَوْثَقَ بما يُؤثَرُ عنهُ ويَنْضَبِطَ قانُونُ شَرِيعَتِهِ وطَيُّ ذلِكَ عنهُ منْ عِلْمِ الغَيْبِ الّذِي استأْثَرَ بِهِ عالِمُ الغَيْبِ

فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحدًا الَّا مَنِ ارْتَضَى من رسولٍ فيُعَلِّمُهُ منهُ بما شاء ويَسْتَأْثِرُ بِما شاء ولا يَقْدَحُ هذا في نبوَّته ولا يَفْصِمُ عُرْوَةً مِنْ عِصْمَتِهِ

(فصلٌ)

وأمَّا أقْوَالُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ مِنْ أخْبارِهِ عَنْ أحْوالِه وأحْوالِ غَيْرِهِ وما يَفْعَلُهُ أوْ فَعَلَهُ فقد قَدَّمْنا أنَّ الخُلْفَ فيها مُمْتَنِعٌ عليه في كلِّ حالٍ وعلى أيِّ وَجْهٍ مِنْ عَمْدٍ أوْ سَهْوٍ أوْ صِحَّةٍ أوْ مَرَضٍ أوْ رِضًى أوْ غَضَبٍ وأنَّهُ مَعْصُومٌ منهُ صلى اللهُ عليه وسلم هذا فِيما طَرِيقُهُ الخَبَرُ المحضُ مِمَّا يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ والكَذِبُ فأمَّا المَعارِيضُ المُوهِمُ ظاهِرُها خِلافَ باطِنِها فجائِزٌ وُرُودُها منهُ في الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ لا سِيَّما لِقَصْدِ المَصْلَحَةِ كَتَوْرِيَتِه عَنْ وَجْهِ مَغازِيهِ لِئَلَّا يَأْخُذَ العَدُوُّ حِذْرَهُ وكما رُوِيَ مِنْ مُمازَحَتِه ودُعابَتِه لِبَسْطِ أُمَّتِه وتَطْيِيب قُلوبِ المُؤْمِنِينَ مِنْ صَحابَتِه وتأكِيدًا في تَحَبُّبِهِمْ ومَسَرَّةِ نُفُوسِهِمْ كَقَوْلِه لَأَحْمِلَنَّكَ على ابنِ النَّاقَةِ وقَوْلِه لِلْمَرْأَةِ الَّتِي سَأَلَتْهُ عنْ زَوْجِها أهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَياضٌ وهذا كُلُّهُ صِدْقٌ لِأَنَّ كُلَّ جَمَلٍ ابنُ ناقَةٍ وكُلَّ إِنْسانٍ بِعَيْنِهِ بَياضٌ وقد قال صلى الله عليه وسلم إِنِّي لَأَمْزَحُ ولا أقولُ الَّا حَقًّا هذا كُلُّهُ فِيما بابُهُ الخَبَرُ * فأمَّا ما بابُهُ غَيْرُ الخَبَرِ مِمَّا صُورَتُه صُورَةُ الأَمْرِ والنَّهْيِ في الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَلا يَصِحُّ منهُ أيْضًا ولا يَجُوزُ عليه أنْ يَأْمُرَ أحَدًا بِشَيْءٍ أوْ يَنْهَى أحَدًا عَنْ شَيْءٍ وهو يُبْطِنُ خِلافَهُ وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لهُ خائِنَةُ الأَعْيُنِ فَكَيْفَ أنْ تَكُونَ لهُ خائِنَةُ قَلْبٍ فإِنْ قُلْتَ فَما مَعْنَى قَوْلِه تعالى في قِصَّةِ زَيْدٍ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي

أنعمَ اللهُ عليهِ وأنعمتَ عليهِ أمسِكْ عليكَ زوجَكَ الآيَةَ فاعلَمْ أكرمَكَ اللهُ ولا تسترِبْ في تنزيهِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهرِ وأنْ يأمُرَ زيدًا بإمساكِها وهوَ يحبُّ تطليقَهُ إيَّاها كما ذُكِرَ عن جماعةٍ منَ المفسِّرينَ وأصحُّ ما في هذا ما حكاهُ أهلُ التفسيرِ عن عليِّ بنِ حسينٍ أنَّ اللهَ تعالى كانَ أعلمَ نبيَّهُ أنَّ زينبَ ستكونُ مِنْ أزواجِهِ فلمَّا شكاها إليهِ زيدٌ قالَ لهُ أمسِكْ عليكَ زوجَكَ واتَّقِ اللهَ وأخفى منهُ في نفسِهِ ما أعلمَهُ اللهُ بهِ مِنْ أنَّهُ سيتزوَّجُها ممَّا اللهُ مُبْدِيهِ ومُظْهِرُهُ بتمامِ التزويجِ وطلاقِ زيدٍ لها وروى نحوَهُ عمرُو بنُ فائدٍ عنِ الزُّهريِّ قالَ نزلَ جبريلُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم يُعلِمُهُ أنَّ اللهَ يزوِّجُهُ زينبَ بنتَ جحشٍ فذلكَ الذي أخفى في نفسِهِ ويُصحِّحُ هذا قولُ المفسِّرينَ في قولِهِ تعالى بعدَ هذا وكانَ أمرُ اللهِ مفعولاً أيْ لا بُدَّ لكَ أنْ تتزوَّجَها ويُوضِحُ هذا أنَّ اللهَ لمْ يُبْدِ مِنْ أمرِهِ معَها غيرَ زواجِهِ لها فدلَّ أنَّهُ الذي أخفاهُ صلى الله عليه وسلم ممَّا كانَ أعلمَهُ بهِ تعالى وقولُهُ تعالى في القصةِ ما كانَ على النبيِّ مِنْ حرجٍ فيما فرضَ اللهُ لهُ سُنَّةَ اللهِ الآيَةَ فدلَّ أنَّهُ لمْ يكُنْ عليهِ حرجٌ في الأمرِ قالَ الطَّبريُّ ما كانَ اللهُ ليُؤَثِّمَ نبيَّهُ فيما أحلَّ لهُ مثالَ فعلِهِ لِمَنْ قبلَهُ مِنَ الرُّسُلِ قالَ اللهُ تعالى سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خلَوْا مِنْ قبلُ أيْ مِنَ النبيِّينَ فيما أحلَّ لهمْ ولوْ كانَ على ما رُوِيَ في حديثِ قتادةَ مِنْ وقوعِها مِنْ قلبِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندَ ما أعجبَتْهُ ومحبَّتِهِ طلاقَ زيدٍ لها لكانَ فيهِ أعظمُ الحرجِ وما لا يليقُ بهِ مِنْ مدِّ عينَيْهِ لِما نُهِيَ عنهُ مِنْ زهرةِ الحياةِ الدُّنيا ولكانَ هذا نفسَ الحسدِ المذمومِ الذي

لا يرضاهُ ولا يتّسِمُ بهِ الأتقياءُ فكيفَ سيّدُ الأنبياءِ قالَ القُشَيرِيُّ وهذا اقدامٌ عظيمٌ مِنْ قائِلِهِ وقلّةُ معرفةٍ بحقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وبفضلِهِ وكيفَ يقالُ رآها فأعجبتهُ وهيَ بنتُ عمّتِهِ ولمْ يزلْ يراها منذُ وُلِدَتْ ولا كانَ النِّساءُ يحتجِبْنَ منهُ صلى الله عليه وسلم وهوَ زوّجها لزيدٍ وانّما جعلَ اللهُ طلاقَ زيدٍ لها وتزويجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ايّاها لإزالةِ حرمةِ التبنّي وإبطالِ سُنّتِهِ كما قالَ ما كانَ مُحمّدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ * وقالَ لِكيلا يكونَ على المؤمنينَ حرجٌ في أزواجِ أدعيائِهِمْ ونحوهُ لابنِ فُورَكٍ وقالَ أبو الليثِ السمرقنديُّ فإنْ قيلَ فما الفائدةُ في أمرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لزيدٍ بإمساكِها فهوَ أنّ اللهَ أعلمَ نبيَّهُ أنّها زوجتُهُ فنهاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عنْ طلاقِها اذْ لمْ تكنْ بينهما أُلفةٌ وأخفى في نفسِهِ ما أعلمَهُ اللهُ بهِ فلمّا طلّقها زيدٌ خشيَ قولَ الناسِ يتزوّجُ امرأةَ ابنِهِ فأمرهُ اللهُ بزواجِها ليُباحَ مثلُ ذلكَ لأُمّتِهِ كما قالَ تعالى لِكيلا يكونَ على المؤمنينَ حرجٌ في أزواجِ أدعيائِهِمْ وقدْ قيلَ كانَ أمرُهُ لزيدٍ بإمساكِها قمعاً للشهوةِ وردّاً للنفسِ عنْ هواها وهذا اذا جوّزنا عليهِ أنّهُ رآها فجأةً واستحسنها ومثلُ هذا لا نُكرةَ فيهِ لِما طُبِعَ عليهِ ابنُ آدمَ مِنَ استحسانِهِ الحَسَنَ ونظرةُ الفُجأةِ معفوٌّ عنها ثمّ قمعَ نفسَهُ عنها وأمرَ زيداً بإمساكِها وانّما تُنكرُ تلكَ الزياداتُ التي في القصّةِ والتعويلُ والأولى ما ذكرناهُ عنْ عليِّ بنِ حُسَينٍ وحكاهُ السمرقنديُّ وهوَ قولُ ابنِ عطاءٍ واستحسنهُ القاضي القُشَيرِيُّ وعليهِ عوّلَ أبو بكرِ بنُ فُورَكٍ وقالَ انّهُ معنى ذلكَ عندَ المحقّقينَ مِنْ أهلِ التفسيرِ قالَ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مُنزّهٌ عنِ استعمالِ النِّفاقِ

في ذلكَ واظهارِ خِلافِ مافي نفسِهِ وقدْ نزّههُ اللهُ عنْ ذلكَ بقولِهِ تعالى
ما كانَ على النَّبيّ مِنْ حَرجٍ فيما فرضَ اللهُ لهُ قالَ ومَنْ ظَنَّ ذلكَ بالنَّبيِّ
صلى اللهُ عليه وسلم فقدْ أخطأَ قالَ وليسَ معنى الخشيةِ هُنا الخوفُ وانَّما
معناهُ الإستحياء أيْ يستحيي مِنهُمْ أنْ يقولوا تزوّجَ زوجةَ ابنِهِ وأنَّ
خشيتَهُ صلى الله عليه وسلم منَ النَّاسِ كانتْ من ارجافِ المُنافقينَ واليهودِ
وتشغيبِهِمْ على المُسلمينَ بقولِهِمْ تزوّجَ زوجةَ ابنِهِ بعدَ نهيِهِ عنْ نكاحِ
حلائلِ الأبناءِ كما كانَ فعتبَهُ اللهُ على هذا ونزّههُ عنِ الإلتفاتِ اليهِمْ فيما
أحلَّهُ لهُ كما عتبَهُ على مُراعاةِ رِضَي أزواجِهِ في سُورةِ التَّحريمِ بقولِهِ لِمَ
تُحرّمُ ماأحلَّ اللهُ لكَ الآيةَ كذلكَ قولُهُ لهُ ههُنا وتخشى النَّاسَ واللهُ أحقُّ
أنْ تخشاهُ وقدْ رُوِيَ عنِ الحسَنِ وعائشةَ لوْ كتمَ رسُولُ اللهِ صلي اللهُ
عليه وسلم شيأً لكتمَ هذهِ الآيةَ لما فيها مِنْ عتبِهِ وابداء ماأخفاهُ

(فصلٌ)

فانْ قُلتَ قدْ تقرّرتْ عِصمتُهُ صلى الله عليه وسلم في أقوالِهِ في جميعِ
أحوالِهِ وأنَّهُ لايَصِحُّ مِنهُ فيها خُلفٌ ولا اضطِرابٌ في عمدٍ ولا سهوٍ ولا
صِحّةٍ ولا مرضٍ ولا جدٍّ ولا مزحٍ ولا رِضَي ولا غضبٍ ولكنْ مامعنى
الحديثِ في وَصيّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم الّذي حدَّثنا بهِ القاضي الشَّهيدُ
أبو عليٍّ رَحِمهُ اللهُ قالَ حدثنا القاضي أبو الوليدِ حدثنا أبو ذرٍّ حدثنا أبو
محمّدٍ وأبو الهيثمِ وأبو اسحاقَ قالوا حدثنا محمّدُ بنُ يوسفَ حدثنا محمّدُ بنُ
اسماعيلَ حدثنا عليُّ بنُ عبدِاللهِ حدثنا عبدُالرّزّاقِ بنُ همّامٍ أخبرنا معمرٌ

عنِ الزُّهرِيِّ عنْ عُبَيْدِاللهِ بن عَبْدِاللهِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ لما احتُضِرَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وفي البَيْتِ رجالٌ فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هَلُمُّوا أكْتُبْ لكُمْ كِتاباً لنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ فقالَ بعضُهُمْ إنّ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قدْ غلَبَهُ الوَجَعُ الحَديثَ وفي رِوايةٍ آتُونى أكْتُبْ لكُمْ كِتاباً لنْ تَضِلُّوا بَعْدِى أبدًا فتنازَعُوا فقالوا مالَهُ أهَجَرَ استَفْهِمُوهُ فقالَ دَعُونِي فانّ الذِى أنا فيهِ خيرٌ وفي بَعْضِ طرُقِهِ إنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يَهْجُرُ وفي رِوايَةٍ هَجَرَ ويُرْوى أهُجْرٌ ويُرْوى أهُجْرًا وفيهِ فقالَ عُمَرُ إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قدِ اشْتدَّ بِهِ الوَجَعُ وعِنْدَنا كِتابُ اللهِ حَسْبُنا وكَثُرَ اللغطُ فقالَ قُومُوا عَنّي وفي رِوايَةٍ واختَلَفَ أهلُ البَيْتِ واختَصَمُوا فمِنهُمْ منْ يقُولُ قرِّبوا يَكْتُبْ لكُمْ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كِتاباً ومِنهُمْ منْ يقُولُ ماقالَ عُمَرُ قالَ أئِمّتُنا في هٰذا الحَديثِ إنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم غيرُ مَعْصُومٍ منَ الأمْراضِ وما يَكُونُ مِنْ عوارِضِها منْ شِدَّةِ وَجَعٍ وغَشْيٍ ونحْوِهِ مِمّا يطْرَأُ على جِسْمِهِ مَعْصُومٌ أنْ يَكُونَ مِنْهُ منَ القَولِ أثْناءَ ذلِكَ مايَطْعَنُ في مُعْجِزَتِهِ ويُؤَدِّى الى فسادٍ في شَرِيعَتِهِ منْ هَذَيانٍ أوِ اختِلالٍ في كلامٍ وعلى هٰذا لايَصِحُّ ظاهِرُ رِوايَةِ مَنْ رَوٰى في الحَديثِ هَجَرَ اذْ مَعْناهُ هذٰي يقالُ هَجَرَ هُجْرًا اذا هذٰي وأهْجَرَ هُجْرًا اذا أفْحَشَ وأهْجَرَ تَعْدِيَةُ هَجَرَ وانَّما الأصَحُّ والأوْلىٰ أهَجَرَ على طرِيقِ الإنْكارِ على مَنْ قالَ لايَكْتُبُ وهٰكذا رِوايَتُنافيهِ في صَحِيحِ البُخارِيِّ منْ رِوايَةِ جميعِ الرُّواةِ في حديثِ الزُّهرِيِّ المُتقَدِّمِ وفى حديثِ مُحَمَّدِ بنِ سَلامٍ عنِ ابنِ عُيَيْنَةَ وكذا ضَبطَهُ الأصِيلِيُّ بخطِّهِ في كِتابِهِ وغَيْرُهُ منْ هٰذِهِ الطُّرُقِ

وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه والمقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا * وأما على رواية أهجرًا وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعًا الي المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرًا ومنكرًا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره صلى الله عليه وسلم أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده الي اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقًا علي النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلي الله عليه وسلم اشتد به الوجع

وقيلَ خَشِيَ عُمَرُ أنْ يَكْتُبَ أُمُورًا يَعْجِزُونَ عنها فَيَحْصُلُونَ في الحَرَجِ بالمُخالَفَةِ و رَأى أنَّ الأرْفَقَ بالأُمَّةِ في تِلْكَ الأُمُورِ سِعَةُ الاِجْتِهادِ وحُكْمُ النَّظَرِ وطلبُ الصَّوابِ فَيَكونُ المُصيبُ والمُخطِئُ مأجُورًا وقد عَلِمَ عُمَرُ تَقَرُّرَ الشَّرْعِ وتَأْسيسَ المِلَّةِ وأنَّ اللهَ تعالي قالَ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وقوْلُهُ صلى الله عليه وسلم أُوصِيكُمْ بِكِتابِ اللهِ وعِتْرَتِي وقولُ عُمَرَ حَسْبُنا كِتابُ اللهِ رَدٌّ على مَنْ نازَعَهُ لا على أمْرِ النبيِّ صلي الله عليه وسلم وقد قيلَ إنَّ عُمَرَ خَشِيَ تَطَرُّقَ المُنافِقِينَ ومَنْ في قلْبِهِ مَرَضٌ لِمَا كُتِبَ في ذلك الكِتابِ في الخَلْوَةِ وأنْ يَتَقَوَّلوا في ذلك الأقاويلَ كادِّعاء الرّافِضَةِ الوَصِيَّةَ وغَيْرِ ذلك وقيلَ إنَّهُ كانَ مِنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لَهُمْ على طَرِيقِ المَشْوَرَةِ والاِخْتِيارِ وهَلْ يَتَّفِقُونَ على ذلك أمْ يَخْتَلِفُونَ فَلَمَّا اختلفُوا تَرَكَهُ وقالتْ طائِفَةٌ أُخرَى إنَّ مَعْنى الحديثِ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ مُجيباً في هذا الكِتابِ لِمَا طُلِبَ منهُ لا أنَّهُ ابْتَدَأَ بالأمْرِ به بَلِ اقْتَضاهُ منهُ بعضُ أصْحابِهِ فأجابَ رَغْبَتَهُمْ وكَرِهَ ذلك غَيْرُهُمْ لِلعِلَلِ الّتي ذَكَرْناها واسْتُدِلَّ في مِثْلِ هذه القِصَّةِ بِقَوْلِ العبّاسِ لِعَلِيٍّ انْطَلِقْ بنا الى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فإنْ كانَ الأمْرُ فِينا عَلِمْناهُ وكَراهَةِ عَلِيٍّ هذا وقوْلِه واللهِ لا أفْعَلُ الحديثَ واسْتَدِلَّ بقوْله دَعُونى فإنَّ الذى أنا فيه خَيْرٌ أي للذى أنا فيه خَيْرٌ مِنْ إرْسالِ الأمْرِ وتَرْكِكُمْ وكِتابَ اللهِ وإن تَدْعُونِي مِمَّا طَلَبْتُمْ وذُكِرَ أنَّ الذي طُلِبَ كِتابَةُ أمْرِ الخِلافَةِ بعدَهُ وتَعْيينُ ذلك

(فصل)

فصل

فإنْ قيلَ فما وَجهُ حديثِهِ أيضاً الذى حدَّثناهُ الفقيهُ أبو محمدٍ الخُشَنيُّ بقراءتي عليه حدثنا أبو عليٍّ الطَّبَريُّ حدثنا عبدُ الغافرِ الفارِسيُّ حدثنا أبو أحمدَ الجُلُوديُّ قال حدثنا ابراهيمُ بنُ سُفيانَ حدثنا مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ حدثنا قُتَيبَةُ حدثنا لَيثٌ عنْ سَعيدِ بنِ أبي سَعيدٍ عنْ سالِمٍ مَوْلَي النَّصْرِيينَ قالَ سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم يقولُ اللهُمَّ انَّما محمدٌ بَشرٌ يَغضَبُ كما يَغضَبُ البَشَرُ وإنِّي قدِ اتخذْتُ عِندَكَ عَهدًا لَنْ تُخلِفَنيهِ فأَيُّما مُؤمنٍ آذيتُهُ أوْ سَبَبتُهُ أوْ جَلَدتُهُ فاجعَلْها لهُ كَفَّارَةً وقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بها اليكَ يومَ القيامَةِ * وفي روايةٍ فأيُّما أحَدٍ دَعَوتُ عليه دَعْوَةً وفي رِوايةٍ ليسَ لَهَا بأهلٍ * وفي روايةٍ فأيُّما رَجُلٍ منَ المُسلِمينَ سَبَبتُهُ أوْ لَعَنتُهُ أوْ جَلَدتُهُ فاجعَلْها لهُ زَكاةً وصَلاةً ورَحمةً وكَيفَ يَصِحُّ أنْ يَلعَنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْ لا يَستَحِقُّ اللَّعنَ ويَسُبَّ مَنْ لا يَستَحِقُّ السَّبَّ ويَجلِدَ مَنْ لا يَستَحِقُّ الجَلْدَ أوْ يَفعَلَ مثلَ ذلكَ عندَ الغَضَبِ وهوَ مَعصُومٌ مِنْ هذا كُلِّهِ فاعلَمْ شَرَحَ اللهُ صَدرَكَ أنَّ قولَهُ صلى الله عليه وسلم أوَّلاً ليسَ لَها بأهلٍ أيْ عِندَكَ يارَبِّ في باطِنِ أمرِهِ فإنَّ حُكمَهُ صلى الله عليه وسلم على الظَّاهِرِ كما قالَ ولِلحِكمَةِ الَّتي ذَكَرْناها فحَكَمَ صلى الله عليه وسلم بِجَلدِهِ أوْ أدَبِهِ بِسَبِّهِ أوْ لَعنِهِ بما اقتَضاهُ عندَهُ حالُ ظاهِرِهِ ثمَّ دَعا لهُ صلى الله عليه وسلم لِشَفقَتِهِ على أُمَّتِهِ ورأفَتِهِ ورَحمَتِهِ لِلمُؤمِنينَ الَّتي وَصَفَهُ اللهُ بِها وحَذَرِهِ أنْ يَتقَبَّلَ اللهُ فِيمَنْ دَعا عليه دَعوَتَهُ أنْ يَجعَلَ دُعاءَهُ وفِعلَهُ

لهُ رَحْمَةً وهوَ مَعْنَي قولِه ليسَ لَها بأهلٍ لا أنَّهُ صلى الله عليه وسلم يَحمِلهُ الغَضَبُ ويَستفزُّهُ الضَّجرُ لِأنْ يفعَلَ مِثلَ هذا بِمَنْ لا يَستحِقُّهُ مِنْ مُسلِمٍ وهذا مَعنًي صَحيح ولا يُفهَمُ مِنْ قولِهِ أغضَبُ كما يَغضَبُ البَشَرُ أنّ الغَضَبَ حَمَلَهُ على ما لا يَجِبُ بَلْ يَجُوزُ أنْ يَكونَ المُرادُ بِهذا أنّ الغَضَبَ لِلهِ حَمَلَهُ على مُعاقَبَتِه بِلَعنِهِ أوْ سَبِّهِ وأنَّهُ مِمَّا كانَ يَحتَمِلُ ويَجُوزُ عفوُهُ عنهُ أوْ كانَ مِمَّا خُيِّرَ بَيْنَ المُعاقَبَةِ فيه والعَفوِ عنهُ وقد يُحمَلُ علي أنَّهُ خرَجَ مَخرَجَ الإشفاقِ وتَعليمِ أُمَّتِهِ الخَوْفَ والحَذَرَ مِنْ تَعَدِّي حُدُودِ اللهِ وقد يُحمَلُ ما وَرَدَ مِنْ دُعائِه هُنا ومِنْ دَعَواتِه على غَيرِ واحِدٍ في غَيرِ مَوْطِنٍ علي غَيرِ العَقدِ والقَصْدِ بَلْ بِما جَرَتْ بِه عادَةُ العَرَبِ وليسَ المُرادُ بِها الإجابَةَ كَقولِه تَرِبَتْ يَمِينُكَ ولا أشبَعَ اللهُ بَطنَكَ وعَقرَي حَلقَي وغَيرِها مِنْ دَعَواتِه وقد وَرَدَ في صِفَتِهِ في غَيرِ حديثٍ أنَّهُ صلي اللهُ عليه وسلم لم يَكُنْ فَحَّاشاً وقال أنسٌ لم يَكُنْ سَبَّاباً ولا فاحِشاً ولا لَعَّاناً وكانَ يَقولُ لِأحَدِنا عندَ المَعتَبَةِ ما لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ فَيَكون حَمْلُ الحديثِ علي هذا المَعنَي ثمَّ أشفَقَ صلى الله عليه وسلم مِنْ مُوافَقَةِ أمثالِها إجابَةً فعاهَدَ رَبَّهُ كما قالَ في الحديثِ أنْ يَجعَلَ ذلكَ لِلمَقُولِ لهُ زَكاةً ورَحمَةً وقُربَةً وقد يَكونُ ذلكَ إشفاقًا على المَدعُوِّ عليه وتَأنِيساً لهُ لِئَلّا يَلحَقَهُ مِن اسْتِشعارِ الخَوفِ والحَذَرِ مِنْ لَعنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتَقَبُّلِ دُعائِهِ ما يَحمِلُهُ على اليَأسِ والقُنُوطِ وقد يَكون ذلكَ سُؤالاً منهُ لِرَبِّهِ لِمَنْ جَلَدَهُ أوْ سَبَّهُ على حَقٍّ وبِوَجهٍ صَحيحٍ أنْ يَجعَلَ ذلكَ لهُ كَفّارَةً لِما أصابَهُ وتَمحِيَةً لِما اجتَرَمَ وأنْ تَكونَ عُقُوبَتُهُ لهُ في الدُّنيا سبَبَ العَفوِ والغُفرانِ كما جاءَ في الحديثِ الآخَرِ ومَنْ أصابَ مِنْ ذلكَ

شيئًا

شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان يا رسول الله ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولاً الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلاً في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وان نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعدٍّ حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد

عفوتُ عنكَ وكانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد ضَرَبَهُ بالسَّوطِ لِتعَلُّقِهِ بزِمامِ ناقَتِهِ مرَّةً بعدَ أُخرَى والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ينهاهُ ويقولُ لهُ تُدرِكُ حاجَتَكَ وهُوَ يأبَى فضربَهُ بعدَ ثلاثِ مرَّاتٍ وهذا منهُ صلى الله عليه وسلم لِمَنْ لمْ يقِفْ عندَ نهيِهِ صوابٌ وموضعُ أدبٍ لكنَّهُ عليه السلامُ أشفقَ اذْ كانَ حقَّ نفسِهِ مِنَ الأمرِ حتَّى عفا عنهُ وأمَّا حديثُ سوادِ بنِ عمرٍو أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وأنا متخلِّقٌ فقالَ ورسٌ ورسٌ حُطَّ حُطَّ وغشيَني بقضيبٍ فى يدِهِ في بطني فأوجعَني قلتُ القِصاصَ يا رسولَ اللهِ فكشفَ لي عنْ بطنِهِ انَّما ضربَهُ صلى الله عليه وسلم لِمنكَرٍ رآهُ بِهِ ولعلَّهُ لمْ يُرِدْ بضربِهِ بالقضيبِ الَّا تنبيهَهُ فلمَّا كانَ منهُ ايجاعٌ لمْ يقصِدْهُ طلبَ التَّحلُّلَ منهُ على ما قدَّمناهُ

(فصل)

وأمَّا أفعالُهُ صلى الله عليه وسلم الدُّنيويَّةُ فحُكْمُهُ فيها مِنْ توقِّي المعاصي والمكروهاتِ ماقدَّمناهُ ومِنْ جوازِ السَّهوِ والغلَطِ في بعضِها ماذكرناهُ وكلُّهُ غيرُ قادحٍ في النُّبوَّةِ بلْ انَّ هذا فيها على النُّدورِ اذْ عامَّةُ أفعالِهِ على السَّدادِ والصَّوابِ بلْ أكثرُها أوكلُّها جاريةٌ مجرَى العباداتِ والقُرَبِ على مابيَّنَّا اذْ كانَ صلى الله عليه وسلم لا يأخُذُ منها لِنفسِهِ الَّا ضرورتَهُ ومايُقيمُ رمَقَ جسمِهِ وفيهِ مصلَحةُ ذاتِهِ الَّتي بها يعبُدُ ربَّهُ ويُقيمُ شريعتَهُ ويسوسُ أمَّتَهُ وما كانَ فيما بينَهُ وبينَ النَّاسِ مِنْ ذلكَ فبينَ معروفٍ يصنعُهُ أوْ برٍّ يوسِّعُهُ أوْ كلامٍ حسنٍ يقولُهُ أوْ يسمعُهُ أوْ تألُّفِ شاردٍ أوْ قهرِ

معاند

مُعانِدٍ أوْ مُداراةِ حاسِدٍ وكُلُّ هذا لاحِقٌ بِصالِحِ أعْمالِهِ مُنْتَظِمٌ في زاكِي وظائِفِ عباداتِهِ وقدْ كانَ يُخالِفُ في أفْعالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِحَسَبِ اخْتِلافِ الأحْوالِ ويُعِدُّ لِلأُمُورِ أشْباهَها فيَرْكَبُ في تَصَرُّفِهِ لِما قَرُبَ الحِمارَ وفي أسْفارِهِ الرَّاحِلَةَ ويَرْكَبُ البَغْلَةَ في معارِكِ الحَرْبِ دَليلاً على الثَّباتِ ويَرْكَبُ الخَيْلَ ويُعِدُّها لِيَوْمِ الفَزَعِ وإجابَةِ الصَّارِخِ وكذلِكَ في لِباسِهِ وسائِرِ أحْوالِهِ بِحَسَبِ اعْتِبارِ مَصالِحِهِ ومَصالِحِ أُمَّتِهِ وكذلِكَ يَفْعَلُ الفِعْلَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا مُساعَدَةً لأُمَّتِهِ وسِياسَةً وكَراهِيَةً لِخِلافِها وإنْ كانَ قدْ يَرَى غَيْرَهُ خَيْرًا مِنْهُ كما يَتْرُكُ الفِعْلَ لِهذا وَقَدْ يَرَى فِعْلَهُ خَيْرًا مِنْهُ وَقَدْ يَفْعَلُ هذا في الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مِمَّا لَهُ الخِيَرَةُ في أحَدِ وَجْهَيْهِ كَخُرُوجِهِ مِنَ المَدِينَةِ لأُحُدٍ وَكانَ مَذْهَبُهُ التَّحَصُّنَ بِها وتَرْكِهِ قَتْلَ المُنافِقِينَ وَهُوَ علي يَقِينٍ مِنْ أمْرِهِمْ مُؤالَفَةً لِغَيْرِهِمْ وَرِعايَةً لِلْمُؤْمِنينَ مِنْ قَرابَتِهِمْ وَكَراهَةً لأنْ يَقُولَ النَّاسُ انَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصْحابَهُ كما جاءَ في الحَدِيثِ وتَرْكِهِ بِناءَ الكَعْبَةِ علي قَواعِدِ ابْراهِيمَ مُراعاةً لِقُلُوبِ قُرَيْشٍ وتَعْظِيمِهِمْ لِتَغَيُّرِها وَحَذَرًا مِنْ نِفارِ قُلُوبِهِمْ لِذلِكَ وتَحْريكِ مُتَقَدِّمِ عَداوَتِهِمْ لِلدِّينِ وأهْلِهِ فَقالَ لِعائِشَةَ في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَوْلا حِدْثانُ قَوْمِكَ بالكُفْرِ لأتْمَمْتُ البَيْتَ على قَواعِدِ ابْراهِيمَ وَيَفْعَلُ الفِعْلَ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِكَوْنِ غَيْرِهِ خَيْرًا مِنْهُ كانْتِقالِهِ مِنْ أدْنَى مِياهِ بَدْرٍ الي أقْرَبِها لِلْعَدُوِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَقَوْلِهِ لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ ما سُقْتُ الهَدْيَ وَيَبْسُطُ وَجْهَهُ لِلْكافِرِ والعَدُوِّ رَجاءَ اسْتِئْلافِهِ وَيَصْبِرُ لِلْجاهِلِ وَيَقُولُ انَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنِ اتَّقاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ وَيَبْذُلُ لَهُ الرَّغائِبَ لِيُحَبِّبَ إلَيْهِ شَرِيعَتَهُ وَدِينَ رَبِّهِ وَيَتَوَلَّي في مَنْزِلِهِ

ما يتولى الخادم من مهنته ويتبسم في ملاءته حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن علي جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين فان قلت فما معني قوله لعائشة رضى الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الي الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الي السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتي صار أحب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي

بَرِيرَةَ أَبَوْا بَيْعَهَا الاّ أن يَكُونَ لَهُمُ الوَلاءُ فقالَ لَهَا صلى الله عليه وسلم اشْتَرِيها واشْتَرِطِي لَهُمُ الوَلاءَ فَفَعَلَتْ ثُمَّ قامَ خطِيباً فقالَ مابالُ أقوامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ في كِتابِ اللهِ كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ في كِتابِ الله فَهُوَ باطِلٌ والنبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قدْ أمرَها بالشَّرْطِ لَهُمْ وعليهِ باعُوا. ولوْلاهُ واللهُ أعلَمُ لَمَا باعُوها مِنْ عائِشَةَ كما لمْ يَبِيعُوها قبلُ حتَّي شَرَطُوا ذلِكَ علَيْها ثُمَّ أبطَلَهُ صلى اللهُ عليه وسلم وهُوَ قدْ حرَّمَ الغِشَّ والخدِيعَةَ فاعلَمْ أكرمَكَ اللهُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مُنزَّهٌ عمَّا يَقَعُ في بالِ الجاهِلِ مِنْ هذا ولِتَنزِيهِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عنْ ذلِكَ ماقدْ أنكرَ قومٌ هذهِ الزِّيادَةَ قوْلَهُ اشْتَرِطِي لَهُمُ الوَلاءَ اذْ لَيْسَ في أكثَرِ طُرُقِ الحدِيثِ ومَعَ ثَباتِها فلا اعتِرَاضَ بِها اذْ يَقَعُ لَهُمْ بمَعْنَي علَيْهِم قالَ اللهُ تَعالى أُولئِكَ لهُمُ اللَّعنَةُ وقالَ وانْ أسأْتُمْ فلَها فعَلى هذا اشْتَرِطِي عليْهِمُ الوَلاءَ لكِ ويَكُونُ قِيامُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ووَعْظُهُ لِما سلَفَ لهُمْ مِنْ شَرْطِ الوَلاءِ لِأنْفُسِهِمْ قبلَ ذلِكَ * ووَجْهٌ ثانٍ أنَّ قولَهُ صلى اللهُ عليه وسلم اشْتَرِطِي لهُمُ الوَلاءَ لَيْس على مَعْنَى الأَمْرِ لكِنْ علي معْنَي التَّسوِيَةِ والاِعلامِ بانَّ شَرْطَهُ لَهُمْ لاينفَعُهُمْ بعْدَ بيانِ النبيِّ صلي الله عليه وسلم لَهُمْ قبلُ أنَّ الوَلاءَ لِمَنْ أعتَقَ فكأنَّهُ قالَ اشْتَرِطِي أوْلا تَشْتَرِطِي فانَّهُ شَرْطٌ غيْرُ نافِعٍ والي هذا ذَهَبَ الدَّاوُودِيُّ وغيْرُهُ وتَوْبِيخُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لَهُمْ وتَقرِيعُهُمْ على ذلِكَ يَدُلُّ علي عِلْمِهِمْ بِهِ قَبلَ هذا * الوَجهُ الثَّالِثُ أنَّ معْني قولِهِ اشْتَرِطِي لهُمُ الوَلاءَ أيْ أظهِري لهُم حُكمَهُ وبَيِّني عِندَهُمْ سُنَّتَهُ أنَّ الوَلاءَ انَّما هُوَ لِمَنْ أعتَقَ ثُمَّ بَعْدَ هذا قامَ هُوَ صلى

اللهُ عليه وسلم مُبيِّنا ذلكَ ومُوبِّخاً على مخالفةِ متقدِّمٍ منهُ فيهِ فانْ قيلَ فَما معنى فعلِ يوسفَ عليهِ السَّلامُ بأخيهِ اذ جعلَ السِّقايةَ في رَحلِهِ وأخذِهِ باسْمِ سَرِقتِها وما جرَى على اخوَتِهِ في ذلكَ وقولِهِ انَّكُمْ لسارِقُونَ ولمْ يَسْرِقُوا فاعلَمْ أكرَمكَ اللهُ أنّ الآيَةَ تدلُّ على أنَّ فِعلَ يوسفَ كانَ منْ أمرِ اللهِ لِقولِهِ تعالي كَذلِكَ كِدْنا لِيوسُفَ ما كانَ ليأخُذَ أخاهُ في دِينِ الملِكِ الاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ الآيَةَ فاذا كانَ كَذلِكَ فلا اعتِراضَ بِهِ كانَ فيهِ ماقيهِ وأيضاً فانَّ يُوسُفَ كانَ أعلَمَ أخاهُ بأَنِّي أنا أخُوكَ فلا تَبتَئِسْ فَكانَ ماجَرَي عليهِ بَعْدَ هذا منْ وَفْقِهِ ورَغبَتِهِ وعلى يَقِينٍ منْ عُقْبي الخَيرِ لهُ بِهِ وازاحَةِ السُّوءِ والمَضرّةِ عنهُ بذلِكَ وأمّا قولُهُ أيَّتُها العِيرُ انَّكُمْ لسارِقُونَ فلَيسَ منْ قولِ يوسفَ فيلْزَمُ عليهِ جوابٌ يحلُّ شُبهَهُ ولعلَّ قائِلَهُ انْ حسَّنَ لَهُ التَّأوِيلُ كائناً مَنْ كانَ ظَنَّ على صُورَةِ الحالِ ذلِكَ وقَدْ قِيلَ قالَ ذلِكَ لِفِعلِهِمْ قَبلُ بِيُوسُفَ وبَيعِهِمْ لَهُ وقيلَ غيرُ هذا ولا يلزَمُ أنْ نَقُولَ الأنبياءُ مالمْ يَأتِ أنَّهُمْ قالُوهُ حتَّى يُطْلَبَ الخلاصُ مِنهُ ولا يلزَمُ الِاعتِذارُ عَن زَلّاتِ غيرِهِمْ

(فصل)

فانْ قيلَ فما الحِكمَةُ في اجراءِ الأمراضِ وشِدَّتِها عليهِ وعلي غيرِهِ منَ الأنبياءِ علي جَميعِهِمُ السَّلامُ وما الوَجهُ فِيما ابتَلاهُمُ اللهُ بهِ منَ البلاءِ وامتِحانِهِمْ بِما امتُحِنُوا بهِ كأيُّوبَ ويَعقُوبَ ودَانيالَ ويَحيَي وزَكريَّا وعِيسَى وَابرَاهِيمَ ويُوسُفَ وغيرِهِمْ صلَوَاتُ اللهِ علَيهِمْ وَهُمْ خِيرَتُهُ مِنْ

خَلْقِهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وأصفياؤُهُ فاعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ أنَّ أفعالَ اللهِ تعالى كُلَّها عَدْلٌ وَ كَلِماتِهِ جَمِيعًا صِدْقٌ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ يَبْتَلِي عِبادَهُ كما قالَ لَهُمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ فامْتِحانُهُ إيَّاهُمْ بِضُرُوبِ الْمِحَنِ زِيادَةٌ في مَكانَتِهِمْ وَرِفْعَةٌ في دَرَجاتِهِمْ وأسبابٌ لِاسْتِخْراجِ حالاتِ الصَّبْرِ والرِّضَى والشُّكْرِ والتَّسْلِيمِ والتَّوَكُّلِ والتَّفْوِيضِ والدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ مِنْهُمْ وَتَأْكِيدٌ لِبَصائِرِهِمْ في رَحْمَةِ المُمْتَحَنِينَ والشَّفَقَةِ على المُبْتَلِينَ وَتَذْكِرَةٌ لِغَيْرِهِمْ وَمَوْعِظَةٌ لِسِواهُمْ لِيَتَأَسَّوْا في البَلاءِ بِهِمْ وَيَتَسَلَّوْا في الْمِحَنِ بِما جَرَى عَلَيْهِمْ وَيَقْتَدُوا بِهِمْ في الصَّبْرِ وَمَحْوٌ لِهَناتٍ فَرَطَتْ مِنْهُمْ أوْ غَفَلاتٍ سَلَفَتْ لَهُمْ لِيَلْقَوُا اللهَ طَيِّبِينَ مُهَذَّبِينَ وَلِيَكُونَ أجْرُهُمْ أَكْمَلَ وثَوابُهُمْ أوْفَرَ وأجْزَلَ حدثنا القاضي أبو عَلِيٍّ الحافِظُ حدَّثنا أبو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأبو الفَضْلِ بنُ خَيْرُونَ قالا حدثنا أبو يَعْلَى البَغْدادِيُّ حدثنا أبو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ مَحْبُوبٍ حدثنا أبو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ حدثنا قُتَيْبَةُ حدثنا حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ عَنْ عاصِمِ بنِ بَهْدَلَةَ عَنْ مُصْعَبِ ابنِ سَعْدٍ عَنْ أبِيهِ قالَ قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً قالَ الأَنْبِياءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِهِ فما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأَرْضِ وما عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ وكما قالَ تعالى وكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ الآياتِ الثَّلاثَ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ مايَزالُ البَلاءُ بالمُؤْمِنِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وما عليهِ خَطِيئَةٌ وعَنْ

أَنَسٍ عنهُ صلى الله عليهِ وسلم اذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لهُ العُقُوبَةَ في الدُّنيا واذا أراد اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عنهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بهِ يومَ القِيامَةِ وفي حديثٍ آخرَ اذا أَحبَّ اللهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ لِيَسْمَعَ تضرُّعَهُ وحكي السمرقنديُّ أَنَّ كُلَّ من كانَ أَكْرَمَ على اللهِ تعالى كانَ بلاؤُهُ أَشَدَّ كَيْ يَتَبَيَّنَ فَضْلُهُ ويَستوجِبَ الثوابَ كما رُوِيَ عنْ لقمانَ أَنَّهُ قالَ يابُنيَّ الذَّهَبُ والفِضَّةُ يُختَبَرانِ بالنَّار والمُؤْمِنُ يُختَبَرُ بالبَلاءِ وقدْ حُكِيَ أَنَّ ابتِلاءَ يَعقُوبَ بيُوسُفَ كانَ سَبَبُهُ التِفاتَهُ في صلاتِهِ اليهِ ويوسفُ نائِمٌ محبَّةً لهُ وقيلَ بلِ اجتمعَ يوماً هوَ وابنُهُ يوسفُ على أَكْلِ جَمَلٍ مَشْوِيٍّ وهُما يضحكانِ وكانَ لهُمْ جارٌ يَتيمٌ فَشَمَّ ريحَهُ واشتَهاهُ وبَكَي وبَكَتْ لهُ جدَّةٌ لهُ عَجُوزٌ لِبُكائِهِ وبينَهُما جِدارٌ ولا عِلْمَ عِنْدَ يعقوبَ وابنِهِ فعُوقِبَ يعقوبُ بالبُكاءِ أَسفًا على يوسفَ الى أَنْ سالَتْ حدَقَتاهُ وابيَضَّتْ عيناهُ مِنَ الحُزْنِ فلَمَّا عَلِمَ بذلِكَ كانَ بَقِيَّةَ حياتِهِ يأمُرُ مُنادِياً يُنادِي على سَطْحِهِ أَلا مَنْ كانَ مُفطِرًا فَلْيَتَغَدَّ عِندَ آلِ يعقوبَ وعُوقِبَ يُوسُفُ بالمِحنَةِ الَّتِي نَصَّ اللهُ عليها ورُوِيَ عَنِ اللَّيثِ أَنَّ سَبَبَ بلاءِ أَيُّوبَ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ أَهْلِ قَرْيَتِهِ على مَلِكِهِمْ فكَلَّمُوهُ في ظُلْمِهِ وأَغْلَظُوا لَهُ الا أَيُّوبَ فإِنَّهُ رَفَقَ بهِ مخافَةً على زَرْعِهِ فعاقَبَهُ اللهُ ببلائِهِ ومِحنَةُ سُلَيْمانَ لِما ذَكَرْناهُ من نِيَّتِهِ في كَونِ الحَقِّ في جَنَبَةِ أَصْهارِهِ أَوْ لِلعَمَلِ بالمَعْصِيَةِ في دارِهِ ولا عِلْمَ عِندَهُ وهذِهِ فائِدَةُ شِدَّةِ المَرَضِ والوَجَعِ بالنبي صلى الله عليه وسلم قالتْ عائِشَةُ ما رأَيتُ الوَجَعَ على أَحَدٍ أَشَدَّ مِنهُ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعَنْ عَبدِ اللهِ رأَيْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم في مَرَضِهِ يُوعَكُ وَعْكاً شديدًا فقُلْتُ

انكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيدًا قالَ أجَلْ انِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ قُلْتُ ذٰلِكَ انَّ لَكَ الأجْرَ مرَّتَيْنِ قالَ أجَلْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ وفي حَدِيث أبِي سَعِيدٍ أن رَجُلاً وَضَعَ يَدَهُ على النَّبيِّ صلى اللهُ علَيْه وسلم فَقالَ واللهِ ما أُطِيقُ أضَعُ يَدِي علَيْكَ مِنْ شدَّةِ حُمَّاكَ فقالَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم انَّا مَعْشَرَ الإنْبِياءِ يُضاعَفُ لَنا البَلاءُ انْ كانَ النَّبيُّ لَيُبْتَلَى بالقَمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ وانْ كانَ النَّبيُّ لَيُبْتَلَى بالفَقْرِ وانْ كانُوا لَيَفْرَحُونَ بالبَلاءِ كما يَفْرَحُونَ بالرَّخاءِ وَعَنْ أنَسٍ عنهُ صلي اللهُ عليه وسلم أنَّ عِظَمَ الجزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ وأنّ اللهَ اذا أحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخطُ وقَدْ قالَ المُفَسِّرُونَ في قَوْلِهِ تَعالي مَنْ يَعْمَلْ سُوأً يُجْزَ بِهِ انَّ المُسْلِمَ يُجْزَى بِمَصائِبِ الدُّنْيا فَتَكُونُ لَهُ كَفَّارَةً وَرُوِيَ هٰذا عَنْ عائِشَةَ وابَيٍّ وَمُجاهِدٍ وقالَ أبو هُرَيْرَةَ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ وقالَ في رِوَايَةِ عائِشَةَ ما مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ الا يُكَفِّرُ اللهُ بِها عنهُ حَتَّي الشَّوْكَةُ يُشاكُها وقالَ في رِوَايَةِ أبِي سَعِيدٍ ما يُصِيبُ المُؤْمنَ مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ حَتَّي الشَّوْكَةُ يُشاكُها الّا كَفَّرَ اللهُ بِها مِنْ خَطاياهُ وَفي حَدِيث ابْنِ مَسْعُودٍ ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذَي الّا حاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطاياهُ كما يُحَتُّ وَرَقُ الشَّجرِ وَحِكْمَةٌ أُخْرَى أوْدَعَها اللهُ في الأمْرَاضِ لِأجْسامِهِمْ وَتَعاقُبِ الأوْجاعِ عَلَيْها وَشِدَّتِها عِنْدَ مَماتِهِمْ لِتَضْعُفَ قُوَى نُفُوسِهِمْ فَيَسْهُلَ خُرُوجُها عِنْدَ قَبْضِهِمْ وَتَخِفَّ علَيْهِمْ مَوْتَةُ النَّزْعِ وَشِدَّةُ السَّكَرَاتِ بِتَقَدُّمِ المَرَضِ وَضَعْفِ الجِسْمِ والنَّفْسِ لِذَلِكَ خِلافُ مَوْتِ الفُجْأةِ وَأخْذِهِ كما يُشاهَدُ مِنَ اخْتِلافِ أحْوالِ المَوْتَي في الشِّدَّةِ واللِّينِ والصُّعُوبَةِ

والسهولة وقد قال صلي الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفأها فاذا سكنت اعتدلت و كذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتي يقصيمه الله معناه أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله تعالي منطاع لذلك اين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها فاذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الي شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ماله فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالى المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتي اذا أراد الله هلا كه قصمه لحينه علي غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالي فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون و كذلك عادة الله تعالي في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة

ولهذا ذُكِرَ عنِ السَّلَفِ أنَّهُمْ كانوا يَكْرَهُونَ مَوْتَ الفُجأَةِ ومنه في حديث ابراهيمَ كانوا يكرَهونَ أخذَةً كأخذَةِ الأسَفِ أي النضَبِ يُريدُ مَوْتَ الفُجأَة*

وحكمَةٌ ثالِثَةٌ أنَ الأمْراضَ نَذيرُ المَماتِ وبِقَدْرِ شِدَّتِها شِدَّةُ الخَوْفِ مِنْ نُزُولِ المَوْتِ فَيَسْتَعِدُ مَنْ أصابَتْهُ وعَلِمَ تَعاهُدَها لَهُ لِلِقاءِ رَبِّهِ ويُعْرِضُ عَنْ دارِ الدُّنْيا الكَثيرَةِ الأنْكادِ ويَكونُ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بالمعادِ فَيَتَنَصَّلُ مِنْ كُلِّ ما يَخْشى تِباعَتَهُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وقِبَلِ العِبادِ ويُؤَدِّي الحُقُوقَ الي أهْلِها ويَنْظُرُ فِيما يَحْتاجُ اليه مِنْ وَصِيَّةٍ فِيمَنْ يُخَلِّفُهُ أوْ أمْرٍ يَعْهَدُهُ وهذا نَبِيُّنا صلى اللهُ عليه وسلم المَغْفُورُ لَهُ ما تَقَدَّمَ وما تَأخَّرَ قد طَلَبَ التَّنَصُّلَ في مَرَضِهِ مِمَّنْ كانَ لَهُ عليه مالٌ أوْ حَقٌّ في بَدَنٍ وأقادَ مِنْ نَفْسِهِ وماله وأمْكَنَ مِنَ القِصاصِ منهُ على ما وَرَدَ في حديثِ الفَضْلِ وحديثِ الوَفاةِ وأوْصى بالثَّقَلَيْنِ بعدَهُ كِتابُ اللهِ وعِتْرَتِه وبالأنْصارِ عَيْبَتِهِ ودَعا الي كَتْبِ كِتابٍ لِئَلَّا تَضِلَّ أُمَّتُهُ بعدَهُ إمَّا في النَّصِّ على الخِلافَةِ أوِ اللهُ أعْلَمُ بِمُرادِهِ ثمَّ رَأى الإمْساكَ عنهُ أفْضَلَ وخَيْرًا وهكذا سِيرَةُ عِبادِ اللهِ المُؤْمِنينَ وأوْلِيائِهِ المُتَّقِينَ وهذا كُلُّهُ يُحْرَمُهُ غالِبًا الكُفَّارُ لإمْلاءِ اللهِ لَهُمْ لِيَزْدادُوا إثْمًا ولِيَسْتَدْرِجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ قالَ اللهُ تعالي ما يَنْظُرُونَ الَا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولا الي أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ولِذلكَ قال صلى اللهُ عليه وسلم في رَجُلٍ ماتَ فُجأَةً سُبْحانَ اللهِ كَأنَهُ على غضَبٍ المَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ وقالَ مَوْتُ الفُجأَةِ راحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وأخْذَةُ أسَفٍ لِلْكافِرِ أوِ الفاجِرِ وذلكَ لِأنَ المَوْتَ يَأْتِي المُؤْمِنَ وهوَ غالِبًا مُسْتَعِدٌّ لَهُ مُنْتَظِرٌ لِحُلُولِه فَهانَ أمْرُهُ عليهِ كَيْفَما جاءَ وأفْضى الي راحَتِهِ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيا وأذاها كما قالَ صلى اللهُ عليه وسلم مُسْتَرِيحٌ

ومُسْتَراحٌ منهُ وتأتي الكافِرَ والفاجِرَ منيّتهُ على غيرِ استِعْدادٍ ولا أُهْبَةٍ ولا مقدّماتٍ منْذِرَةٍ مُزْعِجَةٍ بلْ تأتيهم بغتةً فتبهتهُمْ فلا يستطيعُونَ ردّها ولا هُمْ يُنظَرُونَ فكانَ الموْتُ أشدَّ شيْءٍ عليه وفراقُ الدُّنيا أفظعَ أمرٍ صدَمَهُ وأكْرَهَ شيْءٍ لهُ والى هذا المعْنى أشارَ صلى الله عليه وسلم بقوْلِه منْ أحبَّ لِقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لِقاءهُ ومنْ كرِهَ لِقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءهُ

القسم الرابع في تصرُّفِ وجوهِ الاحكامِ

﴿ فيمَنْ تنقَّصهُ أوْ سبَّهُ عليه الصلاةُ والسلامُ ﴾

قالَ القاضي أبو الفضْلِ وفقهُ اللهُ قد تقدّمَ مِنَ الكِتابِ والسُّنّةِ وإجماعِ الأُمّةِ ما يجِبُ مِنَ الحُقوقِ لِلنّبيِّ صلى الله عليه وسلم وما يتعيّنُ لهُ مِنْ برٍّ وتوْقيرٍ وتعظيمٍ وإكْرامٍ وبحسَبِ هذا حرّمَ اللهُ تعالى أذاهُ في كِتابِه وأجمعَتِ الأُمّةُ على قتْلِ متنقِّصِهِ منَ المُسْلِمينَ وسابِّهِ قالَ اللهُ تعالي إنَّ الذينَ يُؤْذُونَ اللهَ ورسُولَهُ لعنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ وأعدَّ لهُمْ عذاباً مُهيناً وقالَ والذينَ يُؤْذُونَ رسولَ اللهِ لهُمْ عذابٌ أليمٌ وقالَ اللهُ تعالي وما كانَ لكُمْ أنْ تُؤْذُوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تنكِحُوا أزْواجهُ مِنْ بعْدِهِ أبدًا إنّ ذلِكُمْ كانَ عندَ اللهِ عظيماً وقالَ تعالى في تحرِيمِ التّعرِيضِ لهُ يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تقولُوا راعِنا وقُولوا انظُرْنا واسْمعُوا الآيةَ وذلكَ أنّ اليهُودَ كانُوا يقُولُونَ راعِنا يامحمّدُ أيْ أرْعِنا سمْعَكَ واسْمعْ مِنّا ويُعرِّضُونَ بالكلِمَةِ يُرِيدُونَ الرُّعُونَةَ فنَهى اللهُ المُؤْمِنينَ عنِ التّشبُّهِ بِهِمْ وقطَعَ الذّرِيعةَ بنَهْيِ المُؤْمِنينَ عنها لِئلّا يتوصّلَ بِها الكافِرُ والمُنافِقُ الي سبِّهِ والاِستِهْزاءِ بِهِ وقِيلَ بلْ لِما فِيها

من مُشارَكةِ اللفظِ لِأنَّها عِندَ اليهُودِ بِمَعنى اسمَعْ لاسَمِعْتَ وقيلَ بلْ لِما فِيها مِنْ قِلةِ الأدَبِ وعدَمِ توَقِيرِ النبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم وتَعْظِيمِهِ لِأنَّها في لُغَةِ الأنصارِ بِمَعْني ارعَنا نَرعَكَ فنهُوا عَنْ ذلِكَ اذْ مُضمَّنُهُ أنَّهمْ لا يَرعَونَهُ الا بِرِعايَتِهِ لَهُمْ وهُوَ صلى الله عليه وسلم واجبُ الرِّعايَةِ بِكُلِّ حالٍ وهٰذا هُوَ صلى اللهُ عليه وسلم قدْ نَهي عنِ التَّكَنّي بكُنْيَتِهِ فقالَ سَمُّوا باسْمِي ولا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي صِيانَةً لِنَفْسِهِ وَحِمايَةً عَنْ أذاهُ اذْ كانَ صلي الله عليه وسلم استَجابَ لِرَجُلٍ نادَى يا أبا القاسِمِ فقالَ لمْ أعنِكَ انَّمَا دَعَوْتُ هٰذا فَنَهي حِينَئِذٍ عَنِ التَّكَنّي بِكُنْيَتِهِ لِئَلاَّ يَتَأذّى بِإِجابَةِ دَعْوَةِ غَيرِهِ لِمَنْ لمْ يَدعُهُ وَيَجِدَ بِذلِكَ المُنافِقُونَ والمُسْتَهزِؤُنَ ذَرِيعَةً الي أذاهُ والإِزراءِ بِهِ فَيُنادُونَهُ فإِذا الْتَفَتَ قالُوا انَّما أرَدْنا هٰذا لِسِواهُ تَعنِيتاً لَهُ واستِخفافاً بِحَقِّهِ على عادَةِ المُجّانِ والمُستَهزِئِينَ فَحَمى صلى الله عليه وسلم حِمى أذاهُ بِكُلِّ وَجْهٍ فَحَمَلَ مُحَقِّقُو العُلَماءِ نَهيَهُ عَنْ هذا على مُدَّةِ حَياتِهِ وأجازُوهُ بَعْدَ وَفاتِهِ لِارتِفاعِ العِلَّةِ وَلِلنَّاسِ في هٰذا الحَدِيثِ مَذاهِبُ لَيسَ هٰذا مَوْضِعَها وما ذَكَرْناهُ هُوَ مَذْهَبُ الجُمهُورِ والصَّوابُ انْ شاءَ اللهُ وأنَّ ذلِكَ على طَرِيقِ تَعظِيمِهِ وتَوقِيرِهِ وعلى سَبِيلِ النَّدْبِ والِاسْتِحْبابِ لا عَلَى التَّحرِيمِ وَلِذَلِكَ لمْ ينهَ عَنِ اسْمِهِ لِأنَّهُ قَدْ كانَ اللهُ مَنَعَ مِنْ نِدائِهِ بِهِ بِقَوْلِهِ لا تَجعَلُو دعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعضاً وانَّما كانَ المُسْلِمُونَ يَدْعُونَهُ يا رَسُولَ اللهِ يا نَبيَّ اللهِ وقَدْ يَدْعُونَهُ بِكُنْيَتِهِ أبا القاسِمِ بَعْضُهُمْ في بَعْضِ الأحوالِ وقَدْ رَوَى أنَسٌ رضيَ اللهُ عنهُ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم ما يَدلُّ علي كَراهَةِ التَّسمِّي باسْمِهِ وتَنزِيهِهِ عَنْ ذلِكَ

الأُمَّةِ وقد ذَكَرَ غيرُ واحدٍ الإجماعَ على قتلهِ وتكفيرِهِ وأشارَ بعضُ الظَّاهِرِيَّةِ وهُوَ أبو محمَّد عَلِيُّ بنُ أحمَدَ الفارسيُّ الي الخلافِ في تكفيرِ المُستَخِفِّ بِهِ والمَعرُوفُ ما قدَّمناهُ قالَ محمَّدُ بنُ سُحنُونٍ أجمَعَ العُلَماءُ أنَّ شاتِمَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم المُتَنَقِّصَ لَهُ كافِرٌ والوَعيدُ جارٍ عليه بعذابِ اللهِ لَهُ وحُكمُهُ عِندَ الأُمَّةِ القَتلُ ومن شكَّ في كُفرِهِ وعذابِهِ كَفَرَ واحتجَّ إبراهيمُ بنُ حُسَينِ بن خالدٍ الفقيهُ في مِثلِ هذا بقَتلِ خالدِ بنِ الوَليدِ مالكَ ابنَ نُوَيرَةَ لِقَولِهِ عَنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم صاحِبُكُمْ وقالَ أبو سُليمانَ الخَطَّابِيُّ لا أعلَمُ أحَدًا مِنَ المُسلِمينَ اختَلَفَ في وُجُوبِ قتلِهِ اذا كانَ مُسلِمًا وقالَ ابنُ القاسِمِ عَنْ مالِكٍ في كِتابِ ابنِ سُحنُونٍ والمَبسُوطِ والعُتبِيَّةِ وحَكاهُ مُطَرِّفٌ عَنْ مالِكٍ في كِتابِ ابنِ حَبيبٍ مَنْ سَبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مِنَ المُسلِمينَ قُتِلَ ولَمْ يُستَتَبْ قالَ ابنُ القاسِمِ في العُتبِيَّةِ مَنْ سبَّهُ أوْ شتَمَهُ أوْ عابَهُ أوْ تنقَّصهُ فإنَّهُ يُقتَلُ وحُكمُهُ عندَ الامَّةِ القَتلُ كالزِّنديقِ وقد فَرَضَ اللهُ تعالي تَوقيرَهُ وبِرَّهُ أو في المَبسُوطِ عَنْ عُثمانَ بنِ كِنانَةَ مَنْ شتَمَ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم مِنَ المُسلِمينَ قُتِلَ أوْ صُلِبَ حيًّا ولَمْ يُستَتَبْ والإمامُ مُخَيَّرٌ في صَلبِهِ حيًّا أوْ قتلِهِ ومِنْ رِوايَةِ أبي المُصعَبِ وابنِ أبي أُوَيسٍ سَمِعنا مالِكًا يقُولُ مَنْ سَبَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم أوْ شتَمَهُ أوْ عابَهُ أوْ تنقَّصهُ قُتِلَ مُسلِمًا كانَ أوْ كافِرًا ولا يُستَتابُ وفي كِتابِ محمَّدٍ أخبَرَنا أصحابُ مالِكٍ أنَّهُ قالَ مَنْ سَبَّ النَّبيَّ صلي الله عليه وسلم أوْ غَيرَهُ مِنَ النَّبيِّينَ مِنْ مُسلِمٍ أوْ كافِرٍ قُتِلَ ولم يُستَتَبْ وقالَ أصبَغُ يُقتَلُ على كلِّ حالٍ أسَرَّ

ذلكَ

ذلكَ أوْ أظهَرَهُ ولا يُسْتَتَابُ لِأَنَّ تَوْبَتَـهُ لا تُعْرَفُ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحَكَمِ مَنْ سَبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مُسْلِمٍ أوْ كافِرٍ قُتِلَ ولم يُسْتَتَبْ وحَكَى الطَّبَرِيُّ مِثْلَهُ عنْ أَشْهَبَ عنْ مالِكٍ ورَوَى ابنُ وَهْبٍ عنْ مالِكٍ مَنْ قالَ إنَّ رِداءَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ويُرْوَى زِرَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وَسِخٌ أرادَ به عَيْبَهُ قُتِلَ وقال بعضُ عُلَمائِنا أجْمَعَ العُلَماءُ على أنَّ مَنْ دَعا على نَبيٍّ مِنَ الانبياءِ بالوَيْلِ أوْ بِشَيْءٍ منَ المَكْرُوهِ أنَّهُ يُقْتَلُ بلا اسْتِتابَةٍ وأفتى أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ فِيمَنْ قالَ في النبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم الحَمَّالُ يَتيمُ أبي طالِبٍ بالقَتْلِ وأفتى أبو محمدِ بنُ أبي زَيْدٍ بِقَتْلِ رَجُلٍ سَمِعَ قَوْماً يَتَذاكَرُونَ صِفَةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذْ مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ قَبيحُ الوَجْهِ واللِّحيَةِ فقالَ لَهُمْ تُريدُونَ تَعرِفُونَ صِفَتَهُ هِيَ في صِفَةِ هٰذا المارِّ في خَلْقِهِ وَلِحيَتِهِ قالَ ولا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وقد كَذَبَ لَعَنَهُ اللهُ وليسَ يَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ سَليمِ الإيمانِ وقالَ أحمَدُ بنُ أبي سُلَيْمانَ صاحِبُ سُحْنُونٍ مَنْ قالَ إنَّ النبيَّ صلي الله عليه وسلم كانَ أسْوَدَ يُقْتَلُ وقالَ في رَجُلٍ قِيلَ لهُ لا وحَقِّ رسولِ اللهِ فقالَ فَعَلَ اللهُ برَسولِ اللهِ كذا وذَكَرَ كلاماً قَبيحاً فقيلَ لهُ ما تقولُ يا عَدُوَّ اللهِ فقالَ أشَدَّ مِنْ كلامِهِ الأوَّلِ ثمَّ قالَ انَّما أرَدْتُ برَسولِ اللهِ العَقْرَبَ فقالَ ابنُ أبي سُلَيْمانَ لِلَّذي سَأَلَهُ اشهَدْ عليه وأنا شَريكُكَ يُريدُ في قَتْلِهِ وثَوابِ ذلكَ قال حَبيبُ بن الرَّبيعِ لِأنَّ ادِّعاءَ التَّأويلِ في لَفظٍ صُراحٍ لا يُقْبَلُ لِأنَّهُ امتِهانٌ وهوَ غَيْرُ مُعَزِّرٍ لِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ولا مُوَقِّرٍ لهُ فَوَجَبَ إباحَةُ دَمِهِ وأفتى أبو عبدِ اللهِ بنُ عَتّابٍ في عَشّارٍ قالَ لِرَجُلٍ أدِّ واشْكُ الي النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقال إنْ سَأَلْتُ أوْ

جهلتُ فقد جهلَ وسأَلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالقتلِ وأفتى فقهاء الأندلسِ بقتلِ ابنِ حاتمٍ المتفقهِ الطُّليطُليّ وصلبه بما شهدَ عليه بهِ من استخفافه بحقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتسميته إيّاهُ أثناء مناظرته باليتيمِ وختنِ حيدرةَ وزعمه أن زهدهُ لم يكنْ قصدًا ولوْ قدرَ على الطيّباتِ أكلها الي أشباهٍ لهذا وأفتى فقهاء القيروانِ وأصحابُ سحنونٍ بقتلِ ابراهيمَ الفزاريّ وكانَ شاعرًا متفننًا في كثيرٍ من العلومِ وكانَ ممّنْ يحضرُ مجلسَ القاضى أبى العبّاسِ بنِ طالبٍ للمناظرةِ فرُفعتْ عليه أمورٌ منكرةٌ منْ هذا البابِ في الاستهزاءِ باللهِ وأنبيائهِ ونبيّنا صلى الله عليه وسلم فأحضرَ لهُ القاضي يحيَي بنَ عمرَ وغيرَهُ منَ الفقهاء وأمرَ بقتلهِ وصلبه فطعنَ بالسكّينِ وصلبَ منكّساً ثمَّ أنزلَ وأحرقَ بالنّارِ وحكى بعضُ المؤرّخينَ أنّهُ لمّا رُفعتْ خشبتُهُ وزالتْ عنها الأيدي استدارتْ وحوّلتهُ عنِ القبلةِ فكان آيةً للجميعِ وكبّرَ النّاسُ وجاء كلبٌ فولغَ في دمهِ فقال يحيي بنُ عمرَ صدقَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وذكر حديثاً عنهُ صلى الله عليه وسلم أنّهُ قالَ لا يلغُ الكلبُ في دمِ مسلمٍ وقالَ القاضى أبو عبدِ اللهِ بنُ المرابطِ منْ قالَ إنّ النبيَّ صلي اللهُ عله وسلم هزِمَ يستتابُ فإنْ تابَ وإلّا قتلَ لأنّهُ تنقّصٌ إذْ لا يجوزُ ذلكَ عليه في خاصّتهِ إذ هوَ على بصيرةٍ منْ أمرهِ ويقينٍ منْ عصمتهِ وقالَ حبيبُ بنُ ربيعٍ القرويُّ مذهبُ مالكٍ وأصحابه أنَّ منْ قالَ فيه صلى اللهُ عليه وسلم مافيه نقصٌ قتلَ دونَ استتابةٍ وقالَ ابنُ عتّابٍ الكتابُ والسُّنَّةُ موجبانِ أنّ منْ قصدَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم بأذى أوْ نقصٍ معرّضاً أوْ مصرّحاً وإنْ قلَّ فقتلهُ واجبٌ فهذا البابُ كلّهُ ممّا عدّهُ العلماء سبّاً أوْ تنقّصاً

يجبُ قتلُ قائلِه لم يختلفْ في ذلك متقدِّمهم ولا متأخِّرهم وإنِ اختلفوا في حكمِ قتلِه على ما أشرْنا اليه ونُبيِّنُهُ بعدُ وكذلك أقولُ حُكْمُ مَنْ غمصَهُ أوْ أوْ عيَّرَهُ برعايةِ الغنمِ أوِ السهْوِ أوِ النِّسيانِ أوِ السِّحرِ أوْ ما أصابَهُ مِنْ جُرْحٍ أوْ هزيمةٍ لبعضِ جيُوشِهِ أوْ أذى مِنْ عدُوِّهِ أوْ شِدَّةٍ مِنْ زمنِه أوْ بالميْلِ الي نسائِه فحُكْمُ هذا كلِّهِ لِمَنْ قصدَ به نقْصهُ القتْلُ وقد مضى مِنْ مذاهِبِ العُلماءِ في ذلك ويأتي ما يدلُّ عليه

(فصل)

(في الحُجَّةِ في إيجابِ قتْلِ مَنْ سبَّهُ أوْ عابَهُ صلى الله عليه وسلم)

فمِنَ القرْآنِ لعنهُ تعالى لِمؤْذيهِ في الدُّنْيا والآخِرةِ وقِرانُهُ تعالى أذاهُ بأذاهُ ولا خِلافَ في قتْلِ مَنْ سبَّ اللهَ وأنَّ اللعْنَ إنَّما يستوْجِبُهُ مَنْ هوَ كافِرٌ وحُكْمُ الكافِرِ القتْلُ فقالَ إنّ الذينَ يؤْذُونَ اللهَ ورسولَهُ الآيةَ وقالَ في قاتِلِ المُؤْمِنِ مثْلَ ذلك فمِنْ لعنتِه في الدُّنْيا القتْلُ قال اللهُ تعالى ملْعُونينَ أينَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقْتيلاً وقال في المُحارِبينَ وذِكْرِ عقُوبتِهِمْ ذلك لهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيا وقد يقعُ القتْلُ بمعْنى اللعْنِ قالَ قُتِلَ الخرّاصُونَ وقاتلَهُمُ اللهُ أنى يُؤْفكُونَ أيْ لعنَهُمُ اللهُ ولأنّهُ فرْقٌ بيْنَ أذاهُما وأذى المُؤْمِنينَ وفي أذى المُؤْمِنينَ ما دُونَ القتْلِ مِنَ الضّرْبِ والنَّكالِ فكانَ حُكْمُ مُؤْذي اللهِ ونبيِّهِ أشدَّ مِنْ ذلك وهوَ القتْلُ وقال اللهُ تعالى فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتّى يُحكِّمُوكَ فيما شجَرَ بيْنهُمْ الآيةَ فسلَبَ اسْمَ الإيمانِ عمَّنْ وجدَ في صدْرِهِ حرَجاً مِنْ قضائِه ولم يُسلِّمْ له ومَنْ تنقَّصهُ فقد ناقضَ هذا وقال اللهُ

تعالي يا أيُّها الّذينَ آمنُوا لا ترْفعُوا أصواتَكمْ فَوْقَ صوْتِ النَّبيِّ الى قوْله أنْ تحبَطَ أعمالُكمْ ولا يُحبِطُ العمَلَ الّا الكُفرُ والكافِرُ يُقتَلُ وقال تعالى واذا جاؤكَ حيَّوْكَ بِما لمْ يُحيِّكَ به اللهُ ثمَّ قالَ حَسْبهُمْ جَهنَّمُ يَصْلوْنها فَبِئسَ المَصيرُ وقالَ تعالي ومنهُمُ الّذينَ يُؤْذُونَ النَّبيَّ ويقولونَ هوَ أُذُنٌ ثمَّ قالَ والذينَ يُؤْذُونَ رسولَ اللهِ لهُمْ عذابٌ أليمٌ وقال تعالي ولئنْ سألتَهمْ ليَقولُنَّ إنما كُنَّا نَخُوضُ ونَلعَبُ الي قوْلِه قد كفرتُمْ بعدَ إيمانِكمْ قالَ أهلُ التَّفسيرِ كفرتُمْ بقوْلِكمْ في رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وامّا الإجماع فقد ذكرْناهُ وأمّا الآثارُ فحدَّثنا الشَّيخُ أبو عبدِ اللهِ أحمَدُ بنُ محمّدِ بنِ غلْبُونٍ عَنِ الشَّيخِ أبي ذرٍّ الهَرَويِّ إجازةً قال حدثنا أبو الحسَنِ الدّارقُطْنيُّ وأبو عُمَرَ بنُ حيُّويَةَ حدثنا محمّدُ بنُ نُوحٍ حدثنا عبدُ العَزيزِ بنُ محمّدِ بنِ الحسَنِ ابنِ زَبالَةَ حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مُوسى بنِ جعْفرٍ عنْ عَليِّ بنِ مُوسى عنْ أبيهِ عنْ جدّهِ عنْ محمّدِ بن عَليِّ بنِ الحُسَيْنِ عنْ أبيه عنِ الحُسَيْنِ بنِ عَليٍّ عنْ أبيهِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ مَنْ سَبَّ نَبيًّا فاقتُلوهُ ومَنْ سَبَّ أصحابي فاضرِبُوهُ * وفي الحديثِ الصَّحيحِ أمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِ كعْبِ بنِ الأشْرَفِ وقوْلِه مَنْ لِكَعْبِ بنِ الأشْرَفِ فإنهُ يُؤْذِي اللهَ ورَسُولَهُ ووَجَّهَ اليهِ مَنْ قَتَلَهُ غِيلَةً دُونَ دَعْوَةٍ بخِلافِ غَيْرِهِ مِنَ المُشرِكينَ وعَلَّلَ بأذاهُ لهُ فَدَلَّ أنَّ قتلَهُ إيّاهُ لِغَيْرِ الإشراكِ بَلْ لِلأذى وكذلك قَتَلَ أبا رافِعٍ قالَ البَراءُ وكانَ يُؤْذِي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ويُعِينُ عليه وكذلك أمْرُهُ يَوْمَ الفَتْحِ بِقَتْلِ ابنِ خَطَلٍ وجارِيَتَيْهِ اللّتَيْنِ كانَتا تُغنّيانِ بِسَبِّهِ صلي الله عليه وسلم * وفي حديثٍ آخَرَ أنَّ

رَجُلًا كانَ يَسُبُّهُ صلى الله عليه وسلم فقالَ مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي فقال خالِدٌ أنا فبَعَثَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقَتَلَهُ وكذلك أمَرَ بقتلِ جماعةٍ مِمَّنْ كانَ يُؤْذِيهِ مِنَ الكُفَّارِ ويَسُبُّهُ كالنَّضْرِ بنِ الحارِثِ وعُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ وعَهِدَ بقَتْلِ جماعةٍ منهُمْ قَبْلَ الفَتْحِ وبَعْدَهُ فَقُتِلُوا الَّا مَنْ بادَرَ بإِسْلامِهِ قَبْلَ القُدْرَةِ عليهِ وقد رَوَى البَزَّارُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ عُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ نادَى يا معَاشِرَ قُرَيْشٍ مالِي أُقْتَلُ مِنْ بَيْنِكُمْ صَبْرًا فقال لهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِكُفْرِكَ وافْتِرائِكَ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وذَكَرَ عبدُ الرَّزّاقِ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم سَبَّهُ رَجُلٌ فقال مَنْ يَكْفِيني عَدُوِّي فقال الزُّبَيْرُ أنا فبارَزَهُ فقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ ورُوِيَ أيضاً أنَّ امْرَأَةً كانَتْ تَسُبُّهُ صلى الله عليه وسلم فقال مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي فخَرَجَ اليها خالِدُ بنُ الوَلِيدِ فقَتَلَها ورُوِيَ أنَّ رَجُلًا كَذَبَ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فبعَثَ عَلِيًّا والزُّبَيْرَ اليه لِيَقْتُلاهُ ورَوَى ابنُ قانِعٍ أنَّ رَجُلًا جاءَ الي النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال يا رسولَ اللهِ سَمِعْتُ أبي يقولُ فيكَ قَوْلاً قبيحاً فقَتَلْتُهُ فلَمْ يَشُقَّ ذلكَ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وبَلَغَ المُهاجِرَ بنَ أبي أُمَيَّةَ أميرَ اليَمَنِ لِأبي بَكْرٍ رضيَ الله عنه أنَّ امْرَأَةً هُنالِكَ في الرِّدَّةِ غَنَّتْ بِسَبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقَطَعَ يَدَها ونَزَعَ ثَنِيَّتَها فبلَغَ أبا بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ذلكَ فقال لهُ لوْلا ما فعَلْتَ لَأَمَرْتُكَ بقَتْلِها لِأَنَّ حَدَّ الأَنبياءِ ليسَ يُشْبِهُ الحُدُودَ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ هَجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَطْمَةَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال مَنْ لِي بها فقال رَجُلٌ مِنْ قَوْمِها أنا يا رَسولَ اللهِ فنَهَضَ فقَتَلَها فأَخْبَرَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزانِ وعنِ ابنِ

عبّاسٍ أن أعمى كانتْ لهُ أُمُّ وَلَدٍ تسبُّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيزجرُها فلا تنزجرُ فلمّا كانتْ ذاتَ ليلةٍ جعلَتْ تقعُ في النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتَشْتُمُهُ فقتلَها وأعلَمَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم بذلك فأهدَرَ دمَها وفي حديثِ أبي برزَةَ الأسلميِّ كنتُ يوماً جالساً عندَ أبي بكرٍ الصدّيقِ فغضِبَ على رَجُلٍ منَ المُسلمينَ وحكى القاضى اسمٰعيلُ وغيرُ واحدٍ منَ الأئمّةِ في هذا الحديث أنهُ سبَّ أبا بكرٍ ورواهُ النسائيُّ أتيتُ أبا بكرٍ وقد أغلظَ لرَجُلٍ فرَدَّ عليه قال فقلتُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ دعْني أضربْ عنقَهُ فقالَ اجلِسْ فليسَ ذلك لأحدٍ الّا رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال القاضى أبو محمّدٍ بنُ نصر ولم يخالفْ عليه أحدٌ فاستدَلَّ الأئمّةُ بهذا الحديثِ على قتلِ مَنْ أغضبَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم بكلِّ ما أغضبَهُ أوْ أذاهُ أوْ سبَّهُ ومنْ ذلك كتابُ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ الي عاملِهِ بالكوفةِ وقدِ استشارَهُ في قتلِ رَجُلٍ سبَّ عمرَ رضىَ الله عنهُ فكتبَ اليهِ عُمَرُ أنّهُ لا يحلُّ قتلُ امرئٍ مُسلمٍ بسبِّ أحدٍ منَ النّاسِ الّا رَجُلًا سبَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فمَنْ سبَّهُ فقد حلَّ دمُهُ وسألَ الرّشيدُ مالِكًا في رَجُلٍ شتَمَ النبيَّ صلي الله عليه وسلم وذَكَرَ لهُ أنّ فقهاءَ العراقِ أفتوْهُ بجلدِهِ فغضِبَ مالكٌ وقال يا أميرَ المؤمنينَ ما بقاءُ الأمّةِ بعدَ شتمِ نبيِّها مَنْ شتَمَ الأنبياءَ قُتِلَ ومَنْ شتَمَ أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم جُلِدَ قال القاضي أبو الفضلِ كذا وقعَ في هذهِ الحكايةِ رواها غيرُ واحدٍ منْ أصحابِ مناقبِ مالكٍ ومؤلّفي أخبارهِ وغيرِهِمْ ولا أدري مَنْ هؤلاءِ الفقهاءُ بالعراقِ الذينَ أفتَوُا الرّشيدَ بما ذُكِرَ وقد ذكرْنا مذهَبَ العراقيّينَ بقتلِهِ ولعلّهُمْ ممّنْ لم يشهرْ بعلمٍ أوْ منْ لا يوثَقُ بفتواهُ

أوْ يميلُ بِهِ هَوَاهُ أوْ يَكُونُ ما قالَهُ يُحْمَلُ علي غَيْرِ السَّبِّ فيَكُونُ الخِلافُ هلْ هُوَ سَبٌّ أوْ غَيْرُ سَبٍّ أوْ يَكونُ رَجَعَ وتابَ عَنْ سَبِّهِ فلَمْ يَقُلْهُ لِمَالِكٍ على أصْلِه وإلَّا فالإجْماعُ علي قَتْلِ مَنْ سَبَّهُ كما قدَّمْناهُ ويَدُلُّ على قَتْلِه مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ والاعْتِبارِ أنَّ مَنْ سَبَّهُ أوْ تنَقَّصَهُ صلى الله عليه وسلم فقدْ ظَهَرَتْ علامَةُ مَرَضِ قَلْبِهِ وبُرْهانُ سِرِّ طَوِيَّتِهِ وكُفْرِهِ ولِهٰذا ما حَكَمَ لهُ كَثيرٌ مِنَ العُلَماءِ بالرِّدَّةِ وهِيَ رِوَايَةُ الشَّامِيِّينَ عنْ مالِكٍ والأوْزَاعِيِّ وقولُ الثَّوْرِيِّ وأبي حَنِيفَةَ والكُوفِيِّينَ والقَوْلُ الآخَرُ أنَّهُ دَليلٌ على الكُفْرِ فيُقْتَلُ حَدًّا وانْ لمْ يُحْكَمْ لهُ بالكُفْرِ الَّا أنْ يَكُونَ مُتَمادِيًا على قولِهِ غَيْرَ مُنْكِرٍ لَهُ ولا مُقْلِعٍ عَنْهُ فَهٰذا كافِرٌ وقولُهُ إمَّا صَرِيحُ كُفْرٍ كالتَّكْذِيبِ ونَحْوِهِ أوْ مِنْ كَلِماتِ الاسْتِهْزاءِ والذَّمِّ فاعْتِرافُهُ بِها وتَرْكُ تَوْبَتِهِ عَنْها دَليلُ اسْتِحْلالِهِ لِذلكَ وهوَ كُفْرٌ أيْضًا فَهٰذا كافِرٌ بِلا خِلافٍ قالَ اللهُ تَعالي في مِثْلِهِ يَحْلِفُونَ باللهِ ما قالُوا ولَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعْدَ اسْلامِهِمْ قالَ أهْلُ التَّفْسِيرِ هِيَ قَوْلُهُمْ انْ كانَ مايَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًا لنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الحَمِيرِ وقيلَ بَلْ قولُ بَعْضِهِمْ ما مِثْلُنا ومِثْلُ مُحَمَّدٍ الَّا قَوْلُ القائِلِ سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ ولَئِنْ رَجَعْنا الى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ وقدْ قيلَ انَّ قائِلَ مِثْلِ هٰذا انْ كانَ مُسْتَتِرًا بِهِ أنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الزِّنْدِيقِ يُقْتَلُ ولِأنَّهُ قدْ غَيَّرَ دِينَهُ وقَدْ قالَ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فاضْرِبُوا عُنُقَهُ ولِأنَّ لِحُكْمِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الحُرْمَةِ مَزِيَّةً على أُمَّتِهِ وسابُّ الحُرِّ مِنْ أُمَّتِهِ يُحَدُّ فَكانَتِ العُقُوبَةُ لِمَنْ سَبَّهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم القَتْلَ لِعَظِيمِ قَدْرِهِ وشُفُوفِ مَنْزِلَتِهِ على غَيْرِهِ

(فصل)

فإنْ قُلْتَ فَلِمَ لمْ يَقْتُلِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اليَهُودِيَّ الذي قالَ لهُ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَهذا دُعاءٌ عليهِ ولا قتَلَ الآخرَ الّذِي قالَ لهُ انّ هٰذِهِ لَقِسمَةٌ ما أُرِيدَ بِها وَجهُ اللهِ وقدْ تأذّى النَّبيُّ صلي الله عليه وسلم مِنْ ذلِكَ وقالَ قدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأكْثَرَ مِنْ هٰذا فَصَبَرَ ولا قَتلَ الْمُنافِقِينَ الّذِينَ كانُوا يُؤْذُونَهُ في أكْثَرِ الأَحْيانِ فاعْلَمْ وَفّقَنا اللهُ وايّاكَ أنّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ أوّلَ الإسْلامِ يَستَأْلِفُ عليهِ النَّاسَ وَيمِيلُ قُلُوبَهُمْ ويُمَيّلُ الَيْهِ ويُحَبِّبُ الَيْهِمُ الايمَانَ ويزَيّنُهُ في قُلُوبِهِمْ ويُدارِيْهِمْ وَيقُولُ لِأَصْحابِهِ انَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسّرِينَ ولمْ تُبْعَثُوا مُنفِّرِينَ ويقُولُ يَسّرُوا ولا تُعَسّرُوا وَسَكّنُوا ولا تُنفّرُوا ويقُولُ لا يَتحَدّثُ النَّاسُ أنّ مُحمَّدًا يَقْتُلُ أصْحابَهُ و كانَ صلي الله عليه وسلم يُدَارِي الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ ويُجْمِلُ صُحْبَتَهُمْ وَيغْضِي عَنْهُمْ ويحتَمِلُ مِنْ أذاهُمْ ويَصْبِرُ علي جَفائِهِمْ ما لا يَجُوزُ لَنا اليَوْمَ الصَّبْرُ لَهُمْ عليه وكانَ يُرْفِقُهُمْ بالعطاءِ والإحْسانِ وبذلكَ أمرَهُ اللهُ تعالي فقالَ تعالي ولا تَزالُ تَطَّلِعُ علي خائِنَةٍ منهُمْ إلّا قلِيلاً منهُمْ فاعفُ عنهُمْ واصفَحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحسِنِينَ وقال تعالي ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ فإذا الذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كأنّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وذلكَ لِحاجَةِ النَّاسِ لِلتَّألُّفِ أوّلَ الإسْلامِ وجَمْعِ الكَلِمَةِ عليه فلمَّا استَقرَّ وأظهَرَهُ اللهُ على الدِّينِ كُلّهِ قتَلَ مَنْ قدَرَ عليهِ واشْتَهَرَ أمرُهُ كَفِعْلِهِ بابْنِ خَطَلٍ ومَنْ عَهِدَ بِقَتْلِهِ يَوْمَ الفَتْحِ ومَنْ أمْكَنَهُ قتْلُهُ غِيلَةً مِنْ يَهُودَ وغَيْرِهِمْ أوْ غَلَبَةً مِمَّنْ لمْ يَنْظِمْهُ قبْلُ سِلكَ

صُحْبَتِهِ والانخراطَ في جُمْلَةِ مُظْهِرِي الإِيمانِ بِهِ مِمَّنْ كانَ يُؤْذِيهِ كابْنِ الأَشْرَفِ وأبِي رَافِعٍ والنَّضْرِ وعُقْبَةَ وكَذٰلِكَ نَدَرَ دَمَ جَماعَةٍ سِواهُمْ كَكَعْبِ بن زُهَيْرٍ وابنِ الزِّبَعْرَى وغَيْرِهِما مِمَّنْ آذاهُ حَتَّى أَلقَوْا بأَيْدِيهِمْ ولَقُوهُ مُسْلِمِينَ وبَواطِنُ المُنافِقِينَ مُسْتَتِرَةٌ وحُكْمُهُ صلى اللهُ عليه وسلم على الظَّاهِرِ وأَكْثَرُ تِلْكَ الكَلِماتِ انَّما كانَ يَقُولُها القائِلُ مِنْهُمْ خُفْيَةً ومعَ أَمْثالِهِ ويَحْلِفُونَ عليها اذا نُمِيَتْ ويُنْكِرُونَها ويَحْلِفُونَ باللهِ ماقالوا ولقدْ قالوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكانَ معَ هٰذا يَطْمَعُ فى فَيْأَتِهِمِ ورُجُوعِهِمْ الي الإِسْلامِ وتَوْبَتِهِمْ فَيصْبِرُ صلى اللهُ عليه وسلم على هَناتِهِمْ وجَفْوَتِهِمْ كما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ حَتَّى فاءَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ باطِناً كما فاءَ ظاهِرًا وأَخْلَصَ سِرًّا كما أَظْهَرَ جَهْرًا ونَفَعَ اللهُ بَعْدُ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ وقامَ مِنْهُمْ للدِّينِ وُزَراءُ وأَعْوانٌ وحُماةٌ وأَنْصارٌ كما جاءَتْ بِهِ الأَخْبارُ وبِهٰذا أجابَ بَعْضُ أَئِمَّتِنا رَحِمَهُمُ اللهُ عنْ هٰذا السُّؤَالِ قالَ ولَعَلَّهُ لمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ أَقْوالِهِمْ مارُفِعَ وانَّما نَقَلَهُ الواحِدُ ومَنْ لمْ يَصِلْ رُتْبَةَ الشَّهادَةِ في هٰذا البابِ مِنْ صَبِيٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوِ امْرَأَةٍ والدِّماءُ لا تُسْتَباحُ الاَّ بِعَدْلَيْنِ وعلى هٰذا يُحْمَلُ أَمْرُ اليَهُودِيِّ في السَّلامِ وأَنَّهُمْ لَوَوْا بِهِ أَلسِنَتَهُمْ ولمْ يُبَيِّنُوهُ أَلاَ تَرَى كَيْفَ نَبَّهَتْ عَلَيْهِ عائِشَةُ ولوْ كانَ صَرَّحَ بِذَلِكَ لمْ تَنْفَرِدْ بِعِلْمِهِ ولِهٰذا نَبَّهَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أَصْحابَهُ على فِعْلِهِمْ وقِلَّةِ صِدْقِهِمْ في سَلامِهِمْ وخِيانَتِهِمْ في ذٰلِكَ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وطَعْنًا في الدِّينِ فقالَ انَّ اليَهُودَ اذا سَلَّمَ أَحَدُهُمْ فانَّما يَقُولُ السَّامُ عَلَيْكُمْ فقُولوا عَلَيْكُمْ وكَذٰلِكَ قالَ بَعْضُ أَصْحابِنا البَغْدادِيِّينَ

انّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لمْ يقتلِ المُنافقينَ بعِلْمِهِ فيهمْ ولمْ يأتِ أنهُ قامَتْ بيّنةٌ على نفاقِهِمْ فلذلكَ تركَهُمْ وأيضاً فانَّ الأمرَ كانَ سرًّا وباطنًا وظاهرُهُمُ الإسلامُ والايمانُ وانْ كانَ مِنْ أهلِ الذمّةِ بالعهدِ والجوارِ والنّاسُ قريبٌ عهْدُهُمْ بالاسلامِ لمْ يتميّزْ بعدُ الخبيثُ مِنَ الطّيبِ وقدْ شاعَ عنِ المذكورينَ في العربِ كونُ منْ يُتّهمُ بالنّفاقِ منْ جُملةِ المُؤمنينَ وصَحابةِ سيّدِ المُرسلينَ وأنصارِ الدّينِ بحُكمِ ظاهرِهِمْ فلوْ قتلَهُمُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لِنفاقِهِمْ وما يبْدرُ منهُمْ وعِلْمِهِ بِما أسرُّوا في أنفُسِهِمْ لوَجَدَ المُنفّرُ مايقولُ ولَارتابَ الشّاردُ وأرْجَفَ المُعانِدُ وارْتاعَ مِنْ صُحْبةِ النبيِّ صلي الله عليه وسلم والدُّخُولِ في الإسْلامِ غيرُ واحِدٍ ولزَعَمَ الزّاعِمُ وظَنَّ العدُوُّ الظّالمُ أنّ القتلَ انّما كانَ لِلعداوةِ وطَلَبِ أخْذِ التِرَةِ وقدْ رأيتُ معْنَى ماحرّرْتُهُ منسُوباً الي مالِكِ بنِ أنسٍ رحمَهُ اللهُ ولهذا قالَ صلى الله عليه وسلم لايتحدّثُ النّاسُ أنّ محمّدًا يقتُلُ أصحابَهُ وقالَ أُولئِكَ الّذينَ نهاني اللهُ عنْ قتلِهِمْ وهذا بخِلافِ اجزاءِ الأحكامِ الظّاهرةِ عليهِمْ منْ حُدُودِ الزّنا والقتلِ وشِبْهِهِ لِظُهُورِها واسْتِواءِ النّاسِ في عِلْمِها وقدْ قالَ محمّدُ بنُ المَوّازِ لوْ أظهرَ المُنافقُونَ نِفاقَهُمْ لقتلَهُمُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقالهُ القاضيَ أبو الحسَنِ بنُ القصّارِ وقالَ قتادةُ في تفْسيرِ قوْلِهِ تعالي لئِنْ لمْ ينْتَهِ المُنافِقُونَ والّذينَ في قُلُوبِهِمْ مرَضٌ والمُرْجِفُونَ في المدِينَةِ لنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ ثُمّ لايُجاوِرُونَكَ فيها الاّ قليلاً ملْعُونِينَ أيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تقتيلاً سُنّةَ اللهِ الآيةَ قالَ معْناهُ اذا أظهَرُوا النّفاقَ وحكي محمّدُ ابنُ مسْلَمَةَ في المَبْسُوطِ عنْ زيْدِ بنِ أسلَمَ أنّ قوْلَهُ تعالي ياأيُّها النبيُّ جاهِدِ

الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ واغلُظْ عليْهِمْ نَسخَها ما كانَ قبْلَها وقالَ بعْضُ مشايخِنا لعَلَّ القائِلَ هٰذِهِ قِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بِها وجهُ اللهِ وقولَهُ اعدِلْ لمْ يَفْهَمِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنهُ الطَّعنَ عليْهِ والتُّهمَةَ لهُ وانَّما رَآها منْ وجْهِ الغلَطِ في الرَّأْيِ وأُمُورِ الدُّنيا والاجتِهادِ في مَصالِحِ أهْلِها فلَمْ يَرَ ذٰلِكَ سَبّاً ورَأى أنَّهُ مِنَ الأذَى الَّذِي لهُ العَفْوُ عنهُ والصَّبْرُ عليْهِ فلِذٰلِكَ لمْ يُعاقِبْهُ وكَذٰلِكَ يُقالُ في اليَهُودِ اذْ قالوا السَّامُ عليْكُمْ ليْسَ فِيهِ صَرِيحُ سَبٍّ ولا دُعاء الاّ بِما لابُدَّ منهُ منَ المَوْتِ الَّذي لابُدَّ مِنْ لِحاقِهِ جَمِيعَ البَشَر وقِيلَ بَلِ المُرادُ تَسأَمُونَ دِينَكُمْ والسَّأْمُ والسَّآمَةُ المَلالُ وهٰذا دُعاء علي سآمَةِ الدِّينِ ليْسَ بِصَرِيحِ سَبٍّ ولهٰذا تَرْجَمَ البُخاريُّ على هذا الحديثِ بابٌ اذا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ أوْ غَيْرُهُ بِسَبِّ النبيِّ صلي الله عليه وسلم قالَ بَعْضُ عُلَمائنا ولَيْسَ هذا بتَعْرِيض بالسَّبِّ وانَّما هُوَ تَعْرِيضٌ بالأذَى قالَ القاضِي أبو الفَضْلِ قدْ قدَّمْنا أنَّ الأذَي والسَّبَّ في حقِّهِ صلى الله عليه وسلم سَواء وقالَ القاضِي أبو محمَّدٍ بنُ نَصْرٍ مُجِيباً عنْ هٰذا الحديثِ بِبَعْضِ ماتَقَدَّمَ ثُمَّ قالَ ولمْ يذْكُرْ في الحديثِ هلْ كانَ هٰذا اليَهُودِيُّ منْ أهْلِ العَهْدِ والذِّمَّةِ أوِ الحَرْبِ ولا يُتْرَكُ مُوجَبُ الأدِلَّةِ لِلأَمْرِ المُحْتَمَلِ والأَوْلي في ذٰلِكَ كُلِّهِ والأظْهَرُ منْ هٰذِهِ الوُجُوهِ مقصَدُ الاستِئْلافِ والمُداراةِ علي الدِّينِ لعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ولِذٰلِكَ تَرْجَمَ البُخارِيُّ على حديثِ القِسْمَةِ والخَوارِجِ بابُ مَنْ تَرَكَ قِتالَ الخَوارِجِ لِلتَّأَلُّفِ ولِئَلاَّ يَنفِرَ النَّاسُ عنهُ ولِما ذَكَرْنا معْناهُ عنْ مالِكٍ وقرَّرْناهُ قَبْلُ وقدْ صَبَرَ لَهُمْ صلى الله عليه وسلم علي سِحْرِهِ وسَمِّهِ وهُوَ أعْظَمُ مِنْ سَبِّهِ الي أنْ نَصَرَهُ اللهُ علَيْهِمْ وأذِنَ لهُ في قتْلِ

من عَيْنَهُ مِنهُمْ وانزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرُّعبَ وكتب على مَنْ شاء مِنهُمُ الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ماانتقم لنفسه في شيء يؤتي اليه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فأن هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون مالا ينتقم منه له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من السفه كجبذ الأعرابي رداءه حتى أثر في عنقه و كرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة و كما كان من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره فيجوز بفعل مباح مما يجوز للإنسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ألا واني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة

عَدُوّ اللهِ عندَ رَجُلٍ أبدًا أوْ يَكُونُ هذا مِمّا آذاهُ بهِ كافِرٌ رجا بعْدَ ذلِكَ اسلامَهُ كعفوِهِ عن اليهُودِيّ الّذِي سَحرَهُ وعن الأعرَابِيّ الّذي أرَادَ قتلَهُ وعن اليهُودِيّةِ الّتي سَمّتْهُ وقدْ قِيلَ قتلَها ومثلُ هذا مِمّا يَبلغُهُ من أذَي أهلِ الكِتابِ والمُنافِقِينَ فصفحَ عنهمْ رَجاءَ اسْتِئلافِهِمْ واسْتِئلافِ غيرِهِمْ كما قرّرْناهُ قبلُ وباللهِ التّوفيقُ

(فصل)

قالَ القاضي تقدّمَ الكَلامُ في قتلِ القاصِدِ لِسَبّهِ والإزْرَاءِ بهِ وغمْصِهِ بايّ وجْهٍ كانَ من مُمْكِنٍ أوْ مُحالٍ فهٰذا وجهٌ بَيّنٌ لااشْكالَ فيهِ *الوَجهُ الثاني لاحِقٌ بهِ في البيَانِ والجَلاءِ وهُوَ أنْ يَكُونَ القائِلُ لِما قالَ في جِهتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم غيرَ قاصِدٍ لِلسّبّ والإزْرَاءِ ولا مُعتقِدٍ لهُ ولٰكِنّهُ تكَلّمَ في جِهتِهِ صلى الله عليه وسلم بِكَلِمَةِ الكُفرِ من لَعنِهِ أوْ سَبّهِ أوْ تكْذِيبِهِ أوْ اضافَةِ مالا يجُوزُ علَيْهِ أوْ نَفيِ مايجِبُ لهُ مِمّا هُوَ في حَقّهِ صلى الله عليه وسلم نَقِيصَةٌ مِثلُ أنْ يَنْسُبَ اليهِ اتْيانَ كَبِيرَةٍ أوْ مُداهَنَةً في تبْلِيغِ الرّسالَةِ أوْ في حُكْمٍ بَيْنَ النّاسِ أوْ يَغُضّ من مَرْتبَتِهِ أوْ شَرَفِ نَسَبِهِ أوْ وُفُورِ عِلمِهِ أوْ زُهْدِهِ أوْ يُكَذّبَ بِما اشْتهَرَ منْ أُمُورٍ أخْبَرَ بها صلى اللهُ عليهِ وسلم وتَواترَ الخَبَرُ بها عنْ قصْدٍ لِرَدّ خَبَرِهِ أوْ يأتِيَ بِسفَهٍ منَ القَوْلِ أوْ قَبِيحٍ مِنَ الكَلامِ ونَوْعٍ مِنَ السّبّ في جِهتِهِ وانْ ظَهَرَ بِدَلِيلِ حالِهِ أنهُ لمْ يَعْتمِدْ ذمّهُ ولمْ يَقْصِدْ سَبّهُ امّا لِجَهالَةٍ حَمَلَتْهُ علي ماقالهُ أوْ لِضَجَرٍ أوْ سُكْرٍ اضطَرّهُ اليْهِ أوْ قِلّةِ مُرَاقَبَةٍ وضَبْطٍ لِلسانِهِ وعَجْرَفَةٍ

وتهوّرٍ في كلامِهِ فحُكمُ هذا الوجهِ حُكمُ الوجهِ الأوّلِ القتلُ دونَ تلعثمٍ اذلا يُعذَرُ أحدٌ في الكفرِ بالجهالةِ ولا بدعوى زللِ اللسانِ ولا بشيءٍ ممّا ذكرناهُ اذا كانَ عقلُهُ في فطرتِهِ سليماً الاّ منْ أُكرِهَ وقلبُهُ مطمئنٌّ بالإيمانِ وبهذا أفتى الأندلسيّونَ على ابنِ حاتمٍ في نفيِهِ الزّهدَ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الذي قدّمناهُ وقالَ محمّدُ بنُ سحنونٍ في المأسورِ يسبُّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في أيدي العدوِّ يُقتَلُ الاّ أنْ يُعلَمَ تنصُّرُهُ أوْ اكراهُهُ وعنْ أبي محمّدِ بنِ أبي زيدٍ لايُعذَرُ بدعوى زللِ اللسانِ في مثلِ هذا وأفتى أبو الحسنِ القابسيُّ فيمَنْ شتمَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم في سكرِهِ يُقتَلُ لأنّهُ يُظنُّ بهِ أنّهُ يعتقدُ هذا ويفعلُهُ في صحوِهِ وأيضاً فانهُ حدٌّ لا يُسقِطهُ السّكرُ كالقذفِ والقتلِ وسائرِ الحدودِ لأنّهُ أدخلَهُ على نفسِهِ لأنّ منْ شربَ الخمرَ على علمٍ منْ زوالِ عقلِهِ بها واتيانِ مايُنكَرُ منهُ فهوَ كالعامدِ لِما يكونُ بسببِهِ وعلى هذا ألزمناهُ الطّلاقَ والعتاقَ والقصاصَ والحدودَ ولا يُعترَضُ على هذا بحديثِ حمزةَ وقولِهِ للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وهلْ أنتمْ الاّ عبيدٌ لأبي قالَ فعرفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنّهُ ثملٌ فانصرفَ لأنّ الخمرَ كانتْ حينئذٍ غيرَ محرّمةٍ فلمْ يكنْ في جناياتها اثمٌ وكانَ حكمُ مايحدثُ عنها معفوّاً عنهُ كما يحدثُ منَ النّومِ وشربِ الدّواءِ المأمونِ

فصل

الوجهُ الثّالثُ أنْ يقصدَ الى تكذيبِهِ فيما قالَهُ أوْ أتى بهِ أوْ ينفيَ نبوّتَهُ

أَوْ رِسالَتَهُ أَوْ وُجُودَهُ أَوْ يَكْفُرَ بِهِ انْتَقَلَ بِقَوْلِهِ ذٰلِكَ الي دِينٍ آخَرَ غَيْرِ مِلَتِهِ أَمْ لا فَهٰذا كافِرٌ بِإِجْماعٍ يَجِبُ قَتْلُهُ ثُمَّ يُنْظَرُ فَإِنْ كانَ مُصَرِّحاً بِذٰلِكَ كانَ حُكْمُهُ أَشْبَهَ بِحُكْمِ الْمُرْتَدِّ وَقَوِيَ الْخِلافُ في اسْتِتابَتِهِ وعلى القَوْلِ الآخَرِ لا تُسْقِطُ القَتْلَ عَنْهُ تَوْبَتُهُ لِحَقِّ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ان كانَ ذَكَرَهُ بِنَقِيصَةٍ فِيما قالَهُ مِنْ كَذِبٍ أَوْ غَيْرِهِ وانْ كانَ مُتَسَتِّرًا بِذٰلِكَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الزِّنْدِيقِ لا تُسْقِطُ قَتْلَهُ التَّوْبَةُ عِنْدَنا كَما سَنُبَيِّنُهُ قالَ أَبو حَنِيفَةَ وأَصْحابُهُ مَنْ بَرِيءَ مِنْ مُحَمَّدٍ أَوْ كَذَّبَ بِهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ حَلالُ الدَّمِ الَّا أَنْ يَرْجِعَ وقالَ ابْنُ القاسِمِ في المُسْلِمِ اذا قالَ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِنَبِيٍّ أَوْلَمْ يُرْسَلْ أَوْلَمْ يُنْزَلْ عليهِ قُرْآنٌ وانَّما هُوَ شَيْءٌ تَقَوَّلَهُ يُقْتَلُ قالَ وَمَنْ كَفَرَ بِرَسولِ اللهِ صلي الله عليه وسلم وأَنْكَرَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُرْتَدِّ وَ كَذٰلِكَ مَنْ أَعْلَنَ بِتَكْذِيبِهِ أَنَّهُ كالْمُرْتَدِّ يُسْتَتابُ وَ كَذٰلِكَ قالَ فِيمَنْ تَنَبَّأَ وزَعَمَ أَنَّهُ يُوحَى اليهِ وقالَهُ سُحْنُونٌ وقالَ ابْنُ القاسِمِ دَعا الي ذٰلِكَ سِرًّا أَوْ جَهْرًا وقالَ أَصْبَغُ وهُوَ كالْمُرْتَدِّ لِأَنَّهُ قَدْ كَفَرَ بِكِتابِ اللهِ مَعَ الفِرْيَةِ على اللهِ وَقالَ أَشْهَبُ في يَهُودِيٍّ تَنَبَّأَ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ أُرْسِلَ الي النَّاسِ أَوْ قالَ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيٌّ انَّهُ يُسْتَتابُ ان كانَ مُعْلِناً بِذٰلِكَ فَإِنْ تابَ والَّا قُتِلَ وذٰلِكَ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في قَوْلِهِ لا نَبِيَّ بَعْدِي مُفْتَرٍ علي اللهِ في دَعْوَاهُ عليهِ الرِّسالَةَ والنُّبُوَّةَ وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُحْنُونٍ مَنْ شَكَّ في حَرْفٍ مِمَّا جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم عَنِ اللهِ فَهُوَ كافِرٌ جاحِدٌ وقالَ مَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ حُكْمُهُ عِنْدَ الأُمَّةِ القَتْلَ وقالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُلَيْمانَ صاحِبُ سُحْنُونٍ

من قالَ انّ النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أسْوَدُ قُتِلَ لمْ يَكُنِ النبيُّ صلى اللهِ عليه وسلم بأَسْوَدَ وقالَ نحوَهُ أبو عُثْمان الحَدَّادُ قالَ لوْ قالَ إِنّهُ ماتَ قبْلَ أنْ يلْتَحِيَ أوْ انّهُ كانَ بتاهَرْتَ ولمْ يَكُنْ بتِهامَةَ قُتِلَ لِأَنَّ هذا نَفْيٌ قالَ حبيبُ ابنُ رَبِيعٍ تَبْدِيلُ صِفَتِهِ ومَواضِعِهِ كُفْرٌ والمُظْهِرُ لهُ كافِرٌ وفيهِ الإِسْتِتابَةُ والمسِرُّ لهُ زِنْدِيقٌ يُقْتَلُ دُونَ استِتابَةٍ

فصل

الوَجْهُ الرَّابِعُ أنْ يأْتِيَ منَ الكَلامِ بِمُجْمَلٍ ويَلْفِظَ منَ القَوْلِ بِمُشْكِلٍ يُمْكِنُ حَمْلُهُ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أوْ غَيْرِهِ أوْ يُتَرَدَّدُ في المُرَادِ بِهِ منْ سَلامَتِهِ منَ المَكْرُوهِ أوْ شَرِّهِ فهُنا مُتَرَدَّدُ النَّظَرِ وحَيْرَةُ العِبَرِ ومَظِنَّةُ اختِلافِ المُجْتَهِدِينَ ووقفةُ استِبْرَاءِ المُقَلّدِينَ ليَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عنْ بَيّنَةٍ ويَحْيا مَنْ حَيَّ عنْ بَيّنَةٍ فمِنْهُمْ مَنْ غَلَّبَ حُرْمَةَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وحَمَى حِمَى عِرْضِهِ فَجَسَرَ علي القَتْلِ ومِنْهُمْ منْ عَظَّمَ حُرْمَةَ الدَّمِ ودَرَأَ الحَدَّ بالشُّبْهَةِ لاحتِمالِ القوْلِ وقدِ اختلَفَ أئِمّتُنا في رَجُلٍ أغْضَبَهُ غَرِيمُهُ فقالَ لهُ صلِّ على مُحمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ لهُ الطَّالِبُ لاصلّى اللهُ على مَنْ صَلَّى علَيْهِ فقِيلَ لِسُحْنُونٍ هلْ هُوَ كَمَنْ شَتَمَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أوْ شَتَمَ الملائِكَةَ الّذِينَ يُصلّونَ عليهِ قالَ لا اذا كانَ على ما وَصَفْتَ منَ الغَضَبِ لأَنّهُ لمْ يَكُنْ مُضْمِرًا الشَّتْمَ وقالَ أبو اسْحاقَ البَرْقِيُّ وأصبَغُ بنُ الفَرَجِ لايُقْتَلُ لأَنّهُ انّما شَتَمَ النَّاسَ وهذا نحْوُ قوْلِ سحنُونٍ لأَنّهُ لمْ يَعْذِرْه بالغَضَبِ في شَتْمِ النبيِّ صلي اللهُ عليه وسلم

ولـكِنهُ لَمّا احتَمَلَ الكَلامُ عنـدَهُ ولَمْ تَـكُنْ معَهُ قَرِينةٌ تدلُّ على شَتْمِ النَّبيِّ صـلى الله عليه وسـلم أوْ شَتمِ المَلائِـكةِ صَـلَوَاتُ اللهِ علَيْهِمْ ولا مُقَـدِمَةٌ يُحْمَـلُ عليْها كَلامُهُ بَلِ القَرِينَة تَدُلُّ علي أنَّ مُرادَهُ النّاسُ غَيرُ هؤُلاءِ لِأَجلِ قولِ الآخَرِ لهُ صلِّ علي النبيِّ فَحُمِلَ قولُهُ وسَـبُّهُ لِمَنْ يُصَلّى عليهِ الآنَ لِأَجلِ أمرِ الآخَرِ لهُ بِهذا عِنْدَ غَضَبِهِ هذا مَعْني قولِ سُحْنُونِ وهُوَ مُطابِقٌ لعِـلَّةِ صاحِبَيْهِ وذَهَبَ الحارِثُ بنُ مِسْـكِينِ القاضي وغَـيرُهُ فـي مِثْلِ هـذا الى القتْـل وتَوَقَّفَ أبو الحَسَنِ القابِسيُّ في قَتلِ رَجُلٍ قالَ كُلُّ صاحِبِ فُنْـدُقٍ قَرْنانٌ ولوْ كانَ نَبيًّا مُرْسَلًا فأَمَرَ بِشَدِّهِ بالقُيُودِ والتَّضيِيقِ عليهِ حَـتَّي يُستَفْهَمَ البَيِّنَةُ عنْ جُمْـلَةِ ألفاظِهِ وما يَدُلُّ على مقْصِدِهِ هَلْ أرادَ أصْحابَ الفنادِقِ الآنَ فَمَعْلُومٌ أنَّهُ ليسَ فيهِـمْ نَـبِيٌّ مُرْسَـلٌ فَيَـكونُ أمْرُهُ أخَفَّ قالَ ولَـكِنْ ظاهِرُ لَفظِهِ العُمُومُ لِـكُلِّ صاحِبِ فُنْـدُقٍ مِنَ المُتَقَـدِّمينَ والمُتَـأَخِّرِينَ وقد كانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأَنْبياءِ والرُّسُلِ مَنِ اكْـتَسَبَ المَـالَ قالَ ودَمُ المُسْلِمِ لا يُقْـدَمُ عليه الّا بِأَمرٍ بَـيِّنٍ وما تُرَدُّ اليه التَّأْويلاتُ لا بُدَّ مِنْ إمْعانِ النَّظَرِ فيهِ هـذا مَعْنى كلامِه وحُـكِيَ عنْ أبي مُحَمَّدٍ بنِ أبي زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَنْ قالَ لَعَنَ اللهُ العَرَبَ ولَعَنَ اللهُ بَـني إِسْرائيلَ ولَعَنَ اللهُ بَـني آدَمَ وذكرَ أنَّهُ لم يُرِدِ الأَنْبياءَ وانَّما أرَدْتُ الظَّالِـمِينَ منهُمْ أنَّ عليه الأَدَبَ بِقَدْرِ اجتِهادِ السُّـلْطانِ و كذلكَ أفْـتي فِيمَنْ قال لعنَ اللهُ مَنْ حَرَّمَ المُسْـكِرَ وقالَ لم أعْـلَمْ مَنْ حَرَّمَهُ وفِيمنْ لعَنَ حـديثَ لا يَبِـعْ حاضِرٌ لِبادٍ ولَعنَ ما جاءَ به أنَّهُ إنْ كانَ يُعْذَرُ بالجَهْـلِ وعَدَمِ مَعرِفَةِ السُّـنَنِ فعليه الأَدَبُ الوجِيـعُ وذلكَ أنَّ هذا لم يقْصِدْ بِظاهِرِ حالِه سَبَّ اللهِ ولا سَبَّ

رَسولِه وانَّما لَعَنَ مَنْ حَرَّمَهُ منَ النَّاسِ على نحوِ فَتوَى سُحنُونٍ وأصْحابِه في المَسْأَلَةِ المُتَقَدِّمَةِ ومثلُ هذا ما يَجْرِي في كلامِ سُفَهاءِ النَّاسِ مِنْ قولِ بعضِهِمْ لِبعضٍ يا ابنَ ألفِ خِنزيرٍ ويا ابنَ مِائةِ كلبٍ وشِبهِه مِنْ هُجْرِ القولِ ولا شَكَّ أنَّهُ يَدخُلُ في مثلِ هذا العَدَدِ مِنْ آبائِهِ وأجْدادِهِ جماعةٌ مِنَ الأنبياءِ ولَعَلَّ بعضَ هذا العَدَدِ مُنْقَطِعٌ الي آدمَ عليه السلامُ فينبغي الزَّجرُ عنهُ وتَبيينُ ما جَهِلَ قائِلُهُ منهُ وشِدَّةُ الأدَبِ فيهِ ولوْ عُلِمَ أنَّهُ قَصَدَ سَبَّ مَنْ في آبائِه منَ الأنبياءِ على عِلْمٍ لَقُتِلَ وقد يَضِيقُ القَوْلُ في نحوِ هذا لوْ قالَ لِرَجُلٍ هاشِمِيٍّ لَعَنَ اللهُ بَني هاشِمٍ وقال أرَدْتُ الظَّالِمِينَ منهُمْ أوْ قال لِرَجُلٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قولاً قَبيحاً في آبائِه أوْ مِنْ نَسْلِهِ أوْ وَلَدِه على عِلْمٍ منهُ أنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولم تَكُنْ قَرينةٌ في المَسْأَلَتَيْنِ تَقتَضِي تَخصيصَ بعضِ آبائِه وإخْراجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم مِمَّنْ سَبَّهُ منهُمْ وقد رَأَيْتُ لِأبِي موسى بنِ مَناسَ فِيمَنْ قالَ لِرَجُلٍ لَعَنَكَ اللهُ الى آدمَ عليه السلامُ أنَّهُ إنْ ثَبَتَ عليه ذلكَ قُتِلَ قال القاضي وَفَّقَهُ اللهُ وقد كانَ اخْتَلَفَ شُيُوخُنا فِيمَنْ قال لِشاهِدٍ شَهِدَ عليه بِشَيْءٍ ثمَّ قال لهُ تَتَّهِمُنِي فقال لهُ الآخَرُ الأنبياءُ يُتَّهَمُونَ فَكَيْفَ أنْتَ فكانَ شيخُنا أبو اسحٰقَ ابنُ جعفرٍ يرَى قَتْلَهُ لِبَشاعَةِ ظاهِرِ اللَّفظِ وكانَ القاضي أبو محمدِ بنُ منصُورٍ يَتَوَقَّفُ عنِ القَتْلِ لِاحْتِمالِ اللَّفظِ عِنْدَهُ أنْ يَكونَ خَبَرًا عَمَّنِ اتَّهَمَهُمْ مِنَ الكُفَّارِ وأفْتَي فيها قاضي قُرْطُبَةَ أبو عبدِ اللهِ بنُ الحاجِّ بِنَحْوٍ مِنْ هذا وشَدَّدَ القاضي أبو محمدٍ تَصْفِيدَهُ وأطالَ سَجْنَهُ ثمَّ اسْتَحْلَفَهُ بعدُ على تَكْذِيبِ ما شُهِدَ به عليه اذْ دَخَلَ في شَهادَةِ بعضِ مَنْ شَهِدَ عليه وَهْنٌ ثمَّ أطْلَقَهُ وشاهَدْتُ

شَيْخَنَا القاضيَ أبا عبدِ اللهِ بنَ عِيسى أيّامَ قضائه أُتِيَ بِرَجُلٍ هاتَرَ رَجُلاً اسمُهُ محمدٌ ثمَّ قَصَدَ الى كَلْبٍ فضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقال لهُ قُمْ يا محمّدُ فأَنكَرَ الرَّجُلُ أنْ يَكونَ قال ذلك وشَهِدَ عليه لفيفٌ مِنَ النّاسِ فأَمَرَ به الي السِّجْنِ وتَقَصَّى عن حالِه وهَلْ يَصْحَبُ مَنْ يُسْتَرَابُ بِدِينِهِ فلمَّا لم يجِدْ ما يُقَوِّي الرِّيبَةَ باعتِقادِهِ ضَرَبَهُ بالسَّوْطِ وأطلَقَهُ

(فصل)

الوَجْهُ الخامِسُ أنْ لا يَقْصِدَ نَقْصاً ولا يَذْكُرَ عَيْباً ولا سَبًّا لكِنَّهُ يَنزِعُ بِذِكْرِ بعض أوْصافِه أوْ يَسْتَشْهِدُ ببَعْضِ أحْوالِه صلى اللهُ عليه وسلم الجائِزَةِ عليه في الدُّنيا على طَرِيقِ ضَرْبِ المَثَلِ والحُجَّةِ لِنفسِهِ أوْ لِغيرِه أوْ على التَّشَبُّهِ به أوْ عندَ هَضِيمَةٍ نالَتْهُ أوْ غَضاضَةٍ لَحِقَتْهُ ليسَ على طَرِيقِ التَّأَسّي وطَرِيقِ التَّحْقِيقِ بَلْ على مَقْصِدِ التَّرْفِيعِ لِنَفْسِهِ أوْ لِغَيْرِهِ أوْ على سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وعَدَمِ التَّوْقِيرِ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم أوْ قَصْدِ الهَزْلِ والتَّنْذِيرِ بقوْلِه كقوْلِ القائِلِ إنْ قِيلَ فِيَّ السُّوءُ فقد قِيلَ في النَّبِيِّ أوْ إنْ كُذِّبْتُ فقد كُذِّبَ الأنبياءُ أوْ إنْ أذْنَبْتُ فقد أذْنَبُوا أوْ أنا أَسْلَمُ مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ ولم يَسْلَمْ منهُمْ أنبياءُ اللهِ ورُسُلُهُ أوْ قد صَبَرْتُ كما صَبَرَ أُولُو العَزْمِ أوْ كَصَبْرِ أيُّوبَ أوْ قد صَبَرَ نَبِيُّ اللهِ عَنْ عِداهُ وحَلُمَ علي أكْثَرَ مِمَّا صَبَرْتُ وكَقَوْلِ المُتَنَبِّي

أنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللهُ غَرِيبٌ كَصالِحٍ في ثَمُودِ

ونَحوِهِ مِنْ أشعارِ المُتَعَجْرِفِينَ في القوْلِ المُتَساهِلِينَ في الكَلامِ كقوْلِ المَعَرّي

كُنتَ مُوسى وافتهُ بِنتُ شُعَيبٍ * غيرَ أنْ ليسَ فيكما مِنْ فقيرِ

على أنَّ آخِرَ البَيْتِ شَدِيدٌ ودَاخِلٌ في الإزراء والتحقيرِ بالنبيِّ صلي الله عليه وسلم وتفضيلُ حالِ غَيْرِه عله وكذلك قولُهُ

لوْلا انقِطاعُ الوَحْيِ بعدَ محمّدٍ * قُلْنا محمّدٌ عنْ أبيهِ بَدِيلُ

هوَ مِثْلُهُ في الفَضْلِ الّا أنّهُ * لم يَأْتِه بِرِسالَةٍ جِبْرِيلُ

فَصَدْرُ البَيْتِ الثّانى مِنْ هذا الفَصْلِ شَدِيدٌ لِتَشْبِيهِ غَيْرَ النّبيِّ صلى الله عليه وسلم فى فضْلِهِ بالنّبيِّ والعَجزُ مُحْتَمِلٌ لِوَجْهَيْنِ أحدُهُما أنّ هذه الفَضِيلَةَ نَقَّصَتِ المَمْدُوحَ والآخَرُ استِغْنَاؤُهُ عنها وهذه أشدُّ ونحوٌ منهُ قولُ الآخَرِ

واذا ما رُفِعَتْ راياتُهُ * صفقَتْ بَيْنَ جناحَيْ جَبْرِينْ

وقولُ الآخَرِ مِنْ أهْلِ العَصْرِ

فَرَّ مِنَ الخُلْدِ واستَجارَ بنا * فَصَبَّرَ اللهُ قَلْبَ رُضْوانِ

وكَقولِ حَسَّانَ المصيصي مِنْ شُعَراءِ الأنْدُلُسِ في محمّدِ بنِ عبّادٍ المَعْرُوفِ بالمُعْتَمِدِ ووَزِيرِهِ أبى بَكْرِ بنِ زَيْدُونَ

كأنَّ أبا بَكْرٍ أبو بَكْرٍ الرّضا * وحَسّانُ حَسّانٌ وأنتَ محمّدٌ

الى أمْثالِ هذا وإنّما أكْثَرْنا بِشاهِدِها مَعَ استِثْقالِنا حِكايَتَها لِتَعْرِيفِ أمْثِلَتِها ولِتَساهُلِ كَثِيرٍ مِنَ النّاسِ في وُلُوجِ هذا الباب الضَّنْكِ واستِخْفافِهِمْ فادِحَ هذا العِبْءِ وقِلّةِ عِلْمِهِمْ بِعَظِيمِ مافيه مِنَ الوِزْرِ وكَلامِهِمْ منهُ بما ليسَ لَهُمْ به عِلْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وهوَ عندَ اللهِ عَظِيمٌ لا سِيَّما الشُّعَراءُ وأشَدُّهُمْ فيهِ تَصْرِيحاً ولِسانه تَسْرِيحاً ابنُ هانِئٍ الأنْدَلُسيُّ وابنُ سُلَيْمانَ المَعَرّيُّ بَلْ قد خَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ كلامِهما الي حَدِّ الاستِخْفافِ والنّقْصِ

وصَريحِ الكُفرِ وقد أجبْنا عنهُ وغرَضُنا الآنَ الكلامُ في هذا الفصلِ الذى سقْنا أمثِلَتَهُ فإنَّ هذه كلَّها وانْ لم تتضمَّنْ سبًّا ولا أضافَتْ الي الملائكةِ والأنبياءِ نقصاً ولستُ أعني عجزَى بيتَي المعرّى ولا قصَدَ قائلُها إزراءً وغضاً فما وقّرَ النُّبوّةَ ولا عظَّمَ الرِّسالةَ ولا عزَّرَ حرْمةَ الاصطِفاءِ ولا عزَّزَ حُظْوَةَ الكرامةِ حتّي شبَّهَ منْ شبَّهَ في كرامةٍ نالَها أوْ معرَّةٍ قصَدَ الانتِفاءَ منها أوْ ضرْبِ مثَلٍ لتطْييبِ مجْلِسِه أوْ إغلاءٍ في وَصْفٍ لِتحْسِينِ كلامِه بمَنْ عظَّمَ اللهُ خطَرَهُ وشرَّفَ قدْرَهُ وألزَمَ توْقيرَهُ و برَّهُ ونَهى عنْ جهْرِ القوْلِ لهُ ورَفْعِ الصَّوتِ عندَهُ فحقُّ هذا انْ دُرِيَ عنهُ القتْلُ الأدَبُ والسِّجنُ وقوّةُ تعْزِيرِهِ بحسَبِ شُنْعَةِ مقالِهِ ومقْتَضى قُبْحِ ما نطَقَ بهِ ومألوفِ عادَتِهِ لِمثْلِهِ أوْ نُدُورِهِ وقرِينَةِ كلامِهِ أوْ ندَمِهِ على ماسَبقَ منْهُ ولمْ يزَلِ المُتقَدِّمُونَ يُنْكِرُونَ مثْلَ هذا مِمَّنْ جاءَ بهِ وقدْ أنكَرَ الرَّشيدُ على أبي نُواسٍ قوْلَهُ

فانْ يكُ باقي سِحْرِ فِرْعوْنَ فيكُمْ * فانَّ عَصا مُوسَى بِكَفِّ خصيبِ

وقالَ لهُ ياابنَ اللخناءِ أنتَ المُستهزِئُ بعَصا مُوسَي وأمرَ باخْراجِهِ عنْ عسْكَرِهِ منْ لَيْلَتِهِ وذَكَرَ القُتَبِيُّ أنَّ مِمّا أُخِذَ عليهِ أيضاً و كُفِّرَ فيهِ أوْقارَبَ قوْلَهُ في محمّدٍ الأمينِ وتَشْبيهِهِ اياهُ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم حيْثُ قالَ

تَنازَعَ الأحمَدانِ الشِّبْهَ فاشْتَبَها * خَلْقاً وخُلْقاً كما قُدَّ الشِّرا كانِ

وقدْ أنكَرُوا عليهِ أيضاً قوْلَهُ

كيْفَ لايُدْنيكَ مِنْ أمَلٍ * مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهِ

لِأنَّ حقَّ الرَّسُولِ ومُوجَبَ تعْظيمِهِ وانافَةَ منْزِلَتِهِ أنْ يُضافَ اليهِ ولا يُضافُ فالحُكْمُ في أمثالِ هذا مابَسطْناهُ في طَرِيقِ الفُتْيا على هذا المَنْهجِ

جاءتْ فُتيا امامِ مَذْهَبِنا مالكِ بنِ أنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ وأصحابِهِ ففِي النَّوادِرِ مِنْ رِوايةِ ابنِ أبي مَرْيَمَ في رَجُلٍ عَيَّرَ رَجُلاً بالفَقْرِ فقالَ تُعَيِّرُني بالفقرِ وقدْ رَعَى النبيُّ صلي اللهُ عليه وسلم الغَنَمَ فقالَ مالكٌ قدْ عرَّضَ بذِكْرِ النبيِّ صلي الله عليه وسلم في غَيْرِ مَوْضعِهِ أري أنْ يُؤَدَّبَ قالَ ولا ينبغي لِأهلِ الذنوبِ اذا عُوتِبوا أنْ يَقُولوا قدْ أخطأَتِ الأنبياءُ قَبْلَنا وقالَ عُمَرُ ابنُ عَبْدِ العَزيزِ لرَجُلٍ انظُرْ لنا كاتِباً يَكُونُ أبوهُ عَرَبِيًّا فقالَ كاتِبٌ لهُ قدْ كانَ أبو النبيِّ كافِرًا فقالَ جَعلْتَ هذا مَثَلاً فعزَلَهُ وقالَ لاتَكْتُبْ لي أبدًا وقدْ كَرِهَ سُحْنُونٌ أنْ يُصَلَّى على النبيِّ صلي الله عليه وسلم عِنْدَ التَّعَجُّبِ الاّ على طريقِ الثَّوابِ والاحتِسابِ تَوْقيرًا لهُ وتَعظيماً كما أمرَنا اللهُ وسُئِلَ القابِسِيُّ عنْ رَجُلٍ قالَ لرَجُلٍ قَبيحٍ كأنَّهُ وجهُ نَكيرٍ ولرَجُلٍ عبُوسٍ كأنَّهُ وجه مالكٍ الغضْبانِ فقالَ أيُّ شيْءٍ أرادَ بهذا ونَكيرٌ أحدُ فتّاني القَبْرِ وهُما مَلَكانِ فما الّذي أرادَ أروعٌ دَخَلَ علَيْهِ حِينَ رآهُ منْ وجْهِهِ أمْ عافَ النَّظَرَ اليْهِ لِدَمامةِ خلْقِهِ فانْ كانَ هذا فهُوَ شَديدٌ لأنهُ جرَى مَجْرَى التَّحقيرِ والتَّهوينِ فهُوَ أشَدُّ عقُوبَةً وليْسَ فيهِ تَصْريحٌ بالسَّبِّ لِلْمَلَكِ وانَّما السَّب واقِعٌ على المُخاطَبِ وفي الأدَبِ بالسَّوْطِ والسِّجْنِ نَكالٌ لِلسُّفَهاءِ قالَ وأمّا ذاكِرُ مالكٍ خازِنِ النّارِ فقدْ جفا الّذي ذَكَرَهُ عنْدَ ماأنكَرَ حالَهُ منْ عبُوسِ الآخَرِ الاّ أنْ يَكُونَ المُعَبِّسُ لهُ يَدٌ فيُرْهِبُ بِعُبْستِهِ فيُشَبِّهُهُ القائلُ على طَريقِ الذَّمِّ لهذا في فعْلِهِ ولزُومِهِ في ظُلْمِهِ صِفةَ مالكٍ المَلَكِ المُطيعِ لرَبِّهِ في فعْلِهِ فيقُولُ كأنّهُ للهِ يَغضَبُ غضَبَ مالكٍ فيكون أخفَّ وما كانَ يَنبَغِي لهُ التَّعرُّضُ لِمثْلِ هذا ولوْ كانَ أثْنَي على

العبُوس بعُبستِهِ واحتجَّ بصِفَةِ مالِكٍ كان أشدَّ ويُعاقبُ المعاقبةَ الشَّديدةَ وليسَ في هذا ذمٌّ لِلمَلَكِ ولو قصدَ ذمَّهُ لقُتِلَ وقالَ أبو الحسَنِ أيضاً في شابٍّ معروفٍ بالخيرِ قالَ لرَجُلٍ شَيئاً فقالَ لهُ الرَّجُلُ أُسكُتْ فانَّكَ أُمِّيٌّ فقالَ الشَّابُّ أليسَ كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أُمِّيًّا فشُنِّعَ عليهِ مقالُهُ وكفَّرَهُ النَّاسُ وأشفقَ الشَّابُّ مِمَّا قالَ وأظهرَ النَّدمَ عليهِ فقالَ أبو الحسَنِ امَّا اطلاقُ الكُفرِ عليه فخطأٌ لكنَّهُ مُخطِئٌ في استشهادِهِ بصِفَةِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وكونُ النَّبِيِّ أُمِّيًّا آيةٌ لهُ وكونُ هذا أُمِّيًّا نقيصةٌ فيهِ وجَهالةٌ ومِنْ جَهالتِهِ احتِجاجُهُ بصِفَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لكنَّهُ اذا استغفرَ وتابَ واعترَفَ ولَجَأَ الى اللهِ فيُترَكُ لِأنَّ قولَهُ لا ينتَهي الي حدِّ القتلِ وما طَريقُهُ الأدبُ فطوعُ فاعِلِهِ بالنَّدمِ عليهِ يُوجِبُ الكفَّ عنهُ ونزلتْ أيضاً مسألةٌ استفتَي فيها بعضُ قُضاةِ الأندلُسِ شيخَنا القاضي أبا مُحمَّدِ بنَ منصورٍ رحمَهُ اللهُ في رَجُلٍ تنقَّصهُ آخرُ بشيءٍ فقالَ لهُ انَّما تُريدُ نقصِي بقَولِكَ وأنا بشرٌ وجميعُ البشرِ يلحَقُهُمُ النَّقصُ حتَّي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فأفتاهُ بإطالةِ سجنِهِ وايجاعِ أدبِهِ اذ لمْ يقصِدِ السَّبَّ وكانَ بعضُ فُقهاءِ الأندلُسِ أفتَي بقتلِهِ

(فصلٌ)

الوَجهُ السَّادسُ أنْ يقولَ القائلُ ذلكَ حاكِياً عنْ غيرِهِ وآثِراً لهُ عنْ سِواهُ فهذا يُنظَرُ في صورَةِ حِكايتِهِ وقرينةِ مقالتِهِ ويختلِفُ الحُكمُ باختِلافِ ذلكَ على أربعةِ وُجوهٍ الوُجوبِ والنَّدبِ والكَراهةِ والتَّحريمِ فإنْ كانَ

أخـبَرَ بهِ على وجهِ الشَّهادَةِ والتَّعرِيفِ بقائِلِهِ والإِنـكارِ والإِعلامِ بقَوْلِهِ والتَّنفِيرِ منهُ والتّجرِيحِ لهُ فهٰذا ممّـا يَنْبَغي امتِثالُهُ ويُحْمَدُ فاعِلُهُ وكذلِكَ انْ حَـكاهُ في كِـتابٍ أوْ في مَجلِسٍ على طَرِيقِ الرَّدِّ لهُ والنَّقضِ على قائِلِهِ والفُتْيا بِمـا يَلْزَمُهُ وهٰذا منهُ مايجِبُ ومنهُ مايُستَحَبُّ بحَسَبِ حالاتِ الحاكِي لذلِكَ والمحْـكِيّ عَنهُ فانْ كانَ القائِلُ لذلِكَ مِمَّنْ تَصدَّى لأَنْ يُؤْخَذَ عـنـهُ العِلْمُ أوْ رِوايَةُ الحديثِ أوْ يُقْطَعُ بحُـكمِهِ أوْ شهادَتِهِ أوْ فُتْياهُ في الحُقُوقِ وجَبَ على سامِعِهِ الإِشادةُ بِمـاسُمِعَ منهُ والتّنفِـيرُ لِلنّاسِ عنـهُ والشّهادَةُ عليـهِ بِمـا قالهُ ووجَبَ على منْ بَلَغَهُ ذلِكَ منْ أئِمّةِ المُسْلِمِـين انْـكارُهُ وَبَيانُ كُـفْرِهِ وَفَسادُ قَوْلِهِ لِقطْعِ ضَرَرِهِ عَنِ المُسْـلِمِـينَ وقِياماً بحَقِّ سَيِّدِ المُرْسَـلِينَ و كَذلِكَ انْ كانَ مِمَّنْ يَعِظُ العامّةَ أوْ يُؤَدِّبُ الصِّبْيانَ فإِنَّ مَنْ هٰذِهِ سَرِيرَتُهُ لا يُؤْمَنُ علي إِلقاءِ ذلِكَ في قُلُوبِهِمْ فَيتأَكَّدُ في هؤُلاءِ الإِيجابُ لِحَقِّ النَّبيِّ صـلى اللهُ عليه وسـلم وَلِحَقِّ شَرِيعَتِهِ وَانْ لمْ يَـكُنِ القائِلُ بِهٰذِهِ السَّبِيلِ فالقِيامُ بِحَقِّ النَّبيِّ صـلى الله عليه وسـلم واجِبٌ وَحِمايَةُ عِرْضِهِ مُتَعَـيِّنٌ ونُصْرَتُهُ علي الأَذَى حيًّا ومَيِّتًا مُسْـتَحَقٌّ على كُلِّ مُؤْمِنٍ لٰـكِنَّهُ اذا قامَ بِهٰذا مَنْ ظَهَرَ بِهِ الحَقُّ وَفُصِلَتْ بِهِ القَضِيَّةُ وَبانَ بِهِ الأَمْرُ سقَطَ عَنِ الباقِي الفَرْضُ وَبَـقِيَ الِاستِحْبابُ في تَـكْثِيرِ الشَّهادَةِ علَيْهِ وَعَضْدِ التّحذِيرِ مِنهُ وقَدْ أجمَعَ السّلَفُ على بَيانِ حالِ المُتَّهَمِ في الحَدِيثِ فَـكَيفَ بِمِثْلِ هٰـذا وقَدْ سُـئِلَ أبو مُحَمَّدِ بنُ أبِي زَيْدٍ عَنِ الشّاهِدِ يَسْمَعُ مِثْلَ هـذا في حَقِّ اللهِ تعـالي أيَسَـعُهُ أنْ لا يُؤَدِّيَ شَهادَتَهُ قالَ انْ رَجا نَفاذَ الحُـكْمِ بِشهادَتِهِ فلْيَشْهَدْ وَ كَذلِكَ انْ عَـلِمَ أنَّ الحا كِمَ لا يَرَى القَتْـلَ بِمَـا شَهِدَ بِهِ ويَرَي الِاسْتِتابَةَ

والأَدَبَ فَلْيَشْهَدْ ويلزَمُهُ ذلك وأمَّا الإباحَةُ لِحِكايَةِ قولِه لِغَيْرِ هذَيْنِ المَقصِدَيْنِ فلا أرى لَهَا مَدْخلاً في هذا الباب فَلَيْسَ التفكُّهُ بِعِرْضِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم والتَّمَضْمُضُ بِسُوءِ ذِكْرِهِ لِأحَدٍ لا ذاكِراً ولا آثِراً لِغَيْرِ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ بِمُباحٍ وأمَّا لِلأَغْراضِ المُتَقدِّمَةِ فمُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الإيجابِ والاِسْتِحْبابِ وقدْ حَكَى اللهُ تعالى مَقالاتِ المُفْتَرِينَ عليه وعلى رُسُلِه في كِتابِهِ على وَجْهِ الإنْكارِ لِقَوْلِهِمْ والتَّحْذِيرِ مِنْ كُفْرِهِمْ والوَعيدِ عليه والرَّدِّ عليهِمْ بِمَا تَلاهُ اللهُ علينا في مُحْكَمِ كِتابِهِ وَكَذلِكَ وَقَعَ مِنْ أمْثالِهِ في أحادِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الصَّحِيحَةِ على الوُجُوهِ المُتَقَدِّمَةِ وَأَجْمَعَ السَّلَفُ والخَلَفُ مِنْ أئِمَّةِ الهُدَى على حِكاياتِ مَقالاتِ الكَفَرَةِ والمُلْحِدِينَ في كُتُبِهِمْ ومَجالِسِهِمْ لِيُبَيِّنُوها للنَّاسِ ويَنْقُضُوا شُبَهَها عَلَيْهِمْ وانْ كانَ وَرَدَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ انْكارٌ لِبَعْضِ هذا على الحارِثِ بْنِ أسَدٍ فَقَدْ صَنَعَ أحْمَدُ مِثْلَهُ في رَدِّهِ على الجَهْمِيَّةِ والقائِلِينَ بالمَخْلُوقِ وهذِهِ الوُجُوهُ السَّائِغَةُ الحِكايَةُ عَنْها فأمَّا ذِكْرُها على غَيْرِ هذا مِنْ حِكايَةِ سَبِّهِ والإزْراءِ بِمَنْصِبِهِ على وَجْهِ الحِكاياتِ والأسْمارِ والطُّرَفِ وأحادِيثِ النَّاسِ ومَقالاتِهِمْ في الغَثِّ والسَّمِينِ ومَضاحِكِ المُجَّانِ ونَوادِرِ السُّخَفاءِ والخَوْضِ في قِيلٍ وَقالٍ ومالا يَعْنِي فَكُلُّ هذا مَمْنُوعٌ وَبَعْضُهُ أشَدُّ في المَنْعِ والعُقُوبَةِ مِنْ بَعْضٍ فما كان مِنْ قائِلِهِ الحاكِي لَهُ على غَيْرِ قَصْدٍ أوْ مَعْرِفَةٍ بِمِقْدارِ ما حَكاهُ أوْ لَمْ تَكُنْ عادَتُهُ أوْ لَمْ يَكُنِ الكَلامُ مِنَ البَشاعَةِ حَيْثُ هُوَ وَلَمْ يَظْهَرْ على حاكِيهِ اسْتِحْسانُهُ واسْتِصْوابُهُ زُجِرَ عَنْ ذلِكَ وَنُهِيَ عَنِ العَوْدَةِ إلَيْهِ وانْ قُوِّمَ بِبَعْضِ الأدَبِ فَهُوَ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ وانْ كانَ لَفْظُهُ مِنَ البَشاعَةِ

حيثُ هُوَ كانَ الأَدبُ أَشدَّ وقدْ حُكِيَ أنّ رَجُلاً سَأَلَ مالِكاً عمّنْ يَقُولُ القرْآنُ مَخْلُوقٌ قَالَ مالِكٌ كافِرٌ فاقتُلُوهُ قالَ انّما حكَيْتُهُ عَنْ غيرِي قالَ مالِكٌ انّما سَمِعْناهُ مِنْكَ وهٰذا مِنْ مالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ علي طَرِيقِ الزّجْرِ والتّغْلِيظِ بِدَلِيلِ أنّهُ لَمْ يُنفِذْ قتلَهُ وانِ اتُّهِمَ هذا الحاكِي فِيما حكاهُ أنّهُ اخْتلَقَهُ وَنَسبَهُ الي غيرِهِ أوْ كانَتْ تِلْكَ عادةً لَهُ أوْ ظَهَرَ اسْتِحْسانُهُ لِذلِكَ أوْ كانَ مُولَعًا بِمِثْلِهِ والِاسْتِخْفافِ لهُ أوِ التّحفُّظِ لِمِثْلِهِ وطَلَبِهِ ورِوايَةِ أَشْعارِ هَجْوِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَسَبِّهِ فحُكْمُ هذا حُكْمُ السّابِّ نَفْسِهِ يُؤاخَذُ بِقَوْلِهِ ولا تنفعُهُ نِسْبَتُهُ الي غيرِهِ فَيُبادَرُ بِقَتْلِهِ وَيُعَجَّلُ الي الهاوِيَةِ أُمِّهِ وقدْ قالَ أبو عُبَيْدٍ القاسِمُ بْنُ سَلّامٍ فِيمَنْ حَفِظَ شَطْرَ بَيْتٍ مِمّا هُجِيَ بِهِ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ كُفْرٌ وقدْ ذَكَرَ بعْضُ مَنْ أَلَّفَ في الإِجْماعِ اجْماعَ المُسْلِمِينَ علي تَحْرِيمِ رِوايَةِ ما هُجِيَ بِهِ النّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم وكِتابَتِهِ وَقِراءَتِهِ وتَرْكِهِ مَتي وُجِدَ دُونَ مَحْوٍ وَرَحِمَ اللهُ أَسْلافَنا المُتّقِينَ المُتحرِّزِينَ لِدِينِهِمْ فقدْ أَسْقَطُوا مِنْ أَحادِيثِ المَغازِي والسِّيَرِ ما كانَ هذا سَبِيلَهُ وتَرَكُوا رِوايَتَهُ الّا أشْياءَ ذَكَرُوها يَسِيرَةً وغيرَ مُسْتَبْشَعَةٍ على نحوِ الوُجُوهِ الأُوَلِ لِيُرُوا نِقْمَةَ اللهِ مِنْ قائِلِها وأَخْذَهُ المُفْتَرِي عليه بذَنْبِه وهٰذا أبو عُبَيْدٍ القاسِمُ بنُ سَلّامٍ رحِمَهُ اللهُ قد تَحَرَّى فِيما اضْطُرَّ الى الاسْتِشْهادِ به مِنْ أَهاجِي أَشْعارِ العَرَبِ في كُتُبِهِ فَكَنَّى عَنِ اسْمِ المَهْجُوِّ بِوَزْنِ اسْمِهِ اسْتِبْراءً لِدِينِهِ وتَحَفُّظًا مِنَ المُشارَكَةِ في ذَمِّ أحَدٍ بِرِوايَتِهِ أوْ نَشْرِهِ فَكَيْفَ بِما يَتَطَرَّقُ الى عِرْضِ سَيِّدِ البَشَرِ صلى اللهُ عليه وسلم

(فصل)

الوَجهُ السّابعُ أنْ يذْكُرَ ما يَجوزُ على النبيّ صلى الله عليهِ وسلم أوْ يُختلَفُ في جَوازِه عليه وما يَطرأُ منَ الأمورِ البَشريّةِ به ويُمكِنُ إضافتُها اليه أوْ يذْكُرَ ما امتُحِنَ به وصَبَرَ في ذَاتِ اللهِ علي شِدَّته مِنْ مُقاساةِ أعدائه وأذاهُمْ لهُ ومعرِفَةِ ابتِداءِ حالِهِ وسِيرَته وما لَقِيَهُ مِنْ بُؤْسِ زَمَنِه ومَرَّ عليه مِنْ مُعاناةِ عيشَتِهِ كُلُّ ذلك على طَريقِ الرِّوايةِ ومذاكَرَةِ العِلْمِ ومَعرِفةِ ما صَحّتْ منهُ العِصْمَةُ لِلأنبياءِ وما يَجوزُ عليهِمْ فهٰذا فنٌّ خارجٌ عنْ هٰذِه الفُنونِ السِّتّةِ إذْ ليسَ فيه غَمْصٌ ولا نَقصٌ ولا إزراءٌ ولا استِخفافٌ لا في ظاهِرِ اللَّفظِ ولا في مَقصِدِ اللافظِ لٰكِنْ يَجِبُ أنْ يَكونَ الكلامُ فيه معَ أهلِ العِلْمِ وفُهماءِ طَلَبَةِ الدِّينِ مِمَّنْ يَفهَمُ مَقاصِدَهُ ويُحقِّقونَ فوائِدَهُ ويُجنَّبُ ذلك مَنْ عَساهُ لا يَفقَهُ أوْ يُخشَى به فِتنَتُهُ فقد كَرِهَ بعضُ السَّلَفِ تَعليمَ النِّساءِ سُورَةَ يُوسُفَ لِما انطَوَتْ عليه مِنْ تِلكَ القِصَصِ لِضَعفِ مَعرِفَتِهِنَّ ونَقصِ عُقولِهِنَّ وادْراكِهِنَّ فقد قال صلى الله عليه وسلم مُخبِرًا عنْ نَفسِه باستِيجارِهِ لِرِعايةِ الغَنَمِ في ابتِداءِ حالِه وقال ما مِنْ نَبيٍّ إلّا وقد رَعَى الغَنَمَ وأخبَرَنا اللهُ تَعالي بذلك عنْ مُوسَى عليه السلامُ وهٰذا لا غَضاضَةَ فيه جُملَةً واحِدَةً لِمَنْ ذَكَرَهُ علي وَجهِهِ بخِلافِ مَنْ قَصَدَ به الغَضاضَةَ والتَّحقيرَ بَلْ كانَتْ عادَةُ جَميعِ العَرَبِ نَعَمْ في ذلك لِلأنبياءِ حِكمَةٌ بالِغَةٌ وتَدريجٌ لِلهِ تَعالي لَهُمْ الي كَرامَتِه وتَدريبٌ بِرِعايتِها لِسياسَةِ أُمَمِهِمْ مِنْ خَليقَتِه بِما سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الكَرامَةِ في الأزَلِ ومُتَقَدِّمِ العِلْمِ وكذلك قد ذَكَرَ اللهُ يُتْمَهُ

وعَيْلَتَهُ على طَرِيقِ المِنَّـةِ عليه والتَّعرِيفِ بِكَرامَتِهِ لهُ فذِكْرُ الذَّاكِرِ لَهـا على وَجْهِ تَعرِيفِ حالِهِ والخَبَرِ عنْ مُبْتَدَئِهِ والتَّعجُّبِ مِنْ مِنَحِ اللهِ قِبَلَهُ وعَظِيمِ مِنَّتِهِ عندَهُ ليسَ فيه غَضاضَةٌ بَلْ فيه دَلالَةٌ على نُبُوَّتِهِ وصِحَّةِ دَعْوَتِهِ إِذْ أظهرَهُ اللهُ تعالى بعدَ هذا على صَنادِيدِ العَرَبِ ومَنْ ناوَاهُ مِنْ أشْرافِهِمْ شيئًا فشيئًا ونَمى أمْرُهُ حتَّى قَهَرَهُمْ وتَمكَّنَ مِنْ مِلْكِ مَقالِيدِهِمْ واستِباحَةِ ممالِكِ كَثِيرٍ مِنَ الامَمِ غيرِهِمْ بإِظْهارِ اللهِ تعالى لهُ وتأْيِيدِه بِنَصْرِهِ وبالمُؤْمِنِينَ وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وإِمْدادِهِ بالمَلائِكَةِ المُسَوِّمِينَ ولوْ كانَ ابنَ مَلِكٍ أوْ ذا أشْياعٍ مُتَقَدِّمِينَ لَحَسِبَ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ أنَّ ذلكَ مُوجِبُ ظُهُورِهِ ومُقْتَضَى عُلُوِّهِ ولِهٰذا قالَ هِرَقْلُ حِينَ سَأَلَ أبا سُفْيانَ عنهُ هلْ في آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ ثُمَّ قالَ ولوْ كانَ في آبائِهِ مَلِكٌ لَقُلْنا رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبِيهِ وإِذا اليُتْمُ مِنْ صِفَتِهِ وإِحدَى عَلاماتِهِ في الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ وأخبارِ الأُمَمِ السّالِفَةِ وكذا وَقَعَ ذِكْرُهُ في كِتابِ أَرْمِياءَ وَبِهٰذا وَصَفَهُ ابنُ ذِي يَزَنٍ لِعَبْدِ المُطَّلِبِ وَبَحِيرا لِأَبِي طالِبٍ وَكَذلكَ اذا وُصِفَ بأنَّهُ امِّيٌّ كما وَصَفَهُ اللهُ فَهِيَ مِدْحَةٌ لهُ وفَضِيلَةٌ ثابِتَةٌ فيهِ وقاعِدَةُ مُعْجِزَتِهِ اذْ مُعْجِزَتُهُ العُظْمى مِنَ القُرْآنِ العظيمِ انَّما هِيَ مُتَعلِّقَةٌ بِطَرِيقِ المَعارِفِ والعُلُومِ مَعَ ما مُنِحَ صلى الله عليه وسلم وفُضِّلَ بِهِ مِنْ ذلِكَ كما قدَّمْناهُ في القِسْمِ الأَوَّلِ وَوُجُودُ مِثْلِ ذلِكَ مِنْ رَجُلٍ لمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ ولمْ يُدارِسْ ولا لُقِّنَ مُقْتَضَى العَجَبِ وَمُنْتَهَى العِبَرِ ومُعْجِزَةُ البَشَرِ وَلَيْسَ في ذلِكَ نَقِيصَةٌ اذِ المَطْلُوبُ مِنَ الكِتابَةِ والقِراءَةِ المَعْرِفَةُ وانَّما هِيَ آلَةٌ لَها وواسِطَةٌ مُوَصِّلَةٌ اليها غَيْرُ مُرادَةٍ في نَفْسِها فإِذا حَصَلَتِ الثَّمَرَةُ والمَطْلُوبُ استُغْنِيَ عَنِ الواسِطَةِ والسَّبَبِ والأُمِّيَّةُ

في غيرِهِ قيصةٌ لِأنَّها سببُ الجهالةِ وعنوانُ الغباوةِ فسبحانَ مَنْ بايَنَ أمرَهُ مِنْ أمرِ غيرِهِ وجعلَ شرَفَهُ فيما فِيهِ مَحَطّةُ سِواهُ وحياتَهُ فيما فِيهِ هلاكُ مَنْ عداهُ هذا شقُّ قلبِهِ واخراجُ حشوتِهِ كانَ تمامَ حياتِهِ وغايةَ قوّةِ نفسِهِ وثباتَ رُوعِهِ وهُوَ فِيمَنْ سِواهُ مُنْتَهي هلاكِهِ وحتمُ موتِهِ وفنائِهِ وهلُمَّ جرًّا الي سائرِ ما رُوِيَ مِنْ أخبارِهِ وسِيَرِهِ وتقلُّلِهِ مِنَ الدُّنيا ومِنَ المَلْبَسِ والمَطْعَمِ والمَرْكَبِ وتواضُعِهِ ومِهْنَتِهِ نفْسَهُ في أُمورِهِ وخِدْمَةِ بَيْتِهِ زُهْدًا ورَغْبَةً عنِ الدُّنيا وتَسْوِيَةً بَيْنَ حَقِيرِها وخطِيرِها لِسُرْعةِ فناءِ أمُورِها وتقلُّبِ أحوالِها كلُّ هذا مِنْ فضائِلِهِ ومآثِرِهِ وشرَفِهِ كما ذكرْناهُ فَمَنْ أورَدَ شيئًا مِنها مَوْرِدَهُ وقصدَ بِها مقصِدَهُ كان حسنًا ومَنْ أورَدَ ذلكَ على غيرِ وَجْهِهِ وعُلِمَ مِنْهُ بذلكَ سوءُ قصدِهِ لحِقَ بالفصولِ الّتي قدّمْناها وكذلكَ ما ورَدَ مِنْ أخبارِهِ وأخبارِ سائرِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ في الأحاديثِ مِمّا في ظاهرِهِ اشكالٌ يقتضي أُمورًا لا تليقُ بِهِمْ بحالٍ وتحتاجُ الي تأويلٍ وتردُّدِ احتِمالٍ فلا يجبُ أنْ يتحدَّثَ مِنْها الّا بالصَّحِيحِ ولا يُروى مِنها الّا المعلُومُ الثابتُ ورَحِمَ اللهُ مالِكًا فلقدْ كَرِهَ التحدُّثَ بِمِثْلِ ذلكَ مِنَ الأحاديثِ الموهِمَةِ لِلتَّشبِيهِ والمُشْكِلَةِ المعنى وقالَ ما يدعُو النّاسَ الي التحدُّثِ بِمِثْلِ هذا قيلَ لهُ ان ابنَ عجلانَ يُحدِّثُ بِها فقالَ لمْ يكُنْ مِنَ الفُقَهاءِ وليتَ النّاسَ وافقُوهُ على تركِ الحديثِ بِها وساعدُوهُ علي طيِّها فأكثرُها ليسَ تحتَهُ عملٌ وقدْ حُكِيَ عنْ جماعةٍ مِنَ السَّلفِ بَلْ عنهُمْ على الجُمْلةِ أنّهُمْ كانُوا يكرَهُونَ الكلامَ فيما ليسَ تحتَهُ عملٌ والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أورَدَها على قومٍ عربٍ يفهمُونَ كلامَ العربِ على وجهِهِ

وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها الي غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفي للنفس

﴿ فصل ﴾

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره صلي الله عليه وسلم وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه

مِنَ الشَّدائِدِ ظَهَرَ عليهِ الإِشفاقُ والإِرتِماضُ والغَيْظُ على عَدُوِّهِ ومَوَدَّةُ الفِداءِ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لَوْ قَدَرَ عليه والنُّصْرَةُ لَوْ أَمكَنَتْهُ واذا أَخَذَ في أَبْوابِ العِصْمَةِ وتَكَلَّمَ على مَجارِي أَعْمالِهِ وأَقْوالِهِ صلى اللهُ عليه وسلم تَحَرَّى أَحْسَنَ اللَّفْظِ وأَدَبَ العِبارَةِ ما أَمكَنَهُ واجْتَنَبَ بَشِيعَ ذلكَ وهَجَرَ مِنَ العِبارَةِ ما يَقْبُحُ كَلَفْظَةِ الجَهْلِ والكَذِبِ والمَعْصِيَةِ فإِذا تَكَلَّمَ في الأَقوالِ قالَ هلْ يَجُوزُ عليه الخُلْفُ في القَوْلِ والإِخْبارُ بِخِلافِ ما وَقَعَ سَهْوًا أَوْ غَلَطًا ونَحْوَهُ مِنَ العِبارَةِ ويَتَجَنَّبُ لَفْظَةَ الكَذِبِ جُمْلَةً واحِدَةً واذا تَكَلَّمَ على العِلْمِ قالَ هلْ يَجوزُ أَنْ لا يَعْلَمَ الَّا ما عُلِّمَ وهلْ يُمْكِنُ أَنْ لا يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ بَعْضِ الأَشْياءِ حَتَّى يُوحَى إِلَيْهِ ولا يَقولُ بِجَهْلٍ لِقُبْحِ اللَّفْظِ وبَشاعَتِهِ واذا تَكَلَّمَ في الأَفْعالِ قالَ هلْ يَجوزُ مِنْهُ المُخالَفَةُ في بَعْضِ الأَوامِرِ والنَّواهِي ومُواقَعَةُ الصَّغائِرِ فَهُوَ أَوْلَى وآدَبُ مِنْ قَوْلِهِ هلْ يَجُوزُ أَنْ يَعْصِيَ أَوْ يُذْنِبَ أَوْ يَفْعَلَ كَذا وكَذا مِنْ أَنْواعِ المَعاصي فهذا مِنْ حَقِّ تَوْقِيرِهِ صلى الله عليه وسلم وما يَجِبُ لهُ مِنْ تَعْزِيزٍ واعْظامٍ وقدْ رَأَيْتُ بَعْضَ العُلَماءِ لَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ هذا فَقُبِّحَ مِنْهُ ولَمْ أَسْتَصْوِبْ عِبارَتَهُ فيهِ وَوَجَدْتُ بَعْضَ الجائِرِينَ قَوَّلَهُ لِأَجْلِ تَرْكِ تَحَفُّظِهِ في العِبارَةِ ما لَمْ يَقُلْهُ وشَنَّعَ عليهِ بِما يَأْباهُ ويُكَفِّرُ قائِلَهُ واذا كانَ مِثْلُ هذا بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَعْمَلًا في آدابِهِمْ وحُسْنِ مُعاشَرَتِهِمْ وخِطابِهِمْ فاسْتِعْمالُهُ في حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْجَبُ والْتِزامُهُ آكَدُ فَجَوْدَةُ العِبارَةِ تُقَبِّحُ الشَّيْءَ أَوْ تُحَسِّنُهُ وتَحْرِيرُها وتَهْذِيبُها يُعَظِّمُ الأَمْرَ أَوْ يُهَوِّنُهُ ولِهٰذا قالَ صلى الله عليه وسلم انَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا فأَمَّا ما أَوْرَدَهُ على جِهَةِ النَّفْيِ عنهُ والتَّنْزِيهِ فلا حَرَجَ في تَسْرِيحِ العِبارَةِ وتَصْرِيحِها فيهِ كَقَوْلِهِ

لا يجوزُ عليهِ الكَذِبُ جملةً ولا اتيانُ الكبائرِ بوجهٍ ولا الجوْرُ في الحُكمِ على حالٍ ولكنْ معَ هذا يجبُ ظهُورُ توقيرِهِ وتعظيمِهِ وتعزيزِهِ عندَ ذِكرِهِ مُجرَّدًا فكيفَ عِندَ ذِكرِ مثلِ هذا وقدْ كانَ السَّلفُ تظهرُ عليهِمْ حالاتٌ شديدةٌ عِندَ مُجرَّدِ ذِكرِهِ كما قدَّمْناهُ في القِسْمِ الثَّاني وكانَ بعضُهُمْ يلتزِمُ مِثلَ ذلكَ عندَ تِلاوةِ آيٍ مِنَ القرْآنِ حكى اللهُ تعالى فيها مقالَ عِداهُ ومَنْ كَفرَ بآياتهِ وافترَى عليهِ الكذِبَ فكانَ يخفِضُ بِها صوتَهُ اعظاماً لربِّهِ واجلالاً لهُ واشفاقاً منَ التَّشبُّهِ بمَنْ كفرَ بِهِ

الباب الثانى

﴿ في حُكمِ سابِّهِ وشانِئِهِ ومُتنقِّصِهِ ومُؤْذِيهِ وعقُوبتِهِ ﴾

(وذِكرِ استِتابتِهِ ووِراثتِهِ)

قد قدَّمْنا ماهوَ سبٌّ وأذًى في حقِّهِ صلى الله عليه وسلم وذَكرْنا إجماعَ العُلماءِ على قتْلِ فاعلِ ذلكَ وقائلِهِ وتخييرِ الإمامِ في قتْلِهِ أوْ صلْبِهِ على ما ذَكرْناهُ وقرَّرْنا الحُججَ عليه وبعدُ فاعلَمْ أنَّ مشهُورَ مذهبِ مالكٍ وأصحابِهِ وقولِ السَّلفِ وجُمهُورِ العُلماءِ قتْلُهُ حدًّا لا كفرًا إن أظهرَ التَّوبةَ منهُ ولهذا لا تُقبلُ عندَهُمْ توبتُهُ ولا تنفعُهُ استِقالتُهُ ولا فيأتُهُ كما قدَّمْناهُ قبلُ وحُكمُهُ حُكمُ الزِّنديقِ ومُسِرِّ الكُفرِ في هذا القولِ وسواءٌ كانَتْ توبتُهُ على هذا بعدَ القُدرةِ عليهِ والشَّهادةِ على قولِهِ أوْ جاءَ تائباً مِنْ قِبلِ نفسِهِ لأنَّهُ حدٌّ وجبَ لا تُسقِطُهُ التوبةُ كسائرِ الحُدُودِ قال الشَّيخُ أبو الحسَنِ القابِسيُّ رحمهُ اللهُ اذا أقرَّ بالسَّبِّ وتابَ منهُ وأظهرَ التَّوبةَ قُتِلَ بالسَّبِّ لأنَّهُ هوَ حدُّهُ وقال أبو محمدِ بنُ

أبي زيدٍ مِثلَهُ وأمَّا ما بَينَهُ وبَينَ اللهِ فتوبَتُهُ تنفعُهُ وقال ابنُ سُحنونٍ مَن شَتَمَ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم منَ المُوحِّدِينَ ثمَّ تابَ عنْ ذلك لم تُزِلْ توبتهُ عنهُ القتلَ و كذلك قدِ اختُلِفَ في الزِّنديقِ اذا جاء تائِباً فحكَى القاضي أبو الحَسَنِ بنُ القصَّارِ في ذلك قولَينِ قال مِنْ شيُوخِنا مَنْ قال أقتُلُهُ بإقرارِه لِأنَّهُ كانَ يقدِرُ على سَترِ نفسِهِ فلمَّا اعتَرَف خِفنا أنَّهُ خَشِيَ الظُّهورَ عليه فبادَرَ لذلك ومنهُمْ مَنْ قالَ أقبَلُ توبتَهُ لِأنِّي أستَدِلُ على صِحتِها بمَجيئِهِ فكأنَّنا وقفْنا على باطِنِهِ بخِلافِ مَنْ أسرَتْهُ البيِّنَةُ قال القاضي أبوالفضلِ وهذا قولُ أصبَغَ ومسألةُ سابِّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أقوى لا يُتصَوَّرُ فيها الخِلافُ علي الأصلِ المُتقدِّمِ لِأنَّهُ حقٌّ متعلِّقٌ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولِأمَّتِه بسَبَبِهِ لا تُسقِطُهُ التوبَةُ كسائِرِ حقوقِ الآدَميِّينَ والزِّنديقُ اذا تابَ بعدَ القُدْرَةِ عليه فعندَ مالكٍ واللَّيثِ وإسحٰقَ وأحمدَ لا تُقبَلُ توبتُهُ وعند الشَّافعيِّ تُقبَلُ واختُلِفَ فيه عنْ أبي حَنيفةَ وأبي يوسفَ وحكَي ابنُ المُنذِرِ عنْ عَليِّ بنِ أبي طالِبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يستَتابُ قال محمّدُ بنُ سُحْنونٍ ولم يزُلِ القتلُ عنِ المُسْلِمِ بالتَّوبَةِ مِنْ سبِّهِ صلى الله عليه وسلم لِأنَّهُ لم ينتَقِلْ مِنْ دينٍ الي غيرِه وانَّما فعَلَ شيئاً حدُّهُ عندنا القتلُ لا عفوَ فيه لِأحَدٍ كالزِّنديقِ لِأنَّهُ لم ينتَقِلْ مِنْ ظاهِرٍ الى ظاهِرٍ وقال القاضي أبو محمّدٍ بنُ نصرٍ مُحتَجًّا لِسقُوطِ اعتبارِ توبَتِه والفرقُ بَينَهُ وبَينَ مَنْ سبَّ اللهَ تعالى على مشهُورِ القوْلِ باستِتابتِه أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم بَشَرٌ والبشرُ جِنسٌ تلحقُهُ المعرَّةُ الَّا مَنْ آكرَمَهُ اللهُ بنُبُوَّتِه والبارِى تعالي مُنزَّهٌ عنْ جميعِ المَعايِبِ قطعًا وليسَ مِنْ جِنسٍ تَلحقُ المعرَّةُ بجِنسِهِ وليسَ سبُّهُ صلى الله عليه وسلم

كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معني ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلي الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضاً فإن توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زني وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعني يرجع الي تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضى أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته. ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرًا والله أعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني علي القول بقتله حدًّا لا كفرًا وهو يحتاج الى تفصيل * وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه علي ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقًا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدًّا وانما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد عليه به أو إظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدًّا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلي الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من

حَقِّهِ وأجْرَيْنا حُكْمَهُ في مِيراثِه وغَيرِ ذلكَ حُكْمَ الزِّنْدِيقِ اذا ظَهَرَ عليه وأنكَرَ أوْ تابَ فإنْ قيلَ فكَيْفَ تُثْبِتونَ عليه الكُفْرَ ويُشْهَدُ عليه بكَلِمةِ الكُفْرِ ولا تحكُمُونَ عليه بحُكْمِهِ منَ الاسْتِتابةِ وتَوابِعِها قُلْنا نحنُ وانْ أثْبَتْنا لهُ حُكْمَ الكافِرِ في القَتْلِ فلا نَقْطَعُ عليه بذلكَ لإقْرارِه بالتَّوحيدِ والنُّبُوَّةِ وإنكارِهِ ما شُهِدَ به عليه أوْ زَعْمِه أنّ ذلكَ كانَ منهُ وَهَلاً ومَعْصيةً وأنَّهُ مُقْلِعٌ عنْ ذلكَ نادِمٌ عليه ولا يَمْتَنِعُ إثْباتُ بعضِ أحْكامِ الكُفْرِ على بعضِ الأشْخاصِ وانْ لم تَثْبُتْ لهُ خَصائِصُهُ كَقَتْلِ تارِكِ الصَّلاةِ وأمّا مَنْ عُلِمَ أنّهُ سَبَّهُ مُعْتَقِدًا لِاسْتِحْلالِهِ فَلا شَكَّ في كُفْرِهِ بذلكَ وكذلكَ إنْ كانَ سَبُّهُ في نفْسه كُفرًا كتَكْذيبِهِ أوْ تكْفيرِهِ ونحوِهِ فهذا ممّا لا اشْكالَ فيه ويُقْتَلُ وانْ تابَ منهُ لِأنّا لا نقْبَلُ تَوْبَتَهُ وقَتْلُهُ بعدَ التَّوْبَةِ حَدًّا لقوْلِه ومُتَقَدِّمِ كُفْرِهِ وأمْرُهُ بعدُ الي اللهِ المُطّلِعِ على صِحَّةِ إقْلاعِهِ العالِمِ بِسِرِّهِ وكذلكَ مَنْ لم يُظْهِرِ التَّوْبةَ واعْتَرَفَ بِما شُهِدَ به علىه وصَمَّمَ عليه فهذا كافِرٌ بقوْلِه وباسْتِحْلالِهِ هتْكَ حُرْمَةِ اللهِ وحُرْمَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم يُقْتَلُ كافِرًا بِلا خِلافٍ فعَلَى هذه التّفْصيلاتِ خُذْ كلامَ العُلَماءِ ونَزِّلْ مُخْتَلَفَ عِباراتِهِمْ في الِاحْتِجاجِ عليها وأجْرِ اخْتِلافَهُمْ في المُوارَثَةِ وغَيْرِها علي تَرْتيبِها تتَّضِحْ لكَ مَقاصِدُهُمْ إنْ شاءَ اللهُ تعالي

فصل

اذا قُلْنا بالِاسْتِتابَةِ حَيْثُ تَصِحُّ فالِاخْتِلافُ على الِاخْتِلافِ في تَوْبَةِ المُرْتَدِّ إذْ لا فرْقَ بيْنَهُما وقدِ اخْتَلَفَ السَّلفُ في وُجُوبِها وصُورَتِها ومُدَّتِها فذَهَبَ جُمْهُورُ

أهلِ العِلمِ الي أنَّ المُرتَدَّ يُستَتابُ وحكى ابنُ القصّارِ أنهُ إجماعٌ منَ الصَّحابةِ على تَصويبِ قولِ عُمرَ في الاستِتابةِ ولم يُنكِرْهُ واحِدٌ منهُم وهوَ قولُ عثمانَ وعَلِيٍّ وابنِ مَسعُودٍ وبه قال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ والنَّخعِيُّ والثَّورِيُّ ومالِكٌ وأصحابُهُ والأوزاعِيُّ والشَّافِعِيُّ وأحمَدُ وإسحقُ وأصحابُ الرَّأيِ وذهَبَ طاوُسٌ وعُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ والحَسَنُ في إحدى الرِّوايتَينِ عنهُ أنّهُ لا يُستَتابُ وقالَهُ عبدُ العَزيزِ بنُ أبي سَلَمَةَ وذَكَرهُ عنْ مُعاذٍ وأنكَرَهُ سُحنونٌ عنْ مُعاذٍ وحَكاهُ الطَّحاوِيُّ عنْ أبي يوسُفَ وهوَ قولُ أهلِ الظَّاهِرِ قالُوا وتنفعهُ تَوبَتُهُ عندَ اللهِ ولكنْ لاتَدرَأُ القتلَ عنهُ لِقولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم منْ بَدَّلَ دِينَهُ فاقتُلوهُ وحُكِيَ عَنْ عطاءِ أنّهُ انْ كانَ مِمَّنْ وُلِدَ في الإسلامِ لمْ يُستَتَبْ ويُستَتابُ الإسلامِيُّ وجُمهُورُ العُلَماءِ على أنَّ المُرتَدَّ والمُرتَدَّةَ في ذلِكَ سَواءٌ ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضيَ اللهُ عنهُ لا تُقتَلُ المُرتَدَّةُ وتُستَرَقُّ قالهُ عطاءٌ وقتادَةُ ورُوِيَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ لا تُقتَلُ النِّساءُ في الرِّدَّةِ وبهِ قالَ أبو حَنيفَةَ قالَ مالِكٌ والحُرُّ والعَبدُ والذَّكَرُ والأُنثى في ذلِكَ سواءٌ وأمّا مُدَّتُها فمَذهَبُ الجُمهُورِ ورُوِيَ عنْ عُمَرَ أنّهُ يُستَتابُ ثَلاثَةَ أيّامٍ يُحبَسُ فيها وقدِ اختُلِفَ فيهِ عنْ عُمَرَ وهُوَ أحدُ قولَيِ الشّافِعِيِّ وقولِ أحمَدَ واسحاقَ واستَحسَنَهُ مالِكٌ وقالَ لا يأتِي الاستِظهارُ الاّ بخَيرٍ ولَيسَ علَيهِ جماعةُ النّاسِ قالَ الشَّيخُ أبو مُحَمَّدِ بنُ أبي زَيدٍ يُريدُ في الاستيناءِ ثلاثاً وقالَ مالِكٌ أيضاً الّذي آخُذُ بهِ في المُرتَدِّ قولُ عُمَرَ يُحبَسُ ثلاثةَ أيّامٍ ويُعرَضُ عليهِ كُلَّ يَومٍ فإنْ تابَ والاّ قُتِلَ وقالَ أبو الحَسَنِ بنُ القَصّارِ في تأخيرِهِ ثلاثاً روايتانِ عَنْ مالِكٍ هلْ ذلِكَ واجِبٌ أوْ مُستَحَبٌّ واستَحسَنَ الاستِتابةَ والاستيناءَ ثلاثاً أصحابُ الرَّأيِ ورُوِيَ

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ اسْتَتَابَ لِمَرْأَةٍ فَلَمْ تَتُبْ فَقَتَلَهَا وقَالَ الشَّافِعِيُّ مَرَّةً فقَالَ انْ لَمْ يَتُبْ مَكَانَهُ قُتِلَ واسْتَحْسَنَهُ الْمُزَنِيُّ وقَالَ الزُّهْرِيُّ يُدْعَى الي الإِسْلامِ ثَلاثَ مرَّاتٍ فانْ أَبَي قُتِلَ ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضى الله عنه يُسْتَتَابُ شَهْرَيْنِ وقَالَ النَّخَعِيُّ يُسْتَتَابُ أَبَدًا وبِهِ أَخَذَ الثَّوْرِيُّ مارُجِيَتْ تَوْبَتُهُ وحَكَي ابنُ القَصَّارِ عنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ يُسْتَتَابُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَلاثِ جُمَعٍ كُلَّ يوْمٍ أَوْ جُمُعَةٍ مَرَّةً وفي كِتَابِ مُحَمَّدٍ عنْ ابنِ القَاسِمِ يُدْعَى المُرْتَدُّ الي الإِسْلامِ ثَلاثَ مرَّاتٍ فانْ أَبَي ضُرِبَتْ عُنُقُهُ واخْتُلِفَ على هذا هَلْ يُهَدَّدُ أَوْ يُشَدَّدُ عليهِ أَيَّامَ الاسْتِتَابَةِ لِيَتُوبَ أَمْ لا فقَالَ مالِكٌ ماعَلِمْتُ فِي الِاسْتِتَابَةِ تَجْوِيعاً ولا تَعْطِيشاً ويُؤْتَي منَ الطَّعامِ بمالا يَضُرُّهُ وقَالَ أَصْبَغُ يُخَوَّفُ أَيَّامَ الاسْتِتَابَةِ بالقَتْلِ ويُعْرَضُ عليهِ الْإِسلامُ وفي كِتابِ أَبِي الحَسَنِ الطَّابِثِيِّ يُوعَظُ في تلكَ الأَيَّامِ ويُذَكَّرُ بالجَنَّةِ ويُخَوَّفُ بالنَّارِ قَالَ أَصْبَغُ وأيُّ المَوَاضِعِ حُبِسَ فِيها منَ السُّجُونِ مَعَ النَّاسِ أَوْ وَحْدَهُ اذا اسْتُوثِقَ منهُ سواءٌ ويُوقَفُ مالُهُ اذا خِيفَ أَنْ يُتْلِفَهُ علي المُسْلِمِينَ ويُطْعَمُ منهُ ويسْقِي وكَذلِكَ يُسْتَتَابُ أَبَدًا كُلَّما رَجَعَ وارْتَدَّ وقَدِ اسْتَتَابَ رسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم نَبْهَانَ الَّذِي ارْتَدَّ أَرْبَعَ مرَّاتٍ أَوْ خَمْساً قَال ابنُ وَهْبٍ عَنْ مالكٍ يُسْتَتَابُ أَبَدًا كُلَّما رَجَعَ وهوَ قوْلُ الشَّافِعِيِّ وأَحْمَدَ وقَالَهُ ابنُ القَاسِمِ وقَالَ اسْحاقُ يُقْتَلُ فِي الرَّابِعَةِ وقَالَ أَصْحابُ الرَّأْيِ انْ لَمْ يَتُبْ فِي الرَّابِعَةِ قُتِلَ دُونَ اسْتِتَابَةٍ وانْ تابَ ضُرِبَ ضَرْباً وَجِيعاً ولَمْ يَخْرُجْ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى يَظْهَرَ عليهِ خُشُوعُ التَّوْبَةِ قَال ابنُ المُنْذِرِ ولا نَعْلَمُ أَحدًا أَوْجَبَ على المُرْتَدِّ فِي المَرَّةِ الأُولَي أَدَباً اذا رَجَعَ وهوَ علي مذْهَبِ مالكٍ والشَّافِعِيِّ والكُوفِيِّ

﴿ فصل ﴾

﴿ هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار أو عدول لم يدفع فيهم ﴾

فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحاً وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوى أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الي الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روي الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد

ما يُطِيقُ وقالَ في مِثْلِهِ مِمَّنْ أَشْكَلَ أَمْرُهُ يُشَدُّ في القُيُودِ شَدًّا ويُضَيَّقُ عليهِ في السِّجْنِ حَتَّى يُنظَرَ فِيما يجِبُ عليهِ وقالَ في مَسْأَلَةٍ أُخرَى مِثْلَها ولا تُهرَاقُ الدِّماءُ الَّا بالأَمْرِ الوَاضِحِ وفي الأَدَبِ بالسَّوْطِ والسِّجْنِ نَكالٌ لِلسُّفَهاءِ ويُعاقَبُ عقُوبَةً شَدِيدَةً فأَمَّا انْ لمْ يَشْهدْ عليهِ سوَى شاهِدَيْنِ فأَثْبَتَ منْ عداوَتِهِما أَوْ جَرْحَتِهِما ماأَسْقَطَهُما عنْهُ ولمْ يُسْمَعْ ذلِكَ منْ غَيْرِهِما فأَمْرُهُ أَخَفُّ لسقُوطِ الحُكْمِ عنهُ وكَأَنَّهُ لمْ يُشْهَدْ عليْهِ الَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَلِيقُ بِهِ ذلِكَ ويَكُونُ الشَّاهِدانِ منْ أَهْلِ التَّبْرِيزِ فأَسْقَطَهُما بِعَداوَةٍ فهُوَ وانْ لمْ يَنفُذِ الحُكْمُ عليْهِ بِشَهادَتِهِما فلا يَدْفَعُ الظَّنُّ صِدْقَهُما ولِلحاكِمِ هنا في تَنْكِيلِهِ مَوْضِعُ اجْتِهادٍ واللهُ وليُّ الإِرْشادِ

فصل

هذا حُكْمُ المُسْلِمِ فأَمَّا الذِّمِّيُّ اذا صَرَّحَ بِسَبِّهِ أَوْ عَرَّضَ أَوِ اسْتَخَفَّ بِقَدْرِهِ أَوْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ فلا خِلافَ عِنْدَنا في قَتْلِهِ انْ لمْ يُسْلِمْ لِأَنَّا لمْ نُعْطِهِ الذِّمَّةَ أَوِ العَهْدَ على هذا وهُوَ قَوْلُ عامَّةِ العُلَماءِ الَّا أَباحَنِيفَةَ والثَّوْرِيَّ وأَتْباعَهُما مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فإِنَّهُمْ قالوا لا يُقْتَلُ لانَّ ماهُوَ علَيْهِ منَ الشِّرْكِ أَعظَمُ ولكِنْ يُؤَدَّبُ ويُعَزَّرُ واسْتَدَلَّ بَعضُ شُيُوخِنا على قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ تَعالى وانْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دِينِكُمْ الآيَةَ ويُسْتَدَلُّ أَيْضاً عليهِ بِقَتْلِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم لِابْنِ الأَشْرَفِ وأَشْباهِهِ ولِأَنَّا لم نُعاهِدْهُم ولم نُعْطِهِمِ الذِّمَّةَ على هذا ولا يَجُوزُ لَنا أَنْ نَفْعَلَ ذلِكَ مَعَهُم فإِذا أَتَوْا مالم يُعْطَوْا عليه العَهْدَ ولا الذِّمَّةَ فقد نَقَضُوا

ذِمَّتُهُمْ وصارُوا كُفَّارًا أَهْلَ حَرْبٍ يُقْتَلُونَ لِكُفْرِهِمْ وأيضاً فإِنَّ ذِمَّتَهُمْ لا تُسْقِطُ حُدُودَ الإِسْلامِ عنهُمْ مِنَ القطعِ في سَرِقَةِ أَمْوالِهِمْ والقَتْلِ لِمَنْ قَتَلُوهُ منهُمْ وإِنْ كانَ ذلكَ حَلالاً عندَهُمْ فَكَذلكَ سَبُّهُمْ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم يُقْتَلونَ به وورَدَتْ لأَصْحابِنا ظَواهِرُ تَقْتَضِي الخِلافَ اذا ذَكَرَهُ الذِّمِّيُّ بالوَجْهِ الذى كَفَرَ به ستَقِفُ عليها مِنْ كلامِ ابنِ القاسِمِ وابن سُحْنُونٍ بعدُ وحَكَى أبو المُصْعَبِ الخِلافَ فيها عنْ أصحابِهِ المَدَنِيِّينَ واختلفوا اذا سَبَّهُ ثمَّ أَسْلَمَ فقِيلَ يُسْقِطُ إِسْلامُهُ قَتْلَهُ لِأَنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ بِخِلافِ المُسْلِمِ اذا سَبَّهُ ثمَّ تابَ لِأَنَّا نَعْلَمُ باطِنَهُ الكافِرَ في بُغْضِهِ له وتَنَقُّصِهِ بقلبِهِ لكِنَّا مَنَعْناهُ مِنْ إِظْهارِهِ فَلَمْ يَزِدْنا ما أَظْهَرَهُ الَّا مُخالَفَةً لِلأَمْرِ ونَقْضاً لِلعَهْدِ فإِذا رَجَعَ عنْ دِينِهِ الاوَّلِ الى الإِسْلامِ سَقَطَ ما قَبْلَهُ قال اللهُ تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ماقد سَلَفَ والمُسْلِمُ بِخِلافِه إِذْ كانَ ظَنُّنا بِباطِنِهِ حُكْمَ ظاهِرِهِ وخِلافَ ما بَدا منهُ الآنَ فَلَمْ تُقْبَلْ بعدُ رُجُوعَهُ ولا اسْتَنَمْنا الي باطِنِهِ اذْ قد بَدَتْ سرائِرُهُ وماثَبَتَ عليه مِنَ الأَحْكامِ باقِيَةٌ عليه لم يسقِطْها شيءٌ وقيلَ لا يُسْقِطُ إِسْلامُ الذِّمِّيِّ السّابِّ قَتْلَهُ لِأَنَّهُ حقٌّ لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم وَجَبَ عليه لِانتهاكِهِ حُرْمَتَهُ وقَصْدِهِ إِلْحاقَ النَّقِيصَةِ والمَعَرَّةِ به فَلَمْ يَكُنْ رُجُوعُهُ الي الإِسْلامِ بالذِى يُسْقِطُهُ كما وَجَبَ عليه مِنْ حُقوقِ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ إِسْلامِه مِنْ قَتْلٍ وقَذْفٍ واذا كُنَّا لا نَقْبَلُ تَوْبَةَ المُسْلِمِ فأَنْ لا تقْبلَ توْبَةَ الكافِرِ أَوْلَي قالَ مالِكٌ في كِتابِ ابنِ حَبِيبٍ المَبْسُوطِ وابْنُ القاسِمِ وابْنُ المَاجِشُونِ وابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ وأَصْبَغَ فِيمَنْ شَتَمَ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ أَوْ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِياءِ عليهِمُ

السلام

السّلامُ قُتِلَ الاَّ أنْ يُسْلِمَ وقالهُ ابنُ القاسِمِ في العُتْبِيَّةِ وعِنْدَ مُحمَّدٍ وابنِ سُحْنُونٍ وقالَ سُحْنُونٌ وأصْبَغُ لايُقالُ لهُ أسْلِمْ ولا لاتُسْلِمْ ولكِنْ انْ أسْلَمَ فذلِكَ لهُ تَوْبَةٌ وفي كِتابِ مُحَمَّدٍ أخْبَرَنا أصْحابُ مالِكٍ أنّهُ قالَ مَنْ سَبَّ رسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم أوْ غَيْرَهُ مِنَ النَّبِيّينَ مِنْ مُسْلِمٍ أوْ كافِرٍ قُتِلَ ولَمْ يُسْتَتَبْ ورُوِيَ لنا عنْ مالِكٍ الاّ أنْ يُسْلِمَ الكافِرُ وقدْ رَوَى ابنُ وهْبٍ عنِ ابنِ عُمَرَ أنّ راهِباً تناوَلَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ ابنُ عُمَرَ فهَلاَّ قتَلْتُمُوهُ ورَوَى عِيسَي عنِ ابنِ القاسِمِ في ذِمِّيٍّ قالَ انَّ مُحَمَّدًا لمْ يُرْسَلْ الينا انّما أُرْسِلَ اليْكُمْ وانّما نَبِيُّنا مُوسَي أوْ عِيسَى ونَحْوُ هذا لاشَيْءَ علَيْهِمْ لأنَّ اللهَ تَعالى أقرَّهُمْ على مِثْلِهِ وأمّا انْ سَبَّهُ فقالَ ليْسَ بِنَبِيٍّ أوْ لمْ يُرْسَلْ أوْ لمْ يُنْزَلْ عليْهِ قُرْآنٌ وانّما هُوَ شَيْءٌ تَقَوَّلَهُ أوْ نَحْوُ هذا فيُقْتَلُ قالَ ابنُ القاسِمِ وإذا قالَ النَّصْرانيُّ دِينُنا خَيْرٌ منْ دِينِكُمْ انّما دِينُكُمْ دِينُ الحَمِيرِ ونَحْوَ هذا منَ القَبِيحِ أوْ سَمِعَ المُؤَذِّنَ يقُولُ أشْهَدُ أنّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ فقالَ كذلِكَ يُعْطِيكُمُ اللهُ ففِي هذا الأَدَبُ المُوجِعُ والسِّجْنُ الطَّوِيلُ قالَ وأمّا انْ شَتَمَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم شَتْماً يُعْرَفُ فانهُ يُقْتَلُ الاَّ أنْ يُسْلِمَ قالهُ مالِكٌ غَيْرَ مرَّةٍ ولمْ يَقُلْ يُسْتَتابُ قالَ ابنُ القاسِمِ ومَحْمِلُ قوْلِهِ عنْدِي انْ أسْلَمَ طائِعاً وقالَ ابنُ سُحْنُونٍ في سُؤالاتِ سُلَيْمانَ بنِ سالِمٍ في اليَهُودِيِّ يقُولُ لِلْمُؤَذِّنِ اذا تَشَهَّدَ كَذَبْتَ يُعاقَبُ العُقُوبَةَ المُوجِعَةَ مَعَ السِّجنِ الطَّوِيلِ وفي النَّوادِرِ منْ رِوايَةِ سُحْنُونٍ عنهُ مَنْ شتَمَ الأنْبِياءَ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى بِغَيْرِ الوَجْهِ الّذِي بِهِ كَفَرُوا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ الّا أنْ يُسْلِمَ قالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُحْنُونٍ فإنْ قِيلَ لِمَ قَتَلْتَهُ في سَبِّ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ومِنْ دِينِهِ سَبُّهُ وتَكْذِيبُهُ

قِيلَ لِانّا لمْ نُعْطِهِمُ العَهْدَ علي ذلِكَ ولا علي قَتْلِنا وأخذِ أموَالِنا فإذا قَتَلَ واحِدًا مِنّا قَتَلْناهُ وانْ كانَ مِنْ دِينهِ استِحْلالُهُ فكذلكَ اظهارُهُ لِسَبِّ نَبِيِّنا صلي الله عليه وسلم قال سُحْنُونٌ كما لَوْ بَذَلَ لَنا أهْلُ الحَرْبِ الجِزْيَةَ على اقْرَارِهِمْ على سَبِّهِ لمْ يَجُزْ لَنا ذلكَ في قَوْلِ قائِلٍ كَذلِكَ يَنْتَقِضُ عَهْدُ مَنْ سَبَّ مِنْهُمْ ويَحِلُّ لَنا دَمُهُ وَكَما لمْ يُحَصِّنِ الإِسْلامُ مَنْ سَبَّهُ مِنَ القَتْلِ كذلكَ لا تُحَصِّنُهُ الذِّمَّةُ قالَ القاضى أبو الفَضْلِ ما ذَكَرَهُ ابْنُ سُحْنُونٍ عَنْ نَفْسِهِ وعَنْ أبِيهِ مُخالِفٌ لِقَوْلِ ابْنِ القاسِمِ فِيما خَفَّفَ عُقُوبَتَهُمْ فِيهِ مِمّا بِهِ كَفَرُوا فَتَأمَّلْهُ ويَدُلُّ على أنَّهُ خِلافُ ما رُوِىَ عَنِ المَدَنِيِّينَ في ذلك فَحَكَى أبو المُصْعَبِ الزُّهْرِيُّ قالَ أُتِيتُ بنَصْرَانِيٍّ قالَ والَّذِي اصْطَفَى عِيسَى على مُحَمَّدٍ فاخْتُلِفَ عَلَيَّ فِيهِ فَضَرَبْتُهُ حَتّي قَتَلْتُهُ أوْ عاشَ يَوْماً ولَيْلَةً وأمَرْتُ مَنْ جَرَّ بِرِجْلِهِ وطُرِحَ علي مَزْبَلَةٍ فأكَلَتْهُ الكِلابُ وسُئِلَ أبو المُصْعَبِ عَنْ نَصْرَانِيٍّ قال عيسي خَلَقَ مُحَمَّدًا فقالَ يُقْتَلُ وقالَ ابْنُ القاسِمِ سَألْنا مالِكاً عَنْ نَصْرَانِيٍّ بِمِصْرَ شُهِدَ عليهِ أنَّهُ قالَ مِسْكِينٌ مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أنَّهُ في الجَنَّةِ مالَهُ لمْ يَنْفَعْ نَفْسَهُ اذْ كانَتِ الكِلابُ تأكُلُ ساقَيْهِ لوْ قَتَلُوهُ اسْتَرَاحَ مِنْهُ النّاسُ قالَ مالِكٌ أرَي أنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ قال ولَقدْ كِدْتُ أنْ لا أتَكَلَّمَ فيها بِشَيْءٍ ثُمَّ رَأيْتُ أنَّهُ لا يَسَعُنِي الصَّمْتُ قالَ ابن كِنانَةَ في المَبْسُوطَةِ مَنْ شَتَمَ النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَي فأرَي لِلامامِ أنْ يُحْرِقَهُ بالنّارِ وانْ شاءَ قَتَلَهُ ثُمَّ حرَقَ جُثَّتَهُ وانْ شاءَ أحْرَقَهُ بالنّارِ حَيًا اذا تَهافَتُوا في سَبِّهِ ولقدْ كُتِبَ الي مالِكٍ مِنْ مِصْرَ وذَكَرَ مَسْألَةَ ابنِ القاسِمِ المُتَقَدِّمَةَ قالَ فأمَرَنِى مالِكٌ فَكَتَبْتُ بانْ يُقْتَلَ وتُضْرَبَ عُنُقُهُ

وكتبت

فَكَتَبْتُ ثُمَّ قُلْتُ يا أبا عَبْدِ اللهِ واكْتُبْ ثُمَّ يُحْرَقُ بالنَّارِ فقالَ انَّهُ لحَقِيقٌ بذلِكَ وما أوْلاهُ بِهِ فكَتَبْتُهُ بِيَدِي بَيْنَ يَدَيْهِ فما أنْكَرَهُ ولا عابَهُ ونفذَتِ الصَّحِيفَةُ بذلِكَ فقُتِلَ وحُرِقَ وأفتَي عُبَيْدُ اللهِ بنُ يحْيي وابنُ لُبابَةَ في جماعةِ سَلَفِ أصحابِنا الأنْدَلُسِيِّينَ بقَتْلِ نَصْرانيةٍ اسْتَهَلَّتْ بنفيِ الرُّبوبيةِ ونُبُوَّةِ عيسَى لِلّهِ وتَكْذِيبِ محمَّدٍ في النُّبُوَّةِ وبِقَبُولِ اسلامِها ودَرْءِ القَتْلِ عنها بِهِ قالَ غَيْرُ واحِدٍ منَ المُتأخِّرِينَ مِنْهُمُ القابِسيُّ وابنُ الكاتِبِ وقالَ أبو القاسِمِ بنُ الجَلَّابِ في كِتابِهِ منْ سَبَّ اللهَ ورَسُولَهُ منْ مُسْلِمٍ أوْ كافِرٍ قُتِلَ ولا يُسْتَتابُ وحَكي القاضِي أبو محمَّدٍ في الذِّمِّيِّ يَسُبُّ ثُمَّ يُسْلِمُ رِوايَتَيْنِ في دَرْءِ القَتْلِ عنهُ باسلامِهِ وقالَ ابنُ سُحْنُونٍ وحدُّ القَذْفِ وشِبْهُهُ منْ حُقُوقِ العِبادِ لا يُسْقِطُهُ عن الذِّمِّيِّ اسلامُهُ وانَّما يَسْقُطُ عنهُ باسلامِهِ حدُودُ اللهِ فأمَّا حدُّ القَذْفِ فحَقٌّ لِلعبادِ كانَ ذلِكَ لنَبِيٍّ أوْ غَيْرِهِ فأوْجَبَ على الذِّمِّيِّ اذا قذَفَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ أسْلَمَ حدَّ القَذْفِ ولكن انْظُرْ ماذا يَجِبُ علَيْهِ هلْ حدُّ القَذْفِ في حَقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ القَتْلُ لزِيادَةِ حُرْمَةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على غَيْرِهِ أمْ هلْ يَسْقُطُ القَتْلُ باسلامِهِ ويُحَدُّ ثَمانِينَ فتأمَّلْهُ

(فصل)

﴿ في مِيراثِ مَنْ قُتِلَ في سَبِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وغُسْلِهِ والصَّلاة عليهِ ﴾

اخْتَلَفَ العُلَماءُ في مِيراثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَهَبَ سُحْنُونٌ الي أنَّهُ لِجَماعَةِ المسْلِمِينَ مِنْ قِبَلِ أنَّ شَتْمَ النَّبِيِّ صلى الله

عليه وسلم كفرٌ يشبهُ كفرَ الزنديقِ وقالَ أصبغُ ميراثُهُ لورثتِهِ منَ المسلمينَ ان كان مستتِرًا بذلك وانْ كانَ مظهرًا لهُ مستهلاً بهِ فميراثُهُ للمسلمينَ ويقتَلُ على كلِّ حالٍ ولا يستتابُ قالَ أبو الحسَنِ القابسيُّ انْ قتلَ وهوَ منكرٌ للشهادةِ عليهِ فالحكمُ في ميراثِهِ على ما أظهرَ منْ اقرارِهِ يعني لورثتِهِ والقتلُ حدٌّ ثبتَ عليهِ ليسَ منَ الميراثِ في شيْءٍ وكذلكَ لوْ أقرَّ بالسبِّ وأظهرَ التوبةَ لقتلَ اذْ هوَ حدُّهُ وحكمُهُ في ميراثِهِ وسائرِ أحكامِهِ حكمُ الإسلامِ ولوْ أقرَّ بالسبِّ وتمادي عليهِ وأبى التوبةَ منهُ قتلَ علي ذلِكَ كانَ كافرًا وميراثُهُ للمسلمينَ ولا يغسلُ ولا يصلى عليهِ ولا يكفنُ وتسترُ عورتُهُ ويواري كما يفعلُ بالكفارِ وقولُ الشيخِ أبي الحسَنِ في المجاهرِ المتمادي بيّنٌ لا يمكنُ الخلافُ فيهِ لأنهُ كافرٌ مرتدٌّ غيرُ تائبٍ ولا مقلعٍ وهوَ مثلُ قولِ أصبغَ وكذلِكَ في كتابِ ابنِ سحنونٍ في الزنديقِ يتمادي على قولهِ ومثلُهُ لابنِ القاسمِ في العتبيةِ ولجماعةٍ منْ أصحابِ مالِكٍ في كتابِ ابنِ حبيبٍ فيمَنْ أعلنَ كفرَهُ مثلُهُ قالَ ابنُ القاسمِ وحكمُهُ حكمُ المرتدِّ لا ترثهُ ورثتُهُ منَ المسلمينَ ولا منْ أهلِ الدينِ الذي ارتدَّ اليهِ ولا يجوزُ وصاياهُ ولا عتقُهُ وقالهُ أصبغُ قتلَ على ذلِكَ أوْ ماتَ عليهِ وقالَ أبو محمدِ بنُ أبي زيدٍ وانما يختلفُ في ميراثِ الزنديقِ الذي يستهلُّ بالتوبةِ فلا تقبلُ منهُ فأما المتمادي فلا خلافَ أنهُ لا يورثُ وقالَ أبو محمدٍ فيمنْ سبَّ اللهَ تعالي ثمَّ ماتَ ولمْ تعدَّلْ عليهِ بينةٌ أوْ لمْ تقبلْ إنهُ يصلّى عليهِ وروى أصبغُ عنِ ابنِ القاسمِ في كتابِ ابنِ حبيبٍ فيمنْ كذّبَ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ أوْ أعلنَ ديناً مما يفارقُ بهِ الإسلامَ أنّ ميراثَهُ للمسلمينَ وقالَ بقولِ

مالك

مالكٍ إنّ ميراثَ المُرتَدِ لِلمُسلِمِينَ ولا ترِثُهُ ورَثَتُهُ رَبِيعَةُ والشَّافِعِيُّ وأبو ثورٍ وابنُ أبي لَيلى واختُلِفَ فيه عن أحمَدَ وقال عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ وابنُ مَسعُودٍ وابنُ المُسيِّبِ والحَسَنُ والشَّعبِيُّ وعُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ والحَكَمُ والأوزَاعِيُّ واللَّيثُ وإسحٰقُ وأبو حَنِيفَةَ يرِثُهُ ورَثَتُهُ مِنَ المُسلِمِينَ وقيلَ ذلك فيما كَسَبَهُ قَبلَ ارتِدادِهِ وما كَسَبَهُ في الارتِدادِ فلِلمُسلِمِينَ وتفصيلُ أبي الحَسَنِ في باقِي جَوابِهِ حَسَنٌ بَيِّنٌ وهوَ على رَأْيِ أصبَغَ وخِلافِ قولِ سُحنُونٍ واختِلافُهُما على قولَيْ مالكٍ في ميراثِ الزِّندِيقِ فمرَّةً ورَّثَهُ وَرَثَتَهُ مِنَ المُسلِمِينَ قامَتْ عليهِ بذلك بَيِّنةٌ فأنكرَها أو اعتَرَفَ بذلك وأظهرَ التَّوبَةَ وقالَهُ أصبَغُ ومحمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ وغَيرُ واحِدٍ مِنْ أصحابِهِ لِأنَّهُ مُظهِرٌ لِلإسلامِ بإنكارِهِ أو تَوبَتِهِ وحُكمُهُ حُكمُ المُنافِقِينَ الذينَ كانوا على عَهدِ رسُولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم ورَوَى ابنُ نافِعٍ عنهُ في العُتبِيَّةِ وكتابِ محمَّدٍ أنّ مِيراثَهُ لِجَماعَةِ المُسلِمِينَ لِأنّ مالَهُ تَبَعٌ لِدَمِهِ وقال به أيضاً جَماعَةٌ مِنْ أصحابِهِ وقالَهُ أشهَبُ والمُغِيرَةُ وعبدُ المَلِكِ ومحمَّدٌ وسُحنُونٌ وذَهَبَ ابنُ قاسِمٍ في العُتبِيَّةِ الي أنَّهُ إنِ اعتَرَفَ بِما شُهِدَ عليه به وتابَ فقُتِلَ فلا يُورَثُ وانْ لم يُقِرَّ حتّى ماتَ أوْ قُتِلَ وُرِّثَ قال وكذلك كُلُّ مَنْ أسَرَّ كُفرًا فإنَّهُمْ يَتَوارَثُونَ بِوِراثَةِ الإسلامِ وسُئِلَ أبو القاسمِ بنُ الكاتِبِ عَنِ النَّصرانِيِّ يَسُبُّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فيُقتَلُ هَلْ يرِثُهُ أهلُ دِينِهِ أمِ المُسلِمُونَ فأجابَ أنَّهُ لِلمُسلِمِينَ ليسَ على جِهَةِ المِيراثِ لِأنهُ لا توارُثَ بَينَ أهلِ مِلَّتَينِ ولٰكِنْ لِأنَّهُ مِنْ فَيئِهِمْ لِنقضِهِ العَهدَ هذا معنى قولِهِ واختصارُهُ

الباب الثالث

في حُكمِ مَنْ سَبَّ اللهَ تعالي وملائِكَتهُ وأنبياءهُ و كُتبهُ وآلَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وأزواجهُ وصَحْبهُ

لا خِلافَ أنّ سابَّ اللهِ تعالي منَ المسلمينَ كافِرٌ حَلالُ الدَّمِ واختُلِفَ في استِتابَتِهِ فقال ابنُ القاسمِ في المَبسُوطِ وفي كِتابِ ابنِ سُحْنونٍ ومحمّدٍ ورواهُ ابنُ القاسمِ عنْ مالِكٍ في كِتابِ إسحٰقَ بنِ يَحْيي مَنْ سَبَّ اللهَ تعالي منَ المُسلِمينَ قُتلَ ولم يُستَتَبْ الّا أنْ يَكونَ افتِراءً على اللهِ بارْتدادِهِ الى دِينٍ دانَ به وأظهَرَهُ فيُستَتابُ وانْ لم يُظهِرْهُ لم يُستَتَبْ وقال في المَبسُوطَةِ مُطَرِّفٌ وعبدُ المَلِكِ مِثلَهُ وقالَ المَخزُوميُّ ومحمّدُ بنُ مَسْلَمَةَ وابنُ أبي حازِمٍ لا يُقتَلُ المُسلِمُ بالسبِّ حتّي يُستَتابَ وكذلكَ اليَهُودِيُّ والنَّصرانِيُّ فإنْ تابُوا قُبِلَ منهُمْ وإنْ لم يَتُوبُوا قُتِلُوا ولا بُدَّ منَ الاِستِتابَةِ وذلكَ كُلُّهُ كالرِّدَّةِ وهوَ الذِى حَكاهُ القاضى ابنُ نَصرٍ عن المَذهَبِ وأفتي أبو محمّدٍ بنُ أبي زَيدٍ فيما حُكِيَ عنهُ في رَجُلٍ لَعَنَ رَجُلاً ولَعنَ اللهَ فقال إنّما أرَدتُ أنْ ألعَنَ الشَّيطانَ فزَلَّ لِسانِى فقال يُقتَلُ بِظاهِرِ كُفرِهِ ولا يُقبَلُ عُذرُهُ وأمّا فيما بَينَهُ وبَينَ اللهِ تعالي فَمعذُورٌ واختَلَفَ فُقَهاءُ قُرْطُبَةَ في مَسْأَلَةِ هارُونَ بن حَبيبٍ أخي عبدِ المَلِكِ الفَقيهِ وكانَ ضَيِّقَ الصَّدرِ كَثيرَ التَّبَرُّمِ وكانَ قد شُهِدَ عليه بِشَهاداتٍ منها أنّهُ قال عندَ استِقلالِهِ مِنْ مَرَضٍ لَقيتُ في مَرَضِي هذا مالو قَتَلتُ أبابَكرٍ وعُمَرَ لم أستَوجِبْ هذا كُلَّهُ فأفتي ابْراهيمُ بنُ حُسَيْنِ بنِ خالِدٍ بِقَتلِهِ وأنَّ مُضمَّنَ قولِهِ تجوِيرٌ للهِ تعالى وتَظَلُّمٌ منهُ والتَّعرِيضُ فيه كالتَّصريحِ وأفتي

أخوهُ عبدُ المَلِكِ بنُ حَبيبٍ وإبراهيمُ بنُ حُسَيْنِ بنِ عاصِمٍ وسَعِيدُ بنُ سُلَيْمانَ القاضي بِطرْحِ القَتْلِ عنهُ الّا أنّ القاضيَ رَأى عليه التّثقيلَ في الحَبْسِ والشِّدّةَ في الأدَبِ لِاحتِمالِ كلامِهِ وصَرْفه الي التّشكّي فَوَجْهُ مَنْ قال في سابّ اللهِ بالِاستِتابةِ أنّهُ كُفْرٌ ورِدّةٌ مَحْضَةٌ لم يتعلّقْ بِها حَقٌّ لِغَيْرِ اللهِ فأشْبَهَ قَصْدَ الكُفْرِ بِغَيْرِ سَبّ اللهِ وإظهارَ الِانْتِقالِ الى دِينٍ آخَرَ منَ الأدْيانِ المُخالِفَةِ لِلإسلامِ ووَجْهُ تَرْكِ استِتابتِهِ أنّهُ لمّا ظَهَرَ منهُ ذلك بعدَ إظهارِ الإسلامِ قبلُ اتهمْناهُ وظَنَنّا أنّ لِسانَهُ لم يَنْطِقْ به الّا وهوَ مُعْتَقِدٌ لهُ إذْ لا يَتَساهَلُ في هذا أحَدٌ فحُكِمَ لهُ بحُكْمِ الزِّنْديقِ ولم تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ واذا انتَقَلَ مِنْ دِينٍ الي دِينٍ آخَرَ وأظْهَرَ السَّبَّ بِمَعْنَي الِارْتِدادِ فهذا قد أعْلَمَ أنّهُ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ بِخِلافِ الأوّلِ المُسْتَمْسِكِ به وحُكْمُ هذا حُكْمُ المُرْتَدِّ يُسْتَتابُ علي مَشْهُورِ مَذاهِبِ أكْثَرِ العُلَماءِ وهوَ مَذْهَبُ مالِكٍ وأصحابِهِ على ما بَيّنّاهُ قَبْلُ وذَكَرْنا الخِلافَ في فُصولِهِ

فصل

وأمّا مَنْ أضافَ الي اللهِ تعالى ما لا يَليقُ به ليسَ علي طَريقِ السَّبِّ ولا الرِّدّةِ وقَصْدِ الكُفْرِ ولٰكِنْ على طَرِيقِ التّأويلِ والِاجْتِهادِ والخَطَأِ المُفْضِي الي الهَوَى والبِدْعَةِ مِنْ تَشْبِيهٍ أوْ نَعْتٍ بِجارِحَةٍ أوْ نَفْيِ صِفَةِ كَمالٍ فهذا مِمّا اخْتَلَفَ السّلَفُ والخَلَفُ في تَكْفِيرِ قائِلِه ومُعْتَقِدِه واخْتَلَفَ قولُ مالِكٍ وأصْحابِه في ذلك ولمْ يَخْتَلِفُوا في قِتالِهِمْ اذا تَحَيّزُوا فِئَةً وأنّهُمْ يُسْتَتابونَ فإنْ تابوا وإلّا قُتِلوا وانّما اختَلَفوا في المُنْفَرِدِ منهُمْ فأكْثَرُ قولِ مالِكٍ

وأصحابه تركُ القولِ بتكفيرِهم وتركُ قتلِهم والمبالغةُ في عقوبتِهم وإطالةُ سجنِهم حتَّى يظهرَ إقلاعُهم وتستبينَ توبتُهم كما فعلَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ بصَبيغٍ وهذا قولُ محمدِ بن الموّازِ في الخوارجِ وعبدِ الملكِ بنِ الماجشونِ وقولُ سُحنونٍ في جميعِ أهلِ الأهواءِ وبه فُسّرَ قولُ مالكٍ في الموطَّأِ وما رَواهُ عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وجدِّهِ وعمِّهِ مِنْ قولِهم في القدريّةِ يُستَتابونَ فإنْ تابُوا وإلّا قُتِلوا وقال عيسى بنُ القاسمِ في أهلِ الأهواءِ مِنَ الإباضيّةِ والقدريّةِ وشبهِهِم ممّنْ خالفَ الجماعةَ مِنْ أهلِ البدعِ والتحريفِ لتأويلِ كتابِ اللهِ يُستَتابُونَ أظهرُوا ذلك أو أسرُّوهُ فإنْ تابُوا وإلّا قُتِلوا وميراثُهُمْ لورثَتِهِمْ وقال مثلَهُ أيضاً ابنُ القاسمِ في كتابِ محمّدٍ في أهلِ القدرِ وغيرِهِمْ قال واستتابتُهُمْ أنْ يُقالَ لَهُمُ اترُكوا ما أنتُمْ عليه ومثلُهُ في المبسوطِ في الإباضيّةِ والقدريّةِ وسائرِ أهلِ البدعِ قال وهُمْ مُسلمونَ وإنّما قُتِلُوا لرأيِهِم السُّوءِ وبهذا عَمِلَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قال ابنُ القاسمِ مَنْ قالَ إنّ اللهَ لم يُكلِّمْ موسى تكليماً استُتيبَ فإنْ تابَ وإلّا قُتِلَ وابنُ حبيبٍ وغيرُهُ مِنْ أصحابِنا يَرى تكفيرَهُمْ وتكفيرَ أمثالِهِمْ مِنَ الخوارجِ والقدريّةِ والمرجئةِ وقد رُوِيَ أيضاً عنْ سُحنونٍ مثلُهُ فيمَنْ قال ليسَ للهِ كلامٌ أنهُ كافرٌ واختلفَتِ الرِّواياتُ عنْ مالكٍ فأطلقَ في روايةِ الشاميّينَ أبي مُسهرٍ ومَروانَ بنِ محمّدٍ الطاطريِّ الكُفرَ عليهِمْ وقدْ شُوورَ في زَواجِ القدريِّ فقال لا تزوّجْهُ قال اللهُ تعالي ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ مِنْ مُشرِكٍ ورُوِيَ عنهُ أيضاً أهلُ الأهواءِ كُلُّهُمْ كُفّارٌ وقال مَنْ وَصفَ شيئاً مِنْ ذاتِ اللهِ تعالي وأشارَ الي شيءٍ مِنْ جسدِهِ يدٍ أوْ سمعٍ أوْ بصرٍ قُطِعَ ذلكَ منهُ لِأنهُ شبَّهَ اللهَ بنفسِهِ وقال فيمَنْ

قال

قَالَ القُرْآن مَخْلُوقٌ كافِرٌ فَاقْتُلُوهُ وقَالَ أيْضاً فِي رِوايَةِ ابنِ نافِعٍ يُجْلَدُ ويُوجَعُ ضَرْباً ويُحْبَسُ حَتَّى يَتُوبَ وفي رِوايَةِ بِشْرِ بنِ بَكْرٍ التِّنِّيسِيِّ عنهُ يُقْتَلُ ولا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ قَالَ القاضِي أبو عبدِ اللهِ البَرْنَكانِيُّ والقاضِي أبو عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ مِنْ أئِمَّةِ العِرَاقِيِّينَ جَوابُهُ مُخْتَلِفٌ يُقْتَلُ المُسْتَبْصِرُ الدَّاعِيَةُ وعلى هذا الخِلافِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُ في اعادَةِ الصَّلاةِ خَلْفَهُمْ وحَكَى ابنُ المُنْذِرِ عنِ الشَّافِعِيِّ لايُسْتَتَابُ القَدَرِيُّ وأكْثَرُ أقْوالِ السَّلَفِ تَكْفِيرُهُمْ ومِمَّنْ قَالَ بِهِ اللَّيْثُ وابنُ عُيَيْنَةَ وابنُ لَهِيعَةَ ورُوِيَ عنهُمْ ذلِكَ فِيمنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ وقالَهُ ابنُ المُبارَكِ والأوْدِيُّ ووَكِيعٌ وحَفْصُ بنُ غياثٍ وأبو اسْحاقَ الفَزَارِيُّ وهُشَيْمٌ وعَلِيُّ بنُ عاصِمٍ في آخَرِينَ وهُوَ مِنْ قَوْلِ أكْثَرِ المُحَدِّثِينَ والفُقَهاءِ والمُتَكَلِّمِينَ فيهِمْ وفي الخَوارِجِ والقَدَرِيَّةِ وأهْلِ الأهْواءِ المُضِلَّةِ وأصْحابِ البِدَعِ المُتَأَوِّلِينَ وهُوَ قَوْلُ أحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ وكَذلِكَ قالوا في الوَاقِفَةِ والشَّاكَّةِ في هذِهِ الأصُولِ ومِمَّنْ رُوِيَ عنهُ مَعْنَى القَوْلِ الآخَرِ بِتَرْكِ تَكْفِيرِهِمْ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ وابنُ عُمَرَ والحَسَنُ البَصْرِيُّ وهُوَ رَأْيُ جَماعَةٍ مِنَ الفُقَهاءِ النُّظَّارِ والمُتَكَلِّمِينَ واحْتَجُّوا بِتَوْرِيثِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ وَرَثَةَ أهْلِ حَرُوراءَ ومَنْ عُرِفَ بالقَدَرِ مِمَّنْ ماتَ مِنْهُمْ ودَفْنِهِمْ في مَقابِرِ المُسْلِمِينَ وجَرْيِ أحْكامِ الإسْلامِ عليهِمْ قَالَ اسْماعِيلُ القاضِي وانَّما قَالَ مالِكٌ في القَدَرِيَّةِ وسائِرِ أهْلِ البِدَعِ يُسْتَتابُونَ فانْ تابُوا والاَّ قُتِلُوا لأنَّهُ مِنَ الفَسادِ في الأرْضِ كما قَالَ في المُحارِبِ انْ رَأَى الإمامُ قَتْلَهُ وانْ لَمْ يَقْتُلْ قَتَلَهُ وفَسادُ المُحارِبِ انَّما هُوَ في الأمْوالِ ومَصالِحِ الدُّنْيا وانْ كانَ قَدْ يَدْخُلُ أيْضاً في أمْرِ الدِّينِ

مِنْ سَبِيلِ الحَجِّ والجِهادِ وفَسادُ أهْلِ البِدَعِ مُعْظَمُهُ على الدِّينِ وقَدْ يَدْخُلُ في أمْرِ الدُّنيا بِما يُلْقُونَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ مِنَ العَداوَةِ

فصل

في تَحْقِيقِ القَوْلِ في اِكْفارِ المُتَأوِّلِينَ * قَدْ ذَكَرْنا مَذاهِبَ السَّلَفِ في اِكْفارِ أصْحابِ البِدَعِ والأهْواءِ المُتَأوِّلِينَ مِمَّنْ قالَ قَوْلاً يُؤَدِّيهِ مَساقُهُ الي كُفْرٍ هُوَ اذا وُقِفَ عَلَيْهِ لايَقُولُ بِما يُؤَدِّيهِ قَوْلُهُ اليهِ وعلي اخْتِلافِهِمْ اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ والمُتَكَلِّمُونَ في ذلِكَ فَمِنْهُمْ مَنْ صَوَّبَ التَّكْفِيرَ الَّذِى قالَ بِهِ الجُمْهُورُ مِنَ السَّلَفِ ومِنْهُمْ مَنْ أباهُ ولَمْ يَرَ اخْراجَهُمْ مِنْ سَوادِ المُؤْمِنِينَ وهُوَ قَوْلُ أكْثَرِ الفُقَهاءِ والمُتَكَلِّمِينَ وقالوا هُمْ فُسّاقٌ عُصاةٌ ضُلّالٌ ونُوَرِّثُهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ ونَحْكُمُ لَهُمْ باحْكامِهِمْ ولِهٰذا قالَ سُحْنُونٌ لا اعادَةَ على مَنْ صَلَّى خَلْفَهُمْ قالَ وهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أصْحابِ مالِكٍ المُغِيرَةُ وابنُ كِنانَةَ وأشْهَبُ قالَ لأنَّهُ مُسْلِمٌ وذَنْبُهُ لَمْ يُخْرِجْهُ مِنَ الإسْلامِ واضْطَرَبَ آخَرُونَ في ذلِكَ وَوَقَفُوا عنِ القَوْلِ بالتَّكْفِيرِ أوْ ضِدِّهِ واخْتِلافُ قَوْلَيْ مالِكٍ في ذلِكَ وتَوَقُّفُهُ عنْ اعادَةِ الصَّلاةِ خَلْفَهُمْ مِنْهُ والي نَحْوٍ مِنْ هٰذا ذَهَبَ القاضي أبو بَكْرٍ امامُ أهْلِ التَّحْقِيقِ والحَقِّ وقالَ انّها مِنَ المُعْوصاتِ اذِ القَوْمُ لَمْ يُصَرِّحُوا باسْمِ الكُفْرِ وانَّما قالوا قَوْلاً يُؤَدِّي اليْهِ واضْطَرَبَ قَوْلُهُ في المَسْألَةِ على نَحْوِ اضْطِرابِ قَوْلِ امامِهِ مالِكِ بْنِ أنَسٍ حَتّى قالَ في بَعْضِ كَلامِهِ انَّهُمْ على رَأْيِ مَنْ كَفَّرَهُمْ بالتَّأوِيلِ لاتَحِلُّ مُناكَحَتُهُمْ ولا أكْلُ ذَبائِحِهِمْ ولا الصَّلاةُ علي مَيِّتِهِمْ ويُخْتَلَفُ في مُوارَثَتِهِمْ علي الخِلافِ في مِيراثِ

المُرْتَدِّ وقالَ أيضاً نُورِّثُ مَيِّتَهُمْ وَرَثَتَهُمْ مِنَ المسلِمِينَ ولا نُورِّثُهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وأكثَرُ مَيْلِهِ الي تَرْكِ التَّكْفِيرِ بالمَآلِ وَكذلكَ اضْطَرَبَ فِيهِ قَوْلُ شَيْخِهِ أبِي الحَسَنِ الأشْعَرِيِّ وأكثَرُ قوْلِهِ تَرْكُ التَّكْفِيرِ وأنَّ الكُفْرَ خصْلَةٌ وَاحِدَةٌ وهُوَ الجَهْلُ بِوُجُودِ الباري تعالي وقالَ مَرَّةً مَنِ اعتَقَدَ أنَّ اللهَ جِسْمٌ أوِ المَسِيحُ أوْ بَعْضُ مَنْ يلْقاهُ في الطُّرُقِ فَلَيْسَ بِعارِفٍ بِهِ وهُوَ كافِرٌ وَلِمِثْلِ هـذا ذَهَبَ أبو المَعالِي رَحِمَهُ اللهُ في أجْوِبَتِهِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الحَقِّ وَكانَ سَأَلَهُ عَنِ المَسْأَلَةِ فاعتَذَرَ لَهُ بِأنَّ الغَلَطَ فِيها يَصعُبُ لِأنَّ ادْخالَ كافِرٍ في المِلَّةِ واخْرَاجَ مُسْلِمٍ عَنْهـا عَظِيمٌ في الدِّينِ وقالَ غَيْرُهُما مِنَ المُحقِّقِينَ الذِى يَجِبُ الاحْتِرَازُ مِنَ التَّكْفِيرِ في أهْلِ التَّأوِيلِ فإنَّ استِباحةَ دِماءِ المصَلِّينَ الموَحِّدِينَ خطَرٌ والخَطَأُ في تَرْكِ ألْفِ كافِرٍ أهْوَنُ مِنَ الخطَأِ في سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ وقدْ قال صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يَعْنِي الشَّهادَةَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ الّا بِحَقِّها وحِسابُهُمْ على اللهِ فالعِصْمَةُ مقْطوعٌ بِها مَعَ الشَّهادَةِ ولا تَرْتَفِعُ ويُسْتَبَاحُ خِلافُها الّا بِقاطِعٍ ولا قاطِعَ مِنْ شَرْعٍ ولا قِياسٍ عليهِ وألفاظُ الأحاديثِ الوَارِدَةِ في الباب مُعَرَّضَةٌ لِلتَّأويلِ فَما جاءَ مِنْهـا في التَّصْرِيحِ بِكُفْرِ القَدَرِيَّةِ وقوْلُهُ لا سَهْمَ لَهُمْ في الإسْلامِ وتَسْمِيَتُهُ الرَّافِضَةَ بالشِّرْكِ واطْلاقُ اللّعْنَةِ عليْهِمْ وكذلِكَ في الخوارِجِ وغَيْرِهِمْ مِنْ أهْلِ الأهْواءِ فقَدْ يَحْتَجُّ بِها مَنْ يَقُولُ بالتَّكْفيرِ وقدْ يُجِيبُ الآخَرُ بأنَّهُ قدْ ورَدَ مِثْلُ هذهِ الألفاظِ في الحَدِيثِ في غَيْرِ الكَفَرَةِ على طَرِيقِ التَّغْلِيظِ وكُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ واشْرَاكٌ دُونَ اشْرَاكٍ وقدْ ورَدَ مِثْلُهُ

في الرِّياءِ وعقوقِ الوالِدَيْنِ والزَّوْجِ والزُّورِ وغَيْرِ معصيةٍ واذا كانَ مُحْتَمِلاً لِلأَمْرَيْنِ فلا يُقْطَعُ على أحدِهِما الاّ بدَلِيلٍ قاطِعٍ وقوْلُهُ في الخَوارِجِ هُمْ مِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ وهٰذِهِ صِفَةُ الكُفَّارِ وقالَ شَرُّ قَبِيلٍ تحتَ أديمِ السّماءِ طُوبَي لِمَنْ قتلَهُمْ أوْ قتلوهُ وقالَ فاذا وجدْتُمُوهُمْ فاقْتُلوهُمْ قتْلَ عادٍ وظاهِرُ هـذا الكُفْرُ لاسِيَّما معَ تَشْبِيهِهِمْ بِعادٍ فيَحْتَجُّ بِهِ منْ يَرَيَ تَكْفِيرَهُمْ فيقولُ لهُ الآخَرُ انّما ذلِكَ منْ قتْلِهِمْ لِخرُوجِهِمْ علي المسْلِمِينَ وبَغْيِهِمْ علَيْهِمْ بِدَلِيلِهِ منَ الحديثِ نَفْسِهِ يَقْتُلونَ أهلَ الإسلامِ فقَتْلُهُمْ هٰهنا حدٌّ لا كُفْرٌ وذِكْرُ عادٍ تَشْبِيهٌ لِلقَتْلِ وحِلِّهِ لا لِلمقتولِ وليسَ كلُّ منْ حُكِمَ بِقَتْلِهِ يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ ويُعارِضُهُ بِقَوْلِ خالِدٍ في الحَدِيثِ دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَهُ يارَسولَ اللهِ فقالَ لعلّهُ يُصَلِّي فانِ احتَجُّوا بقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَؤُنَ القرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ فأخْبَرَ أنّ الإيمانَ لمْ يَدْخُلْ قلوبَهُمْ وكذلِكَ قوْلُهُ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثمَّ لا يَعُودُونَ اليْهِ حتَّي يَعُودَ السَّهْمُ على فُوقِهِ وبِقَوْلِهِ سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ يَدُلُّ علي أنهُ لمْ يتعلّقْ منَ الإسلامِ بِشَيءٍ أجابَهُ الآخَرُونَ أنّ مَعْنَي لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ لا يَفْهَمُونَ مَعانِيَهُ بِقلوبِهِمْ ولا تنْشَرِحُ لهُ صُدُورُهُمْ ولا تَعْمَلُ بِهِ جَوارِحُهُمْ وعارَضُوهُمْ بِقَوْلِهِ ويُتَمارَي في الفُوقِ وهذا يَقْتَضِي التّشَكُّكَ في حالِهِ وانِ احتَجُّوا بِقَوْلِ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ في هذا الحَدِيثِ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صـلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَخْرُجُ في هٰذِهِ الأُمّةِ ولمْ يَقُلْ منْ هٰذِهِ وتَحْرِيرُ أبي سعيدٍ الرِّوايَةَ واتْقانُهُ اللفظَ أجابَهُمُ الآخَرُونَ بانَّ العبارَةَ بِفي لاتَقْتَضِي تَصْرِيحاً بِكَوْنِهِمْ منْ غَيْرِ الأُمّةِ بخلافِ لفظَةِ مِنْ الـتِي هِيَ لِلتَّبْعِيضِ وكَوْنِهِمْ

منَ الامةِ معَ أنهُ قدْ رُوِيَ عن أبي ذرٍّ وعَلِيٍّ وأبِي أُمامةَ وغيرِهِمْ في
هٰذا الحديثِ يخرُجُ من أُمَّتِي وسيكُونُ من أُمَّتِي وحُرُوفُ المعاني مُشْتَرَكَةٌ
فلا تَعويلَ على اخرَاجِهِمْ منَ الأُمةِ بفِي ولا على ادخالِهِمْ فيها بمِنْ لٰكنّ أبا
سعيدٍ رضي الله عنه أجادَ ماشاء في التَّنبيهِ الّذِي نبّهَ عليهِ وهٰذا مِمّا يَدُلُّ علي
سِعَةِ فِقهِ الصحابةِ وتحقيقِهِمْ لِلمعانِي واستِنباطِها منَ الألفاظِ وتحريرِهِمْ لها
وتوقّيهِمْ في الرِّوايَةِ هٰذهِ المذاهِبُ المعْرُوفةُ لأهْلِ السُّنّةِ ولغيرِهِمْ منَ الفِرَقِ
فيها مقالاتٌ كثِيرةٌ مُضطَرِبةٌ سَخيفةٌ أقربُها قولُ جَهْمٍ ومحمّدِ بن شَبِيبٍ
انّ الكُفرَ باللهِ الجَهلُ بهِ لايكفُرُ أحدٌ بغيرِ ذلِكَ وقالَ أبو الهُذَيلِ انَّ
كُلَّ مُتأوِّلٍ كانَ تأويلُهُ تشبيهاً لِلهِ بخلْقِهِ وتجويرًا لهُ في فِعلِهِ وتكذيباً
لخبَرِهِ فهُوَ كافرٌ وكلُّ من أثبتَ شيأً قديماً لايُقالُ لهُ اللهُ فهُوَ كافرٌ وقالَ
بَعضُ المُتَكلِّمِينَ انْ كانَ مِمّنْ عرفَ الأصلَ وبَنَى عليْهِ وكانَ فيما هُوَ
منْ أوصافِ اللهِ فهُوَ كافرٌ وانْ لمْ يكُنْ منْ هٰذا البابِ ففاسِقٌ الاّ أنْ
يكُونَ مِمّنْ لمْ يَعرِفِ الأصلَ فهُوَ مُخطِئٌ غيرُ كافرٍ وذَهبَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ
الحَسَنِ العَنْبَرِيُّ الي تَصوِيبِ أقوالِ المُجتَهِدِينَ في أُصُولِ الدّينِ فما كانَ
عُرْضَةً لِلتأويلِ وفارَقَ في ذلِكَ فِرَقَ الأُمّةِ اذْ أجمَعُوا سواهُ على أنَّ الحَقَّ في
أُصُولِ الدّينِ في واحِدٍ والمُخطِئُ فيهِ آثِمٌ عاصٍ فاسِقٌ وانّما الخِلافُ في
تَكفِيرِهِ وقدْ حَكَي القاضي أبو بَكرٍ الباقِلاّنِيُّ مثلَ قولِ عُبَيدِ اللهِ عنْ داوُدَ
الاصبهانِيِّ قالَ وحَكَي قومٌ عنهُما أنّهُما قالا ذلِكَ في كلِّ مَنْ عَلِمَ اللهُ سُبحانهُ
منْ حالِهِ استِفرَاغَ الوُسعِ في طلَبِ الحَقّ منْ أهْلِ مِلّتِنا أوْ منْ غيرِهِمْ
وقالَ نحْوَ هٰذا القَولِ الجاحِظُ وثُمامةُ في أنّ كثِيرًا منَ العامّةِ والنِّساءِ والبُلْهِ

ومُقَلِّدَةِ النَّصارَى واليَهُودِ وغَيرِهِم لاحُجَّةَ لِلهِ علَيهِم اذ لَم تَكُن لَهُم طِباعٌ يُمكِنُ معَها الاستِدلالُ وقد نَحا الغَزالِيُّ قَرِيباً مِن هذا المَنحَي في كِتابِ التَّفرِقَةِ وقائِلُ هذا كُلِّهِ كافِرٌ بالإِجماعِ على كُفرِ مَن لَم يُكَفِّر أحداً مِنَ النَّصارَي واليَهُودِ وكُلِّ مَن فارَقَ دِينَ المُسلِمِينَ أو وقَفَ في تَكفِيرِهِم أو شَكَّ قالَ القاضي أبو بَكرٍ لأَنَّ التَّوقِيفَ والإِجماعَ اتَّفقا علي كُفرِهِم فَمَن وقَفَ في ذلِكَ فَقَد كَذَّبَ النَّصَّ والتَّوقِيفَ أو شَكَّ فِيهِ والتَّكذِيبُ أوِ الشَّكُّ فيهِ لايَقَعُ الاّ مِن كافِرٍ

﴿ فصلٌ ﴾

﴿ في بَيانِ ما هُوَ مِنَ المَقالاتِ كُفرٌ وما يُتَوَقَّفُ أو يُختَلَفُ فِيهِ وما لَيسَ بِكُفرٍ ﴾

اعلَم أنَّ تَحقِيقَ هذا الفَصلِ وَكَشفَ اللَّبسِ فِيهِ مَورِدُهُ الشَّرعُ ولا مَجالَ لِلعَقلِ فيهِ والفَصلُ البَيِّنُ في هذا أنَّ كُلَّ مَقالَةٍ صَرَّحَت بِنَفيِ الرُّبُوبِيَّةِ أوِ الوَحدانِيَّةِ أو عِبادَةِ أحَدٍ غَيرِ اللهِ أو مَعَ اللهِ فَهِيَ كُفرٌ كَمَقالَةِ الدَّهرِيَّةِ وسائِرِ فِرَقِ أصحابِ الإِثنَينِ مِنَ الدَّيصانِيَّةِ والمانَوِيَّةِ وأشباهِهِم مِنَ الصَّابِئِينَ والنَّصارَى والمَجُوسِ والَّذِينَ أشرَكُوا بِعِبادَةِ الأَوثانِ أوِ المَلائِكَةِ أوِ الشَّياطِينِ أوِ الشَّمسِ أوِ النُّجُومِ أوِ النَّارِ أو أحَدٍ غَيرِ اللهِ مِن مُشرِكِي العَرَبِ وأهلِ الهِندِ والصِّينِ والسُّودانِ وغَيرِهِم مِمَّن لا يَرجِعُ الي كِتابٍ وَكَذلِكَ القَرامِطَةُ وأصحابُ الحُلُولِ والتَّناسُخِ مِنَ الباطِنِيَّةِ والطَّيَّارَةِ مِنَ الرَّوافِضِ وكَذلِكَ مَنِ اعتَرَفَ بِإلاهِيَّةِ اللهِ

وَوَحدَانيتِهِ ولٰكِنَّهُ اعتقدَ أنهُ غيرُ حيٍّ أوْ غيرُ قديمٍ وأنهُ مُحدَثٌ أوْ مُصوَّرٌ أوِ ادَّعي لهُ ولَدًا أوْ صاحبةً أوْ وَالِدًا أوْ أنهُ مُتوَلِّدٌ مِنْ شيْءٍ أوْ كائِنٌ عنهُ أوْ أنَّ معَهُ في الأزلِ شيئًا قديمًا غيرَهُ أوْ أنَّ ثمَّ صانِعًا لِلعالَمِ سِوَاهُ أوْ مُدَبِّرًا غيرَهُ فذلكَ كلُّهُ كُفرٌ بإجماعِ المُسلِمينَ كقَوْلِ الإلٰهيِّينَ مِنَ الفلاسِفَةِ والمُنجِّمينَ والطبائِعيِّينَ و كذلِكَ مَن ادَّعَى مُجالسَةَ اللهِ والعُرُوجَ إليْهِ ومُكالمَتَهُ أوْ حُلُولَهُ في أحَدِ الأشْخاصِ كقَوْلِ بَعضِ المُتصوِّفَةِ والباطِنيَّةِ والنَّصارَى والقَرامِطَةِ وَ كذلكَ نقْطَعُ على كُفرِ مَنْ قالَ بِقِدَمِ العالَمِ أوْ بَقائِهِ أوْ شكَّ في ذلكَ على مَذهَبِ بَعضِ الفلاسِفَةِ والدَّهرِيَّةِ أوْ قالَ بِتَناسُخِ الارْوَاحِ وانتِقالِها أبَدَ الآبادِ في الأشْخاصِ وتعذِيبِها أوْ تنعُّمِها فيها بحَسَبِ زَكائِها وخُبثِها وكذلِكَ مَنِ اعْتَرَفَ بالإلٰهِيَّةِ والوَحدانيَّةِ ولٰكِنَّهُ جَحَدَ النُّبُوَّةَ منْ أصلِها عُمُومًا أوْ نبُوَّةَ نبيِّنا صلي اللهُ عليه وسلم خُصُوصًا أوْ أحَدٍ منَ الأنبياءِ الَّذِينَ نصَّ اللهُ عليهِمْ بَعدَ علْمِهِ بذلِكَ فهُوَ كافرٌ بلا رَيْبٍ كالبَراهِمَةِ ومُعظَمِ اليَهُودِ والأرُوسيَّةِ منَ النَّصارَي والغُرابِيَّةِ منَ الرَّوافِضِ الزَّاعِمينَ أنَّ عَليًا كانَ المَبعُوثَ اليْهِ جبرِيلُ وكالمعطِّلَةِ والقَرامِطَةِ والإسْماعِيلِيَّةِ والعَنبَرِيَّةِ منَ الرَّافِضَةِ وانْ كانَ بَعضُ هؤُلاءِ قدْ أشرَكُوا في كُفرٍ آخرَ معَ منْ قبْلَهُمْ وكذلِكَ منْ دَانَ بالوَحدانيةِ وصِحةِ النبُوَّةِ ونُبُوَّةِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ولٰكنْ جوَّزَ علي الأنبياءِ الكَذبَ فيما أتوْا بهِ ادَّعي في ذلِكَ المصلَحةَ بِزَعمِهِ أوَلَمْ يَدَّعِها فهُوَ كافرٌ بإجماعٍ كالمتفَلسِفينَ وبَعضِ الباطِنيَّةِ والرَّوافِضِ وغُلاةِ المُتصوِّفَةِ وأصْحابِ الإباحَةِ فانَّ هؤُلاءِ زَعمُوا أنَّ

ظَوَاهِرَ الشَّرْعِ وأَكْثَرَما جاءتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الإِخبارِ عَمّا كانَ ويَكُونُ مِنْ امورِ الآخِرَةِ والحَشْرِ والقِيامَةِ والجَنّةِ والنّارِ لَيْسَ منها شيْءٌ على مُقْتَضَي لَفظِها ومَفْهُومِ خِطابِها وإِنّما خاطبُوا بها الخَلْقَ على جِهَةِ المَصْلَحَةِ لَهُمْ اذْلَمْ يُمكِنْهُمُ التَّصْرِيحُ لِقُصورِ أَفْهامِهِمْ فَمُضَمَّنُ مَقالاتِهِمْ إبْطالُ الشَّرائعِ وتَعْطِيلُ الأَوامِرِ والنَّواهِي وتَكْذِيبُ الرُّسُلِ والإِرْتِيابُ فِيما أَتَوْا به وكذلكَ مَنْ أَضافَ الي نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم تَعَمُّدَ الكَذِبِ فِيما بَلَّغَهُ وأَخْبَرَ به أَوْ شَكَّ في صِدْقِه أوْ سَبَّهُ أَوْ قال إِنهُ لم يُبَلِّغْ أو اسْتَخَفَّ به أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الأَنبياءِ أَوْ أَزْرَى عليهمْ أَوْ آذاهُمْ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ حارَبَهُ فهوَ كافِرٌ بإِجْماعٍ وكذلكَ نُكَفِّرُ مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ بعضِ القُدَماءِ في أَنَّ في كُلِّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوانِ نَذِيرًا ونَبِيًّا مِنَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ والدَّوابِّ والدُّودِ وغَيْرِ ذلكَ ويَحْتَجُّ بقَوْله تعالي وإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلَا فيها نَذِيرٌ إِذْ ذلكَ يُؤَدِّي الي أَنْ يُوصَفَ أَنبياءُ هذهِ الأَجْناسِ بِصِفاتِهِمِ المَذْمُومَةِ وفيه مِنَ الإِزْراءِ علي هذا المَنْصِبِ المُنِيفِ مافيه مَعَ إِجْماعِ المُسْلِمِينَ على خِلافِه وتَكْذِيبِ قائِلِه وكذلكَ نُكَفِّرُ مَنِ اعْتَرَفَ مِنَ الأُصُولِ الصَّحيحَةِ بِما تَقَدَّمَ ونُبُوَّةِ نَبِيِّنا صلي الله عليه وسلم ولٰكِنْ قالَ كانَ أَسْوَدَ أَوْ ماتَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ أَوْلَيْسَ الذِي كانَ بِمَكَّةَ والحِجازِ أَوْلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ لِأَنَّ وَصْفَهُ بِغَيْرِ صِفاتِه المَعْلومَةِ نَفْيٌ لهُ وتَكْذيبٌ به وكَذلكَ مَنِ ادَّعي نُبُوَّةَ أَحَدٍ مَعَ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم أَوْ بعدَهُ كالعِيسَوِيَّةِ مِنَ اليَهودِ القائِلِينَ بِتَخْصِيصِ رِسالَتِه الى العَرَبِ وكالخُرَّمِيَّةِ القائِلِينَ بِتَواتُرِ الرُّسُلِ وكَأَكْثَرِ الرّافِضَةِ القائِلِينَ بِمُشارَكَةِ عَلِيٍّ في الرِّسالَةِ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وبعدَهُ فكذلكَ

كل

كُلُّ إمامٍ عندَ هؤلاء يقومُ مقامَهُ في النُّبوَّةِ والحُجَّةِ و كالبَزِيعيَّةِ والبيَانيَّةِ
مِنْهُمُ القائِلِينَ بِنُبُوَّةِ بَزِيعٍ وَبَيانٍ وأشباهِ هؤلاء أوْ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ لِنفسِهِ
أوْ جوَّزَ اكتِسابَهَا والبُلُوغَ بِصفاءِ القَلْبِ الي مَرتَبَتِها كالفَلاسِفَةِ وغُلاةِ
المُتَصوِّفَةِ وكَذلكَ مَنِ ادَّعَى مِنْهُمْ أنَّهُ يُوحي اليْهِ وانْ لَمْ يَدَّعِ النُّبُوَّةَ
أوْ أنَّهُ يَصْعَدُ الى السَّماءِ ويَدْخُلُ الجَنَّةَ ويأكُلُ مِنْ ثِمارِها ويُعانِقُ
الحُورَ العِينَ فهؤلاء كلُّهُمْ كُفَّارٌ مُكَذِّبُونَ لِلنَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم
لِأنَّهُ أخْبَرَ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ خاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبيَّ بَعْدَهُ وأخْبَرَ
عَنِ اللهِ تَعالي أنَّهُ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وأنَّهُ أُرْسِلَ كافَّةً لِلنَّاسِ وأجْمَعَتِ الأُمَّةُ
علي حَمْلِ هٰذا الكلامِ على ظاهِرِهِ وأنَّ مَفْهُومَهُ المُرادُ بِهِ دُونَ تأويلٍ
ولا تَخصِيصٍ فلا شكَّ في كُفْرِ هؤلاء الطَّوائِفِ كُلِّها قَطْعًا اجماعًا وسَمْعًا
و كَذلكَ وَقَعَ الإجْماعُ علي تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ دَافَعَ نَصَّ الكِتابِ
أوْ خَصَّ حَدِيثًا مُجْمَعًا على نَقْلِهِ مَقْطُوعًا بِهِ مُجْمَعًا علي حَمْلِهِ على ظاهِرِهِ
كَتَكْفِيرِ الخَوارِجِ بِإبْطالِ الرَّجْمِ ولِهٰذا نُكَفِّرُ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنْ دَانَ
بِغَيْرِ مِلَّةِ المُسْلِمِينَ مِنَ المِلَلِ أوْ وَقَفَ فِيهِمْ أوْ شَكَّ أوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ
وإنْ أظْهَرَ مَعَ ذلكَ الإسْلامَ واعتَقَدَهُ واعتَقَدَ إبْطالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِواهُ
فَهُوَ كافِرٌ بإظْهارِهِ ما أظْهَرَ مِنْ خِلافِ ذلكَ و كَذلكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ
كُلِّ قائِلٍ قالَ قَوْلًا يُتَوَصَّلُ بِهِ الى تَضْلِيلِ الأُمَّةِ وتَكْفِيرِ جَمِيعِ الصَّحابَةِ
كَقَوْلِ الكُمَيْلِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ بِتَكْفِيرِ جَمِيعِ الأُمَّةِ بَعْدَ النَّبيِّ صلى
اللهُ عليه وسلم اذْ لَمْ تُقَدِّمْ عَلِيًّا وَكَفَّرَتْ عَلِيًّا اذْ لَمْ يَتقَدَّمْ ويَطْلُبْ حَقَّهُ

في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلي هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلي الله عليه وسلم علي مقتضي قولهم وزعمهم أنه عهد الى علي رضى الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله و كذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر الا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الي الكنائس والبيع مع أهلها والتزيى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد الا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام و كذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة و كذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة و كونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول

صلى

صلى الله عليه وسلم خَبَرُ واحِدٍ وكذلك أُجْمِعَ على تكفيرِ مَنْ قالَ
مِنَ الخوارِجِ إنَّ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهارِ وعلى تكفيرِ الباطنيَّةِ في قولِهِمْ
إنَّ الفرائضَ أسماءُ رِجالٍ أُمِرُوا بِوِلايَتِهِمْ والخبائِثَ والمَحارِمَ أسماءُ
رِجالٍ أُمِرُوا بالبَراءةِ منهُمْ وقولُ بعضِ المُتَصوِّفَةِ إنَّ العِبادَةَ وطُولَ
المُجاهَدَةِ اذا صفَتْ نُفوسُهُمْ أفضَتْ بِهِمْ الي إسْقاطِها وإباحَةِ كلِّ شيْءٍ
لَهُمْ ورَفْعِ عَهْدِ الشَّرائِعِ عنهُمْ وكذلكَ إنْ أنكَرَ مُنكِرٌ مَكَّةَ أوِ
البَيْتَ أوِ المَسْجِدَ الحَرامَ أوْ صِفَةَ الحَجِّ أو قال الحَجُّ واجِبٌ في القُرْآنِ
واسْتِقْبالُ القِبْلَةِ كذلك ولٰكِنْ كَوْنُهُ على هذه الهَيْأَةِ المُتعارَفَةِ وأنَّ
تِلْكَ البُقْعَةَ هِيَ مَكَّةُ والبَيْتُ والمَسْجِدُ الحَرامُ لا أدْرِي هَلْ هِيَ تِلْكَ أوْ
غَيْرُها ولَعَلَّ النَّاقِلِينَ أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فَسَّرَها بِهٰذه
التَّفاسِيرِ غلِطُوا ووَهِمُوا فهذا ومِثْلُهُ لا مِرْيَةَ في تكفيرِه إنْ كانَ
مِمَّنْ يُظَنُّ به عِلْمُ ذلك ومِمَّنْ خالَطَ المُسْلِمِينَ وامْتَدَّتْ صُحْبَتُه لهُمْ الا أنْ
يَكُونَ حديثَ عَهْدٍ بإسْلامٍ فيُقالُ لهُ سَبِيلُكَ أنْ تَسْأَلَ عنْ هذا الذي لم
تَعْلَمْهُ بعدُ كافَّةَ المُسْلِمِينَ فلا تَجِدُ بَيْنَهُمْ خِلافاً كافَّةً عنْ كافَّةٍ الي مُعاصِرِ
الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم أنَّ هذه الأُمُورَ كما قِيلَ لكَ وأنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ
هِيَ مَكَّةُ والبَيْتُ الذي فيها هوَ الكَعْبَةُ والقِبْلَةَ الَّتي صَلَّى لَها الرَّسولُ
صلى الله عليه وسلم والمُسْلِمُونَ وحَجُّوا اليها وطافوا بِها وأنَّ تِلْكَ الأفْعالَ
هِيَ صِفاتُ عِبادَةِ الحَجِّ والمُرادُ به وهِيَ الَّتي فعلَها النبيُّ صلي الله عليه
وسلم والمُسْلِمُونَ وأنَّ صِفاتِ الصَّلَواتِ المَذْكورَةِ هِيَ الَّتي فَعَلَ النبيُّ

صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضاً فإنه اذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفاً منه أو غير شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري إنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من أنكر شيئاً مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم

به أوْ لِتَجْوِيزِ الوَهْمِ على ناقِلِهِ فَنُكَفِّرُهُ بالطَّرِيقَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلقُرْآنِ مُكَذِّبٌ لِلنبيِّ صلى الله عليه وسلم لَكِنَّهُ تَسَتَّرَ بِدَعْواهُ وكذلِكَ منْ أنكَرَ الجَنَّةَ أوِ النَّار أوِ البعْث أوِ الحِسابَ أوِ القيامَةَ فهُوَ كافِر باجْماعٍ لِلنَّصِّ عليهِ واجْماعِ الأُمَّةِ على صِحَّةِ نَقْلِهِ متَواتِرًا وكذلِكَ منِ اعْتَرَفَ بذلِكَ ولَكِنَّهُ قالَ انَّ المُرادَ بالجَنَّةِ والنَّارِ والحَشْرِ والنَّشْرِ والثَّوابِ والعِقابِ معْنًى غَيْرُ ظاهِرِهِ وانَّها لَذَّاتٌ رُوحانِيَّةٌ ومعانٍ باطِنَةٌ كَقَوْلِ النَّصارَى والفَلاسِفَةِ والباطِنِيَّةِ وبَعْضِ المُتَصوِّفَةِ وزَعَمَ أنَّ معْنَى القِيامَةِ المَوْتُ أوْ فَناءٌ مَحْضٌ وانْتِقاضُ هَيْئَةِ الأَفْلاكِ وتَحْليلُ العالَمِ كَقَوْلِ بَعْضِ الفَلاسِفَةِ وكذلِكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ غُلاةِ الرَّافِضَةِ في قَوْلِهِمْ ان الأَئِمَّةَ أفْضَلُ منَ الأَنْبِياءِ فأمَّا مَنْ أنْكَرَ ماعُرِفَ بالتَّواتُرِ منَ الأَخْبارِ والسِّيَرِ والبِلادِ التِي لايَرْجِعُ الي ابْطالِ شرِيعَةٍ ولا يُفْضِي الي انكارِ قاعِدَةٍ مِنَ الدِّينِ كانْكارِ غزْوَةِ تبُوكٍ أوْ مُؤْتَةَ أوْ وُجُودِ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ أوْ قَتْلِ عُثْمانَ أوْ خِلافَةِ علِيٍّ مِمَّا عُلِمَ بالنَّقْلِ ضَرُورَةً وليْسَ في انْكارِهِ جَحْدُ شَرِيعَةٍ فلاسَبِيلَ الي تَكْفِيرِهِ بجَحْدِ ذلِكَ وانْكارِ وُقُوعِ العِلْمِ لهُ اذْ ليْسَ في ذلِكَ أكْثَرُ منَ المُباهَتَةِ كانْكارِ هِشامٍ وعبَّادٍ وقْعَةَ الجَمَلِ ومُحارَبَةَ علِيٍّ مَنْ خالفَهُ فامَّا ان ضَعَّفَ ذلِكَ منْ أجْل تُهْمَةِ النَّاقِلِينَ ووَهَّمَ المُسْلِمِينَ أجْمَعَ فنُكَفِّرُهُ بذلِكَ لِسَرَيانِهِ الي ابطالِ الشَّرِيعَةِ فأَمَّا منْ أنْكَرَ الاجْماعَ المُجَرَّد الّذِى ليْسَ طَرِيقَهُ النَّقْلُ المُتَواتِرُ عنْ الشَّارِعِ فأَكْثَرُ المُتَكَلِّمِينَ منَ الفُقَهاءِ والنُّظَّارِ فى هٰذا الباب قالُوا بِتَكْفِيرِ كُلِّ منْ خالَفَ

الإِجماعَ الصَّحيحَ الجامِعَ لِشروطِ الإِجماعِ المُتفَقِ عليهِ عمُوماً وحُجتهم قولُهُ تعالي ومَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ماتبيَّنَ لهُ الهُدي الآيةَ وقولُهُ صلي اللهُ عليه وسلم مَنْ خالفَ الجَماعةَ قِيدَ شِبرٍ فقدْ خلعَ رِبقةَ الإِسلامِ مِنْ عنُقِهِ وحكوُا الإِجماعَ على تكفيرِ منْ خالفَ الإِجماعَ وذهبَ آخرُونَ الي الوُقُوفِ عنِ القطعِ بتكفيرِ منْ خالفَ الإِجماعَ الذِي يختصُّ بنقلِهِ العلماءُ وذهبَ آخرُونَ الي التَّوقُّفِ في تكفيرِ منْ خالفَ الإِجماعَ الكائنَ عنْ نظرٍ كتكفيرِ النَّظَّامِ بانكارِهِ الإِجماعَ لِأَنَّهُ بقولِهِ هذا مُخالِفٌ اجماعَ السّلَفِ علي احتِجاجِهِمْ بهِ خارقٌ لِلإِجماعِ قالَ القاضِي أبو بكرٍ القولُ عِندِي انَّ الكُفرَ باللهِ هو الجهلُ بوُجُودِهِ والإِيمانُ باللهِ هوَ العِلمُ بوُجُودِهِ وأنَّهُ لا يُكفَّرُ أحدٌ بقولٍ ولا رأيٍ الَّا أنْ يكونَ هوَ الجهلُ باللهِ فإِنْ عصَى بقولٍ أوْ فِعلٍ نصَّ اللهُ ورسولُهُ أوْ أجمعَ المُسلِمُونَ أنَّهُ لا يُوجَدُ الَّا مِنْ كافِرٍ أوْ يقُومُ دَليلٌ على ذلكَ فقدْ كفرَ ليسَ لِأَجلِ قولِهِ أوْ فعلِهِ لكنْ لِما يُقارِنُهُ مِنَ الكفرِ فالكُفرُ باللهِ لا يكونُ الَّا بأحدِ ثلاثةِ أمُورٍ أحدُها الجهلُ باللهِ تعالى والثَّانِي أنْ يأْتِيَ فِعلاً أوْ يقولَ قولاً يُخبِرُ اللهُ ورسولُهُ أوْ يُجمِعُ المُسلِمُونَ أنَّ ذلكَ لا يكونُ الَّا مِنْ كافِرٍ كالسُّجُودِ لِلصنَمِ والمَشيِ الى الكنائِسِ بالتزامِ الزنَّارِ مَعَ أصحابِها في أعيادِهِمْ أوْ يكونَ ذلكَ القولُ أوِ الفِعلُ لا يُمكِنُ معهُ العِلمُ باللهِ قالَ فهذانِ الضَّربانِ وإِنْ لمْ يكُونا جهلاً باللهِ فهُما علَمٌ أنَّ فاعِلَهُما كافِرٌ مُنسلِخٌ مِنَ الإِيمانِ فأمَّا مَنْ نفي صِفةً مِنْ صِفاتِ اللهِ تعالي الذَّاتيَّةِ أوْجحَدَها

مُستَبصرًا في ذلكَ كقولِهِ ليسَ بعالِمٍ ولا قادرٍ ولا مُريدٍ ولا متكلِّمٍ وشبهِ ذلكَ من صفاتِ الكمالِ الواجبةِ لهُ تعالى فقدْ نصَّ أئمتُنا على الاجماعِ على كُفرِ من نفى عنهُ تعالى الوصفَ بها وأعراهُ عنها وعلى هذا حُملَ قولُ سحنونٍ مَنْ قالَ ليسَ للهِ كلامٌ فهوَ كافرٌ وهوَ لا يُكفِّرُ المتأوِّلينَ كما قدَّمناهُ فأمَّا من جهلَ صفةً من هذهِ الصفاتِ فاختلفَ العلماءُ ههُنا فكفَّرَهُ بعضُهُمْ وحُكِيَ ذلكَ عن أبي جعفرٍ الطَّبريّ وغيرِهِ وقالَ بهِ أبو الحسنِ الأشعريُّ مرَّةً وذهبتْ طائفةٌ الى أنّ هذا لا يُخرجُهُ عن اسمِ الايمانِ واليهِ رجعَ الأشعريُّ قالَ لأنهُ لم يعتقدْ ذلكَ اعتقادًا يقطعُ بصوابهِ ويراهُ دِيناً وشرعاً وانَّما يكفرُ مَنِ اعتقدَ أنَّ مقالَهُ حقٌّ واحتجَّ هؤلاءِ بحديثِ السَّوداءِ وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم انَّما طلبَ منها التَّوحيدَ لا غيرُ وبحديثِ القائلِ لئنْ قدرَ اللهُ عليَّ وفي روايةٍ فيهِ لعلِّي أضلُّ اللهَ ثُمَّ قالَ فغفرَ اللهُ لهُ قالوا ولوْ بُوحِثَ أكثرُ النَّاسِ عنِ الصفاتِ وكُوشِفُوا عنها لَما وُجِدَ مَنْ يعلَمُها الَّا الأقلُّ وقدْ أجابَ الآخرُ عنْ هذا الحديثِ بوُجوهٍ منها أنَّ قدرَ بمعنى قدَّرَ ولا يكونُ شكُّهُ في القدرةِ على احيائهِ بلْ في نفسِ البعثِ الذي لا يُعلمُ الَّا بشرعٍ ولعلَّهُ لم يكنْ وردَ عندهُمْ بهِ شرعٌ يقطعُ عليهِ فيكونُ الشكُّ فيهِ حينئذٍ كفرًا فأمَّا مالمْ يردْ بهِ شرعٌ فهوَ مِنْ مُجوَّزاتِ العقولِ أوْ يكونُ قدرَ بمعنى ضيَّقَ ويكونُ ما فعلَهُ بنفسهِ ازراءً عليها وغضباً لعصيانِها وقيلَ قالَ ماقالهُ وهوَ غيرُ عاقلٍ لكلامهِ ولا ضابطٍ للفظهِ مِمَّا استولى عليهِ منَ الجزعِ والخشيةِ التي أذهبتْ لُبَّهُ

فَلَمْ يُؤَاخَذْ بِهِ وقيلَ كانَ هذا في زَمَنِ الفَتْرَةِ وحَيْثُ يَنفَعُ مُجَرَّدُ التَوْحيدِ وقيلَ بَلْ هذا مِنْ مَجازِ كلامِ العَرَبِ الَّذِي صورَتُهُ الشَكُّ ومعناهُ التحقيقُ وهوَ يُسَمَّي تجاهُلَ العارفِ ولَهُ أمثِلَةٌ في كلامِهِمْ كَقَوْلِهِ تعالي لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخشَي وقوْلِهِ وإنّاَ أوْ إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَي أوْ في ضلالٍ مُبينٍ فأمَّا مَنْ أثبَتَ الوَصْفَ ونَفَي الصِفَةَ فقالَ أقولُ عالِمٌ ولكِنْ لا عِلْمَ لَهُ ومُتَكَلِّمٌ ولكِنْ لا كلامَ لهُ وهكذا في سائِرِ الصِفاتِ علي مَذْهَبِ المُعتَزِلَةِ فَمَنْ قالَ بالمَآلِ لِما يُؤَدِّيهِ اليْهِ قوْلُهُ ويَسوقُهُ اليْهِ مَذْهَبُهُ كَفَّرَهُ لِأنَّهُ اذا نَفَي العِلْمَ انتَفي وَصفُ عالِمٍ اذْ لا يوصَفُ بِعالِمٍ الّا مَنْ لهُ عِلْمٌ فَكأنَّهُمْ صَرَّحوا عِنْدَهُ بِما أدّي اليْهِ قوْلُهُمْ وهكذا عندَ هذا سائِرُ فِرَقِ أهْلِ التأويلِ مِنَ المُشَبِّهَةِ والقَدَرِيَّةِ وغيْرِهِمْ ومنْ لمْ يَرَ أخْذَهُمْ بِمآلِ قوْلِهِمْ ولا ألزَمَهُمْ مُوجِبَ مَذهَبِهِمْ لَمْ يَرَا كْفارَهُمْ قالَ لأنَّهُمْ اذا وُقِفوا علي هذا قالوا لانقولُ ليسَ بِعالِمٍ ونحْنُ نَنْتَفِي مِنَ القَوْلِ بالمآلِ الّذِي ألزَمتُموهُ لنا ونَعتَقِدُ نحنُ وأنتُمْ أنهُ كُفْرٌ بَلْ نَقولُ انَّ قوْلَنا لا يَؤُلُ اليْهِ على ما أصَّلْناهُ فعلَى هذينِ المأخَذَيْنِ اختَلَفَ النّاسُ في اكْفارِ أهْلِ التأويلِ واذا فَهِمْتَهُ اتّضَحَ لكَ المُوجِبُ لِاختِلافِ النّاسِ في ذلِكَ والصَّوابُ تَرْكُ اكْفارِهِمْ والإعْراضُ عن الحَتْمِ علَيْهِمْ بالخُسْرانِ واجراءِ حُكْمِ الإسلامِ علَيْهِمْ في قِصاصِهِمْ وَوِراثاتِهِمْ ومُناكَحاتِهِمْ ودِياتِهِمْ والصّلاةِ علَيهِمْ ودَفنِهِمْ في مقابِرِ المُسْلِمينَ وسائِرِ مُعامَلاتِهِمْ لكِنَّهُمْ يُغلَّظُ عليْهِمْ بوَجيعِ الأدَبِ وشَديدِ الزَجْرِ والهَجْرِ حَتّي يَرْجِعوا عَنْ

بِدْعَتِهِمْ وهذه كانَتْ سِيرَةَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ فيهِمْ فقد كانَ نَشَأَ على زَمَنِ الصَّحابَةِ وبعدَهُمْ في التَّابِعِينَ مَنْ قال بِهٰذه الأَقْوالِ مِنَ القَدَرِ ورَأْيِ الخَوارِجِ والاِعْتِزالِ فما أَزاحُوا لَهُمْ قَبْرًا ولا قَطَعُوا لِأَحَدٍ منهُمْ مِيراثًا لٰكِنَّهُمْ هَجَرُوهُمْ وأَدَّبُوهُمْ بالضَّرْبِ والنَّفْيِ والقَتْلِ على قَدْرِ أَحْوالِهِمْ لِأَنَّهُمْ فُسَّاقٌ ضُلَّالٌ عُصاةٌ أَصْحابُ كَبائِرَ عندَ المُحَقِّقِينَ وأَهْلِ السُّنَّةِ مِمَّنْ لم يَقُلْ بِكُفْرِهِمْ منهمْ خِلافًا لِمَنْ رَأَى غَيْرَ ذلك واللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوابِ

قال القاضي أَبو بَكْرٍ وأَمَّا مَسائِلُ الوَعْدِ والوَعِيدِ والرُّؤْيَةِ والمَخْلوقِ وخَلْقِ الأَفْعالِ وبَقاءِ الأَعْراضِ والتَّوَلُّدِ وشِبْهِها مِنَ الدَّقائِقِ فالمَنْعُ في إِكْفارِ المُتَأَوِّلِينَ فيها أَوْضَحُ إِذْ ليسَ في الجَهْلِ بِشَيْءٍ منها جَهْلٌ باللهِ تعالى ولا أَجْمَعَ المُسْلِمونَ على إِكْفارِ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا منها وقد قَدَّمْنا في الفَصْلِ قَبْلَهُ مِنَ الكَلامِ وصُورَةِ الخِلافِ في هذا ما أَغْنَى عنْ إِعادَتِهِ بِحَوْلِ اللهِ تعالى

فصل

هذا حُكْمُ المُسْلِمِ السَّابِّ لِلّٰهِ تعالى وأَمَّا الذِّمِّيُّ فَرُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ في ذِمِّيٍّ تَناوَلَ مِنْ حُرْمَةِ اللهِ تعالى غَيْرَ ما هوَ عليه مِنْ دِينِهِ وحاجَّ فيه فَخَرَجَ ابنُ عُمَرَ عليه بالسَّيْفِ فَطَلَبَهُ فَهَرَبَ وقال مالِكٌ في كِتابِ ابنِ حَبِيبٍ والمَبْسُوطَةِ وابنُ القاسِمِ في المَبْسوطِ وكِتابِ مُحَمَّدٍ وابنِ سُحْنُونٍ مَنْ شَتَمَ اللهَ مِنَ اليَهودِ والنَّصارَى بِغَيْرِ الوَجْهِ الذي كَفَرَ به

قُتِلَ ولم يُستَتَبْ قال ابنُ القاسِمِ إلا أنْ يُسلِمَ قال في المَبسوطَةِ طَوعاً قال أصبَغُ لِأنَّ الوَجهَ الذي به كَفَرُوا هوَ دِينُهُمْ وعليه عُوهِدُوا مِنْ دَعوَى الصَّاحِبَةِ والشَّرِيكِ والوَلَدِ وأمَّا غَيرُ هذا منَ الفِريَةِ والشَّتمِ فَلَمْ يُعاهَدُوا عليه فهوَ نَقضٌ لِلعَهدِ قال ابنُ القاسِمِ في كِتابِ مُحَمَّدٍ ومَنْ شَتَمَ مِنْ غَيرِ أهلِ الأديانِ اللهَ تعالى بِغَيرِ الوَجهِ الذي ذُكِرَ في كِتابِه قُتِلَ الّا أنْ يُسلِمَ وقال المَخزُومِيُّ في المَبسوطَةِ ومُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ وابنُ أبي حازِمٍ لا يُقتَلُ حَتّي يُستَتابَ مُسلِماً كانَ أوْ كافِرًا فإنْ تابَ وإلّا قُتِلَ وقال مُطَرِّفٌ وعبدُ المَلِكِ مِثلَ قولِ مالِكٍ وقال أبو مُحَمَّدٍ ابنُ أبي زَيدٍ مَنْ سَبَّ اللهَ تعالى بِغَيرِ الوَجهِ الذي به كَفَرَ قُتِلَ الّا أنْ يُسلِمَ وقد ذَكَرْنا قولَ ابنِ الجَلّابِ قَبلُ وذَكَرْنا قولَ عُبَيدِ اللهِ وابنِ لُبابَةَ وشُيوخِ الأندَلُسِيّينَ في النَّصرانِيَّةِ وفُتياهُمْ بقَتلِها لِسَبِّها بالوَجهِ الذي كَفَرَتْ به اللهَ والنبيَّ وإجماعَهُمْ على ذلك وهوَ نَحوُ القولِ الآخَرِ فِيمَنْ سَبَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم منهُمْ بالوَجهِ الذي كَفَرَ به ولا فَرقَ في ذلك بَينَ سَبِّ اللهِ وسَبِّ نَبِيِّهِ لِأنَّا عاهَدْناهُمْ علي أنْ لا يُظهِرُوا لَنا شَيئًا مِنْ كُفرِهِمْ وأنْ لا يُسمِعُونا شَيئًا مِنْ ذلك فمَتي فَعَلُوا شَيئًا منهُ فهوَ نَقضٌ لِعَهدِهِمْ واختَلَفَ العُلَماءُ في الذِّمِّيِّ إذا تَزَندَقَ فقال مالِكٌ ومُطَرِّفٌ وابنُ عبدِ الحَكَمِ وأصبَغُ لا يُقتَلُ لِأنَّهُ خَرَجَ مِنْ كُفرٍ الي كُفرٍ وقال عبدُ المَلِكِ بنُ الماجِشُونِ يُقتَلُ لِأنَهُ دِينٌ لا يُقَرُّ عليه أحَدٌ ولا يُؤخَذُ عليه جِزيَةٌ قال ابنُ حَبِيبٍ وما أعلَمُ مَنْ قالَهُ غَيرُهُ

(فصل)

فصل

هـذا حُكْمُ مَنْ صَرَّحَ بِسَبِّهِ وإِضافَةِ ما لا يَليقُ بجلالِه وإِلهيَّتِهِ * فأمَّا مُفْتَرِي الكَذبِ عليه تَبارَكَ وتعالى بادّعاء الإِلهيَّةِ أوِ الرِّسالَةِ أو النَّافِي أنْ يَكونَ اللهُ خالِقَهُ أوْ رَبَّهُ أوْ قالَ ليسَ لِي رَبٌّ أوِ المُتَكَلِّمُ بِما لا يُعْقَلُ مِنْ ذلكَ في سَكْرِهِ أوْ غَمْرَةِ جُنونِهِ فلا خِلافَ في كُفْرِ قائِلِ ذلكَ ومُدَّعِيهِ مَعَ سَلامَةِ عَقْلِهِ كما قَدَّمْناهُ لكنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ على المَشْهُورِ وتَنفعُهُ إِنابَتُهُ وتُنجِيهِ مِنَ القَتْلِ فَيْأتُهُ لكنَّهُ لا يَسْلَمُ مِنْ عَظِيمِ النَّكالِ ولا يُرَفَّهُ عَنْ شَديدِ العِقابِ لِيَكونَ ذلكَ زَجرًا لِمِثْلِهِ عنْ قَوْلِهِ ولَهُ عَنِ العَوْدَةِ لِكُفْرِهِ أوْ جَهْلِهِ الّا مَنْ تَكَرَّرَ منهُ ذلكَ وعُرِفَ استِهانَتُهُ بِما أتَى بهِ فهوَ دَليلٌ على سُوءِ طَوِيَّتِهِ وكَذِبِ تَوْبَتِهِ وصارَ كالزِّنْديقِ الذي لا نَأْمَنُ باطِنَهُ ولا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ وحُكْمُ السَّكْرانِ في ذلكَ حُكْمُ الصَّاحِي وأمَّا المَجْنونُ والمَعتوهُ فَما عُلِمَ أنَّهُ قالَهُ مِنْ ذلكَ في حالِ غَمْرَتِهِ وذَهابِ مَيْزِهِ بالكُلِّيَّةِ فلا نَظَرَ فيه وما فَعَلَهُ مِنْ ذلكَ في حالِ مَيْزِهِ وإِنْ لم يَكُنْ مَعَهُ عَقْلُهُ وسَقَطَ تَكْليفُهُ أُدِّبَ على ذلكَ لِيَنْزَجِرَ عنهُ كما يُؤَدَّبُ على قَبائِحِ الأفْعالِ ويُوالَى أدَبُهُ على ذلكَ حَتَّى يَنْكَفَّ عنهُ كما تُؤَدَّبُ البَهيمَةُ على سُوءِ الخُلُقِ حَتَّى تُراضَ وقد أحْرَقَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رضيَ اللهُ عنهُ مَنِ ادَّعَى لهُ الإِلهيَّةَ وقد قَتَلَ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ الحارِثَ المُتَنَبِّيَ وصَلَبَهُ وفَعَلَ ذلكَ غَيرُ واحِدٍ مِنَ الخُلَفاءِ والمُلوكِ بأشْباهِهِمْ

وأجمَعَ عُلمَـاء وقتِهِم على صَوابِ فِعْلِهِمْ والمُخَالِفُ في ذلك مِن كُفرِهِمْ كافِرٌ وأجمعَ فُقَهاء بغدادَ أيّامَ المُقتَدِرِ منَ المَـالِكيَّـةِ وقاضي قُضاتِها أبو عُمَرَ المَـالِكيُّ علي قَتلِ الحَـلَّاجِ وصَلْبِه لِدَعواهُ الإلهيَّـةَ والقَولَ بالحُلولِ وقولِه أنا الحَقُّ معَ تَمَسُّكِهِ في الظَّاهِرِ بالشَّرِيعَةِ ولم يَقبَلُوا توبَتَـهُ وكذلك حَكَمُوا في ابنِ أبي العَزاقِيرِ وكانَ على نحوِ مَذهَبِ الحَـلَّاجِ بعدَ هـذا أيّامَ الرَّاضي باللهِ وقاضي قُضاةِ بغدادَ يومَئذٍ أبو الحُسَيْنِ بنُ أبي عُمَرَ المَـالِكيُّ وقال ابنُ عبدِ الحَكَمِ في المَبسُوطِ مَنْ تنَبَّأَ قُتِلَ وقال أبو حَنيفَةَ وأصحابُهُ مَنْ جَحَـدَ أنّ اللهَ تعالي خالِقُهُ أوْ رَبُّهُ أوْ قال ليسَ لِي رَبٌّ فهوَ مُرتَدٌّ وقال ابنُ القـاسِمِ في كِتابِ ابنِ حَبيبٍ ومحمَّـد في العُتبِيَّةِ فِيمَنْ تَنَبَّأَ يُستَتابُ أسَرَّ ذلك أوْ أعلَنَـهُ وهوَ كالمُرْتَدِّ وقالَهُ سُحنونٌ وغَيرُهُ وقالَهُ أشهَبُ في يَهُودِيٍّ تَنَبَّأَ وادَّعى أنّهُ رَسُولٌ اِلَيـنـا إنْ كانَ مُعْلِنًا بذلك استُتِيبَ فإنْ تابَ وإلّا قُتِـلَ وقال أبو محمَّـدِ بنُ أبي زَيْدٍ فِيمَنْ لَعَنَ بارِئَهُ وادَّعي أنّ لِسـانَهُ زَلَّ وإنّمـا أرادَ لَعنَ الشَّـيطانِ يُقتَـلُ بِكُفرِهِ ولا يُقبَـلُ عذرُهُ وهذا على القَولِ الآخَرِ مِنْ أنّهُ لا تُقبَـلُ توبَتُهُ وقال أبو الحَسَنِ القابِسيُّ في سَكرانَ قال أنا اللهُ أنا اللهُ إنْ تابَ اُدِّبَ فإنْ عادَ الي مِثـلِ قولِه طُولِبَ مُطالَبَـةَ الزِّنديقِ لِأنّ هـذا كُفرُ المُتلاعِبِـينَ

(فصل)

وأمَّا مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقَطِ القَوْلِ وسُخْفِ اللَّفْظِ مِمَّنْ لم يَضْبِطْ كلامَهُ وأهْمَلَ لِسانَهُ بِما يَقْتَضِي الِاسْتِخْفافَ بِعَظَمَةِ رَبِّه وجَلالَةِ مَوْلاهُ أوْ تَمَثَّلَ في بعضِ الأَشْياءِ بِبَعْضِ ما عَظَّمَ اللّهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ أوْ نَزَعَ مِنَ الكلامِ لِمَخْلُوقٍ بما لايَلِيقُ الاّ في حَقِّ خالِقِهِ غيرَ قاصدٍ لِلْكُفْرِ والِاسْتِخْفاف ولاعامِدٍ لِلإِلحادِ فانْ تَكَرَّرَ هٰذا منهُ وعُرِفَ بِهِ دَلَّ على تلاعُبِهِ بدِينِهِ واسْتِخْفافِهِ بِحُرْمَةِ ربِّهِ وجَهْلِهِ بِعَظِيمِ عِزَّتِهِ و كِبْرِيائِهِ وهٰذا كُفْرٌ لامِرْيَةَ فيهِ وكَذٰلِكَ انْ كانَ ماأوْرَدَهُ يُوجِبُ الِاسْتِخْفافَ والتَّنَقُّصَ لِرَبِّهِ وقدْأفْتَى ابنُ حَبِيبٍ وأصْبَغُ بنُ خليلٍ منْ فُقَهاءِ قُرْطُبَةَ بقتلِ المعْرُوفِ بابنِ أخي عَجَب و كانَ خرَجَ يوْماً فاخَذهُ المَطَرُ فقالَ بدأَ الخَرّازُ يَرُشُّ جلُودَهُ وكانَ بَعْضُ الفُقَهاءِ بِها أبُوزَيْدٍصاحِبُ الثّمانِيَةِ وعَبْدُ الأَعْلَى بنُ وهْبٍ وأبانَ بنُ عِيسَى قدْ توَقَّفُوا عنْ سَفْكِ دَمِهِ وأشارُوا الي أنَّهُ عَبَثٌ منَ القوْلِ يَكْفِي فيهِ الأدَبُ وأفْتَي بِمِثْلِهِ القاضي حِينَئِذٍ مُوسَى بنُ زِيادٍ فقالَ ابنُ حَبِيبٍ دَمُهُ في عُنُقِي أيُشْتَمُ رَبٌّ عبَدْناهُ ثُمَّ لانَنْتَصِرُ لهُ انّا اذًا لعَبِيدُ سُوءٍ مانَحْنُ لهُ بِعابِدِينَ وبَكَي ورُفِعَ المَجْلِسُ الي الأَمِيرِ بِهاعَبْدِالرَّحمٰنِ بنِ الحَكَمِ الأمَوِيِّ وكانَتْ عَجَبُ عَمَّةُ هٰذا المَطْلُوبِ منْ حَظاياهُ وأُعلِمَ باخْتِلافِ الفُقَهاءِفخَرَجَ الإِذْنُ منْ عِنْدِهِ بالأَخْذِ بقَوْلِ ابنِ حَبِيبٍ وصاحِبِهِ وأمَرَ بِقَتْلِهِ فقُتِلَ وصُلِبَ بِحَضْرَةِ الفَقِيهَيْنِ وعَزَلَ القاضِيَ لِتُهْمَتِهِ بالمُداهَنَةِ في هٰذِهِ القِصّةِ ووَبَّخَ بَقِيّةَ

الفُقَهاء وسبِّهِمْ وأمّا من صدرَتْ عنهُ من ذلِكَ الهَنةُ الواحِدَةُ والفَلْتَةُ الشّارِدَةُ مالمْ يكُنْ تنقُّصاً وازراءً فيُعاقَبُ عليها ويُؤَدَّبُ بِقَدْرِ مُقْتضاها وشُنْعةِ معْناها وصُورَةِ حال قائِلِها وشَرْحِ سَبَبِها ومُقارِنِها وقدْ سُئِلَ ابنُ القاسِمِ رَحمَهُ اللهُ عنْ رَجُلٍ نادَي رَجُلاً باسْمِهِ فاجابَهُ لبَّيْكَ اللّهمَّ لبَّيْكَ قالَ فانْ كانَ جاهِلاً أوْ قالهُ على وجْهِ سفَهٍ فلا شيْءَ عليهِ قالَ القاضي أبو الفضْلِ وشَرْحُ قولِهِ انهُ لاقَتْلَ عليهِ والجاهِلُ يُزْجَرُ ويُعلَّمُ والسَّفِيهُ يُؤَدَّبَ ولوْ قالها على اعْتِقادِ انْزالِهِ مَنْزِلةَ رَبّهِ لَكَفرَ هٰذا مقْتضَى قوْلِهِ وقدْ أسْرفَ كَثِيرٌ منْ سُخَفاءِ الشُّعَراءِ ومُتَّهَميهِمْ في هٰذا البابِ واستَخفُّوا عظيمَ هٰذهِ الحُرْمَةِ فأَتوا منْ ذلِكَ بِما نُنزِّهُ كِتابَنا ولِسانَنا وأقلامَنا عنْ ذِكْرِهِ ولوْلا أنّا قصَدْنا نصَّ مسائِلَ حَكيْناها لما ذَكَرْنا شيأً مِمّا يثْقُلُ ذِكْرُهُ علَيْنا مِمّا حَكَيْناهُ في هٰذِه الفُصُولِ وأمّا ماوَرَدَ في هٰذا من أهْلِ الجَهالةِ وأغالِيطِ اللِّسانِ كقوْلِ بَعْضِ الأَعْرابِ

رَب العِبادِ مالنا ومالَكا * قدْ كُنتَ تَسقِينا فما بَدا لَكا

* أنْزِلْ علَيْنا الغَيْثَ لا أبالَكا *

في أشْباهٍ لِهٰذا مِنْ كَلامِ الجُهّالِ ومَنْ لمْ يُقَوِّمْهُ ثِقافُ تأْدِيبِ الشّرِيعَةِ والعِلْمِ في هٰذا البابِ فقَلَّما يَصْدُرُ الّا مِنْ جاهِلٍ يَجِبُ تَعْليمُهُ وزَجْرُهُ والإِغْلاظُ لهُ عَنِ العَوْدَةِ الي مِثْلِهِ قالَ أبو سُلَيْمانَ الخَطّابِيُّ وهٰذا تهَوُّرٌ مِنَ القَوْلِ واللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هذِهِ الأُمُورِ وقَدْ رَوَيْنا عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أنهُ قالَ لِيُعَظِّمْ أحَدُكمْ رَبَّهُ أنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ في كلِّ شَيْءٍ حَتّي لا يَقُولَ أخْزَى اللهُ الكَلْبَ وفَعَلَ بِهِ كذا و كذا و كانَ بَعْضُ مَنْ أدْرَكْنا مِنْ

مشايخنا

مَشايخنا قلّما يذكُرُ اسمَ اللهِ تعالي الّا فيما يتّصلُ بطاعتِهِ وكانَ يقولُ لِلإنسانِ جُزيتَ خيرًا وقلّما يقولُ جزاكَ اللهُ خيرًا إعظاماً لِاسمِهِ تعالي أنْ يُمتهَنَ في غيرِ قُربةٍ وحدّثنا الثِّقةُ أنَّ الإمامَ أبا بكرٍ الشّاشيّ كانَ يَعيبُ على أهلِ الكلامِ كثرةَ خوضِهِمْ فيه تعالى وفي ذِكرِ صفاتِهِ اجلالاً لِاسمِهِ تعالي ويقولُ هؤلاءِ يتمندَلُونَ باللهِ عزّ وجلّ ويُنزَّلُ الكلامُ في هذا البابِ تنزيلَهُ في بابِ سابّ النّبيّ صلي الله عليه وسلم على الوُجوهِ الّتي فصّلناها واللهُ المُوفِّقُ

(فصلٌ)

وحُكمُ منْ سبَّ سائرَ أنبياءِ اللهِ تَعالي وملائكتَهُ واستخفّ بِهِمْ أوْ كذّبَهُمْ فيما أتَوْا بِهِ أوْ أنكرَهُمْ وجحدَهُمْ حُكمُ نبيّنا صلى الله عليه وسلم علي مساقِ ماقدّمناهُ قالَ اللهُ تَعالي انّ الّذينَ يَكفُرُونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويُريدُونَ أنْ يفرّقُوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ الآية وقالَ تَعالي قولوا آمنّا باللهِ وما أُنزلَ الينا وما أُنزلَ الي ابراهيمَ الآيةَ الي قولِهِ لانفرّقُ بينَ أحدٍ منهُمْ وقالَ كلٌّ آمَنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفرّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ قال مالكٌ في كتابِ ابنِ حبيبٍ ومحمّدٍ وقالَ ابنُ القاسمِ وابنُ الماجشُونِ وابنُ عبدِ الحكَمِ وأصبغُ وسُحنونٌ فيمَنْ شتَمَ الأنبياءَ أوْ أحدًا منهُمْ أوْ تنقّصهُ قُتِلَ ولمْ يُستتَبْ ومَنْ سبّهُمْ مِنْ أهلِ الذِّمّةِ قُتِلَ الّا أنْ يُسلِمَ وَروَي سُحنونٌ عَنِ ابنِ القاسمِ مَنْ سبَّ الأنبياءَ مِنَ اليهُودِ والنّصارَى

بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ الاَّ أَنْ يُسْلِمَ وقدْ تَقَدَّمَ الخِلافُ
في هـذا الأَصْلِ وقالَ القاضي بِقُرْطُبَةَ سَعِيدُ بنُ سلَيْمانَ في بَعْضِ أجْوِبَتِهِ
مَنْ سَبَّ اللهَ وملائِكَتَهُ قُتِلَ وقالَ سُحْنُونٌ مَنْ شَتَمَ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَةِ
فعلَيْهِ القتلُ وفي النَّوادِرِ عنْ مالِكٍ فيمَنْ قالَ انَّ جِبْرِيلَ أخْطَأَ بالوَحْيِ وانَّما
كانَ النَّبِيُّ علِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ استُتِيبَ فانْ تابَ والاَّ قُتِلَ ونَحْوُهُ عن
سُحْنُونٍ وهذا قولُ الغُرَابِيَّةِ منَ الرَّوافِضِ سُمُّوا بذلِكَ لقولِهِمْ كانَ النبيُّ
صلى اللهُ عليه وسلم أشْبَهَ بِعَلِيٍّ منَ الغُرابِ بالغُرابِ وقالَ أبو حَنِيفَةَ وأصْحابُهُ
علي أصلِهِمْ منْ كذَّبَ بأحدٍ منَ الأَنْبياءِ أوْ تنقَّصَ أحدًا منهُمْ أوْ بَرِئَ منْهُ
فهُوَ مُرْتَدٌّ وقالَ أبو الحَسنِ القابِسِيُّ في الذِي قالَ لِآخَرَ كأنَّهُ وجهُ مالِكٍ
الغَضْبانِ لوْ عُرِفَ أنهُ قصَدَ ذَمَّ المَلَكِ قُتِلَ قالَ القاضى أبو الفضْلِ وهذا
كُلُّهُ فِيمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِمْ بِمَا قُلْناهُ على جُمْلَةِ الملائِكَةِ والنَّبِيِّينَ أوْ على
مُعَيَّنٍ مِمَّنْ حَقَّقْنا كَوْنَهُ مِنَ المَلائِكَةِ والنَّبِيِّينَ مِمَّنْ نَصَّ اللهُ عليهِ في
كِتابِهِ أوْ حقَّقْنا عِلْمَهُ بالخَبَرِ المُتَواتِرِ والمُشْتَهِرِ المُتَّفَقِ عليهِ بالإجْماعِ
القاطِعِ كَجِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ ومالِكٍ وخَزَنَةِ الجَنَّةِ وجَهَنَّمَ والزَّبانِيَةِ
وحَمَلَةِ العَرْشِ المَذْكُورِينَ في القُرْآنِ مِنَ المَلائِكَةِ ومَنْ سُمِّيَ فيهِ منَ
الأَنْبِياءِ وكَعَزْرائِيلَ وإسْرافِيلَ ورِضْوانَ والحَفَظَةِ ومُنْكَرٍ ونَكِيرٍ منَ
المَلائِكَةِ المُتَّفَقِ على قَبُولِ الخَبَرِ بِهِما فأمَّا مَنْ لم تَثْبُتِ الأَخْبارُ بتَعْيِينِهِ ولا
وقَعَ الإجْماعُ على كَوْنِهِ منَ المَلائِكَةِ أوِ الأَنْبِياءِ كَهارُوتَ ومارُوتَ في
المَلائِكَةِ والخَضِرِ ولُقْمانَ وذِي القَرْنَيْنِ ومَرْيَمَ وآسِيَةَ وخالِدِ بنِ سِنانٍ

المَذْكورِ أنهُ نَبيٌّ أهْلِ الرَّسِّ وزرادُشْتَ الّذِي تدَّعِي المَجُوسُ والمُؤرِّخُونَ نُبُوَّتَهُ فليسَ الحُكْمُ في سائِهِمْ والكافِرِ بِهِمْ كالحُكْمِ فِيمَنْ قدَّمناهُ اذْ لم تَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الحُرْمَةُ ولكنْ يُزْجَرُ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ وآذاهُمْ ويُؤدَّبُ بِقَدْرِ حالِ المَقُولِ فيه لاسِيَّما مَنْ عُرِفَتْ صِدِّيقِيَّتُهُ وفَضْلُهُ منهُمْ وانْ لم تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُ وأمَّا انكارُ نُبُوَّتِهِمْ أوْ كَوْنِ الآخَرِ منَ الملائِكَةِ فانْ كانَ المُتَكَلِّمُ في ذلِكَ مِنْ أهْلِ العِلْمِ فلا حَرَجَ لاختِلافِ العُلَماءِ في ذلِكَ وانْ كانَ منْ عَوامِّ النَّاسِ زُجِرَ عنِ الخَوْضِ في مِثْلِ هٰذا فانْ عادَ أُدِّبَ اذْ لَيْسَ لَهُمُ الكلامُ في مِثْلِ هٰذا وقدْ كَرِهَ السَّلَفُ الكلامَ في مِثْلِ هٰذا مِمَّا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ لِأَهْلِ العِلْمِ فكَيْفَ لِلعامَّةِ

(فصل)

واعلَمْ أنَّ منِ استَخَفَّ بالقُرْآنِ أوِ المُصْحَفِ أوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ أوْ سَبَّهُما أوْ جَحَدَهُ أوْ حَرْفًا مِنْهُ أوْ آيَةً أوْ كذَّبَ بِهِ أوْ بِشَيْءٍ منْهُ أوْ كذَّبَ بِشَيْءٍ مِمَّا صُرِّحَ بِهِ فيهِ منْ حُكْمٍ اوْ خَبَرٍ أوْ أثْبَتَ ما نَفاهُ أوْ نَفى ما أثْبَتَهُ على علْمٍ منهُ بذلِكَ أوْ شَكَّ في شَيْءٍ منْ ذلِكَ فهُوَ كافِرٌ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ باجماعٍ قالَ اللّٰهُ تعالى وإنَّهُ لَكِتابٌ عزيزٌ لا يَأتِيهِ الباطِلُ منْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا منْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ منْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ حدثنا الفَقِيهُ أبو الوَلِيدِ هِشامُ بنُ أحمَدَ رَحِمَهُ اللّٰهُ حدثنا أبو عَلِيٍّ حدثنا ابنُ عَبْدِ البَرِّ حدثنا ابنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ حدثنا ابنُ داسَةَ حدثنا أبو داوُدَ حدثنا أحمَدُ بنُ حَنْبَلٍ حدثنا يزيدُ بنُ هارُونَ حدثنا

مُحمَّدُ بنُ عَمرٍو عن أبي سلَمةَ عن أبي هُريرةَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ المِراءُ في القُرآنِ كُفرٌ تُؤُوِّلَ بِمَعْني الشَّكِّ وبِمَعْني الجِدالِ وعن ابنِ عبَّاسٍ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ جَحَدَ آيةً من كِتابِ اللهِ منَ المُسلِمينَ فقَدْ حَلَّ ضَربُ عنُقِهِ وكذلِكَ ان جَحَدَ التَّوراةَ والإنجيلَ وكُتُبَ اللهِ المُنَزَّلَةَ أوْ كَفَرَ بِها أوْ لعَنَها أوْ سبَّها أوِ استَخَفَّ بها فهُوَ كافرٌ وقدْ أجمَعَ المُسلِمُونَ أنَّ القُرْآنَ المَتْلُوَّ في جميعِ أقطارِ الأرضِ المكتُوبَ في المُصْحَفِ بأيْدِي المُسلِمينَ مِمَّا جمَعَهُ الدَّفَّتانِ من أوَّلِ الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ الى آخرِ قلْ أعُوذُ برَبِّ النَّاسِ أنَّهُ كلامُ اللهِ ووَحيُهُ المُنَزَّلُ على نَبِيِّهِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وأنَّ جَميعَ مافيهِ حَقٌّ وأنَّ من نَقَصَ منهُ حرْفاً قاصِدا لذلِكَ أوْ بدَّلَهُ بحَرْفٍ آخرَ مكانَهُ أوْ زادَ فيهِ حرْفاً مِمَّا لمْ يَشتَمِلْ عليْهِ المُصحَفُ الذِي وقَعَ الإجْماعُ عليْهِ وأُجمِعَ على أنَّهُ لَيسَ منَ لقُرْآنِ عامِدًا لِكُلِّ هٰذا أنَّهُ كافرٌ ولهٰذا رَأى مالِكٌ قتْلَ مَنْ سَبَّ عائِشَةَ رضي الله عنْها بالفِرْيَةِ لِأنَّهَ خالَفَ القُرْآنَ ومَنْ خالَفَ القُرْآنَ قُتِلَ أيْ لِأنَّهُ كذَّبَ بِمَا فِيهِ وقالَ ابنُ القاسِمِ مَنْ قالَ انَّ اللهَ تعالي لمْ يُكَلِّمْ مُوسٰي تَكْلِيماً يُقْتَلُ وقالَهُ عَبْدُ الرَّحمٰنِ بنُ مَهْدِيٍّ وقالَ محمَّدُ بنُ سُحْنُونٍ فِيمَنْ قالَ المُعوِّذَتانِ لَيْسَتا مِنْ كِتابِ اللهِ يُضْرَبُ عنُقُهُ الَّا أنْ يَتُوبَ وكذلِكَ كُلُّ مَنْ كذَّبَ بِحَرْفٍ مِنْهُ قال وكذلك انْ شَهِدَ شاهِدٌ على مَنْ قالَ انَّ اللهَ لمْ يُكَلِّمْ مُوسٰى تَكْلِيماً وشَهِدَ آخَرُ عليهِ أنَّهُ قال انَّ اللهَ لمْ يَتَّخِذْ ابْراهِيمَ خَلِيلاً لِأنَّهما اجتَمَعا على أنَّهُ كذَّبَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وقالَ أبو عُثْمانَ الحَدَّادُ

جَمِيعُ مَنْ يَنْتَحِلُ التَّوْحِيدَ مُتَّفِقُونَ أَنَّ الجَحْدَ لِحَرْفٍ مِنَ التَّنْزِيلِ كُفْرٌ وكانَ أبو العالِيَةِ اذا قَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ لم يَقُلْ لهُ ليسَ كما قَرَأْتَ ويقولُ أمَّا أنا فأَقْرَأُ كذا فَبَلَغَ ذلكَ ابرَاهِيمَ فقالَ أُرَاهُ سَمِعَ أنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فقدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ وقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ مَنْ كَفَرَ بآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ فقدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ وقالَ أَصْبَغُ بنُ الفَرَجِ مَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِ القُرْآنِ فقدْ كَذَّبَ بِهِ كُلِّهِ ومَنْ كَذَّبَ بِهِ فقدْ كَفَرَ بِهِ ومَنْ كَفَرَ بِهِ فقدْ كَفَرَ باللهِ وقدْ سُئِلَ القابِسِيُّ عَمَّنْ خاصَمَ يَهُودِيًّا فَحَلَفَ لهُ بالتَّوْرَاةِ فقالَ الآخَرُ لَعَنَ اللهُ التَّوْرَاةَ فشَهِدَ عليهِ بذلكَ شاهِدٌ ثُمَّ شَهِدَ آخَرُ أنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ القَضِيَّةِ فقالَ انَّما لَعَنْتُ تَوْرَاةَ اليَهُودِ فقالَ أبو الحَسَنِ الشَّاهِدُ الوَاحِدُ لا يُوجِبُ القَتْلَ والثَّانِي عَلَّقَ الأَمْرَ بِصِفَةٍ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ اذْ لَعَلَّهُ لا يَرَى اليَهُودَ مُتَمَسِّكِينَ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِتَبْدِيلِهِمْ وتَحْرِيفِهِمْ ولوِ اتَّفَقَ الشَّاهِدانِ على لَعْنِ التَّوْرَاةِ مُجَرَّدًا لَضاقَ التَّأْوِيلُ وقدِ اتَّفَقَ فُقَهاءُ بَغْدَادَ على اسْتِتابَةِ ابنِ شَنَبُوذَ المُقْرِئِ أَحَدِ أَئِمَّةِ المُقْرِئِينَ المُتَصَدِّرِينَ بِها مَعَ ابنِ مُجاهِدٍ لِقِرَاءَتِهِ وإقْرائِهِ بِشَوَاذٍّ مِنَ الحُرُوفِ مِمَّا ليسَ في المُصْحَفِ وعَقَدُوا عليهِ بالرُّجُوعِ عنهُ والتَّوْبَةِ مِنْهُ سِجِلًّا أُشْهِدَ فِيهِ بذلكَ علي نَفْسِهِ في مَجْلِسِ الوَزِيرِ أبِي عَلِيِّ بنِ مُقْلَةَ سَنَةَ ثلاثٍ وعِشْرِينَ وثَلَثِمِائَةٍ وكانَ فِيمَنْ أَفْتَي عليهِ بذلكَ أبو بَكْرٍ الأَبْهَرِيُّ وغَيْرُهُ وأَفْتَي أبو مُحَمَّدِ بنُ أبِي زَيْدٍ بالأَدَبِ فِيمَنْ قالَ لِصَبِيٍّ لَعَنَ اللهُ مُعَلِّمَكَ وما عَلَّمَكَ وقالَ أَرَدْتُ سُوءَ الأَدَبِ ولَمْ أُرِدِ القُرْآنَ قالَ أبو مُحَمَّدٍ وأمَّا مَنْ لَعَنَ المُصْحَفَ فإنَّهُ يُقْتَلُ

فصل

وسَبُّ آلِ بَيْتِهِ وأزواجِهِ وأصحابِهِ صلى الله عليه وسلم وتَنَقُّصُهُمْ حَرامٌ مَلْعُونٌ فاعِلُهُ * حدثنا القاضي الشَّهِيدُ أبو عَلِيٍّ رحمَهُ اللهُ حدثنا أبو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأبو الفضلِ العَدْلُ حدثنا أبُو يَعْلَى حدثنا أبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حدثنا ابنُ مَحْبُوبٍ حدثنا التِّرْمِذِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى حدثنا يَعْقُوبُ بنُ إبْراهِيمَ حدثنا عُبَيْدَةُ بنُ أبي رائِطَةَ عنْ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ زِيادٍ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ قال قال رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اللهَ اللهَ في أصحابي لا تَتَّخِذُوهُمْ غرَضاً بَعْدِي فمَنْ أحبَّهُمْ فَبِحُبِّي أحبَّهُمْ ومَنْ أبغَضَهُمْ فبِبُغْضِي أبغَضَهُمْ ومَنْ آذاهُمْ فقد آذانِي ومَنْ آذاني فقد آذى اللهَ ومَنْ آذى اللهَ يُوشِكُ أنْ يأخُذَهُ وقال رسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم لا تَسُبُّوا أصحابِي فمَنْ سَبَّهُمْ فعليه لعنَةُ اللهِ والملائكَةِ والنّاسِ أجْمَعِينَ لا يَقْبَلُ اللهُ منهُ صَرْفاً ولا عَدْلاً وقال صلي الله عليه وسلم لا تَسُبُّوا أصحابِي فإنَّهُ يَجِيءُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمانِ يَسُبُّونَ أصحابِي فلا تُصَلُّوا عليهِمْ ولا تُصَلُّوا معَهُمْ ولا تُناكِحُوهُمْ ولا تُجالِسُوهُمْ وإنْ مَرِضُوا فلا تَعُودُوهُمْ وعنهُ صلى الله عليه وسلم مَنْ سَبَّ أصحابي فاضْرِبُوهُ وقد أعْلَمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ سَبَّهُمْ وأذاهُمْ يُؤْذِيهِ وأذى النبيِّ صلى الله عليه وسلم حَرامٌ فقال لا تُؤْذُونِي في أصحابي ومَنْ آذاهُمْ فقد آذانِي وقال لا تُؤْذُونِي في عائِشَةَ وقال في فاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِيني ما آذاها

وقد

وقدِ اختَلَفَ العُلَماءُ في هذا فَشهُورُ مَذهَبِ مالِكٍ في ذلكَ الاِجتِهادُ والأدبُ المُوجِعُ قال مالِكٌ رحمَهُ اللهُ مَنْ شَتَمَ النبيَّ صلي اللهُ عليه وسلم قُتِلَ ومَنْ شَتَمَ أصحابَهُ أُدِّبَ وقال أيضاً مَنْ شَتَمَ أحدًا مِنْ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أبا بكرٍ أوْ عُمَرَ أوْ عثمانَ أوْ مُعاوِيَةَ أوْ عَمْرو بنَ العاصِ فإنْ قال كانُوا على ضَلالٍ و كُفرٍ قُتِلَ وإنْ شتَمَهُمْ بِغَيرِ هذا مِنْ مشاتَمةِ النّاسِ نُكِّلَ نَكالاً شَدِيدًا وقال ابنُ حَبيبٍ مَنْ غَلاَ منَ الشِّيعَةِ الى بُغضِ عُثمانَ والبَراءةِ منهُ أُدِّبَ أدَباً شَدِيدًا ومَنْ زادَ الي بُغضِ أبى بَكرٍ وعُمَرَ فالعُقوبةُ عليه أشَدُّ ويُكَرَّرُ ضَربُهُ ويُطالُ سِجنُهُ حَتّي يَمُوتَ ولا يُبلَغُ به القَتلَ الا في سَبِّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال سُحنونٌ مَنْ كَفَّرَ أحدًا مِنْ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عَليًا أوْ عُثمانَ أوْ غَيرَهُما يُوجَعُ ضَرباً وحَكي أبُو محمّدِ بنُ أبي زَيدٍ عنْ سُحنونٍ فِيمَنْ قال في أبي بَكرٍ وعمَرَ وعُثمانَ وعَليّ إنَّهُمْ كانُوا على ضَلالٍ و كُفرٍ قُتِلَ ومَنْ شَتَمَ غَيرَهُمْ منَ الصَّحابَةِ بِمِثلِ هذا نُكِّلَ النَّكالَ الشَّدِيدَ * ورُوِيَ عنْ مالِكٍ مَنْ سَبَّ أبا بَكرٍ جُلِدَ ومَنْ سَبَّ عائِشَةَ قُتِلَ قِيلَ لهُ لِمَ قال مَنْ رَماها فقد خالَفَ القُرآن وقال ابنُ شَعبانَ عنهُ لِأنَّ اللهَ يقولُ يَعِظُكُمُ اللهُ أنْ تَعُودُوا لِمِثلِه أبَدًا إنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ فمَنْ عادَ لِمِثلِه فقد كَفَرَ * وحَكي أبو الحسَنِ الصَّقَلِّيُّ أنَّ القاضِيَ أبا بَكرِ بنَ الطَّيِّبِ قال إنَّ اللهَ تعالي اذا ذَكَرَ في القُرآنِ ما نَسَبَهُ اليه المُشرِكونَ سَبَّحَ نفسَهُ لِنَفسِه كَقولِه وقالوا اتخذَ الرَّحمٰنُ وَلَدًا سُبحانَهُ في آيٍ كَثيرةٍ وذَكَرَ تعالي ما نَسَبَهُ المُنافِقونَ الي

عائِشَةَ فقالَ ولَوْلا اذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلتُمْ ما يَكونُ لَنا أنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ
سَبَّحَ نَفْسَهُ في تَبرِئَتِها مِنَ السُّوءِ كما سَبَّحَ نَفْسَهُ في تَبرِئَتِهِ مِنَ السُّوءِ وهذا
يَشْهَدُ لقولِ مالِكٍ في قتلِ منْ سَبَّ عائشةَ ومَعْنى هذا واللهُ أعلَمُ أنّ اللهَ
لَمّا عَظَّمَ سَبَّها كما عَظَّمَ سَبَّهُ و كانَ سَبُّها سَبًّا لِنَبِيِّهِ وقرَنَ سَبَّ نبيِّهِ وأذاهُ
بأذاهُ تعالى و كانَ حُكْمُ مُؤْذِيهِ تَعالى القتلَ كانَ مُؤْذِي نَبِيِّهِ كذلِكَ كما
قدَّمْناهُ وشَتَمَ رَجُلٌ عائِشَةَ بالكوفَةِ فقُدِّمَ الي موسَى بن عِيسَى العبّاسِيِّ فقالَ
منْ حَضَرَ هذا فقال ابنُ أبِي لَيْلَى أنا فَجَلَدَ ثَمانينَ وحَلَقَ رأْسَهُ وأسْلَمَهُ
لِلحَجّامِينَ ورُوِيَ عنْ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ أنّهُ نذَرَ قَطْعَ لِسانِ عُبَيْدِاللهِ بنِ عُمَرَ
اذْ شَتَمَ المِقْدادَ بنَ الأسْوَدِ فكُلِّمَ في ذلِكَ فقالَ دَعُونِي أقْطَعْ لِسانَهُ حتّى
لا يَشْتِمَ أحدٌ بَعْدُ أصْحابَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ورَوَى أبو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ
أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ أُتِيَ باعرابِيٍّ يَهْجُو الأنصارَ فقالَ لولا أنّ لهُ صُحْبَةً
لَكَفَيْتُكُمُوهُ قالَ مالِكٌ مَنِ انْتَقَصَ أحدًا منْ أصْحابِ النبيِّ صلى اللهُ
عليه وسلم فلَيْسَ لهُ في هذا الفَيْءِ حَقٌّ قدْ قسَمَ اللهُ الفَيْءَ في ثلاثَةِ أصْنافٍ
فقالَ لِلفقَراءِ المُهاجِرِينَ الآيَةَ ثُمّ قالَ والذِينَ تبوَّؤُا الدّارَ والايمانَ منْ قَبْلِهِمْ
الآيَة وهؤلاءِ هُمُ الأنصارُ ثُمّ قالَ والّذينَ جاؤُا منْ بَعْدِهِمْ يقولونَ رَبّنا
اغْفِرْ لنا ولاخْوانِنا الذِينَ سبَقُونا بالإيمانِ الآيَةَ فَمَنْ تَنَقَّصَهُمْ فلا حَقَّ لهُ في
فَيْءِ المُسْلِمِينَ وفي كِتابِ ابنِ شَعْبانَ منْ قالَ في واحِدٍ منْهُمْ انّهُ ابنُ زانِيَةٍ
وأُمُّهُ مُسْلِمَةٌ حُدَّ عنْدَ بَعْضِ أصْحابِنا حَدَّيْنِ حَدًّا لهُ وحَدًّا لِأُمِّهِ ولا أجْعَلُهُ

كَقاذِفِ الجَماعَـةِ في كَلِمَةٍ لِفَضْلِ هذا على غَـيْرِهِ ولقَوْلِه صـلى الله عليه وسـلم مَنْ سَبَّ أصْحابي فاجْلِدُوهُ قال ومَنْ قَذَفَ امَّ أَحَـدِهِمْ وهِيَ كافِرَةٌ حُدَّ حَدَّ الفِرْيَةِ لِأنَّهُ سَبٌّ لهُ فإنْ كانَ أحَـدٌ مِنْ وَلَدِ هـذا الصَّحابِيِّ حيًّا قامَ بِمـا يَجِبُ لهُ وإلّا فَمَنْ قامَ مِنَ المُسْـلِمِينَ كانَ على الإمامِ قبُولُ قِيـامِه قال وليسَ هـذا كَحُقوقِ غَـيْرِ الصَّـحابَةِ لِحُرْمَـةِ هؤُلاء بِنَبِيِّهِمْ صـلى الله عليه وسـلم ولوْ سَمِـعَهُ الإمامُ وأشْـهَدَ عليـه كانَ وَلِيَّ القِيامِ به قال ومَنْ سَبَّ غَـيْرَ عائِشَةَ مِنْ أزْواجِ النبيِّ صـلى اللهُ عليه وسلم فَفيها قوْلانِ أحَدُهُمـا يُقْتَلُ لِأنَّهُ سَبَّ النَّبيَّ صـلي الله عليه وسـلم بِسَبِّ حَليلَتِـه والآخَرُ أنّها كسائِرِ الصَّحابَةِ يُجْلَدُ حَـدَّ المُفْتَرِى قال وبالأوَّلِ أقُولُ ورَوَى أبُو مُصْعَبٍ عنْ مالِكٍ فِيمَنْ سَبَّ مَنِ انْتَسَبَ الى بَيْتِ النَّبيِّ صـلى اللهُ علنه وسـلم يُضْرَبُ ضَرْباً وَجِيعاً ويُشْـهَرُ ويُحْبَسُ طَويلاً حَـتّي تَظْهَرُ تَوْبَتُـهُ لأنَّهُ اسْـتِخْفافٌ بِحَقِّ الرَّسُولِ صـلي الله عليه وسـلم وأفْـتي أبُو المُطَرِّفِ الشَّعْبِيُّ فَقيهُ مالِقَـة في رَجُـلٍ أنْـكَرَ تَحْليفَ امْرَأةٍ باللَّيْـلِ وقال لوْ كانَتْ بِنْتَ أبِي بَـكْرٍ الصِّـدِّيقِ ما حُلِفَتْ الّا بالنَّهارِ وصَوَّبَ قوْلَهُ بعضُ المُتَسَمِّـينَ بالفِقْهِ فقال أبُو المُطَرِّفِ ذِكْرُ هذا لِابْنَةِ أبِي بَـكْرٍ في مِثْلِ هذا يُوجِبُ عليه الضَّرْبَ الشَّديدَ والسِّجْنَ الطَّويلَ والفَقيهُ الذِى صَوَّبَ قوْلَهُ هوَ أخَصُّ باسْمِ الفِسْقِ مِنِ اسْمِ الفِقْهِ فَيَتَقَدَّمُ اليـه في ذلك ويُزْجَرُ ولا تُقْبَلُ فَتْواهُ ولا شَـهادَتُهُ وهِيَ جُرْحَـةٌ ثابِتَـةٌ فيه

ويُبْغِضُ في اللهِ وقال أبُو عِمْرانَ في رَجُلٍ قال لوْ شَهِدَ عَلَيَّ أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِنَّهُ إِنْ كانَ أرادَ أنَّ شَهادَتَهُ في مِثْلِ هذا لا يَجُوزُ فيه الشَّاهِدُ الوَاحِدُ فلا شيْءَ عليه وانْ كانَ أرادَ غيْرَ هذا فيُضْرَبُ ضرْباً يَبْلُغُ بِهِ حَدَّ المَوْتِ وذَكَرُوها رِوَايَةً * قالَ القاضي أبو الفضْلِ هُنا انتَهي القوْلُ بِنا فِيما حرَّرْناهُ وانْتجزَ الغرَضُ الَّذِي انتحيْناهُ واسْتُوفِيَ الشَّرْطُ الَّذِي شَرطْناهُ مِمَّا أرْجُو أنَّ في كُلِّ قِسْمٍ مِنهُ لِلْمُرِيدِ مَقْنَعٌ وفي كلِّ بابٍ مَنْهَجٌ الي بُغْيَتِهِ ومَنْزَعٌ وقدْ سفَرْتُ فِيهِ عَنْ نُكَتٍ تُسْتَغْرَبُ وتُسْتَبْدَعُ وَكَرَعْتُ في مَشارِبَ مِنَ التَّحقِيقِ لمْ يُورَدْ لها قبلُ في أكْثَرِ التَّصانيفِ مَشْرَعٌ وأوْدَعْتُهُ غَيْرَ ما فَصْلٍ وَدِدْتُ لوْ وَجَدْتُ مَنْ بَسَطَ قَبْلِي الكلامَ فِيهِ أوْ مُقْتَدي يُفِيدُنِيهِ عَنْ كِتابِهِ أوْ فِيهِ لأكْتَفِيَ بِمَا أرْوِيهِ عَمَّا أُرَوِّيهِ والى اللهِ تعالي جَزِيلُ الضَّراعَةِ والْمِنَّةِ بِقَبُولِ ما مِنْهُ لِوَجْهِهِ والعَفْوِ عَمَّا تَخَلَّلَهُ مِنْ تَزَيُّنٍ وتَصنُّعٍ لِغَيْرِهِ وأنْ يَهَبَ لَنا ذلكَ بِجَمِيلِ كَرَمِهِ وعَفْوِهِ لِمَا أوْدَعْناهُ مِنْ شَرَفِ مُصْطَفَاهُ وأمِينِ وَحْيِهِ وأسْهَرْنا بِهِ جُفُونَنا لِتَتَبُّعِ فَضائِلِهِ وأعْمَلْنا فِيهِ خَوَاطِرَنا مِنْ ابْرَازِ خَصائِصِهِ وَوَسائِلِهِ ويَحْمِي أعْرَاضَنا عَنْ نَارِهِ المُوقَدَةِ لِحِمايَتِنا كَرِيمَ عِرْضِهِ ويَجْعَلَنا مِمَّنْ لا يُذادُ اذا ذِيدَ المُبَدِّلُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَجْعَلَهُ لَنا وَلِمَنْ تَهمَّمَ باكْتتابه واكْتِسابِهِ سَبَباً يَصِلُنا بِأَسْبابِهِ وذَخِيرَةً نَجِدُها يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ماعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا نَحُوزُ بِها رِضاهُ وجزِيلَ ثَوَابِهِ ويَخُصَّنا بِخَصِيصَي زُمْرَةِ نَبِيِّنا وجَماعَتِهِ *

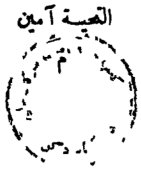
ويَحْشُرَنا في الرَّعِيلِ الأوَّلِ وأهلِ البابِ الأيْمَنِ مِنْ أهلِ شفاعتِهِ ونَحْمَدُهُ تعالى على ما هَدَى إليْهِ مِنْ جَمْعِهِ وألْهَمَ وفَتَحَ البَصِيرَةَ لِدَرْكِ حقائقِ ما أوْدَعْناهُ وفَهَّمَ ونَسْتَعِيذُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دُعاء لا يُسْمَعُ وعِلْمٍ لا يَنْفَعُ وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ فَهُوَ الجَوادُ الذِي لا يَخِيبُ مَنْ أمَّلَهُ ولا يُنْتَصَرُ مَنْ خَذَلَهُ ولا يَرُدُّ دَعْوَةَ القاصِدِينَ ولا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ وهُوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكِيلُ وصَلاتُهُ على سَيِّدِنا ونَبِيِّنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيرًا والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ

﴿ تمَّ الجزء الثَّاني من كتاب الشفا وبهِ تمَّ الكتاب ﴾

يقول راجى غفران المساوى (رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دار الكتب العربيه الكبرى) محمد الزهرى الغمراوى

الحمد لله الذى أفاض على العالم أنواع الاحسان ، وخص بجميل تكرمته نوع الانسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخليقة الانسانية ، ومحط تنزلات الأسرار الربانية ، وعلى آله المطهرين من رجس الاخلاق والافعال ، وأصحابه الذين نالوا من شريف صحبته ونشر دعوته أكرم منال ،

(أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب (الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى ،) لعلامة زمانه ، وفارس أوانه ، من سلمت له الفقهاء والمحدثون رايات التحقيق ، وأجمع المتأخرون على ان كلامه هو الفصل فى المعضل الدقيق ، القاضى عياض اليحصبى رحمه الله ، وأنابه رضاه ، وكتابه هو الشفاء لمرض القلوب ، بل هو الدواء الذى تقوى به عرى الايمان وتمحى آثار وصمة الذنوب ، فقد أبان عما يجب له صلى الله عليه وسلم من التصديق والاجلال ببراهين قطعية ، وأزاح عن معجزاته حجاب الشبهات خصوصا الآيات القرآنية فلا يقرأ الكتاب منصف ويتدبر مافيه الا وتنجلى مرآة سره ، ويصبح فى المعانى الايمانية على بينة من أمره ، وقد بذلنا غاية الجهد فى تصحيحه وضبطه على النسخ المعتمدة ، مع مراجعة شراح الكتاب عند اختلاف الآراء فهم لنا العمدة ، وذلك بمطبعة (دار الكتب العربية الكبرى بمصر) فى منتصف شهر شعبان المعظم من شهور سنة ١٣٢٩ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين





فهرست الجزء الاول من كتاب الشفا

(تم فهرست الجزء الاول ويليه فهرست الجزء الثانى)

فهرست الجزء الثانى من كتاب الشفا

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)

تنبيه

(عن تمام طبع كتاب الفتوحات المكية)

(بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر)

ان أهم مايسعى له الانسان تصفية نفسه من كدورات الاخلاق وتحليتها بالمعارف التى توجب لها السمو الى رضا الخلاق وأحسن ماجمع هذين النوعين على حسب ماجاءت به الشريعة الغراء واستنارت صفحاته بدرارى النصوص والحكم الزهراء هى كتب السادة الصوفية الذين سطعت لهم أنوار الحقائق من مشكاة المجاهدات الشرعية ومن أكبر من تحلى بتلك الصفات وكان مجلى لهاتيك التنزلات الامام الاوحد والجوهر المفرد سيدى محيي الدين بن عربى قدست أسراره وعمت أنواره ومن أعظم مؤلفاته فى هذا الشان مؤلفه الذى استنارت به حقائق العرفان وانتشر شذاه فانتعشت به أرواح السالكين وأشرقت شموسه فهامت به بصائر الواصلين ألا وهو (كتاب الفتوحات المكية) وهو كتاب جمع فاوعى وصفا زلاله فللعطاش أروى وقد سبق طبعه فى المطبعة الأميريه ولكن لنفاد نسخه أصبح فى حكم المفقود بالكليه ولما رأينا استعادة طبعه من أكبر المساعدات الأدبية والمهمات الدينية استحضرنا للتصحيح نسخة من المطبوع بالمطبعة الأميريه توجهت همة الأمير الكبير والرجل الخطير الحاج عبد القادر الجزايرلى رحمه الله الى تصحيحها على نسخة بخط المؤلف موجودة بمدينة (قونيه) من البلاد التركيه فوجه لفيفا من العلماء الذين لهم بهذا الشأن اعتناء فأدوا تلك المأموريه على حسب مارام وقاموا بذلك المهم أتم قيام وعثروا فى تلك النسخة على زيادات كثيرة وتحقيق مهمات خطيرة فاثبتوها على حسب خطه الشريف وأصلحوا التغيير والتحريف فصارت هذه النسخة لم يسبق لها مثيل ولم يكن لاحد الى محاسنها سبيل وجاء الطبع على مثالها وبذل أقصى المجهود فى التصحيح على منوالها ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

اعلان

عن طبع شرح الشرقاوى على مختصر الزبيدى (بمطبعة
دار الكتب العربية الكبرى بمصر)

لايخفى ان علم الحديث من أهم العلوم الشرعية وأولاها بصرف الهمم العلية
وان أصح كتاب وضع فيه هو صحيح الامام البخارى وان ألطف مختصراته
لدى أهل الدراية مختصر الامام الزبيدى عليه رحمة البارى . ولما كان
هذا الكتاب كعادة المختصرات الحديثية فيه من الدقة مايستوجب
التوضيحات وصرف الروية وكان من أحسن الشروح التى أوضحت
مبهماته وأزاحت مشكلاته واستوفت مايحتاج اليه الكتاب وأنارت
سبيله حتى لايبقى للسائر فيه أدنى ارتياب شرح العلامة الكبير والفهامة
الشهير شيخ الاسلام الشيخ عبدالله الشرقاوى رحمه الله وأثابه رضاه
ولكن لقلة نسخه كان من قبيل المتعسر بل المعدوم وكانت منافعه الكثيرة
من الأمر الموهوم فبذلنا العناية فى الاستحصال على نسخة وقابلناها على
أهم النسخ الصحيحة وشرعنا فى طبعه خدمة للدين وتيسيراً للمنفعة لعموم
المسلمين والكتاب يحتوى على ثلاث مجلدات ضخام ووضع بهامشه
مختصر هذا الامام وبعونته تعالى عن قريب تشرق شمس الكتاب
ويرتشف من رحيقه المستطاب